الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية



قسم التاريخ

مراكز حركة الجهاد البحري في بلاد المغارب ودورها في صدّ الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/ 16–17م)؛ مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية

أطروحة مُقدَّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث

إعداد الطالبة الباحثة:
رحيمة بيشي

إشراف الأستاذ الدكتور
إبراهيم سعيود

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	أ.د/صالح بوسليم	أستاذ	جامعة غرداية	رئيسا
02	أ.د/ إبراهيم سعيود	أستاذ	جامعة الجزائر.2.	مشرفًا ومقررا
03	أ.د/محمد دراج	أستاذ	جامعة الجزائر.2.	عضوا مناقشا
04	أ.د/محمد الصالح حوتية	أستاذ	جامعة أدرار	عضوا مناقشا
05	د/الشيخ لكحل	محاضر"أ"	جامعة غرداية	عضوا مناقشا
06	د/جمال سهيل	محاضر"أ"	جامعة غرداية	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2021- 2022م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية



قسم التاريخ

مراكز حركة الجهاد البحري في بلاد المغارب ودورها في صدّ الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/ 16–17م)؛ مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية

أطروحة مُقدَّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث

إعداد الطالبة الباحثة: رحيمة بيشي

إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم سعيود

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
01	أ.د/صالح بوسليم	أستاذ	جامعة غرداية	رئيسا
02	أ.د/ إبراهيم سعيود	أستاذ	جامعة الجزائر.2.	مشرفًا ومقررا
03	أ.د/محمد دراج	أستاذ	جامعة الجزائر.2.	عضوا مناقشا
04	أ.د/محمد الصالح حوتية	أستاذ	جامعة أدرار	عضوا مناقشا
05	د/الشيخ لكحل	محاضر"أ"	جامعة غرداية	عضوا مناقشا
06	د/جمال سهيل	محاضر"أ"	جامعة غرداية	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2021- 2022م

قال تعالى:

﴿لَا يَسْـتَوِي الْقَاعِـدُونَ مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ غَيْـرُ أُولِـي الضَّـرَرِ وَالْمُجَاهِـدُونَ فِـي سَـبِيلِ اللَّـهِ بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ فَضَّـلَ اللَّـهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَـى الْقَاعِدِينَ دَرَجَـةً وَكُـلًّا وَعَدَ اللَّـهُ الْحُسْـنَى وَفَضَّـلَ اللَّـهُ الْمُجَاهِـدِينَ عَلَـى الْقَاعِـدِينَ أَجْـرًا عَظِيمًا﴾ [الآية 95 من سورة النساء]

إهــداء

إلى روح والدي الطّاهرة تغمّده الله برحمته الواسعة،

إلى والدتي الكريمة أسأل الله أن يُبارك في عُمرها.

إلى زوجي الفاضل عبد القادر الذي وفّر لي

الظروف التي ساعدتني على إنجاز هذا العمل.

إلى الشموع التي أضاءت مشوار حياتي:

فائزة، عبد الرزاق، عبد الرحمان، أروى، زينب.

إلى إخوتي وأخواتي، إلى جميع أفراد عائلة بيشي

صغيرا وكبيرا.

إلى زملائي في المهنة،

إلى جميع أساتذة وموظفي وعمال قسم التاريخ

بجامعة غرداية.

شكر وتقدير

أولا الحمد لله والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء، والشكر لله على ما منّ به علينا من نعم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد:

من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ومن حق أهل الفضل أن يعترف لهم بفضلهم، أتقدّم بالشكر لمن تفضّل بالإشراف على هذا العمل الأستاذ الفاضل الدكتور إبراهيم سعيود جزاه الله عنّي خير الجزاء.

والشكر موصول للأستاذ الدكتور عمّار بن خروف الذي شجّعني على مواصلة الدراسات العليا ومدّ لي يد العون، والشكر موصول أيضا لجميع أساتذتي الأفاضل كل واحد باسمه.

كما لايفوتني أن أعرب شُكري وامتناني للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة على تحمّلهم مشقة قراءة أطروحتي، وجهودهم القيّمة في إثرائها.

هذا وأزف أسمى معاني الشكر والعرفان لكل من أعانني في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

✍ **الطالبة رحيمة بيشي**

قائمة المختصرات:

1- باللغة العربية:

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
م	ميلادي
هـ	هجري
تح	تحقيق
ط	طبعة
مج	مجلد
تع	تعريب
تعل	تعليق
ج	جزء
تق	تقديم
ع	عدد
مج	مجلد
تر	ترجمة
د.ت.ن	دون تاريخ النشر
د.ط	دون طبعة

د.ب.ن	دون بلد النشر
م.و.ك	المؤسسة الوطنية للكتاب
د.م.ج	ديوان المطبوعات الجامعية
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
م. ت. م	المجلة التاريخية المغربية
م.ت.ع.د.ع	المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية
م.و.ف.م	المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
إشرا	إشراف
أ.و.ج	الأرشيف الوطني الجزائري
أ.ع	الأرشيف العثماني

2– باللغة الأجنبية:

T	Tome
p	Page
ed	Edition
R.A	Revue africaine
v	Volume
Ibid	Ibidem
Op.cit	Opere citato
Pp	Pages continues
C.M	Cahier de la méditerranée
R.O.M.M	Revue de l’occident musulman et de la méditerranée
N	Numéros
S.N.E.D	Société national d’édition et de diffusion
A.N.E.P	Agence nationale d’édition et de publication
C.N.R.S	Centre nationale de la recherche scientifique

R.T	Revue tunisienne
C.T	Cahier de Tunisie
S.I.H.M	Sources inédites de l’histoire du maroc
S	Sayfa

مقدمة

مقدمة:

تحتل بلاد المغارب أهمية استراتيجية كبرى في العالم المتوسطي؛ كونها تشرف على واجهة بحرية كبيرة في الضفة الجنوبية من الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وهذا ما جعلها مسرحا للصراع المسيحي الإسلامي الدائر فيه خلال القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي)، والتي وقع على إثرها أغلب المواقع والمدن في المغارب تحت قبضتي الاحتلال الإسباني والبرتغالي، فاقتضت الظرفية المتوسطية آنذاك ضرورة مجابهته بتسخير الوسائل الممكنة من محاربته وإضعاف مراكز تموينه وإمداده وقوته، فنشطت حركة الجهاد البحري في بلاد المغارب بمساعدة الدولة العثمانية التي انتصبت مدافعة عن البلاد الإسلامية المغاربية ضد المدّ الصليبي المسيحي.

وإدراكاً منّي لأهمية موضوع الجهاد البحري في بلاد المغارب، ارتأيت التركيز في دراستي هذه على أهم المراكز المغاربية التي كانت منطلقا للعمليات الجهادية ضد الحملات الأوروبية الصليبية، ومجابهة حملاتها المتكررة على المراكز المغاربية المتوسطية. ومن هذا المنطلق كان اختياري لموضوع الدراسة الموسوم بـ:

"مراكز حركة الجهاد البحري في بلاد المغارب ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10–11هـ/16–17م)"، وذلك وفق مقاربة أرشيفية اعتمدت فيها بشكل أكبر على فرمانات "مهمّة دفتري"، لتكون دراسة أرشيفية توثيقية تعمل على تحقيق غرضين معرفيين:

أوّلهما: حتّى لا تكون الدراسات السابقة مرجعا ثابتًا في أصول كتابة تاريخ المغارب على عهد العثمانيّين، ذلك أنّ ما كتب حول بلاد المغارب في الحقبة الحديثة، جلّه كان بأقلام غربية أو بالأحرى كتبه مؤرّخو المدرسة الاستعمارية الذين عرّفونا بتاريخنا خلالها، وظهرت بعد الاستقلال دراسات لمؤرّخي المدرسة الوطنية كان اعتمادها الكبير على المؤلّفات الغربية لندرة المصادر والوثائق المحلّية لديهم.

ثانيهما: من أجل بسط الحجج والدلائل التي تبين مشروعية الجهاد البحري ودراسته في أطره الزمانية والمكانية، وظروف تلك الحقبة وتفاعلاتها ونمط العلاقات التي طبعتها بعيدا عن الأحكام المسبقة والجاهزة، والتي كانت سمة غلبت وطبعت كتابات ومذكّرات الأسرى، ورجال الدين، والرحّالة، والقناصل الغربيين، فيما يخصّ هذه القضية.

- **أسباب ودواعي اختيار الموضوع :**

جاء اختياري لموضوع الدراسة؛ نتيجة تراكم جملة من الأسباب والدوافع الموضوعية والذاتية، لعل من أهمّها:

- الرغبة الشخصية للبحث ضمن توجه ما فَتِئَ يتنامى، والمتعلق بدراسة التاريخ الكلي والشمولي للشعوب، وهو ما حاولت تجسيده في موضوعي هذا بدراسته في إطار شمولي مغاربي، لما يحمله هذا المجال من تجانس بشري وثقافي وتشابه في البنى الحضارية. وإيمانا منّي بوحدة المغرب الكبير سعيت للتأسيس له من خلال دراسته في هذه الأطروحة؛ باعتباره وحدة متجانسة لأزوّد المكتبة الوطنية والباحثين بهذا العمل، وليكون لبنة تسلط الضوء ولو جزئيا على التاريخ المغاربي الحديث.

- تبيّن لي من خلال مطالعتي المتواضعة للمواضيع التي لها صلة بالعلاقات بين ضفتي المتوسط في الفترة الحديثة، خاصة مسألة الجهاد البحري التي وجدتها كما وجدها غيري من الباحثين، قد عولجت في الغالب وفق النظرة الأجنبية بأقلام أوروبية معادية لبلاد المغارب ، ومن حذى حذوهم من خريجي المدرسة الكولونيالية، عبر مصادر أحادية التوجّه والإيديولوجيا، مستغلة بذلك أرشيفات وكتابات جهة دون أخرى، وما يشوبها من تزوير وتشويه ممنهج؛ كتقارير الرهبان، والجواسيس، والقناصل، والرحالة التي مثلت المادة الأولية للتدوين، بينما الموضوعية التاريخية تقتضي الانفتاح على كل الأرشيفات والمصنّفات للوصول إلى كنه الحقائق التاريخية، وهو ما حاولت القيام به من خلال التنقيب عن المادة الأرشيفية بمركز الأرشيف الوطني الجزائري، والأرشيف العثماني بإسطنبول، والأرشيف التونسي والمغربي، ومحاولة توظيفها واستغلالها لإبراز آراء ومواقف الباب العالي، وكذا الحكام المغاربة وسياساتهم إزاء القضايا الدولية المختلفة، وعلى رأسها مسألة الجهاد البحري، من خلال استنطاق الرسائل الدبلوماسية والأوامر الفرمانية وكل الوثائق التي لها بصلة بموضوع البحث.

- **أهداف الدراسة :**

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف؛ نذكر منها:

- جمع واستقصاء المادة العلمية والتاريخية التي لها صلة بموضوع حركة الجهاد البحري ومراكزها في بلاد المغارب، بعد الوقوف على ما كُتب عن الموضوع سواء كان في مصادره الأولية، أو بين ثنايا مختلف الكتابات التاريخية حتى أتمكن من استخلاص النتائج الجزئية لمعرفة ماهية حركة الجهاد البحري.
- المساهمة في إثراء المكتبة الجزائرية والمغاربية بالدراسات الخاصة بالعلاقات بين ضفتي غرب المتوسط في العصر الحديث، وفق مقاربة أرشيفية ، نظرا لافتقارها إلى هذا النوع من الدراسات.
- التعمّق في الجدلية التاريخية المتعلقة بمصطلح الجهاد البحري وتمييزه عما عُرف بالقرصنة أو اللصوصية. وبسط كل الأدلة التاريخية والموضوعية لمشروعية الجهاد البحري المغاربي، وإبراز حتمية الظروف التي فرضتها أوضاع البحر الأبيض المتوسط خلال القرن(09هـ/15م) وبداية القرن (10هـ/16م).
- تسليط الضوء على الدوافع والظروف التاريخية التي كانت وراء تصعيد عمليات الجهاد البحري في الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين (10-11هـ/16-17م).
- إبراز مظاهر التعاون في النشاط البحري الذي كان قائما بين أسطول الدولة العثمانية عامة والأساطيل المغاربية فيما بينها، خاصة في وجه التحالف المسيحي؛ قصد حماية منطقة بلاد المغارب من الهجمات الأورومسيحية التي استهدفتها.
- معرفة إرهاصات حركة الجهاد البحري على بلاد المغارب وعلى الضفة الشمالية للمتوسط التي كانت هدفا لها، وكذا الصراع الحاد الذي كان من تداعياتها، والذي تضاربت فيه المصالح بين الدول الأوربية وبلاد المغارب، وبين دول هذه الأخيرة فيما بينها في بعض الأحيان، وكذا مدى مساهمة المراكز الجهادية المغاربية في صد الحملات الأوروبية التي استهدفتها طيلة القرنين (10-11هـ/16-17م).

هذا ولم تتوقف الدراسة على استحضار وجمع المادة التاريخية فحسب، بل جاءت كمحاولة لفهم الظاهرة التاريخية؛ وذلك من خلال ربط الأسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات مستعينة في ذلك بمناهج البحث التاريخي.

- **الإطار الزماني والمكاني للدراسة:**

أ) **الإطار الزماني:**

يبدأ الإطار الزماني لهذه الدراسة بالفترة الممتدة خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، لأن هذه الفترة حددت مصير منطقة بلاد المغارب، نظرا للظرفية المتوسطية السائدة آنذاك.

وقد استهللتُ هذه الدراسة بمطلع القرن (10هـ/16م)، الذي تجلّت فيه الأزمة التي مسّت بلاد المغارب وأضعفتها، وكان ذلك بعد سقوط غرناطة سنة (897هـ/1492م)، مما جعل بلاد المغارب عرضة لاحتلال صليبي لاحت معالمه في الأفق، فما كان على الدولة العثمانية سوى التدخل لحماية بلاد المغارب من مصيرها المحتم على غرار بلاد الأندلس.

أما الحد الثاني لهذه الدراسة، والمتمثل في نهاية القرن (11هـ/17م)، فكان لعدة مفاصل متفاوتة، منها استقلال الإيالات المغاربية عن السلطة المركزية (مع الاحتفاظ بالبقاء الروحي)؛ عهد الدايات بالجزائر (1084هـ/1671م)، والأسرة القرمانلية بطرابلس الغرب (1123هـ/1711م)، والبايات الحسينيين بتونس (1116هـ/1705م)، وانتصاب السلطة العلوية بالمغرب الأقصى سنة (1076هـ/1666م)، كما أن بلدان المغارب قد غدت قوة ترهب الدول الأوروبية بفعل حركة الجهاد البحري التي توطّدت دعائمها منذ بَسطِ العثمانيين نفوذهم على بلاد المغارب خلال القرن (10هـ/16م).

ب)**الإطار المكاني:**

وأما بالنسبة للإطار المكاني، فهو يشمل سواحل بلاد المغارب ممثلة في الجزائر، طرابلس الغرب، تونس، المغرب الأقصى، وكذا السواحل الأوروبية لغرب المتوسط التي طالتها عمليات الجهاد البحري، بالإضافة للبحر المتوسط الذي كان مسرحا لعديد الحروب التي دارت بين الدولة العثمانية إلى جانب أساطيل إيالاتها المغاربية ضد التحالف الأورومسيحي.

- **أما الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة:**

فتتعلّق بوضعية مراكز بلاد المغارب التي انطلقت منها حركة الجهاد البحري والعمليات الجهادية التي قادتها أساطيلها، سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي خلال القرنين (10-11هـ/16-17م) ومدى تمكّنها من حماية المنطقة من الهجمات الأورومسيحية التي استهدفتها.

ونظرا لتشعّب الإشكالية الرئيسية وتداخل أبعادها، فقد قُمت بتجزئتها لتساؤلات فرعية؛ وهي كالآتي:

– ما المقصود بحركة الجهاد البحري؟ وفيما تمثل حكمه الشرعي؟ وما الفرق بينه وبين القرصنة ولصوصية البحر؟ وفيم تكمن أوجه الشبه والاختلاف بينهم لغة واصطلاحا؟ وكيف برزت الجدلية التاريخية المتعلقة بهم؟

– هل تزامن عجز السُّلط المغاربية على مجابهة الظروف الداخلية مع سوء الظروف المتوسطية، أم أنّ هذه الأزمة كانت وليدة لتبدُّل الظروف المتوسطية في القرن (10هـ/16م)؟ أم هي سابقة لها؟

– هل كانت حركة الجهاد البحري نتيجة حتمية للظروف التي فرضتها الظرفية المتوسطية أواخر القرن (9هـ/15م) وبداية القرن (10هـ/16م)، أم أن المغاربة قد مارسوا هذا النشاط قبل ذلك؟

– ما أهم مراكز حركة الجهاد البحري المغاربي، وهل كان اختيارها استنادا لموقعها الجغرافي أم السياسي، وما أهم مميزاتها وثقلها الجيوسياسي؟

– ما الدوافع التي حملت الدولة العثمانية على تقديم المساعدة لبلاد المغارب؟ هل كان من أجل بسط نفوذها على المنطقة، أم كان خدمة للصالح العام، ومساعدة المغاربة للتخلص من الهيمنة الصليبية، سيما وأنها كانت تحمل شعار الخلافة الإسلامية؟

– كيف كانت مساهمة العثمانيين في إفشال المخططات الأوروبية، ومساعدة المغاربة على صد الهجمات الصليبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، وهل تمكنوا من إعادة التوازن لبلاد المغارب؟ وبالمقابل ما مدى مساعدة المغاربة للدولة العثمانية في مواجهاتها مع الحلف الأورومسيحي؟

– فيم تمثّلت أهم الحملات الأوروبية على بلاد المغارب؟ وكيف تسنّى لمراكز الجهاد البحري المغاربي مجابهة الهجمة الصليبية في أشرس مراحلها؟

–هل يمكن تفسير تسيير القادة الأوروبيين لحملاتهم على البلدان المغاربية الواحدة تلو الأخرى، خاصة خلال القرن (11هـ/17م) على أنه تنافس دولي على المنطقة الجنوبية للمتوسط، أم أنه اتفاق أوروبي تزامنت أهدافه للقضاء على حركة الجهاد البحري المغاربي؟

– المنهج المتّبع في الدراسة:

لقد التزمت بالمنهج التاريخي الوصفي التركيبي التحليلي؛ باعتباره منهجا صالحا لوصف الأحداث والحقائق التاريخية، وتحليلها تحليلا تاريخيا علميا، وربطها ربطا تسلسليا وموضوعيا بعيدا عن الذاتية والأحكام الفردية؛ اعتمادا على قراءة جادّة للمصادر التاريخية المتنوعة، والمراجع المتوفرة، وبلغات مختلفة. لأن طبيعة موضوع البحث تقتضي معالجة الأسئلة المثارة في الإشكالية باستعمال مناهج متعدّدة لسبر أغوار الموضوع الذي يتطرق لأحداث تاريخية متداخلة ومختلفة الزمان والمكان.

بالإضافة إلى توظيف المنهج الإحصائي لإخراج البحث من جانبه النظري إلى الجانب التطبيقي في شكل معطيات وأرقام قمت بوضعها في جداول إحصائية، وأشكال بيانية مختلفة، وقد وظفت هذا المنهج في تعداد الأسرى والغنائم والسفن ونسبة الشهداء وكذلك القتلى من الجانب المسيحي، وكذا الخسائر التي منيت بها الدول الأوروبية نتيجة العمليات الجهادية المباغتة ضدها.

– الدراسات السابقة المتعلّقة بموضوع البحث:

من الطبيعي أن كل موضوع يُقدّم للدراسة، إلا وسبقته دراسات أخرى تناولته إما بشكل جزئي، أو تناولت بعضاً من عناصره، وتجدر الإشارة أن هناك بعض الدراسات التي تناولت جزئية منه لا يمكن للباحث في مجال العلاقات بين ضفتي غرب المتوسط في العصر الحديث تجاوزها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– "**العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينتي تونس وسلا كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين (11–12هـ/17–18م)**" لبولصباع وهيبة، وهي مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث. جاءت هذه الدراسة في مدخل وثلاثة فصول، تضمن مدخلها التعريف بالموقع الجغرافي للدول الثلاث، وبعض المصطلحات التي لها علاقة بالجهاد البحري، إضافة للأوضاع السياسية خلال القرن (10هـ/16م). كما تناول الفصل الأول الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمدن الثلاث (الجزائر، تونس، سلا)، وهذا لإبراز الظروف المحيطة بالعلاقات التجارية.

ثم تناول الثاني العلاقات التجارية للجزائر وتونس كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين (11-12هـ/ 17 -18م) من خلال ذكر العوامل المتحكمة وطرق التعامل وطرق المواصلات والوسائل، ثم تطرق الثالث للعلاقات التجارية للجزائر وسلا كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين السالفين.

- "**الجهاد البحري في مصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر**" لحسن إميلي، (وهي دراسة منشورة)، وكانت في الأصل أطروحة دكتوراه. تناولت هذه الدراسة مصب أبي رقراق خلال القرن (11هـ/17م) بالتفصيل، حيث جاءت في أربعة أبواب، عالج الأول مرتكزات الجهاد البحري في المصب، وعالج الثاني مقومات وتنظيمات الجهاد، وكان الثالث حول التطور المرحلي له، أما الرابع فتناول المجتمع الجهادي في مصب أبي رقراق أنموذجا، وقد أحاط حسن إيميلي بكل جوانب الموضوع، ولم يترك جزئية تتعلق بالجهاد البحري في المصب، إلا وتناولها بالتحليل المدقق، وقد اعتمدت عليه بكثرة في الفصل المتعلق بالمغرب.

- "**الجهاد البحري في ليبيا من (958-1123هـ/1551م -1711م)**" لعبد السلام الحراري، (وهي دراسة منشورة)، وكانت في الأصل رسالة ماجستير، حيث جاءت في ثلاثة أبواب، تناول الباب الأول البنيات الأساسية للجهاد البحري في ليبيا، وتناول الثاني، أساليب العمل الجهادي ووسائله، وعالج الثالث المسار التاريخي للجهاد البحري الليبي. أفادتني هذه الدراسة بكثرة في الفصل المتعلق بطرابلس الغرب.

- "**الجهاد البحري العثماني من خلال معركة ليبانتو**"، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، (غير منشورة) "لسعدية سعيد علي البيشي"، جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول، حيث تناولت نبذة تاريخية على نشأة وتطور البحرية العثمانية، عالج الفصل الأول الجهاد البحري من خلال التحركات الصليبية والمواجهات معهم، وتناول الثاني الأحداث قبل معركة ليبانت(979هـ/1571م)، وعالج الثالث مجريات المعركة من استعدادات وسير للمعركة بين الطرفين، وختمت رسالتها بفصل رابع، عددت فيه نتائج المعركة.

- مخطط الدراسة:

قسّمت البحث إلى مقدمة، وفصل تمهيدي، وستة فصول موزّعة على بابين، وخاتمة، وفيما يلي عرض للخطة كالآتي:

جاء **الفصل التمهيدي**، بعنوان: " **الجهاد البحري، مفهومه، شرعيته الدينية، دوافعه وأهدافه**"، والذي انتظم في مبحثين، كان عنوان الأول "الجهاد البحري، مفهومه، حكمه ومشروعيته"، وعالج الثاني "دوافع الجهاد البحري وأهدافه".

هذا وقد أفردت دراستي فيما يخص الجزائر بباب كامل، هذا لكونها صانعة تاريخ المغرب الحديث، ولأن الجزائر تعتبر بوابة المغرب الكبير وقلبه النابض منذ العهود القديمة، وكان عنوان هذا الباب: "**مراكز حركة الجهاد البحري في جزائر الغرب ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)**، الذي انتظم في ثلاثة فصول، حيث جاء عنوان الفصل الأول:" **مراكز حركة الجهاد البحري في الجزائر خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)**، والذي تفرع لثلاثة مباحث، كان عنوان الأول" مراكز حركة الجهاد البحري في الساحل الجزائري"، ثم أتبعه الثاني بعنوان "مدينة الجزائر أهم مركز في المغارب"، وعالج الثالث "تجهيز الأسطول الجزائري".

أما الفصل الثاني فتناولت فيه: "**حركة الجهاد البحري الجزائري ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/16م)**"، والذي تفرع لثلاثة مباحث، كان عنوان الأول "دور مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة الاحتلال الإسباني وحملاته على الجزائر خلال القرن (10هـ/ 16م)"، ثم أتبعه الثاني بعنوان: "دور حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة الإسبان على المستوى الإقليمي خلال القرن (10هـ/16م)، وعالج الثالث" العمليات الجهادية للبحرية الجزائرية على الصعيد العالمي خلال القرن(10هـ/16م).

وارتأيت أن يكون الفصل الثالث بعنوان: " **حركة الجهاد البحري الجزائري ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/17م)**، والذي تفرع هو الآخر لثلاثة مباحث، كان عنوان الأول "مجابهات البحرية الجزائرية لإسبانيا والدويلات الإيطالية وحملاتهم خلال القرن (11هـ/17م)، ثم أتبعه الثاني بعنوان "مجابهات البحرية الجزائرية لفرنسا وحملاتها خلال القرن (11هـ/17م)"، وختمت هذا الفصل بمبحث ثالث، جاء عنوانه كالتالي: "مجابهات البحرية الجزائرية لإنجلترا وهولندا وحملاتهما خلال القرن (11هـ/17م).

وعالج الباب الثاني "**مراكز حركة الجهاد البحري في كل من طرابلس، تونس، المغرب الأقصى ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)**: الذي انتظم في ثلاثة فصول، حيث جاء عنوان الفصل الأول:" **مراكز حركة الجهاد البحري في طرابلس الغرب ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)**"، والذي تفرع لثلاثة مباحث، كان عنوان الأول"مراكز حركة الجهاد البحري في الساحل الطرابلسي خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)"، ثم أتبعه الثاني بعنوان "مراكز حركة الجهاد البحري الطرابلسي ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/ 16م)" وعالج الثالث "مراكز حركة الجهاد البحري الطرابلسي ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/17م)".

أما الفصل الثاني فخصّصته لـ: " **مراكز حركة الجهاد البحري في تونس ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)**"، والذي تفرع لثلاثة مباحث، كان عنوان الأول"مراكز حركة الجهاد البحري في الساحل التونسي خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)"، ثم أتبعه الثاني بعنوان "مراكز حركة الجهاد البحري التونسي ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/16م)"، وعالج الثالث "مراكز حركة الجهاد البحري التونسي ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/17م)".

وجاء الفصل الثالث بعنوان: "**مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)** "، والذي تفرع لثلاثة مباحث، كان عنوان الأول "مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى خلال القرنين (10-11هـ/16م-17م) "، ثم أتبعه الثاني بعنوان "مراكز حركة الجهاد البحري المغربي ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/16م) "، وعالج الثالث "مراكز حركة الجهاد البحري المغربي ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/17م) ".

وقد ختمت هذه الدراسة بخاتمة ضمّت حوصلةً لنتائج محددة، ثم ذيلتها بعدد من الملاحق تضمنت وثائق أرشيفية وصورا وخرائط توسّمت فيها خدمة الموضوع المدروس، وثبتا للمصادر والمراجع المعتمدة.

- **عرض نقدي لأهم مصادر ومراجع الدراسة:**

وللإحاطة بمختلف جوانب الموضوع، كان لابد من الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع، فاعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر، منها الوثائق الأرشيفية المنشورة، والمصادر والمراجع المطبوعة العربية والمعرّبة والأجنبية، والرسائل الجامعية والدوريات المتخصّصة التي تناولت بعض جوانب الموضوع، ومن أهمّها:

أولا- الوثائق الأرشيفية:

1) **الوثائق الأرشيفية:**

تُعدُّ الوثائق الأرشيفية أهم مصدر للبحث التاريخي، ويطلق عليها المصادر الأولى أو الأصول، وبما أن دراستي تعتمد على المقاربة الأرشيفية فقد كانت الوثائق الأرشيفية هي الغالبة على المادة المصدرية للبحث. ولجمع هذه الوثائق فقد زرت العديد من دور الأرشيف داخل الوطن وخارجه، فمن الأرشيفات التي زرتها داخل الوطن أذكر الأرشيف الوطني الجزائري ببير خادم بالجزائر العاصمة، ومركز أرشيف ولاية قسنطينة. أما الأرشيفات خارج الوطن، فقد زرت الأرشيف العثماني التابع لرئاسة الوزراء التركية باسطنبول مرتين في سنة (1437هـ/2016م)، وكذا سنة (1441هـ/2020م)، وقد استفدت منه كثيرا، خاصة فيما يتعلق بوثائق مهمة دفتري، وكذا جودت بحرية وجودت خارجية ودفتر خانه باش محاسبه، كما زرت الأرشيف الوطني التونسي ثلاث مرات في سنتي (1438هـ/2017م)، وفي سنة (1440هـ/2019م)، إضافة لهذا وذاك فقد زرت الأرشيف المغربي، والمتمثل في الخزانة الحسينية، ومديرية الوثائق الملكية سنة (1437هـ/2016م).

أ)- **مهمة دفتري**: هي عبارة عن صور لأوامر، أو تعيينات، أو مراسلات ذات مواضيع مختلفة موجودة في الأرشيف الوطني الجزائري جُلبت من اسطنبول وأُسندت مهمة ترجمة حوالي ألف وثيقة من العثمانية للعربية للأستاذين محمد داوود التميمي وفكري طونا وكانت استفادتي من بعض الوثائق التي تخدم موضوع الدراسة.

وتتضمن الدفاتر المهمة المئات من الأحكام التي كانت عبارة عن أوامر تصدر عن الديوان الهمايوني، وتدوّن في دفاتر المهمة بعد مصادقة السلطان عليها، ويتم تنظيمها عادة على شكل رسائل ترسل للمسؤولين في الولايات التابعة للدولة العثمانية.

أما فيما يخص الجزائر، فإن أحمد توفيق المدني قد قام بتصوير ما يفوق 3300 وثيقة تخص الجزائر، ما بين وثائق مهمة دفتري وخط همايون، والتي قام بتعريب جزء منها محمد داود التميمي، وجزء آخر فكري طونا، إلا أن الجزء الأكبر بقي على أصله العثماني، لكن ما يؤاخذ على الوثائق المترجمة أنها لم تسند لمترجمين متخصصين في التاريخ وملمين باللغة العثمانية في آن واحد، مما يفقد النص معناه الحقيقي.

ب)- وثائق الأرشيف العثماني:

أما بالنسبة للأرشيف العثماني فإن الوثائق التي تخص القرن (10هـ/16م) مأخوذة من دفاتر المهمة وذيل دفاتر المهمة، وهي تزيد عن 75 دفترا خلال القرن السالف الذكر. والملاحظ على الوثائق التي تخص منطقة المغارب، فإن الجزائر قد حظيت بحصة الأسد لكونها أول إيالة عثمانية، وبحكم محوريتها بين هذه الأماكن والولايات، وحتى بالنسبة للدولة العثمانية، فقد كانت تمثل مركزا متقدما حاميا لها من الضربات الأوروبية في الحوض الغربي للمتوسط، والدليل على ذلك أنه لما سقطت الجزائر في يد الاحتلال الفرنسي، تبعتها بقية الولايات المغاربية، عكس مصر لما احتلها نابليون بونابرت.

أما مضمون الوثائق – على حسب اطلاعي- فيبدو أن الجانب العسكري هو المهيمن على معظم المواضيع، والسبب في ذلك الموقع الجيوسياسي الذي كانت تشغله إيالة جزائر الغرب، كما كان يطلق عليها في الوثائق العثمانية والتي كانت تعتبر دار جهاد، لأنها كانت في حالة حرب دائمة مع الدول الأورومسيحية، وبالأخص الإمبراطورية الاسبانية التي كانت قد أشعلت فتيل هذه الحرب باضطهادها لمسلمي الأندلس، واحتلالها لسواحل بلاد المغارب رفقة البرتغال.

ج)- وثائق الأرشيف التونسي: وهي في أغلبها عبارة عن معاهدات تمت بين الدولة الحفصية وإسبانيا أو بين الإيالة التونسية وبعض الدول الأوروبية، ولغة هذه المعاهدات في مجملها عثمانية وإسبانية، بالإضافة إلى اللغة الإيطالية والفرنسية، وهي موزعة بين السلسلة التاريخية ووثائق الأرشيف التونسي، إلا أن الوثائق التي تخدم موضوعي شحيحة جدا للأسف.

د)- وثائق الأرشيف المغربي:

والتي تضمنتها مديرية الوثائق الملكية بالرباط، وهي تخص في مجملها العلاقات المغربية الأوربية، وكنت قد استفدت من بعض منها.

2)الوثائق الأرشيفية المنشورة:

أ)- العربية والمعرّبة:

- **البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ج8**، لفاضل بيات، حيث يحتوي هذا المجلد على 123 وثيقة من الوثائق الصادرة عن الديوان الهمايوني، وهي لا تشكل كل الوثائق الصادرة في هذه الفترة عن ولاية الجزائر، بل منها ما يتعلق بفاس والأندلس، وقد كانت استفادتي من هذا المجلد كبيرة جدا، كون فاضل بيات متخصص في التاريخ وكذا اللغة العثمانية ، وهذا ما افتقدته عند عملي على وثائق مهمة دفتري المتواجدة على مستوى الأرشيف الوطني الجزائري، في بداية مشواري البحثي.

- **البلاد العربية في الوثائق العثمانية**، لفاضل بيات، حيث تناول الجزء الأول من الكتاب النصف الأول من القرن (10هـ/16م)، واختص الجزء الثاني في أواسط القرن (10هـ/16م)، أما الجزء الثالث، فغطى أواخر عهد السلطان سليمان القانوني، وكانت استفادتي من الأجزاء الثلاثة التي وجدتها في مكتبة إيصام للعلوم الاسلامية باسطمبول سنة 2016م[1].

---

[1] ويعتبر هذا المشروع البحثي (**البلاد العربية في الوثائق العثمانية**) من المشاريع البحثية الرائدة التي طال انتظارها في الأوساط العلمية، وقام بنشره مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية إرسيكا (Ircica) باسطنبول التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، ويُعدّه الأستاذ الدكتور فاضل بيات، ويهدف إلى ترجمة الوثائق العثمانية النادرة والمتعلقة بتاريخ البلاد العربية في العهد العثماني وإجراء دراسة عنها ووضعها في متناول الباحثين ممن يحول عدم معرفتهم باللغة العثمانية دون الاستفادة من هذه الوثائق. وبوشر بالعمل بهذا المشروع في سنة (1432هـ/2010م)، وصدر منه لحد الآن تسعة مجلدات، وكل مجلد منه يتخصّص بمراحل معينة من التاريخ العثماني أو إقليم أو ولاية من الولايات التابعة للدولة العثمانية ضمن تحديد زمني وعلى الوجه الآتي: المجلدات الثلاثة الأولى من المشروع عامة تتعلق بالبلاد العربية ككل ويتناول الوثائق العائدة إلى عهد السلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني، أي اعتباراً من العلاقات القائمة بين الدولة العثمانية والسلطنة المملوكية ومطلع العهد العثماني في البلاد العربية ولغاية وفاة السلطان سليمان القانوني (974هـ/1566م)، أما المجلد الرابع فهو يُعني بالحرمين الشريفين، والمجلدان الخامس والسادس خُصصا للولايات العراقية والسابع للخليج، أما تجاوزه بلاد الشام فلأنه نشر ثلاثة مجلدات عن الوثائق المتعلقة بها في كتاب بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة، والمجلد الثامن خُصص للجزائر كما أسلفت، أما التاسع فيهتم بفاس والأندلس ، والعاشر بتونس ، وأفرد طرابلس الغرب بالمجلد الحادي عشر. وكنت قد استفدت منه حول ما يخصّ الجزائر خلال القرن (10هـ/16م).

- نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (905-1245هـ/1500-1830م) للباحث المؤرخ المرحوم جمال قنان، وكنت أفدت منه فيما يخص النصوص المتعلّقة بالجهاد البحري، وكذا الحملات الأوروبية على الجزائر. وله كتاب آخر بعنوان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1028-1245هـ/1619-1830م)** وكنت قد أفدت منه فيما يخص المعاهدات المبرمة بين الجزائر وفرنسا خلال القرن (11هـ/17م).

- **"دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن (10هـ/16م)"**، لعبد الجليل التميمي، حيث قام هذا العالم بجهد يُشكر عليه، في ترجمته ل 310 وثيقة من دفاتر المهمة تخص بلاد المغارب خلال النصف الثاني من القرن (10هـ/16م)، وقد وظفها في مقالاته الواردة في هذا الكتاب، والتي كانت استفادتي منها كبيرة جدا، في معظم فصول الدراسة.

- **"معاهدات الجزائر مع بلدان أوربا والولايات المتحدة الأمريكية (1028-1245هـ/1619-1830م)"**، لعلي تابليت، الذي قام بجمع كل المعاهدات التي أبرمتها الجزائر مع بلدان أوربا وأمريكا التي بلغ عددها 59 معاهدة، وجاء الكتاب في جزأين، حيث تضمن ترجمة باللغة العربية لمعظم الوثائق الواردة، إلا البعض منها الوارد باللغة العثمانية والألمانية، فلم يتم ترجمته، والبعض من الوثائق مرفوق بالنص الأصلي، وكانت استفادتي من الجزء الأول، فيما يخص العلائق الجزائرية الأوربية، خلال الفترة محل الدراسة.

ب) باللغة الأجنبية:

-T.C. Başbakanlık Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü Osmanlı Arşivleri Daire Başkanlığı Yayın Nu: 115, Osmanlı Belgelerinde Cezayir, Ankara, (2010) .

- ت. ج. دولة رئاسة الوزراء، المديرية العامة للأرشيف، دائرة الأرشيف العثماني، إصدار رقم: 115، الجزائر في الوثائق العثمانية، أنقرة، (2010).

يحتوي هذا الإصدار على بعض الوثائق الموجهة من الديوان الهمايوني للجزائر، 33 وثيقة منها تخص الفترة الحديثة (أي لما كانت تحت الإدارة العثمانية)، و59 وثيقة، لما أضحت الجزائر مستعمرة فرنسية، والوثائق التي تضمنها هذا الكتاب لا تشكل كل الوثائق التي تخص إيالة الجزائر، كما أنها جاءت مترجمة للّغة التركية الحديثة مرفوقة بالوثيقة العثمانية الأصلية، وكذا ملخصا عنها باللغة العربية، وكانت استفادتي من الوثائق الخاصة بالفترة المدروسة.

- **T.C. Başbakanlık Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü Osmanlı Arşivleri Daire Başkanlığı Yayın** Nu 125, Osmanlı Belgelerinde, Trablusgarb, Istanbul, (2013) .

– **ت. ج. دولة رئاسة الوزراء، المديرية العامة للأرشيف، دائرة الأرشيف العثماني، إصدار رقم: 125، طرابلس الغرب في الوثائق العثمانية، اسطنبول، (2010).**

يضم هذا الإصدار بعض الوثائق الموجهة من الديوان الهمايوني لطرابلس الغرب، 146 وثيقة منها تخص الفترة الحديثة (أي لما كانت تحت الإدارة العثمانية)، و28 وثيقة، لما أضحت طرابلس الغرب مستعمرة ايطالية، والوثائق الواردة في هذا الكتاب لا تشكل كل الوثائق التي تخص إيالة طرابلس، وقد جاءت مترجمة للّغة التركية الحديثة مرفوقة بالوثيقة العثمانية الأصلية، وكذا ملخصا عنها باللغة العربية، وكانت استفادتي من الوثائق الخاصة بالفترة المدروسة.

-Eugène Plantet: **Les correspondances des deys d'Alger avec la cour de France, 1579-1833**,

– أوجين بلانتي: **مراسلات دايات الجزائر مع البلاط الفرنسي (986-1248هـ/1579-1833م).**

مراسلات دايات الجزائر مع البلاط الفرنسي، لمؤلفه" إيجين بلانتي"، والذي جاء في جزأين، ألف بباريس سنة (1299هـ/1882م) وكانت استفادتي من جزئه الأول الذي غطى الفترة الممتدة ما بين(986–1111هـ/ 1579–1700م)، وخاصة الوثائق المهمة التي نشرها عن العلاقات العدائية بين الجزائر وفرنسا.

Eugène Plantet: **Correspondance des beys de Tunis et des consuls de France avec la cour, 1577-1700**. -

–**أوجين بلانتي: مراسلات بايات تونس وقناصل فرنسا مع البلاط الفرنسي (984-1111هـ/1577-1700م)**

يتكون من ثلاثة أجزاء، وقد طُبع بباريس سنة (1299هـ/1882م) وكانت استفادتي من جزئه الأول الذي غطى الفترة الممتدة ما بين (984–1111هـ/1577–1700م)، وخاصة الوثائق المهمة التي نشرها عن العلاقات العدائية بين الإيالة التونسية وفرنسا.

- Ernest, Charrière: **Négociations de la France dans le levant**, Extrait de la correspondance de Rome et de Venise.

– **أرنيست شاريار: مفاوضات فرنسا في الشرق.**



قام أرنست شاريار بنشر وثائق في كتابه مفاوضات فرنسا في الشرق، ويقع هذا الكتاب في أربعة مجلدات ضخمة، احتوت على تقارير استخباراتية ورسائل ومذكرات، ووثائق دبلوماسية خلال القرن (10-11هـ/16-17م)، تم تبادلها بين ملوك وقناصل ودبلوماسيين آخرين، وشخصيات نافذة منهم رجال دين، خاصة السفراء الفرنسيين في اسطنبول وكذلك المبعوثين الفرنسيين إلى البندقية، راجوزة، روما، مالطة، القدس، الفرس، تركيا، جورجيا، القرم، سوريا، مصر، تونس، الجزائر والمغرب، لذلك جاء هذا الكتاب غنيا بالوثائق التي نشر الكثير منها لأول مرة ، وقد كانت استفادتي من الأجزاء الثلاثة الأولى التي تتضمن أحداثا تخص البلدان المغاربية وعلائقها مع الدول الأوربية.

- Henry de Castries et autre : **les sources inédites de l'histoire du Maroc,.**

– وثائق دو كاستري" (المصادر غير المنشورة المتعلقة بتاريخ المغرب).

تعتبر هذه الموسوعة من أهم المصادر التي احتوت وثائق في تاريخ العلاقات المغربية الأوروبية (إسبانيا، البرتغال، فرنسا، انجلترا، هولندا)، وهي عبارة عن مجموعة وثائق أوربية جمعها هنري دوكاستري "تقارير، مقالات، رسائل، رحلات، وأحداث دقيقة عن التاريخ السياسي، الدبلوماسي، الاقتصادي، الاجتماعي" ابتداء من الفترة السعدية.

وتحتوي هذه المجموعة 27 مجلدا موزعة على سلسلتين، الأولى مخصّصة للدولة السّعدية في الفترة الممتدة ما بين (936هـ/1530م) و(1039هـ/1630م)، أما السلسلة الثانية مخصّصة للدولة العلوية الفيلالية، في الفترة الممتدة ما بين (1071-1260هـ/1661-1845م)، وهي موزعة على ستة مجلدات من الوثائق الفرنسية التي تخص الفترة ما بين (1071هـ/1661م) و(1130هـ/1718م)، ثمّ أضيف إليها سنة (1389هـ/1970م) مجلد سابع صغير يشتمل على وثائق تخص الفترة ما بين (1130هـ/ 1718م) و(1137هـ/1725م).

وقد استفدت من هذه الموسوعة الوثائقية في الكثير من جزئيات تلك العلائق بين المغرب وكل من فرنسا واسبانيا في الفترة موضوع البحث، والتي تضمنت الكثير من الوثائق المختلفة مثل المراسلات وغيرها.

ثانيا: المصادرالعربية والمعرّبة:

اعتمدت في هذه الدراسة على جملة من المصادر العربية والمعرّبة المتعدّدة التي تخدم الموضوع، وحاولت توظيف مضامينها كمعطيات مصدرية، ومن أهمّها:

1) العربية والمعرّبة:

– " **وصف إفريقيا**" لصاحبه الحسن بن محمد الوزان ، يُعتبر من المصادر الهامة، لمطلع القرن (10هـ/16م)، وهو يُؤرّخ لكل بلدان المغارب؛ كما يتطرق بالوصف لكل المناطق التي زارها المؤلف. والكتاب في جزأين، وقد استفدت منه في التعريف بمراكز الجهاد البحري المغاربي.

–**"كتاب بحرية"** لمولفه الجغرافي والبحار الشهير بيري رايس، وهو أحد المصادر المهمة في تاريخ وجغرافية البحر المتوسط، وبحر ايجه والأدرياتيك، بالإضافة إلى المضايق المائية التي كانت مسرحا لنشاط البحرية العثمانية والتشكيلات المساندة لها، وبالإضافة للمعلومات الجغرافية الغزيرة...، اشتمل على وصف دقيق لمختلف السواحل والجزر والمدن والمنشآت العسكرية المطلة على مختلف البحار التي جابتها السفن العثمانية [1]، وكانت استفادتي منه في التعريف بالموانيء والسواحل الجزائرية والتونسية مطلع القرن (10هـ/16م).

– **"تاريخ بربريا وقراصنتها"** للراهب بيير دان، تر. حسن أميلي، وعنوانه باللغة الفرنسية:

- Dan (Le Pierre): **Histoire de Barbarie et de ses corsaires**, Paris ,1646 .

زار الرّاهب دان الجزائر سنة(1043هـ/1634م) بهدف افتداء الأسرى؛ رفقة المبعوث الفرنسي ساسون لوباج. ويُعدُّ هذا الرّاهب من الأوائل الذين شوهوا تاريخ الجزائر الحديث، فقد أعماه التعصب الديني عن رؤية الحقيقة، وبغض النظر عن وجهة نظره المتطرفة والمنحازة للجالية المسيحية، فقد تطرق للعادات التي وصفها الكاتب بالقاسية، ووصف هذه الحكومات بقطاع الطرق، ووصف أعمالهم بأنها تقوم على الحيل إضافة لعديد الأوصاف. وعلى العموم يمكن الاستفادة منه في التعرف على أوضاع الجزائر في النصف الأول من القرن (11هـ/17م).

[1] محمد دراج: **الجزائر في المصادر العثمانية**، دراسة لمصادر ونصوص مترجمة من التركية العثمانية إلى العربية، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018م، ص 29.

2) باللغة الأجنبية:

- Fray Diogo de Haedo**: Histoire des rois D'Alger,** traduction de l'Espagnol et notés par Henri Delmas de Grammont.

– **دييقو دي هايدو**: **تاريخ ملوك الجزائر**.

صاحب هذا الكتاب كان سجينا في الجزائر في الفترة ما بين (986هـ/1578م) و(989هـ/1581م)، وقد أورد ترجمة لحكام الجزائر بداية بعروج وانتهاء بمصطفى باشا، ويمتاز هذا العمل بدقة الوصف والملاحظة، كما أنّ ترجمته للفرنسية كانت متقنة، وكانت استفادتي من هذا المؤلَّف كبيرة جدا، كون الذين صنعوا أحداث الجزائر خلال القرن(10هـ/16م)، كانت لهم يد أيضا في كل من تونس وطرابلس الغرب والمغرب الأقصى، لأن مصير بلدان المغارب كان مشتركا، في قضية الجهاد البحري والرد على الاعتداءات الأوربية.

ثالثا: المراجع.

استعنت في دراستي على عديد المراجع التي تنوعت بحكم الشساعة الجغرافية للمنطقة المدروسة ، وكذا الفترة الزمنية التي غطت قرنين من الزمن، حيث لايسعني نقدها كلها ، وإنما الأهم فقط، والتي جاءت على نوعين:

1) العربية والمعرّبة:

– **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني**: لمؤلفه المنور مروش، والكتاب في جزأين، كان عنوان الجزء الأول هو العملة، الأسعار والمداخيل، أما الجزء الثاني فعُنونِ بالقرصنة، الأساطير والواقع، ونظرا لأهمية هذا الكتاب الذي لا يضاهيه كتاب آخر في تناوله للفترة الحديثة في الجزائر نظرا للتمكن الكبير الذي يتميز به هذا الباحث واطلاعه على الأرشيفات التي تحوي تاريخ الجزائر، و كل ماكتب حولها من مصادر دقيقة، وكذا منهجيته في الكتابة ونقده الصارم، وقد استفدت كثيرا من جزئه الثاني الذي تعرض في طياته لأحداث الإيالات المغاربية.

– **الحوليات التونسية**: لمؤلّفه ألفونسو روسو، عربه محمد عبد الكريم الوافي، كان أول صدور له سنة (1280هـ/1864م)، ولكنه صدر مرة أخرى في مؤسسة بوسلامة في تونس سنة (1400هـ/ 1980م)، والكتاب يؤرّخ للفترة الممتدة من (941-1245هـ/1535-1830م)، وبالتالي فقد تناول مختلف الأحداث السياسية، التي شهدتها البلاد، وقد خدم موضوعي بشكل جيد، خاصة أنه يبدأ مع احتلال شارلكان لتونس.

– **ليبيا منذ الفتح العربي حتى (1329هـ/1911م)**: للمستشرق الإيطالي أتوري روسي، وقد مكّنه إتقانه للغتين العربية والعثمانية من الاطلاع على الوثائق والكتابات المحلية، كان هذا المؤلَف الثاني بعد كتابه" **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا"**، وقد امتاز الكتابان بالدقة والموضوعية والأسلوب العلمي المنهجي.

2) **باللغة الأجنبية:**

-Moulay Belhamissi : **Histoire de la marine algérienne 1515 – 1830 .**

يعتبر كتاب تاريخ البحرية الجزائرية لمولاي بالحميسي من أهم الكتب التي تناولت موضوع البحرية الجزائرية في الفترة الممتدة من(920هـ/1515م) إلى(1245هـ/1830م)، استفدت منه في الفصل المدخلي، واستقيت منه كل ما يخص البحرية الجزائرية.

-Braudel Fernand: **La Méditerranée et le Monde méditerranéen à l'époque de Philippe II.**

وعنوان الكتاب باللغة العربية:" **تاريخ البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني**"، لفرناند بروديل (المؤرخ الفرنسي)، من أهم الكتب التي تحدثت عن أهمية البحر المتوسط، والكتاب عبارة عن ملخص لأحداث عاشها المؤلف خلال سنين الأسر في ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية، يحتوى على 1300 صفحة تناولت الأهمية الجغرافية، الاقتصادية والحضارية للبحر المتوسط، بالإضافة لمؤثرات العلاقات بين ضفتي المتوسط. استفدت منه في معظم فصول الدراسة.

كما استفدت من مراجع عديدة وبلغات مختلفة، ومقالات ودراسات كثيرة، سأضعها وفق ترتيبها في ثبت المصادر والمراجع في آخر هذه الدراسة.

- **صعوبات واجهتني أثناء إنجاز هذه الدراسة:**

لا تخلو أي دراسة علمية أو أي بحث علمي جاد من صعوبات وعراقيل، خاصة إذا كان صاحبها يريد الوصول إلى نتائج مرضية وموضوعية، وعندما حاولت التعمّق في دراسة الموضوع اعترضتني عدّة صعوبات، أهمها:

– تعذر زيارة دور الأرشيف والمكتبات في ليبيا، نظرا للوضعية الأمنية المترديّة التي يعرفها البلد، هذا من جهة، وصعوبة الحصول على الوثائق والمصادر التي تتعلق بإيالة طرابلس الغرب من جهة ثانية، بل حتى الدراسات التاريخية الليبية – في حدود علمي– لم تتعرض لمثل هذه

المواضيع التي تعتمد على المقاربات الأرشيفية، خاصة في القرنين (10-11هـ/16-17م)، حتى يمكن للباحث الإطلاع عليها أو الاستفادة من وثائقها.

- عدم تمكّني من زيارة دور الأرشيف الأوروبية، بالرغم من محاولاتي المتكررة لثلاث مرات، لكني حرمت من الحصول على التأشيرة، رغم استيفائي كل الشروط، ليأتي وباء كوفيد 19، ويغلق كل بصيص أمل.

- أما بالنسبة للمغرب الأقصى، فقد قُمت بزيارة الخزانة الحسينية بالرباط على نفقتي الخاصة ، لكني لم أجد فيها ضالتي، وبعد عناء شديد، تمّ إرشادي إلى مديرية الوثائق الملكية التي كانت تشترط موافقة السفارة الجزائرية على زيارة أي باحث جزائري لها، ولكن بفضل جهود بعض الإخوة تمكّنت من زيارتها.

- كما قُمت بزيارة الأرشيف التونسي ثلاث مرات، لكني لم أجد سوى وثيقة أرشيفية واحدة تتعلق بالعلاقات التونسية الفرنسية، والتي كانت سنة (1117هـ/1705م). بالإضافة إلى صور إلكترونية لوثائق أصلية للمعاهدات المبرمة بين الدولة الحفصية وإسبانيا، كما أن الدراسات السابقة الخاصة بموضوع البحث لم تتطرق لها الدراسات الأكاديمية الجزائرية إلا كشذرات، أو ما تطرقت إليه في مذكرتي للماجستير الموسومة بـ: "العلاقات التونسية الاسبانية في أواخر الدولة الحفصية"، حتى أن الدكتور التميمي طلب مني نسخة لها، وأخبرني أن التونسيين لم يطرقوا هذا الباب في دراسة جادة، اللّهم إلا ما كُتب على شكل مقالات، أما الدراسات الأكاديمية التونسية تكاد تكون منعدمة رغم زيارتي المتكررة للمكتبات الجامعية، ومؤسّسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات بتونس.

- أما بالنسبة للأرشيف الوطني الجزائري، فقد تعرضت للإكراهات المرتبطة بتحصيل كل الوثائق المطلوبة والاستفادة منها على الوجه الأكمل، وهو ما يتطلب تكرار الزيارات للاطلاع على جل الوثائق المتعلقة بالموضوع والتي اقتصرت على القرن (10هـ/16)، وغياب المتعلقة بالقرن(11هـ/17م)؛ ناهيك عن بعض الإجراءات البيروقراطية في التعامل، وكذا الشرط التعجيزي الذي يسمح للباحث باقتناء عشر (10) صور فقط للوثائق التي تخدم موضوعه، على أن يقوم بكتابة الوثائق المتبقية أو ما يحتاجه بخط يده للأسف.

ورُغم مساعدة أحد الإخوة في جمع الوثائق المطلوبة، إلا أنني قضيت نحو السنتين في تردّدي على المركز، وتمكّنت من كتابة حوالي 350 وثيقة بخط يدي، ثم قمت برقنها إلكترونيا،

حتى تسهل قراءتها وفهمها، ورُغم كل ذلك، إلا أن الترجمة لم تكن في المستوى الجيّد، بسبب عدم تخصّص المترجمين "محمد داود التميمي" و"فكري طونا" في التاريخ وعدم معرفتهم في بعض الأحيان بالمناطق الجغرافية الواردة في الوثائق.

كما أن قضاء الأوقات الطويلة في دار الأرشيف كان أمرا تحول دونه التزامات العمل، وكذا الارتباطات العائلية للأسف، وبُعد المسافة الذي كان أكبر عائق، وشهر إجازتنا السنوية (أوت)، يغلق فيه الأرشيف الوطني للأسف.

- كما قُمت بزيارة الأرشيف العثماني في منطقة كاغت هانة (اسطمبول) خلال سنتي (1437هـ/2016م) و(1441هـ/2020م)، لكن جهلي باللغة العثمانية حال دون الفهم المتعمق للوثائق، ورغم اجتهادي في البحث عن متخصّصين في التاريخ العثماني، إلا أني اضطررت لمترجمين متخصّصين في اللغة العثمانية فقط ، كما استعملت الملخصات التركية في الكثير من الوثائق، إلى جانب ذلك، فقد أفدت من ترجمة بعضها من قبل الأستاذ الباحث فاضل بيات، في عمله الموسوم ب: "البلاد العربية في الوثائق العثمانية"، وكذلك "الجزائر في الوثائق العثمانية"، وكذا ترجمة الأستاذ الباحث عبد الجليل التميمي لوثائق تخصّ مهمة دفتري، لكن كلا عملهما كان يخصّ القرن (10هـ/16م) فقط، مما خلق لي صعوبة في تغطية أحداث القرن (11هـ/17م) وثائقيا، والتي غطيت جزء منها عن طريق الملخصات التركية لوثائق الأرشيف العثماني، رغم أني سجلت في إسطنبول لتعلم اللغة العثمانية في شهر جويلية (1441هـ/2020م) ، لكن الوباء المستجد حرمني ذلك.

كما أن اللغة التي دُوّنت بها هذه الوثائق هي لغة القرنين (10-11هـ/16-17م)، والمعروف لدى الباحثين في دور الأرشيف أن كل اللغات متحركة عدا اللغة العربية، لأنها لغة القرآن، مما يُصّعب الأمر على الباحث، سواء في اللغة الفرنسية، الإنجليزية، الإيطالية، الإسبانية، وحتى اللغة العثمانية التي كتبت بثلاث لغات: التركية والكثير من الفارسية، والقليل من اللغة العربية التي لم تُأخذ بمعانيها العربية وإنما الكثير منها محرّف جدا، ولولا إلمام الباحث بالأحداث التاريخية ومعرفته بالمناطق الجغرافية، وتعامله الكبير مع الوثائق الأرشيفية العثمانية لما فهم المقصود منها.

وما زاد الأمر السالف تعقيدا هو وباء كوفيد 19، الذي حرمت إثره من السفر خارج الوطن، وكذا للمكتبات ودور الأرشيف الجزائرية، ورغم أنهم كانوا يعملون في بعض الأحيان

عندما تخف وطأة هذا الوباء، إلا أنني عندما أصل لمركز الأرشيف الوطني الجزائري، بعد عناء السفر الطويل (حوالي700كم)، أجدهم قد أصدروا قرارا بالغلق للأسف، مما خلق في نفسي إحباطا.

- إن صعوبة الموضوع في حد ذاته تكمن في شساعة الإطار الزمكاني للدراسة الذي يشمل القرنين (10-11هـ/16-17م)، وكذا المنطقة الغربية للمتوسط بضفتيها الشمالية والجنوبية.

- إن موسوعية موضوع الدراسة كما أسلفت، جعلتني حبيسة التاريخ الحدثي، ولم أُوَفّق لحد ما في الوصول لنتائج دقيقة تواكب البحث التاريخي الدولي، كما لو كنت عالجت جزئية دقيقة، تكون نتائجها أعمق وأدق، خاصة وأن مصادر دراستي كانت متنوعة.

- وكان تأخري في إنجاز الموضوع، والسقطات التي شابته؛ نتيجة ظروف خارجة عن إرادتي، منها الأحداث التي شهدتها منطقة غرداية، والتي حالت دون الاستقرار النفسي للشروع في العمل على موضوع البحث خلال سنتي (1434-1435هـ/2013-2014م)، وكذا التزامات العائلة الكبيرة، ومسؤولية الأبناء أصلحهم الله، وكذا تنقلي بين مستويات التدريس من الابتدائي إلى الثانوي ثم الجامعي، إضافة إلى الالتزامات المهنية والإدارية والبحثية بالجامعة.

وبطبيعة الحال، فقد حالت هذه العراقيل وغيرها دون إخراج هذه الدراسة بالشكل الذي يليق بها، وإن أفادتني هذه التجربة البحثية بخبرة ومعارف جديدة، خاصة فيما يتعلق بتقنيات التنقيب والبحث الوثائقي والتعامل مع دور الأرشيف، ومع ذلك فإن عملي هذا يبقى بعيدا عن الكمال، وما توفر لي من المقدّمات وإن لم يوصلني إلى اليقين في كثير من مباحث الدراسة، إلا أنه لم يمنع من القول بحسب الطاقة مسترشدة في كل ذلك بالتوجيهات العلمية والمنهجية لمشرفي الأستاذ الدكتور إبراهيم سعيود، الذي يعود له الفضل بعد الله تعالى في تجاوز عديد العقبات من خلال ملاحظاته وتوجيهاته القيّمة. وإذا كان باع الباحث قليلا وخبرته ناقصة وجُهده جهد المقل، فحسبي أني حاولت، واستفرغت طاقتي وجهدي، فجمعت ما وصلته يدي من وثائق ومصادر ومراجع ومقالات، وأعملت فيها فكري، فإن وفقني الله فذلك ما كنت أبغي، وإن كان غير ذلك فحسبي الأجر الواحد.

الطالبة: رحيمة عبد الله بيشي

غرداية في 02 ذي القعدة عام 1443 هـ/ 01 جوان سنة 2022م

الفصل المدخلي

الجهاد البحري، مفهومه، شرعيته الدينية، دوافعه وأهدافه.

المبحث الأول: الجهاد البحري، مفهومه، حكمه ومشروعيته

المبحث الثاني: دوافع الجهاد البحري وأهدافه

الفصل المدخلي: الجهاد البحري، مفهومه وشرعيته الدينية، دوافعه وأهدافه

- **تمهيد:**

منذ قرون خلت، عرف العالم عموما والبحر المتوسط بوجه أخص قيام القوى الكبرى بعدة غارات بحرية على السواحل بهدف سلبها ونهبها وأسر أهلها، وهذا ما اصطُلح عليه بـ"القرصنة البحرية" عند الغرب، والتي بلغت ذروتها خلال القرن الحديث، فقد مارستها دول كان لها وجود وقوة في البحر المتوسط، حيث شهدت سواحله هجمات القراصنة الأوروبيين، خاصة الإسبان والبرتغال على سفن التجار المسلمين وأيضا الدول التي لم تكن تملك القوة والحصانة.

ومع انتشارها وجب على الدول التصدي لها بكل قوتها، لذا أعدت الأساطيل الحربية المزودة بالمدافع والذخائر لمواجهتها، وقد قام العثمانيون بعدة عمليات حربية وهذا لتأمين السواحل الإسلامية من هجمات القراصنة الأوروبيين، واعتبروها أيضا حربا ضد المسيحية، ولنصرة المسلمين الفارين من الأندلس، واصطُلح على هذه الحرب "الجهاد البحري". ومن خلال ما أسلفنا نطرح التساؤلات الآتية:

ما المقصود بالجهاد البحري؟ وفيما تمثلت شرعيته الدينية؟ ومادوافعه وأهدافه؟ هذا ماسنتطرق له خلال هذا الفصل.

الفصل المدخلي: الجهاد البحري، مفهومه وشرعيته الدينية، دوافعه وأهدافه

المبحث الأول– الجهاد البحري، مفهومه، حكمه ومشروعيته:

شكّلت مسألة "القرصنة" أو "الجهاد البحري" موضوعا للنقاش والتباحث بين الدارسين قديما وحديثا؛ فبعضهم اعتبرها نشاطا عاديا مذ عرف الإنسان الملاحة، فهي قديمة قدم علاقة الإنسان بالبحر، ومنهم من اعتبرها أمرا طارئا أخل بُحرية التنقلات البحرية، وآخرون جعلوا تاريخ ظهورها مرتبطا بالبحرية الإسلامية، بينما ذهب آخرون في جعلها آفة لصيقة بالشعوب البحرية، فأصبح لزاما علينا إيجاد بعض التعريفات التي توضح عمليات القرصنة، والفرق بينها وبين لصوصية البحر وكذا الجهاد البحري، وحكم هذا الأخير ومشروعيته، لأن لكل عمل دوافعه وأسبابه وكذا نتائجه.

وقبل التعمّق في هذا الموضوع، لابد من التنويه أن أغلب الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع القرصنة أو الجهاد البحري في البحر المتوسط، اهتمت بالفترة الحديثة، مُغفلين أي حديث عن هذه الظاهرة في الفترات الوسيطية والقديمة، أو ربما هذا الإهمال يعود إلى غياب آليات الكتابة عن الوقائع البحرية التي لم تترك شواهد خلفها ولم يتسنى للمؤرخين الكتابة عنها خلال هاته الفترة، ومن هنا أصبحت القرصنة ظاهرة وُسمت بها الفترات الحديثة بعد القرن (09هـ/15م)، إلا أننا لا نكاد نستسيغ هذا الطرح، وذلك باعتبار القرصنة، كما جاءت في كتابات أغلب الباحثين، أنها ظاهرة قديمة مارستها الشعوب المطلة على البحر، مما يجعلها قديمة قدم ركوب الإنسان البحر، وهذا ما يجعلنا عاجزين عن تحديد زمان ومكان ممارستها بالضبط، والكتابات الكثيرة التي أنجزها الباحثون المسلمون تُعمم استعمال لفظة الجهاد البحري للدلالة على مفهوم الحروب التي تقع في البحر، وتكون بذلك امتدادا لعمليات الجهاد التي كانت في البر، والتي انطلقت مع بداية الفتوحات الإسلامية، واستطاعت أن تصل إلى عدة مناطق من العالم القديم، بينما مكن الجهاد البحري المسلمين من الوصول إلى مناطق أخرى، ممّا جعل هاته الحركة تدخل ضمن إطار عام تجلت أحداثه في مواصلة عمليات الجهاد لتبليغ رسالة الإسلام[1].

---

[1] الطاهر قدوري: "**مسألة القرصنة أو الجهاد البحري في المغرب الإسلامي**" (دراسة مقارنة)، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، ع.2، 1441هـ/2020م، ص 132.

الفصل المدخلي: الجهاد البحري، مفهومه وشرعيته الدينية، دوافعه وأهدافه

أولا: الجهاد البحري وفقهه الإسلامي:

1/ الجهاد البحري وحكمه في الشرع الإسلامي:

أ- التعريف بمصطلح الجهاد:

1- لغة: جاء في لسان العرب: "...جاهد العدو مجاهدة وجهادا أي قاتله، وجاهد في سبيل الله، والجهاد المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل"[1]، لذلك فإن الجهاد هو الصورة الوحيدة للحرب التي يُجيزها الإسلام [2].

2- اصطلاحا: يُقصد بالجهاد في الاصطلاح الفقهي، بذل الجهد والطاقة عند القتال في سبيل الله تعالى، ويدخل في معناه كل جهد مباشر يُبذل من أجل هذا القتال، سواء أكان سابقا عليه أم لاحقا له، والأفضل على الإطلاق هو الاشتراك الفعلي في مقاتلة أعداء الإسلام، وهو المقصود في الكثير من الآيات[3]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[4] [التوبة: 111] .

ب- حكمه: إن حكم الجهاد يكون حسب اعتبارين:

الأول- إن لم يكن النفير عاما: ففي هذه الحالة يكون الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين[5]، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب المحيط**، دط، دار المعارف، بيروت، (1390هـ)، ج1، ص708.

[2] (أ.جيل) بريل: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ط1، ج12، ص3248.

[3] محمد نعيم ياسين: **حقيقة الجهاد في الإسلام**، دار الأرقم، أنقرة، ط1، 1984م، ص ص40-43.

[4] الآية 111، من سورة التوبة.

[5] سعيد بن علي بن وهف القحطاني، **الجهاد في سبيل الله**، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ط 1، 1436 هـ، ص 5.

[النساء: 95]، وفي قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍۢ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [سورة التوبة: 122].

الثاني– إذا كان النفير عاما: كهجوم العدو على بلد إسلامي، فالجهاد هنا فرض عين على كل قادر من المسلمين لقوله سبحانه وتعالى:﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[سورة التوبة: 41]، ويكون الجهاد فرض عين في ثلاث حالات:

الحالة الأولى: إذا التقى الصَّفان، حُرم على المسلم المكلف بالقتال الانصراف وترك الجهاد[1]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[الأنفال: 15،16]، وجاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم «أن التولي يوم الزحف من السبع الموبقات»[2]، وقال عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأنفال: 45].

الحالة الثانية: إذا احتل العدو بلداً من بلدان المسلمين، ونزل فيها، تعيّن على جميع أهلها قتاله، فإن لم تكن فيه كفاية، تعين على من يليهم من بلاد الإسلام الجهاد معهم، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ

(1) سعيد بن علي بن وهف **القحطاني**: **المرجع السابق**، ص ص6-7.

(2) مسلم ابن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، تح. رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط 2، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1436 هـ، حديث (1742)، ص 44.

ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[1]. [سورة التوبة: 123]. وإذا كان هناك كفاية في مقاتلي أهل البلد المحتلة، ونقص في الأموال والعتاد، تعين على جميع المسلمين الجهاد بالمال [2].

الحالة الثالثة: إذا استنفر الإمام أهل البلد وطلب منهم ذلك[3]، مصداقا لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[سورة التوبة:128]، فيجب الخروج إلى الجهاد مع الحاكم المسلم، حتى وإن كان جائرا في حكمه [4].

ج–جهاد الدفاع: (مراتب الجهاد)

أما مراتب الجهاد، فهي خمسة: جهاد القلب واللسان والمال واليد والسيف[5]، وينقسم هذا الأخير إلى قسمين: جهاد الطلب، وجهاد الدفع.

ويُعرّف جهاد الدفاع كالآتي: "هو الدفاع عن بيضة الإسلام في حال هجوم العدو على بلاد المسلمين أو ثغورها والخوف منه على الإسلام والمسلمين..."[6]. وهو ما يندرج تحته موضوع الجهاد البحري، وهو المفهوم المتعارف عليه في التآليف التاريخية الإسلامية بالنشاطات البحرية العسكرية، والتي كانت الأساطيل الإسلامية تقوم بها ضد الدول المسيحية ومصالحها، بما يتضمنه هذا المعنى من دلالات تستند على أحكام دينية متصفة بصفة التقديس وواجب الدفاع عن مصالح

(1) الآية 123 من سورة التوبة.

(2) الصادق عبد الرحمن الغرياني: **مدونة الفقه المالكي**، مؤسسة الريان، لبنان، ط1، 2002م، ج2، ص ص 416-417.

(3) سعيد بن علي بن وهف القحطاني: **المرجع السابق**، ص 7.

(4) الصادق عبد الرحمن الغرياني: **المرجع السابق**، ص 417.

(5) سعيد بن وهف القحطاني: **المرجع السابق**، ص 11.

(6) عبد السلام السحيمي: **الجهاد في الإسلام مفهومه، ضوابطه، أنواعه، وأهدافه**، مكتبة دار النصيحة، السعودية/دار المدينة المنورة، مصر، ط1، 2008م، ص46.

الأمة والذود عن حياض العقيدة، وبما تقتضيه هذه العمليات من قبل القائمين عليها من حب التطوع واستعداد لمواجهة العدو، وبذل المستطاع لتحقيق الأهداف المنشودة[1].

"والمتتبع لخط سير العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها البحرية العثمانية وغيرهم، يلاحظ أنها كانت تهدف بالدرجة الأولى للدفاع عن المسلمين في المدن الساحلية الإسلامية والمساهمة في إنقاذ مسلمي الأندلس، ورد العدوان الذي تكرر من قبل سفن وسواحل الدول والممالك المعادية. لأن الدفاع عن النفس والدين أمر مشروع دينيا على كل من استطاع، فهي إذن عمليات عسكرية يقوم بها أفراد مسلمون قبل أن ينتظم ذلك، ليتحول إلى حرب مفتوحة على كل الجبهات بين الدولة العثمانية خاصة في سواحل بلاد المغارب التي كانت مسرحا لعديد الحروب انطلاقا من الجزائر ثم من تونس وطرابلس الغرب من جهة، وبين إسبانيا وغيرها من الممالك المسيحية الموالية لها من جهة ثانية"[2].

2/ فقه الجهاد البحري:

حثّ الإسلام على الجهاد ورغب فيه، وقد عدّه بعض العلماء ركناً من أركان الإسلام، يقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف: "والجهاد ركن من أركان الإسلام الذي لا استقامة للإسلام ولا قوام لشرائعه إلا به"[3]. لذلك فقد جاءت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة تدل على فضل الجهاد.

أ-الآيات القرآنية: ومن الآيات التي تدل على الجهاد في سبيل الله، ما يلي:

---

[1] محمد الحراري عبد السلام: **الجهاد البحري في ليبيا من 1551 إلى1711م**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2012م، ص156، **نقلا عن**: حسن إميلي:"**مسألة الجهاد البحري بين القرصنة المشروعة ولصوصية البحر**"ندوة البحر في تاريخ المغرب" نظمتها الجمعية المغربية للبحث التاريخي-كلية الآداب بالمحمدية-أكتوبر1996م.

[2] خير الدين بربروس: **مذكرات**، تر. محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010م، هامش(1)، ص10.

[3] علي بن نفيع العلياني: **أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه**، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1985م، ص234.

قوله تعالى﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[سورة التوبة: 36]. وقال عز وجل:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[سورة البقرة: 216].وقال جل جلاله:﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[سورة التوبة: 40]. وقال جل علاه:﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[سورة التوبة: 111].

ويقول الله تعالى:﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[سورة النساء:95]. وقال:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة الصف: 10-13]. وقال جل علاه:﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 154].وقال تعالى:﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: 169-170].

والآية التالية تدل على عُدّة الجهاد، قال تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ... ﴾[سورة الأنفال: 60]، وحسب ابن العنابي: "أن يجهز المسلمون لأعدائهم الكفار كل ما استطاعوا إليه سبيلا من أسباب القوة والنصر، كالأمور

النظامية وغيرها، من المراكب كالخيل والجمال ووسائل النقل والإمداد البرية والبحرية، وكذا الحصون، والخنادق وأنواع الأسلحة، وذخائر المال، والأكل والشرب، وغير ذلك، مما يُعينهم على الحرب ويُرهب قلوب أعدائهم"[1].

ب-الأحاديث النبوية:

للجهاد البحري فضائل كثيرة مقارنة بالجهاد البري، وذلك من خلال التمعّن في النصوص المأثورة عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، والتي تدل على فضل ركوب البحر، والجهاد في سبيل الله.

أما الأحاديث التي تدل على الجهاد البري فكثيرة جداً منها: ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: مَثَلُ المجَاهِدِ في سَبيلِ اللَّهِ -واللَّهُ أعْلَمُ بمَن يُجَاهِدُ في سَبيلِهِ- كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ، وتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ في سَبيلِهِ بأَنْ يَتَوَفَّاهُ أنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مع أجْرٍ أوْ غَنِيمَةٍ» [2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: « والَّذي نَفسِي بيدِهِ ، لولا أنَّ رِجالًا مِن المؤمنينَ لا تَطيبُ أنفسُهُم أن يتخلَّفُوا عنِّي، ولا أجِدُ ما أحمِلُهُم عليهِ، ما تخلَّفتُ عَن سريَّةٍ تغزُو في سَبيلِ اللهِ، والَّذي نَفسِي بيدِه، لوَدِدتُ أنِّي أُقتَلُ في سبيلِ اللهِ ثمَّ أُحيَا، ثمَّ أُقتَلُ ثمَّ أُحيَا ، ثمَّ أُقتَلُ ثمَّ أُحيَا ، ثمَّ أُقتَلُ»[3]، وذكر ابن القيم في زاد المعاد حديثاً عند أحمد، قال صلى الله عليه وسلم: « جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُنَجِّي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ»[4].

---

[1] محمد بن محمود العنابي: **السعي المحمود في نظام الجنود**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص57.

[2] ابن رجب الحنبلي: **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، تح. طارق عوض الله 7ج، دار ابن الجوزي، ط1، 1996م، الحديث رقم (2635)، ج6، ص 10.

[3] نفسه، الحديث رقم (2644)، ج 6، ص20.

[4] محمد ناصر الدين الألباني: **صحيح الترغيب والترهيب**، 3ج، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000م، الحديث رقم (1319)، ج 2، ص54.

فمن خلال النصوص النبوية الشريفة، يتبين لنا فضل الجهاد في سبيل الله، والجهاد البحري داخل في عموم هذه الأحاديث، ونظرا لأهمية وفضل الجهاد البحري على غيره من أصناف الجهاد وألوانه، جاءت بعض النصوص النبوية الشريفة التي أضاءت وأظهرت هذه المكانة التي يحتلها الجهاد والغزو في البحر، لأن هذا النوع من الجهاد لا يقدر عليه الجميع، وليس بسعة الكل القيام به، ويرجع ذلك لطبيعته واختلافه عن غيره.

وعن أنس رضي الله عنه كانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَدْخُلُ علَى أُمِّ حَرامٍ بنْتِ مِلْحانَ[1]، وكانَتْ تَحْتَ عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عليها يَوْمًا فأطْعَمَتْهُ، وجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، فَنامَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وهو يَضْحَكُ، قالَتْ: فَقُلتُ: ما يُضْحِكُكَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ناسٌ مِن أُمَّتي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزاةً في سَبيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هذا البَحْرِ، مُلُوكًا علَى الأسِرَّةِ -أوْ: مِثْلَ المُلُوكِ علَى الأسِرَّةِ، شَكَّ إسْحاقُ- قالَتْ: فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، فَدَعا لها رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ثُمَّ وضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وهو يَضْحَكُ، فَقُلتُ: ما يُضْحِكُكَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ناسٌ مِن أُمَّتي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزاةً في سَبيلِ اللَّهِ، كما قالَ في الأُولَى، قالَتْ :فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَنِي منهمْ، قالَ: أنْتِ مِنَ الأوَّلِينَ. فَرَكِبَتِ البَحْرَ في زَمانِ مُعاوِيَةَ بنِ أبِي سُفْيانَ، فَصُرِعَتْ عن دابَّتِها حِينَ خَرَجَتْ مِنَ البَحْرِ، فَهَلَكَتْ[2]

---

[1] أم حرام بنت ملحان بن خالد الأنصارية صحابية جليلة، امرأة أصرت على الجهاد في سبيل الله كهلة وشابة فقد طلبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن تكون مع المجاهدين الرجال وفعلاً كانت من ضمن الذين ماتوا في هذه الغزوة حيث تحققت نبوءة الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة قبرص مع معاوية رضي الله عنه وجنوده سنة 28 للهجرة. **ينظر** سامي صالح القحطاني: **غزو البحار، فضله، وأحكامه، وأشهر قادته المسلمين في القرن الهجري الأول**، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الوطنية، إشراف: عبد الله بن قاسم الوشلي، اليمن، 2007م، ص43.

[2] الإمام البخاري: **المصدر السابق**، باب فضل من يصرع في سبيل الله، حديث (2799، 2800)، ج4، ص18. / الامام مسلم: **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، إش. ومرا. صالح عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الشيخ، كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر، دار السلام للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، محرم 1420هـ/ أبريل 1999م، حديث (1912)، ج6، ص49.

ويعتبر هذا الحديث العظيم عمدة في فضل الغزو في البحر [1]. وفي لفظ البخاري فَقالَ: « نَاسٌ مِن أُمَّتي يَرْكَبُونَ البَحْرَ الأخْضَرَ في سَبيلِ اللَّهِ، مَثَلُهُمْ مَثَلُ المُلُوكِ علَى الأسِرَّةِ» ، ذكره في باب غزو المرأة في البحر، وفي رواية له أيضا قالت: « أَوَّلُ جَيْشٍ مِن أُمَّتي يَغْزُونَ البَحْرَ قدْ أوْجَبُوا، قالَتْ أُمُّ حَرامٍ: قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ أنا فيهم؟ قالَ: أنْتِ فيهم، ثُمَّ قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أوَّلُ جَيْشٍ مِن أُمَّتي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لهمْ، فَقُلتُ: أنا فيهم يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: لا» [2].

ومما جاء في فضل الغزو، الحديث الذي أخرجه الطبراني بإسناده عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من غزا في البحر غزوة في سبيل الله، والله أعلم بمن يغزو في سبيله قد أدى إلى الله طاعته كلها وطلب الجنة كل مطلب وهرب من النار كل مهرب»[3]. وأخرج أيضاً بإسناده عن وانلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من فاته الغزو معي فليغز في البحر» [4].

وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حجة لمن لم يحج خير من عشر غزوات، وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجج، وغزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر، ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها والمائد فيه كالمتشخط في دمه»[5].

وجاء في صحيح البخاري في كتاب الجهاد والسير باب فضل من يصرع في سبيل الله فمات ثم أورد حديث أم حرام بنت ملحان السابق. وفقه البخاري في تراجمه كما هو معروف عنه –رحمه الله–، فهذا دليل على فضل الغزو في سبيل الله في البحر [6].

---

[1] سامي صالح القحطاني: **المرجع السابق**، ص43.

[2] أبي زكرياء أحمد بن محمد الدمشقي ثم الدمياطي المشهور بابن النحاس: **مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام (في الجهاد وفضائله)**، تح. ودراسة إدريس محمد علي ومحمد خالد اسطنبولي، دار البشائر الاسلامية، بيروت، لبنان، ط3، 2002م، ج1، ص245.

[3] ابن النحاس: **المصدر السابق**، ص 252.

[4] **نفسه**، ص 251.

[5] **نفسه**، ص247.

[6] سامي صالح القحطاني: **المرجع السابق**، ص44.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فضل غازي البحر على غازي البر كعشر غزوات»[1]. وروى أبو داود بإسناد رجاله ثقات عن أم حرام رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «المائدُ في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد والغريق له أجر شهيدين»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «لو كنت رجلا لم أجاهد إلا في البحر، وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من أصابه ميد في البحر كان كالمتشخط في دمه في البر»[3].

وذكر عدة أحاديث وآثار أخرى تدل على فضله، يمكن الرجوع لها في الكتاب المذكور. وقال ابن الأزرق:"الجهاد البحري جهاد عظيم، وعن الحنابلة، أفضل من جهاد البر، لتردده بين خطر الجهاد وخطر البحر، مع عدم تمكنه من الفرار إلا مع أصحابه"[4]. ويورد القرضاوي في شأن ذلك " أن الأجر على قدر النَّصب والمشقّة، ولا نزاع في أن خطر القتال في البحر ومشقته أعظم من القتال في البر" [5]. لذلك فإن هذا التكريم الزائد لشهيد البحر إنما يعود إلى أن الغازي في البحر أعظم خطرا ومشقة، لأنه بين خطر العدو، وخطر الغرق.

كما يتحدّد مفهوم الجهاد البحري في الإسلام من خلال وصايا الصحابة والخلفاء الراشدين التي أصدروها للفاتحين المسلمين الأولين الذين خرجوا لغزو الشام، ومصر، وفلسطين .

---

[1] ابن النحاس: **المصدر السابق**، ص248.

[2] أبي داود: **سنن**، كتاب الجهاد، باب فضل الغزو في الحرب، إش. ومرا. صالح عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الشيخ، دار السلام للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، محرم 1420هـ/ أبريل 1999م، ج3، ص16. رقم الحديث 5874.

[3] ابن النحاس: **المصدر السابق**، ص249.

[4] أبي عبد الله بن الأزرق: **بدائع السلك في طبائع الملك**، تح وتع. علي سامي النشار، 2ج، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1978م، ج2، ص54.

[5] يوسف القرضاوي: **فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط3، 2009م، ج3، ص511.

كما يحدده كذلك مواقف قادة الفتح الإسلامي وسلوكاتهم وتصرفاتهم تجاه الشعوب التي دانت للإسلام أو دخلت تحت ذمته وحمايته [1].

ج- اجتهاد العلماء:

كثرت تحرشات البحرية المسيحية على مراكب المسلمين وأصبحت نهبا لهم، فجوز الفقهاء الجهاد البحري، لدفع أذى العدو الذي أعتدى على المال والأعراض، لذا تعددت الفتاوى وتنوعت أوجه النظر، وراح عامة الناس يتجادلون ويتحاجون ففي هذه الظروف تكون فكر فقه العمل البحري [2].

فأصبحت عملية اعتراض السفن المسيحية حتمية عرضت على فقهاء المغرب الإسلامي فكانت من جملة النوازل، لكن الغالب على أجوبتهم معالجتها لموضوع افتداء السلع والأفراد الذين وقعوا في الأسر من قبل العدو، فابن رشد مثلا يجعل افتداء التجار ومن بالمركب بمنزلة الأسرى، فتطرح الفدية من القيمة الكلية للبضائع المحمولة في المركب، لكن أجرة الكراء تبقى ثابتة وحقا كاملا لصاحب المركب إذا تعرض المركب لعملية السطو من قبل لصوص في البحر، لأن البضاعة لم تتلف بطارئ عرض للمركب كعطب أو نحوه، أما إذا تمكن الأسرى المسلمون من الفرار من قبضة النصارى، وهم على متن مراكب نصرانية راسية بإحدى مراسي المسلمين، فإنهم لا يردون ولا يفتدون [3].

ويذكر أحد الباحثين ما جاء في فتوى أبي عمران الفاسي، أن القيام بالجهاد البحري يدخل في إطار ما يعرف بالحرب الدفاعية، والظاهر أن فقهاء المالكية (أبي عمران الفاسي والبوني) كانوا

(1) إبراهيم سعيود: **الأسرى المغارب في إيطاليا خلال الفترة الحديثة من القرن 16 إلى القرن 18م، ومن القرن 10هـ إلى القرن 12هـ (دراسة في أوضاعهم الاجتماعية في ضوء الوثائق الإيطالية)**، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2020م، ص 147.

(2) مولاي بالحميسي: **البحر والعرب في التاريخ والأدب**، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005م، ص123.

(3) الطاهر قدوري: **المرجع السابق**، ص ص 133-134.

يقدمونها على الحرب الهجومية خاصه في سواحل بلاد المغرب الإسلامي والسفن المبحرة منها وإليها، والتي كانت عرضة لهجمات القراصنة المسيحيين [1].

بينما ذكر آخرون: أن القرصنة أو الجهاد البحري عمل مشروع أجازها ونظمها الفقه الإسلامي، ويستدل على ذلك أن الفقهاء في الأمة الإسلامية كانوا يمارسونها والتي اعتبرت عملا مشروعا واستمرارا لمختلف أنواع الجهاد التي تخوضها دار الإسلام مع دار الحرب، وأنها كانت تتم في إطار مجموعات يقوم أفرادها باعتراض السفن وتقاسم الغنائم، لذا كان من الصعب التحكم في النشاطات البحرية أو حمل سكان المدن الساحلية على عدم ممارسة هذا النشاط، ويعتمد في حكمه هذا على نص مبتور للفقيه المالكي سحنون ليستخلص منه مشروعية القرصنة فيقول: "لم يمارس الأفارقة القرصنة بصورة آلية فوضوية بل إن الفقه قننها؛ فكانت خاضعة مبدئيا لشرعة الحرب" [2].

بذل فقهاء الأمة الإسلامية بدورهم جهدا واجتهادا في هذه المسألة ليجيبوا على الإشكالات المطروحة حولها أو ارتبطت بتطوراتها في الزمان والمكان، فاتفق الفقهاء على أن من برز وشهّر السلاح، مخيفا للسبيل خارج المصر، بحيث لا يدركه الغوث فإنه محارب، قاطع الطريق، جارية عليه أحكام المحاربين[3].

كما تحمل القرصنة البحرية في معناها العملي الاعتداء على الناس وممتلكاتهم، بالاعتماد على القوة، وبث الخوف، والبعد عن الغوث، وصعوبة الإنقاذ، فإن القرصنة بهذا تعد ضربا من الحرابة" [4]. ودليل ذلك أن الفقهاء يعرفون مرتكب الحرابة بأنه هو الذي يظهر الفساد في الأرض،

---

[1] صالح العبيدي: **البحر والنشاط البحري من خلال كتاب المعيار للونشريسي**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العالم المتوسطي وحضارته اختصاص تاريخ وسيط، كلية الآداب والفنون والإنسانية بمنوبة، تونس، السنة الجامعية: (2011 -2012م)، ص36.

[2] **نقلا عن**: الطاهر قدوري: **المرجع السابق**، ص 134.

[3] عبد الرحمان بن أحمد بن محمد فايع: **فقه أحكام البحر**، دار بن حزم للنشر والطباعة والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية ودار الأندلس الخضراء، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص ص581-582.

[4] **الحرابة**: هي البروز لأخذ مال أو قتل، أو لإرعاب على سبيل المجاهرة مكابرة اعتمادا على القوة مع البعد عن الغوث، **ينظر**: عبد الرحمان بن أحمد بن محمد فايع: **المرجع السابق**، ص ص 571-572.

ويقطع السبيل، وفي القراءات تعبير عن المسلك البحري بالسبيل في قوله تعالى:﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[الكهف: 60]، وذلك تسوية بين معنى إخافة السبيل بحرابة البحر ومعنى إخافة السبيل بحرابة البر[1].

والقرصنة بهذا المفهوم: هي السعي في الأرض بالفساد، فتكون داخلة في عموم قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾[المائدة: 33].

ومن الفقهاء الذين أفتوا في هذا الموضوع الفقيه الونشريسي، الذي صرّح:"بأن المسلمين إذا غزوا في البحر ووجدوا مركبا يحمل بضاعة، وعلموا أنه ليس للعدو، لم يجز لهم أن يحدثوا فيه حدثا، بل يجب عليهم حفظه بما فيه من الأموال، حتى يُردّ وهو بأسره إلى أهله إذا عرفوهم [2]، امتثالا لقوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾. [سورة النساء: 58]

لذلك فإن الفقهاء قاسوا قاطع الطرق البحرية على قاطع الطرق البرية، ما حمل الكثير من المؤرخين على استعمال لفظة "متلصصة البحر" على غرار "متلصصة البر"، وهذا ما جاء في فتاوى الونشريسي الذي أورد أن حكمهما واحد، وذلك بالنظر إلى العمل الذي يقومان به؛ فاعتبرت حرابة البحر كحرابة البر، وبناء على هذا يرى بعض الباحثين ضرورة استعمال مصطلح الحرابة لما يحمله من قيمة إجرائية بدلا من استعمال مصطلح القرصنة الذي تعلق بالأوروبيين أكثر منه من المسلمين خاصة في العصور الوسطى والذي يدل في كثير من الأحيان على عمليات السطو التي تتعرض لها السفن في البحر، ويكون الغرض منه الحصول على مكسب[3].

د-حكم المرابط في سبيل الله:

---

[1] إبراهيم سعيود: **المرجع السابق**، ص 147.

[2] الونشريسي: **المعيارالمعرب، والجامع المغرب، عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، تح .محمد حجّي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، دارالغربالإسلامي، بيروت، لبنان، ط1،1981م، ج8، ص ص 302- 303.

[3] الطاهر قدوري: **المرجع السابق**، ص 134.

الرباط نظام دفاعي إسلامي على السواحل الإسلامية، استحدثه المسلمون للعمل كنظام إنذار عندما تتعرض الحدود الساحلية لاعتداءات خارجية، وقد اشتهر بكثرة في الضفة الجنوبية للمتوسط، وذلك للظرفية المكانية التي كانت تعيشها وهي موقعها قبالة الدول النصرانية، فكان لزاما عليها تجهيزها بكل ما يلزم للدفاع عن ثغورها، وكذا تجهيز المجاهدين الذين يطلق عليهم "المرابطون" الذين كانت مهمّتهم هي أما الحراسة أو استقلال السفن للقيام بمهمة الحماية الإقليمية، وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تبين فضل الرباط في سبيل الله، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[سورة آل عمران: 200].

ولأن الرباط من أفضل الأعمال، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللّه خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا....» [1].

و روى مسلم في صحيحه من حديث سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»[2].

هـ- حكم الجهاد؛ قصد الغنيمة:

عن أبي هُرَيْرَةَ: قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :«مَثَلُ المجاهِدِ في سَبِيلِ اللَّهِ -واللَّهُ أعْلَمُ بِمَن يُجاهِدُ في سَبِيلِهِ -كَمَثَلِ الصّائِمِ القائِمِ الخاشِعِ الرّاكِعِ السّاجِدِ، وتَكَفَّلَ اللَّهُ لِلْمُجاهِدِ في سَبِيلِهِ أنْ يَتَوَفّاهُ فَيَدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أوْ يَرْجِعَهُ سالِمًا بِما نالَ مِن أجْرٍ

---

[1] كامل سلامة الدقس: **الجهاد في سبيل الله**، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، بيروت، ط2، 1409هـ/ 1988م، ص135.

[2] يحي بن شرف النووي: **رياض الصالحين**، تح وتعل: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1983م، ص498.

وغَنِيمَة»[1]. والملاحظ هنا هو أن الغنيمة كانت المحرك الأساسي في الفتوحات الإسلامية. وتشمل الغنيمة أربعة أقسام: أسرى وسبي وأموال وأراضين [2].

وورد في كتاب فقه الجهاد للقرضاوي ما يأتي: "من يجاهد ونيته وجه الله تعالى ونيل الغنيمة جميعا، ولو انفرد قصد الجهاد عنده لكان كفيلاً بإنهاض القدرة إلى الجهاد، بحيث لو دعي إلى غزو طائفة فقراء ليس لهم ما يغنم، لما أقعده عدم وجود ما يغنم عن الجهاد في سبيل الله، بل كان يجاهد، ولو دعي إلى غزو طائفتين إحداهما فقيرة، والأخرى غنية لرغب في جهاد الغنية، رجاء الغنيمة، وهذه النية مما اختلف فيها وفي أشباهها أئمة السلف، فذهب بعضهم: إلى أن النية فاسدة، وأن صاحبها يعاقب عليها لإدخاله قصد الدنيا في عمل الآخرة"[3].

أما أبو حامد الغزالي رضي الله عنه، فاعتبر هذه النية صحيحة، بقوله: "الغزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها، ويبعد أن يقال: إدراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم، بل العدل أن يقال: إن كان الباعث الأصلي والمزعج القوي، هو إعلاء كلمة الله تعالى، وإنما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية، بحيث لو لم تكن غنيمة لما ترك الغزو"[4].

وهذا الدليل الذي استدل بها بن النحاس بقوله: "فإن أبا سفيان بن حرب لما قدم من الشام في عير قريش، وفيها أموالهم وتجارتهم وكان فيها ثلاثون رجلا، وكانت عيرهم ألف بعير، فسمع النبي بها، فندب المسلمين إليها، وقال: «هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله ينفلكموها» [5].

---

[1] ابن رجب الحنبلي: **فتح الباري** ...، **المصدر السابق**، حديث (2635)، ج6، ص 10.

[2] سحنون (محمد بن سعيد التنوخي)، **المدونة الكبرى**، مطبعة السعادة، مصر، 1323هـ، ج2، ص284.

[3] يوسف القرضاوي: **المرجع السابق**، ص 702.

[4] أبومحمد بن محمد الغزالي حامد الغزالي: **الإحياء**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 1755.

[5] ابن النحاس: **المصدر السابق**، ج2، ص ص 624-625.

ومما يدلّ أيضا على صحة هذه النية، ونيل الشهادة بها: ترغيب الله عباده المؤمنين في الغنيمة، في غير ما آية من القرآن، كقوله تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ..﴾[الفتح: 20]. ويبعد أن يرغب الله عباده في الغنيمة، ويعدهم بها، ويمن عليهم بنيلها، ثم يحظر عليهم نيتها وقصدها، ومن أعظم الأدلة على ذلك أن النبي عليه السلام، كان يرسل السرايا ليغيروا على نعم المشركين وأموالهم وزراريهم، وكانوا إذا لحقهم المشركون قاتلوهم دفعا عما معهم من الغنائم، وإعلاء لكلمة الله، فربما انتصر المسلمون وذهبوا بما معهم، وإلا كانت الأخرى[1].

ثانيا: الجدلية التاريخية المتعلقة بالقرصنة والجهاد البحري

1/القرصنة ولصوصية البحر:

أ- ماهية القرصنة البحرية: مر علينا في النقطة السابقة، أن مصطلح الحرابة هو مرادف للكلمة الغربية (Caursaire) المعربة إلى "قرصنة" فكيف حدد الباحثون معنى وماهية القرصنة؟

1- لغة: القرصنة Corsa لفظة إيطالية، وهي مصدر لفظة قرصان المعربة من الكلمة اللاتينية كورس (Course) الدالة على السرعة في الجري اشتقاقا ومعنى[2]، وتستعمل للمفرد والجمع وتجمع أيضا بكلمة قراصنة أو قراصين[3]، وقد أطلقت على الذين يجوبون البحار بسرعة لأجل الحرب والغزو واصطياد السفن[4].

---

[1] ابن النحاس: **المصدر السابق**، ج2، ص 626.

[2] جعفر بن أحمد الناصري: **سلا ورباط الفتح، أسطولهما وقرصنتهما الجهادية**، تحقيق أحمد بن جعفر الناصري، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2006م، ج3، ص8.

[3] نور الدين عبد القادر: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر-من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص11.

[4] وهيبة بولصباع: **العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينتي تونس وسلا كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين 17و18م**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، إشرا. أحمد صاري، 2013-2014م، ص11.

والقرصنة كلمة من اختراع الإفرنج، ولا يوجد لها مرادف في اللغة العربية، وإنما استعربت في القرن(9هـ/15م)، وكان يسمى من يتعاطاها قرصانا، وهم معروفون عند ابن خلدون بغزاة البحر[(1)].

ويعتبر الراهب دان Dan الوحيد الذي نسب لفظة كورسير Corsaire المشتقة من كورس Course إلى كورسيكا الجزيرة المتوسطية التابعة لفرنسا، لأن سكانها حسب ما أورد يتصفون بالشراسة والعنف [(2)].

2- اصطلاحا: القرصنة شكل من أشكال الحروب[(3)]، وهي حرب مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحرب أو ترخيص يتم بموجبه تجهيز سفن حربية وجوازات سفر وأوامر من المسؤولين في الدولة [(4)].

وتخضع القرصنة للقانون البحري الدولي الذي يؤطرها وفقا لقول بروديل: " أن القرصنة لم تكن نشاطا فرديا بل نشاط جماعات وشبكات تشترك المدن والدول في تنظيمها، الأمر الذي يؤكد أنها كانت من طباع ذلك الوقت ومن مزاياه ..."[(5)].

وقد تعدّدت تعريفات الباحثين للقرصنة، فذهب البعض إلى: "أنها كل عمل عنف غير قانوني ترتكبه سفينة خاصة في عرض البحر ضد سفينة أخرى بنية النهب [(6)]، وقال

---

(1) عبد الحميد بن أشنهو: **الدور الذي لعبته الجزائر في القرن السادس عشر بالبحر المتوسط**، في مجلة الأصالة، ع 8،ص296.

(2) P.Dan **: Histoire de la barbarie et de ces corsaires (du royaume et des villes d'Alger, de Tunise, de Tripoli et de Salé),** second édition. Chez Iimpirimeur et libraire ordinaire du roi, Paris, 1649, pp 9-10.

(3) فرنان بروديل: **المتوسط والعالم المتوسطي**، تع. مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي للدراسات للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993م، ص52.

(4) كورين شوفالييه: **الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر(1510-1541م)**، تر. جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية،2007م، ص49.

(5) فرنان بروديل: **المرجع السابق**، ص152.

(6) جيرهاردفان غلان: **القانون بين الأمم، مدخل إلى القانون العام الدولي**، تر. وفيق زهدى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1980م، ج2، ص22.

آخر:" بأنها كل عمل إجرامي يتصف بالجسامة وتتعدى آثاره إلى الغير، بحيث يكون منطويا في ذاته على تعريض مبدأ حرية الملاحة للخطر، وهو يتضمن ثلاثة عناصر أساسية هي وجود سفينة على متنها مجموعة من الأشخاص يرتكبون أفعال عنف غير مشروعة، وأن يكون هذا العنف موجها بقصد تحقيق مغانم شخصية أو أغراض خاصة وأن ترتكب أفعال العنف في البحر"[1]. وذهب ثالث بأن: " القرصنة هي اعتداء مسلح تقوم به سفينة في أعالي البحار دون أن يكون مصرحا لها بذلك من جانب دولة من الدول ويكون الغرض منه الحصول على مكاسب باغتصاب السفن أو البضائع أو الأشخاص وتغير اتجاهها"[2]. ورأى باحث آخر أن:" القرصنة هي القيام أو محاولة القيام بأعمال عنف من جانب أشخاص على ظهر سفينة خاصة ضد أشخاص أو ممتلكات على ظهر سفينة أخرى تتم في عرض البحر بهدف السلب والنهب"[3].

ومن خلال التعريفات السابقة يمكننا الخروج بتعريف يتناسب مع الفترة العثمانية؛ وهو" أن القرصنة اعتداء مسلح من جانب أشخاص يعترضون أشخاصا آخرين في عرض البحر بهدف السرقة والنهب أو يغيرون على السفن الراسية في الموانئ وعلى المدن الساحلية، ويترتب عليها خسائر في الأموال والبضائع، بل يأسرون قباطنة السفن وركابها الرجال والنساء وحتى الأطفال، ويتم مساومة ذويهم على افتدائهم بأموال باهظة، ومن خلال وسطاء يقومون بفداء الأسرى بالمال نقدا وأحيانا بقروض، لحين تمكن الأسرى من سداد الأموال بعد فك أسرهم، أو يدفع عنهم ذووهم مقابل الفداء"[4].

---

[1] مايا خاطر: **الإطار القانوني لجريمة القرصنة البحرية**، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجل. 27، ع الرابع، 2011م، ص267.

[2] محمد حافظ غانم: **مذكرات في القانون الدولي العام**، دار النهضة، (د.ط)، 1972م، ص372.

[3] مايا خاطر: **المرجع السابق**، ص 267.

[4] **نقلا عن** جمال كمال محمود: **القرصنة في البحر المتوسط في العصر العثماني**، دراسة تاريخية وثائقية، تق. محمد عفيفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2015م، ص10.

ب-لصوصية البحر: وغالبا ما تورد كلمة لصوصية البحر (Piraterie) مرادفة لكلمة القرصنة (Caursaire)، فما مدلولها ؟

اللفظة" Pirateria "مشتقة من اللفطة اللاتينية Pyra التي تفيد معنيين: الغش والخداع، أو قد تكون مشتقة من اللفطة اللاتينية Pirata واليونانية Pirates، واللفظ الأصلي هو Peiran، ويقابله في الفرنسية لفظة Essyer وهو الأكثر منطقا، وهذه اللفظة كانت تدل على البحارة الذين يمارسون الملاحة أيام السلم وأيام النهب واللصوصية، لكن سرعان ما أصبحت لصيقة بالبحارة الذين يقومون بعملية اعتراض السفن ونهبها دون أن يكون لهم ترخيص من دول معينة [(1)].

ج- الفرق بين القرصنة واللصوصية: يكمن الفرق بين لفظتي Course وPirateri في مشروعية النشاط الذي يقوم به البحارة، وهم يمارسون هاتين العمليتين فإذا كانوا ينتمون إلى جهة معينة أو دولة؛ فإن نشاطهم البحري يدخل ضمن Course وتكون بذلك حربا بحرية مشروعة موجهة ضد عدو ما، أما إذا كانت عملياتهم البحرية فردية لا تنتمي لأي جهة أو دولة معينة، فإن ذلك يدخل في إطار Piraterie والتي عادة ما يكون هدفها عرقلة العمليات التجارية، وحركة المواصلات البحرية، والسطو على المراكب وأسر من فيها [(2)].

2/ المسار التاريخي للقرصنة في الحوض المتوسطي: اكتشف قاطنوا الحضارات المطلة على البحار أهميتها منذ القدم، وباتت السيطرة عليها هدفا أساسيا لتجارتهم وفرض نفوذهم وهيمنتهم على الآخرين، ومازالت البحار إلى يومنا هذا تؤدي الدور نفسه، وللبحر المتوسط في العصور القديمة مكانة مميزة بين البحار[(3)]، فعلى ضفافه قامت

---

(1) الطاهر قدوري: **المرجع السابق**، ص 135.

(2) نفسه، ص 135.

(3) حسين منيمنه: **الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي مرحلة التأسيس**، في كتاب ندوة الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي أيام 30-3 ماي و1-2 يونيو1997م، جمعية أبي رقراق، اللجنة المغربية للتاريخ البحري، سلا-المغرب، ص ص20-21.

أهم الحضارات والإمبراطوريات، فكان هذا البحر الأهم بين سائر البحار، خاصة أنه يربط القارات الثلاث ببعضها؛ افريقيا آسيا وأوروبا، وبما أن البحر المتوسط مهد الملاحة البحرية، فالشعوب المتوسطية قد مارست القرصنة منذ القدم[1]، وقد أشارت المصادر التاريخية لغارات القراصنة على سواحل مصر الشمالية عند سواحل الدلتا وكيف كان الفراعنة يحاربونهم بالرماح والسهام وأنزلوا بهم هزيمة نكراء لكن هذا النصر لم يضع حدا لتحرشات القراصنة التي توالت فيما سمحت الفرصة لذلك[2].

وقد تتبع روجي كواندرو (Roger Coindreau) في كتابه "قراصنة سلا" تاريخ ممارسة الحضارات القديمة -المطلة على الحوض المتوسطي- للقرصنة، وأورد بأن الإغريق كان لموطنهم موقع جغرافي ممتاز وخاصية فريدة لسواحلهم، مما مكنهم من قطع الطرق التجارية في شرق المتوسط[3].

وأكد مونتيسكيو في كتابه روح الشرائع "بأن الإغريق الأوائل كانوا كلهم قراصنة.."[4]، وكانوا يمارسونها ضد الفينيقيين الذين كانوا أول الشعوب المتوسطية المحتكرة للتجارة، وقد سجلت هذه المنافسة على البحر بين القوتين السالفتين أول مثال للصراع بين دولة تاجرة وقراصنة منظمين[5]، مما أفضى إلى بداية الصراع بين الشرق والغرب، ومثل هذا الصراع أيضا اصطدام أطماع الفرس القدماء بحركة امتداد الاستعمار الإغريقي على سواحل آسيا الصغرى في القرن السادس (ق.م)، فيما عرفت سلسلتها الأولى بالحروب الميدية والتي كانت بدايتها حين غزا الملك "دارا الفارسي"بلاد اليونان، وألحق بها

(1) كورين شوفالييه: **المرجع السابق**، ص49.

(2) جمال كمال محمود: **المرجع السابق**، ص10.

(3) روجي كواندرو: **قراصنة سلا**، تر. محمد حمود، المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، 1991م، ص ص15-16.

(4) مونتيسكيو: **روح الشرائع**، تع. عادل زعيتر، دار المعارف، مصر، دت، ج2، ص41. / روجي كواندرو: **المرجع السابق**، ص16.

(5) روجي كواندرو: **المرجع السابق**، ص16.

الدمار والخراب، حتى برز الإسكندر المقدوني الذي جاب الكثير من بقاع الشرق، وقوّض أركان دولة الفرس وخلد اسمه، ومنذ هذه الغزوة وقصة الصراع بين الشرق والغرب تمثل فصولا طويلة في تاريخ الحوض الشرقي للمتوسط [1].

كما يمكننا النظر إلى فترة الحروب البونية (264-146ق.م) الطويلة التي دارت رحاها بين روما وقرطاجة من هذا الباب، وبعد انهيار قرطاجة سيطر الرومان سيطرة كاملة على المتوسط حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية الكاثوليكية على يد البرابرة الجرمان سنة 476م، ليخلفهم البيزنطيون الأرثوذكس في مهمتهم[2]، وقد عاش هؤلاء فترة الهدوء التي تسبق العاصفة التي اقتلعتهم من المشرق والمتمثلة في الرسالة المحمدية.

ويورد بن خلدون في مقدّمته، أنه بعد فتح صقلية سنة (211هـ/827م)، تفوق المغاربة في المجال البحري، وعندما انتهت هيمنة البحرية الاسلامية على المتوسط في القرن (4هـ/ 10م)، ظهر شكل جديد من الصراع البحري اختلط فيه الجهاد واللصوصية البحرية والمصالح التجارية، وأضحى القرن (5هـ/11م) هو قرن السيطرة الأوربية على البحر سواء في الميدان التجاري أو جانب اللصوصية التي عانى منها المسلمون الويلات، وتزامن ذلك مع مهاجمة النورمان لصقلية سنة (444هـ/1052م)، وسقوط طليطلة في (479هـ/1086م)، ونشطت الحملات الصليبية[3]. حتى المهدية أضحت مسرحا

[1] إبراهيم أحمد العدوي: **الأمويون والبيزنطيون، البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية**، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ص1-2.

[2] امحمد سعيد الطويل: **البحرية الليبية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي**، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، ط3 ، 2012م، ص25./ أرشيبالد.د.لويس: **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م)**، تع. أحمد محمد عيسى، مرا وتق. محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، ص15.

[3] إبراهيم جدلة: **إفريقيا والغزو البحري في العصر الوسيط (من القرن 4هـ /10م إلى القرن 10هـ /16م)**، الندوة الدولية في موضوع"الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي، سلا 30-31 مايو 1-2 يونيو 1997م، المغرب -الرباط، ص ص 197-201.

لهجمات الجنويين والبيشيين منذ (480هـ/1087م)، وقد صالحهم تميم بن المعز على 100ألف دينار مقابل تنازلهم عن الأسرى المسلمين، وعن الأموال التي غنموها[1].

وقد تعدّدت المراكز التي كان ينطلق منها القراصنة في الضفة الشمالية للمتوسط مثل قستليون (Gastellon)، التي قال عنها ابن سعيد أنها "معقل القراصنة"[2]. وأثناء رحلة ابن جبير إلى المشرق (578هـ/1182م) شاهد بأم عينه أسرى المسلمين يباعون في سوق بجزيرة سردينيا، كما أورد بأنه: "أصبح من العادة انتهاب المراكب واستعباد من فيها"[3].

في ظل هذه الأوضاع نشأت حركة دفاعية في بعض مدن ساحل المغرب الإسلامي، هدفها الدفاع عن النفس، إلا أنه رغم ذلك فإن بعض الأفراد قد نجحوا في رد العدوان، مما جعل الأعداء يهابونهم، وفي ذلك يقول الغبريني:" أصبحت بجاية بلدة غزاة، وكان الغزاة يدخلون إلى الجزر الرومية ويسرقون السبي الكثير، وينزل الناس لشرائه بحومة المذبح...وهناك يخمس ويقع الفصل فيه...وبلغ من كثرة سبي الآدميين أن يباع البيض"[4]. لكن مع منتصف القرن (8هـ/14م) كان رد فعل المغاربة أكثر جدية وتنظيما، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون:" وشرع في ذلك أهل بجاية، فيجتمع النفير والطائفة من الغزاة، ويصطنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال ثم يركبونها إلى سواحل الفرنجة، وجزائرهم على حين غفلة فيخطفون منها ما قدروا عليه، ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا، ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى، حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية بأسراهم تضج طرق البلد بصخب السلاسل والأغلال

---

[1] أبو محمد عبد الله التجاني: **رحلة**، تونس، 1981م، ص 332.

[2] أبو الحسن علي بن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، بيروت، 1980م، ص181.

[3] محمد بن أحمد بن جبير: **رحلة**، القاهرة، 1955م، ص4 وص 313.

[4] أبو العباس الغبريني: **عنوان الدراية، فيمن عرف من المائة السابعة في بجاية**، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م، ص43.

عندما ينتشرون في حاجاتهم ويغالون في فدائهم"[1]. وهذا يعني أن النشاط البحري كان ممارسا من طرف المسيحيين والمسلمين على السواء.

وقد عُثر على رسالة مكتوبة ومرخصة من طرف فيليب أوغست في ماي من سنة(602هـ/1206م)، والتي تسمح للقراصنة بالتجول في البحر برعاية الملك، "إذ تعود أصول القرصنة إلى القرن(7هـ/13م)، لكنها بلغت أوج نشاطها في الفترة الممتدة من القرن (10هـ/16م) إلى غاية القرن (13هـ/ 19م) في حوض البحر المتوسط"[2].

لكن القرصنة المسيحية تراجعت عبر السنين، عكس نظيرتها المسلمة التي عرفت تطورا خصوصا بعد نزوح مسلمي الأندلس إلى المغرب الإسلامي، حيث عرفت منعرجا جديدا في الموانئ المغربية [3]. فمنذ سقوط إشبيلية في يد الإسبان سنة (783هـ/1371م)، تمكّن المغاربة بفضلهم من إتقان الملاحة والغزو البحري[4].

لكن بعد سقوط غرناطة، أخذت السفن الإسبانية تطارد البحارة المسلمين، متّخذة منها ذريعة للاعتداء على سواحلهم[5]. فاضطر المغاربة إلى توحيد جهودهم لرد العدوان وتحولوا من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم وتعقب الإيبيريين [6].

لذلك فإن القرصنة لم تكن وليدة القرن(10هـ/ 16م)، بل تعود جذورها إلى أبعد من ذلك، فمنذ قرون طويلة كان المسلمون والمسيحيون يمتهنونها على السواء[7].

---

(1) نور الدين عبد القادر: **المرجع السابق**، ص ص63-64.

(2) Xavier Labat, Vincent: « **La course et corso en méditerranée du XVI, au XIX siècle**» Revue clio, Août 2002, p1.

(3) إبراهيم سعيود: **المرجع السابق**، ص116.

(4) محمد الأمين بلغيث: **فصول في التاريخ و العمران بالمغرب الإسلامي**، منشورات أنترسيني، الجزائر، ط1، 2007م، ص58.

(5) (Henri.D) De Grammont: **Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515- 1830),** Ernest Lerrouxéditeur, Paris, 1877, p5.

(6) Leila Maziane: **Salé et ces Corsaires(1666-1727) Un porte de la Course Marocaine au XVIII siécle,** Thése Soutenue en1999 à Université de Rouen havre, Normadie,2007,p23,(Books,Google,com)

(7) Fernand Braudel: **«Les Espagnoles et L'Afrique du Nord de 1492 -1577»,** R.A, t 69, 1928, pp196-197.

ويقول المنور مروش: "أنه منذ العصر القديم إلى القرن(12هـ/ 18م)، كانت القرصنة في البحر المتوسط ظاهرة دولية عامة تشكل مع الحرب والتجارة ثالوثا لا ينفصم"[(1)].

فالحديث عن الظروف السياسية والعسكرية، التي مرت بها سواحل المغرب الإسلامي، والتي كان من نتاجها انتشار ظاهرة القرصنة كشكل من أشكال الدفاع عن المدن الساحلية، ومظهرا من مظاهر الرفض الرسمي للهيمنة الأوربية وتهديداتها[(2)].

3/الجهاد البحري بين النشاط البحري المشروع وبين القرصنة ولصوصية البحر:

مرّ معنا في النقاط السابقة تحديد مصطلحي القرصنة ولصوصية البحر، وإلى جانبهما تستعمل الكتابات الغربية مصطلح "Les Sarrazins Barbaresque"، ويطلق مصطلح " Sarrazins" في العموم على شعوب شبه الجزيرة العربية بعد اعتناقها للإسلام، فتولت نشر الإسلام، خارج حدودها فكانت لها نشاطات عسكرية في البر والبحر، ويرى أحد الباحثين " أن هذا المصطلح عند الغربيين غالبا ما يدل على أعمال السطو والنهب، وهي مشتقة من اللفظة اللاتينية Saraceni، والتي تعنى بالعربية "سارقين"، أو "شرقي" والتي كانت تطلق على القبائل العربية المتاخمة للحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية، وبقيت مصاحبة لهم حتى بعد اعتناقهم للإسلام[(3)].

أما مصطلح" La Course Barbaresque "، فإن استعماله في الكتابات الأوروبية يراد به بحارة بلاد المغارب الذين كانوا يقومون باعتراض السفن المارة بالقرب من مدنهم

---

(1) المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (القرصنة الأساطير والواقع)**، ج2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ج2، ص37.

(2) محمد أمين: **القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن الثامن عشر**، في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع21، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، سبتمبر 2000م، ص 24.

(3) (Jean)Monlou: **les Etats barbaresques, que sais – je**, Paris,1964, p20.
نقلا عن الطاهر قدوري: **المرجع السابق**، ص 135.

الساحلية، وغالبا ما نجد هذه اللفظة مرادفة للفظة السابقة"، Sarrasins" وهكذا فإن هذه اللفظة الدالة على عمليات السلب والنهب في البحار تختلف كليا في مدلولها عن اصطلاح " الجهاد البحري"، وهذا راجع الى أن الكنيسة كان لها دور كبير في وضع تشريعات تجيز لمن يحمل راية المسيحية مشروعية العمل الذي يقومون به ضد سفن العدو، وفي المقابل نجد أن ذات المصدر كان مسؤولا عن صياغة مجموعة من الألفاظ التي تصف وتُجرّم العمليات البحرية للمسلمين وفتوحاتهم في أوروبا ووصفها بعمليات القرصنة[1]. لذا فقد وصفت أغلب الكتابات التاريخية الأوربية سكان بلاد المغارب ونشاطهم بـ "برباريا" ونعتهم بالوحشية والشراسة، ومما لا شك فيه أن هذا المصطلح يعكس حتما وجهة نظر الأوربيين، لكن ليس من العدل أن يتحمل المغاربة وحدهم مسؤولية العنف البحري، وما كان يحدث من عمليات عسكرية منظمة أو غير منظمة، ومن أجل رأي محايد و موقف واضح حول القرصنة وجب على المؤرخين أن يعملوا على دراسة هذه الظاهرة بشكل أعمق[2].

إلا أن المصادر والمؤلفات الأوروبية التي كانت أكثر اهتماما بموضوع القرصنة، تستعمل إلى يومنا هذا باختلاف قدر الموضوعية عدة مصطلحات تتفاوت من حيث مفاهيمها بين من يقر بشرعية هذه العمليات ومن يدرجها في خانة الإجرام، بل حتى المصطلحات عرفت تفاوتا (تباينا) لديهم، فاكتسب لفظ قرصنة (Course) مثلا صفة الحرب القانونية لدى البعض[3]، وصفة اللصوصية المرادفة للفظ (Piraterie) لدى البعض الآخر[4].

---

(1) الطاهر قدوري: **المرجع السابق**، ص135.

(2) جيروم فينار: **"رؤية جديدة للقرصنة"** ترجمة: عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغاربية، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، ع. 13-14، 1979م، ص111.

(3) حسن ايميلي: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر**، نشر كلية الآداب المحمدية جامعة الحسن الثاني، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2006م، ص50.

(4) **نفسه**، ص51. /كواندرو: **المرجع السابق**، ص9.

ومعروف أن المؤرخين لم يهتموا كثيرا بالتدقيق في استخدام مصطلح القرصنة ولصوصية البحر المتقاربين على مستوى الأسلوب والنتائج، والمتباعدين على مستوى الدوافع والخلفيات رغم حرصهم الشديد في ذلك حينما يتعلق الأمر بالعمليات العسكرية المسيحية[1]. إلا أن المؤرخ الإيطالي سلفاتوري بونو (Salvatore Bono) يعرف القرصنة كما يلي: " هي الحرب بين المسيحيين والمسلمين، والقرصان هو الذي يمارس القرصنة لحساب الحكومة وبدعم منها، وقد كان يحتل مكانة قانونية على الصعيد الوطني والدولي، وبالمقابل لص البحر يقوم بنفس الأعمال والنشاطات (الاستيلاء على السفن، البضائع، الأشخاص)، ولكن دون تشريع أو قواعد؛ فلصوص البحر لا يترددون في مهاجمة سفن البلدان الصديقة أو حتى سفن بلدانهم، وبهذه الطريقة هم خار جون عن القانون"[2]. أما كواندرو فقد أورد بأن لفظة القراصنة كانت تطلق على رياس سفن الولايات المغاربية خلال القرن (10هـ/ 16م) حينما كانت تابعة للدولة العثمانية، لكن بعد هزيمة العثمانيين في ليبانت سنة (979هـ/1571م) أُطلق عليهم صفة اللصوصية [3].

وكان أول من وضع النقاط على الحروف فيما يخص الجدلية التاريخية المتعلقة بالقرصنة هو الباحث المؤرخ منور مروش في مؤلفه الذي اهتم فيه كثيرا بهذا الموضوع، حيث أورد هذا الأخير مايلي: "... أنه في دراسة تلقي الضوء على تاريخ القرصنة اقترح

---

(1) عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص157.

(2) Lafi, Nora **: « Salvatore, Bono, Corsarinelmediterraeo. Christianiemusulmani fra, Guerra, Schiavithucommercio**» in, Revue du Monde musulman et de la méditerran Volume 68.n° 01, 1993. p300.

نقلا عن حمزة إسحاق زيتوني: **البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية (1519–1800م)**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، إشراف: عمار بن خروف، المركز الجامعي بغرداية (2011–2012م)، ص18.

(3) روجي كواندرو: **المرجع السابق**، ص23.

ميشال فنتناي (Fontenay Michel) فيما يخص العصور الحديثة يمكن أن نميز بين ثلاثة أشكال من العنف البحري بالإضافة إلى الحرب البحرية، وهي "[1]:

1- حرب القرصنة: وهي حرب تأمر بها الدولة حيث تُشرك فيها الخواص من أصحاب السفن في التكاليف والفوائد.

2- اللصوصية البحرية: هي نهب وسلب ما في البحر بلا عقيدة ولا قانون، وهي مدانة عالميا قانونا وأخلاقا.

3- "القورصو" بين المسيحيين والمسلمين وهذا النوع من العنف خاص بالحوض المتوسطي، وخصائصه تقربه من القرصنة ومن اللصوصية معا، لكنه متعارف عليه ومقبول من الطرفين تحت إطار الحرب المقدسة التي مارستها الدول المتوسطية مثل مالطا والإيالات المغاربية خلال القرن الأول والثاني للفترة الحديثة.

وبناء على ما سبق، فإن اختيار بعض المؤلفين الأوروبيين مصطلح القرصنة لإطلاقه على العمليات العسكرية البحرية لا يأتي من باب القدح، وإنما يعود لتصور الأوروبيين أنفسهم حول أي نشاط بحري أنه لا يعدو كونه قرصنة، عكس المسلمين الذين كانوا يرونه بابا من أبواب الجهاد بين الإسلام والمسيحية في الحوض المتوسطي، ما يفسره هنري دوكستري De Castrier Henri بعمق أكثر من غيره منتقدا الخلط الذي يعتري مواقف العديد من المؤرخين الأوربيين[2]بقوله: "إن الاختلاف بين القرصنة كوسيلة مشروعة في الحرب البحرية وبين الأعمال اللصوصية في البحر مباشرة، في كل وقت، وضد أي دولة، لم يتم الاعتراف به أبدا للمسلمين؛ فبالنسبة لهم يعتبر المسيحي عدوا بسبب اختلافه الديني، ولذلك كانوا يرون أنفسهم باستمرار في وضعية قانونية لنصبه العداء"[3].

---

[1] المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص8.

[2] محمد الحراري عبد السلام: **المرجع السابق**، ص162.

[3] De Castrier**: le Maroc d'autre fois, les corsaires de Sale,** Revue des deux Moundes, 1903, p828.

نقلا عن محمد الحراري عبد السلام: **المرجع السابق**، ص163.

الفصل المدخلي: الجهاد البحري، مفهومه وشرعيته الدينية، دوافعه وأهدافه

أصبح الجهاد البحري ضرورة حتمية نتيجة التطورات التي عرفتها السواحل الشرقية والجنوبية للمتوسط خلال القرن (10هـ/16م)، وكذابروز القوة العثمانية ومحاولة سيطرتها على المناطق السالفة الذكر، وبروزها كقوة مناوئة للمصالح المسيحية عامة والإسبانية خاصة [1].

ومن هذا المنطلق، يمكن القول: أن ما يعتبر قرصنة في نظر الأوروبيين هو في الحقيقة جهاد شرعي ورد فعل مشروع على الغارات الأوربية[2]، فهو بذلك نشاط جهادي له مبرراته في نطاق العلاقات السياسية والاقتصادية بين ضفتي البحر المتوسط بعد سنة (898هـ/1492م)، أما عن حكمه الأخلاقي فهو دفاع مشروع مستمد من أحكام الشريعة الإسلامية والتي حددت ضوابط الحرب، وكيفية التعامل مع الحالات الإنسانية، وبالرغم من ذلك فإن معارضة الأوربيين له واعتباره عملا عدائيا يتنافى والقانون الدولي وما تقتضيه حرية التجارة والتبادل بين الدول[3].

والمتفحّص لوثائق مهمة دفتري الأرشيفية [4] خلال القرن (10هـ/ 16م)، يلحظ أنه كان يطلق على رياس البحر المسلمين عدّة مصطلحات، تتمثل فيما يأتي:

---

(1) محمد الحراري عبد السلام: **المرجع السابق**، ص163.

(2) أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1963م، ص 122./ وهيبة بولصباع: **المرجع السابق**، ص13.

(3) ناصر الدين سعيدوني: "**نظرة في التاريخ الموريسكي للجزائر خلال العهد العثماني**"، في مجلة سرتا، ع.3، قسنطينة، 1980م، ص81. / وهيبة بولصباع: **المرجع السابق**، ص13.

(4) تتضمن الدفاتر المهمة المئات من الأحكام التي كانت عبارة عن أوامر تصدر من الديوان الهمايوني، وتدون في دفاتر المهمة بعد مصادقة السلطان عليها، ويتم تنظيمها عادة على شكل رسائل ترسل إلى المسؤولين في الولايات التابعة للدولة العثمانية. للاستزادة أكثر حول "مهمة دفتري" **ينظر**: حنيفي هلايلي: **مساهمة الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ العلاقات الجزائرية العثمانية في ظلّ وثائق خطّ همايون ودفتر مهم (1519-1830م)**، في مجلة الحوار المتوسطي، المجلد 9، ع 2، 2018م، ص ص 131-151. نعيمة بوحمشوش: **التضامن بين إيّالة الجزائر والباب العالي أثناء القرن السادس عشر من خلال وثائق مهمّة دفتري**، في مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، العدد 30، 2015م، ص ص 107-119، وقد قام العالم عبد

1- الرياس التابعون للدولة العثمانية أو أحد إيالاتها، يطلق عليهم مصطلح القرصان، أو القراصنة [1].

2- الرياس المسلمون الخواص، يطلق عليهم مصطلح اللوند [2].

لذلك فإن"القرصنة" و"القرصان" كمصطلح يطلق على من مارس الجهاد بالنسبة للمسلمين، وعلى من مارس القرصنة بالنسبة للأوربيين. لكن استعمالنا لمصطلح الجهاد البحري، كان له دافعان:

- كان للتفريق بين نشاط المسلمين والمسيحيين.

- أنه عند حديثنا عن الظروف التاريخية التي أفرزت لنا هذا الحدث (الجهاد البحري)[3]، فإنّنا نلمح إلى خصوصية المقصد والدافع الذي ميّزه، ونؤكّد في ذلك على عاملين

الجليل التميمي بجهد يشكر عليه، في ترجمته لحوالي 300 وثيقة من دفاتر المهمة تخص بلاد المغارب خلال القرن (10هـ/16م).

(1) وكمثال على مصطلح القرصان، أو القراصنة، ينظر الوثائق التالية: أ.ع: **مهمة دفتري** 26، ص 287، بتاريخ 15 رجب 982 هـ / 31 أكتوبر 1574م. / **مهمة دفتري** 26، ص 288، بتاريخ 15 رجب 982 هـ/ 31 أكتوبر 1574م. / **مهمة دفتري** 34، ص 105، بتاريخ 8 صفر 986 هـ / 17 أفريل 1578م. / **مهمة دفتري** 67، ص 84، بتاريخ 25 ربيع الأول 999 هـ/ 21 جانفي 1591م.

(2) **اللوند** (**levent**): اسم انتشر في البحرية العثمانية في أواخر القرن (9هـ/15م) ، وهو يطلق على البحارة الأقوياء الشديدي البأس، الذين يمارسون الجهاد البحري في السفن العثمانية في البحر المتوسط، **ينظر** نبيل عبد الحي رضوان: **تطور الأسطول العثماني**، في مجلة المؤرخ المصري-دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة ، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ، مصر، ع9، يناير 1998م، ص249. وكمثال على مصطلح اللوند، ينظر الوثائق التالية: أ.ع: **مهمة دفتري** 10،حكم 16، ص14، بتاريخ 3 صفر 979 هـ / 27 جوان 1571م. / **مهمة دفتري** 14،حكم 284، ص 200، بتاريخ 3 صفر 979 هـ/ 27 جوان 1571م. / **مهمة دفتري** 18،حكم 287، ص 135 ، بتاريخ 19 شوال 979هـ / 4 مارس 1572 م./ **مهمة دفتري** 18، ص 138، بتاريخ 20 شوال 979هـ/6 مارس 1572 م./**مهمة دفتري** 24، ص 60، بتاريخ ذي القعدة 981 هـ / 26 فيفري 1574م.

(3) وكمثال على مصطلح الغزو والجهاد، ينظر الوثائق التالية: أ.ع: **مهمة دفتري** 3،حكم 625، ص 223، بتاريخ 17 ربيع الأول 967هـ/ 19 ديسمبر 1559م./**مهمة دفتري** 21، حكم 503، ص 211، بتاريخ 22 ذي القعدة 980 هـ/ 25 مارس 1573م./**مهمة دفتري** 23، حكم 691، ص 313، بتاريخ 13 ذي القعدة

مهمّين: أوّلهما مشروعية الدفاع عن النفس، ومساعدة المستضعفين من مسلمي الأندلس، وثانيهما رفض الهيمنة الصليبية التي أرادت أن تطبع حوض المتوسّط بطابع المسيحية.

لكن بعد الطرد النهائي لموريسكيي الأندلس سنة (1017هـ/1609م)، غدا النشاط الممارس من قبل المغاربة، يأخذ أشكالا عدّة:

1- غزو بحري، هدفه الغنائم، ولا يعتد جهادا بحسب قول النبي عليه السلام: «من غزا في سبيل الله ولم ينو من غزاته إلا عقالاً، فله مانوى».

2- جهاد بحري، هدفه الدفاع عن النفس، إذا كان المهاجم كافرا، أو كما أسلفنا لمنع طبع الحوض المتوسطي بطابع المسيحية.

ومما سبق يمكن القول أن الجهاد البحري هو تلك العمليات الحربية البحرية التي جرت بين القوى الكبرى المطلة على البحر، وسمي بذلك بدلا عن القرصنة والتي كانت شائعة آنذاك وهو تابع للجهاد البري والذي تميزت به الفتوحات الإسلامية، وقد كانت للجهاد البحري، دوافع وأهداف عدة ، نتناولها في النقطة الموالية.

المبحث الثاني: دوافع الجهاد البحري في بلاد المغارب وأهدافه خلال القرنين (10-11هـ/16-17م):

كانت دول المغارب منذ القدم محل أطماع العالم عامة وشبه الجزيرة الايبيرية خاصة، وكان سبب توجه أنظارهم له هو خيراته والموقع الاستراتيجي له، وقد تفاقمت الأزمة أواخر القرن (9هـ/15م) ومطلع القرن (10هـ/16م) بعد الحروب الصليبية التي جرت بين القوى المسيحية والإسلامية، أي بين القوتين العظميتين آنذاك إسبانيا والبرتغال التي كانت تهدف للقضاء على المسلمين الفارين بعد سقوط الأندلس والتوسع على

981 هـ/ 6 مارس 1574 م./**مهمة دفتري** 26، حكم 832، ص 287، بتاريخ السبت 15 رجب 982 هـ / 30 أكتوبر 1574 م./**مهمة دفتري** 42، ص 86، بتاريخ غرة رجب 989 هـ/1 أوت 1581 م./**مهمة دفتري** 44، ص 145، بتاريخ 23 محرم 991 هـ / 16 فيفري 1583م.

حساب دول المغارب، و كذا الدولة العثمانية الحامية للإسلام والتي كانت تدافع عن هؤلاء المسلمين في حوض البحر الأبيض المتوسط، فانتشرت القرصنة، أو مايعرف بالجهاد البحري وأصبحت البحرية العثمانية قوة ضاربة آنذاك يحسب لها ألف حساب، ومن خلال هذه السياق نطرح الإشكال التالي: **ما دوافع الجهاد البحري في بلاد المغارب؟ وما أهم أهدافه؟**

أولا: دوافع الجهاد البحري

1/ الأطماع الإسبانية في بلاد المغارب:

بدأت بوادر التدخل الأجنبي الإسباني على سواحل بلاد المغارب تتزايد منذ أواخر القرن (9هـ/15م)، وخاصة بعد ظهور إسبانيا كدولة أوروبية موحدة على إثر سقوط غرناطة سنة (897هـ/1492م)[1]،لكنها لم تأخذ أية خطوة إيجابية إلى غاية وفاة الملكة إيزابيلا[2]، التي رسمت استراتيجية كانت تسعى لتحقيقها وهي شن الحرب ضد الأفارقة أو ما أسمته بحرب الإيمان على العرب[3]، حيث شرعت الدولة الناشئة في تنفيذ عملية الاضطهاد المنظم بقيادة الكاردينال خيمينيس ابتداء من عام (906هـ/1501م) تنفيذا لوصية الملكة الراحلة[4].

---

[1] صالح كليل: **خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2007، ص 12.

[2] **إيزابيلا الأولى الكاثوليكية (Isabelle 1er la Catholique)** : ملكة قشتالة، من مواليد مدريد (1451 – 1504م) تزوجت من فرديناند ملك أراغون ووحدت مملكتها مما ساعد على إكمال وحدة إسبانيا، وهي الوحيدة التي هدفت إلى القضاء على المملكة المغربية وإسقاط غرناطة ، **يُنظر**:

Dictionnaire : **Encyclopédie des Noms propres de la langue Française**, Hachette, Paris 1991, p 677.

[3] نبيل عبد الحي رضوان: **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، 1987م، ص 152.

[4] صالح كليل: **المرجع السابق**، ص 12.

سيطر الإسبان قبل ذلك على جزر كناريا منذ عام (880هـ/1476م)، فكانت المنطقة بدورها مكانا لاستقطاب الجالية الإسبانية، وكونت مجتمعات مختلطة لها هناك فأصبحوا في هذه الجزر يمثلون خطرا على الساحل المغربي المقابل، كونهم يراقبون كل نشاط في الموانئ المغربية في إفني وأكادير وغيرها، وادّعوا أن لهم حقوقا هناك، لأن الحاكم الإسباني في هذه الجزر كان قد أقام محطة على الساحل المغربي في مكان اشتراه من أحد الصيادين[1].

ولكن بالعودة إلى جذور هذه الأطماع وتداعياتها فنجد أنها كانت قبل ذلك بكثير، ودليله أن الملك هنري الثالث كان غالبا ما يرسل جواسيسه للسواحل المغربية قصد استكشافها والتعرف عليها وعلى طبيعتها، وكل ذلك تجسيدا لفكرة هجومه عليها لإخضاعها ووضعها تحت السيطرة والحكم الإسباني المسيحي لكن الظروف الغير ملائمة حالت دون تحقيقه لذلك[2]. وقد ظهر ذالك جليا بعد هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب سنة (608هـ/1212م)، فمن هذه الموقعة تحديدا أخذت الدولة الموحدية الواسعة التي لم توحد بلاد المغرب تحت رايتها فحسب بل ضمت إليه الأندلس الإسلامي، والتي لم يشهد المغرب مثيلا لها عبر تاريخه تتداعى أمام القوات الإسبانية، وهو ماخلف لنا الكيانات السياسية الثلاثة المتطاحنة فيما بينها، ليجد الإسبان في الأمر مدخلا وسبيلا لتحقيق أطماعهم الإستعمارية[3].

لقد توفرت كل الظروف والأسباب الكافية لدى الإسبان لمحاولة مد نفوذهم إلى المغرب، وقد عزز ذلك الوضع اللامتوازن داخليا للكيانات السياسية الثلاثة، إذ كان

---

[1] شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا–تونس – الجزائر –المغرب)**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1977م ص 78.

[2] رحيمة بيشي: **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية (898 – 982هـ/1494 – 1574م)**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، (2011-2012م)، ص 29.

[3] صالح عباد: **الجزائر تحت الحكم التركي (1514 –1830م)**، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص 7.

الحكام المحليون في حالة من العزلة والضعف والعجز الذي لا يسمح لهم بالتصدي للتعديات الخارجية وعلى رأسها التحرشات الإسبانية، حيث جهزت إسبانيا بضغوط من الكنيسة جيشها وأسطولها وبادر أسقف روما ألكسندر السادس (Alexandre VI Borgia)[1]، بإصدار قرار يمنح فيه حق الملكية للحكام الإسبان على الأراضي التي يستولون عليها بهذا الغرب، كما كان قد أصدر قبل ذلك عهدا يبارك فيه الحملة الصليبية على إفريقيا طالبا مداومة جباية الضرائب لتمويل الحرب الإفريقية[2]. كما كان لخروج العرب المسلمين من الأندلس وإسقاط آخر معقل لهم هناك أثر في زيادة الروح الإنتقامية لدى الإسبان وشعورهم بالانتصار والمغالاة في الشعور الديني والقومي، لذلك لم يكتفوا بطرد هؤلاء العزل بل عملوا على ملاحقتهم مستنكرين لروائع الفنون الإسلامية والخدمات التي قدمها هؤلاء لدولتهم[3].

كانت للإسبان أطماع أبعد في المنطقة ،لذلك نجدهم يسارعون لتلافي أثر التنافس الحاصل بينهم وبين جيرانهم البرتغاليين فعملوا على عقد تحالف من أجل تقسيم بلاد المغارب كطرف مغيب بينهما، وذلك بمقتضى معاهدة torديسيلاس[4]، التي قسمت

---

[1] **ألكسندر السادس – بورجيا** (Alexandre VI Borgia): من مواليد سنة 1431م، بجاتيفا Jativa في إسبانيا، أصبح أسقفا لروما من سنة 1492م إلى سنة 1503م وقد مارس دورا سياسيا كبيرا حتى أطلق عليه أنه أمير أكثر منه أسقفا أو رجل دين، كما اشتهر بقسوته في تنظيم الحرب ضدّ المسلمين، لمعرفة المزيد حول هذه الشخصية ينظر:

- **Nouvelle Biographie Générale depuis les temps les plus recules jusqu' à nos jour,** 47T, M M. Firmin Didot Frères, Paris 1857, T1, pp 880-890.

[2] نبيل عبد الحي رضوان: **المرجع السابق**، ص ص 150-151.

[3] عمر محمد الباروني: **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي، طرابلس، 1953م، ص 3.

[4] **معاهدة توردسيلاس 1494م**: عقدت عقب خلاف البرتغال مع الإسبان للوصول للهند عن طريق الإتجاه نحو الغرب وتأمين أراضي كل منهما بما في ذالك المغرب الإسلامي، فتوسط البابا اسكندر السادس في الأمر من أجل اقتسام النفوذ في العالم، للمزيد **ينظر**: أسماء ابلالي: **التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال**

بدورها المغرب إلى منطقتين؛ الأولى تقع شرق حجر بادس وهي منطقة للنفوذ الإسباني والثانية تقع غرب الأخيرة وهي منطقة تركت للنفوذ البرتغالي، حيث وضعت تلك الإتفاقية المبرمة حدا للتنافس بين الطرفين وحددت توجه كل منهما وهي سمة من سمات العصور الحديثة[1].

وفي الطرف الآخر كان لظهور آل عثمان في آسيا الصغرى ثم توسعهم في القارة الأوروبية باعثا وراء قلق إسبانيا من خصمها الجديد فرأت الأخيرة أن تطبق سياسة جديدة، وهي سياسة أكل الرمانة حبة بحبة وفقا للمثل العامي القشتالي، ومن هنا فتح باب الصراع المسيحي الإسلامي من جديد عقب الاتفاقية المشار إليها سلفا[2].

ومن السواحل الإسبانية التي كانت عرضة لغزوات المغاربة خاصة وهران وبجاية والجزائر، كانت تخرج المراكب الإسبانية قصد نهب وسلب السواحل المغاربية تمهيدا لعملية الهجوم القادمة فكان احتلال الأخيرة يبدو ضرورة لا بد منها لإسبانيا، بحيث تولى كل من الكاردينال خيمينيس Ximénés[3]، أسقف طليطلة ورئيس وزراء فرديناند الكاثوليكي مهمة الدعوى لهذه الحملات وتدعيمها[4].

القرن 10هـ/16م 'قراءة في الدوافع والنتائج'، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع2، 2017م،ص 41.

[1] نبيل عبد الحي رضوان:**المرجع السابق، ص 151**.

[2] صالح كليل: **المرجع السابق**، ص 13.

[3] **الكاردينال خيمينيس Ximénés**: ولد في قشتالة (1436–1517م) تم تعينه أمينا لسر المملكة سنة 1492م ثم كاهنا لطليطلة سنة 1495م، ثم حاكما لقشتالة حتى وفاة الملكة سنة 1504م ثم رئيسا لمحاكم التفتيش (1506–1516م) وفتح وهران سنة 1509م اشتهر بقسوته الوحشية في إبادة المسلمين، وكان المحرض الأساس لاحتلال مدن المغرب في محاولة لتنصير مسلمي المغرب، للتعرف أكثر على هذه الشخصية **يُنظر**:

(CH.J) Hefele: **le Cardinale Ximenes et L'èglise d'Espagne**, trad par: M.L'abbèA.sisson et M.L'abbèA.crambon, 2éme ed, J.B.Pèlagaud imprimeur-libraire, Paris, 1860.

[4] ايتوري روسّي: **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا**، تر. خليفة محمد التّليسى، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ط 1، 1969م، ص 17.

وقد جسد عملية الجوسسة عديد من الشخصيات التي أوكلت لها هذه المهمة متنكرين في زي التجار ومنهم لا الحصر: لورينزو دي باديا (Lorenzo de Padilla) مبعوث الملكة إيزابيلا إلى تلمسان سنة (899هـ/1493م) المكلف بتقديم تقارير سرية عن أحوال البلاد ، وقد جاء في تقريره: "أن كل البلاد في حالة يبدو أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة"، وجيرومينوفيانيللي(GerominoVianielli)[1] مبعوث الكاردينال خيمينيس الذي كان له الفضل الكبير في توجيه الإسبان نحو المرسى الكبير ووهران، وفيرناندو دو زافيرا (Fernando de Zafira) [2]، مبعوث الملك فيرديناند إلى فاس وتلمسان سنة (900هـ/1494م)[3].

وكان الإسبان عقب استلائهم على غرناطة سنة (897هـ/1492م) قد تعهدوا بالأمان للمسلمين، لكنهم سرعان مانقضوا عهدهم خاصة عندما أشير لازدهار حركة الجهاد البحري، بعد هجرات الأندلسيين للسواحل المغاربية، فكانت أطماع الدول الاستعمارية وخاصة إسبانيا تتجه نحو بسط سلطانها على مدن وموانئ المغارب، مما شجع تركيز السلطة في هذه المدن على الجهاد البحري لمواجهة الخطر الأجنبي[4]، فكان الجهاد البحري المغاربي يمثل شكلا من أشكال الدفاع الشعبي ومظهرا من مظاهر الرفض الرسمي للهيمنة الأوروبية وتهديداتها في ظل اختلال القوى لتصبح القرصنة المتوسطية

---

[1] **جيرومينوفيانيللي (GerominoVianielli):** هو جاسوس إسباني من البندقية، جاء لوهران متسترا ومتنقلاً في نواحيها فوضع خريطة وهران، وكانت مكافئته قيادة جزء من الأسطول الإسباني، وقيادة حملة ديغو فيرنانديز. **ينظر** نجيب دكاني: **الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية خلال القرن** (**10**هـ/**16**م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، (2001 – 2002 م)، ص 24.

[2] **فيرناندو دو زافيرا (Fernando de Zafira):** أسقف غرناطة في ذالك الوقت يعد من أنصار النظام القديم والمثمثل في المحافظة على الوضع كما هو عليه بين المدجنين والمسيحيين القاضي بالإنتصار قبل التعميد، **يُنظر** أسماء ابلالي: **المرجع السابق**، ص 37.

[3] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص ص 30-31.

[4] شوقي عطا الله الجمل: المرجع **السابق**، ص 79.

خلال العصر الحديث حربا غير معلنة وغير شاملة مستنزفة للطرفين المنغمسين فيها بشقيهم الأوروبي المسيحي و المغاربي الإسلامي[1].

وأمام واقع هذا الأمر تولى بيدرونفارو (Pedro Navarro)[2]، قيادة الأساطيل الإسبانية فاستولى على حجر بادس سنة (914هـ/1508م)، وفي العام التالي هاجم وهران ونجح في الاستيلاء عليها، كما شُنت عليها أعمال وحشية أشرف عليها الكاردينال خيمينيس، وعين "دون دييجو" قائدا عاما عليها وعلى المرسى وكانت له أطماع في احتلال تلمسان ولكن النفقات الكثيرة حالت دون ذلك[3]، حيث كان الإسبان حريصين على إخضاع كل السواحل المغاربية، لتتم لهم السيادة على الحوض الغربي للمتوسط ومنه يقارعون قوة الأساطيل العثمانية الجديدة التي ذاع صيتها في حوضه الشرقي[4].

كان الملك الكاثوليكي فيرديناند Ferdinand V le Catholique[5]، يأمل في الاستيلاء على القل وعنابة وسواحل تونس، ليتمكّن من التحكم في المضيق الصقلي،

---

(1) درويش الشافعي: **العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م 'مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية'**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، السنة الجامعية2015 – 2016م، ص 70.

(2) **بيدرونفارو (Pedro Navarro)**: قائد إسباني قاد حملة على وهران عام 1509م وأخرى على مدينة طرابلس الغرب وبجاية عام 1510م، عزل عن ولايته في مدينة بجاية بعد خيبته في إحتلال الجزائر فغادر بجاية نهائيا يوم 7 جوان 1511م، **يُنظر** أسماء ابلالي: المرجع السابق، ص 44.

(3) نبيل عبد الحي رضوان: **المرجع السابق**، ص 153.

(4) محمد مطوي العروسي: **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 2، 1986م، ص 266.

(5) **فرديناند الثاني الكاثوليكي (Ferdinand) (1452–1516م)**: بن فرديناند الأول ملك الأرغون، من مواليد سوز سنة 1452م، خلف والده في الحكم، فكان ملكا على الأرغون وصقلية (1479-1516م)، ثم نابولي (1504-1516م)، تميز حكمه بالشدة و القسوة، كما تأسّست في عهده محاكم التفتيش سنة 1480م لمطاردة المسلمين واليهود وتنصيرهم، تزوج من ملكة قشتالة إيزابيلا، وبهذا الزواج اتحدت أرغون وقشتالة، وقاما بالاستيلاء على آخر إمارة إسلامية في الأندلس سنة 1492م. يُنظر:

ويغلق المتوسط الغربي في وجه العثمانيين، لكن تقلب السياسة الإسبانية منعه من تحقيق ذلك، فقد أدى استئناف الحرب في إيطاليا من جهة وتدخل العثمانيين لإنقاذ بلاد المغارب من التهديد الإسباني الذي كان ضربة قاسية للمشروع الاستعماري من جهة أخرى إلى توقف النشاط الإسباني في إفريقيا[1].

وعلى ضوء ماسبق، لا يمكن اعتبار أن الحملات الإسبانية على السواحل المغاربية قد جاءت من باب الصدفة، بدليل أن هناك مجموعة من الأسباب والدوافع المختلفة سواء كانت دينية، سياسية، اقتصادية أو غيرها، هي التي صاغت وحتمت الإستيطان الإسباني للسواحل المغاربية وإن طغى بعضها على الآخر، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ماهية الدوافع التي أشعلت قلوب الإسبان حماسا لغزو بلاد المغارب، وكذا طبيعة الأهداف التي كانوا يسعون لها وراء ذلك، وهل نجحوا فعليا فيما كانو يصبون له؟ وللإجابة على ما سبق نستعرض فيما يلي الدوافع المحركة للغزو كل حسب مجاله الخاص.

أ– الدوافع الدينية:

تكتسي الحملات الإسبانية بصفة عامة والموجه منها على بلاد المغارب خاصة صبغة صليبية دينية طغى عليها فكر التعصب المسيحي الضيق، فبالعودة إلى جذور تكوين الدولة الإسبانية في حد ذاتها، نجدها قد قامت على أسس دينية صرفة هي أبعد ما تكون عن تعاليم دين المسيح عليه السلام، حيث فتحت الأخيرة لرجال الدين من قساوسة ورهبان جذوة الحماس والنزعة الصليبية الحاقدة ضد الإسلام والمسلمين، وهو ما تجسد فعليا في رغبتهم الجامحة لإبعاد المسلمين عن الأندلس أولا ومن ثم إخضاع بلاد المغارب للحكم والدين المسيحيين ثانيا[2].

- Dictionnaire, **Encyclopédie des Noms propres de la langue Française**, Hachette, Paris 1991, p499.

[1] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 31.

[2] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا (1492 – 1792م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د س ن)، ص ص 79-80.

حيث اتخذ الإسبان من حجة التنصير لدين المسيح ومحاولة نشر ديانته دافعا أساسيا لتبرير توغلهم في عديد الأصقاع، فلم تكن لهم سياسة في البلدان التي يضعون أيديهم عليها سوى الدعوة لدين المسيح، ومحاربة الديانات الأخرى بشتى الطرق اعتقادا منهم أن في ذلك ما يوطد دعائم ملكهم، ويبعدهم عن خطر التمردات والانقلابات المتوقعة من السكان المحليين غالبا[1].

كما كان للتعصب الديني والرغبة في وقف المد الإسلامي في القارة الأوروبية منذ أواخر القرن (9هـ/15م) وطوال القرن (16/10م)، أثره في دفع الإسبان للزحف على السواحل الإسلامية في بلاد المغارب أين وجد الإسبانيون غايتهم المنشودة في نقل حربهم الطويلة إليها، وكان وراء ذلك إخضاع المنطقة بقوة السلاح ومن ثم تمسيحها مستعملين كل الوسائل في ذلك سواء ترهيبية أو ترغيبية كانت [2].

وهو ما دفع القائد المجاهد خير الدين ابن يعقوب (بربروس) إلى وصفهم بقوله: "إن كفار إسبانيا لا يشبهون غيرهم من كفار الإفرنج، لقد كانوا في غاية الظلم والغرور، متعطشين للدماء كالكلاب المسعورة"[3].

فالبابا رأس المسيحية ألكسندر الرابع (Alexandre IV)، كان قد أصدر أمره السامي لكل الرعايا المسيحيين والقاضي بإلزامهم على الاستمرار في دفع الضريبة الصليبية Crusada للملوك الكاثوليك الإسبان من أجل تسديد مستلزمات الحرب الإفريقية لتزويد الجيوش المسيحية بالمال والعتاد وتعويض خسائرها، أما الملكة إيزابيلا المتعصبة للكاثوليكية، والتي لعبت دورا كبيرا في تحطيم آخر معقل للمسلمين بالأندلس واحتلال غرناطة فقد تركت عند وفاتها وصية لمن يتولون العرش خلفها بأن يحققوا أمنيتها

---

[1] عمر محمد الباروني: **المرجع السابق**، ص5.

[2] عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية (910 – 1206 هـ / 1505 – 1792م)**، دراسة تتناول الآثار السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية على الجزائر، (د.م. ن)، (د.س.ن)، ص ص 15–16.

[3] خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص158.

المتمثلة في احتلال بلاد المغارب، وعدم الكف عن القتال وسفك الدماء ضد أعدائها المسلمين لنصرة دينها[1]، وبخصوص الملك فرديناند فقد كان هو الآخر متحمسا لذلك موصيا أولاده قائلا: "عليكم أن تعملوا على تحطيم أتباع الديانة الموحدية"[2].

لقد كانت الحروب الإسبانية في بلاد المغارب فصلا مكملا للحملات الصليبية، حيث شجعت الكنيسة ذلك وكان لرجال الدين الدور الأساسي والفعال في الإعداد لهذه الحملات وتوجيهها، فالكاردينال خمينيس والقس ليون متران والكاردينال بوركوس قد قدموا من مالهم الخاص المبالغ التي أمكن بها تجهيز مثل تلك الحملات، واستنجدوا بكنائس أخرى للمساهمة في الحرب الدينية فجمعوا المال الكثير من أجل الحرب الإفريقية على اعتبارها منطقة تحقق وعد الرب[3]. فالهجوم الإسباني على بلاد المغارب لم يكن غالبه ذو طابع اقتصادي، بقدر ماهو ذو طابع انتقامي من المسلمين الفارين من الأندلس ليتوج ذلك بتضامن سكان بلاد المغرب مع الأندلسيين المهاجريين ردا على أعمال الظلم والإرهاب التي مارسها الإسبان[4].

وانطلاقا من كل ما سبق، نجد أن الإسبان لم يتأخروا كثيرا لتجسيد نواياهم وطموحاتهم على أرض الواقع فسرعان ما سيطروا على عديد المناطق الإفريقية كمليلية والمرسى الكبير ووهران وبجاية وغيرها من المدن الساحلية وصولا إلى طرابلس وما جاورها من مناطق، وهو ما يبرز لنا جانب من جوانب تنفيذ المشروع الإسباني التوسعي نحو هذه الجهة من العالم الإسلامي بناء على دوافع دينية[5].

---

[1] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة ....، المرجع السابق**، ص 80.

[2] عبد القادر بوحسون: **الأندلس في عهد بني الأحمر 'دراسة تاريخية وثقافية' (635 –897هـ/1238 – 1492م)**، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (2012 – 2013م)، ص 91.

[3] صالح كليل: **المرجع السابق**، ص 59.

[4] عزيز سامح إلتر: **الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، 1989م، ص 7.

[5] عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية...، المرجع السابق**، ص 17.

ب–الدوافع السياسية:

بعد أن حُسم الأمر لملوك إسبانيا في توحيد دولتهم، أين استولوا على زمام الأمور من جديد ووضعوا أيديهم وسيطرتهم على كل ما يخدم مصالحهم أصبحوا يطمعون ويلقون بأنظار الجشع على القارة الإفريقية، وراء الغرور الفتاك لامتلاك سيادة الدنيا لتتحمل الأخيرة بدورها أعبائهم وسياستهم الضالة تماما كما فعلوا من قبل في القارة الأمريكية، وقد أعانهم على ذلك في الغالب الفراغ السياسي الذي ساد ساحة الحكم جراء حالة التفكك والانحلال التي كانت تعاني منها بلاد المغارب آنذاك، فظنوا أنهم يستطيعون بسهولة ملئ هذا الفراغ تحت شعار المسيحية المنتصرة[1].

لقد كانت الطبقة السياسية في إسبانيا مدركة لطبيعة الأمر لذلك نجدها توفق بين الدوافع الدينية والسياسة والإقتصادية، لأنها كانت ترى في مشروع السيطرة على بلاد المغارب ضرورة لابد منها لكل اتصال بحري آمن بين سواحلها وسواحل إيطاليا الإسبانية، ومن ثم تأمين نشاطها في البحر المتوسط لذلك راح الكاردينال خيمينيس يصمم عملية العدوان، بينما كلفت الملكة إيزابيلا مبعوثين في مهمة استطلاعية سرية تحت ستار التجارة ناحية تلمسان في عهد السلطان أبي عبد الله محمد (900-908هـ/1495- 1503م) وحصل الأخيران على كل المعلومات السرية لتسيير عملية الغزو المخطط له[2].

وعلى الرغم من ذلك فلقد كان للتواجد العثماني آنذاك أثره في إسقاط مزاعم الإسبان ودفع أثرهم، فلم يكن ليتواجد العثمانيون في المنطقة لولا غزو الإسبان لها واستفحال أمرهم فيها، ولم يكن ليتوصل الإسبان لاحتلال بعض الأجزاء منها، إلا باستغلال الضعف والإنحطاط الذي لحق بها كما أشرنا سلفا، متخذين من الجزائر قاعدة

---

[1] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، **المرجع السابق**،ص 86.

[2] صالح كليل: **المرجع السابق**، ص 66.

لنشاطهم التوسعي الذي كان يهدف لاحتلال بلاد المغارب، كله ممهدين له بحركة جوسسة واسعة[1].

ج- الدوافع الاقتصادية:

وجدت إسبانيا النصرانية غايتها المنشودة في اكتساح بلاد المغارب وإخضاعها للحكم الإسباني، فاتخذت منه الوجهة والسبيل الوحيد للخروج من الأزمات والمشاكل التي كانت تعاني منها، والتي أرهقت كاهلها على حساب التحديات الخارجية وعلى رأسها المنافسة البرتغالية، فتقويض نفوذ دولة المسلمين في الأندلس وانهيار نظاميها الاجتماعي والاقتصادي ثم تشتيت شمل المسلمين وإسقاط آخر معقل لهم هناك على اعتبار أنهم كانوا القاعدة الإقتصادية الرئيسية التي لا يمكن لإسبانيا أن تستغني عنها، وهو ما أدخل هذه الدولة الإستعمارية في مشكل اقتصادي رهيب، انجرّ عنه تعطل تام في الإنتاج الإقتصادي حيث انعدمت إمكانيات التصنيع وغدت التجارة الخارجية كلمة لا مدلول ولا معنى لها حتى المعاملات المالية والقروض لم تكن أحسن من ذلك منذ إبعاد اليهود[2].

ومما لا شك فيه أن بلاد المغارب كانت الحل الأنسب لإسبانيا، حيث رأت فيها السبيل لتلافي مشاكلها وأزماتها المتراكمة، خاصة وأنها قد وجدت في هذه البلاد عديد الخيرات التي لم يُروى وجودها في أي دولة من أوروبا حتى عصر الكشوف الجغرافية، فكان التجار الأوروبيون يجوبون كثيرا أراضي المغارب، وخاصة منها المدن الساحلية كمراكش وأسفي ووهران وتونس وغيرها، فكان هؤلاء التجار غالبا ما يهتمون بالوضع الإقتصادي الداخلي ليجسد ذلك في شكل تقارير سرية ترسل إلى ملوك حكومتهم[3].

---

[1] يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية**، الجزائر، ط 2، 2009م، ج 2، ص 8.

[2] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...،المرجع السابق**، ص ص 78-88.

[3] عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية...، المرجع السابق**، ص 18.

هذا وقد اندفع الإسبان نحو بلاد المغارب للاقتراب من الحوض الشرقي للبحر المتوسط وامتلاك الموانئ والأسواق فيه لاحتكار تجارة المعادن النفيسة والتوابل التي كانت ترد إليها عن طريق القوافل البرية أو عن طريق البحر الأحمر[1]، كما أنه في الاستلاء على سواحل هذه المنطقة بالذات قضاء على حركة الجهاد البحري التي نشأت على ضفافه والتي كانت تقابل العدوان بالمثل، هذا من جهة[2]، ومن جهة ثانية فالتمكن من ذلك يجعل الحوض الغربي من البحر المتوسط بحرا إسبانيا بحتا، ومنه تستطيع تشكيل وحدة اقتصادية قوامها الاتصال المباشر بين شمال وجنوب المتوسط وتحيي بذلك سياسة "بحرنا" الرومانية[3].

د- الدوافع العسكرية والاستراتيجية:

تحتل بلاد المغارب موقعا استراتيجيا هاما جدا فهو يتميز بواجهتان أساسياتان الأولى على البحر المتوسط، والثانية على المحيط الأطلسي وقد لعبت هاتان الواجهتان دورا رئيسيا في توجيه أنظار الإسبان إلى أمريكا أولا، ومن ثم احتلال أهم السواحل والموانئ المغاربية ثانيا، لاتخاذها كقواعد بحرية تستفيد منها سفنهم وأساطيلهم لبلوغ الأهداف التي طالما سعوا لتحقيقها[4].

كما لم ينس الإسبان أبدا هزائهم التي تعرضوا لها سابقا أمام المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية، فكانوا على اعتقاد تام ويقيني بأن الأمة التي أخرجت من أحشائها أبطالا لا زال يذكر اسمهم في ساحات المجد والبطولة أمثال طارق بن زياد ويوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي...الخ، ستنجب لا محالة أمثالهم إذا ما بقيت حرة مستقلة ذات سيادة على أراضيها وممتلكاتها، فغالبا ماكان الإسبان يخافون من إعادة المسلمين الكرة عليهم من جديد، كما كانوا متخوفين أكثر من أن تمتد أيدي المساعدة الإسلامية

---

[1] عمر محمد الباروني: **المرجع السابق**، ص 6.

[2] صالح كليل: **المرجع السابق**، ص 68.

[3] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة ...**، **المرجع السابق**، ص 89.

[4] عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية ...**، **المرجع السابق**، ص 19.

من بلاد المغارب إلى جبال البشرات، حيث التجأ مسلمو الأندلس الفارين[1]، وهو ما يدعمه الملاح البرتغالي فاسكو ديجاما بقوله:" الآن قد طوقنا العالم الإسلامي، وما علينا إلا شدّ الخيط ليختنق"[2].

وأمام واقع هذا الأمر نجد الإسبان قد اتبعوا القاعدة الحربية السائدة في مثل هذه الحالة، وهي نقل الحرب حيث أرض العدو ووضعه في وضع المدافع عن عقر داره حتى لا يفكر في مداهمة دار جاره تماما مثلما فعل أجدادهم الرومان [3].

كما كان لنشاط الجهاد البحري المغاربي ضد القرصنة الأوروبية دور كبير في دفع إسبانيا للعمل البحري السريع في سواحل بلاد المغارب خشية من ردة فعل منظمة ذات كيان سياسي موحد يتزعمه المغاربة والموريسكيون ويمكن له أن يحي من جديد خلافة المسلمين واعتبارهم في الأندلس، وبذلك عمدت إلى استراتيجية نقل الحرب واحتلال الموانئ الهامة اقتصاديا وعسكريا لضرب نشاط الجهاد البحري المنافس والمهدد لكيانها وأراضيها[4].

وإلى جانب ذلك فقد تكاثفت جملة من العوامل الأخرى التي يمكن الوقوف عندها والتي بدورها دفعت بالإسبان إلى لفت أنظارهم لبلاد المغارب، فقد كان الظهور بالقوة وبمحاكاة الغير والتفاخر باتساع المساحات الذي عرفت به الدول الأوروبية وراء الاستعمار الأوروبي في إفريقيا، ووراء الحرص على المحافظة على المستعمرات وعدم التفريط فيها مهما كلف ذلك، وهو ما اتضح لي جليا أثناء تتبع المسار الإستعماري لإسبانيا وخاصة في إصرارها ومقاومتها ضد المحليين والعثمانيين وكل هذا رغبة في الحفاظ على مجدها المزعوم، كما تذرعت بعض الدول الأوربية ومنها إسبانيا بأن الإنسان الأوروبي

---

[1] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة ...، المرجع السابق**، ص ص 84-85.

[2] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 39.

[3] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة ...، المرجع السابق**، ص 85.

[4] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 39.

عليه رسالة يجب أن يقوم بها وهي نشر الحضارة في إفريقيا القارة المظلمة كما كان يعرف عنها آنذاك[1].

كما لا يمكن إنكار الدافع الإنتقامي الذي كان وراء ملاحقة الإسبان للمسلمين الفارين من الأندلس والعمل على اضطهادهم والتنكيل بهم هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد عمد الملوك الكاثوليك إلى نقل الحرب إلى السواحل المغاربية انتقاما من المجاهدين المغاربة ومنه القضاء على النشاط البحري للمسلمين ومحاصرتهم[2].

والشيء الذي لا جدل فيه أن منطقة المغارب خلال القرن (9هـ/15م) قد أنهكتها الحروب الداخلية والخارجية وخاصة بعد نكبة الأندلس وانهيار الحضارة الإسلامية هناك، لتحدث المعجزة الكبرى بظهور الإخوة أبناء يعقوب (بربروس) اللذين لمع اسمهما مع مطلع القرن (9هـ/15م) ليضعا حدا للقرصنة الأوروبية والتعديات الإسبانية ومنه تُحبط وتفشل كل نوايا الإسبان التوسعية والانتقامية، فرحم الله من قال فيهم:

هم معشر كلهم غازٍ وكلهم	**خير الملوك صناديد الصناديد**
أولئك الناس إن عدو وإن ذكرو	**ومن سواهم فلغوا غير معدود**
لو خالدَ الدهر ذا عزٍ لعزته	**كانوا أحق بتعميرٍ وتخليد[3]**

2/ أوضاع بلاد المغارب الباعثة على الجهاد البحري خلال القرن (10هـ/ 16م):

مرت بلاد المغارب بأوضاع سياسية معقدة ومتأزمة أثرت على أوضاعها الداخلية، وأدت إلى تأزمها خاصة بعد انهيار دولة الموحدين وقيام ثلاث دويلات على أنها منها في القرن (7هـ/13م): وهي دولة بني مرين الوطاسيين التي اتخذت من المغرب

---

(1) مجموعة من المؤلفين: **العرب والإستعمار الأوروبي في إفريقيا**، ، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، التاريخ الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008م، مجل. 4، ص 7.

(2) عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية...**، **المرجع السابق**، ص 25.

(3) أحمد بك النائب الأنصاري: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجاني، ليبيا، (د. س. ن)، ص 186.

الأقصى رقعة لها، ودولة بني زيان الذين تمركزوا في المغرب الأوسط واتخذوا من تلمسان عاصمة لهم، أما دولة بني حفص فكانت قاعدتهم تونس الواقعة بين الجزء الشرقي من المغرب الأوسط وافريقيا حتى إقليم طرابلس[1].

لقد كانت عائلات الدول سالفة الذكر منغمسة في حروب طويلة ومزمنة أفرزت بدورها جوا من الاضطراب والفوضى في معظم بلاد المغارب، حيث سهلت الأخيرة بصفة غريبة مهمة البرتغاليين والإسبانيين سواء في احتلال البلاد أو توسيع مناطق نفودهم هناك وخاصة منطقة المغرب الأوسط التي كانت تجتاز فترة من الإنهيار النفسي و المادي، ما أدى بها لتكون فريسة تالية لملوك الإسبان الكاثوليك[2].

فهذه الدويلات كانت تعاني غالبا من اضطرابات داخلية جراء حروبها مع بعضها البعض وتربص الطامعين في الحكم وآثار مؤمراتهم، ما أدى بدوره إلى قيادة المرينيين لتونس تارة وإلى قيادة الحفصيين لفاس تارة أخرى، في حين ظلت دولة بني زيان تارة إلى هذه وتارة أخرى إلى تلك حسب موقع القوة لأحد الطرفين[3]، لأن الحدود بين هذه الدويلات كانت غير ثابتة ومستقرة نظرا لعدم تكافؤ القوة فيما بينهم[4]، وغالبا ماكان المتنافسون يضطرون للاستعانة بالقبائل العربية كبني عامر[5]، الذواودة[1]، أولاد

(1) محمد خير فارس: **تاريخ الجزائر الحديث، من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، مكتب الشروق، بيروت، ط2، 1979م، ص6.

(2) صالح كليل: **المرجع السابق**، ص ص 77 -78.

(3) علي العبيدي: **الجزائر وتوازنات القوى البحرية غرب المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي "دراسات تاريخية"**، النشر الجامعي الجديد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، جامعة تلمسان، 2018م، ص 31.

(4) محمد دراج: **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس(1512-1543)**، تص. ناصر الدين سعيدوني، شركة الأصالة، الجزائر، ط 3، 2015م، ص 94.

(5) هم فرع من زغبة، وأشهر قبائلهم بنو يعقوب وبنو حميد، ومن أبرز زعمائهم في النصف الأول من القرن العاشر "ابن رضوان" الدي كان يرتبط بعلاقة النسب مع الزيانيين، **يُنظر** عمار بن خروف: **العلاقات السياسية بين**

سعيد[2]، الشابيين[3]، التي كانت تستغل حاجتهم إليها وضعفهم لتقلص نفوذهم وتتنمر عليهم[4].

ورغم أن بلاد المغارب كانت موحدة الدين (الإسلام) واللغة (العربية والعرف[5]، إلا أنها كانت تعاني من الفرقة والتشتت والتطاحن والفوضى، بسبب التفكك الجغرافي وغياب سيادة قوية تفرض نفوذها وهيبتها، مما أتاح إغارة الإيبيريين عليها، وبالأخص الإسبان[6]، بعد سقوط آخر معاقل المسلمين في الأندلس سنة (897هـ/1492م)، بهدف غزو سواحل بلاد المغارب للقضاء على النفوذ الإسلامي هناك وكان السبب الذي دفعهم للقيام بذلك هو التحريض والحقد الصليبي من الضفة الشمالية الغربية للمتوسط، فالوضعية المتدهورة التي عرفتها البلاد المغاربية قد أعطت بدورها الفرصة المناسبة للصليبيين لتوسيع نطاق نفوذهم[7]، وحفزتهم على احتلال المناطق الساحلية الممتدة من طرابلس الغرب شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا[8].

لقد كانت الأوضاع السائدة سببا في وقوع عديد الحملات الإسبانية على السواحل الشمالية لمنطقة المغارب، حيث كان الإسبان على علم بالفوضى السياسية

الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، دار الأمل، الجزائر، 2006م، ج1، ص 37.

(1) كانوا يسيطرون على جنوب قسنطينة وغربها، **يُنظر** عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص 37.

(2) كانت منتشرة في جنوب تونس وشمالها وشرقها، **يُنظر** عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص 37.

(3) فرع من بني المهلل، أنشأوا إمارة في الشابة قرب القيروان، ثم أمدوا نفوذهم حتى أطراف تونس وشرقي قسنطينة، **يُنظر** عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص 37.

(4) **نفسه**، ص 15.

(5) P.Boyer: **Contribution à l'étude politique religieuse des tures dans la régence d'Alger**.in R.O.M.M, N°1, 1966, p12.

(6) A.H Ben Mansour**: Alger en XVI, XVII,** Emme siècle, Bastide, Paris, 1998, p24.

(7) عبد القادر فكاير: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث (1518–1830)**، دار هومة، الجزائر، 2018م، ص16.

(8) عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية...، المرجع السابق**، ص46.

والخصومات والصراعات الداخلية التي سيطرت على الساحة السياسية وأنهكت نظام الحكم، من خلال عمليات الجوسسة التي كانوا ينظمونها ويسعون وراءها لمعرفة كل كبيرة وصغيرة عن أحوال المنطقة ليسهل عليهم اختراقها فيما بعد[1].

وهذا ما أورده أحد كتاب البلاط الإسباني معبرا عن حالة الإنهيار الحاصل قائلا: " إن الحالة النفسية في كامل البلاد بلغت حدا من الإنهيار يحمل على الإعتقاد بأن الله أراد أن تكون هذه البلاد في متناول صاحب الجلالة"[2].

ولقد ميز هذا الضعف الذي كانت تعانيه بلاد المغارب آنذاك عجز عسكري تمثل أساسا في غياب التحصينات المضادة للأسلحة النارية التي كانت تمثل السلاح القوي للإسبان والتي لم يتمكن المغاربة من الحصول عليها إلا مع قدوم المهاجرين الأندلسيين والأتراك العثمانيين[3].

وبينما كانت بلاد المغارب تعيش هذه الفترة الحرجة أخذت الأطماع الأوروبية وعلى رأسها إسبانيا والبرتغال ثم الدول الأوروبية الأخرى تسعى لبسط سلطانها وقوتها على مدن وموانئ المنطقة، فأصبحت السلطة في هذه المدن في يد القوة البحرية القادرة على مواجهة هذا الخطر الأجنبي، بحيث لعبت كل من مدينة طرابلس الغرب وتونس والجزائر وسلا دورا هاما ورئيسيا للجهاد المغاربي في الجزء الغربي للمتوسط [4].

وتزامنا مع بداية القرن (10هـ/16م)، بدأ المغاربة صراعهم مع الإسبان ولم ينته هذا الصراع إلا بعد قرون عديدة تكبد خلالها الطرفان خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات[5].

---

(1) عبد القادر فكاير: **الصراع الجزائري الإسباني...، المرجع السابق**، ص34.

(2) **نفسه**، ص 111.

(3) صالح عباد: **المرجع السابق**، ص 26.

(4) شوقي عطا الله الجمل: **المرجع السابق**، ص 79.

(5) عزيز سامح إلتر: **المرجع السابق**، ص 18.

بحيث نجحت إسبانيا في فرض التوسع على طول سواحل المغارب، فأحكمت قبضتها على الموانئ [1]، كالمرسى الكبير في ساحل المغرب الأوسط (911هـ/1505م) ثم احتلت وهران سنة (915هـ/1509م)، وتلتها مدينة بجاية في سنة (916هـ/1510م)، وأجبرت ميناء دلس والجزائر على دفع الجزية، فأصبحت بذلك سيدة السواحل المغاربية بلا منازع بنفوذ كبير، وسلطة سياسية وعسكرية، وتحكم وتسيير تجاري منظم. هذا الثقل أدى ببعض الدويلات إلى عقد اتفاقيات سلام أو معاهدات صلح، كالدولة الزيانية مثلا سنة (917هـ/1512م) حرصا منها على تفادي الاصطدام، فأقرت واعترفت بسلطة إسبانيا على كل ما يقع على السواحل الشمالية [2]، وهنا يصف شارل أندري جوليان هذا الوضع في كتابه تاريخ افريقيا الشمالية قائلا:" شيّد الإسبان سلسلة من القلاع والحصون الإسبانية على طول ساحل شمال إفريقيا، وعاشت هذه القلاع والحصون الإسبانية في حالة من الحصار طوال فترة الاحتلال، وكانت حياة الجند صعبة وشاقة لا توصف، وبلغ اليأس بالجند مبلغا جعلهم يفكرون في أن يتحولوا إلى مغاربة ..." [3].

كما كان البرتغاليون من جهة أخرى يحملون نفس الحقد ويوجهون اهتمامهم لاحتلال طنجة فقاموا بتنظيم قوة عسكرية بأسطول من 17000 مهاجم، تمركزوا في الميناء الحيوي المسمى بالقصر الصغير بعد احتلاله في (11 ذي الحجة 862هـ/19 أكتوبر1458م)، ومنه هجموا على عدة موانئ أخرى حتى يسهلوا على أنفسهم احتلال طنجة التي أعدوا لها حملة أخرى سنة (868هـ/ 1464م)، وبالرغم من فشل هذه الحملة

---

[1] E.De la Primaudie: **"Document inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique"**, in R.A. Alger. 1876, N°20, p 73.

[2] يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا (1500–1830)**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر،1985م، ص11.

[3] شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تر. محمد مزالي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1983م، ج2، ص 325.

إلاّ أنها نجحت في زيادة توسعها على السواحل المحاذية لجبل طارق، ومع مرور الوقت ضعفت طنجة فخاف سكانها وهربوا إلى المدن المحاذية لها، لكن البرتغاليين احتلوها وبطشوا بمن فيها وبذلك سقطت أهم الموانئ المغاربية في يد الإيبيريين تقريبا، فتحسر الأهالي على هذه الاعتداءات، وبدلا من اتخاذ الجهاد الهجومي، اكتفت بلدان المغارب بالجهاد الدفاعي الذي تجلى من خلال الصرخات البائسة التي أطلقها بعض الشعراء أمثال ابن يجبش التازي:

ولم أستطع صبرا، وكيف يصبح لي — وقد هتكت من ديننا كل حرمة

وشاركنا الأعداء في قطر غربنا — وقد أخذوا جل البلاد البهية

وقد أرعبت تلك السواحل منهم — وصاروا يؤدون الخراج كجزية

ولم يقنعوا بما سبوا من بلادكم — وإخوانكم في حين تلك القضية[1]

وعليه يمكن القول، بأن الوضع السياسي العام للمنطقة والذي تميز بضعف القوى المحلية لبلاد المغارب وكذا التفرقة والتناحر الأسري للعائلات الحاكمة من جهة، وتزايد حدة التحرشات الإيبيرية من جهة أخرى، كان عاملا أساسيا وظرفا زمنيا مهما في بعث الأتراك العثمانين كقوة عسكرية ساهمت في وضع النواة الأولى لنشأة قوة بحرية مغاربية في القرن (10هـ/11م)، فرضت نفسها على المسرح المتوسطي طيلة ثلاثة قرون.

ثانيا: أسس العمل الجهادي وأهدافه .

1/ أسس العمل الجهادي البحري:

جاء انبعاث الجهاد البحري في القرن (10هـ/16م) مواكبا للتطورات التي عرفتها ضفتي المتوسط الشمالية والجنوبية، وتحكم القوة العثمانية أيضا في هذه الأخيرة بالإضافة

---

(1) قدوري عبد المجيد: **المغرب وأوربا بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، المغرب الأقصى، 2000، ص20. / بليل رحمونة: **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564م إلى 1830م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إشرا. دحو فغرور، قسم التاريخ وعلم الآثار بجامعة وهران، السنة الجامعية 2010-2011م، ص3.

إلى منطقة البلقان ودورها القوي على مسرح الأحداث كقوة مناوئة للمصالح الكاثوليكية وبالأخص الإسبانية.

وبما أن القوى الأوروبية كانت مسيطرة على الخطوط التجارية البحرية التقليدية في الحوض المتوسط، والضغوط الغير مباشرة التي أصبحت تتعرض لها الخطوط التقليدية البرية التي كانت تشكل شريان الحياة الاقتصادية لموانئ شرق المتوسط وشمال افريقيا بفعل الكشوف الجغرافية، واكتشاف رأس الرجاء الصالح ووصولهم للشرق الأقصى المصدر الرئيسي لمناطق الإنتاج، قد جعل العالم الإسلامي يفقد مصادر دعامته الحيوية بفعل ذلك، غير أن قوة العثمانيين وسعيهم لفك الاحتكار البحري الذي فرضته أو مارسته الدويلات الإيطالية أولا، وفك الطوق الإسباني المضروب حول سواحل بلاد المغارب ثانيا[1]، قد أكسب الجهاد الإسلامي قوة الخصم المسيحي لأن نشاط البحرية العثمانية في الشرق المتوسطي وجنوبه قد ارتبط بالصراع ضد تحرشات المسيحيين وبحماية السواحل من غاراتهم، فكانت هذه الأساطيل تشكل إلى جانب الرباطات مظهرا أساسيا في تفاعل سكان هذه المناطق مع البحر[2].

ويقول الراهب دان في ذلك: "بأن غايتهم هو محاربة أعداء الدين وغفران ذنوبهم قصد الدخول إلى الجنة وأن أكثر المتشددين في ذلك هم الأهالي الأصليون"، ويؤكد على:" أن ذلك ما يمنحهم الجرأة في مهاجمة البلدان المسيحية وسفنها، بغية إرضاء ربهم، وإعلاء راية دينهم.." [3]، وبذلك كان للعامل الديني دور بارز في إعلان الجهاد ضد الكفار.

---

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص164.

[2] عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1969م، ص ص99-100.

[3] الماتوران بييردان: **تاريخ بارباريا وقراصنتها**، تر. حسن أميلي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، المغرب، 2019م، ص ص53-54.

كان المغاربة يتسابقون للانخراط في العمل الجهادي رغم مخاطره والمجازفة بحياتهم في ظل هدف معنوي وروحاني منطلقه الأساسي الجهاد الإسلامي ضد القوى المسيحية، خاصة وأن القرن (10هـ/16م) الذي تميز أساسا بالزحف المسيحي على الإمارات الإسلامية في الأندلس، مع ما لاقوه من تعذيب وتنصير ومحاكم تفتيش واختتم كل ذلك بالطرد من ديارهم وتهجيرهم إلى دول المغرب خاصة بعد سقوط غرناطة، الأمر الذي ضاعف من حدة العداء ضد المسيحية[1].

كانت نشأة العمليات الجهادية البحرية خلال القرن (10هـ/16م) تحت إشراف الدولة العثمانية، لكنها لم تكن نظامية من فعل الأساطيل الرسمية، وإنما أقدم عليها المتطوعون من الأفراد نيابة عن الدولة، نظرا للظروف الدولية آنذاك بحكم المخاطر التي كانت تهدّدها، وبالتالي فإن الدولة العثمانية، حصرت جهدها في المجابهات الفعلية التي تتخذ مظاهر حربية كبرى، ناهيك عن استعداداتها الكبرى وتكاليفها الباهظة وخسائرها الفادحة، مما جعل التفكير في المواجهة يتطلب القبول بالتضحية بالرجال والسفن مقابل الحصول على نجاحات سياسية حاسمة، لأن عمليات الجهاد كانت تستعمل أسلوب المناورة لاستنزاف قدرات العدو[2].

ويُعدُّ الجهاد البحري شكلا بديلا عن الحروب الكبرى بغاياتها وأهدافها مع اختلاف الوسيلة، وذلك لمواكبته الأسلوب نفسه الذي اتبع من قبل المسيحيين في مواجهتهم للمد الإسلامي على البحر المتوسط، فالنظرة القدسية للعمليات البحرية التي دأب رجال البحر في المغارب على القيام بها كل موسم، كانت هي نفسها النظرة التي

---

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص164.

[2] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص166. /نيكولاي إيليت بروشين: **تاريخ طرابلس من منتصف القرن السادس عشر إلى غاية القرن العشرين**، تروتق. عماد حاتم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط2، 2001م، ص46.

تنطبق مسيحيا على نظام فرسان مالطا وفرسان القديس ستيفانو والقديس ماوريزيو ولازاروا في مواجهتهم للمصالح الإسلامية والتصدي لحملات الجهاد البحري [(1)].

كانت العمليات الجهادية نتيجة حتمية للظروف السائدة في الدول المتوسطية، التي نعني بها الصراع بين ضفتي المتوسط، الجنوبية المتمثلة في الإسلام والشمالية المتمثلة في المسيحية، أو بالأحرى التصادم بين حضارتين متباينتين أفرز الالتماس المفروض بينهما هذا الأسلوب من المواجهة الناجمة عن سعي أحدهما الإبقاء على سيطرته على الحوض المتوسطي ومحاولة الثاني خلخلة هذا الوضع لمصلحته[(2)].

ويقول كواندرو "أن المسلمين لم يكن لهم القدرة على أداء دور طليعي في البحر لولا تلقيهم مساندة فعلية من طرف العناصر الأجنبية"، وكان يقصد بذلك الدعم الاستراتيجي الذي حصلوا عليه من المسيحيين البروتستانيين المعادين بدورهم للقوات الكاثوليكية المسيرة في البحر المتوسط، وأن هذا التنافس الأوربي في شكله الديني والسياسي أتاح للمشروع الإسلامي الحفاظ على موقعه المستند على تحركات المجاهدين وعملياتهم الجريئة بفعل ما حصلوا عليه من دعم تقني غربي بروتستانتي، ويشاطره في هذا الرأي مجموعة من المؤرخين الأوروبيين الذين أسسوا هذا الرأي على ضعف المسلمين بالمجال الملاحي، وتوجههم كلية إلى الأنشطة القارية، ودعمت ذلك بأحكام إسلامية تاريخية[(3)].

2/الأهداف المباشرة للعمل الجهادي:

كان الجهاد البحري ينطلق من مبادئ دينية وروحانية، لكن أسلوبه العملي كان مغزاه تحقيق أهداف مادية، تترجم فعاليته وتضمن استمراريته وتطوره، وهذه الأهداف

---

(1) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص166. / أتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م**، تع وتق. خليفة محمد التليسي، دار الثقافة، بيروت، 1974م، ص301.

(2) Fernand Braudel**: Le Méditerranée et le monde Méditerrané à l'époquede PhlippeII, 2T,** 2ème éd, librairie Armand colin, Paris, 1966, T2, p191.

(3) **نقلا عن** حسن أميلي: **المرجع السابق**، ص58.

أيضا كانت تمثل حوافز استقطاب لرجاله، كما أنه يعد نوعا من الحروب الاستنزافية المتعرضة للمصالح الاقتصادية للخصم، وبالتالي فإنه حري بالمجاهدين الغزاة تحقيق أفضل المردوديات الاقتصادية (غنائم وأسرى)[1].

وعليه فقد شجع حكام الإيالات المغاربية الجهاد البحري لما له من فوائد، سواء على البلاد بصفة عامة أو الحكام بصفة خاصة، فمن أهم الأهداف التي عمل الحكام على تحقيقها:

- تحقيق الربح المادي، لأن جزء كبير من العوائد البحرية يعود إلى جيوب الحكام، وكذا المساهمة في استقرار الأوضاع المالية للبلدان المغاربية[2].

- اتخاذ المراكز الجهادية المغاربية كقاعدة للتجارة بفضل قيامها بدور تخزين مغانم الجهاد ثم انتظار تسويقها ثانية إلى أوربا[3].

- العمل على تحرير الموانئ المغاربية من قبضة التحرشات الإسبانية في المرحلة الأولى، على أن يليها مساعدة أي جزء من ديار الإسلام والذي يعد هو المبدأ الأساسي للجهاد[4].

- يعد انبعاث الجهاد البحري في القرن (10هـ/ 16م) مواكبا للتطورات التي عرفتها السواحل الشرقية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، في إطار تحكم الدولة العثمانية الناشئة في هذه المناطق وبروزها كقوة مناوئة للمصالح الكاثوليكية عامة والإسبانية بصفة خاصة[5].

---

(1) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص168.

(2) طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية العثمانية مع اسبانيا ما بين (1520–1772م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي يابس، سيدي بلعباس، (2018 ـ 2019م)، ص 404.

(3) حسن أميلي: **المرجع السابق**، ص 307.

(4) وليام سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع. عبد القادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2006م، ص 36.

(5) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 163.

ـ كان الجهاد البحري بالنسبة للمغاربة يمثل ضربا من ضروب الإقدام، وطلب الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الدين[1].

ـ كما أن جانبا من الجهاد البحري جاء تعبيرا عن الرغبة في تعويض سوء الأحوال الاقتصادية، لذلك فإن حملات الجهاد جاءت مشابهة لغارات قبائل الصحراء على القوافل التجارية والمناطق الخاضعة لسطوة القبائل المعادية، وبالتالي فهي "حرب بكل قوانينها، وبكل ما تمثله من أعراف وقواعد الشرف، وقد جاء الجهاد البحري خلال القرن (10هـ/16م) كرد فعل على الاحتكار المسيحي لخطوط الملاحة المتوسطية، إذ أن انخراط المغاربة في العمليات الجهادية كان في خدمة السياسة المركزية للقسطنطينية، حيث قامت بدور حاسم في معركتي بريفيزا وليبانتو، وكذلك في معارك الجزائر، طرابلس ومالطا[2].

ـ توحيد صفوف المسلمين بالسواحل فأصبحوا بمثابة كتلة حضارية واحدة تحت راية الدولة العثمانية، وذلك من خلال القيام بعديد المحاولات لإنقاذ مسلمي الأندلس وغيرهم[3]، وتنبغي الإشارة أن العثمانيين عن طريق ممثليهم في بلاد المغارب كانوا يسعون للتدخل في قضية الموريسكيين ومد يد العون لهم في ثوراتهم وتمرداتهم على السلطة الاسبانية، قصد زعزعة استقرار إسبانيا الكاثوليكية[4]

ـ القضاء على التجارة الإسبانية في البحر، وضرب سواحلها وإلحاق الضرر بها[5].

ـ تعتبر الأرباح المتولدة عن الجهاد البحري في بلاد المغارب، سواء فيما يخص المغانم أو فديات الأسرى تغطي كليا التجهيزات المادية الجهادية[1].

---

(1) حسن أميلي: **المرجع السابق**، ص 149.

(2) محمد الحراري عبد السلام: **المرجع السابق**، ص ص168ـ 170.

(3) ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار البصائر، الجزائر، ط2، 2009م، ص 135.

(4) زهراء النظام: **العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط**، في كتاب العثمانيون والعالم المتوسطي، تنسيق عبد الرحمن المؤذن وعبد الرحيم بن حادة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط3، 2003م، ص76

(5) عزيز سامح آلتر: **المرجع السابق**، ص 149.

ـ تعويض الخسائر الناتجة عن التمردات والإضرابات الحاصلة، إلى جانب الاستغناء عن معونات الدولة العلية لإيالاتها المغاربية، بالإضافة إلى توجيه أنظار الرعية إلى الخارج، لكسب الشرعية للبقاء في الحكم[2].

ـ استثمار مراكز الجهاد المغاربية إرثها الاقتصادي كبوابة تجارية رئيسية، تدعّمت بإفلاتها من السقوط في يد الاحتلال الإيبيري بالنسبة لبعض المراكز، أو التي تم تحريرها؛ إذ أن الجهاد البحري قد انعكس بشكل إيجابي على الحركة التجارية بين المراكز السالفة الذكر والموانئ الأوربية، حيث أن جزء أساسيا من المبادلات تولد عن اضطرار رياس الجهاد إلى تأمين خط استيراد متواصل بين مراكز إنتاج العتاد وأجهزة الحرب ووسائل الملاحة مقابل تصريف القسط الأوفر من المغانم، مانحين للتجار الأوربيين وضعية ملائمة لتنشيط المبادلات التجارية المغاربية الأوربية[3].

ومما سبق يمكن القول، بأن الضعف والتفكّك الذي عانت منه بلاد المغارب أواخر القرن(9هـ/ 15م) وبداية القرن(10هـ/ 16م) كان سببا في تعرضها لأطماع وتدخلات من قبل الدول الأجنبية الصليبية وعلى رأسهم الإسبان والتي ترجع لأسباب دينية، سياسية، اقتصادية، عسكرية واستراتيجية، لكن لمعان نجم الدولة العثمانية وإشعاعه وكذا ظهور الإخوة أبناء يعقوب(بربروس) في المنطقة غير مجرى سير الأحداث، حيث كانوا مصدر إشعال روح الجهاد البحري والحماس في قلوب المغاربة، والذي كان نتيجته فتح باب الصراع الإسلامي المسيحي على مصراعيه. ومن أهم أهداف الجهاد البحري المغاربي هو إعلاء كلمة الدين الإسلامي وتوحيد صفوف المسلمين أمام المد الصليبي، تحرير الموانئ المغاربية، توجيه ضربة قاضية للتجارة الإسبانية في عرض البحر، وتحقيق ربح مادي من خلال عوائد الجهاد البحري.

---

(1) حسن اميلي: **المرجع السابق**، ص 164.

(2) طاهر تومي: **المرجع السابق**، ص 404.

(3) حسن اميلي : **المرجع السابق**، ص 308.

خاتمة الفصل:

- أولت الشريعة الإسلامية عناية خاصة بالجهاد البحري لشدّة أهميته في حمل رسالة الإسلام السامية والدفاع عن الأمة بإزالة القوى الطاغية التي تحول بين الناس ودعوة الحق.
- فضل الجهاد البحري كبير في القرآن الكريم، فالمتتبع لما جاء به الحق تعالى في منزل كتابه يجد أن " كلمة البحر" وردت في حوالي 29 موضعًا، كمّا وردت كلمة "البحران" مرة واحدة، و" البحار" مرتين، و" أبحر" مرة واحدة، وكلمة " البحرين" 04 مرات، في حين ورد ذكر لمصطلح الفلك في حوالي 23 موضعًا، علاوةً على ما جاءت به الأحاديث النبوية الشريفة، التي تحدثت عن فضل الجهاد البحري كركن من أركان الشريعة الإسلامية.
- تضاربت الآراء حول تحديد المفاهيم العامة لمصطلح الجهاد البحري ما بين المؤرخين الأوربيين الذين وصفوه بالقرصنة وحاولوا في الغالب التشكيك في طبيعة الحركة البحرية الجهادية التي كانت تقوم بها الأقطار المغاربية ضدّ سفنهم، والمؤرخين الإسلاميين الذين استخدموا هذا المصطلح وأكدوا عليه على اعتبار أن الجهاد البحري عملية بحرية حربية كان يقوم بها المغاربة دفاعًا عن دينهم وسواحلهم من الغارات الأوروبية الصليبية، لهذا فالحديث عن مصطلح الجهاد البحري لدى المسلمين أو مصطلح القرصنة لدى الأوروبيين قد تحكمت فيه الرؤية الدينية التي كانت تؤطر الفكر حينها.
- الجهاد البحري عبارة عن عملية حربية منظمة يرعاها قادة مسلمون ضدّ أساطيل وسواحل الدول الأوروبية المعادية للدين والدولة، وهي جزء من عملية الجهاد البري الإسلامي، وقد شهدت انتشارًا واسعًا في ساحة البحر المتوسط خلال القرنين (10-11هـ/ 16- 17م) بسبب تصاعد نشاط الغارات الأوروبية على السواحل المغاربية.

- القرصنة عبارة عن اعتداء مسلح وأفعال يتم ارتكابها باغتصاب السفن أو البضائع أو الأشخاص في أعالي البحار، ويكون الغرض منها الحصول على المكاسب الخاصة والغنائم المتنوعة.

- تغير مدلول الجهاد البحري من جهاد ديني أمني هدفه تأمين السواحل المغاربية بصدّ اعتداءات النصارى عليها وإعلاء راية الإسلام إلى جهاد اقتصادي غرضه تحقيق الغنائم والربح المادي، من أجل المساهمة في تحقيق الاستقرار المالي للأقطار المغاربية.

- أجمع جمهور العلماء على أن حكم الجهاد البحري يكون على حالتين: إما فرض كفاية إذا كان النفير غير عام، أو فرض عين على كل مسلم مقتدر إذا كان النفير عام.

- لا يقتضي الجهاد القيام بعملية الحرب فقط، بل هناك مراتب أخرى للجهاد منها ماهو بالقلب، اللّسان، المال، اليد، والجهاد بالسيف الذي يكون غرضه إمّا الطلب أو الدفع، ويندرج ضمنه الجهاد البحري موضوع الدراسة.

- تعتبر حركة الجهاد البحري التي قام بها المغاربة ضدّ الدول الأوروبية المعادية للدين والدولة على مستوى المتوسط، حركة دفاعية عن النفس وردة فعل حركتها أعمال القراصنة المسيحيين المعتدين على السواحل المغاربية.

الباب الأول:

مراكز حركة الجهاد البحري في جزائر الغرب، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

الفصل الأول: مراكز حركة الجهاد البحري في جزائر الغرب خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

الفصل الثاني: حركة الجهاد البحري الجزائري، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/ 16م)

الفصل الثالث: حركة الجهاد البحري الجزائري، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/ 17م)

تمهيد:

لقد منح النشاط العسكري الحربي لإيالة الجزائر[1]، مكانة دولية كبيرة في ظل سيطرته على مساحة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وصده عديد الهجومات الأورومسيحية المتكررة التي كانت تستهدف السواحل المغاربية والقواعد العثمانية بها، وقد تعاظم هذا النشاط بعدما رفعت الدولة العثمانية لواء الجهاد ضدّ النصارى من موانئ ومراكز إيالة الجزائر العثمانية وأسمتها "بلاد الجهاد- دار الجهاد- جزائر المغازي والانتصارات ضدّ الكفار"، الأمر الذي جعل بدوره هذه المراكز الجهادية تكون بمثابة الشوكة العالقة في حلق الدول الأورومسيحية المعادية للدين والدولة، والصخرة التي انكسرت عليها جميع الحملات البحرية التي استهدفت السواحل المغاربية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م).

---

[1] للاطلاع على إيالة الجزائر يُنظر: **الملحق رقم 01**.

الفصل الأول:

مراكز حركة الجهاد البحري في جزائر الغرب خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

المبحث الأول: السواحل الجزائرية مراكز جهادية

المبحث الثاني: مدينة الجزائر أهم مركز جهادي في المغارب خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

المبحث الثالث: تجهيز الأسطول الجزائري

تمهيد:

شهدت بلاد المغارب أواخر القرن (9هـ/15م) وبداية القرن (10هـ/16م) أزمة حادة مست مختلف الجوانب، نتيجة الوضع المتدهور الذي عرفته دوله الثلاث، وخاصة الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط والتي كانت القلب النابض لهذا الكيان السياسي المستقل، الذي مثل بدوره قبلة الطامعين والمتآمرين، سواء من الجيران عبر جهتيه الشرقية والغربية أو من الأجانب عبر ساحله المتوسطي، ونخص بالذكر هنا القوة الصليبية الإسبانية، التي برزت على الساحة السياسية نتيجة الانصهار المصلحي الذي جمع مملكة أرغون بقشتالة، والذي كان إيذانا بسقوط آخر معاقل المسلمين في الأندلس.

من هنا وكنتيجة لما ذُكر في هذا السياق نشأت مشكلة الموريسكيين الفارين، أين وجدت إسبانيا في ملاحقتهم ذريعة لاحتلال الأراضي المستقطبة لهؤلاء، بدليل حملات الإنقاذ التي وجهها العثمانيون لمساعدتهم بقيادة كل من كمال رايس وبيري رايس، ثم الأخوين أبناء يعقوب (الإخوة بربروس) الذين كان لهم الفضل في إرساء معالم الوجود العثماني ببلاد المغارب، فبعدما أصبحت الجزائر إيالة عثمانية تتويجا لرسالة الاستنجاد التي بعث بها سكانها، رفعت الدولة العثمانية على عاتقها لواء الحامي للمحتمي، لضمان سلامة الثغور والموانئ الجزائرية من الخطر الإسباني المحدق، ذلك أن قيادة عمليات الجهاد البحري كانت تنطلق من الساحل الجزائري نظرا للموقع الاستراتيجي الممتاز الذي يكتسيه، لتحتل المراكز الجزائرية بعد ذلك مكانة خاصة في ميدان البحرية الجهادية العثمانية، ومن هذا المنطلق نطرح الإشكال الآتي:

- ما المناطق التي مثلت بدورها مركزا متقدّما لعمليات الجهاد البحري الجزائري؟ وما أهمها عسكريا وقاعديا على طول سواحل الجزائر العثمانية، وكيف كان يتم تجهيز الحملات الجهادية؟

المبحث الأول- السواحل الجزائرية مراكز جهادية:

بحكم الظروف التي كان يعيشها المتوسط أواخر القرن (9هـ/15م) وبداية القرن (10هـ/16م) فقد عانت الجزائر كغيرها من دول المغارب من الصراع الحاصل في البحر المتوسط، بحكم موقعها الاستراتيجي وإطلالتها الشمالية على البحر المتوسط، التي كانت على طول سواحلها، مما حملها على إنشاء مراكز جهادية للدفاع عن أراضيها في شكل رباطات مذ انضوت تحت الراية العثمانية.

وبما أن الساحل الجزائري كان عبارة عن ساحل صخري متقطع، لا توجد به موانئ طبيعية، وبالتالي فإن الموانئ المنشأة مكلّفة، لأن الخلجان التي تؤسس عليها مفتوحة أمام البحر، الأمر الذي يجعلها عرضة للرياح الشمالية والشمالية الغربية، لذلك تم إنشاءها على الضفاف الغربية للخلجان لوقايتها من الرياح الغربية السائدة، والتيارات البحرية الغربية القادمة من المحيط الأطلسي، وفي الغالب هي تيارات تحمل الرواسب لتلقي بها على الضفاف الشرقية للخلجان، وظهير الميناء غالبا ما يكون الوصول إليه صعبًا، وذلك لوجود الحاجز الطبيعي المتمثل في جبال التل الممتدة من الشرق إلى الغرب، والفاصلة بين الميناء والداخل كما هو الحال في ميناء بجاية ودلس وتنس...الخ [1].

وسوف نتعرض للمراكز الجهادية المنشأة على السواحل الجزائرية من الغرب إلى الشرق كوهران، المرسى الكبير، بجاية وعنابة.... الخ، لكننا نستثني أهم مركز في الجزائر العثمانية وهو مركز مدينة الجزائر (دار الجهاد)، لكي نفرده في عنصر خاص به نظير أهميته الخاصة في بلاد المغارب عامة والجزائر خاصة.

---

[1] عبد القادر حليمي: **جغرافية الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1968م، ص308.

أولا- وهران والمرسى الكبير:

1/ وهران:

أ- الموقع والتأسيس: تأسّست مدينة وهران سنة (290هـ/902م) من طرف محمد بن أبي عون ومحمد بن عدوُن ونخبة من الموريسكيين المحتمين بالمنطقة[1]، وهي مدينة كبيرة على حد ما ورد في رحلة محمد بن الحسن الوزان الفاسي، تقع على شاطئ البحر المتوسط، بعيدة بنحو 140 ميلا عن تلمسان، وهي محاطة بأسوار عالية جميلة، يقع جزء من المدينة في السهل، والجزء الآخر في جبل شديد الارتفاع، وكان تجارها على الدوام يجهزون سفنا مسلحة يمارسون بها الغزو البحري، ويجتاحون سواحل قطلونية وجزر يابسة ومنورقة وميورقة، حتى أصبحت المدينة تزخر بالأسرى المسيحيين، وكانت هذه إحدى الذرائع التي اختلقها فيرديناند لاحتلال وهران، وهي كفهم عن استرقاق المسيحيين[2].

وقال عنها **بيري رايس**: "يوجد ميناء قريب من وهران لكون ساحلها مفتوحا، إلا أن السفن ترسو فيه في فصل الصيف، وعلى الناحية الشرقية من المدينة توجد مجموعة من الكتل الصخرية تدعى" **سوف بيا فرعون Suv.Bea Feravun** "، حيث تقع هذه الصخور بمحاذاة رأس ممتد في البحر، ومن ناحية البر المقابل للكتل الصخرية والرأس المذكور يوجد ميناء واسع يدعى مرسى بني زيان، هذا المرسى يمتد في الناحية الشرقية، وفي القسم الداخلي من الخليج توجد قلعة خربة تدعى قلعة بني زيان، وأمام القلعة يوجد واديان يجريان، أحدهما على الغرب، والآخر على الشمال الشرقي من القلعة، وهذان الواديان يسميان بوادي الشلف، وقد جُعل على كل ضفة من ضفتي الوادي ناعورة لسحب المياه، ولكي لا تتعرض الناعورتان لهجوم الكفار أثناء الليل، أحيطت كل منهما بسور لحمايتها[3].

---

[1] محمد قويسم: **الأوضاع الإقتصادية في وهران في العصر الوسيط (من خلال نصوص الرحالة العرب)**، مجلة الثقافة الإسلامية، ع 06، 2010م، ص 31.

[2] محمد بن الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، 2ج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج2، ص30.

[3] Piri Reis: **Kitab-I Bahriye**, Baskiya hazirlayan Yavuz Senemoglu, Tercuman, 1001 Temel eser yayinlari, Istanbul, 1973.

نقلا عن محمد دراج: **الجزائر في المصادر العثمانية...، المرجع السابق**، ص57.

أما **الإدريسي** فيقول عنها في كتابه المعنون **بنزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ما نصه: "... وهران على مقربة من ضفة البحر المالح وعليها سور تراب، وهي تقابل مدينة المرية من ساحل بحر الأندلس وسعة البحر بينهما مجريان ومنها أكثر ميرة ساحل الأندلس ولها على بابها مرسى صغير لا يستر شيئا ولها على ميلين منها المرسى الكبير وبه ترسى المراكب الكبار والسفن السفرية وهذا المرسى يستر من الريح وليس له مثال في مراسي حائط البحر..."[1].

وفي الفترة محل موضوع البحث، فإن مدينة وهران كانت تحت حكم الإسبان لفترة من الزمن إلى أن استعادها الجزائريون منهم، وهو ما يؤكدة **التمجروتي** في قوله:" واجتزنا على مدينة وهران وفيها النصارى دمرهم الله وأعادها للإسلام..."[2]، حيث احتلها الإسبان سنة (915هـ/1509م) واسترجعها مصطفى بوشلاغم في سنة (1120هـ/1708م)، لكن الإسبان عاودوا احتلالها سنة (1144هـ/1732م) وعلى عهد الباي محمد بن عثمان تم استرجاع هذه المدينة والمرسى الكبير في سنة (1206هـ/1792م)[3].

وغدت بعد ذلك مركزا متقدما يُمارس منه الغزو البحري، كما كانت قبل احتلالها من طرف الإسبان، وهو الأمر الذي يتفق فيه الأخير مع ما قاله **البكري** في مصنفه **"المسالك والممالك"**، من خلال ما نصّه:"... مدينة حصينة ذات مياه سائحة وأرجاء ماء وبساتين ولها مسجد جامع، وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عدوُن وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع بني نفزة وبني مسقن وهم من إزادجة وكانوا أصحاب القرش سنة تسعين ومائتين فاستوطنوها سبعة أعوام..."[4].

---

[1] الشريف الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مجل.1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص 252.

[2] علي بن محمد التمكروتي: **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تق وتح: عبد اللّطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م، ص 29 .

[3] مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص45.

[4] أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري: **المسالك والممالك**، تح.جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1،2003م، ج1، ص 252.

يمتد ميناء وهران على مسافة 24 هكتارا، وتصل أعماق المرسى فيه لحوالي 20 مترا، وخلال فترة احتلاله جرت أعمال توسعة من طرف الإسبان وتدعيم الرصيف الذي يحميه والذي يبلغ طوله ما يقارب كيلومتر ، وميناء وهران له القدرة على استيعاب أكثر من 200 مركب بحمولة تفوق 100 برميل لكل مركب[1].

ب- التحصينات الدفاعية والعسكرية للمدينة: يرجع أقدم تحصين لها لعهد السلطان المريني أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب الذي أنشأ البرج الأحمر وبرج المرسى سنة (748هـ/1347م)، أما باقي التحصينات الأخرى فتعود للعهد الإسباني والعثماني، حيث عمل الإسبان عقب احتلالهم المدينة سنة (915هـ/ 1509م)، على ترميم أسوارها ووضع نقاط دفاعية جديدة جُلبت حجارتها من محاجر القديس سانت أندريا (Saint Endre).

وفي القرن (10هـ/16م) وتحديدا ما بين سنتي (924هـ/1518م و 942هـ/1535م) قام كومارازا (Comarez) ببناء برج المونة أو برج اليهود وبرج لوس سانتوس (Los Santos)، وبعده قام الكونت ألكوديت (Conte d Alcaudet) بإنشاء برج سانت تيريز (Sainte Theres) وبرج بوبنيقة (Saint Carlos)، وفي سنة (1100هـ/1588م) شيّد بانار دو باديا (Panere de Padia) برج حسن بن زهوة (Saint Gregorre) وبرج المرجاجو (Saint Gruz) .... وغيرها[2].

لكن في سنة (1119هـ/ 1708م)، ورغم كل هذه التحصينات استرد المجاهدون مدينة وهران بقيادة الباي مصطفى بوشلاغم، وقد عملوا على إنشاء بنايات جديدة وترميم المتضررة بفعل المعارك، إلا أن المدينة لم تدم طويلا وسقطت مرة أخرى في يد الإسبان سنة (1145هـ/1732م)، وأعيد النظر كلية في مخطط دفاعاتها مثلما يوضحه تقرير فاليجو (Vallejo) الذي حكم المدينة بين سنتي (1145هـ/1733م) و (1151هـ/ 1738م)،

---

[1] محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830م**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984م، ص ص 66-67.

[2] لخضر درياس: **المدفعية الجزائرية في العهد العثماني**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: مولاي بالحميسي، جامعة الجزائر، 1989م-1990م ص ص 143-144.

وهنا تجدر الإشارة أن هذا المخطط لم يكتمل إلاَّ في عهد المهندس هونتابا (Hontabat) في نهاية السبعينات[1].

كما يقدّم صاحب كتاب (الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني) وصفا دقيقا لتحصينات مدينة وهران، حيث يقول: "..حصينة منيعة لا ينال منها قاصدها مطلبا، ولا يفوز منها بغرض لثقافتها وحصانتها حتى لا يخطر بالأفهام، ولا يهجس في الأوهام، أنها تؤخذ بحيلة، أو تنال ولو اجتمعت ألف قبيلة، حتى صار الناس يزعمون أنه لا ينالها إلا المهدي المنتظر....وهذه المدينة محوطة في امتناعها كالأسد الذي طرد إلى أن دخل في وجار لا يتمكن أحد من الدخول عليه، ومتى دخل عليه أحد افترسه، أو كالحية الرشقاء المستكنة بين حجرين ما مد لها أحد يده إلاّ لسعته، وهي محوطة بحصون شامخة راشخة كأنها هضاب، وفيها مدافع مُعدَّة لرمي الجنود كأنها أسود غضاب..."[2].

وبالرغم من ذلك نجد أن هذه التحصينات تدمرت إما بسبب الحروب المتواصلة بين الجزائريين والإسبان أو بسبب الزلزال المدمر الذي وقع سنة (1205هـ/1790م)، وأتى على قسم كبير من عمران المدينة، وقد هدم المجاهدون بعضها خوفا من إعادة استغلالها من طرف الإسبان كما حدث في عهد الباي بوشلاغم. ومن بين أهم تحصينات المدينة في هذه الفترة مايلي:

1- **برج العيون (الونيسى)**: نسبة إلى أحد رؤساء المدينة المعروف بابن الونيسى، وقد تعرض هذا البرج لعدة هجمات من طرف المجاهدين بقيادة حسن قورصو سنة (964هـ/1556م) وكذلك حسن بن خير الدين سنة (971هـ/1563م)، وتم تحريره من طرف الباي بوشلاغم سنة (1119هـ/1708م) [3].

2- **برج الأحمر**: يعرف لدى الفرنسيين بـ شاتو ناف .: (Château neuf) ويقع شرق المدينة مقابلا للبرج الجديد وبرج العيون، يعود تأسيس هذا البرج لعام (749هـ/1348م)

[1] لخضر درياس، **المرجع السابق**، ص ص 144-145.

[2] أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الرّاشدي: **الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني**، تح وتق. الشيخ المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط 1، 2012م، ص ص 206-207.

[3] لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص146.

حيث وضعت"جار" ملكة البندقية نواته الأولى، وقيل أن مصممه هو مهندس مالطي، وفي ذلك يقول أبو راس الناصري[1]:

ثامـن قرن قد أمهـا المريني   أبو حسن تـمتا بيعـة طرابلـس

بنى بها الأحمر ففاق كل بناء   ثم بنى الثاني حذو سفن المرسى

يعتبر هذا الأخير من أكبر الأبراج بما يحتويه من بطاريات وحصون، فهو بحجم مدينة قاهرة منيعة عالية الأسوار عريضة الخندق كثيرة المدافع، لا يمكن فتحه إلاّ بالمواهب الربانية، طرأت عليه تغيرات في عهد الملك فيلب الخامس وتواصلت من سنة (970هـ/1563م)[2].

3- برج المرجاجو: استحدثه الإسبان سنة (974هـ/1567م)، بعدما قام رجل من رجال قبيلة بني عامر المناصرة لحكم هؤلاء بتشجيعهم ومد يد العون لهم تيسيرا لتشييد هذا البرج، الذي بتوالي السنين هاجمه الباي بوشلاغم أولاً وذلك في سنة (1120هـ/1708م)، ليأسر فيه عددا من الأسرى، ويحرره التحرير الأول، والذي سيهدم منه جزء كبير أثناء حرب (1144هـ/1732م)، ليُجدد مرة أخرى بعد ست سنوات من الحادثة، ثم يحرره محمد الكبير ثانيةً وذلك سنة (1205هـ/1791م)، وقد احتوى هذا البرج على عديد الأسلحة والتحصينات العسكرية والدفاعية ويأتي في مقدمتها الثلاثون مدفعا المخصص للحرب العسكرية[3].

2/المرسى الكبير: يقول عنه صاحب كتاب (الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني) ما نصه: "وبرج المرسى تقدم أن بينه وبين ميناء وهران نحو الثلاثة أميال، وقال شارح الحلفاوية أنها قصبة حصينة وقلعة منيعة ليس لها إلا طريق واحد عرضه مقدار ذراعين أو ثلاث وأمام بابها برج يحرسها برا وبحرا، بناها أبو الحسن المريني..."[4]. ويقول عنه حسن الوزان في معنى حديثه، بأنه لا يوجد ميناء في الدنيا أكبر منه حسب رأيه، لأن مئات المراكب والسفن الحربية تستطيع الرسو به، وهي في مأمن من العواصف والأعاصير حيث كانت في كثير من الأحيان بمثابة

---

(1) محمد بن أحمد أبو راس الناصري: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تق وتح. محمد غانم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2005، ج1، ص ص 115-116.

(2) لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص ص 150-151.

(3) نفسه.

(4) أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الرّاشدي: **المرجع السابق**، ص 262.

الملجأ لها في حالة اضطراب البحر، وقد استولى الإسبان على هذا المرسى قبل احتلال وهران[1].

ويقول عنه **بيري رايس**: "يقع المرسى الكبير في الشمال الشرقي من سواحل المغرب، ويتميز بكونه ميناء طبيعي واسع، ويعد المرسى الكبير أشهر موانئ بلاد المغرب، وفي الناحية الشمالية منه توجد (قلعة المرسى الكبير)، التي كانت بيد العرب، وأما اليوم فقد استولى عليها كفار إسبانيا"[2].

ثانيا- مستغانم:

1/ الموقع والتأسيس: بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط، على بعد 4 كم شمال مزغران، و14 كم جنوب مصب الشلف[3]، وهي بدورها مدينة تشتهر منذ زمن طويل بحصانتها الطبيعية وبأسوارها المنيعة وبازدهارها الزراعي...الخ، خضعت للحكم الإسباني نظير توقيعها معاهدة الاستسلام مع حاكم وهران الإسباني في (28 صفر 917هـ/ 26 ماي 1511م) بعدما فرضت عليها شروط قاسية[4].

كانت مستغانم المدينة الأولى في بايلك الغرب التي دخلت تحت لواء الدولة الجزائرية الحديثة، وتعتبر من أوائل المدن المشاركة في الجهاد برا وبحرا ضد الإسبان، وخاصة في عهد حسن قورصو سنتي (958هـ/1563م و964هـ/1556م)، ثم من بعده حسن بن خير الدين سنة (971هـ/1563م)، وقلج علي سنة (976هـ/ 1568م)[5].

---

(1) الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص31.

(2) **نقلا عن** محمد دراج: **الجزائر في المصادر العثمانية...**، **المرجع السابق**، ص57.
Piri Reis: op.cit, p156.

(3) الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص32.

(4) دغموش كاملية: **قبائل الغرب الجزائري بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792م)**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران، (2013-2014م)، ص 37.

(5) Bodin (M): **ItinéraireHistorique et légendaire de Mostaganem et de sa Région**, S.G.A.O, 1933, p184. / **يُنظر** درياس لخضر: **المرجع السابق**، ص157.

2/ التحصينات الدفاعية والعسكرية للمدينة:

أ- برج لمحال: نسبة إلى القبيلة التي كانت تحكم المدينة قبل العهد العثماني، ويشير بلحميسي أن بناء هذا البرج يعود لحميدة العبد الذي جدد ووسع سور المدينة[1].

كما شاهد الرحالة شاو أثناء زيارته لمستغانم بقايا هذا البرج وأرجع تاريخه إلى ماقبل استخدام الأسلحة النارية استنادا إلى طريقة بنائه[2]، وقد أعيد ترميمه أثناء الاحتلال الفرنسي واستعمل كسجن مدني[3].

ب- برج الترك: يعرف لدى الأوروبيين بالبرج الشرقي، ويرجع البعض بنائه إلى أوائل العهد العثماني دون إفادتنا بمعلومات حول اسم الباي الذي أنشأه[4]، ولكن هناك من يزعم بأن مؤسسه هو الباي مصطفى بن يوسف المسراتي[5].

ولعل هذا البرج هو الذي يسميه " شاو" Chaw" بالقلعة في كلامه عن مستغانم حيث يقول: "مستغانم تتحكم فيها قلعة مبنية على إحدى المرتفعات المطلة على المدينة والشاطئ"، وقد استعمل هذا البرج كمخازن للمؤن العسكرية، وحتى سنة (1329هـ/1911م) كان به مدفع من العيار الصغير يستعمل لإخبار الناس ببداية رمضان وعيد الفطر...، وغيرها من المواسم" [6].

وحسب معلومات أرمبورو في سنة (1153هـ/1741م) فإن أسلحته تتكون من 9 مدافع من الحديد، كانوا قد أخرجوها من الفرقاطة التي أغرقها (Don Blas Lenzo) "قرب

---

(1) Belhamissi(M) **:Histoire de Mostaganem des origins à nos jours** ، 2è édition ,S.N.E.D, Alger, 1982, p67.

- **يُنظر** لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص157.

(2) Chaw (Dr**): voyages dans plusieurs provinces de la Barbarie et du Levant**, contenant des observations Géographiques, physiques,philologiques et Melees sur les Royaumes d'Alger et de Tunis,sur la Syrie l'Egypte et l'Arabie Petree ,Traduits de l'Anglois, A la Haye, 17, T 1, p42.

- **يُنظر** لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص157.

(3) Bodin(M): op.cit, p200.

- **يُنظر** لخضر درياس: **المرجع السابق** ص 157.

(4) Ibid, p21 .

- **يُنظر** لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص158.

(5) **نفسه**، ص158.

(6) Chaw (Dr**)** :op.cit, p42.

- **يُنظر** لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص158.

أرزيو"[1]، أما "بوتان" فيشير بأن أسلحتها مابين 15 و20 مدفعا، لكن الإحصائيات الفرنسية تثبت أن أسلحة مستغانم هي أربعة مدافع في الأسوار و12 مدفعا في البرج الصغير و20 مدفعا في القلعة وهو ما يساوي تقريبا 36 مدفعا[2].

ثالثا- شرشال:

1/ الموقع والتأسيس: يرجع المؤرخون تأسيسها للفينيقيين وكان اسمها أيول في بادئ الأمر، وكان الملك المغربي "يوبا الثاني" هو من قام بتشييد عاصمته على أنقاض المرفأ الفينيقي وسماها موريتانيا القيصرية[3].

ويقول عنها "حسن الوزان"، بأن الرومان هم من أنشؤوها على ساحل البحر، وبها قلعة كبيرة مشيدة على صخرة يراقب منها البحر على مسافة بعيدة لكن الوندال خربوها، ثم أعاد المسلمون إعمارها، وشهدت انتعاشا كبيرا بعد الهجرة الأندلسية إليها إثر سقوط حاضرة غرناطة، وأكثر شيء نال اهتمامهم هو صناعة السفن[4]، وطبعا ذلك كان نتيجة سببين هامين:

أ-وقوع هذه المدينة على مشارف البحر.

ب-قصد ممارسة الغزو والجهاد البحري ضد جلاديهم من الإسبان.

---

(1) Bodin (M): op.cit, p216.

- **يُنظر** لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص158.

(2) El Corso(M), et De Plaza : **Oran et L'ouest Algerien au XVIIIè siècle, d'après le rapport Arambou**, Alger, 1978, p 52.

- **يُنظر** لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص158.

(3) أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر...**، **المرجع السابق**، ص22، / يامنة بحيري: **المعنى الظريف في تاريخ شرشال الحديث**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2017م، ص ص 69-72.

(4) الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص34.

2/ **التحصينات الدفاعية والعسكرية للمدينة:** بعد انضواء الجزائر تحت راية العثمانيين ، دخلت هذه الحاضرة تحت حماية عروج الذي كان له الفضل في إصدار أمر تشييد القلعة والميناء سنة (924هـ/1518م)(1)، وعمل على تحصينها لأهمية موقعها أولا، وكذلك لأهميتها البالغة في الإستراتيجية العثمانية للمنطقة، ولمتطلبات الظرفية التاريخية آنذاك، لذلك كانت شرشال تعتبر أكبر حصن بناه عروج في المغارب، وأقام بها مصنعا للعتاد الحربي لتأمين متطلبات الجيش العثماني من خلال إمداده بالمواد التموينية، وبنى بها دارا لصناعة السفن، لتوفر غابات الونشريس على هذه الثروة الهامة من الأخشاب(2).

رابعا- دلس:

1/ **الموقع والتأسيس:** تادلس (دلس) مدينة عتيقة، تحيط بها أسوار قديمة، قام ببنائها الأفارقة على بعد 39 ميلا من البحر المتوسط، واستوطنها الأندلسيون الفارون بعد سقوط بلادهم الذين كان لهم الأثر الكبير في ازدهارها ونهضتها في جميع ميادين الحياة، تقع الأخيرة بين الجزائر وبجاية وهي مدينة عتيقة، امتهن سكانها الصباغة والزراعة وصيد الأسماك ...، فكانت هذه النشاطات حرفتهم ومهنتهم الرئيسية لكسب قوت عيشهم، شيد بها سور متين منذ القرن (10هـ/16م) (3)، حيث قال عنها **التمجروتي** ما نصه:" فأرسينا على حصن دلس وهو حصن منيع، إلا أنه عفا اليوم وخرب ولم يبق فيه إلا عمارة ضعيفة " (4).

(1) يامنة بحيري: **المرجع السابق**، ص76.

(2) **نفسه**، ص77./مصطفى عبد الله الغاشي: **البحر الأبيض المتوسط في الاستراتيجية العثمانية العثمانيون والعالم المتوسطي**، تنسيق عبد الرحمن المؤذن وعبد الرحيم بن حادة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الرباط، ط1، 2003م، ص36.

(3) مولاي بالحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة ...، المرجع السابق**، ص 48.

(4) علي بن محمد التمكروتي: **المصدر السابق**، ص 31.

وقال عنها **بيري رايس**: "وعلى مسافة أربع وخمسين ميلا شمال شرق الجزيرة [1]، تقع قلعة دلس التي أُسست على رأس شديد الانحدار. في البداية كانت هذه القلعة خاضعة لسلطان بجاية. وعندما استولى الكفار على بجاية ساءت أوضاع قلعة دلس، فاضطر زعماؤها إلى إعلان تبعيتهم لأروج رئيس"[2].

أما بالنسبة لمرسى مدينة دلس فإن معظم المصادر اتفقت على وجوده، لكنها أشارت إليه عرضا دون تفاصيل كثيرة تذكر، والمعلومات التي تحويها هذه المصادر والمراجع مختلفة ومتضاربة، فتارة تشير أن المدينة لم يكن فيها أي مرسى وتارة تشير أن الرسو صعب فيها، بينما أشارت بعضها إلى وجود قائد للمرسى وظيفته جمع الضريبة الخاصة بتوقف المراكب التجارية[3].

ولعل أهم وصف يمكن أخذه بعين الاعتبار هو الوصف الذي أدرجه **"الجنرال بوجو"** الذي احتل المدينة سنة (1259هـ/1844م) في **مذكراته** حيث قال مانصه: "...لا يوجد ميناء لكن يوجد مرسى (خليج) متوسط الحجم يحميه رأس بنقوت[4]، والمرسى الذي كان موجودا في المدينة هو عبارة عن رصيف من الخشب وهو الرصيف الذي كان يسمى بالصقالة [5]، وعموما فإن الرسو في المرسى يكون ممكنا إذا هبت رياح غربية أو شمالية، ومفتوحا من الشمال إلى الشرق لكن العملية تكون أحيانا مستحيلة إذا كانت الرياح شمالية شرقية..."[6].

وحسب رواية السكان المحليين فإنه توجد في المنطقة الشمالية الغربية من المدينة أماكن لرسو السفن التي كانت تحمل اسم الأقواس، ومخصصة لتوقف المراكب والزوارق المقلة للأندلسيين الفارين من مواطنهم الأصلية باتجاه المدينة وعدد هذه المراسي اثنان، الأول عميق يسمى القوس

---

(1) يقصد بها الجزيرة المقابلة لمدينة الجزائر والتي بنى عليها الإسبان حصن البنيون.

(2) **نقلا عن** محمد دراج: **الجزائر في المصادر العثمانية...**، **المرجع السابق**، ص59.

- Piri Reis: op.cit, p15.

(3) إسماعيل بن نعمان: **مدينة دلّس دراسة معمارية وأثرية (10-13هـ/16-19م)**، رسالة ماجيستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، (1995-1996م)، ص69.

(4) اسم هذا الرأس: رأس الطرف وليس رأس بنقوت باعتبار أن رأس بنقوت يقع بعيدا عن مركز المدينة بحوالي 2 كم غربا وهو أطول منه، **ينظر** إسماعيل بن نعمان: **المرجع السابق**، ص 71.

(5) **نفسه**، ص71.

(6) Lieussou (A), **études sur les ports de l'Algerie**, 2 ésition , département de la guerre et de la marine, imprimerie Paul Dufond , Paris, p120 .

- **يُنظر** إسماعيل بن نعمان: **المرجع السابق**، ص 71.

الكبير المخصص لتوقف المراكب، والثاني صغير وأقل عمقا يسمى بالقوس الصغير مخصص لتوقف الزوارق ومن مميزاتهما أنهما يقعان قرب رأس بنقوت(1).

2/ التحصينات الدفاعية والعسكرية للمدينة:

يعتبر وجود المنشئات الدفاعية والعسكرية لمدينة دلس نظرا لموقعها الممتاز المحاذي للبحر المتوسط، أمرا ضروريا لما لها من دور في صد مختلف الحملات العسكرية التي قد تشن من البحر على المدينة، ويوجد مصدر واحد أشار إلى وجود بعض المنشئات الدفاعية المنشأة من طرف الأتراك العثمانيين وبطارية من 8 قطع مدفعية، ومن بين المنشئات الدفاعية يمكن أيضا ذكر سور كان يحيط بالمدينة لكن المصادر تختلف في وصف حالته، بحيث تشير إلى متانة هذا السور دون الإشارة إلى أصله، ومنها **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** الذي جاء فيه: "... وهي على شرف متحصنة لها سور حصين..."(2)، وكتاب إفريقيا، الذي ورد فيه: "... تحيط بها أسوار جيدة..."(3)، ولم يخرج صاحب كتاب وصف إفريقيا عن سابقيه، إذ يقول:"... تحيطها أسوار قديمة متينة..."(4).

خامسا- بجاية:

1/ الموقع والتأسيس: تقع مدينة بجاية على بعد ثلاثين ميلا شرقي الجزائر، وعلى بعد اثني عشر فرسخا، من جيجل في الجهة الأخرى على عرض دنسى أو دنيي بناها الرومان على سفح جبل كبير ينظر إلى البحر، وهي مبنية على تلال تمتد فوقها إلى أن تبلغ أعلى الجبل، حيث يوجد حصن حصين وقصور على النمط الموريسكي، ويوجد في الجهة الموالية للبحر حصن آخر له ثلاثة بروج(1)، وفي ذلك يقول **الإدريسي** ما نصه: "... عمرت بخراب القلعة

---

(1) **نقلا عن** محمد دراج: **الجزائر في المصادر العثمانية...، المرجع السابق**، ص57.

-Piri Reis: op.cit, p156

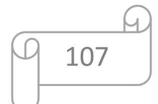
- إسماعيل بن نعمان: **المرجع السابق**، ص 71.

(2) الإدريسي (أبو عبد الله)، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**: مقتبس عن نزهة المشتاق، تح وتق وتع: العربي إسماعيل، الطبعة 2، ش. و.ن. ت، 1983م، ص 160.

(3) مارمول كاربخال: **إفريقيا**، تر.حجي محمد وآخرون، دار النشر للمعرفة، الرباط، (1988-1989م)، ج2، ص 372.

(4) حسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص 42.

(1) مارمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص ص 376-377.



التي بناها حماد بن بلقين وهي التي تنتسب دولة بنى حماد إليها والقلعة كانت في وقتها وقيل عمارة بجاية دار الملك لبني حماد وفيها كانت ذخائرهم مدخرة وجميع أموالهم مختزنة..."، ويواصل القول: "..... والطريق من مدينة بجاية إلى القلعة تخرج من بجاية إلى المضيق إلى سوق الأحد إلى وادي رهت إلى حصن تاكلات وله المنزل وحصن تاكلات حصن منيع وهو على شرف مطل على وادي بجاية..."[1].

أما مينائها يقع غرب الخليج الذي يحمل نفس اسم مدينة "خليج بجاية"، ويحد بداية هذا الميناء رأس البواق، ويتمتع هذا الميناء بثلاثة أماكن طبيعية صالحة لرسو السفن وهي [2]:

أ) **مرسى المدينة:** يقع أمام المدينة يمتد ما بين حصن عبد القادر والقصبة، وهو يمثل الميناء الفعلي لتجارة المدينة.

ب) **مرسى:** نجده إلى الغرب عند قدم القصبة في أصل السهل، وهو مرسى صغير ملائم لإقامة ورشات بناء السفن.

ج) **سيدي يحي:** هو من أفضل مراسي الجزائر وأحسنها، يقع بين رأسي " كافالو وكارليون" القريبين من مصب نهر الصومام، يمتد عمقه من 12 إلى 20 مترا [3]، ومنه تسافر السفن لجميع الجهات [4]، وفيه ترسو سفن الروم من الشام وغيرها، من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية، وبلاد اليمن والهند والصين[5].

2/التحصينات الدفاعية والعسكرية للمدينة:

أ) **برج القصبة:** بنيت هذه القصبة من طرف الموحدين على مساحة تقدر بهكتارين، تعرضت للعديد من التحويلات خاصة التي وقعت في بداية القرن (10هـ/16م)، ويقدم "فيرو" وصفا

---

(1) الشريف الإدريسي: **المرجع السابق**، ص ص 262-261.

(2) هاينريش فون مالستان: **بجاية**، تر. أبو العيد دودو، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع19، 1995م، ص44.

(3) إسماعيل سرهنك: **حقائق الأخبار عن دول البحار**، مطبعة الأمير بيوتات، مصر المحمية، مصر، 1825م، ج1، ص357.

(4) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م، ج1، ص339.

(5) مؤلف مجهول: **الإستبصار في عجائب الأمصار**، نشر وتع. سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص130.

لها فيقول: "بأنها مبنية بالآجر الأحمر فوق أسس أحد البنايات المحصنة التي كانت تحمي الميناء في العهد الروماني".

ب)**برج عبد القادر:** هو البرج الذي كان موجودا بالمدينة أثناء الاحتلال الإسباني سنة (915هـ/1510م) خضع للعديد من تعديلات الإسبان، ثم جعلوه من أهم حصون المدينة، كما عُدل من طرف العثمانيين كذلك، ويوجد في هذا الحصن ضريح "سيدي عبد القادر"، وهو مبني على شكل طبقات من الآجر والحجارة المصقولة.

ج)**برج موسى:** بني من طرف الإسبان في بداية القرن (10هـ/16م) على أنقاض قصر النجمة، خضع لعديد التعديلات، وكان البرج الأول الذي سقط في يد "صالح رايس"[1]، كما حول اسم هذا البرج في سنة (1266هـ/ 1850م) إلى برج "Barral" نسبة إلى القائد الفرنسي الذي لقي حتفه أثناء احتلال المدينة.

ويرجع سبب احتلال الإسبان لمدينة بجاية، كون أهلها يمارسون الغزو البحري، وقد جاء في عنوان **الدراية** ما نصه: "... أصبحت بجاية بلدة غزاة، وكان الغزاة يدخلون إلى الجزر الرومية ويسرقون السبي الكثير، وينزل الناس لشرائه بحومة المذبح...وهناك يخمس ويقع الفصل فيه...وبلغ من كثرة سبي الآدميين أن يباع البيض"[2]، كما أورد بن خلدون ما يلي:" وشرع في ذلك أهل بجاية، فيجتمع النفير والطائفة من الغزاة، ويصطنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال ثم يركبونها إلى سواحل الفرنجة، وجزائرهم على حين غفلة فيخطفون منها ما قدروا عليه، ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا، ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى، حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية بأسراهم تضج طرق البلد بصخب السلاسل والأغلال عندما ينتشرون في حاجاتهم ويغالون في فدائهم.."[3].

لكن أهالي هذه المدينة لم يلبثوا إلاّ أن عادوا لسابق عهدهم وخاصة بعدما استوطنها الأندلسيون الذين كان لهم الفضل الأكبر في تنشيط عمليات الجهاد البحري ضد الإسبان ومن والاهم، وككل المدن الساحلية التي عانت من ويلات الهجمات الأوروبية عليها، حين يتعذر

---

[1] تواتي بومهلة: **بجاية حاضرة البحر ونادرة الدهر**، مرا. أحسن بومالي، دار المعرفة، الجزائر، 2010م، ص121.

[2] أبو العباس الغبريني: **المصدر السابق**، ص43.

[3] نور الدين عبد القادر: **المرجع السابق**، ص ص63-64.

عليهم مهاجمة مدينة الجزائر التي كانت بالنسبة لهم كابوسا، كانوا يفرغون غضبهم على بقية المدن الساحلية التابعة لها.

سادسا -جيجل:

1/ الموقع والتأسيس: يعرف **صاحب النزهة** بالمنطقة واستحكاماتها الطبيعية والدفاعية، فيقول:".... وهي مدينة على ضفة البحر، والبحر يحيط بها ولها ربض، ولما ظفر بها أسطول الملك المعظم روجار، ارتفع أهلها عن المدينة، إلى جبل على بعد ميل منها، وبنوا مدينة حصينة، فإذا كان زمن الشتاء سكنوا المرسى والساحل وإذا كان زمن الصيف ووقت سفر الأسطول نقلوا أمتعتهم وحملوا بضائعهم إلى الحصن الأعلى البعيد من البحر...، والآن هي خراب مهدمة الديار مثلمة الأسوار، ومدينة جيجل لها أيضا مرسيان، مرسى منهما في جهة جنوبها ومرسى وعر الدخول إليه صعب لا يُدخل إلا بدليل حاذق وأما مرساها من جهة الشمال يسمى مرسى الشعراء فهو ساكن الحركة كالحوض حسن الإرساء، لكنه لا يحتمل الكثير من المراكب لصغره وهو رمل..."[(1)].

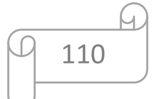
وهذا يدل على أن مدينة جيجل كانت محتلة من طرف الجنويين منذ سنة (658هـ/ 1260م) الذين استوطنوها قرنين من الزمن، لكن الإخوة أبناء يعقوب (الإخوة بربروس) هم من حرروها سنة (918هـ/ 1513م).

أما الوزان فأورد بشأنها ما يلي:" قصر جيجل قصر قديم بناه الأفارقة على صخرة عالية بشاطئ البحر، بعيد عن بجاية بنحو سبعين ميلا، وفيه ما يقرب من خمسمائة كانون...، وقد حافظ هذا القصر دائما على حريته، بالرغم من ملوك بجاية وملوك تونس، لأنه يستحيل حصاره؛ إلا أن أهله خضعوا من تلقاء أنفسهم إلى بربروس، الذي لم يفرض عليهم سوى زكاة عشر الحبوب والثمار، مما هو حلال معمول به، ولم يترك عنه نائبا في القصر سوى مندوب واحد"[(2)]. وأعقب على ماورد في هذه الفقرة بنقطتين هما:

---

(1) الشريف الإدريسي: **المصدر السابق**، ص 269.

(2) الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص ص51-52.



أ- التساؤل الذي يطرح نفسه، هو عدم تعرض الحسن الوزان للاحتلال الجنوي لجيجل، رغم أنه كان معاصرا لتلك الأحداث حيث أن وفاته كانت سنة (936هـ/1530م)، كما أنه لم يتعرض لاستنجاد أهالي جيجل بأبناء يعقوب.

ب- قوله أن أهاليها كانوا محايدين ولم يرغبوا في الخضوع لا لمملكة تونس ولا لمملكة بجاية، بينما هي محتلة طوال قرنين ونصف ولم يتمكن لا ملوك بجاية ولا ملوك تونس من تحريرها، وهذا له تفسير وحيد مفاده أن هناك اتفاقا بين ملوك المنطقة وجنوة فيما يخص جيجل، وكأنما مُنحت لهم كامتياز، وبعد البحث والتحري والاستقصاء وجدنا ضالتنا عند الدكتور دراج الذي أورد ما مفاده أن جيجل كانت مركزا للتبادل التجاري بين إيطاليا وإفريقيا، وعندما فقد المركز أهميته تغلب أهالي جيجل على أهل الحامية، لكن الأميرال دوريا أعاد احتلالها حتى يعيد للمركز أهميته، وكان ذلك بعد فشل الحملة على بجاية سنة (917هـ/1512م)[1].

أما بالنسبة لموقع مدينة جيجل فإنها قد بنيت على حافة البحر وهي تحتل شبه جزيرة صخرية في مساحة تقدر بحوالي 42 ألف متر مربع، يتغير ارتفاعها عن مستوى مياه البحر بين 6 و9 أمتار، وتتصل شبه الجزيرة باليابسة ببرزخ منخفض جدا يشرف عن قرب على المرتفعات المجاورة[2].

2/ المنشأت الدفاعية والعسكرية للمدينة:

تعود تحصيناتها للعصر الجنوي، لكنها أزيلت كليا حتى الأبراج في السور القديم، ولم يتبق منها سوى سور واحد يدعى السور الجنوي الذي كان يغلق خنقة شبه الجزيرة وجداران بارزان من كلا الجانبين بحوالي 30 مترا، وإضافة إلى السور السالف الذكر تبقى أيضا برج مربع رممه الأتراك العثمانيون للدفاع عن المدينة، وقد تعرض هذا البرج لعدة إصلاحات أثناء حملة الدوق دي بوفور سنة (1074هـ/1664م) وما بعدها، هذا البرج هو الذي كانت تقيم فيه الحامية العثمانية المتكونة من صفرة واحدة كما أنه كان مسلحا بعدة قطع من المدافع [3].

---

(1) محمد دراج: **المرجع السابق**، ص ص 216-217.

(2) شارل فيرو: **تاريخ جيجلي**، تر. عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، الجزائر، 2010م، ص12.

(3) Boutin (Y) ، **op.cit**.p59.

- **يُنظر** لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص 172.

إلاّ أن **خير الدين** أورد في **مذكراته** أنه: عندما كان متواجدا بجيجل في الفترة الممتدة من (926-931هـ/1520-1525م)، شيد عددا من الثكنات والمنازل، كما قام ببناء مصنع صغير للسفن، ومنها كان يقود غزواته الجهادية ضد الإسبان وكان همه الأكبر إنقاذ وحمل ما يستطيع من الموريسكيين[1]، أما دار صناعة السفن التي أنشأها خير الدين فقد أُهملت بعد رحيله هي الأخرى، ولم يعد لها أهمية تذكر[2]. كما أن الرصيف المحاذي للبحر بقي يحمل اسم بابا عروج.

كان أهالي جيجل يمارسون الغزو البحري بما تبقى لديهم من السفن التي جلبها الإخوة أبناء يعقوب معهم، لما حرروا جيجل من التواجد الجنوي بها[3]، أو التي أنشأت في دار الصناعة لما كانت صالحة فقط، ولحد اليوم فإن ميناء خير الدين[4] شاهد للعيان بمدينة جيجل، والتي أسس بها نواة الدولة الجزائرية الحديثة.

سابعا – عنابة:

1/ الموقع والتأسيس: يصف **"مارمول كاربخال"** مرسى عنابة بقوله: "...ولعنابة مرسى صغير غير مستور من رياح الشمال وتقصده سفن التجارة لشراء الجلد والصوف والسمن والتمر وغيرها من البضائع الوفيرة في هذه الجهات"[5].

وقد اكتسب ميناء عنابة خلال العهد العثماني أهمية بالغة وذلك باعتباره المحطة التي تمر منها جل المبادلات التجارية بين بايلك الشرق وباقي المدن الأوروبية مثل ليفورنا ومرسيليا

---

(1) خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص ص 120-122.

(2) علي خنوف: **تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا**، منشورات الأنيس، الجزائر، ط1، 2011م، ص64.

(3) والدليل على ذلك أن رياس البحر استعملوا في غزوهم البحري السفن الثلاثة التي تركها عروج في ميناء جيجل سنة 1515م، **يُنظر** علي خنوف: المرجع **السابق**، ص64.

(4) لما زرت مدينة اسطمبول في أكتوبر 2016م، في إطار رحلة علمية في تربص قصير المدى، قصدت خلالها الأرشيف العثماني بالكغت هانة، وقصر يلدز ومكتبة السليمانية ومكتبة بايزيد، ومكتبة التاريخ بجامعة اسطنبول، وكلية الإلاهيات، ومكتبة إيصام، وكانت آخر محطة لي هي كلية العلوم الإسلامية بجامعة محمد الفاتح الوقفية، والتي رحب بي عميدها الأستاذ الدكتور أحمد طوران وبعد مناقشته الموضوع معي أخبرني عن ميناء خير الدين الأثري بمدينة جيجل، واستغرب جهلي وعدم زيارتي له، وبعد رجوعي شددت الرحال إلى مدينة جيجل في صيف 2017م، قصد زيارة ميناء خير الدين، والذي كان ضمن نطاق منطقة عسكرية تابعة للبحرية الجزائرية، فحرمت من الدخول، وطلبوا مني رخصة من المنطقة العسكرية التي أقطن بها، لكن للأسف لم أجد آذانا صاغية، ولم يتسن لي معاينة هذا الميناء الأثري .

(5) مارمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص08.

وجنوه...الخ، وما زاد في تعزيز هذه المكانة كون ميناء عنابة محميا من الرياح الغربية، وما قد يصاحبها من تيارات مائية بمرتفعات "ايدوغ" الممتدة من سهل الجنوب حتى "رأس الحمراء" في الشمال على بعد مسافة 14 كم، هذا فضلا عن كون الميناء يستند إلى أسوار المدينة وتُنصّب بالقرب منه قطع المدفعية بالجهة الشرقية[1].

ويصف **أبو الحسن التمجروتي** في رحلته المسماة: (النفحة المسكية في السفارة التركية) عنابة بعد أن وصل إليها من مرسى القل بقوله: ".... ثم سافرنا منه – مرسى القل–إلى مرسى بونو، وهي مدينة تعرف ببلد العناب لأن أكثر شجر فجوجها العناب، قال بن عبد ربه ويطل على بونة جبل كثير الثلج وفيه مسجد لا يصيبه شيء من ذلك وإن عم الجبل..."، ويواصل التمكروتي وصفه لعنابة بقوله: "... قال أبو البقاء خالد ابن أبي خالد في رحلته: بونة مدينة مكينة وقلعة حصينة، شهيرة الإمتناع بائنة الإرتفاع معدومة الشبيه والنظير في القلاع..." [2].

إذن من خلال هذا الوصف فإن مدينة عنابة كانت تتصف بقلاعها الحصينة، إذ يردف **التمكروتي** في مواطن أخرى بقوله: "...وقد أقمنا بمرسى بونة يومين وهو مرسى حصين في جون[3] واسع جدا..." [4]، ولعل هذا ما جعل ميناء عنابة مرفأ آمنا لرسو السفن خاصة من عواصف الرياح، إذ كانت هناك الكثير من السفن تلجأ إليه لقضاء فصل الشتاء ومن خلاله تتم مراقبة النشاط البحري خاصة القرصنة المسيحية في فتحة البحر أمامه، إذ من المعروف أن نشاط الغزو البحري يفتر في هذه الفترة من السنة لسوء الأحوال الجوية[5]، وهو ما يؤكده

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني**، مجلة الأصالة، ع 34–35، مطبعة البعث، قسنطينة، 1976م، ص90.

[2] علي بن محمد التمكروتي: **المصدر السابق**، ص38.

[3] **جون**: في الجغرافيا هو الجزء الضيق من البحر الداخل إلى الأرض. **ينظر** ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1993م، ص08.

[4] التمكروتي: **المصدر السابق**، ص39.

[5] ليلى الصباغ: **عنابة بين اسمها وموقعها وعلاقاتها مع العالم المتوسط حتى الاحتلال الفرنسي**، مجلة الأصالة، ع.34–35، مطبعة البعث، قسنطينة، 1997م، ص155.

البكري في قوله ما نصه: "...ومن مرسى بونة تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم، وجزيرة سردانية .... وما والاها..."[(1)].

ومن خلال قراءاتنا نستطيع أن نقسم مركز عنابة إلى ثلاثة مراسي أساسية تمتد شمال وجنوب بونة الحديثة، وأقدم مرسى يوجد بخليج بونة هو سيبوس، ويوجد المرسى الثاني شمال المدينة بجون الخروبة، وشمال هذا المرسى يوجد الثالث وهو مرسى الألبيري المسمى حاليا شاطئ البرج الجينوي، والذي سماه شاو Shaw بمرسى البربر[(2)].

2/ المنشآت الدفاعية والعسكرية للمدينة:

نظم الميناء في المراسي الثلاثة التي مر ذكرها كما أسلفنا، أما عن تجهيزاته وتهيئته في هذه الفترة فلم تكن هنالك وثائق مادية تعرفنا بها، عدا ما ذكر عن الملاحة والملاحين باستخدامهم للتهيئة الطبيعية للساحل، فمجموع المراسي التي تكوِن المجمع المينائي لبونة، هي من التهيئة الطبيعية أساسا إلا برج البلارج، الذي بني بالقرب من رأس الخليج الممتد من مسجد أبي مروان، على الربوة التي يزيد علوها عن 50م، و يربط ما بين برج البلارج والمدينة سور في شكل جسر يبلغ عرضه 76م، وزينت واجهته البحرية بفتحات للمدافع وصلت لاحتواء 12 مدفعا، وهذا البرج بناه الجنويون سنة (946هـ/1540م)، وبه عدد من المدافع لحماية المدينة والميناء[(3)].

يبدو أن الدفاع داخل مركز المدينة كان معتمدا على الرباط الذي كان مسجد أبي مروان جزء منه بالدرجة الأولى، وذلك منذ بداية القرن (8هـ/14م)، ثم أصبحت قلعة القصبة الجهاز الأساسي نظرا للحامية والقيادة العسكرية التي انتصبت ابتداء من نفس القرن، حيث تعززت تلك الحامية بثلاث طبانات، نذكرها على التوالي:

1- **طبانة القصبة:** مقامة قرب مسجد أبي مروان.

2- **طبانة المقابر:** ملاصقة لبرج المعدمين، متكئة على السور الشمالي.

(1) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري: **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ج1، ص234.

(2) سعيد دحماني: **من هيبونة- بونة إلى عنابة-تاريخ تأسيس قطب حضري**، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2007م، ص280.

(3) سعيد دحماني: **المرجع السابق**، ص283.

3- طبانة القلعة: مقامة فوق باب البحر، متكئة على السور الجنوبي[1].

مما سبق يمكن القول، بأن السواحل الجزائرية شكّلت مراكزا وقواعد بحرية جهادية متقدمة في بلاد المغارب، والأمر الجلي الذي يمكن التنبيه إليه هو أن لكل مركز خصائص مختلفة تميزه عن غيره من الموانئ الأخرى، ولعلّ هذه الخصائص راجعة إمّا لعوامل طبيعية، عسكرية، اقتصادية...الخ.

وهو الأمر الذي يجعلها تلعب دورا كبيرا ومهما في مجال مقاومة الهجمات الأورومسيحية وعلى رأسها الإسبانية ، بدليل أن اهتمام حكام الجزائر العثمانية كان منصبا على رعاية الجانب الدفاعي والعسكري بالدرجة الأولى على باقي الجوانب، ومن باب أن الموانئ السالفة الذكر كانت تشكل دعائم لعدد من القواعد الدفاعية، لتكون شوكة في حلق التحرشات الإيبيرية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن دورها لم يُقتصر على الجبهة الدفاعية فقط بل تعداه الأمر إلى أن أصبحت تمثل قلب الإقتصاد ووجهته، وخاصة إذا تحدثنا هنا عن حجم المبادلات التجارية الداخلية والخارجية، بالإضافة إلى ذلك حجم العائدات البحرية المكتسبة من عمليات الجهاد البحري، وهو ما أهلها حتما لدخول ميدان المنافسة والصراع العسكري والتجاري مع الموانئ الأوروبية، هذا عن المراكز الجهادية الجزائرية المصنفة في مرتبة لاحقة بعد مركز مدينة الجزائر، والذي أفردناه بمبحث خاص نظير أهميته العسكرية، السياسية، الاقتصادية...، وهو ما سنتعرف عليه في النقطة الموالية.

---

[1] سعيد دحماني: **عنابة فن وثقافة**، وزارة الإعلام، الجزائر، (د، س، ن)، ص77.

المبحث الثاني- دار الجهاد (مدينة الجزائر) أهم مركز في المغارب خلال القرنين (10-11هـ/16-17م):

شهدت مدينة الجزائر خلال الفترة محل الدراسة أحداثا هامة، كالتحرشات الاسبانية وبناء قلعة البنيون وظهور الإخوة أبناء يعقوب (بربروس) في المنطقة، ثم إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، هذه العوامل مجتمعة دفعتها لكي تبرز كأهم مركز جهادي في الشريط الساحلي الجزائري على وجه الخصوص، وكمركز جهادي مغاربي بصفة أعم، وذلك بفضل الموقع الاستراتيجي الهام المحاذي للبحر المتوسط وكذا التحصينات الطبيعية، بالإضافة للتحصينات العسكرية والدفاعية التي أقامها حكام الجزائر العثمانية؛ كبناء القلاع والأسوار والأبراج، لتمكينها من مجابهة الاحتلال الأورومسيحي، وضمان منظومة دفاعية واستحكامات ناجعة يمكن الاعتماد عليها خلال الحروب والغارات. **ومن خلال هذا السياق يمكن طرح الإشكال التالي: كيف تم تأسيس مدينة الجزائر، وفيما تمثلت استحكاماتها الدفاعية؟**

أولا- الموقع والتأسيس:

يرجع إنشاء مدينة الجزائر للأمير الزيري "بولوغين" في النصف الثاني من القرن (4هـ/10م) وذلك كان على أنقاض مدينة رومانية قديمة تسمى (ايكوزيوم)، ووصف البكري بعض آثارها الباقية، وقال عن سبب تسميتها بالجزائر أنه كان نسبة إلى جزرها الصخرية الأربعة، ويُرجع الرحالة المسلمون ازدهار الجزائر ونشاطها التجاري إلى القرنين (4هـ/10م) و(6هـ/12م)، ويذكر البكري أن مرسى الجزائر مُؤَمن تقصده السفن من إفريقية والأندلس وغيرها[1].

كان ميناء الجزائر يمتد إلى جانب المدينة على شكل هلالي قطعة فاتنة من طبيعة الجنوب[2]. إلا أنه من الناحية الطبيعية كان معرّضا للرياح الجنوبية الغربية حتى أنها قد تتسبب

---

[1] البكري: **المصدر السابق**، ص247.

[2] هاينريش فون مالتسان: **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، تر. أبو العيد دودو، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1،ص19.

في إتلاف وغرق بعض السفن الراسية، أما من باقي الجهات الأخرى فإن الميناء كان آمنا إلى حد ما [(1)].

ويصف ابن المفتي في تقييداته ميناء الجزائر بقوله: "...كان ميناء الجزائر ملاذا لكل القادمين مسلمين كانوا أو كافرين حتى زمن احتلال النصارى للحصن الكبير"[(2)]، ولقد تغير مصير مدينة الجزائر عندما شيد الإسبان قلعة على إحدى الجزر المقابلة لها، وبعد قدوم أبناء يعقوب (الإخوة بربروس) تخلصوا من حصن البنيون، ولم يبق منها سوى برجين فقط، ولتفادي أي خطر قاموا بطمر القنوات الواصلة بين الجزر وربطوها باليابسة لتشكل رصيفا طويلا، طوله 200 متر وعرضه 25 مترا، وارتفاعه 4 أمتار يربط المدينة بالسفن والأساطيل، بهذا تكون قد اكتملت منشآت ميناء الجزائر في القرن (10هـ/ 16م) [(3)]، وبعد بناء تحصينات عديدة مكان الجزر، زُوّدت ببطاريات المدافع ليصبح ميناء الجزائر موقعا عسكريا حصينا [(4)]، ووجدت السفن أخيرا مخبأ من خلاله تستطيع الإلتجاء إليه، ومنذ ذلك اليوم وحتى سنة (1245هـ/1830م) كانت مدينة الجزائر تثير الرعب والهلع في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

أما بيري رايس فقال عنها: "الجزائر قلعة تأسست على منحدر يقع في الناحية المقابلة لطلوع الشمس، وتتشكل من ثلاثة أقسام: قسم منها يقع على ساحل البحر، وقسم آخر يقع على منحدر الجبل، بينما يقع الشطر الأخير منها على أرض سهلية، وكان يقيم في هذه القلعة أروج رئيس الذي قدم مع أخيه خير الدين رئيس من بلاد الروم، وفي الساحل المقابل للقلعة توجد جزيرة صغيرة تبعد عن القلعة رمية سهم، وعندما بلغ العبد الفقير تلك الديار كان البحارة العرب قد أقاموا برجا للمراقبة على تلك الجزيرة، وجعلوا منه قاعدة لهم، ثم استولى كفار إسبانيا على ذلك البرج، وقاموا بتحويله إلى قلعة حصينة، شحنوها بالرجال والمدافع، والآن كل يوم تجري معارك بين أهالي الجزائر والجنود الإسبان المتحصنين في تلك القلعة، ويفصل قلعة

---

(1) ج، أو، هابنسترايت: **رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145-1732م)**، تر وتق وتعل: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008م، ص36.

(2) حسين رجب شاوش بن المفتي: **تقييدات ابن الفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها**، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م، ص79.

(3) محمد خير فارس: **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، كلية الآداب، دمشق، ط1، 1969م، ص101.

(4) هابنسترايت: **المرجع السابق**، ص 36.

الجزائر عن الجزيرة مضيق ضحل يمكن للمرء أن يقطعه مشيا، فكان من يقصد الجزائر يرسو بسفينته أو زورقه في تلك الجزيرة التي تقع شمال القلعة..." (1).

ثانيا- تحصينات مركز جزائر الغرب:

شهدت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني فترة متوهجة من تاريخها العسكري، لأنها حظيت بتنظيم عسكري محكم جعل منها مدينة محصنة دفاعيا، ومجهزة بوسائل ردعية هجومية، وذلك بفضل جهود حكام الجزائر الذين قاموا بتشييد مباني عسكرية لتأمين المدينة من الهجمات الخارجية، وقد تعددت أشكال وأنواع العمارة العسكرية فيها من أسوار وأبراج وثكنات عسكرية....، وهذا لرد هجمات العدوان الخارجي عليها.

إن النظم العسكرية التي انتهجتها الدولة الجزائرية خلال الفترة العثمانية في تشييدها للاستحكامات العسكرية على كل القطر الجزائري إنجاز يستحق الوقوف أمامه، خصوصا بمدينة الجزائر كونها عاصمة الدولة ومركز التحكم والتواصل مع الولايات الأخرى، فكان لزاما على القائمين على الشأن الدفاعي تأمين عاصمتهم من أي اختراق(2).

وعلى هذا الأساس اهتم الحكام العثمانيون بتحصين مدينة الجزائر معماريا من خلال إعادة بناء أسوارها بشكل متقن، وتشييد الحصون والأبراج وإحاطتها بالمدينة، حتى يتسنى للجيش وسكان المدينة من الدفاع على مدينتهم وحفظ أعراضهم وممتلكاتهم من السطو الأجنبي أو المحلي، وعندئذ يمكن التعبير على أن مدينة الجزائر في هذا السياق، كانت مدينة حربية، ولا يعني ذلك بتاتا أنها فقدت وظائفها الاقتصادية، الإدارية، الاجتماعية والثقافية(3).

1/ الأسوار:

شكلت إيالة الجزائر رفقة الولايات القريبة منها جبهة حربية فرضت على الدولة العثمانية اتخاذ الإجراءات اللازمة لتمكينها من التصدي لهجمات الدول الغربية وعلى رأسها اسبانيا والبرتغال، ولهذا كان لزاما على بايلرباي جزائر الغرب العمل بكل ما من شأنه تمكين الإيالة من

(1) Piri Reis: **op.cit**, p161. نقلا عن محمد دراج: **الجزائر في المصادر العثمانية...، المرجع السابق**، ص ص58-59.

(2) عثمان مفتاح: **أبراج الجزائر القائمة-برج القنيطرة بالحراش نموذجا**، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج 3، ع1، جانفي 2021م، ص 106.

(3) بلبروات بن عتو: **المدينة والريف بالجزائر ...، المرجع السابق**، ص40.

التصدي للاعتداءات. ومن الإجراءات التي اتخذها إقامة التحصينات المطلوبة وإجراء الصيانة اللازمة للقلاع والأبراج العسكرية [(1)].

ذكرت الكتابات التاريخية أن الأسوار هي من أساسيات البناء المعماري القديم، منها ما يتعلق بإكساب المدينة مظهرا جماليا، ومنها ما يتصل بالوقوف في وجه المتغيرات الطبيعية من فيضانات وعواصف، وكذلك حماية المدن عند تعرّضها للغزو والعدوان، حيث تعد الأسوار حائطا دفاعيا صلدا للوقوف بثبات في وجه المعتدين وتعزيز الصمود والمقاومة [(2)]. لذلك اهتم الحكام بتحصين مدينة الجزائر معماريا، بإعادة بناء أسوارها بشكل متقن وإحاطتها بالخنادق، كما اهتموا بحماية الثغور وتخوم الدولة بإنشاء سلسلة من الحصون والبطاريات [(3)]، والتي نأتي على ذكرها لاحقا بالتفصيل.

حيث وُضعت هذه المنشآت بمناطق جد حساسة تستجيب لمبدأ الدفاع من الاعتداءات الخارجية، حتى أصبحت بذلك من أشد مدن المغارب تحصينا، ولُقبت بدار الجهاد والمحروسة[(4)].

[(1)] فاضل بيات: **البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، تق: خالد إرن، منظمة التعاون الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول (إريسكا)، إستانبول، 2019م، ج8، ص46.

[(2)] مصطفى أحمد بن حموش: **المدينة والسلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني**، دار البشائر، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دمشق، 1999م، ص245.

[(3)] **البطاريات**: يقصد بيها أيضا الطبخانات وهي معاقل للمدفعية في الأسوار والحصون والأبراج في التراب بعد حفر حفرة وإحاطتها بأكياس من التراب أو الرمال. **ينظر** بلبروات بن عتو: **الريف والمدينة**...، **المرجع السابق**، ص 41.

[(4)] بعض نماذج الوثائق المذكورة فيها دار الجهاد والمحروسة:

- أ.ع: **مهمة دفتري** 12، حكم 1088، ص 571، بتاريخ 9ذي القعدة 979هـ/22 مارس1572.
- أ.ع: **مهمة دفتري** 18، حكم 288، ص ص 135-136، بتاريخ 19 شوال 979هـ/4 مارس 1572م.
- أ.ع: **مهمة دفتري** 22، حكم 273، ص136، بتاريخ 15 ربيع الأول 981هـ/13 جويلية 1573م.
- أ.ع: **مهمة دفتري** 22، حكم 359، ص 186، بتاريخ 28 ربيع الأول 981هـ/27جويلية 1573م.
- أ.ع: **مهمة دفتري** 22، حكم 419، ص218، بتاريخ 14 ربيع الأول 981 هـ /14 جويلية 1573م .
- أ.ع: **مهمة دفتري** 23، حكم 633، ص294، بتاريخ 23 شوال 981 هـ / 15 فيفري 1574م.
- أ.ع: **مهمة دفتري** 23، حكم 783، ص349، بتاريخ 18 ذي القعدة 981هـ/ 11 مارس 1574م.

عندما نتحدث عن أسوار مدينة الجزائر، فإن الأمر يتطلب بعض التدقيق، في وصف مسار الأسوار وتموضعها، فإذا كانت المدن التّلية الداخلية مثل قسنطينة وتلمسان ومعسكر وغيرها قد سورت من جهاتها الأربع، فإن مدينة الجزائر باعتبارها مدينة ساحلية بحرية، امتدت أسوارها على طول شريطها البري البالغ محيطه ألف قدم أما شريطها البحري الذي يبلغ محيطه ستمائة ألف قدم كان مكشوفا، إذ كان جزء فقط من السور قائما على الصخور، وبقية الشريط الساحلي تتداخل فيه الحصون والأبراج والبطاريات (الطبانات) بالمباني السكنية [(1)].

وطبقا لماورد في هذا الحكم، قام حاكم الجزائر أحمد عرب بحفر خندق واسع وعميق بين باب عزون وباب الجديد في الجزائر مركز الإيالة، وبنى على جانبي الخندق جدارا محكما وعاليا وكدس التراب في موازاة القلعة خارج الخندق، وبنى جسرا من أربع فتحات وبابا عاليا على رأسه، كما بني برجا محشوا من الداخل وذلك للحيلولة دون تقدم العدو في حالة قيامه بالهجوم على المدينة[(2)]. وكلف الأتراك من 3 إلى 4 حراس على كل باب علاوة على حراس السور الأصلي، وهذا السور عريض يتماشى والتضاريس جهتي التلة مشكلا مثلثا [(3)].

وقد كانت المدينة محاطة من جهة البر بسور وخندق وسور آخر أقل منه ارتفاعا، ولانقطاع هذا السور من جهة البحر فقد كانت السكنات العمرانية هي التي تحدّ المدينة من جهة الشاطئ، وللدفاع كانت هذه المدينة مزودة من جهة البحر ببطاريات وحصون متداخلة مع المباني، بالإضافة إلى المدافع والحصون التي كانت تتوزع على طول الميناء[(4)].

وعلى حسب الوصف الذي وضعه هايدو في مخطوطه الذي طبع سنة (1020هـ/ 1612م) والذي يعود في الأصل إلى سنة (1004هـ/ 1596م)، حيث كان يدير ظهره للبحر ويستقبل الهضبة فيقع باب الوادي على يمينه فكان وصفه لسور المدينة على أنه يشبه قوس الحرب، فالجانب البري يمثل الجزء المقوس، وجانب البحر يكون وتر ذلك القوس، وكان السور في الجانب المقوس الذي يأخد في التصاعد ابتداء من البحر إلى قمة الهضبة ذا ارتفاع

---

(1) بلبروات بن عتو: **المنشآت الدفاعية ...، المرجع السابق** ، ص 150.

(2) أ.ع: **مهمة دفتري** 22، حكم 273، ص 136، بتاريخ 15 ربيع الأول981هـ/13 جويلية1573م.

(3) عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص 68.

(4) بدر الدين بلقاضي، مصطفى بن حموش: **تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفيلوكس**، موفم للنشر، 2007م، ص 51.

متجانس يصل إلى ثلاثين شبرا، أما على جانب البحر فقد شيد جزء من هذا السور على الصخور فقد كان ارتفاعه يبلغ زهاء 40 شبرا، أما سمك السور فقد كان بين 11 و12 شبرا، وكان يتوسط الجانب البحري الرصيف المائي المسمى خير الدين بربروس الذي أنشئ ليكون ميناء[1].

كتب ديفولكس عن أسوار مدينة الجزائر بوضوح ذاكرا سورين: سور داخلي عالي، وسور خارجي أقل ارتفاعا من الأول، يتباعدان بنحو ستين قدما، وينطلقان من باب الوادي في غرب المدينة وباب عزون في شرقها ويتقاطعان عند القصبة الجديدة العليا في جنوب البلاد، وطولهما يقارب 1780مترا[2].

أما الراهب دان فقد أورد مايلي: "إن أسوار المدينة جيدة بما فيه الكفاية، مبنية بالآجر والحجر ولها أبراج مربعة، التي يقع أحسنها صوب باب السنة (عزون)، حيث توجد عند أسفل السور حفر عميقة، ومن جهة البحر يقع السور فوق الصخر الذي تتكسر عليه الأمواج"[3].

تمثل الأسوار سلاحا دفاعيا ناجعا منذ القدم، إلا أنها لا تسمح بتوسع مستمر لعمران المدينة، ويعتقد أن انغلاق المدينة بأسوارها جعل ديارها متراصة، وعالية البناء ومعظمها بطابق علوي، وطرقها وأزقتها ضيقة، وفي المقابل يمكن أن يتمّ التوسع العمراني خارج الأسوار أي الفحوص[4].

وقد كان أول اهتمامات العثمانيين عند إلحاق الإقليم بالسلطة المركزية بالباب العالي هو تحصين المدينة وتجهيزها بأسوار منيعة تحفظها من هجمات الأعداء الذين تكالبوا عليها. ومن بين أهم التحصينات نجد الحصن الرئيسي المسمى بالقصبة القديمة الذي أُنشئ سنة (921هـ/1516م) والذي أشرف على بنائه عروج، ثم القلعة التي تشرف على كل القصبة، حيث شُرع في تشييدها ابتداء من سنة (957هـ /1551م)، وهي ثكنة كبيرة لإيواء جند الانكشارية المرسلين من طرف الباب العالي، كما أحيطت المدينة بسور عريض، تحده خنادق تنتهي بشرفات وفتحات للرمي إلى جانب الطبانات والتي تعرف باسم "توب بانا" وقد وصفه

---

[1] **نقلا عن** بدر الدين بلقاضي، مصطفى بن حموش: **المرجع السابق**، ص52.

[2] **نقلا عن** بلبروات بن عتو: **المنشآت...**، **المرجع السابق**، ص150.

[3] بيير دان: **المصدر السابق**، ص104.

[4] بلبروات بن عتو: **المنشآت...**، **المرجع السابق**، ص 152.

الجاسوس بوتان Boutin بقوله: "تشمل أسوار مدينة الجزائر على جدار قديم يتراوح ارتفاعه بين 11و13م تتخلله فتحات للمدفعية تبلغ في مجموعها 214 فتحة، كما تتخلل هذا السور على مسافات صغيرة أبراج مربعة الشكل...، وقد شيدت هذه الأسوار سنة (946هـ/1540م) من قبل حسن آغا على شكل مثلث متساوي الأضلاع تقريبا، ترتكز قاعدته على البحر والضلعان الآخران يرتفعان بشكل متباين على طرف هضبة، حيث يكون الانحراف مع الأفق بزوايا 15 و20 و25 درجة"[1].

2/خندق المدينة:

بالإضافة إلى الحصون والقلاع التي كانت تدافع عن المدينة كان هناك خندق يوازي الأسوار من الجهة الأرضية، يبلغ عرضه في بعض الأحيان 16 قدما، وقد أفادنا عبد القادر حليمي أن خندق المدينة يعود تخطيطه إلى سنة (940هـ/1534م)، في عهد حكم حسن آغا، وذكر أنه محكم البناء، يصعب عبوره وتتخلله جسور متحركة يمكن رفعها وقت الحاجة[2]. والخندق الذي يحيط بحصن القصبة كان نظيفا وعميقا بقدر 20 قدما تقريبا، وكان الخندق يستمر على تلك الحال إلى غاية وصوله البحر على طول مسافة تقدر ب 450 قدما، ويرجع سبب هذا الإعتناء لمشروع ضخم قام به الباشا عرب أحمد سنة (980هـ/ 1573م) الذي كان يرمي إلى تنظيف وإعادة حفر الخندق كله حول المدينة[3]، وكان ذلك في إطار سياسة عملية تجديد وإعادة بناء سور مدينة الجزائر خلال القرن (10هـ/16م)، فتم إنشاء خندق جديد يحيط بالمدينة، كسلاح دفاعي يدعم السور، وقد سماه المكناسي في رحلته بالحفير، وهو محصور بين السورين الداخلي والخارجي، ويوازيهما من الجهة الأرضية حيث ينتهي عند ساحل البحر[4].

---

[1]Boutin(v.y) : **Reconnaissance de villes fort et forters d'Alger, Paris**, 1927, pp18-32.

[2] عبد القادر حليمي: **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م**، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، ط1، 1972م، ص231.

[3] أ.ع: **مهمة دفتري** 22، حكم 360، ص ص 186-187، بتاريخ 28 ربيع الأول 981هـ/ 27 جويلية 1573. يُنظر: **الملحق رقم 02**.

[4]بلبروات بن عتو: **المنشآت...**، **المرجع السابق**، ص153.

وقد جاء في الرسالة التالية التي تضمنت ردا على رسالة سابقة لها[1] أرسلها الباشا أحمد عرب يُطمئن فيها الباب العالي عن أحوال الجزائر مايلي: "..نظرا لكون دار الجهاد الجزائر(جبهة حربية)، فقد قمت بحفر خندق واسع وعميق بين باب عزون وباب الجديد وعلى جانبيه تم بناء جدار ومحكم وعال، وتم تكديس التراب خارج الخندق وفي موازاة القلعة، وبني جسر من أربع فتحات وباب عال على رأس الجسر، كما بني برج محشو من الداخل، مما أدى إلى رفع الأضرار عند وقوعها.."[2].

وقد وصف ديفولكس على لسان بوتان سنة(1222هـ/1808م) خندق المدينة قائلا: "لقد حفر الخندق في شكل شبه مثلث، وكان هناك منحدر في جهة كل ضلع، يستمر ابتداء من الباب الجديد إلى غاية باب عزون، و كذلك أعلى وأسفل باب الوادي..، و بالجملة كان عرض الخندق يتراوح بين 18 و25 مترا، لكنه لم يكن مستمرا إذ كانت تتخلله مواضع مليئة.."[3].

كان الخندق خاليا من المياه، و أدى التسيب والإهمال واللامبالاة وافتقاد الوعي البيئي إلى كونه في بعض الفترات موضعا لرمي النفايات والفضلات والتراب مما قلص من عمقه، ويُستثنى من ذلك خندق القصبة العليا وخندق باب الجديد اللذان كانا نظيفين بفعل حرص السلطات المحلية على ذلك، ولهذا نرى أن الخندق يعزز السور، ويجعل كل محاولة لاقتحام المدينة العاصمة صعبة، ويمكّن رجال المدفعية والبنادق من تثبيت رميهم وإصابة الأهداف من مختلف الفتحات النارية التي تم تخطيطها في الأسوار والأبراج والحصون، ونلاحظ أيضا أن الخندق قد صمم بطريقة ذكية تخدم مصالح المدينة من جهة والحكم العثماني من جهة أخرى، فهو مفقود على البحر، وفي المحيط الخارجي للمدينة، وذلك لتفادي عرقلة حركة الأشخاص والبضائع في البر والبحر، وإذا كان الخندق يساعد على توفير الأمن والأمان لسكان مدينة

---

[1] جاء في هذه الرسالة تشديد الباب العالي على ضرورة بناء الأبراج في المواضع المخيفة والخطرة وتعمير الأماكن المحتاجة للتعمير من القلاع، وتنظيف الخنادق ومزاغل المدافع..، ينظر:

أ.ع: **مهمة دفتري** 21، حكم 645، ص272، بتاريخ 22 ذي الحجة 980هـ/ 24 أبريل1573م.

[2] أ.ع: **مهمة دفتري** 22، حكم 273، ص136، بتاريخ 15 ربيع الأول981هـ/13 جويلية 1573م. يُنظر: **الملحق رقم 03**.

[3] **نقلا عن**: بلقاضي وبلحموش: **المرجع السابق**، ص79.

الجزائر، فإنه في المقابل لا يسمح بتوسع عمراني داخل الأسوار، وهذا ما جعل السلطة الاستعمارية الفرنسية تقوم بردمه لفتح المجال للبناء السكني واستحداث الشوارع[1].

3/الأبواب الرئيسية لمدينة الجزائر:

تمتعت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بجملة من المرافق ذات الغرض الدفاعي، حيث يتخلل سور المدينة العديد من الأبواب، وكانت مصنفة حسب أهميتها إلى صنفين، رئيسية وثانوية، تمثلت الأبواب الرئيسية في باب الوادي وباب عزون وهما موجودان عند نهاية شارع كبير يبلغ طوله 1260خطوة، فباب الوادي يقع في الناحية الشمالية، وباب عزون بالتقريب نحو الجنوب، ويفتح الباب الجديد الذي يبعد عن القصبة ب 132متر صوب الجنوب الغربي ويؤدي إلى حصن الإمبراطور [2].

أما جهة البحرية فنجد فيها بابين يفصل بينهما ب 200 خطوة، أولهما باب الدزيرة نسبة للجزر المقابلة لمدينة الجزائر وثانيها باب البحر، وبالنسبة للأبواب الثانوية والتي أشار إليها هايدو، هي باب القصبة وباب دار الصناعة، كما ذكر كلاين بأن هناك باب بالقرب من مسجد رمضان ويسمى بباب سيدي رمضان، وكانت هذه الأبواب تفتح عند الشروق وتغلق مباشرة بعد الصلاة، وباب الوادي تدخل ضمنه منطقة شمال غرب العاصمة من باب الوادي حتى بوزريعة [3].

أ- باب الوادي: يسمى باب الوادي بباب الموت لأنه كان يطل على الوادي، ويفصل باب الوادي عن الريف بخندق بُني بالآجر والبلاط بين المدينة والضواحي و يحميها من الجهة سور المدينة المزدوج وينتهي الباب بقبو طويل يسده بابان خشبيان بصفائح حديدية ترتكز عليها بطارية مزدوجة مسلحة بالمدافع التي تشرف على المدينة والريف، إلا أن هذه البطارية كانت ضعيفة جدا حيث يصفها هايدو بأنها تحتوي على ست فتحات للمدفعية اثنان موجهان نحو الجهة الأمامية واثنان على الجانبين الآخرين [4].

---

[1] بلبروات بن عتو: **المنشآت...، المرجع السابق** ، ص ص 153-155 .

[2] مارمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج 1، ص ص526- 527.

[3] **نقلا عن** هاينرش فون مالتسان: **المرجع السابق** ، ص75.

[4] **نفسه**، ص 75.

بينما ذكر دوفولكس أن باب الوادي كانت له أربعة فتحات للمدفعية مفتوحة كلها نحو جهة واحدة، وكان بجواره خندق مد عليه جسر ، وإذا قارنا بين كلام هايدو والذي جاء في نهاية القرن (10هـ/16م) بكلام دوفو الذي كتب عنها في النصف الثاني من القرن(13هـ/19م) فيظهر لنا أن الباب قد رُمم أو أعيد بناءه بين هذين القرنين [(1)].

وكان لباب الوادي نهج تجاري يخدم مستلزمات الأهالي حيث كان هناك أسواق عديدة أهمها سوق البلاغجية يصنع فيه الأحذية من الجلد المطلق ومن الفيلالي المجلوب من تافيلالت بجنوب المغرب الأقصى، وهكذا كان باب الوادي من بين أهم الأبواب الفعالة والدفاعية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني [(2)].

ب- باب القصبة: يقع هذا الباب على بعد 800 خطوة من باب الوادي تقريبا في الجهة الجنوبية الغربية يكاد أن يكون سري، يقع بين مسجد الداي وجناح الحريم الذي يتبع قصر الداي، وفي نفس الاتجاه نجد بابا آخر صغيرا متصلا بالقصبة حيث كان البابان مخصصان لعبور الإنكشارية، والجنود الذين يسكنون ويحرسون هذه القلعة [(3)].

ج- باب الجديد: وهو من أحدث الأبواب نظرا لوعورة المسالك المؤدية إليه، ويُفتح مباشرة على الجهة الجنوبية الغربية للسور ويؤدي لحصن الإمبراطور بعد انقضاء مسافة 400 متر من الباب الثاني للقصبة، ويذكر هايدو حول هذا الشأن أنه عندما تنزل من القصبة باتجاه الشرق على بعد 132 متر، نجد الباب الجديد الذي كان جانبه الأيسر مدعما ببرج صغير يبلغ ارتفاعه 23 شبرا مدعما بست فتحات للمدفعية، اثنان على الواجهة الخارجية واثنان بكل جانب [(4)].

وسمي بباب الجديد عندما قام عرب أحمد باشا بإعادة تحصين مدينة الجزائر، أي أنه بُني في زمن لاحق بالنسبة لبقية الأبواب، وبعد دخول فرنسا الجزائر اتخذت منه رمزا لقوتها وشهد

---

(1) مارمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج1، ص 526 .

(2) يحي وزيري: **موسوعة العمارة الإسلامية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1999م، ص187./مارمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج1، ص 526.

(3) هاينريش فون مالتسان: **المرجع السابق**، ص75.

(4) يحي وزيري: **المرجع السابق**، ص187.

هذا الباب انتقال مقر الحكم من ساحة الشهداء إلى القلعة بأعلى بقعة في القصبة لكنه لم يُعمّر أكثر من غيره لأن الاستعمار أزاله لبناء شارع النصر (1282هـ/1866م) [1].

د- باب عزون: بني هذا الباب بعد 400 خطوة من باب الجديد، الطريق الجنوبي الشرقي للمدينة على محور باب الوادي الذي يتصل بواسطته ممر مستقيم يبلغ طوله 1260 خطوة وأن الباب مازال يحمل نفس الاسم، يضاف إليه اسم الشارع الممتد من ساحة الشهداء إلى ثانوية الأمير عبد القادر (شارع باب الوادي) حاليا، وبالنسبة لذلك الممر الواقع بين باب عزون وباب الوادي فإنه يحتوي على قبوين؛ أحدهما داخلي يبلغ طوله 17 مترا، يقع على محور باب عزون والآخر خارجي يقع على 34 مترا. على يمين الأول مقابل شارع بكووس وسمي هذا الباب بباب عزون نسبة لأحد الثوار من الأهالي اسمه عزون كان قد ثار ضد الحكم العثماني لمدينة الجزائر[2].

تم بناء هذا الباب بالحجارة المشذّبة وهي مزدوجة بها فتحة على محور شارع الأسواق، كما كان هذا الباب نهجا ترى فيه الأسواق تتلو بعضها البعض، منها سوق الخراطين وسوق الرحبة للقمح والحبوب بقرب باب عزون [3].

وترتّب عن الجدارين فتحات للرمي تتصل بها قنطرة حجرية ترتكز على عقود تعلو خندقا عريضا، وخوفا من هجوم السفن المسيحية التي شاركت في معركة ليبانت (978هـ/1571م) على مدينة الجزائر سارع عرب أحمد باشا لتهديم ضاحية باب عزون وأُعيد بناءها من جديد عام (979هـ/ 1572م) وكان هذا الباب من أهم أبواب المدينة وأكثرها ازدحاما.

هـ- باب دار الصناعة: هما بابان يشرفان على البحر ويتصلان بدار الصناعة الواقعة بالواجهة البحرية وبنيت بالحجارة مع العلم أن لكل منها أبعاد كافية ولإحدى هاذين البابين جدار يبلغ ارتفاعه 2طابية (يتجاوز متر واحد) ويحتوي على باب خشبي به قفل يسمح بدخول وخروج عمال دار الصناعة [4].

---

[1] يحي وزيري: **المرجع السابق**، ص 188.

[2] بلبروات بن عتو: **المدينة والريف...**، **المرجع السابق**، ص42.

[3] عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص 232.

[4] عامر حسن أحمد عجلان: **العمائر الحربية الأندلسية**، مجلة دورية كان التاريخية، ع.32، 1982م، ص 42.

ثالثا- المباني الدفاعية بمركز جزائر الغرب:

إن أهم التحصينات المشيدة في الميناء هي الأبراج والطبخانات (البطاريات)، والتي عادة ما تبنى هذه الأخيرة بمدينة الجزائر بين الأبراج، لكن ما يميز البرج عن الطبانة هو انعدام المرافق المعيشية في هذه الأخيرة، ولهذا السبب نجد أن معظم طبانات الجزائر بنيت بمقربة من برج أو ثكنة عسكرية، لكي يستفيد القائمون عليها من النزول بداخل هذه الأبراج[1].

1/الأبراج:

أولى حكام الجزائر العثمانية اهتماما شديدا بإنشاء الأبراج، وذلك إثر تشديد الباب العالي على ضرورة تحصين المدينة وتعمير القلاع والأبراج لصد الهجمات الأورومسيحية على دار الجهاد[2]. وتعددت أبراج مدينة الجزائر على النحو التالي:

أ- **برج مرسى الذبان القديم:** يرتفع عند نهاية الرأس الضيق والمنحدر الذي يشكل إحدى جهات خليج المرسى الذي بناه الحاج علي آغا سنة (1081هـ/1671م)، ورممه محمد بن حسان باشا سنة (1136هـ/ 1724م)، يحرس البرج 15 جنديا، به 6 قطع مدفعية ويضم مصنعا للبارود[3]، بني هذا البرج على شكل حدوة الفرس، ويرجع تاريخ بنائه حسب ألبير ديفولكس Devoulx إلى فترة خير الدين[4]، بينما يُرجع بعض المؤرخين تاريخ تشييده لسنة (1081هـ/1671م)، حيث وصفه بوتان بأنه يتكون من طابقين، السفلي منه خاليا من الفتحات أما العلوي فيحتوي على مدفعين اثنين مُوجهين لليابسة[5]، وكانت حاميته تتكون من 12 مدفعا، أما جزئه الأمامي كان يحتوي على فتحتين في الجهة الشمالية ومرقب في الزاوية الشمالية الغربية، وفتحتين في الجهة الغربية ومثلهما في الجهة الشرقية[1].

---

(1) عامر حسن أحمد عجلان: **المرجع السابق** ، ص 154.

(2) أ.ع: **مهمة دفتري** 21، حكم 645، ص272، بتاريخ 22 ذي الحجة 980هـ/ 24 أبريل1573م../**مهمة دفتري** 21، حكم 639، ص267، بتاريخ 16 ذي الحجة 980هـ/1573م.

(3) فضيلة حمزاوي: **تحصينات مدينة الجزائر في العهد العثماني نماذج مختارة دراسة أثرية ميدانية**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، كلية الآثار والأنتروبولوجيا، جامعة يرموك، 2006م، ص79.

(4) Devoulx (A) **: Alger , Etude archéologique et topographique sur cette ville ,aux époques romaine (Icosium) , arabe (Djezair Beni-Maz'renna) et Turque (El-Djezair**), R .A, n28, 1878, p 228.

(5) Boutin**: op.cit**, p 38.

(1) Devoulx**: op, cit**, p 228 .

ب- برج قامة الفول: يقع على قمة الصخرة عند شاطئ البحر على بعد 1000 خطوة شمال غرب المدينة، بني سنة (987هـ/1580م) من طرف جعفر بإذن من حسن باشا، ورُمم عام (1183هـ/1770م) على يد الحاج علي[1]، اندرج هذا البرج تحت أسماء عدة كبرج الحاج علي، وبرج الإنجليز، أو رأس النادر، وبرج قامة الفول، يقع بالقرب من باب الواد، بمحاذاة البحر، ورغم موقعه المهم فإن هذا البرج صغير وقديم جدا، يتكون من طابقين: السفلي خال من فتحات المدفعية، والعلوي يشتمل على 22 فتحة نارية، بها 20 مدفعا، كما يحيط بها خندق، يُدخل إليه بواسطة جسر خشبي في جهته الشمالية الغربية[2].

ج- برج باب الواد: عرف هذا البرج بأسماء عديدة كبرج محمد باشا[3]، وبرج 24 ساعة وبرج ستي تاكليت وبرج قلج علي[4]، شيده محمد باشا سنتي (975-976هـ/ 1568-1569م)، يتكون من طابقين، السفلي منه خال من الفتحات النارية، أما العلوي فيشتمل على 34 فتحة بها 27 مدفعا، وهو محصن من جهة البحر[5]، يعتبره هايدو من ضمن الأبراج الرئيسية الثلاثة في الدفاع عن المدينة في القرن (10هـ/ 16م)[6].

2/بطاريات أسوار وقلعة المدينة:

تندرج عملية توزيع البطاريات المدفعية على أسوار المدينة ضمن مخطط دفاعي رسمه الأتراك العثمانيون لمقر حكمهم وعاصمة دولتهم، وقد أفادنا الدكتور درياس لخضر بصفحات عدّد فيها البطاريات المدفعية، وعرّف بكل واحدة منها، اعتمادا على مصادر أوروبية، وقد انتشرت هذه البطاريات على سطوح أسوار مدينة الجزائر وهي كالآتي:

أ-بطاريات السور الغربي للجزائر: إلى جانب الأبراج المقامة للدفاع عن المدينة في ناحيتها الغربية وُجدت أيضا مجموعة من الطبانات لتعزيز الخط الدفاعي أهمها:

---

(1) فضيلة حمزاوي: **المرجع السابق**، ص 77.

(2) لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص93.

(3) أ.ع: **مهمة دفتري** 21، حكم 640، ص 267، بتاريخ 22 ذي الحجة 980هـ/ 24 أبريل1573م.

(4) لخضر درياس : **المرجع السابق** ، ص49.

(5) Boutin (Y), **Op, cit**, p 36.

(6) Fray Diego De Haedo: **Topographie et Histoire generale d'Alger**, traduit de lespagnol par MM. le Dr. Monnereau et A. Berbrigger, in R.A,1870, n14, p425.

1- طبانة مرسى الذبان: تقع هذه الطبخانة قرب وادي فراح المنحدر من جبال بوزريعة وتحتوي على 12 مدفعا، ألقي بها في البحر أثناء الاحتلال الفرنسي للمدينة سنة(1245هـ/1830م).

2- طبخانة رأس النادر العليا أو قامة الفول: وقد كانت مسلحة بـ 8 مدافع، وكان يحرسها حوالي 55 مدفعي كلهم من حي بني مسوس.

3- طبخانة رأس النادر السفلى: تتمثل أسلحتها في 4 مدافع ويقوم بخدمتها حوالي 35 مدفعي كلهم من المواطنين المتطوعين للدفاع عن المدينة في مثل هذه الأوقات لأن المدفعيين النظاميين كانوا يُعينون في أبراج وطبخانات المدينة، ماعدا واحدا منهم وهو الباش طبجي الذي يقوم في حالة السلم بحراسة الطبخانة في حين يترأس المتطوعون في حالة الحرب.

4- طبخانة عيون بني مناد: أخذت اسمها كما يبدو من عين بني مناد، وكانت تحتوي على 11مدفعا كلها متجهة نحو البحر.

5- طبخانة الطابية: وتقع على بعد 125مترا شمال البرج الجديد، وحسب مخطط (1247هـ/ 1832م) كانت تحتوي على 11 مدفعا، ومساهمتها تعزيز القوة النارية للبرج الجديد.

6- طبخانة الحمراء: وتبعد عن سابقتها بحوالي 30 مترا، وكانت تحتوي على 8 مدافع حسب مخطط سنة (1247هـ/ 1832م).

7- طبخانة الكتاني: وتبعد ب 200 م عن الطبخانة الحمراء، شكلها يشبه حدوة الفرس، وحسب مخطط سنة (1245هـ/ 1830م) فقد كانت تضم 14 مدفعا.

8- طبخانة مجهولة: تقع بالقرب من الطبخانة السابقة، وعلى مسافة 45م وجدت طبخانة أخرى لايعرف لها اسم وكانت مزودة ب 3 مدافع[(1)].

ب- بطاريات السور الشرقي للمدينة:

تقع بالشرق 4 بطاريات هي طبانة الباب الجديد، طبانة حومة السيلاوي، طبانة باب عزون، طبانة العسل.

1- طبانة حومة السيلاوي: تقع على بعد 225م شمال شرق طبانة الباب الجديد، كان لها 9 فتحات للمدفعية، وعند جرد التحصينات بعد دخول القوات الفرنسية أخذت هذه البطارية

(1) لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص ص 103-104.

رقم7، كان يشرف على تحصينها قائد للمدفعيين باش طبجي، هدمت هذه الطبانة سنة (1286هـ/ 1870م) عند فتح شارع وريدة مداد[1].

2- طبانة باب عزون: بنيت من طرف أحمد عرب باشا سنة (980هـ/1573م)، وهذه الطبانة ذات شكل رباعي، يبلغ ارتفاعها 25.8 مترا وقطرها 6.6م تحتوي على 9 فتحات للمدفعية، تتجه 3 منها نحو الجنوب و3 نحو الشمال الشرقي و3 نحو الفحص[2].

3- طبانة العسل: بنيت عام (980هـ/ 1573م) من طرف أحمد عرب (979-981هـ/ 1572 -1574م)، غير أنه نظرا لموقعها الحساس عند إحدى زوايا المدينة المطلة على البحر من المستبعد أن تبقى دون تحصين لمدة طويلة تزيد عن نصف قرن، لذلك يقال أن أحمد عرب أعاد بنائها من جديد، تحتوي على 9 فتحات للمدفعية وزعت بمعدل 3 فتحات بكل من الجهات الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية، وبها 3 مدافع صغيرة[3].

ج- الطبانات الشمالية: رغم وجود تحصينات قوية للميناء فإن الجهة قد دعمت ب7 طبانات هي: طبانة المارستان، طبانة المستودع، برج باب البحر، طبانة قاع السور، طبانة الجامع الكبير، طبانة الجمرك وطبانة أرناؤوط مامي[4].

1- طبانة المارستان: أخذ تسميتها من المارستان أي المستشفى الذي كان يحاذيها، يشرف عليها باشا طبجي وكانت لها 4 فتحات للمدفعية على جهة واحدة[5].

2 - طبانة المستودع: رباعية الشكل لم تستعمل لقربها من الميناء من جهة، ولوجودها بمدخل دار صيانة المراكب الصغيرة، فاستعملت كمستودع لمراكب الصيادين[6].

3- برج باب البحر: يشرف على الميناء من الجهة الجنوبية، يحتوي على طابقين من المدافع به مجموعة من 36 قطعة، يشرف عليه قائد للمدفعية يعين مدى الحياة[1].

---

(1) أرزقي شويتام: **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي1519-1830م**، دار الكتب العربي للطباعة، الجزائر، ط1، 2007م، ص29.

(2) نور الدين عبد القادر: **المرجع السابق**، ص132.

(3) **نفسه**، ص 132.

(4) أرزقي شويتام : **المرجع السابق**، ص 30.

(5) بلبروات بن عتو: **المدينة والريف...، المرجع السابق**، ص42.

(6) علي خلاصي: **القلاع والحصون في الجزائر**، مطبعة الديوان، الجزائر، ط1، 2008م، ص64.

(1) أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص13.

3/حصن القصبة:

يطلق لفظ القصبة على المكان الذي به مقر الحاكم وحسب المتعارف عليه فإن القصبة هي جوف القصر، والقصبة هي أعلى نقطة حصينة في المدينة [(1)].

أ-موقعها: يقع حصن القصبة الذي يتوج المدينة ويتربع على قمتها على بعد 80 مترا من طبانة حوانيت الزيان، ذلك الحصن التاريخي الذي أصبح مقرا للحكم العثماني إلى غاية دخول الاحتلال الفرنسي، ويصور هايدو هذا الحصن بقوله: تبعد القصبة 400 قدم من البطارية السابقة، وهي في الواقع ليست إلا جزء من السور الخارجي للمدينة، يصل الارتفاع فيه 25 شبرا، ويخرج من جسم المدينة بنحو ثلاث أو أربع أقدام، ويمتد من الشمال إلى الجنوب بنحو 100 قدم، ثم يعود بزاوية ليلتحق بسور المدينة مرة أخرى [(2)].

تقع القصبة على انخفاض 300 متر على مستوي القصبة التي نعرفها الآن وفي الواقع هي امتداد نحو الغرب، ويعتبر من (959-980هـ/ 1552-1572م) تاريخ أقدم وثيقة عرفت، ويذكر حليمي أن قصبة الأتراك العثمانيين قد بنيت أعلى القصبة الصنهاجية وفي الموقع أكثر ارتفاعا من الموقع الذي اختاره بلكين لتوسيع جزائر بين مزغنة في القرن (4هـ/ 10م) أصبح لا يؤدي وظيفته الكاملة في القرن (10هـ/ 16م) [(3)].

وعندما اشتد طمع الاسبان في احتلال جزائر بني مزغنة التي حولت إلى عاصمة البلاد، تدفقت نحوها الهجرة الداخلية فالظروف التاريخية وعامل الحماية والنمو الديمغرافي، كلها أملت على عروج أن يصعد بالمدينة إلى القمة الأكثر ارتفاعا [(4)].

وابتداء من السنة الأولى (922هـ/ 1516م) لإقامة الأتراك العثمانيين شرعوا في بناء قلعة جديدة وهي القصبة، ثم شيدوا المتاريس والأسوار الجديدة للذود عنها ولحماية سكانها الذين تزايد عددهم أكثر، فبنى حسن باشا بن خير الدين سنة (957هـ/ 1550م) قلعة عظيمة في المكان الذي نصب فيه شارل الخامس (شارلكان) خيمته [(1)].

---

(1) نور الدين عبد القادر: **المرجع السابق**، ص 133,

(2) **نقلا عن**: بلبروات بن عتو: **المدينة والريف...**، **المرجع السابق**، ص 44.

(3) وليام سبنسر: **المرجع السابق**، ص53.

(4)بلبروات بن عتو: **المدينة والريف...**، **المرجع السابق**، ص 44.

(1) عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص 40.

واستمر الأتراك العثمانيون في بناء القصبة العليا إلى غاية (998هـ/ 1590م) واعتمدوا على محجر باب الوادي لنقل حجارة البناء، وهو موضع غير بعيد عن القصبة، ورغم المكان الاستراتيجي المهم الذي تحتله هذه المنطقة، إلا أنه لم يكن لها دور مهم، لأن مقر الحكم كان بالجزء الأسفل من المدينة، حيث مثل تاريخ (13 ربيع الثاني 1232هـ/أول مارس 1817م) انتقال المقر السياسي للمدينة من قصر الجنينة إلى القصبة، بسبب اندلاع عدة اضطرابات تسبب فيها الجيش الإنكشاري مما أوجد حالة من الفوضى واغتيال عديد الدايات[1].

حيث ذكر الشريف **الزهار** أن:" علي خوجة حصّن القصبة، ونادي في أهل البلد من المسجد وكانوا في القلق فدخلوا لدار الإمارة وأغلقوا الباب من ورائهم، ثم أريد أن انتقل إلى القصبة ويسكن بها لأجل أن تتقطع فتنة العسكر كل يوم من البلد ويتهني جميع الناس وقد بعثت لكم لكي تعينوني في هذه الليلة، وتكون لكم عندي حضوه كبيرة فأجابوه بالسمع والطاعة، فأمرهم بحمل السلاح من الذهب والفضة، وأعطاهم الشمع، وأمر بأن توقد شمعة بيد كل إنسان، وأن يحملوا كل ما قدروا عليه من المال والأثاث خلاف المال الذي على البغال فلما أتم ذلك، أمر بقطع الكنادر الذي يحمل السنجق، فوق دار الملك فقطعوه....... وذهبوا للقصبة وأمر بالسنجق فعلق على باب القصبة كما هي عادة الملك، وإطلاق خمسة مدافع، وبذلك أصبحت القصبة مقرا للحكم الجديد للحكام العثمانيين بالجزائر.." [2].

وقد أحيطت هذه القصبة بحائط عريض وله ثمانية أضلاع تحتوي على فتحات المدفعية التي تشرف وتسيطر على الميناء الخارجي، مشكّلة قلاعا واستحكامات أخرى مجهزة بقوة نارية إضافية للدفاع عن مدينة الجزائر، ومطوقة بأسوار ضخمة من الآجر ومزودة بـ50 مدفعا وتبدو للناظر من بعيد على شكل كتلة بيضاء ذات حدود واسعة، ولا يشعر بأنه أمام قلعة لولا المدافع التي تظهر من فتحات بطارياتها [1].

ب-البطاريات الدفاعية للقصبة:

هي البروج التي تتوج أسوار القصبة، أطلق عليها الحكام من الجيش النظامي اسم الطبانة وتسمى أيضا المتاريس في الأماكن المعزولة مثل البروج البرانية أو تحصينات الفحص، وقد كانت

---

[1] عزيز سامح التر: **المرجع السابق**، ص 50.

[2] أحمد الشريف الزهار: **مذكرات أحمد الشريف الزهار**، تر. أحمد توفيق المدني، الجزائر، 1974م، ص ص 26-27.

[1] عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص 42.

القصبة في مراحلها السابقة تتكون من حزام دفاعي قوامه سبع بطاريات، والجزء الجنوبي الشرقي من قصر البايات والطابق الأرضي من قصر الآغا، والطابق الثاني من جناح الحريم، لكن بعد انتقال مقر الحكم إليها واتخاذ الأجزاء الأخيرة مقرا لإيواء العدد الضخم من العمال العسكريين، واقتصر الجانب المعماري الدفاعي على البطاريات وهي كما يلي[1]:

1- البطارية الأولى: تقع البطارية الأولى بالجزء الشمالي الشرقي من القصبة، يحدها من الغرب قصر الداي ومن الجنوب حديقة النعام ومصنع البارود، ومن الشرق البطارية الثانية، التي يبلغ طولها 90متر، تحتوي على فتحات للمدافع والبنادق، ومازالت تحتفظ إلى يومنا هذا بحلقات معدنية كانت تمسك المدافع لامتصاص قوة البومبة التي تخرج من فوهته[2].

2- البطارية الثانية: تقع بين قصر البايات ومخزن الأسلحة من الجهة الجنوبية الغربية، وتتصل بالبطارية الأولى بواسطة ممر مقبى وقاعة طويلة مستطيلة الشكل، ورغم وجودها في نهاية القسم الجنوبي الشرقي، إلا أنها شُيدت على تراب مركوم، كانت في المرحلة الأولى تشكل امتدادا للبطارية الثانية، وبها أربع فتحات تراقب المدينة والبحر[3].

3- البطارية الثالثة: تقع غرب قصر البايات أو يحدها من الشمال مصنع البارود ومن الغرب البطارية الرابعة، نصل إليها عن طريق المنحدر الثاني الواقع شرق مصنع البارود، وبنيت هذه البطارية على مرحلتين، كانت الأولى فتحات الرمي مكشوفة على غرار البطارية الثانية، أما في المرحلة الثانية فقد دُعّمت هذه الفتحات ورفع جدار التحصين على الفتحة لتغطية فوهات المدافع التي لم تستعمل أبدا[1].

4- البطارية الرابعة: تقع في القسم الجنوبي من المدينة والقصبة، أي بين البطاريتين الرابعة الثالثة والخامسة ومصنع البارود، وقد هدمت مرافق هذه البطارية ولم يبق إلا آثارها، ويفصل بين البطارية الثالثة والرابعة مطبخ يغلق الممر بينهما. ونجد جنوب البطارية الرابعة قنطرة للمياه،

---

(1) هجيرة تمليكت: **التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر في العهد العثماني حصن تامنفوست نموذجا**، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، مصر، 2016م، ص 335.

(2) صالح عباد: **المرجع السابق**، ص 30.

(3) يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ج2، ص8.

(1) نعيمة بوحمشوش: **مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر**، وزارة الثقافة، الجزائر، دون سنة نشر، ص 183.

كانت تغذي القصبة والجزء الجنوبي من المدينة، وكانت المياه تصب خزانات كبرى بالقسم الجنوبي من القصبة ويبلغ طولها 12متر وهي في حالة ترميم وذلك لانهيار سورها [1].

5- البطارية الخامسة: يأخذ موقع الطبانة الخامسة في القصبة المكان الأكثر استراتيجية في القلعة، يحدها شمالا قصر الآغا ونادي الجيش، ومن الجهة الشرقية نجد الطبانة الرابعة التي تقع أقصى الجنوب الغربي من القصبة، أما من الجهة الغربية والجنوب فقد كان هذا البرج أعلى نقطة بالمدينة، وينتهي جدار التحصن من هذه الجهة، كما ربطت البطارية بقنطرة للمياه، وبسانية كانت غرب البرج تزود القاعة الشمالية من البطارية، وبداخل البطارية بُني خزان للمياه من الخرسانة المسلحة كانت تزود الثكنة العسكرية المجاورة [2].

6- البطارية السادسة: تقع في الجهة الغربية عند نهاية القلعة، ترتبط برواق يحتوي على غرفتين، وقد تم تهديم هذه الطبانة إبان الاحتلال الفرنسي ما بين سنتي (1253-1255هـ/ 1838-1840م)، وحسب مخطط سنة (1274هـ/ 1858م) كانت لا تزال تظهر فيه هذه الطبانة، منفصلة عن القلعة، مربعة الشكل تحتوي على ست قاعات مسقوفة بأقبية متقاطعة، تحتوي على خمس فتحات للمدفعية وخمس فتحات أخرى للبندقية [3].

7- البطارية السابعة: تقع هذه الطبانة مابين الطبانتين السادسة والأولى، يقع خلفها قصر الداي، وتعتبر الجزء العلوي، أو الطابق الأول لسقيفة المدخل الرئيسي، وهي تشبه إلى حد بعيد الطبانة السادسة، كونها تبدو خارج حجم القلعة، تحتوي الطبانة السابعة على خمس فتحات للمدفعية وفتحتين للبندقية والمراقبة عند كل زاوية للطبانة [1].

وقد ورد في الحكم أن الديوان الهمايوني خوّل البايلرباي والقاضي بالعمل على إزالة كل ما يحيط بالقلعة من المباني والبساتين الواقعة في أطراف قلعة الجزائر، للحيلولة دون اتخاذها من قبل العدو عند تعرضهم للقلعة، والإشادة بدور العسكر في تقديم الخدمات السلطانية في الجزائر، وتم الإبلاغ عن وجود الكثير من البساتين والبيوت والأبنية العالية في أطراف قلعة

---

[1] صالح عباد: **المرجع السابق**، ص31.

[2] عثمان مفتاح: **طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (920هـ -1514م/ 1246هـ -1830)**، دراسة أثرية معمارية، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو القاسم سعد الله، معهد علم الآثار، الجزائر، (2014-2015م)، ص 119.

[3] **نفسه**، ص127.

[1] عثمان مفتاح: **المرجع نفسه**، ص132.

الجزائر دار الجهاد، وذلك خوفا من الأعداء في حالة الاستيلاء على حين غرة، فإن هذه الأبنية والبساتين من الممكن أن تستخدم متاريس لهم، وعليه فإن هذه الولاية تحظى باعتبار كبير لدى الباب العالي، وهي دار الجهاد فيجب حراستها وحفظها، فتم إخلاء وتطهير أطراف القلعة بمقدار ما يصل للمدفع وإزالة الكروم والبساتين الكائنة في أرجائها، ولم يبق أي شيء من الممكن استخدامه كمتراس للعدو [1].

مما سبق يمكن القول أن تحصينات مدينة الجزائر خلال العهد العثماني والمتمثلة في الاستحكامات العسكرية كان لها دور وأهمية قصوى كونها دائمة الاستعداد للدفاع والمواجهة عن المدينة ومحيطها، كما ساهم شكلها وتخطيطها وتموقعها في تفوقها الدفاعي العسكري الميداني، ويتضح ذلك جليا عندما يداهم الخطر مدينة الجزائر جراء الحملات الأوروبية.

ونشير أن مدينة الجزائر خلال العهد العثماني شهدت حركة عمرانية كبيرة هدفها تعزيز القوة الدفاعية للمدينة وذلك في ظل الصراع القائم بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، حيث كان انتشار القلاع والحصون على طول الساحل البحري، ولم يكتف الجزائريون ببناء الأسطول ومقارعة المسيحيين في البحر، بل حصنوا المدينة بالأسوار والقلاع والحصون المزودة ببطاريات المدافع، حيث مثلت القصبة أعلى مكان للمدينة والتي كان فيها مقر الحاكم وذلك لتأمينها من التدخل الخارجي، ولنا في كتاب وليم سبنسر "**الجزائر في عهد رياس البحر**" خير دليل عن ذلك، فقد سميت الجزائر بالمحروسة، وذلك لكثرة التحصينات والاستحكامات فيها التي كانت من تشييد العثمانيين (ميناء الجزائر- قلعة الجزائر- قلعة شرشال...الخ)[2]، وكذلك تقارير **الفرنسي بوتان** (1222هـ/1808م) عن ميناء الجزائر. هذا فيما يخص تحصينات مدينة الجزائر، أما عن تجهيزات الأسطول الجزائري فإننا سوف نتعرف عليه في المبحث الموالي.

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** 22، حكم 359، ص 186، بتاريخ 28 ربيع الأول981هـ/27 جويلية 1573.

[2] للإطلاع على موقع ميناء الجزائر وقلعة الجزائر وقلعة شرشال، يُنظر: **الملحق رقم 04**.

المبحث الثالث– تجهيز الأسطول الجزائري:

تكونت النواة الأولى لبحرية الجزائر العثمانية نتيجة الاهتمام الكبير الذي لاقته، فقد أولى الحكام الجزائريون المتعاقبون أولوية للمجال البحري نظرا للخطر الذي كان يأتي من البحر، فبعد تحرير صخرة البنيون سنة (935هـ/1529م) والتي اتخذت قاعدة للبحرية الجزائرية بعد تحصينها،تم الالتفات إلى تنظيم الأسطول الحربي تنظيما محكما وأنشأت ترسانة لصناعة السفن، مما جعلها تظهر كقوة شديدة المراس، وكانت النواة الأولى للإخوة أبناء يعقوب (بربروس) الذين عملوا على تنميتها وتطويرها من الناحية المادية والبشرية، فشكّلوا مجموعة مكونة من المراكب البحرية وتمركزوا بها في مدينة الجزائر، وأكمل ذلك خير الدين من خلال تشييده لميناء مدينة الجزائر، وتركيزه على تحصين الميناء وتصليح مختلف أجزائه وتدعيم قدراته الدفاعية بوضع تشكيل من البطاريات والمدافع التي تسمح بالتصدي لأي اعتداء أجنبي، وكذا إنشائه لدار صناعة السفن الحربية، والتي لعبت دورا مهما في بناء السفن وتجهيزها بالمدافع، وكذا توفر المواد الأولية الخاصة بصناعة البارود وانتشار أماكنها وتعدّد مراكز إنتاجها عبر الإيالة، كما أن دار صناعة السفن في الجزائر كانت تتلقى كميات مهمة من الخشب وجميع المعدات اللازمة لبناء السفن وتجهيزها وتسليحها، ونظرا لفاعليتها الصناعية أولى لها الحكام فيما بعد أهمية بالغة.

أولا–صناعة السفن :

1/المواد الأولية وورشات صناعة السفن:

عرفت إيالة الجزائر في العهد العثماني نشاطا صناعيا مزدهرا، ومن بين هذه القطاعات قطاع الصناعات الحربية الذي ظل مزدهرا إلى أواخر الفترة العثمانية نظرا لتوفر الخبرات الفنية خاصة منها الجالية الأندلسية، ثم توفر المواد الخام الضرورية لمثل هذه الصناعات من جهة أخرى، ولعل أهم هذه المواد هي المعادن بأنواعها والأخشاب[1].

أ) **الحديد:** عنصر فلزي يشبه الفضة سريع الصدأ وقابل للسحب والطرق، تواجد هذا المعدن بالجزائر في أماكن كثيرة، فيقول البكري:" إنها تسمى بمجانة المعادن"[2]، وعن مكان هذه

---

(1) لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص 56.

(2) البكري أبو عبد الله: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، مطبعة أمريكا والشرق، باريس،1965م، ص 145.

المناجم يقول قزال بأنه يجب البحث عنها في ناحية جبل بوخمرة أو جبل بوجابور حيث يوجد مكان يعرف بهينشير الحديد.

ب) **النحاس**: الصفر والقطر والمس والنحاس، وهي أسماء ومرادفات للنحاس، تواجد هذا المعدن بالجزائر وخاصة في الفترة العثمانية بأماكن كثيرة، فتعتبر منطقة الشرق الجزائري من أشهر المناطق في إنتاج هذا المعدن، فقد ذكره ابن حوقل قائلا:" بأن معادنها كانت تحمل إلى إفريقيا وبلاد أخرى. ومن أهم المناجم في العهد العثماني نجد: منجم نحاس أم الطبول القريب من القالة، ومنجم الونزة بشمال تبسة، ومنجم جبل بوجابور، ومنجم جبل الحميات، ومنجم جبل سيدي رجيس"[1].

ج) **الرصاص**: وهو معدن ثقيل الوزن سمي كذلك لتداخل أجزائه، اشتهرت بلاد الجزائر بإنتاجه منذ القدم، ومن بين أهم مناجمه في العهد العثماني نجد: منجم خنقة كاف التوت قرب بجاية، ومنجم جبل الحلوف بين بجاية وسوق الأربعاء، ومنجم كاف أم الطبول في الجنوب الشرقي من مدينة القالة، ومنجم الطاية في الغرب من مدينة قالمة[2].

د) **الأخشاب**: كانت القوة البحرية الجزائرية تعتمد على الغابات القريبة التي تقدم لها الخشب اللازم لبناء هيكل السفن، والصواري، والأسطح والمجاديف، فالخشب هو المادة الأساسية في هذه الصناعة[3]، وخاصة في العهد العثماني، حيث يشير هايدو إلى منطقة شرشال وغاباتها الكثيفة التي كانت تستغل في صناعة بناء السفن، ويقول أن نقل هذه الأخشاب إلى الجزائر يتم عن طريق أناس مأجورين أو عن طريق الأسرى المسيحيين[1].كما استغلت أخشاب كل من جيجل والقل وعنابة والمناطق الغابية المحيطة بها مثل غابات إيدوغ وبني صالح والقالة وسيبوز، ففي أواخر الحكم العثماني انتقل امتياز استغلال الغابات واحتكار التجارة التي تتم في بجاية مع المقرانيين وغيرهم إلى الدار اليهودية للتجارة في مدينة الجزائر، التي تعهدت بدفع مبالغ

---

[1] ابن حوقل أبو القاسم: **كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة**، بيروت، ص 77. / درياس لخضر: **المرجع السابق** ، ص 64.

[2] نفسه، ص 67.

[3] مولاي بالحميسي: **صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك**، مجلة الدراسات الأثرية، العدد 3، معهد الآثار جامعة الجزائر، 1995م، ص 52. / عبد الحليم سرحان: **تطور صناعة...**، **المرجع السابق**، ص 57.

[1] **نقلا عن** لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص 71.

معتبرة لحكام الجزائر، غير أن اليهود لم يتعاملوا مع سكان بجاية إلا من خلال وكلاء، ففي عهد الداي حسين، وقع خلاف كبير بين بني فوغال بجيجل والوكالة اليهودية، حتى يتم قطع كمية كبيرة من الأخشاب طلبتها دور الصناعة[1]. وقد كانت الصناعة الخشبية الموجهة لتشييد السفن المختلفة تعتمد على أنواع من الخشب، لعل من أبرزها:

- البلوط بأنواعه الأخضر والفلين، والزياني.
- الصنوبر، ومن أنواعه الحلبي والبحري.
- الأرز، من أشهره الأطلسي[2].

هـ) **الحبال**: يقول ابن بطوطة في هذا الشأن: "كانت الحبال تصنع من ألياف جوز الهند، وهذا الشجر من أغرب الأشجار، وعليه ليف يشبه الشعر، وأن الحبالة التي يخيطون بها المراكب تصنع من هذا الشعر[3]". وكثيرا ما كانت سفن بحارة الجزائر تتعرض للأضرار خلال رحلاتها البحرية، ومنها تحطم الأشرعة والصواري مما يحتم تصليحها بواسطة الحبال، وكانت هذه المواد تأتي إما عن طريق هبات من الدولة العثمانية أو عن طريق الاستيراد من الدول الأوروبية، وأحيانا تكون عن طريق الإتاوات البحرية المفروضة[4].

و) **القطران أو الزفت**: يعتبر من المواد الهامة التي تساهم في تصنيع السفن، يمكن الحصول عليه عن طريق تذويب مواد صمغية وبعض الشحوم المستخلصة من أسماك القرش في وعاء حديدي فوق النار، فينتج مادة لاصقة تسد الثغرات الناتجة عن تسمير الألواح الخشبية في هيكل السفينة، لإعطاء الألواح المتماسكة بعضها ببعض نوعا من الصلابة فضلا عن منع تسرب المياه إلى داخلها، وتعتبر هذه المادة من المواد الصناعية المهمة في صناعة السفن، فقد أشار إليها ابن جبير في رحلته بقوله:"... فبعد الانتهاء من إنشاء السفن سقوها بالسمن أو

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: **الحياة الاقتصادية بعناية ...**، **المرجع السابق**. ص 58.

(2) سمير مشوشة: **الموارد البحرية للجزائر العثمانية خلال القرنين 11هـ-12هـ/17م-18م**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ، إشرا. أحمد صاري، جامعة قسنطينة، 2018-2019م، ص 72.

(3) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح. أسعد داغر، ج1، دار الأندلس بيروت، 1965، ص 201. / سمير مشوشة: **المرجع السابق**، ص 79.

(4) سمير مشوشة: **المرجع السابق**، ص 79.

بدهن الخروع أو بدهن القرش وهو أحسنها، والمقصد من دهان السفن ليَلين عودها ويرطب...". [1]

2/ ورشات صناعة السفن:

أولى حكام الجزائر اهتماما بالغا بصناعة السفن الحربية منذ العهد الأول، إذ يعود إنشاء الترسانة أو دار الصناعة إلى ما قبل عام (941هـ/1535م)[2].

وفي هذا الصدد يقول خير الدين في مذكراته واصفا دار الصناعة بقوله:" ... زرت اسطنبول مع بعض البحارة الجزائريين، انبهر البحارة عندما رأوا اسطنبول، وتجولوا في مضيقها، وزاروا حصونها وقلاعها، وأسوارها المنيعة، وكم كانت دهشتهم عظيمة، لما رأوا المصنع السلطاني لبناء السفن، الذي كان يعج بعشرات الآلاف من العمال، بل قريبا من 100 ألف عامل، كلهم يشتغلون فيه كأنهم خلية نحل، فحمدوا الله كثيرا، على كونهم تابعين لدولة على هذا القدر من القوة والعظمة" [3].

وكانت دار صناعة السفن في الجزائر تتلقى كميات مهمة من الخشب وجميع المعدات اللازمة لبناء السفن وتجهيزها وتسليحها، كما كانت المشاغل التابعة لها كاملة التجهيز لإصلاح السفن الحربية بجميع أنواعها وأحجامها.

غير أن بلدان المغارب عموما كانت تفتقر للموارد الغابية لصناعة السفن، الأمر الذي أثر على محدودية دور الصناعة وسوء نوعية منتوجاتها[1]، وقد عرفت البحرية الجزائرية على مدار ثلاثة قرون من عمليات الغزو البحري عدة تحولات سمحت بظهور سفن حربية جديدة تمتاز بالسرعة والمناورة والخفة [2].

---

[1] أبو الحسن محمد بن أحمد البلنسي ابن جبير: **رحلة ابن جبير**، تق. سليم بابا عمر، موفم للنشر، الجزائر، 1988، ص 40 ./ سمير مشوشة: **المرجع السابق**، ص 76.

[2]Elie De La Praimaudaie: «**Documents inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique (1506-1574)** », R.A, T19, Alger, 1875, p 266.

[3] خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص 212.

[1] Bonos :**Les corsaires…, op cit**, p11.

نقلا عن عبد الحليم سرحان: **تطور...**، **المرجع السابق**، ص 254.

[2] Moulay Belhamissi :**Historie de la marine Algerienne 1516-1830**, entreprise nationale du livre, Alger, ed.2, 1986, p 61.

وبحلول القرن (10هـ/16م) أصبحت مدينة الجزائر تتوفر على أحواض لصناعة السفن تمكنها من صنع الغليوطات ذات 22 مقعدا للتجديف. وبمرور سنوات قليلة أصبحت المراكب والزوارق وغيرها من السفن تصنع في المراسي الجزائرية الأخرى. ولم يكن ميناء خير الدين موجها لأن يكون ملجأ سفن فقط، وإنما كان ترسانة لصناعتها أيضا. وتذكر المصادر أن هناك مجموعة من الترسانات التي كانت تقوم بصناعة السفن الكبيرة والصغيرة، فنجد ترسانة باب عزون والتي تبعد عن الرصيف بحوالي 300 قدم، وهي عبارة عن حوض مستدير الشكل[1].

كما يصف هايدو هذه الترسانة بأنها كانت مكانا مخصصا لصناعة السفن المفتوحة بواسطة فتحتين على شكل قوسين حجمهما كاف لمرور سفينة غاليرة غير مسلحة، وكانت إحدى الفتحتين تُسدّ بواسطة حائط يدمر كلما كان يتعلق الأمر بتمرير سفينة من خلاله وتعويمها في البحر، والفتحة الثانية كانت مغلقة على جزئها العلوي الذي أقيمت فيه بوابة خشبية مجهزة بقفالة وقفل، يدخل ويخرج منها عمال الترسانة[2].

كما نجد ترسانة أخرى داخل الميناء بجوار رصيف السفن مخصصة لصناعة السفن الكبيرة، بالإضافة إلى هاتين الترسانتين كانت هناك ترسانة قريبة نسبيا من مدينة الجزائر وهي ترسانة شرشال التي تبنى فيها السفن من نوع الفرقاطة والبريكانتي ذات 8 إلى 13 مقعدا، والتي كان ينشئها الأندلسيون[3]. ولقد ساعد الأندلسيون البحرية الجزائرية في الهجوم ببراعة على السواحل الشرقية الإسبانية، وتمكنوا من صنع سفن شراعية وفرقاطات من الخشب بشرشال. ويضاف هذا لمساهمتهم الفعالة في تسليح وتموين السفن وتكوين الفرق البحرية. كما تشير بعض الدراسات إلى براعة الموريسكيين في صنع الأسلحة وتحضير البارود وصناعة السفن خاصة في مدن الجزائر وشرشال وجيجل[1].

ويذكر وليام شالر (William Shaller) أن ورشات بناء السفن كانت تزود دوما البحرية الجزائرية من خشب هياكل السفن والمواد الضرورية للصناعة البحرية والتسليح والتجهيز

---

(1) عائشة غطاس وأخريات: **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ص 99.

(2) Haedo:**Topographie..., op, cit**, pp 31-32.

(3) عائشة غطاس: **الدولة الجزائرية الحديثة ...، المرجع السابق**، ص 100.

(1) حنيفي هلالي: **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى، الجزائر، ص ص 54-56.

إلى جانب ترميم السفن مهما كان حجمها[1]. إلا أن كمية الخشب المنتجة عرفت تراجعا ابتداء من عام (1059هـ/1650م)، وذلك نتيجة الاستغلال المفرط للغابات[2].

وفي ظل الجهاد البحري القائم ضد المسيحيين، عرفت الترسانة نشاطا منقطع النظير رغم الظروف الصعبة التي مرت بها البلاد آنذاك.كما لعبت الملاحة الجزائرية دورا هاما في العهد العثماني، حيث أبدى بحارة الجزائر مهارة عظيمة في الملاحة حتى أصبحوا لا يغلبهم أحد في حروب البحر واتخذوا المراسي الأحسن مناعة في الساحل الجزائري والتونسي، من جربة إلى هنين وأخذوا يغيرون على البلاد المسيحية[3].

ولما استقر الأخوة أبناء يعقوب (بربروس) بالجزائر، ولم يكونوا يملكون من المراكب البحرية إلا 14 سفينة شكلوا بها النواة الأولى للأسطول البحري الجزائري، لكنها لم تسد حاجيات الأسطول، لهذا تم إعادة تنشيط الصناعة المحلية في الميدان البحري لتشكل منبعا آخر لإمداد الأسطول الجزائري بالقطع البحرية الجديدة، وبعد الانتصار الذي تحقق على الإسبان في حصن البنيون، لجأ خير الدين إلى تهديمه وإقامة هيكل جديد مكانه بالقرب من ميناء الجزائر، حيث قام بتطويره وتحصينه وتدعيمه بالبطاريات والمدافع ليصبح مقرا عاما للأسطول البحري الجزائري، وقاعدة بحرية هامة تكونت فيها العديد من الورشات لبناء المراكب وإصلاحها، منها ورشة باب الواد التي اختصت في صناعة القطع الكبيرة وورشة باب عزون كانت موجهة لتصميم السفن الأقل أهمية[1].

كما عرفت البحرية الجزائرية تطورا في عمليات الغزو البحري، وقد كان أغلب المراسي الجزائرية تتوفر على ترسانات مجهزة لصنع السفن والقوارب وكان أهمها مراسي الجزائر وشرشال وجيجل وعنابة، حيث كان يتم صنع سفن تتجاوز حمولتها 300 طن وقد تصل في مرسى الجزائر إلى 400طن، وهي من نوع الفرقاطات المجهزة ب: 20 إلى 30 مدفعا، وقد اختص

---

(1) William Shaller :**Esquisse de L'Etat d'Alger**, présentation de Claude Bontemps, Edition Bouchène, Paris, 2001, p50.

(2) أرزقي شوتيام: **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي، الفترة العثمانية 1519م-1830م**، دار الكتاب العربي، ط2، 2016 م، ص 45.

(3) أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص79.

(1) ميمن داود: **الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية تنظيمه وعدته (1518م-1830م)**، أطروحة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية، إشرا. عز الدين بويحياوي، جامعة الجزائر"2"، 2016م، ص 355.

مرسى الجزائر بصنع السفن المستديرة المطورة والقادرة على الإبحار في المناطق البعيدة بفضل التقنيات التي قدمها للبحرية الجزائرية القرصان الفلامندي سيمون دانسا[1].

فخلال ثلاث سنوات (1015-1017هـ/1607-1609م) تمكن بحارة الجزائر من تعلم كيفية صنعها وقيادتها، وبفضلها تمكنوا من غنم السفن التي تتردد على المحيط الأطلسي، والسفن المبحرة في المياه المتجمدة بإيسلندا Islande[2].

كما اهتمت طائفة الرياس بصناعة السفن فمنذ عهد خير الدين الذي قام بتدريب مجموعة من الشباب في ترسانة السفن باسطمبول، تم إرسال 300 منهم، عُين بعضهم للتعليم والتدريب على هذه الصناعة، وعلى هذا النحو تم إنشاء الترسانة البحرية في بداية الثلث الثاني من القرن (10هـ/16م)[3]. وأصبحت مدينة الجزائر تتوفر على أحواض لصناعة السفن مكنتها من صنع الغليوطات ذات ال 22 مقعدا للتجديف، وبمرور الزمن أصبحت المراكب والزوارق وأنواع أخرى من السفن تصنع في بعض المراسي الجزائرية[4].

وقد تلقت الترسانة الدعم من لوازم البناء والذخائر لبناء ما يقارب 35 سفينة من قبل السلطان العثماني سليم الأول[1]. وكانت دار الصناعة في الجزائر تتلقى المواد الأولية من خشب البلوط والصنوبر لصناعة السفن وتجهيزها[2]، والتي كانت تنتقل من نواحي شرشال وغابات القل، ولا تماثلها سوى غابات اليدوغ وبني صالح والقالة وضواحي السيبوس التي تمول ترسانة الجزائر بالأخشاب والراتنج خاصة، وكانت أخشاب القالة أكثر ملاءمة لصنع أقفاص السفن لقابليتها للانحناء والتقوس[3]، وكان ذلك يتم تحت إشراف وكيل الخرج[4].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 64.

[2] إسحاق زيتوني: **البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية 1519م-1800م**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشرا. عمار بن خروف، جامعة غرداية ،2011-2012م، ص 83.

[3] خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص 212.

[4] عائشة غطاس وأخريات: **المرجع السابق**، ص99.

[1] خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص 213.

[2] أرزقي شويتام: **المرجع السابق**، ص ص 47-48.

[3] عائشة غطاس وأخريات: **المرجع السابق**، ص 100.

[4] سعيدوني ناصر الدين: **المرجع السابق**، ص 45.

وقد عرف ميناء الجزائر تنظيما محكما في مجال صناعة السفن خاصة في عهد خير الدين حيث وجدت به ورشات لصناعة الحبال والأشرعة وكذا مخازن للأخشاب الخاصة بصناعة المراكب والسفن الحربية[1].

لكن الدولة العثمانية قد غطت جزء من الاحتياج خلال التبعية المباشرة للإيالات المغاربية بتصدير أخشاب الأناضول، وجبال أزمير، واسكندرونة، وحديد البلقان، كما أن استيراد الخشب ولوازم بناء السفن من أوروبا كان أمرا ضروريا في فترات انفراج العلاقات مع دولها[2]. وكان الأتراك العثمانيون والأهالي يعملون في ترميم السفن وخراطة المجاديف، وكان يحتفل بمناسبة إطلاق سفينة في البحر عند إكمالها بذبح كبشين أو ثلاثة، وإشراف رئيس السفينة على الاحتفال باستقبال الهدايا الثمينة من الأقارب[3].

كما صاحب خروج السفن الجهادية مظاهر تنبئ بالتشجيع وغرس الحماس في نفوس الجنود، فكان هذا اليوم بمثابة عيد كبير بالنسبة لسكان مدينة الجزائر، حيث يتجهون فرادى وجماعات نحو الميناء لرؤية السفن وتحيتها وأداء الصلاة والدعاء من أجلها، وكانت تعلق على أعالي السفن رايات ترفرف وألوان جزائرية، وأمامها كانت توضع رايات ورموز رجال الدين والمرابطين، والتي كانت تستخدم في المعارك للتأكّد من حماية الرجال الأتقياء كما كانت تلصق عليها اثنان من بين تسعة وتسعين اسما من أسماء الله الحسنى والكتابة التي كانت الأكثر بروزا هي " تنتصر بحول الله "، وكانت هذه التظاهرات تتم في الميناء، والأوربيون الذين كانوا يجهلون معتقدات سكان مدينة الجزائر وعاداتهم كانوا يصفون هذه الاحتفالات بالشيطانية؛ مثل ذبح كبش وإلقاء أجزاء منه في الأربعة نقاط من الساحل، وفي بعض الأحيان كانت تسكب قارورات زيت في البحر، ويوضع شمعدان مشتعل على مدافع الباخرة من أجل تهدئة العاصفة وقوة الأمواج[1].

---

[1] أرزقي شويتام: **المرجع السابق**، ص 49.

[2] عزيز سامح التر: **المرجع السابق**، ص ص 130-131.

[3] Heers(Jacques) :**Les Barbaresques ,la course et la guerre en Méditerranée XVI-XVI ème s** ,pour l'histoire/ perrin,Paris,2001, pp163-164.

نقلا عن ميمن داود: **المرجع السابق**، ص 357.

[1] Moulay Belhamissi :**Historie de la marine…, op.cit**, p 150.

وعند رجوع الأسطول منتصرا من المعركة يُستقبل بحفاوة كبرى من طرف السكان، وقبل وصولهم إلى الميناء بمسافة قريبة يطلقون قذائف مدفعية، وكلما كانت الغنائم كثيرة كانت عدد الطلقات أكثر، وعلى أطراف الميناء يتجمع الرجال وتخرج النساء إلى الشرفات يزغردن، وأما الداي فإنه يبقى في قصره ينتظر قدوم الرايس[1] إليه، وهذا الأخير يُستقبل بحفاوة من طرف وكيل الخرج، وبعدها ينزل الطاقم على الأرض وتترك السفن تحت حماية حراس متخصصين يضمنون عدم سرقتها في الوقت الذي يكون فيه الرايس ونائبه يقدمان تقريرهما للداي عن المعركة[2].

لقد حظيت انتصارات الأسطول الجزائري في معاركه المختلفة باهتمام الشعراء والأدباء، وقد تبين ذلك من قصائدهم المختلفة التي تناولت في بعضها مجريات الحرب ونصرة الأسطول الجزائري، وكانوا في احتفالاتهم هذه يتمسكون بأولياء الله الصالحين الذين اعتقدوا فيهم البركة وإدرار الخير والنصرة في حال أكرموهم ببعض الزيارات والكرامات، ولم تقتصر عليهم فقط بل كان للعلماء دور هام في هذه العمليات التي كان يشنها الأسطول من خلال تحفيزهم وحثهم على الجهاد بصفة عامة وعلى تحرير وهران بصفة خاصة، ومنهم من كان يتنبأ بتحريرها قبل وقوعه تشجيعا للحكام، وكانوا يقرون التهنئة بتولية الدعوة إلى الجهاد ويعتبرون الباشا الحقيقي للبلاد هو الذي يطلق السفن في البحر ضد العدو ويسوس الناس بالعدل والشورى، فحين تولى " أحمد باشا " سنة (1107 هـ/1695م)، هنأه الشاعر العالم محمد بن أقوجيل "في شعره يحثه على الجهاد ضد الإسبان ونصحه باتباع العدل بين الناس وحكم الشورى[1].

ثانيا- تجهيزات السفن وصناعة الأسلحة:

1/ صيانة السفن الجهادية:

تفقد السفن بعض قدراتها على الملاحة بعد كل رحلة، لذلك وجب على البحّار تفقدها بين الحين والآخر لكي يتسنى لهم إصلاح الأعطال، ومن الضروري شحن كميات معتبرة من القطران على متن السفينة وكذا بعض الشمع والقطن لسد الثغرات التي تحدثها

---

[1] **الرايس**: هو قائد السفينة الحربية، **ينظر** نور الدين عبد القادر: **المرجع السابق**، ص77.

[2] Venture de Paradis : **op .cit**, p 51.

[1] أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي...**، **المرجع السابق**، ص ص 203-204.

الزوابع البحرية، ويجب أيضا توفر أدوات النجارة، والشباك لاصطياد السمك، بالإضافة إلى الصواري الهوائية، وبعض براميل أو سلال المسامير، وجلود الحيوانات لتنظيف المدافع من البارود المحترق، وغير ذلك من أمور السفن، كما يجب توفر فنّيين وغواصين على ظهر السفينة لإصلاح أي عطب يحدث في السفينة[1].

2/ تموين السفن الجهادية:

كانت السفن الحربية تُجهز قبل خروجها إلى البحر بكل ما هو ضروري من مواد غذائية وكل ما يتعلق بالأكل من زيت وخل وأرز وخضر ولحوم مجففة وفواكه وبعض السمن القديم، والمحمصة والبرغل[2]. ويتم تحضير كل هذه الضروريات حسب قدرة المركب، حيث توضع كلها تحت تصرف البولكباشي الذي يمتلك صلاحية التسيير[3]. كما كانت تزود السفن بمواد أخرى توضع في مؤخرة السفينة تكون غالبا مملوءة بالجرات والخوابي والسلال المليئة، وقد احتوت الوجبات الغذائية على:

- الفطور: وهو وجبة خفيفة تتألف من خبز وزيتون.
- الغذاء وهي وجبة متكونة من لحم مجفف تحت أشعة الشمس مطهي بالزيت في دنان فخاري.
- العشاء: وهي وجبة مكونة من كسكس بالحمص.

كما كان البايلك يزود كل سفينة بأربع كيلات من القمح، وجرة من السمن، وكيلة من الأرز[1].

وقد بقيت البحرية الجزائرية تقليدية في نظمها إلى غاية القرن (12هـ/18م)، إذا ما قارناها مع نظم البحرية الأوروبية التي أصبحت تعتمد بمرور الزمن على الأساليب المتطورة

---

[1] عبد الحليم سرحان: **تطور صناعة السفن...**، **المرجع السابق**، ص ص 213-214. /الغزال ابن المهدي: **نتيجة الاجتهاد في المهانة والجهاد**، تح. اسماعيل العربي د. م. ج، الجزائر، 1984م، ص ص 190 -237.

[2] ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: **الجزائر في التاريخ**، **المرجع السابق**، ص101.

[3] وليام سبنسر: **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع، تق، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 142. **وينظر**:

Dan**: op. cit,** pp301-303.

[1] عبد الحليم سرحان: **المرجع السابق**، ص ص 212-213. /جيمس ليندر كاثكارت: **مذكرات أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب**، تر: اسماعيل العربي، د.م.ج. الجزائر، 1982، ص 78.

والابتكارات العلمية، ورغم ذلك بقيت الإيالة حتى عام (1231هـ/1816م) قادرة بإمكانياتها البحرية الدفاع عن سواحلها من الهجمات الأوروبية[1].

3/صناعة الأسلحة:

كانت صناعة الأسلحة من بين الصناعات الحيوية والتي تتمثل أساسا في دار النحاس والتي يعود إنشاؤها إلى سنة (941هـ/1534م)، وهي بمثابة مصنع للأسلحة، وقد امتهن كثير من الجزائريين هذه الصناعة سواء في ورشات خاصة أو تابعة للدولة، كقلعة بني راشد وقسنطينة والجزائر، ففي مدينة قسنطينة كان يعمل بمصنع البارود 20 عاملا، وفي مدينة الجزائر كان يوجد مصنعان أحدهما لتحضير البارود خارج باب الواد أنشأه أحد الدانويين، ويعمل به أيضا حوالي 20 عاملا والآخر لصنع المدافع وتشكيل القنابل، مقره خارج المدينة بضاحية باب الواد، ويعرف لدى السكان بدار النحاس والحديد[2]. ويمكن تصنيف تلك المصانع إلى:

أ-مصانع دار السلطان: وهي عبارة عن وحدات صناعية ضخمة، يقوم بالعمل فيها مجموعة كبيرة من العمال يرأسهم أمين الباروديين، في حين كانت المواد الخام محددة للعمال.

ب-مصانع بارود الجزائر: ذكره صاحب التشريفات في قوله:" وفي وقت قدور آغا فإن 25 رطلا من البارود أرسلت من مصنع بارود الجزائر ووضعت في مصنع بارود القصبة"[1]. كما تشير التقارير الإسبانية فيما يخص القدرات الحربية الجزائرية في بداية القرن (10هـ/16م) أن عددا كبيرا من الجزائريين الذين يستعملون الأسلحة النارية بكفاءة عالية منهم من نزح من الأندلس، وقد جاء في كتاب غزوات عروج وخير الدين، أن خير الدين لما عزم على تحرير الحصن الإسباني الذي كان شوكة في قلب مدينة الجزائر-حصن البنيون- لم يجد عنده من البارود ما يوزعه على المجاهدين المتطوعين معه في هذه الحرب، فأمر المعلمين أصحاب الحرفة بصنعه[2]. وكانت توجد دار البارود على مقربة من دار النحاس، حيث كان يصنع البارود من مزيج من ملح البارود، وفحم الدفلى، والكبريت الذي كان يستورد، أو بالأحرى يهرب من

---

(1) عائشة جميل: **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520م-1830م**، أطروحة دكتوراه تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إشرا. صحرواي عبد القادر، جامعة سيدي بلعباس، 2017-2018، ص 127.

(2) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: **الجزائر في التاريخ...، المرجع السابق**، ص 66.

(1) لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص 41.

(2) المجهول: **غزوات عروج وخير الدين، المصدر السابق**، ص 67.

أوروبا كونه واقع تحت الحظر البابوي، أما ملح البارود، فكان يستخرج من طرف البايلك بوطن يسّر، من مغارات عند سفح جبل أمّال[1].

يعود تاريخ تأسيس دار البارود الموجود بوسط القصبة إلى بداية القصبة نفسها وتفيد المعلومات بأنه دُمر مرتين، لكن أعيد بنائه سنة (1048هـ/1638م) في عهد علي باشا واستمر بالعمل إلى غاية بناء مصنع جديد بباب الواد، ويقع مصنع البارود في الجزء الأوسط من القلعة وهو على شكل مضلع وقد بني على أنقاض المصنع القديم، وهو بناء واسع جدا على حد قول روزي[2]، إذ يشير أن المصنع به عدة قاعات مقبّبة في غاية من الجمال، تحتوي كلها على ورشات، وقد صنعت الأدوات الخاصة باستحضار البارود بطريقة رائعة[3].

ج- مصانع باب الواد: بعد مرحلة الاستقرار التي عرفتها مدينة الجزائر وتوقف الحملات الأوروبية ضدها قرر الحاج علي باشا الاستغناء عن دار البارود التي تقع بقصبة المدينة، فكلف القنصل السويدي شولتز ببناء مصنع جديد في منطقة ربض باب الواد الواقعة بين برج باب الوادي وبرج الانجليز بالقرب من جنان الآغا أو جنان الداي[1]. وبقي هذا المصنع قائما بدوره في إنتاج البارود حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر حيث ألحق بالإدارة العسكرية، وعرف باسم ثكنة ملح البارود.

د- مصانع البايلكات: ما يعرف عنه أنه مصنع قسنطينة الذي قال عنه بيسونال (Peysonnel) بأنه تابع للداي ومقره دار محمد بن شعير باي قسنطينة، قرب القصبة ويعمل فيه حوالي 20 عاملا أكثرهم من القبائل المجاورة[2]. لم تكن هذه المصانع تسد حاجيات البايلك الشيء الذي دفع بالبايات إلى تغطية حاجياتهم عن طريق الشراء من الخاصة، أو الاستيراد من خارج الإيالة أو عن طريق ما تقدمه لهم دار السلطان.

---

(1) أمين محرز **الجزائر في عهد الآغوات1659-1671**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشرا. عائشة غطاس، جامعة الجزائر، 2007/2008م، ص 182.

(2) Rozet:**op.cit,** p 102.

نقلا عن علي خلاصي: **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، دار الحضارة للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، ص 214.

(3) علي خلاصي: **المرجع السابق**، ص 214.

(1) علي خلاصي: **المرجع السابق**، ص 224.

(2) Peyssonnel (J.A) et Desfontaines : **voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, fait de 1783 à 1786**, publ. par M. Dureau de La Malle, France, 1838, p 343.

هـ- المصانع الخاصة: وهي الورشات ذات الملكية الفردية أو الجماعية، وتنوعت في الدشور والواحات والقصور، يقوم أصحابها بدفع ضرائب مستحقة عن ورشاتهم مقابل سماح الحكومة لهم بممارسة هذه المهنة التي كانت في غالب الأحيان محظورة، وعلى الرغم من أنهم كانوا مسؤولين عن توفير المواد الأولية الخاصة بورشاتهم وكذا تسويق المنتوج نفسه، فإن الحكومة كانت أحيانا تقتطع هذه الضرائب في شكل كميات محدودة من المنتوج، ومن بين أهم هذه المصانع نجد مصنع قبيلة ربولة في نواحي قسنطينة، ومصنع آيت العربة عند بني يني، ومصنع وادي الجرف بالجنوب الجزائري، ومصنع تلمسان في الغرب الجزائري[1].

و- دار النحاس: يعود إنشاؤها إلى زمن مبكر من تاريخ الإيالة، فأول إشارة إليها هي بتاريخ (941هـ/1534م)[2]. وتقع هذه الدار بالقرب من باب الواد، يبلغ طولها ثلاثون مترا، ولا تحتوي إلا على موقد واحد ذي ثلاث فتحات متقن الصنع، أما العتاد الحربي والأسلحة الصغيرة فقد وزعت على ورشات لصناعة القوالب والقنابل حيث كان بعضها ذا كبر معتبر، وكذا عدة مصاهر ومواقد أين كانت تصنع القذائف[1].

وقد كان يدير هذه الدار خبير في صنع المدافع من جنسية فرنسية يدعى فرانسوا دوبون (Francois Dupont)، ويقال أنه أنجز العديد من المدافع البحرية خلال سنة (1118هـ/1706م)[2]، وقد لعبت دار النحاس دورا مهما في فرض السيادة الوطنية سواء تعلق الأمر بحماية التخوم وتدعيم النوبات أو في حماية دار السلطان وما تبعها من تحصينات وكذا الميناء أو في تسليح المراكب الجهادية[3].

كما كانت دار النحاس تتزود بقطع الغيار والمدافع والبارود عن طريق الشراء وأحيانا أخرى تتحصل عليها هدايا من الباب العالي[4]. كما اعتمدت أيضا على التجهيزات من البلدان

---

(1) لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص 41.

(2) أمين محرز: **المرجع السابق**، ص 182.

(1) علي خلاصي: **المرجع السابق**، ص 204.

(2) Klein(H):**Feuillets….op. cit**, p102.

نقلا عن عبد الحليم سرحان: **تطور صناعة**، ..**المرجع السابق**، ص 201.

(3) علي خلاصي: **المرجع السابق**، ص 205.

(4) خوجة حمدان: **المرآة**، تق. تع. تح. محمد العربي الزبيري، ش. و. ن. ت، الجزائر، ط2، 1982، ص 95. / عبد الحليم سرحان: **المرجع السابق**، ص 201.

الأوروبية عن طريق الاتفاقيات والمعاهدات الثنائية التي تبرمها، ومن هذه الدول نجد الدنمارك، السويد، فرنسا، وهامبورغ، وبريمن، وجنوة، والبندقية، وليفورن، ونابولي، وأمريكا[1].

إذ نجد أن السفن الحربية تُجهز قبل خروجها إلى البحر بكل ما هو ضروري من أسلحة ومعدات ضرورية مناسبة لذلك، ويتم توفير الذخيرة اللازمة للمدافع والبنادق حيث يجهز البارود وكرات المدافع والفتائل[2].

كما أدخل الموريسكيون الأندلسيون بمقاطعة الجزائر (دار السلطان) عدة صناعات جديدة، فعلى مستوى صناعة الأسلحة وتحضير البارود نجح الموريسكيون في صنع نوع محلي من البنادق[3]. كما نجد أن مراكز تحضير البارود لم تقتصر على المدن بل تعدته إلى الأرياف فنجد منطقة جرجرة من أهم المراكز، حيث كانت قبيلة الربولة تختص بتحضير نوع جيد من البارود، والذي استخدم محمد الكبير باي الغرب كميات كبيرة منه في محاصرته لمدينة وهران (1206هـ/1791م)، وكذلك بارود القنابل الصحراوية الذي كانت تحضره من ملح البارود الذي تستخرجه من منجم لقساين الواقع غرب بسكرة[1].

وحسب كورين شوفاليه أن مستودعات الأسلحة تم بنائها في سنة (981هـ/1573م) من قبل عرب باشا، لكن نجد أن هناك فارقا كبيرا في السنوات بين إنشاء دار النحاس، وتاريخ إنشاء المستودعات يصل إلى حد 39 سنة[2].

4/أنواع مدافع السفن:

يزوّدنا ابن غانم الأندلسي في القرن (11هـ/17م) بمعلومات حول أنواع المدافع التي كانت منتشرة في الحوض المتوسطي، وبالأخص دول المغارب (تونس، الجزائر، المغرب) والبالغ عددها 32 نوعا، صنفها إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

---

(1) خوجة حمدان: **المرجع السابق**، ص 95.

(2) وليام سبنسر: **المرجع السابق**، ص 142.

(3) ناصر الدين سعيدوني: **مظاهر التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م، ص ص 54-55. / عبد القادر ميلق: **تأثير ثورات المورسكيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الاسبانية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشرا.صالح بوسليم، جامعة غرداية، 2012م-2013م، ص 112.

(1) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: **الجزائر في التاريخ...، المرجع السابق**، ص 67.

(2) كورين شوفاليه: **المرجع السابق**، ص 86.

أ-المدافع الطويلة، ومنها: **مدفع القولومبورنة: Colubrina** وهي من المدافع الطويلة والمعروفة أيضا بالثعبانية، يتراوح طولها بين 0.60م و7أمتار، وهي 6 أنواع أيضا، وما يهمنا في دراستنا هو المدافع التي كانت تستعمل في السفن لأنها خفيفة وسهلة الحركة، يطلق عليه نصف الباز وهي التي بمقدورها رماية تزن 3 أرطال[1].

ب-المدافع الوسطى، ومنها: **مدفع الشايقة: SAGKA** وهو نوع من الزوارق ويطلق على المدافع، كما يعرف بالمدفع الوسطي أو الجعب Canon، وكان يطلق عليها أيضا مدافع مؤخرة السفن، وهو أنواع: كنصف جعبة وربع جعبة، ويستعمل في تقويض وهدم الحصون والأسوار، لا يحتاج للبارود بقدر المدافع الطويلة[1].

ج-مدافع الحجارة: ومنها:

- **مدفع الشاقالوز Szakallaz**: وهو من المدافع الخفيفة يطلق بقذائف صغيرة من الحجر، مدفع قصير الطول، متسع الفوهة، وهو من بين المدافع التي استعملت في الجزائر خلال القرنين (10-11هـ/ 16-17م)، استعمل في هدم القلاع والأسوار لضخامة الكور التي يرميها والخسائر التي يحدثها، لا يحتاج للبارود بقدر المدافع الأخرى[2].
- **مدفع المهراس**: شاع استعماله في القرن (11هـ/17م)، كان يستعمل في السفن، ذكره الزهار عندما تكلم عن الحرب الثانية مع إسبانيا سنة (1196هـ/1782م)، وكانت الحملة تحت قيادة أنطونيو بارثلو، بقوله: "لما كانت سنة (1197هـ/ 1782م) فقدم الإسبانيول للمرة الثانية، مثل المرة الأولى وأرسوا في الجون بعيدا عن

[1] ابن غانم الأندلسي: **العز والمدافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع**، مخطوط المكتبة الوطنية، تحت رقم 1511، ص 11. /لخضر درياس: المرجع السابق، ص 186. / عبد الحليم سرحان: **المرجع السابق**، ص 203.

[1] كولان جورج: **البارود عند المسلمين**، تر. لجنة دائرة المعارف الإسلامية، بيروت، لبنان، 1984، ص 61. / عبد الحليم سرحان: **المرجع السابق**، ص 203.

[2] ابن غانم الأندلسي: **المصدر السابق**، ص ص 11-12. / لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص 187. / عبد الحليم سرحان: **المرجع السابق**، ص204.

مرمى الكور، وأتوا بزوارق كبيرة بعضها بالمدافع وبعضها بالمهارس لرمي (البومبة)[1]، كما ذكره بن حمادوش في قوله: " خرجت لباب الواد مع أسطى محمد بن المبوثباجي بمهراس صغير لنتعلم رمي البومبة، فتممت ما بقي لي، والحمد لله.."[2]، وفي بداية القرن (12هـ/18م) بدأ المهراس يحل محل مدافع الحجارة، وهو من المدافع الثقيلة، وقذائفه عبارة عن قنابل مملوءة بالبارود تعرف بالرمانات، حتى أنه أطلق عليه مدفع الرمانات[3].

- **المهماز**: وهو سلاح أساسي في السفينة يزيد من توازنها، يقال بأنه أداة من البرونز أو الحديد الصلب يجعلونه في مقدمة السفينة وتتكون من حديدة طويلة محددة الرأس وأسفلها مجوف، تعمل عمل الرمح غير أنها مثبة فيحتالون في طعن السفن به، فإذا أصاب جانب السفينة بقوة خرقها. وتتجلى أهمية المهماز في الدور الذي لعبه في معركة ليبانت سنة (979هـ/1571م)[1].

وقد استمرت كل هذه الأنواع التي ذكرها ابن غانم إلى أواخر العهد العثماني، بحيث توجد معظم هذه الأسماء في تقارير الجواسيس والقناصل وفي مذكرات الأسرى والرحالة الذين زاروا الجزائر خلال الفترة العثمانية[2]. وقد ذكر شوفالييه أن كثرة المدافع هي رمز قوة الأسطول الجزائري وهيبته خلال الحروب، زيادة عن ذلك فإن المدافع كانت موجودة متراصة الواحد جانب الآخر بحيث لا يبقى مكانا كافيا لتحريك هذه المدافع إلى الخلف[3].

---

[1]أحمد ابن علي النقيب الزهار: **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، تح. أحمد توفيق المدني، ش. و. ن. ت. الجزائر، ط2، 1980، ص 31. / عبد الحليم سرحان: **المرجع السابق**، ص204.

[2] عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري: **الرحلة، المسماة لسان المقال في النبا عن النسب والحسب والحال**، تق وتح وتعل. أبو القاسم سعد الله، ش. و. ن. ت. الجزائر، 1983، ص 254.

[3] ابن غانم الأندلسي: **المصدر السابق**، ص 55. / عبد الحليم سرحان، **المرجع السابق**، ص204.

[1] سعاد ماهر: **البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، وزارة الثقافة**، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة مصر، ص 203. **نقلا عن** عبد الحليم سرحان: **المرجع السابق**، ص206.

[2]لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص188.

[3] كورين شوفالييه: **الثلاثون الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510م-1540م**، تر. جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، د. ط. د.ب. ن، 2007 م، ص 57.

ثالثا- المساعدات الداخلية والخارجية :

تعتبر المساعدات إحدى مظاهر الارتباط بين الإيالة الجزائرية والباب العالي، ولهذا أخذت في بعض الأحيان طابعا دبلوماسيا، وآخرا عسكرياّ متمثلا في تقديم المساعدات سواء في التجنيد البشري أو العتاد الحربي[1]، فكان من عادة الدولة العثمانية أن تجهز الجزائر تقريبا كل سنة بالمراكب والتجهيزات البحرية المتنوعة[2]، فقد كانت أولى تلك المساعدات التي قدمها السلطان العثماني سليم الأول للإخوة أبناء يعقوب، وقد ظلت تلك المساعدات تتكرر في عدة مناسبات، فعندما تم تحرير وهران الأول سنة (1121هـ/ 1709م)، أرسل للجزائر سفنا وعتادا حربيا من أجل تدعيم الأمن في المنطقة[1].

ورغم أن صناعة مادة البارود من الصناعات المنتشرة والمتعددة المراكز عبر الإيالة الجزائرية، لكنها لم تكن المصدر الوحيد الذي يعتمد عليه في تغطية حاجياتها، بل اعتمدت على مصادر خارجية كالمساعدات والهدايا التي تقدمها الدولة العثمانية من جهة وبعض الدول العربية أحيانا من جهة أخرى، والدول الأوربية عن طريق الإتاوات المستحقة والهدايا والغنائم البحرية للإيالة مقابل ضمان أمن تجارتها في البحر المتوسط[2].

فقد قام إبراهيم رايس عرباجي المكلّف بالأشرعة في إيالة الجزائر بمراسلة قناصلة وحكام مدينة مرسيليا في ديسمبر (1038هـ/1628م) يذكر فيها:" ...وإن استطعت كذلك أن أصلح عطب مركبتي التي هي في حاجة إلى بعض قطع القطن لصنع شراعها الرئيسي، وإن كان ذلك لا يكلفكم عنا، فإنني أطلب منكم أن ترسلوا لي قطعة من هذا القطن تحتوي على اثني عشر إلى خمسة عشر بأسرع الوسائل التي تروها ضرورية لذلك..." [3].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي...**، **المرجع السابق**، ص ص 149-150.

[2] يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، د.م.ج، الجزائر، ج2، ص 167.

[1] T.C.Basbakanlik Devlet Arsivleri Genel Mudurlugu Osmanli Arsivi Daire Baskanligi Yayin Nu: 115: **Osmanli Belgelerinde Cezayir** ,Ankara, 2010, ss30-32. /
أ.ع: **C.HR, 4371** بتاريخ 21 صفر 1121هـ /1 ماي 1709م.

[2] لخضر درياس: **المرجع السابق**، ص 31.

[3] أوجان بلانتي: **مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا (1579م-1700م)**، تر. تح. سلاطنية بن داود، قوشام حفيظة، دار الوعي للطباعة والنشر والتوزيع ط1، الجزائر، ج1، ص 207. / سمير مشوشة: **المرجع السابق**، ص 80.

وقد استفادت الأساطيل الجهادية في بلاد المغارب من الصراع الديني السياسي الأوروبي، لاسيما بين فرنسا وإسبانيا من طرف وبين انجلترا وهولندا بعد ذلك، حيث وجدت هذه الأساطيل دعما فعليا، وكانت هولندا أكثر الدول استعدادا لتزويد دور الصناعة ببلاد المغارب بالمواد الأولية، فقد كتب السفير البندقي في فرنسا جيوبو تيستا سالفوغو (G.B.Salvago) في هذا الشأن: "إن الدولة الهولندية تحمل إلى الجزائر الصواري والحبال والبارود والقار والمجاديف والأخشاب، وأيضا مدافع البرونز الخاصة بمرات القوادس ولو وجدوا فرصة أكبر للربح لأقدم الهولنديون حتى على بيع سفنهم الخاصة بكامل التجهيزات على أن يؤدي دعمهم للقراصنة- غزاة البحر- إلى الأضرار بأعدائهم الاسبان" [(1)].

كما تضمنت مراسلة إسماعيل باشا والسيد ترويبريت سنة (1038هـ/1628م) طلب إرسال معدات لتصليح بعض السفن الشراعية ومن بينها الحبال، وفي مراسلة أخرى سنة (1096هـ/1685م) بين باشا الجزائر وملك فرنسا لويس الرابع عشر وفيها يطلب إرسال بعض الحبال (كوابل) وصواري ومرساة لتصليح وإعادة تجهيز إحدى سفن الباشا[(1)]. وفي سنة (1091هـ/1680م) زودت هولندا إيالة الجزائر بحوالي 25 حبلا غليظا من نوع قريلين Greline[(2)].

وفي سنة (1100هـ/1688م) قام الملك الفرنسي لويس الرابع عشر بالتزام وتعويض سفينة أحد الرياس وتقديم العتاد الحربي كما تعهد بتقديم 9000 قنبلة و4 مدافع بل وقائدا للمدفعية لحصار وهران[(3)].

كما قام شعبان آغا بإبرام معاهدة[(4)]، سلم مع الأميرال الهولندي دي رويتر للمعاهدة المماثلة التي أقامها مع الأميرال الانكليزي لاوسون وكان ذلك في نوفمبر

[(1)] Bono(S), **op. cit**, pp 113-114.

[(1)] أوجان بلانتي: **المصدر السابق**، ص 334. / سمير مشوشة: **المرجع السابق**، ص80.

[(2)] المدني محمد: **عثمان باشا داي الجزائر 1766م-1791م سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، م. و. ك، الجزائر، 1986م، ص 151. / سمير مشوشة: **المرجع السابق**، ص80.

[(3)] عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص 95.

[(4)] عبد الكامل جويبة: **كرونولوجيا العلاقة الجزائرية العثمانية بين التقارب والإستراتيجية العسكرية والسياسية في حوض البحر المتوسط**، في كتاب الجزائر وتوازنات القوى البحرية غرب المتوسط خلال القرن 10هـ/16م-دراسة تاريخية- تحر وتق. علي العبيدي، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2018م، ص 199.

(1073هـ/1662م)[1]. لكن رجال الديوان رفضوا هذه المعاهدة حتى أقنعهم شعبان آغا بالقبول بعد تعهد هولندا بتقديم أربعة مدافع برونزية وافتداء أسرى السفن الهولنديين بالسعر الأول للسوق، ويتم ذلك قبل فبراير (1075هـ/1664م)[2].

وفي 30 أفريل تمكن أيضا من إمضاء أول معاهدة[3] تم فيها موافقة الهولنديين على دفع الإتاوة للجزائر، وكان أساسها منح الجزائر المدافع الثقيلة والصواري وكور المدافع، والبنادق والرصاص والبارود والحبال، والأشرعة وغيرها من المعدات الحربية، وقد اكتملت شروط المعاهدة السالفة الذكر باتفاقيات سنة (1091هـ/ 1680م) وسنة (1092هـ/1681م)[1]. كما أصر حكام الجزائر على الهولنديين بضرورة تزويدهم بـ 8 مدافع و40 مجموعة من الذخيرة[2]. وفي سنة (1071هـ/1660م) جاء الانجليز إلى الجزائر يطلبون الصلح وهذا نصه:" ودامت هذه الحرب إلى أن جاء الانجليز إلى الجزائر، وصار يحلل على الصلح، فلم يقبلوا منه، حتى قبل شروط أهل الجزائر وأعطى لأهل الجزائر 15 قنطار من البارود، و12 ألف من الكور[3]".

قامت انجلترا يوم (14 محرم 1106هـ/3 سبتمبر 1694م) بإرسال مجموعة من المساعدات العسكرية والتي كانت عبارة عن براميل بارود وبنادق ومدافع[4]. وكانت البحرية الجزائرية تدعم من قبل الباب العالي، حيث كان يرسل لها تجهيزات عسكرية، ومن بينها التي أرسلها مصطفى الثالث إلى الداي محمد بن عثمان باشا في (16 رجب 1180هـ/ 17 ديسمبر 1766م) تمثلت في 8 مدافع، أربعة حديد وأربعة نحاسية، من نوع الهاون صغيرة

---

[1] للتعرف أكثر على بنود هذه المعاهدة **ينظر**: علي تابليت: **معاهدات الجزائر مع أوروبا والولايات المتحدة (1619-1830)**، منشورات تلا، الجزائر، 2014، ج1، ص ص251-252.

[2] Krieken : **op.cit**, p60.

نقلا عن أمين محرز: **المرجع السابق**، ص107.

[3] علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص253-254.

[1] جون وولف: **المرجع السابق**، ص 337.

[2] علي تابليت: **المرجع السابق**، ص 251.

[3] التلمساني محمد بن عبد الرحمان: **الزهرة النيرة لما جرى في الجزائر حين أغار عليها الجند الكفرة**، في مجلة التاريخ وحضارة المغرب، جويلية، 1967م، ع 3، ص32.

[4] محمد الأمين بوحلوفة: **إيالة الجزائر ومملكة انجلترا، دراسة في العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (1620م-1827م)**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشرا. محمد بوركبة، جامعة وهران، السنة الجامعية (2018-2019م)، ص32.

و250 مجدافا صغيرا و200 مجدافا كبيرا، 250 عود للحمالين و22 عود لدفن السفن، 60 عجلة للمدافع و1577 قذيفة مدفع [1].

وفي سنة (1181هـ/1767م) وصلت سفينة تحمل من اسطنبول 10 قطع من الخشب لصنع مراكز المدافع، و500 قنبلة و87 قاعدة خشب لعربات المدافع و145 قاعدة مدفع من الخشب[2]. وفي (6صفر1190هـ/26مارس1776م) وصلت سفينة فرنسية من اسطنبول تحمل 10قطع من الخشب لصنع مراكز المدافع، 6 مراسي للسفن و26 قاعدة للسفن و193 مجدافا كبيرا و250 مجدافا صغيرا، 3030 منفذا و3715 رطلا من القنب لصنع الحبال، 25400 قنطارا من مسامير الحديد و150 برميلا من العلك [1]. أما سنة (1198هـ/1784م) فقد تسلمت دار النحاس 500 قنطارا من النحاس و104 قاعدة للمدافع و538 قنطارا من البارود. وفي سنة (1201هـ/1787م) تلقت دار النحاس 200 برميل من البارود مطوقة بالنحاس كل برميل به نصف قنطار و400 قنبلة هدية من ملك الانجليز[2]. وفي (1101هـ/ ديسمبر 1690م) صدرت رسالة من ديوان الجزائر لملك فرنسا تضمنت طلب "...شراء كمية من الحبال والمرساة وأقمشة الأشرعة والساريات والذخيرة الحربية اللازمة لمحاصرة وهران..."[3].

كما طلب قلج علي أميرال الأسطول العثماني من ملك فرنسا تزويد الإيالة بالمعدات التي يحتاجها وهذا نصه:" راسلني القائد قلج علي قائلا أن البايلرباي حسن المتواجد في الجزائر والذي هو عبده طلب مني التوقف في الباب العالي حتى يرسل السلطان إلى الملك رسالة يطلب فيها منه تزويده من مرسيليا بالبارود، الأشرعة، والسواري، التي يحتاجها لتجهيز المراكب الجزائرية. لكنه لم يشأ التوقف دون إخباري، وقد أعطيته الرد الذي كان بحاجة إليه، كما أنه كتب إلى المدعو حسن لكي يحسن معاملة حكام جلالته في بروفانس، ويعامل جيدا الفرنسيين الذاهبين إلى بربرية، وأنه عندما يفعل ذلك سيتلقى كل المساعدات، والمعاملة الجيدة التي

---

[1] يحي بوعزيز: **الموجز...، المرجع السابق**، ص 167.
[2] أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق** ص151.
[1] يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص 168.
[2] أحمد توفيق المدني: **المرجع السابق**، ص152.
[3] أوجان بلانتي: **المصدر السابق**، ص280. / سمير مشوشة: **المرجع السابق**، ص 80.

تتمناها البلاد الأخرى من جلالته، قبل قلج علي النصيحة، وقال أن ذلك كفيل بجعل حسن جارا، وصديقا جيدا، ويكون جلالته محظوظا بذلك"[1].

رابعا-ديوان البحرية:

تميزت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية بتعدد مشاربها يوحدها الجهاد في سبيل الله، حيث ضمت خليطا من العناصر المحلية والأعلاج الذين أسلموا، ويضاف لهم البحارة الذين قدموا من الأندلس والمشرق[2]، وقد تميزت عمليات الغزو البحري بتنظيمها المحكم فضلا عن وجود هياكل ومؤسسات تحكمها، ومن بين تلك الهيئات ديوان البحرية أو ديوان الرياس، وتعود فكرة إنشائه إلى ميزوموتو، فحسب رسالة للقنصل الفرنسي المؤرخة في (11جمادى الآخرة 1098هـ/23أفريل 1687م)، جمع ميزومورتو ثلاث مرات مجلسا متكونا من رياس الجزائر لمناقشة العلاقات مع فرنسا وقد كان من اختصاصاته تطبيق العدالة على جميع أفراد البحرية الذين يخلون بقواعد الانضباط، فكان بمثابة محكمة الغنائم، كما كان الديوان يُستدعى كلما دعت إليه الحاجة، ويستشار قبل إقرار السلم أو الحرب مع دولة ما، يترأسه القبطان رايس، كان يتألف من كبار المسؤولين في البحرية[1] وهم :

1/قايد المرسى: وهو المسؤول عن أمن الميناء، كما يقوم بمعاينة جميع السفن الصادرة والواردة إليه، كما كان الوالي يختار دوما لهذا المنصب الرفيع أحد الرياس المحنكين[2].

2/ وكيل الخرج أو وزير البحرية: يشرف على كل ما يتصل بشؤون البحرية والغزو البحري والعلاقات الخارجية، وتحت إمرته 12 بولوكباشيا يراقبون المحلات المعدة لعتاد تجهيز السفن، كما يخضع لسلطته الأميرال أو القبطان وقائد الميناء والحرس ورياس البحر، وقد ارتبطت مكانته بنشاط الغزو البحري، إذ يعد أحد أبرز الموظفين السامين[3].

---

[1]Charrière : **op. cit**, T2, p664.

[2] عائشة جميل: **الجزائر والباب العالي...، المرجع السابق**، ص 127.

[1] المنور مروش: **دراسات عن الجزائر...، المرجع السابق، ج2**، ص 409.

[2] Tachrifat : **Recueil de notes historiques sur l'adminstration de l'ancienne Règence d'Alger, publiè par A.Devoulx,** Imprimerie du Gouvemement, Alger, 1852, éd. Bouslama,Tunis, 1981, p22.

[3] عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص 119.

3/**خوجة الغنائم:** وهو المسؤول على جرد وبيع الغنائم وقسمة دخلها بين المستحقين على مقدار معلوم، بعد أن يقتطع حق البايلك والمصاريف[1].

4/**وارديان باشي:** والذي يعتبر من أبرز الموظفين في البحرية الجزائرية، حيث كان يشرف على أنشطة الخدم في الميناء والذين كان معظمهم من الأسرى الأوربيين، وكان يعين لكل رئيس سفينة العدد المناسب من الخدم للعمل على متنها[2].

ولتسيير شؤون الديوان وأمر البحرية كان لابد له من طائفة تقوم على شؤونه، عرفت بطائفة الرياس التي كانت أهم هياكل البحرية.

5/ **طائفة الرياس:** وهم مالكو السفن، وقد كان تنظيم هذه الطائفة محكما جدا، ومهما كان أصل الرياس وجنسيتهم فإنهم يشكلون وحدة متضامنة تنتمي للأسطول الجزائري الذي عرفت من خلاله الجزائر عدة أبطال ذاع صيتهم في أنحاء المعمورة ونسبوا إلى مدينة الجزائر[1]، أمثال الأخوان عروج وخير الدين اللذين كان مجيئهما إلى مدينة الجزائر، دعما كبيرا لأهلها، عندما انضما معهم للجهاد ضد الاسبان، وتركا المجال واسعا أمام مجاهدين آخرين من مختلف الأصقاع للمجيء إلى ميناء الجزائر والانضمام للحركة الجهادية، كما نجد درغوث، سنان، ايدين، حسن، قلج علي، وقد اضطلع عدد كبير منهم فيما بعد بأعباء حكم وتسيير الإيالة أمثال خير الدين، وابنه، وحسن خليفته، وصالح رايس، كما اشتهر كل من شعبان رايس، طاباق رايس، يوسف رايس، حاراد رايس، كاكسيا ديا بولو، مراد رايس الذي اقتحم مياه المحيط الأطلسي، شلوق رايس، مامي رايس، يحي رايس، سنان رايس، يوسف رايس، قورسيتو رايس[2].

---

[1] Tachrifat :**op. cit,** p 21.

[2] عائشة غطاس وأخريات: **المرجع السابق**، ص 97.

[1] علي خلاصي: **المرجع السابق**، ص 170.

[2] نعيمة بوحمشوش: **مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، التاريخ الدبلوماسي والاقتصادي للجزائر في العهد العثماني**، مجموعة دراسات تحت إشراف: ناصر الدين سعيدوني، وزارة الثقافة، ص ص 110-111.

ويذكر وولف أن القيادة الحقيقية لأسراب سفن البحارة كانت في العادة في أيدي رجال أقل شهرة من أولئك الذين أصبحوا بايلربايات وباشوات وأمراء بحر في خدمة السلطان[1].

والرايس ميزومورتو الذي سن قوانين جديدة وحقق إصلاحات أساسية في القوات البحرية العثمانية، وفنزيانو، والرايس حميدو وغيرهم كثير، حيث كان في الأسطول الجزائري عام (935هـ/1529م) فقط ما يزيد عن 300 ربان ماهر[2]. وقد تميزت هذه الطائفة بالشجاعة والإقدام والانضباط باعتراف الكثير من الكتاب المسلمين والغربيين، إذ يذكر هايدو" أن رجال البحرية الجزائرية كانوا يجوبون البحار من الفجر إلى الغروب خلال الشتاء والربيع دون خوف، ويسخرون من السفن المسيحية كأنهم يخرجون لصيد الأرانب"[3]، كما تحدث التمجروتي عن كفاءتهم وانضباطهم حيث قال: " كثيرة الجند حصينة...، ومرساها عامر بالسفن ورياسها موصوفون بالشجاعة وقوة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر، يقهرون النصارى في بلادهم فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيئة وأكثر رعبا في قلوب العدو.."[1].

وسوف نتطرق لبعض أهم الرياس خلال القرنين محل الدراسة.

أ- أهم الرياس:

سوف نتناول في هذه النقطة أهم الرياس، عدا المعروفين منهم على غرار عروج وخير الدين وحسن آغا، وصالح رايس، وقلج علي.

1- **حسن بن خير الدين باشا** (**بربروس**): هو من أصل كرغلي لأن أمه كانت عربية وهي بنت أحد أعيان الجزائر (ابن القاضي)، عين بايلربايا على الجزائر أواخر سنة (951هـ/ 1544م)، وذلك بعد وفاة أخيه بالتبني حسن آغا في (جمادى الثانية 950هـ/ سبتمبر1543م)، وكان عمر حسن باشا حينها 28 سنة، وقد عين حسن باشا بايلربايا على الجزائر تقديرا لجهود والده خير الدين، وقد استمرت ولاية حسن باشا الأولى في الحكم 6 سنوات، أي إلى غاية

---

(1) جون وولف: **الجزائر وأوروبا (1500م-1830)**، تر وتعل. أبو القاسم سعد الله، الجزائر، دار الرائد، 2009م، ص 38.

(2) علي خلاصي: **المرجع السابق**، ص 170.

(3) Fray Diego De Haedo :**op.cit**, p19.

(1) التمجروتي: **المصدر السابق**، ص 159.

(958هـ/ 1551م)، إذ وجه جهوده في بدايات حكمه إلى تحصين مدينة الجزائر لحمايتها من الهجمات الإسبانية المتكررة عليها خاصة بعد حملة (948هـ/ 1541م) [1] .

قدم الكثير لإيالة الجزائر، وواجه الصراعات الداخلية والخارجية وأحدث تنظيمات إدارية مهمة ، حاول تحرير وهران والمرسى الكبير سنة (970هـ/1563م)، واستدعاه السلطان العثماني للمشاركة في حصار مالطا [2]. وقد أرسل السلطان العثماني رسالة ينوه فيها بالجهد الذي بذله رفقة مجاهدي البحرية الجزائرية، والشهامة والخصال الحميدة التي تحلوا بها في حربهم ضد المالطيين[1].

ونظرا للدور الفعال الذي قام به حسن باشا أثناء حصار مالطا فقد عينه السلطان العثماني سليم الثاني أميرالا على البحرية العثمانية سنة (974هـ/1567م)، وبذلك غادر الجزائر، لكن تم تعيينه مرة رابعة[2]، على الجزائر بعد معركة ليبانت نظرا للظرفية المتوسطية، إلا أنه لم يلتحق بمنصبه[3]، رغم أنه راسل السلطان في منحه سفنا بعدتها كي يلتحق بالجزائر[4]، وكان الفرمان

---

[1] مولاي بالحميسي: **تحرير مدينة وهران ...، المرجع السابق**، ص62.

[2] أ.ع: **مهمة دفتري** 6، ص263، بتاريخ 29 جمادى الأولى 972هـ/2 جانفي 1565م. /**التميمي**: **دراسات**...، **المرجع السابق**، ص180.

-أ.ع: **مهمة دفتري** 6، حكم 565، ص266، بتاريخ 25 جمادى الأولى 972هـ/28ديسمبر 1564م.

-أ.ع: **مهمة دفتري** 6، ص426، بتاريخ 22 شعبان 972هـ/25 مارس 1565م. /**التميمي**: **دراسات**...، **المرجع السابق**، ص181.

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** 5، حكم 817، ص313، بتاريخ 23جمادى الثانية 973هـ/13 جانفي 1566م / عبد الجليل التميمي: **دراسات**... ، **المرجع السابق**، ص 178.

[2] أ.ع: **مهمة دفتري** 10، ص99، بتاريخ 4 رمضان 979هـ/19 مارس 1572م./ التميمي، **دراسات** ...، **المرجع السابق**، ص 193.

أ.و.ج : **مهمة دفتري** 16، حكم 555، ص 313، بتاريخ 11جمادى الثانية 979هـ /30 أكتوبر 1571م، كما وجه فرمانا لأعيان الجزائر لمساعدته، ينظر:

أ.و.ج: **مهمة دفتري** 16، حكم 647، ص 368، بتاريخ 17جمادى الثانية 979هـ /5 نوفمبر 1571م.

[3] أ.ع: **مهمة دفتري** 10، ص102، بتاريخ 2 رمضان 979هـ / 17 مارس 1572م../ التميمي، **دراسات** ...، **المرجع السابق**، ص 194.

[4] أ.ع: **مهمة دفتري** 10، ص 222، بتاريخ 5 رمضان 979هـ/21 جانفي 1572م/ التميمي، **دراسات** ...، **المرجع السابق**، ص ص 194-195.

ما قبل الآخير وجه له في شوال (979هـ/فيفري 1572م)[1]، توفي باسطمبول، عن عمر يناهز55 سنة ودفن قرب والده خير الدين.

2- مامي أرناؤوط: وهو من أشهر رياس البحر الجزائريين خلال القرن (10هـ/16م)، ويعتبر العدو الأكبر للمسيحيين وخاصة الاسبان منهم، عين رئيسا للأسطول الجزائري سنة (982هـ/1574م)، وبقي في مركزه إلى غاية (1003هـ/1595م)، وفي تقرير مؤرخ في أول سبتمبر (995هـ/1587م) أنه من أهم رياس الجزائر ويملك سفينتين، غاليرة بها 24 دكة تجديف وغليوطة ب22 دكة تجديف، وقد قام مامي رايس سنة (1003هـ/1595م) بالاستيلاء على سفن كانت تابعة للتاجر الفرنسي"توماس لانش"[2].

3- الرايس حسن فينيزيانو باشا: اسمه الأصلي أندريتا (Andretta)، أسر في صغره من طرف مراكب بقيادة درغوث رايس، عمل نائبا للكاتب على ظهر سفينة للنخاسين، ووصفه سيرفانتيس الذي رآه عندما كان أسيرا في الجزائر بأنه يتميز بالذكاء والشجاعة وقربه إليه قلج علي لما أصبح حاكما على الجزائر وجعله أمين المال، وانتقل معه إلى اسطمبول عندما عين قائدا للأسطول العثماني، واشتغل عدة وظائف منها وظيفة حارس العبيد[1]، وأصبح حسن فنزيانو واحدا من قباطنة قلج علي باشا الذين أظهروا نشاطا وفعالية وهنا كانت له الفرصة ليعين حاكما على الجزائر[2].

عند توليه الحكم لأول مرة على الجزائر كان عمره 30 سنة وفي فترة حكمه قام بممارسة الغزو البحري بنفسه وكان حسن فنزيانو يحبذ التدخل في المغرب، لكن السلطان لم يسمح له بذلك، فبعد توليه مباشرة حكم الجزائر وصلته أوامر من السلطان العثماني مراد الثالث تطلب منه إعادة ما استولى عليه جنود سلفه رمضان باشا من بلدة مغربية وأمره بعدم تعرض رياس

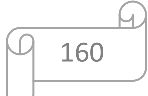
---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** 10، ص120، بتاريخ 2 شوال 979هـ/17 فيفري 1572م./ التميمي، **دراسات** ...، **المرجع السابق**، ص 194.

[2] جميلة ثابت: **المرجع السابق**، ص ص 68-69.

[1] Haedo: **op.cit**, p175.

[2] Ibid, pp175-176.



البحر للتجار، وعدم التعرض والتدخل في أملاكه[1]، أما عن علاقته بفرنسا فقد استطاع الفرنسيون في عهده إقامة قنصلية لهم في الجزائر سنة (984هـ/1577م) كما سمح لهم بصيد المرجان سنة (985هـ/1578م) امتثالا لأوامر السلطان[2].

أول عمل قام به حسن فنزيانو عند وصوله الجزائر بعد توليه حكمها، مصادرة العبيد من أسيادهم ورفع الضرائب على الأهالي. وقد عرفت الجزائر في الفترة ما بين (987هـ/1580م و986هـ/1579م) جفافا وقحطا شديدين فعمت المجاعة في مختلف مناطق الجزائر وحصدت الأرواح من الأهالي والأندلسيين، وقد أثارت السياسة الداخلية لحسن فنزيانو الجميع فطالبوا من السلطان تنحيته من خلال إرسال مذكرة تضمنت مساوئ إدارته مع وفد يتكون من الشخصيات والأهالي، ولبى السلطان طلبهم وأصدر حكما إلى آغا الإنكشارية ورياس البحر في الجزائر بمنع حسن فنزيانو من السفر برا وبحرا وأصدر أمرا آخر لجعفر باشا بالذهاب إلى مدينة الجزائر، حيث عينه في مكانه وطلب منه النظر في الشكوى وفي أحوال الناس في كل من الجزائر وتونس[1].

عين حسن فنزيانو حاكما على الجزائر للمرة الثانية سنة (989هـ/1582م)، بوساطة من قلج علي لدى السلطان، وعاتب حسن فنزيانو باقي الرياس على تخاذلهم عند وصوله الجزائر وإهمالهم واجبهم، فقام بتنشيط الغزو البحري ضد الأهداف الإسبانية وضرب الأهداف المسيحية في سواحل البحر المتوسط مع الاستمرار في نقل المسلمين من الأندلس[2].

بعد وفاة قلج علي عيّن حسن فنزيانو قائدا للأسطول العثماني أي قابودان، وبعد مرور ثلاث سنوات توفي حسن فنزيانو مسموما وذلك سنة (999هـ/1591م) حسب ما ذهب إليه هايدو من طرف سيكالا الذي كان يطمح ليصبح قابودان باشا[3].

---

[1] أ.و.ج: **مهمة دفتري 30**، حكم **427**، ص**182**، بتاريخ 2 رجب 985هـ/14 سبتمبر 1577م. / عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص111.

[2] أ.و.ج: **مهمة دفتري 35**، حكم **314**، ص **122**، بتاريخ 3جمادى الثانية 986 / 7 أوت 1578م.

[1] أ.و.ج: **مهمة دفتري 44**، ص**136**، بتاريخ **990**هـ/**1582**م./ **مهمة دفتري 44**، ص**183**، بتاريخ**991**هـ/**1583**م.

[2] ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص ص 44-43. /فكاير: **المرجع السابق**، ص280.

[3] Haedo: **op.cit**, p204.

4- علي بتشين: كان من أكبر الرياس وأكثرهم ثروة خلال القرن (11هـ/17م) أصله إيطالي، واسمه بتشينيو (Piccinio) جاء بإرادته إلى الجزائر يقود سفينة كان يستعملها في القرصنة في البحر الأدرياتيكي، ويقال أن علي بتشين ليس من الأعلاج وأنه من أب تركي وأم جزائرية واسمه الأصح هو علي بجين[(1)].

يعتبر من أهم ملاك السفن ومن أكبر تجار العبيد، واختصاصيا بارعا في المضاربة على فدية الأسرى الذين لهم مكانة اجتماعية في بلادهم، وقد وصفه الراهب الفرنسي لويس هيرو الذي قدم إلى الجزائر لافتداء الأسرى، قائلا عنه بأنه كان عقلا كبيرا موهوبا بكثير من الحصافة كريما جدا، وشجاعا إلى أقصى ما يمكن وسياسيا محنكا [(2)]، واستمر في قيادة عمليات الغزو البحري إلى أواخر حياته، وكان لا يخاطر بسفنه ورجاله في حملات غير مضمونة، أصبح الرايس علي بتشين هو صاحب السلطة الفعلية في الجزائر، وهذا ما تؤكده رسالته التي وجهها إلى لويس هيرو حول افتداء الأسرى، فقد أمضى في (23شوال1054هـ/ 22ديسمبر 1644م) بأن علي بتشين حاكم وقبطان عام البحر والبر في الجزائر[(1)]، رغم تواجد الباشا في منصبه وآغا على رأس الجيش، ويرى الكثيرون بأنه كان يفكر في الانفصال بالجزائر عن الدولة العثمانية مثل ما حدث في تونس، التي استولى على الحكم فيها حمودة باي سنة (1050هـ/1640م)، [(2)] وعلى هذا الأساس طلبت الإنكشارية من الديوان أن يقوم علي بتشين بدفع رواتبهم.

ولما غدا من أهم رياس البحر في الجزائر تمكن من جمع ثروة ضخمة وإحراز مكانة هامة عند الأهالي جعله كل هذا صاحب السلطة الفعلية في الجزائر ما بين (1055هـ/1645م-1047هـ/1637م)[(3)] وكان له دور كبير في التأثير على قرارات الحكومة الجزائرية من إقرار السلم، وإعلان الحرب في الفترة المذكورة نظرا للمكانة الكبرى التي كان يتمتع بها بين رياس البحر وداخل الديوان، كما أنه كان رافضا للسلم مع فرنسا، فقرر الديوان عدم إبرام السلم مع الفرنسيين في (08ديسمبر1047هـ/1637م) وهدم علي بتشين الباستيون وأخذ كل

---

(1) المنور مروش: **دراسات عن الجزائر...**، **المرجع السابق**، ج1، ص274./

Haedo: **Topographie**…,**op.cit**, p63.

(2) نقلا عن المنور مروش: **المرجع السابق**، ص 273.

(1) Dan : **op.cit**, p145.

(2) Pierre Boyer : **Alger en 1645 d'après les notes du R.P .Hérault**, in R.O.M.M , 1974 , pp 22-23.

(3) المنور مروش: دراسات عن الجزائر...، **المرجع السابق**، ج 1، ص239.

الفرنسيين كأسرى إلى الجزائر ولم يتمكن الفرنسيون من تكليف أسطولهم بالانتقام من الجزائريين[1].

5-الرايس الحاج حسين ميزومورتو: (1094-1101هـ /1683-1689م)

يعتبر ميزومورتو[2] أحد الدايات الذين كان لهم دور مهم في سياسة الجزائر، وآخر البحارة الكبار الذين عرفتهم البحرية العثمانية أصله إيطالي، أسلم بالجزائر وحج البيت الحرام ولقبه أهالي الجزائر بالحاج حسين[1]، قال عنه القنصل الفرنسي دارفيو بأنه أكثر تهذيبا واعتدالا، وأنه أكثر أمانة من كل الرياس الآخرين[2].

ووصفه التلمساني أنه كان رجلا مدبرا شجاعا يحب العلماء، وأهل الصلاح[3]. وقد كان الحاج حسين ميزومورتو من أكبر رياس البحر في الجزائر، استولى على غنائم كبيرة منذ سنة (1080هـ/1669م) إلى غاية (1082هـ/1671م) شارك في معركة كبيرة بين السفن الجزائرية والأسطولين الإنكليزي والهولندي المشتركين في حصار السفن الجزائرية في مضيق جبل طارق سنة (1081هـ/1670م).

بعد تمرد الإنكشارية على "علي آغا " وعجز الديوان عن تعيين آغا جديد، كان حسين ميزومورتو من بين الرياس الذين استولوا على الحكم بزعامة محمد التريكي في سنة (1082هـ/1671م)[4].

وفي عهد الداي بابا حسن، أصبح الحاج حسين ميزومورتو رئيسا لطائفة رياس البحر، وبعد اغتيال الداي بابا حسن اتفق أهالي الجزائر على تنصيب الحاج حسين ميزومورتو دايا على الجزائر، وبعد التنصيب أمر قائد الأسطول الفرنسي بتحرير الأسرى المسلمين فرفض القائد

---

(1) جميلة ثابت: **المرجع السابق**، ص ص 114-115.

(2) لقب بمعنى نصف ميت وقد أطلق عليه هذا اللقب حسب بعض الآراء لشحوب وجهه وحسب آخرين بعد نجاته من انفجار متفجرات، ينظر:

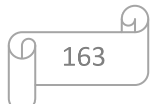
- H.D de Grammont: **un Académicien captif à Alger** (**1674-1675**) R.A,1882, p318.

(1) Devoulx: **op**.**cit**, in R.A, 1869, p30.

(2) D'Arvieux: **op.cit**, T5, p127.

(3) التلمساني: **المرجع السابق**، ص22.

(4) ابن حمادوش: **المرجع السابق**، ص226.



الفرنسي طلب الداي، وطالب بدفع مصاريف الحملة وتحرير جميع الأسرى الفرنسيين،كما تمكن ميزومورتو من الحصول على التولية الرسمية من السلطان في سنة (1098هـ/1686م) و عين إبراهيم خوجة كداي على الجزائر، لكن السلطة الفعلية في يد الحاج حسين ميزومورتو[1].

شهدت مدينة الجزائر سنة (1095هـ/1684م) اضطرابات داخلية فخاض الحاج حسين ميزومورتو المعارك بنفسه، وقيل بأن باي تونس هو من أثارها من خلال عملائه فأرسل الحاج حسين لها حملة بقيادة إبراهيم خوجة في سنة (1097هـ/1686م) مستغلا الخلافات بين أفراد العائلة الحاكمة بها بعد عودة المحلات من تحصيل الضرائب. وفي سنة (1101هـ/1689م) أعلن أهالي الجزائر التمرد على الحاج حسين ميزومورتو[1]، بدعوى أنه أبرم اتفاقا مع فرنسا دون مشورتهم ، وتزامن ذلك مع استدعاء السلطان العثماني له لقيادة الأسطول العثماني والالتحاق بسفن أوجاقات الغرب (الإيالات المغاربية) قصد مساعدة الأسطول العثماني في حروبه[2]. وهناك تولى منصب قابودان باشا ، وإلى غاية سنة(1124هـ/1712م) ذكر اسمه في عديد الوثائق العثمانية[3]. واستطاع هزم البنادقة، والاستيلاء على

---

[1] ألتر: **المرجع السابق**، ص426.

[1] أرسل السلطان العثماني فرمانا للداي شعبان وكل أفراد الديوان، يأمرهم فيه بضرورة حل الخلافات بين الحاج حسين والانكشارية، ينظر:

أ.ع: **مهمة دفتري** 99، حكم 312، ص98، بتاريخ أوائل جمادى الأولى 1011 هـ / أواسط فبراير 1690.

[2] أ.ع: **MFB,6/1** بتاريخ 3ربيع الأول 1101هـ/ 22 أفريل 1689م، وكان السلطان قد أرسل فرمانات للإيالات المغاربية بهذا الشأن وضرورة التزامهم بتعليمات الحاج حسين، وللاطلاع أكثر عن هذا الموضوع، ينظر الوثائق التالية:

-**مهمة دفتري** 99، حكم 154، ص26، بتاريخ أوائل ربيع الأول 1101 هـ/أواسط ديسمبر 1689م .

-**مهمة دفتري** 99، حكم 296، ص 93، بتاريخ أوائل جمادى الأولى 1011 هـ/أواسط فبراير 1690م .

-**مهمة دفتري** 99، حكم 300، ص95، بتاريخ أوائل جمادى الأولى 1011 هـ/أواسط فبراير 1690م.

[3] أ.ع: **مهمة دفتري** 104،حكم 698، بتاريخ 29 جمادى الآخرة 1104هـ/ 6 مارس1693م.

- **مهمة دفتري** 104، حكم 865، بتاريخ 20 رجب1104هـ/26 مارس1693م.

- **مهمة دفتري** 104، حكم 898، بتاريخ 30 رجب 1104هـ/5 أفريل 1693م.

-**مهمة دفتري** 104، حكم 968، بتاريخ 20 رجب 26/1104 مارس 1693م.

-**مهمة دفتري** 105، حكم 265، بتاريخ 10 جمادى الأولى 1106هـ/26 ديسمبر 1694م.

-**مهمة دفتري** 105، حكم 436، بتاريخ 10 جمادى الآخرة 1106هـ/13 فيفري 1695م.

-**مهمة دفتري** 111، حكم 2329، بتاريخ 29 ربيع الأول 1113هـ/2سبتمبر1701م.

- **مهمة دفتري** 119، حكم 1155، بتاريخ 20 شوال 1124هـ/19نوفمبر1712م.

جزيرة شيو (Chio)، وبقي في منصبه حتى وافته المنية ودفن بهذه الأخيرة[1]. ومن أبرز منجزاته بناؤه لجامع سنة (1097هـ/1686م) وأوقف عليه أراضي ودكاكين وأوكل أمر تسييره لمجلس إدارة أملاك مكة والمدينة، ووزعت أمواله على إصلاح المسجد ودفع رواتب كل من الخطيب والمدرس والعاملين في المسجد[2].

ب-طاقم السفينة الجهادية:

أما بالنسبة للسفن الخاصة بالغزو البحري فقد كانت تضم طاقمًا منظمًا كما يلي:

1- قبطان السفينة: وتقع عليه مسؤوليات كالحفاظ على أرواح طاقم السفينة والبضائع والغنائم، كما يجب عليه أن يكون على دراية بكل ظروف الإبحار ويتطلب منه توفر مهارات مهنية ومعلومات نظرية وعلمية[1].

2- الربان أو المعلم: وهو الشخص الذي له معرفة وخبرة بالموانئ، كما يشترط اطلاعه على علم الفلك، ومعرفة الجبال والجزر، والخلجان، ويكون مطلعا على السفينة وأجزائها وأدواتها[2].

3- لباش رايس: وهو القائد العام

4- الرايس: وهو نائب القائد العام

5- رايس العسة: وهو قائد النوباجية.

6- رايس التريك: رايس احتياطي لقيادة المراكب المحتمل الاستيلاء عليها.

7- باقاتجي: وهو ضابط إداري مكلف بالتجزئة.

8- صف الضباط: وهم البحارة العاملون ويتدرجون حسب هذا الترتيب:

سندر الراسي: وهو قائد الإبحار، **وكيل الخرج:** وهو وكيل مكلف بالمدفعيين-وكيل خرج للقيادة العليا، وكيل خرج ضمن الطاقم، **الخزناجي:** وهو المكلف بالإشراف على مخزن

-**C..TZ. 80 3997** بتاريخ 2 ربيع الأول 1112هـ الموافق ل 16 أوت 1700م.

[1] ابن المفتي: **المصدر السابق**، ص56. / إلتر: **المرجع السابق**، ص ص22،431.

[2] De Voulx: **op.cit**, in R.A, 1869, p30.

[1] بن ماجد أحمد: **ثلاث أزهار في معرفة البحار**، تر. محمد مدير مرسى، تح ونشر. تيودور شوموفسكي، عالم الكتب، القاهرة، 1969م، ص 79. / عبد الحليم سرحان: **المرجع السابق**، ص 190.

[2] عبد الحليم سرحان: **تطور صناعة السفن....، المرجع السابق**، ص 190.

الذخيرة، المبرجي: وهو حارس العتاد، **دمامجي**: وهو نوتي الإشارة، **مستورداش**: وهو النجار، بريطاجي: نوتي، **برقانجي**: وهو معلم الشراعيين، **باش دمامجي**: وهو قائد النوتية، الجلفاط: وهو مكلف بدهن السفينة، **قارضا كابو**: وهو شراعي المسطبة[1].

خامسا- الألوية والرايات:

استعمل رياس الجزائر طوال العهد العثماني رايات متعددة، منها ما اشتركوا فيه مع العثمانيين بحكم انتمائهم للدولة العثمانية، ومنها ما انفردوا بها لاعتبارات خاصة بهم، وكان للأسطول الجزائري ألوية وأعلام خاصة به يستعملها، وكان العلم الجزائري الذي يرفع عند خروج الأسطول من النوع الرفيع ذا لون أخضر وبه هلال ونجوم ذات لون فضي، وقد استعمل خير الدين بن يعقوب علما ذا لون أخضر به سيف ذو الفقار، وهو العلم الذي يرفعه عادة أميرال الأسطول العثماني[1]. وقد كان رياس البحر يرفعون رايتهم على صواري السفن، فهي وسيلة التفاهم بين مراكب الأسطول الواحد نهارا إلى جانب تمييزه عن بقية الأساطيل الأخرى، وكانت مراكب بعض الدول الصغرى ترفع رايات دول بحرية كبرى للتمويه على أعدائها، فعلى سبيل المثال كانت السفن الحربية المالطية وبعض الممالك الايطالية ترفع العلم الفرنسي في بعض الأحيان، كما كانت سفن الجزائر وتونس ترفع العلم الطرابلسي لذات الغرض، وقد كان هذا الأسلوب شائعا عند عديد الأساطيل البحرية، وخاصة في حالات الحرب، حيث يصبح كل شيء مباحا من أجل تحقيق النصر[2].

ويذكر كوردوقلي Kurdoglu أن العلم الجزائري خلال معركة ليبانت والذي كان يحمله القلج علي، ذا لون أخضر مطرز بالآيات القرآنية وبه ختم أبيض اللون يمثل علامة الجزائر، غير أن البحرية الجزائرية لم تستعمل هذه الأعلام فقط، بل هناك أعلام أخرى ذات

---

(1) علي خلاصي: **المرجع السابق**، ص ص 180-181.

(1) ميمن داود: **المرجع السابق**، ص 428. /شاوش حباسي: **أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر**، تطوره الشكلي وتحليل مضمونه (الإيديولوجي والسياسي) الوطني (1518-1945م)، مجلة الدراسات التاريخية، مج.6، ع.1، الجزائر، 1995م، ص ص 106-107.

(2) عبد الحليم سرحان: **تطور صناعة....**، **المرجع السابق**، ص 210.

أشكال مقرنة عليها أشكال مختلفة كالأهلة والنجوم والشمس والسيوف المتقاطعة وكانت تستعمل من قماش الطافطا ومن كل الألوان[1].

وقد كان لفرقة الطوبجية أو المدفعية رايات حمراء اللون مذهبة الأطراف في وسطها رسم لمدفع، وأمام فوهة المدفع كرة وخلفه ثلاث كور، وكان لرامي الهاونات علم أيضا أحمر اللون مصمت مذهب الأطراف يتوسطه رسم لمدفع هاون[2].

يمكن الإشارة أن رتب البحارة في الأسطول العثماني كانت مرتبطة بالرايات والأعلام مثلا القبودان والقباطنة والصواري، كان لكل واحد منهم علم وراية مميزة ذات ألوان مختلفة تدل على درجته. كما أن هناك بعض الآراء تقول أن لون وشكل العلم ليس لهما دخل في تحديد مدلول الإشارة، بل موقع العلم في السفينة هو الذي كان يعتمد عليه، وكان سرا لا يباح به، وكان هذا الأمر مقتصرا على السفن الحربية دون التجارية خاصة عند مشاركتها في المعارك البحرية[1].

خاتمة الفصل: ومما سبق يمكننا القول:

- أن السواحل الجزائرية كانت تشكّل قواعد بحرية جهادية متقدمة في بلاد المغارب، الأمر الذي جعلها تلعب دورا هاما في مقاومة الهجمات الأورومسيحية خاصة الإسبانية، وكل هذا راجع لاهتمام حكام إيالة الجزائر بالجانب الدفاعي والعسكري بالدرجة الأولى، لتكون شوكة في حلق الأعداء، بالإضافة لكون السواحل أصبحت قلب الاقتصاد من خلال المبادلات التجارية

---

(1) نعيمة بوحمشوش: **مساهمة البحرية...، المرجع السابق**، ص 119.

(2) شوكت محمود: **التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة 1825**، تر. محمود عامر، دار طلاس للدراسات، ط1، 1988م، ص80. /ميمن داود: **المرجع السابق**، ص 336.

(1) ياسين عبد الناصر: **الأعلام البحرية تاريخها ومهامها وتصاويرها في المخطوطات والفنون الإسلامية**، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2008، ج1، ص 63. / ميمن داود: **المرجع السابق**، ص338.

الداخلية والخارجية، وكذلك العائدات البحرية الأمر الذي جعلها تدخل ضمن ميدان المنافسة والصراع العسكري والتجاري مع الموانئ الأوروبية.

- إن تحصينات مدينة الجزائر خلال العهد العثماني والمتمثلة في الاستحكامات العسكرية كانت بعد ظهور حركة عمرانية كبيرة في الإيالة لتعزيز القوة الدفاعية في ظل الصراع الإسلامي الأورومسيحي ، والتي كانت عبارة عن قلاع وحصون على طول الساحل البحري الذي يمتد على مسافة 1200كم، ولم يكتف حكام الجزائر ببناء الأسطول ومقارعة المسيحيين في البحر، بل حصنوا المدينة بالأسوار والقلاع والحصون المزودة ببطاريات المدافع، حيث مثلت القصبة أعلى مكان للمدينة والتي كان فيها مقر الحاكم وذلك لتأمينها من التدخل الخارجي.

- وبما أننا نتحدث عن القوة البحرية الجزائرية نذكر أن انبعاث النشاط الملاحي بقوة في الحوض الغربي للمتوسط كان بفضل جهود خير الدين من خلال بناء دار لصناعة السفن الحربية في الإيالة، بالإضافة لمساهمة الأندلسيين والأعلاج، وتوفر الثروة الغابية، والموقع الجغرافي الممتاز. كل هذه العوامل أكسبت البحرية الجزائرية مكانة وقوة خاصة أمام المد الصليبي المسيحي.

الفصل الثاني:

حركة الجهاد البحري الجزائري، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن(10هـ/16م)

المبحث الأول: دور مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة الاحتلال الإسباني وحملاته على الجزائر خلال القرن (10هـ/ 16م)

المبحث الثاني: دور حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة الإسبان على المستوى الإقليمي خلال القرن (10هـ/ 16م)

المبحث الثالث: العمليات الجهادية للبحرية الجزائرية على الصعيد العالمي خلال القرن (10هـ/ 16م)

تمهيد:

تميزت العلاقات الجزائرية الإسبانية منذ بداية القرن (10هـ/ 16م) بالعداء الشديد وكان من أهم أسبابه طرد مسلمي الأندلس من إسبانيا بعد سقوط غرناطة سنة (897هـ/ 1492م)، ولم يكتفوا بذلك فحسب، بل مدوا أنظارهم إلى بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، إذ تعرضت الجزائر للغزو الإسباني منذ العقد الأول من القرن المذكور، واستغلوا بذلك أوضاعه المتدهورة التي كانت عبارة عن فسيفساء سياسية متطاحنة فيما بينها عن وراثة ملك الموحدين، وبدأوا في احتلال سواحله بدء بالمرسى الكبير (911هـ/1505م)، ووهران (914هـ/1509م)، ثم بجاية (915هـ/1510م)، ليأتي الدور فيما بعد على مدينتي مستغانم والجزائر، إلا أن الصراع بقي مستمرا رغم أن الدولة العثمانية أبرمت هدنة مع الإسبان أواخر القرن (10هـ/16م) لكن رياس الجزائر لم يلتزموا بها واستمروا في محاربة الإسبان كونهم محتلين لسواحله، ومن هذا السياق نطرح الاشكال الآتي:

ما الدور الذي لعبته المراكز الجهادية الجزائرية في التصدي للحملات الإسبانية خلال القرن (10هـ /16م)، وما أهم العمليات الجهادية الجزائرية؟

المبحث الأول: دور مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة الاحتلال الإسباني وحملاته على الجزائر خلال القرن (10هـ/16م):

لما كان الإسبان يغزون الشواطئ الجزائرية في مطلع القرن(10هـ/16م)، كانت طلائع غزاة البحر العثمانيين ممثلة في الإخوة أبناء يعقوب، قد وصلت للحوض الغربي للبحر المتوسط، ملحقة بالسفن والشواطئ المسيحية خسائر كبيرة، مما شجع الجزائريين على طلب النجدة منهم، وقد استجاب أبناء يعقوب لطلبهم، وبفضل مجهوداتهم ومشاركتهم في الدفاع عن البلاد استطاعوا تحرير السواحل الجزائرية من قبضة الإسبان وبالتالي فشل المخططات الإسبانية في السيطرة على المنطقة ككل، لتصبح الجزائر قوة يحسب لها ألف حساب في المنطقة.

أولا- الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وجهود أبناء يعقوب (الإخوة بربروس) في صده:

1/ السواحل الجزائرية قلاع مسيحية:

بعد أن قويت شوكة الإسبان بفضل الخيرات التي كانت تتدفق على بلادهم من العالم الجديد وبفضل تطور الأسلحة، أخذوا يفكرون في التوسع على حساب البلاد الإسلامية، ومحو الإسلام ونشر المسيحية [(1)]. فبدأ التفكير في المشروع الكبير نظريا، والمتمثل في احتلال بلاد المغارب انطلاقا من المرسى الكبير[(2)]، إثر اتفاقية "**توردیسیلاس Tordesillas**"[(3)] في (4 رمضان 899هـ/7جوان1494م)، والتي بموجبها تقاسمت إسبانيا والبرتغال بلدان المغرب بينهما.

أ- **المرسى الكبير**: قام الإسبان باحتلال المرسى سنة (911هـ/1505م)، وذلك لما له من أهمية، كونه قريبا من الأراضي الإسبانية ومدينته تبعد بثماني كيلومترات عن وهران، وحسب **حسن الوزان** فإن هذا الميناء ترسو فيه مئات المراكب والسفن البحرية في مأمن من العواصف

---

(1) أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ش.و.ن.إ، الجزائر، ط2، 1981م، ص ص201-202.

(2) De Sandeval: **« Les inscriptions d'Oran et Mers El-Kébir** », R.A, T9,1865 , p65 .

(3) بعد اتفاقية توردیسیلاس تلتها اتفاقية سينترا في 1509م التي حدّدت مجال عمل كل طرف، فكان مجال الإسبان يبتدئ بحجر بادس ويمتد شرقا إلى ما يليه، أما مجال عمل البرتغاليين فيمتد غرب بادس. ينظر عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص47.

والأعاصير[1]، كانت الحملة تحت إمرة **دون ديقو فيرناندز دي قرطبة Don Diego Fernandez de Cordoba**، وجيشا قوامه 5 آلاف رجل، ولحسن حظهم انسحب الكثير من المجاهدين لتأخر وصول الحملة بسبب الرياح العكسية، ولم يجدوا سوى حامية تتألف من 500 مجاهد حاولوا صد الإنزال لكنهم فشلوا، وانتهت المواجهة بينهما بعقد هدنة بين الطرفين [2]، فتمكن الإسبان من السيطرة على المدينة وإخلائها من قاطنيها، وتحويل مسجدها لكنيسة، ثم رمموا أسوارها ونصبوا عليها المدافع لمنع تقدم المجاهدين نحوهم، على أن تكون المدينة مركزا ينطلقون منها لاحتلال بقية السواحل[3].

ب- وهران: في عام (915هـ/1509م) احتلت وهران من طرف الكاردينال "**اخسيمنس**" صحبة "**القائد بيدرو نفارو**" على رأس 10000 مشاة، و4000 حصان، و800 متطوع، ونزلوا بالمرسى الكبير ومنها اتجهوا لمدينة وهران [4]، وتمت الاستعانة باليهودي "**استورا**" وبعض أعوانه من الخونة أمثال "**عيسى العربي والقايد بن قانص**" ففُتحت لهم أحد أبواب المدينة غدرا وخديعة، وهوجم الأهالي بوحشية لا نظير لها، فقتلوا وأسروا ونهبوا الآلاف، وقام الكاردينال "**أخسيمنس**" بتحويل المساجد لكنائس، وأنشؤوا حصونا وقلاعا لحماية أنفسهم، وقاموا بتسخير مشاريع تسمح لهم بالسيطرة على السواحل الغربية الجزائرية انطلاقا من إذلال القبائل وفرض الاتفاقيات [5].

ج- بجاية: اعتبرت في تلك الفترة مركز إشعاع علمي وحضاري، ولكونها مصابة بداء العروشية -مثل بقية بلدان المغرب الإسلامي-فقد عاشت بسببه أجواءً من الفتن العائلية على الحكم بين الأمراء الحفصيين [6].

---

(1) الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص31.

(2) H. De Grammont**: Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830**, Erneste Leroux, Paris, 1887, op.cit, p8.

(3) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، **المرجع السابق**، ص ص 86-92.

(4) عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره ....**، **المرجع السابق**، ص54.

(5) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة ....**، **المرجع السابق**، ص ص100-103.

(6) Charles Feraud: «**Conquètte de Bougie par les Espagnols, d'apres un Manuscrit Arabe** », R.A, T12, 1868, pp248-249.

لم تكن هذه الأحداث غائبة عن الإسبان، بل هي من الأسباب التي حفّزتهم على احتلالها، إضافة لذلك طمعهم في خيراتها فقد كانت أغنى المدن[1]. ومعاقبة لها على المجهودات التي تقوم بها سفنها الحربية من أعمال انتقاما للأندلسيين، وتعاطفهم أيضا مع أهالي المرسى الكبير حين سارعوا لنجدته سنة (913هـ/1507م) برا وبحرا[2].

كان بيدرو نافارو (Pedro Navaro) على رأس الأسطول الإسباني[3]، الذي وصل بجاية في (25 رمضان 915هـ/5 جانفي 1510م)[4]. وتمّ إنزال الجنود ليلا ليبدأ الهجوم مع طلوع الفجر، وقد تمكّن الإسبان بفضل مدفعية السفن المصوّبة نحو تحصينات المدينة من فتح فجوة في السور المحيط بها مكّنتهم من السيطرة عليها، رُغم المقاومة الشديدة لأهالي المدينة والمدافعين عنها، وعلى رأسهم حاكم قسنطينة الحفصي عبد العزيز. إلاّ أنّ المعركة حُسمت لصالح الإسبان الذين قاموا بتخريب معالمها العمرانية (المسجد الأعظم)، ونهبوا خيرات المدينة وثرواتها التي كانت تنعم بها، ونُقلت كغنائم لإسبانيا[5].

ونظرا لخوف الإسبان من رد فعل المسلمين، لم يجدوا وسيلة أحسن من تذكية الخلافات العائلية التي ظلت بعد سقوط المدينة، فقد دخل عبد الله المخلوع مع أتباعه تحت لواء الإسبان، وغدا دليلَهم في المناطق الداخلية[6]. كما أن الهدف من هذه المناورة هو إضعاف المقاومة

---

(1) Fernand Braudel: «**Les Espagnoles et L'Afrique du Nord de 1492 -1577**», R.A, T 69, 1928, p213.

(2) Feraud**: op.cit**, p25.

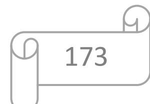
(3) لقد اختلفت تقديرات عدد الجيش، فحسب:

- الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج 2، تهميش1، ص51، قدر بـ 8000.
- أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق**، ص109، بـ 10000.
- مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص271، بـ 15000.
- دي غرامونت (De Grammont) بـ 14000 جندي، ص115.

(4) يوسف بنوجيت: **قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر للميلاد**، تع. سامية سعيد عمار، تق.محفوظ قداش، دحلب، الجزائر 2007م، ص41.

(5) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق**، ص111.

(6) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص378.



بتقسيمها بين الموالين لهذا الأخير، والمساندين لعمه عبد العزيز[1]. ثم انتقلت إسبانيا لاحتلال عنابة في العام نفسه، فلم تجد مقاومة تُذكر، وتُرك بها هي أيضا فرقة عسكرية[2].

د- المدن الجزائرية الخاضعة لإسبانيا عن طريق المعاهدات:

عقب احتلال الإسبان لبجاية، ما كان على المدن الواقعة بينها وبين وهران، إلا إعلان التبعية والقبول بما يمليه عليهم الإسبان من شروط مهما كانت مُذلة، خشية أن يلحقها ما أصاب أهالي بجاية ووهران من تقتيل وعبودية وتهجير، ومن أهم تلك المدن مستغانم والجزائر التي شيّد الإسبان على أكبر الجزر المقابلة لها حصن البنيون الذي يبعد عن ساحلها بحوالي 200 متر، به حامية تصوب مدافعها تجاه المدينة، وبذلك غدت شبه محتلة، تراقب حركة سفنها وتخنق اقتصادها[3].

وكانت مدينة تنس قد أعلنت ولائها، وكانت أول من خضع للإسبان سنة (913هـ/1508م) بعد احتلالها للمرسى الكبير، على أن يكون حاكمها تحت نفوذهم، وملتزما بدفع الضرائب[4]، أما مدينة مستغانم ومزغران فقد وقّع أعيانها معاهدة استسلام مع حاكم وهران في (28 صفر 917هـ/ 26 ماي 1511م)، تلزمهم بتسديد ما كانوا ملتزمين بدفعه من إتاوات للدولة الزيانية، وإطلاق سراح الأسرى، وتزويد وهران والمرسى الكبير بما تحتاجانه من مواد غذائية[5]. وفي سنة (917هـ/1512م) أرسل ملك تلمسان وفدا للإسبان معلنا التبعية والخضوع، وملتزما بما تعهدت به بقية المدن التي غدت تحت قبضة الإسبان، وعقدت معها معاهدة مدتها 5 سنوات، على أن تلك الأوضاع لم تستمر بسبب معارضة بعض ملوك الدولة الزيانية للخضوع للإسبان، لذلك تأرجحت هذه العلاقة بين الرفض والخضوع والانفصال[6].

---

[1] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة ....**، **المرجع السابق**، ص117.

[2] صالح اكليل: **المرجع السابق**، ص51.

[3] عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص17، / الحسن الوزان، **المصدر السابق**، ص38.

[4] عبد القادر فكاير: **المرجع السابق**، ص58.

[5] De La Praimaudaie Elie: «**Documents inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique (1506-1574)** », R.A, T19, Alger, 1875, pp 73-75.

[6] Braudel: «**Les Espagnoles**…» , op.cit, pp224.

2/أبناء يعقوب (الإخوة بربروس) والجهاد البحري:

في الوقت الذي أخذت تشتد فيه الحملات الإسبانية المسيحية على السواحل والموانئ المغاربية، بدأت الدولة العثمانية تتدخل في مصيرية وأحداث المنطقة، وتبعث لها بالمساعدات والرسل وتعترف بنشاط القادة المحليين، باعتبارهم مسلمين ورعايا عثمانيين، وتدعم خططهم لإنقاذ البلاد من السقوط في أيدي أعدائهم.

فأخذت بالتالي تبرز وتتعاظم في المغارب القوة العثمانية، فظهر على المسرح السياسي الأخوان عروج وخير الدين، اللذان نشطا في الدفاع عن السواحل المغاربية ضد التحالف التقليدي بين الإسبان والعروش الحاكمة، وقد أدركا منذ البداية أهمية جزيرة جربة، والموقع الاستراتيجي الهام الذي تحتله في طريق المواصلات بين غرب وشرق البحر المتوسط، فاتخذاها قاعدة لهما سنة (919هـ/1513م)، ونقطة انطلاق لعملياتهم الجهادية[1].

كان وجود الأخوين في جربة يشكل خطرا على الإسبان في طرابلس، لذلك كان الإسبان يسعون إلى تقويض سلطتهما المتنامية في الجزائر، وطردهما من قواعدهما في جربة، وذلك بحماية وتعزيز وجودهم في طرابلس. لهذا الغرض قاموا بعدة إجراءات لتقوية التحصينات الدفاعية حول طرابلس، للتصدي لأي هجوم محتمل يقوم به الأخوان عروج وخير الدين على المدينة [2].

كانت موانئ السلطة الحفصية هي التي تدعمت في أحواضها القوة البحرية للأخوين عروج وخير الدين وقد شجّعتهما انتصاراتهما البحرية على التقدم والتوغل في عرض البحار للسواحل الإسبانية، كما عملا على تخليص بعض الموانئ الجزائرية من الاحتلال الإسباني، وإنقاذ العديد من المسلمين بالأندلس[3].

---

[1] أحمد بن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، 3ج، النشرة الثانية، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، تونس والجزائر، 1977، ج2، ص 10.

[2] حبيب وداعة الحسناوي:" **العلاقات السياسية بين طرابلس وجربة في القرن السادس عشر**"، أعمال الملتقى حول تاريخ جربة (أفريل 1982)، المعهد القومي للآثار والفنون، جمعية صيانة جزيرة جربة، 1986، ص43.

[3] محمد المطوي العروسي: **المرجع السابق**، ص 675.

أ– أول مواجهة لأبناء يعقوب (الإخوة بربروس) ضد الإسبان في بجاية:

كانت بجاية أول المناطق التي تطلب النجدة من الأخوين على حدّ قول **بن أبي الضياف**: "فكاتبه العلماء والأعيان من أهل بجاية يستصرخونه في إنقاذها من يد العدو"[1]. كما أنّ ملك بجاية المخلوع أرسل إليهما يطلب المساعدة، ووعد بمنحهم بعض المكافآت منها وضع ميناء المدينة الواسع تحت خدمة سفنهم، وإيوائها خاصة في فصل الشتاء[2].

لكنّ ما جاء في كتاب "**الغزوات**": أن عروج ذهب بقواته إلى بجاية عندما وقعت تحت الاحتلال الإسباني، ولم يذكر أنه تلقّى من أهلها طلب المساعدة، فقد ورد فيه: "كان قد سمع أن بجاية أخذها النصارى من أيدي المسلمين، فظهر له أن يغزوها بمن معه من الغزاة، فسافروا إلى ناحية بجاية"[3].

1 – المحاولة الأولى سنة (918هـ/1512م):

أخذ الأخوان وجهتهم صوب بجاية على رأس خمس سفن[4]، تحمل على متنها عددا من المدافع وأسلحة أخرى، وألف مجاهد عثماني وعربي من المغرب الإسلامي[5].

عندما اقتربت السفن من المدينة اصطدمت بأسطول إسباني يتألف من 15 سفينة كانت راسية في ميناء المدينة تحركت تريد اعتراض السفن الإسلامية، إلا أن فعالية قذائف مدفعية عروج كانت كبيرة ممّا أدّى إلى إغراق إحدى سفنهم وأسر اثنتين[6]، بينما فرّت السفن الباقية مسرعة نحو الميناء، وتمّ إرسال السفينتين المحجوزتين إلى تونس[7]. ثمّ نزل عروج من البحر

---

(1) ابن أبي الضياف: **المرجع السابق**، ص10. / أبو عبد الله الأعرج: **تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبد القادر (عن كتاب الشماريخ القسم الثاني، وجزء من القسم الثالث)**، تح.حساني مختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص19.

(2) Fray, diego de Haedo : « **Histoire des Rois d'Alger** », Trad par H.D.Grammont, R.A, T24, 1880, p48.

(3) المجهول: **غزوات عروج وخير الدين...، المصدر السابق**، ص17.

(4) Rotalier (Ch، de): **Histoire d'Alger et la piraterie des Turcs dans la Méditerranée à dates du seizième siècle**, 2T, Paulin, Paris 1841, T1, p85.

(5) Haedo: **Histoire des Rois... op.cit**، p47.

(6) Mouloud Gaid: **L'Alger sous les Turcs**, ed.Mimouni, Alger, 1991, p35.

(7) محمد بن مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، 4ج، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م/1383هـ)، ج3، ص35.

ومعه 50 رجلا وبعض المدافع، فاعترضت طريقه قوات إسبانية تماثل عدد قواته [1]، لكنه تجاوزها وباشر بقصف قلعة بيدرو نافارو، استمر القصف والحصار لمدة ثمانية أيام حتى تمكن من إحداث فتحة في جدارها[2].

كان الإسبان من جهتهم يردّون بإطلاق النار، وعندما كانت القلعة على وشك السقوط، أصابت إحدى القذائف الذراع الأيسر لعروج فأحدثت به جرحا خطيرا، عندها اضطر رفقاؤه إلى رفع الحصار ونقله لتونس قصد العلاج، ولما تبين أن إصابة ذراعه ميؤوس من شفائها، تمّ بترها[3]. وهكذا لم يتمكن هذه المرة من تحرير بجاية، إلا أن هذه المحاولة مكنت رجال القبائل من الاطلاع على الصفات القتالية التي اتصف بها الإخوة أبناء يعقوب، مما جعلهم يمنحونهم كامل مودتهم[4].

2- المحاولة الثانية سنة (920هـ/1514م):

بعد مرور سنتين من فشل المحاولة السابقة، عزم الأخوان على القيام بمحاولة أخرى خاصة وأنه كانت لديهما خلال تلك المدة اتصالات مع سكان الجهات الساحلية المجاورة لبجاية، فقد تحصلا على تأييد الشيخ أحمد بن القاضي زعيم منطقة كوكو، وغيره من وجهاء المنطقة وعلمائها، وفي (جمادى الثانية 920هـ/ أوت 1514م) توجه الأخوان نحو بجاية في سفينتين كبيرتين - وهبهما إياها السلطان العثماني رفقة 2033 مجاهدا، و10 سفن، و150 مدفعا، حيث دام الاشتباك يوما أو بعض يوم، عندها التحق الأهالي بهم بعدما علموا بانتصار العثمانيين، وقد قدّر عددهم ب20 ألف وفُرض عليها الحصار برا وبحرا، والذي دام 29 يوما، كانت القلعة على وشك السقوط لكنّ عدم امتلاك المسلمين للمدافع التي تستعمل لقصف الحصون، حال دون تحرير القلعة[5].

---

[1] المجهول: **غزوات** ...، **المصدر السابق**، ص18.

[2] De Grammont**: op.cit**, p19.

[3] خير الدّين بربروس: **المصدر السابق**، ص ص 52-54.

[4] Si Amar Boulifa: **Le Djurdjura à travers l'histoire de l'antiquité à la période Coloniale**, Berti éditions, Alger, sd, p60.

[5] خير الدّين بربروس: **المصدر السابق**، ص ص70 – 71.

كما أنّ انسحاب القبائل لقُراهم ومداشرهم بغية حرث أراضيهم كان أيضا من أسباب فشل الحملة[1]، فاضطر عروج لفك الحصار بعد نفاذ مخزون البارود، ورفض السلطان الحفصي تزويده به[2]، وقد يعود ذلك الموقف المتغير للسلطان الحفصي تجاه الأخوين، إلى تضايق هذا الأخير من تزايد نشاطهما في المنطقة، كما أن توسعهما يكون على حساب سلطنته، وقد يمتد لاحتلال تونس، وهو ما دفعهما للتفكير في البحث عن مكان آخر للاستقرار فيه.

ب- استقرار أبناء يعقوب (الإخوة بربروس) في جيجل بعد تحريرها (920هـ/1514م):

كان لفتور العلاقة بين السلطان الحفصي والأخوين الأثر الكبير في دفع هذين الأخيرين إلى التعجيل بالبحث عن موقع في إحدى المدن الساحلية المجاورة، لمواصلة نشاطهما البحري ضد المسيحيين، فمباشرة بعد انسحابهم من بجاية قصدوا مدينة جيجل[3]، كون أهاليها طلبوا منهم التدخل لتحرير مدينتهم من الاحتلال الجنوي، فأجابوهم على ذلك وهاجموا القلعة، وتمكنوا من الاستيلاء عليها سنة (920/1514م)، وتمّ ذلك بمساعدة سكان المدينة، حيث قتل جميع أفراد الحامية الجنوية، وترك بها 50 جنديا، و3 سفن لحمايتها [4]. وهكذا تمّ تحرير أول مدينة جزائرية من التواجد الأوروبي، تلتها جهود مضنية من أجل تحرير البقية الأخرى.

(1) نجيب دكاني: **المرجع السابق**، ص46. / Haedo**: les rois…, op.cit**, p47.

(2) المجهول: **غزوات**…، **المصدر السابق**، ص26.

(3) Duro Cesareo Fernandez**,: Armada Espanola**, 4T, Museo Naval, Madrid 1972, T1, p101.

(4) عزيز سامح إلتر: **الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا**، تع. محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989م، ص48. /محمد دراج: **الدخول العثماني**…، **المرجع السابق**، ص217.

3/أبناء يعقوب يدحرون الإسبان في مدينة الجزائر:

أ– أعيان الجزائر يستنجدون بالإخوة أبناء يعقوب: تكلمنا في الجزئية السابقة عن الوضع الذي آلت إليه مدينة الجزائر جراء سيطرة الإسبان على حصن البنيون مما خلق تحكما في اقتصادها ومبادلاتها التجارية مع الدول الأخرى، وغدت شبه مراقبة في كل تحركاتها، فشُلّت حركة الجهاد البحري التي كان يمارسها أهالي المدينة، كما وصل الأمر بالجنود الإسبان للتجول في المدينة وابتزاز أهلها، وهم لا يستطيعون تحريك ساكن، فلما سمعوا ببطولات أبناء يعقوب، بعثوا يستنجدون بهم ضد الحامية الإسبانية سنة (921هـ/1516م)، فاستجابوا لطلبهم، وقام عروج بمهاجمة الحصن بالمدفعية، لكنها لم تُجد نفعا رغم تكثيف العمليات على مدى ثلاثة أسابيع وذلك لمناعته الحصينة [1].

جرّد إليهم الإسبان في السنة ذاتها أواخر شهر شعبان حملة بقيادة "**دييقو دوفيرا** (**Diego de verra**)، مكونة من 35 سفينة تحمل 8 آلاف مقاتل، ومجهزة بالأسلحة المختلفة، لكن مجاهدي الجزائر هزموها بفضل الحنكة الحربية لعروج وتظافر الجهود، وكان مآل كل إسباني وطئت قدماه الأرض هو القتل أو الأسر، وتحطمت كل قطع الأسطول وغرقت في البحر نتيجة العاصفة التي ضربته، أما المتواجدين على السفن فكان مصيرهم الغرق[2].

لم يستسغ الإسبان النجاح الذي حققه أبناء يعقوب، ورأوا أن خطرهم المتزايد لن يتوقف عند تهديد مراكزهم في المغارب، بل سيتجاوزها إلى إسبانيا نفسها، فما كان عليهم سوى تغيير سياسة التعامل تجاههم، وذلك باستمالة المناوئين لهم والحاقدين عليهم والمتحالفين مع الإسبان، فكانت هذه أكثر نتائجا؛ حيث استطاعوا القضاء على إسحاق مع حاميته في قلعة بني راشد، وتمكنوا من القضاء أيضا على عروج وجيشه بعد معركة عنيفة في ماي (923هـ/ 1518م) [3].

---

[1] خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص72.

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، هامش رقم 67، ج2، ص40،/ خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص78.

[3] عمار بن خروف: **العلاقات السياسية...**، **المرجع السابق**، ج1، ص22.

ومما جاء في شهادة أعدائه مايلي: "إن أول بربروس كان جنديا مقداما للإسلام وقد حارب في البحر بدون شفقة أعداء عقيدته، واستعمل ما كان متعارفا عليه وبطرق معهودة، ولم يكن أكثر وحشية من أولئك الذين كانوا يحاربونه، وبعد أن مكنته انتصاراته الأولى من جمع قوات كافية تحت قيادته للقيام بعمل عظيم، استغل بحنكته الفوضى السائدة في شمال إفريقيا لينشئ إمبراطورية، والوسيلة الوحيدة لاستمراريته تتطلب طرد المسيحيين، فهاجمهم في شخص......تحت إمرته" [1].

ولقطع خط الرجعة على خير الدين، وعدم تمكينه من جمع قوته والقضاء عليه وعلى رفاقه المتبقين، بادر الإسبان إلى تسيير حملة أخرى[2] بقيادة **هيجو دومنكادا Hugo de moncade** في صيف (924هـ/1518م) بالتحالف مع ملك تلمسان، لكن مصيرها كان الفشل، مثل سابقتها، واستطاع أهالي الجزائر بقيادة خير الدين دحر الحملة قبل وصول الملك الزياني [3].

ب – خير الدين بايلرباي على الجزائر: بعد هذا النصر الباهر، قرر خير الدين مغادرة مدينة الجزائر، فجمع أعيانها ووجهائها وأخبرهم بما عزم عليه، إلا أنهم عارضوه وترجوه في المكوث جنبهم، فكان اقتراحه بضرورة الانضواء تحت لواء الدولة العثمانية، فهي حامية حمى المسلمين وتتولى الدفاع عنهم ضد القوى المسيحية، فرأوا أنه عين الصواب وأرسلوا إلى الخليفة العثماني رسالة تتضمن مطلبهم[4]، بتاريخ (925هـ/ نوفمبر1919م) ، وكان رد الخليفة هو الموافقة على طلبهم، وهذا ما كان يطمح إليه بمد نفوذه على رقعة العالم الإسلامي شرقه وغربه، ليكون أكثر قوة في صراعه مع أوروبا المسيحية عسكريا واستراتيجيا واقتصاديا [5]، فأرسل مع الوفد الجزائري سنجقا وكتابا إلى أهالي الجزائر رفقة خير الدين تم بموجبه اعتبار الجزائر إيالة عثمانية،

---

[1] Haedo: **Histoire des Rois... , op.cit**, p117.

/ نجيب دكاني، **المرجع السابق**، ص61.

[2] الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص40

[3] خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص89.

[4] رسالة أهالي مدينة الجزائر للسلطان العثماني. **ينظر** أ.ع: **TSMA**.E. 0757/63

[5] عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص23.

وخير الدين بايلربايا عليها، وأرسل لهم ما يحتاجونه من مساعدات عسكرية [1]. شرع على إثرها خير الدين في تدعيم ركائز الدولة الفتية.

ثانيا–العمليات الجهادية للبحرية الجزائرية على المستوى المحلي:

1/ خير الدين يحرر مدينة الجزائر من قبضة الإسبان:

بعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، كان أمام خير الدين مصاعب جمة كادت تحبط مخططه المتمثل في إبعاد الخطر الإسباني وتوحيد البلاد الجزائرية تحت إدارة مركزية؛ من بينها مؤامرات الحكام الحفصيين والزيانيين والسعديين، وبعض القوى المحلية الممثلة في ابن القاضي الذي تمرد سنة (926هـ/1520م)، فحاربه خير الدين بجبال القبائل، إلا أن عدم ثقته في ولاء الباقين، جعله يقرر الانسحاب إلى مدينة جيجل التي جدد بها نشاطه، فبسط نفوذه على مدينة القل في (927هـ/ 1521م)، تلتها مدينة عنابة سنة (928هـ/ 1522م)، ليأتي دور مدينة قسنطينة، التي ارتبط منها بتحالف مع بني عباس، وقد مكنه ذلك من طرد ابن القاضي من مدينة الجزائر سنة (931هـ/1525م) [2].

ولما استقرت له الأمور تمكن من إنهاء الوجود الإسباني في قلعة البنيون التي كانت تشكل حجر عثرة أمام تحركات أسطوله وعامل ضغط على المدينة [3]. ومن هذا التاريخ بدأ

---

[1] خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص94.

[2] جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619–1830**، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص27.

[3] للاستزادة حول هذا الموضوع ينظر التقريران الموجودان في أرشيف سيمانكاس والمنشوران في المجلة الافريقية العدد 19، واللذان جاء فيهما ما يلي:

التقرير الأول: أرسل حاكم وهران بدرو دوقودي إلى جورج رويز دو ألاركو رسالة مفصلة، تضمنت كيفية تحرير خير الدين حصن البنيون المقابل لمدينة الجزائر يوم الجمعة (22رمضان 935هـ/29 ماي 1529م)، كما وضح كيفية تحطيم الحصن وجزء كبير من مواقعه الدفاعية، حيث يذكر أنه خير الدين جمع عدد كبير من القوارب وصعد إلى الجزيرة دون أن يراه أحد بسبب الضباب الكثيف والضجيج.**ينظر**:

De La Praimaudaie : **Documents inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole – en Afrique (1506-1574)** , Arch. De Simancas – Estado, Lejejo 461 letter de Pedro de Godoy, gouverneur d'Oran, a Georges Ruiz de Alarcon. Corrégidor de Murcie. Lorca rt Carthagène. Oran, 7 juin 1529, R,A, T19,1875,p163.

العمل على بناء دولة قوية وقلعة أمامية للإسلام في وجه القوى الأورومسيحية في الحوض الغربي من البحر المتوسط.

في أعقاب القضاء على الحصن المذكور، صعّد خير الدين تهديده للوجود الإسباني في المراكز الأخرى، فوجه دعوة لسلاطين تلمسان وفاس وبادس وغزاة تونس من أجل شن هجوم موحد بري وبحري على الإسبان في وهران، إلا أنه لم يجد تجاوبا عند السالفي الذكر[1].

2/حملة إسبانية على مدينة شرشال سنة (937هـ/1531م):

كان رد فعل الإسبان على سقوط حصن البنيون، وتزايد هجمات البحارة الجزائريين على المدن الساحلية الإسبانية سببا في تكليف شارلكان لأندري دوريا بالقيام بحملة ضد مدينة شرشال سنة (937هـ/1531م)، والتي كان خير الدين قد عزّز تحصيناتها تحسبا لأي هجوم محتمل، أما اختيار شرشال فكان لقربها من جزر البليار وإسبانيا، وكذلك لنجدة الأسرى المسيحيين لكثرة عددهم، والانتقام أيضا من المهاجرين الأندلسيين الذين كثفوا عملياتهم الجهادية ضد السواحل الإسبانية [2]. لكن مصيرها كان الفشل بسبب إخلاء سكانها لها وتحصن الحامية الجزائرية وراء أسوار القلعة التي استطاعت أن تباغتهم وتقضي على 400 جندي وتأسر 600، وكذلك خوف الإسبان من وصول الأسطول الجزائري بقيادة خير الدين لنجدة المدينة، والذي لمحه دوريا أثناء انسحابه، ففرّ منه لكنه لحق به إلى السواحل الإيطالية، فلم يدركه[3].

3/ شارلكان يُهزم على أسوار مدينة الجزائر سنة (947هـ/ 1541م):

التقرير الثاني: أرسل جاسوس يهودي من مدينة الجزائر رسالة فصّل فيها عملية تحرير حصن البنيون، والخسائر التي تكبدتها الحامية الإسبانية التي كانت مرابطة في حصن البنيون والتي تمثلت في مقتل 65 جندي، وأسر 90 آخرين مع 25 امرأة وطفل، أما خير الدين فاستشهد له 11مجاهدا عثمانيا و35 جزائريا، وغنموا 2000 دوقة، /

De La Praimaudaie**: op.ci**t, Lettre écrit par un espion juif. Sans date. (Arch. De Simancas.-Estado, Legajo 461) pp164-166.

[1] عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص ص 27-28.

[2] درويش الشافعي: **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن (10هـ/16م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، السنة الجامعية 2010 -2011م، ص ص 41-42.

[3] Haedo **: les rois…, op.cit,** p128.



منذ التحاق الجزائر بالدولة العثمانية واكتسابها مكانة عظيمة على طول الساحل المغاربي وتصديها لإسبانيا فكر شارلكان في تسيير حملة للقضاء عليها نهائيا وبذلك يفرض سيطرته على الحوض الغربي للبحر المتوسط، لكن انشغاله بالمسائل الأوروبية[1]، حال دون تحقيق هدفه الذي عول عليه مباشرة بعد إخضاعه لتونس سنة (941هـ/1535م)، فدخل في مفاوضات سرية مع خير الدين وخليفته حسن آغا بهدف الحصول على مدينة الجزائر دون حرب، لكنه لم يوفق في طلبه، وكان ذلك متزامنا مع كثرة شكاوى رعاياه من العمليات الجهادية التي كان يقوم بها البحارة على السواحل الإسبانية والإيطالية[2]، ما أثار خوفه من قيام الأتراك العثمانيين بإعادة فتح إسبانيا وتجديد أمجاد الإسلام والمسلمين في أوروبا الغربية عامة وإسبانيا خاصة، مما يهدد أمنهم الداخلي ويزعزع حكمه في إمبراطوريته إذا لم يقم بردة فعل سريعة ضدهم[3].

فأعدّ شارلكان لهذه الحملة كثيرا وقام بحشد تآلف أوروبي بمساعدة البابا بول الثالث لحماية الدول المسيحية[4]، وهذا ما أسال لعاب قادة أوروبا ونبلائها، إذ لم يعد عندهم أدنى شك في فشلها لذلك كانوا يتوقون للاشتراك فيها إلى جانب ملوكهم، فكان بجانب شارلكان أشهر نبلاء وأمراء إسبانيا وإيطاليا [5]، من أجل أن يكون لهم الشرف في انتصارهم على أكبر خطر كان يهدد وجودهم في عقر ديارهم والذي سيخلده التاريخ. ومن أجل تركيع الجزائر، وتوجيه ضربة قاضية للدولة العثمانية بالاستيلاء على أهم إيالاتها بالمغارب، وكذلك كان

---

[1] Chariere(E) : **Négociations de la France dans le levant**, Lettre de évêque de Montpellier au capitaine Paulin: Venise,6 et 10 Octobre 1541 ,Extrait de la correspondance de Rome et de Venise ,4T , Paris , (1848-1860). T1, pp517-519.

[2] Chariere(E) :op.cit, Lettres de M. Des vaux au connétable de montomorency Venise ,17 février 1539.pp 391-393.

[3] أسماء ابلايلي: **المرجع السابق**، ص 54.

[4] Chariere(E) :**op.cit**, Venise14 septembre 1541, pp513-514.

[5] خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص 10.

يهدف من وراء ذلك إلى تخفيف الضغط على أملاك الإمبراطورية بوسط أوروبا والتي كانت تتعرض بدورها لهجمات المجاهدين العثمانيين[1].

كما أنه حاول استغلال غياب خير الدين على إيالة الجزائر بعدما عينه السلطان سليمان القانوني قائدا على الأسطول العثماني نظرا لكفاءته في قيادة البحرية والمكانة التي وصل إليها من خلال انتصاراته على الأساطيل الأوروبية ونشره الهلع في الأوساط المسيحية، مما أثار إعجاب السلطان العثماني به وجعل الأسطول العثماني تحت إمرته[2]، فما كان من خير الدين إلا طلب مساعدة من السلطان العثماني للسماح له بتوجيه الأسطول العثماني الذي كان منشغلا في حملاته هو الآخر من أجل صد هذه الغارة المسيحية التي تهدد التواجد العثماني خاصة والإسلام عامة في توسعه نحو العالم الغربي [3].

بالإضافة إلى أن شارلكان كان ينظر لمدينة الجزائر على أنها وكر للقراصنة العثمانيين الذين طالما هددوا أمن إمبراطوريته ورعاياه المسيحيين في عقر ديارهم، والتي كانت تسبب له نوبات الرعب أثناء غاراتهم على سفنه وأخذ كل الغنائم لمدينة الجزائر، مما يسبب ضيقا في مداخيل الإمبراطورية الإسبانية، بالإضافة إلى أنها كانت عقبة أمام تواجدهم في بعض السواحل المغاربية كوهران التي اعتبرت قاعدة إسبانية في الجزائر تمثل شوكة أمام بسط النفوذ العثماني على طول الساحل الجزائري [4].

ما أن جمع شارلكان شمله حتى صوب وجهته نحو مدينة الجزائر، وكان ذلك في خريف (947هـ/1541م)[5]، رغم أن هذا التاريخ غير مناسب للإبحار ولا لشن حروب بحرية لأن البحر يكون هائجا، إلا أنه لم يصغ لنصائح قادته وملوك أوربا[6].

---

(1) Chariere(E) : **op.cit**, Venise, 4 juillet 1541, pp498-501.

(2) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، **المرجع السابق**، ص 271.

(3) Chariere(E) :**op.cit**, Venise ,14 et 20 juin 1541, p 497.

(4) نجيب دكاني: **المرجع السابق**، ص93.

(5) للإطلاع على حملة شارلكان سنة 1541م، يُنظر: **الملحق رقم 05**.

(6) Chariere(E) :op.cit,Lettre de évêque de Montpellier a François 1e, Venise, 15 Octobre 1541, pp520-521.

بعد أن راسل حاكم الجزائر حسن آغا بخطاب متعجرف يبين له مدى قوته وتجهيزه لحملة كبيرة لا يمكنه صدها وقد طالبه بتسليم مدينة الجزائر دون أي ردة فعل أو مواجهة عسكرية[1].

وقد تمثلت رسالته كما أوردها **خير الدين بربروس** في مذكراته:" إن القوة التي تراها اليوم ليس أنت فحسب بل إن سيدك الكبير لا يقدر على صدها، فإذا كانت لك عينان مفتوحتان وتملك ذرة من العقل، ألق سلاحك واربط رأسك بمنديل، وأتيني بمفاتيح قلعة الجزائر. وإذا قدمت علي وقبلت الأرض بين يدي سوف أعف عنك، فأنا ملك إسبانيا ونابولي وصقلية وهولندا وبلجيكا... إن أباك وسيدك بربروس فر فزعا مني بتونس لا يلوي على شيء، فاحذر أن تفقد عقلك وتشهر سلاحك في وجهي، لأنك إن فعلت ذلك فإنني أقسم بعيسى بأني سوف أمزقك، وأعلق أشلاءك على أبراج الجزائر.."[2].

اجتمعت الأساطيل الأوروبية في ميورقة، ثم أخذت وجهتها إلى خليج تامنتافوست[3]، على رأس قوة بحرية تقدر ب 412 سفينة وحوالي 27 ألف مقاتل على رأسهم قادة مشهورين مثل أندري دوريا[4]،....إلخ[5].إضافة إلى 12 ألف بحار من الإسبان والطليان، وأكثر من 2000 حصان بالإضافة إلى المدافع وأجهزة أخرى للحصار الضروري[6].

---

(1) مولاي بالحميسي: **غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر(948هـ/1541م) بين المصادر الإسلامية والمصادر العربية**، في مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972، ع8، ص98.

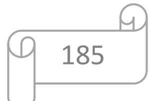
(2) خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص 211.

(3) Chariere(E): **op.cit** ‹Lettre d'évêque de Montpellier a François 1er, Venise, 15 Octobre 1541, pp519-521.

(4) **أندري دوريا**: 1466-1560م من جنوة أمير بحر مرتزق، يمتلك أسطولا بحريا لخدمة الحكام مقابل المال، كان في خدمة فرانسوا الأول ملك فرنسا، ثم انتقل إلى خدمة شارلكان إمبراطور إسبانيا وقضى حياته هو وعائلته في خدمة ملوك إسبانيا كبحارة مرتزقة خلال ال قرن16م. **ينظر** جون وولف: **الجزائر وأوربا (1500 – 1830م)**، تع.أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (1986م/1406هـ)، ص 41.

(5) سعيدوني: **دراسات أندلسية**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434/2013، ص31.

(6) جون وولف: **المرجع السابق**، ص 56.



وقد ذكر خير الدين في مذكراته تعداد هذه الحملة الذي كان يقدر ب 516 سفينة منها 274 قادرغة والبقية منها سفن حربية، كما دعم هذا الأسطول 65 سفينة عملاقة، أما الجنود بلغ عددهم 12330 بحارا و23900 جندي من القوات البحرية[1].

أُسندت قيادة هذه الحملة للقائد أندري دوريا بمساعدة هرنان دوكورتيز[2]، حيث وصلت هذه القوة في أواخر شهر أكتوبر من نفس السنة، أي بعد أيام من انطلاقها إلى مشارف سواحل مدينة الجزائر، حيث رست في الخليج المقابل لمدينة الجزائر في رأس تامنفوست[3].

قام حسن بإعداد قواته من أجل التصدي للقوات المسيحية ورفع الهمة للأهالي، حيث قام بتوزيع السلاح على الأهالي وما يحتاجون إليه من البارود والرصاص، وقام بوضع بعض الجنود على أبراج المدينة ونظم قواته الداخلية[4].

لقد شرع شارلكان في مهاجمة القلعة بفرقه العسكرية إلا أنها فشلت في اليوم الأول، وفي اليوم الثاني سمح لقواته بالراحة وفي المساء قام الجنود بالسكر حتى الثمالة محتفلين باستيلائهم على الجزائر التي كانوا يتوقعون سقوطها في أيديهم في اليوم التالي، بينما قام حسن آغا بدس بعض من جنوده في صفوف العدو متنكرين بزي إسباني وبذلك علم أنه لابد من القيام بعمل استباقي في هذه الليلة، فبعث بعضا من بحارته المتطوعين الذين سلكوا طريقا جبليا، حتى ينزلوا خلف معسكر العدو، وفي هذه الأثناء نزلت أمطار غزيرة وتحولت إلى عاصفة شتت صفوف العدو الذين فروا إلى خيامهم وتركوا مواقع حراستهم[5]، مما جعلهم عرضة لهجمات مجاهدي البحر الجزائريين، حيث تكبدوا خسائر بشرية كبيرة، ولما رأى شارلكان ما حل بقواته انسحب

---

(1) خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص 210.

(2) نجيب دكاني: **المرجع السابق**، ص 95.

(3) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة....**، **المرجع السابق**، ص 282.

(4) ابن رقية التلمساني: **الزهرة النيرة فيماجرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، تع. خير الدين السعيدي الجزائري، أوراق ثقافية، الجزائر، ط1، 2017/1438، ص115.

(5) خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص ص 212-213.

هاربا يجر أذيال هزيمته، وبذلك تمكنت دار الجهاد من ردع أكبر قوة عسكرية عرفها البحر المتوسط آنذاك[1].

كان لحسن آغا دور في قيادة الجزائريين إلى تحقيق النصر على أضخم حملة مسيحية بقيادة أعظم إمبراطور مسيحي في القرن (10هـ/ 16م)[2].

انسحب شارلكان تاركا وراءه جزءا مهما من العتاد[3]، والمؤن والخيول والسفن التي أتلفت بفعل ارتطام السفن ببعضها إثر الأمواج العاتية التي تسببت فيها العاصفة[4].

اعتبرت هذه الهزيمة صفعة قاسية لآمال أوربا ومن ورائها الكنيسة الكاثوليكية في القضاء على قلعة الجهاد في منطقة المغارب، وبقيت الجزائر المحروسة كابوسا يؤرقهم ويحول دون تحقيق أهدافهم بالمنطقة، كما أن ما حدث اعتبر بداية النهاية لمغامرات إمبراطور أوروبا الذي انزوى في كنيسته متبتلا متعبدا، إلى أن وافته المنية.

4/ جهود حسن آغا في تحرير مدينة وهران من قبضة الإسبان (948هـ/ 1542م):

لما استتبت الأمور في مدينة الجزائر بعد الحملة الفاشلة التي قادها شارلكان، حوّل حسن آغا نظره لتأديب زعيم عائلة بن القاضي الذي كان متعاونا مع الإسبان[5]، فأخضع إمارة كوكو سنة (948هـ/ 1542م)، ثم صوّب وجهته التالية نحو المنطقة الغربية من أجل قطع الطريق على الإسبان في أهم مواقعهم بالجزائر، فأرسل البايلرباي حسن آغا في شهر جويلية من نفس السنة بقوات برية وبحرية لناحية وهران، وذلك بهدف تحرير المرسى الكبير أولا، على أن تليها وهران في الخطوة التالية، وهذا بعد أن تمكنوا من الاطلاع على المعلومات التي عرّفتهم بالمواقع التي أرادوا الوصول إليها، عن طريق مهتدي (علج) إسباني عارف بخبايا المنطقة، وبعد وصول المجاهدين لهدفهم، تسللوا صوب الجهات المرتفعة وتمكنوا من السيطرة على المواقع المطلة

---

[1] ابن رقية التلمساني: **المصدر السابق**، ص 121.

[2] عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص 31.

[3] للاطلاع على حصيلة الغنائم التي حصل عليها الجزائريون. **ينظر**:

- De La Praimaudaie**:op.cit**, letter de d’Alanco de Cordoba a son pére le conte d’Alcaudete, Oran 25 décembre1541, R.A, T21, 1877, p226.

[4] Chariere(E) : **op.cit,** Venise, 10 et 25 novembre 1541, pp521-522, et Rapport d'un agent a François 1[ER] sur l'expédition d'Alger, pp522-524.

[5] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، **المرجع السابق**، ص278.

على القلعة الواقعة جنوب المدينة، وقد أدى هجومهم على القلعة لوقوعهم في اشتباك مع أفراد حاميتها[1]، لكن العديد من مجاهدي الجزائر قتلوا من طرف الإسبان، ومنهم من مات غرقا، وهم يحاولون الوصول لسفنهم الراسية في عرض البحر، إلا أنه لم يحدد عددهم، وتغافل عن ذكر الخسائر في الجانب الإسباني [2].

لكن هذه المحاولة غير الموفقة لم تُثن حسن آغا عن هدفه في تضييق الخناق على الإسبان للحد من نفوذهم في تلمسان.

5/خيبة مساعي الإسبان في احتلال مستغانم (949هـ/1543م-953هـ/1547م-965هـ/1558م):

يُعتبر الموقع الذي تحتله مدينة مستغانم ذا أهمية كبيرة في الاستراتيجية العثمانية والإسبانية فهي قريبة من وهران وتشرف على الطريق بينها وبين مدينة الجزائر، فبعد ضمها للنفوذ العثماني في الجزائر من طرف خير الدين سنة (923هـ/1518م)، غدت القاعدة البحرية الأمامية التي تنطلق منها السفن الجزائرية من أجل شن حملاتها الجهادية لتحرير وهران والمرسى الكبير، فقام الكونت دالكاوديت في (14ذي الحجة 949هـ/12مارس1543م) بحملة عليها بهدف انتزاعها من أيدي العثمانيين وقطع الطريق البحري على السفن الجزائرية إلى مدينة وهران[3]، لكنه أخفق في مسعاه بسبب وصول المدد إليها من الجزائر، ولقي صعوبة كبيرة في التراجع إلى وهران نتيجة تعرضه لهجمات عرب الغرب الجزائري من جهة البر، إلى جانب تعرضه لقصف مدفعية السفن الجزائرية من جهة البحر[4].

---

(1) للتعرف أكثر على تفاصيل هذا الموضوع، **ينظر**:

Paul Ruff : **Le comte d'Alcaudete et les prétendants au trône de Tlemcendans La domination espagnole à Oran sous le gouvernement du comte d'Alcaudete**, (1998), pp 67 – 82.

(2) عبد القادر فكاير: **الصراع الجزائري الإسباني ...، المرجع السابق**، ص194.

(3) Belhamissi, **Histoire de Mostaganem des origines à nos jours**, SNED, ALGER, 1982 , p173.

(4) عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص33.

وفي سنة (953هـ/1547م) أعاد دالكوديت الكرة لانتزاع مستغانم، لكنه مُني بالفشل مرة أخرى ووجد صعوبة في الانسحاب إلى وهران مثلما حدث له سنة (949هـ/1543م)، وتكبد خسائر كبيرة، لكنه كان مصمما على احتلالها فأعاد الكرة عليها في (ذي القعدة965هـ/ أوت1558م)، إلا أن هذه كانت أسوأ من سابقاتها لأن الكونت دالكوديت لم يتمكن من اقتحامها قبل وصول التعزيزات فاضطر للانسحاب، لكن حامية المدينة تعقبته إلى غاية بلدة مزغران، وكان حسن بن خير الدين عند وصوله، أمر زعماء القبائل المجاورة لها، وكذا حاكم تلمسان قلج علي بإغاثتها، وقد قام هذا الأخير (قلج علي) بقطع المدد البري عن الإسبان، وذلك من خلال إعطاء الأوامر للعرب القريبين من المنطقة بعدم تزويد إسبان وهران بالمؤونة[1].

فتم حصارهم من جميع الجهات، وفي يوم 26 أوت، نشبت المعركة بقياد قلج علي المتواجد يمين القوات المسيحية أي جنوبها وفي جهتها الشرقية المتكونة من فرقة فرسان الجيش الجزائري وكذلك قوات مستغانم، أما من جهة اليسار أي جهة البر نزل بحارة الأسطول الجزائري وأخذوا يضيقون عليهم الخناق، ولما رأى الأعراب أن المعركة أصبحت لصالح المسلمين انقلبوا على الإسبان[2].

وكان الجنود الإسبان يقاتلون في فوضى واضطراب وتعب وجوع، فلقي دالكوديت مصرعه وقتل وأسر كل أفراد جيشه [3]، وحتى السفن الأربعة التي كان دالكوديت في انتظارها وعلى متنها السلاح والمؤونة تعرضت للاحتجاز بعد تجاوزها مدينة أرزيو من قبل سفن جزائرية

---

[1] محمد سي يوسف: **قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، (غير منشورة)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988م، ص 76.

[2] محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص77. / أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، **المرجع السابق**، ص ص 352-353.

[3] عبد القادر فكاير: **الصراع الجزائري الإسباني ...، المرجع السابق**، ص71.

كانت في مهمة جهادية على السواحل الإسبانية[1]، وقد خلدت هذه المعركة في قصيدة الشاعر الشعبي الأخضر بن خلوف[2].

6/صالح رايس يحرر بجاية من هيمنة الإسبان (962هـ/1555م):

لما عهد لصالح رايس بمسؤولية حكم الدولة الجزائرية الحديثة سنة (959هـ/1552م)، ولأنه كان مطّلعا على المنطقة وخباياها آلى على نفسه تحقيق مجموعة من الأهداف، كي يتمكن من إدارة هذه الإيالة المهمة بالنسبة للدولة العثمانية وبالنسبة للإيالة نفسها بحكم موقعها الاستراتيجي في مواجهة أعدائها التقليديين على جميع الأصعدة، وقد كانت ضرورة إجلاء الإسبان عن الأرض الجزائرية من أهم هذه القرارات التي عمل جاهدا على تنفيذها، ليأتي بعدها إعلان النفير العام من أجل مواصلة الجهاد في الأندلس، وضرورة استرجاع الفردوس المفقود[3].

فقرر تحرير مدينة بجاية قبل مدينة وهران، لأن المعلومات التي وصلته من عيونه في المنطقة تؤكد على ضعف الحامية المتواجدة بها عدة وعتادا، ضف إليها هشاشة تحصيناتها التي لم تستفد من ترميمات حديثة، رُغم وصايا وتأكيدات شارلكان عند استراحته بها بعد هزيمته على أسوار مدينة الجزائر سنة (959هـ/1541م)[4]، فتوجه إليها في شهر (رجب 962هـ/ جوان1555م)، على رأس جيش بري يتكون من 30 ألف رجل، عززهم رجال زواوة المجاهدون من إمارة كوكو، وقد حاصرتها هذه القوات برا بالإضافة إلى محاصرة الأسطول الجزائري لهم بحرا، أما الحامية الإسبانية فقد كانت مؤلفة من 500 جندي وضابط موزعين على ثلاثة حصون[5].

---

(1) **نفسه**، ص232.

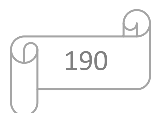
(2) للاطلاع على أبيات هذه القصيدة، ينظر المهدي بوعبدلي: **أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"**، في مجلة الأصالة، الجزائر، ع 8، ماي – جوان1972م/1392هـ، ص ص273-292.

(3) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، **المرجع السابق**، ص ص 317-318.

(4) شوقي عبد الكريم: **الاستخبارات الجزائرية في العصر الحديث(897-1246هـ/1492-1830م)**، دار هومة، ط1، (1438هـ/2017م)، ص178.

(5) للاطلاع أكثر على تفاصيل هذا الموضوع، **ينظر**:

-Elie De la Praimaudaie: **Documents inédits**, « **lettres de Dalanso Carillo de Peralta a son Altesse La princes, Bougie 17 Septembers 1555»,** R.A, t21, 1877, pp270-271.



وبعد وصولهم شرعوا في قصف المواقع الإسبانية وتمكنوا من تحطيم القلاع فاستسلمت حاميتها وتم تحريرها في (13 ذي القعدة 962هـ/28 سبتمبر 1555م) [1]، ولم يغادرها صالح رايس حتى أعاد تحصينها من جديد، كي لا تصبح عرضة للإسبان أو غيرهم من الغزاة المحتلين [2]، وترك عليها القائد علي صاردو [3].

7/ محاولة تحرير وهران سنة (963هـ/ 1556م) بين تخطيط (مبادرة) صالح رايس وتنفيذ حسن قورصو:

عند رجوع صالح رايس من مهمته في تحرير بجاية واطمئنانه على تأمين الجهة الشرقية من البلاد، أخذ يعد العدة لتطهير الجهة الغربية، وذلك بتحرير وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الإسباني، فأرسل ابنه محمد إلى السلطان العثماني سليمان القانوني يطلب منه المدد، وقد أجابه على ذلك بأسطول يتألف من40 غاليرة و6000جندي [4].

وكان صالح رايس على وشك التحرك على رأس جيشه إلى وهران، إلا أن إصابته بوباء الطاعون في أقل من 24 ساعة أفقدته حياته في (شعبان963 هـ/جوان 1556م)، قبل تحقيق حلمه في طرد الإسبان نهائيا من الجزائر [5].

عندها انتخب الإنكشارية حسن قورصو خلفا له، والذي اضطلع بإكمال المهمة التي بدأها صالح رايس، وسير الحملة إلى وهران برا وبحرا، ووصل عين الترك، وفي شهر أوت من سنة (963هـ/ 1556م) تمكنت المدفعية العثمانية من الوصول إلى راس لعيون قرب وهران، وشرع

---

[1] عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص121.

[2] شوقي عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص179.

[3] قائد عثماني من جزيرة سردينيا، تميز بحنكته وإخلاصه للدولة العثمانية، شارك في معظم الأعمال العسكرية بالجزائر وعلى رأسها عملية تحرير بجاية، التي كلف بقيادتها، للمزيد **ينظر** عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص195. /

–Haedo: **Histoire des Rois... , op.cit,** p280.

[4] Haedo: **Histoire des Rois... , op.cit ,** p281./

مولاي بالحميسي: **تحرير مدينة وهران سنة (1708م/1120هـ)**، في مجلة التاريخ وحضارة المغرب، الجزائر، ع9، دون سنة طبع، ص58.

[5] عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص121.

في حصارها[1]، فتم قصف باب تلمسان، وباب القصبة، واستطاعوا أن يستولوا على حصن القديس الذي يقع قرب مدينة وهران، لكن أوامر السلطان العثماني اقتضت استدعاء قطع الأسطول العثماني والأسطول الجزائري أيضا، وذلك لدعم الأسطول العثماني في تصديه للأساطيل الأوروبية المتحالفة بقيادة أندري دوريا والتي أصبحت تهدد السواحل العثمانية، مما أدى إلى فشل الحملة في تحقيق مرادها [2].

8/جهود حسن بن خير الدين في تحرير وهران سنة (970هـ/ 1563م):

بعد الحملة التي قادها الكونت دالكاودايتي على مدينة مستغانم سنة (965هـ/ 1558م)، والتي لقي فيها حتفه، أيقن حسن بن خير الدين أنه لابد من تطهير الإيالة الجزائرية من المحتلين الإسبان المتواجدين في وهران والمرسى الكبير، لأنه لن يطمئن على مستغانم وتلمسان وكل الغرب الجزائري ومدينة الجزائر نفسها، طالما أن الإسبان متواجدين[3].

فجهز حملة كبيرة سنة (970هـ/1563م)، مكونة من 15000 رماة البنادق، 1000 فارس من الصبايحية تحت قيادة أحمد المقراني الزواوي، 12000رجل من زواوة وبني عباس، بالإضافة إلى أسطول بحري مكون من 40 سفينة تحمل المؤن والبارود والمدافع الكبيرة، وفي شهر أفريل بدأت المعارك، وتمكنوا من السيطرة على عين الترك، والمرسى الكبير، كما حاصروا حصن سان سلفادور مدة 22 يوم، مما حمل الجنود الإسبان على مغادرته وفي 7جوان تمكن حسن بن خير الدين من السيطرة على بستيون الجنويز[4]، وبعد حصار دام شهرين، باءت كل الجهود بالفشل، بسبب وصول نجدة إسبانية في (17شوال970هـ/ 8جوان 1563م)، مما جعل حسن بن خير الدين يرفع حصاره عن وهران ويرجع إلى مقر حكمه دون أن يتمكن من تحريرها[5].

---

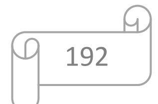
[1] شارك الأسطول العثماني في حصار وهران من (8/5 إلى 8/25/ 1556م)، وتم رفع الحصار عنها بسبب استدعاء السلطان العثماني للأسطول فورا إلى المشرق، **ينظر**: بن خروف: **المرجع السابق**، ص 201.

[2] محمد السعيد بوبكر: **العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن (1119-1206هـ/1708-1792م)**، بيت الحكمة، الجزائر، (1436هـ/2015م)، ص78. / شوقي عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص ص179-180.

[3] بن خروف عمار: **المرجع السابق**، ص125.

[4] محمد السعيد بوبكر: **المرجع السابق**، ص ص79-80.

[5] مولاي بالحميسي: **تحرير مدينة وهران ...**، **المرجع السابق**، ص62.



9/ مغامرة خوان غاسكون Juan Gascon في احتلال مدينة الجزائر سنة (974هـ/ 1567م):

يعتبر خوان غاسكون أحد رجال البحر، وقد تمكن من إقناع الملك الإسباني بمحاولة احتلال مدينة الجزائر بإمكانيات بسيطة لا تتعدى السفينتين، ولما حصل على الموافقة، غادر في (ربيع الأول 975هـ/ أكتوبر 1567م)، وبعد مضي أربعة أيام التحق بمدينة الجزائر ليلا، لكي يتسلل إلى داخل الميناء وينفذ خطته كالتالي: مجموعة من رجاله تشعل النار في سفن الأسطول، والمجموعة التي تحت إمرته تغتنم حالة الرعب والفزع في أوساط السكان، فتحرّر الأسرى وتسلمهم الأسلحة ثم تستعين بهم على احتلال المدينة ريثما يصل الأسطول الإسباني(1).

لكن حراس الميناء كشفوا أمر المجموعة التي حاولت إحراق السفن وتخلصوا منهم، أما المجموعة الثانية فلم تستطع القيام بمهمتها لأن تنفيذ الشطر الثاني من الخطة مرهون بنجاح الشطر الأول الذي يتمثل في ألسنة اللهب المتصاعدة من الميناء فانسحبت في صمت ولاذت بالفرار على متن السفينتين، لكن رجال البحر تعقبوهم على بعد ثمانين ميلا من مدينة الجزائر، وقاموا بأسرهم(2)، وأودعوهم السجن، إلا أن أهالي المدينة طالبوا بإعدام غاسكون، فعارض الرياس إهدار دمه، وعليه يجب أن يعامل كأسير حرب، لكن هيجان الأهالي دفع بالباشا إلى تسليمه لهم فانتقموا منه وعلقوا جثته فوق سور المدينة(3).

وفي رواية أخرى أنه في عهد محمد ابن صالح رايس قام فليب الثاني بتجهيز أحد قادة فرسانه بسفينة مع مجموعة من الجنود وكلفهم بالتوغل في ميناء الجزائر، وذلك بهدف إشعال النار في سفن الأسطول والانسحاب، لكن الحيلة لم تنطل على أهالي الجزائر، إذ قام دالي رايس بمطاردة هذا المغامر الإسباني وقبض عليه وأعدمه خنقا(4).

(1) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، **المرجع السابق**، ص362.

(2) عبد القادر فكاير: **المرجع السابق**، ص72.

(3) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، **المرجع السابق**، ص ص363-364.

(4) Reptilus Carl. **Historisk och politish beskrrifming oever riket och stade**, Algier threm an 1516.Tillochmed, 1732, Stockholme, 1737, G2, p63.

نقلا عن مولود قاسم، **المرجع السابق**، ص144.

وشهد شاهد من أهلها، وهو دوغرامون الذي علق على هذه الحادثة بقوله: "بأن الموقف يؤكد همة رؤساء البحر، وأنهم كانوا رجال شرف وأمانة عسكرية، ولم يكونوا أوباشا أو لصوص بحر"[1].

10/ أمير بيامبينو (Piombino) يهاجم عنابة سنة (975هـ/ 1568م):

كثيرا ماكان لتوسكانيا أطماع في الجزائر مثل بقية الدول الأوروبية، ولما كانت سنة (975هـ/ 1568م)، تمكن أمير بيامبينو[2] من مهاجمة مدينة عنابة قصد احتلالها والاستفادة من خيراتها، لكن تفطن له الرايس قارة علي الذي كان له بالمرصاد رفقة مجاهدي البحر الجزائريين وأجبره على الانسحاب بعد معركة حامية الوطيس انهزم فيها أمير بيامبينو، وأُجبر على الانسحاب يجر أذيال الخيبة[3].

11/خطة قلج علي لتحرير وهران:

يعرف قلج علي بمساندته لثورة الموريسكيين سنتي (975-976هـ/1568-1569م)، وذلك حين وعدهم بتقديم المساعدات الضرورية من رجال وأسلحة، ففي بداية الأمر حضر 14000من رماة البنادق وعددا كبيرا من المدافع، و1400 بعيرا محملا بالبنادق، و60000 من المجاهدين الجزائريين الذين أرسلهم إلى مدينتي مستغانم ومازغران استعدادا لتحرير مدينة وهران، ثم التوجه لمساندة الموريسكيين في ثورتهم، إلا أن هذه الحملة باءت بالفشل بسبب سوء التنظيم، يضاف لها أهم عامل وهو العواصف الهوجاء التي عطلت سير الأسطول الجزائري، وأغرقت معظم قطعه [4].

12/ حسن فنيزيانو يخطط لاسترجاع وهران بمساعدة الأسطول العثماني وعبد الملك السعدي:

---

(1) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق**، ص364.

(2) بيومبينو إحدى بلديات ليفورنو حاليا. **ينظر** إبراهيم سعيود: **علاقات الجزائر بالدويلات الايطالية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر (1999-2000م)، ص50.

(3) المنور مروش: **دراسات عن الجزائر...، المرجع السابق**، ج2، ص158.

(4) أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق**، ص368، /بوبكر محمد السعيد: **المرجع السابق**، ص ص81-82.

قرر حسن فنيزيانو استرجاع وهران بمساعدة الأسطول العثماني والملك السعدي، لكن السلطان العثماني مال لمسالمة الإسبان، وذلك تمهيدا لعقد هدنة معهم، وكان حسن باشا الجزائر مُوقنا بأن السلطان عبد الملك السعدي يتمتع بحظوة كبيرة لدى السلطان[1]، فوجه له مبعوثا برسالة في (15 رمضان 985هـ/25 نوفمبر1577م) راجيا إياه فيها أن يستعمل نفوذه لدى السلطان العثماني لإثنائه على توقيع الهدنة مع الإسبان، وإرسال قلج علي لتحرير وهران، وكذا تنبيهه بانشغال فيليب الثاني بحروبه في الفلاندر وانتهاز هذه الفرصة لتحرير المدن المغاربية الرازحة تحت نير الاحتلال النصراني، كما طلب منه مهاجمة القواعد البرتغالية في المغرب، فتجد إسبانيا نفسها مضطرة لمساعدة البرتغال، وهكذا تخرق اتفاق الهدنة، وكانت هذه الرسالة قد كُتبت باللغة الإيطالية، ومن أجل فهمها قام عبد الملك السعدي بتسليمها لأندريا غاسبارو كورسو لقراءتها وقد كان هذا الأخير جاسوسا قدم إلى المغرب منذ (جمادى الثانية 985هـ/ أوت 1577م)، وقد استقبل من طرف الملك بحفاوة كبيرة، فقام بنقل أخبار الرسائل التي تلقاها عبد الملك السعدي[2].

كما طلب حسن فينزيانو من الملك السعدي استقبال كل مجاهدي البحر الجزائريين في مينائي كل من العرائش وسلا في حالة توقيع السلطان الهدنة مع الإسبان، كما أبدى له مزايا استقبالهم فقال له: "أنه بإمكان هؤلاء أن يحرروا لك قاعدتي طنجة وسبتة من البرتغاليين، وبوجودهم هناك ستستفيد من الغنائم التي يحصلون عليها من الإسبان، ثم إن هذا القبول سيسعد جدا قلج علي، الذي يحب غزاته كأولاده، ولكنه بسبب السلام الذي يريد السلطان العثماني أن يلتزمه، لا يجد كيف يستعملهم"[3].

---

(1) كان السلطان العثماني يكن احتراما كبيرا للسلطان عبد الملك السعدي، ودائم الحرص على مودته، كان يأمر باشوات الجزائر بإغداق الأعطيات له، وضرورة إجابة مطالبه وتسهيل وتيسير أموره وأمور دولته. **ينظر**:

- أ.ع: **مهمة دفتري** 14، ص ص1067-1068، بتاريخ 26 محرم 979هـ/20 جوان 1571م.
- أ.ع: **مهمة دفتري** 18، حكم 24، ص 13، بتاريخ 27 رمضان 979هـ/ 11 فبراير 1572م.
- أ.ع: **مهمة دفتري** 28، ص 23، بتاريخ 23 جمادى الثانية 984هـ/ 17 سبتمبر 1976م.

(2) عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص243.

(3) **نفسه**، ص 243.

كما نصح أندريا غاسبارو كورسو الملك السعدي عبد الملك بعدم استقبال الأسطول العثماني وكذا مجاهدي البحر الجزائريين في مينائي العرائش وسلا، فقد رأى أن قدومهم لا يُجد نفعا، سوى أنه يتسبب له بالفقر لخزينته، وكذا ابتعاد التجار المسيحيين عن بلده، أما في حالة هجومه على القواعد البرتغالية بمساعدة العثمانيين، فسيكون شاهدا على عجزه، ونصحه باستبعاد ما لديه من الأتراك العثمانيين، الذين تجاوز عددهم 500، وأن رعاياه يشتكون منهم. والرسالة التي بعث بها أندريا إلى فاثكيت سكرتير فليب الثاني تؤكد ما أسلفنا، جاء فيها أن النصائح التي قدمها له، جعلت الملك يتماطل في الرد على رسالة الباشا حسن فينزيانو، مما أخر رجوع السفير الجزائري، كما قام بتجنب دعوة الأسطول العثماني على الرغم من إلحاح صهره، والاستعداد للذهاب لاستانبول لإحضاره، ولم يأو الغزاة الجزائريين، على الرغم من توقيع الهدنة وذلك في (30 ذي القعدة 985هـ/7 فيفري 1599م)[1].

13/محاولة مصطفى باشا تحرير مدينة وهران سنة (1007هـ/1598م).

توالت المحاولات من طرف حكام الجزائر في القرن (10هـ/16م) من أجل تحرير وهران من الإسبان حيث كانت محاولة صالح رايس سنة (964هـ/1556م) إلا أنها باءت بالفشل، ثم محاولة حسن باشا بن خير الدين لتحرير وهران والمرسى الكبير إلا أنها هي أيضا فشلت.

رغم فشل كل المحاولات السابقة إلا أن أمل حلم تحرير وهران بقي يساور كل الحكام، حيث كانت محاولة أخرى من طرف مصطفى باشا (1005-1008هـ/1596-1599م) في سنة (1007هـ/ 1598م)[2]، وذلك بعد تحرير تونس من الاحتلال الإسباني سنة (982هـ/ 1574م) فكر حاكم الجزائر في تحرير وهران والمرسى الكبير من أجل نزع كل الأخطار الإسبانية على مناطق النفوذ العثماني في المغارب، فجهز مصطفى باشا حملة من أجل تحريرها[3]، إلا أنها باءت بالفشل بعد تكبده خسائر كبيرة جعلته يتراجع أدباره[4].

---

[1] نفسه، ص 243.

[2] طاهر تومي: **العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015م، ص 114.

[3] طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية العثمانية مع إسبانيا مابين 1520-1792م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018-2019م، ص 168.

[4] طاهر تومي: **العلاقات الجزائرية....**، **المرجع السابق**، ص 114.

يذكر **ابن مريم التلمساني في كتابه البستان** في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان أن الحملة كانت من طرف حسن باشا بوجقارجي سنة (1007هـ/1599م) "... وهذه الأبيات الآتية نظمها عند هدم الباشا حسن حصن المرسى (الأعلى) وهروب النصارى دمرهم الله للحصن الأسفل وهي هذه:

هنيئا لك باشا الجزائر الغرب — بفتح أساس الكفر مرسى القرى الكلب

ستفتح وهران ومرساها التي — أضرت بـذا الإقـلـيـم طـرا بـلا ريـب

فثق بالإله واستعن به واصبرن — يـنلك المـــراد يا أميري ومـــطلـبي

وكان دخول المسلمين ليلة السبت (15 رمضان عام 1007هـ/10أفريل 1599م) "[1].

لقد كان هناك تضارب في تاريخ الحملة حيث ذكر **طاهر تومي** أن صاحب الحملة هو مصطفى باشا، بينما هو حسن باشا بوجقارجي، كما أخطأ في تاريخها، حيث ذكر أنها وقعت سنة (1006هـ/ 1598م)، بينما ذكر التلمساني أنها وقعت في (15 رمضان 1007هـ الموافق ل 10 أفريل 1599م).

[1] ابن مريم التلمساني: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، اعتنى. محمد بن أبي شنب، الجزائر، 1908م، ص 132.

المبحث الثاني- دور مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة الإسبان على المستوي الإقليمي خلال القرن (10هـ/ 16م) :

عندما أضحت الجزائر إيالة عثمانية سنة (925هـ/1519م)، غدت مركزا جهاديا متقدما في وجه العالم المسيحي، وذلك لموقعها الجيوستراتيجي، مما حمل حكامها على ضرورة العمل الدؤوب للنهوض بالبحرية الجزائرية، نظرا للضرورة التي اقتضتها الظرفية المتوسطية آنذاك، ورغم التحديات الصارخة التي جابهت مؤسسي إيالة الجزائر داخليا (ضعف، تفكك، احتلال إسباني، رفض للعثمانيين) وخارجيا (تهديد على الجبهات الثلاث (الشرقية، الغربية والشمالية)، إلا أنهم حملوا على عاتقهم مجابهة هذه الصعوبات، فسيروا حملاتهم برا وبحرا نحو المدن الجزائرية المحتلة من طرف الإسبان، وتزامنا مع ذلك سُيّر الأسطول الجزائري مرارا لمساعدة مسلمي الأندلس في ثوراتهم ضد جلاديهم، أو إنقاذا لهم من محنتهم.

ومن جهة تونس كان الخطر يهدد الجزائر، فكان لزاما على حكام الجزائر العثمانية اجتثاث الخونة ومعاونيهم، وقطع خط الرجعة عنهم، لكي تُؤمّن الجهة الشرقية وكذا طريق المواصلات بين الدولة العثمانية وإيالاتها المغاربية. وسوف نعالج في هاتين النقطتين العمليات الجهادية التي سيرت لإنقاذ الأندلس، وكذا جهود حكام الجزائر ومساهماتهم في تحرير تونس من الهيمنة الإسبانية وحكامها الحفصيين المتعاونين معهم على حساب رعيتهم.

أولا- مجاهدو البحرية الجزائرية ينجدون مسلمي الأندلس:

عند سقوط غرناطة وتعرض أهاليها للمحنة الشديدة، كانت الجزائر من أكثر دول المغارب مساندة لهم بحكم موقعها، وامتداد ساحلها، ورغم التواجد الإسباني بوهران والمرسى الكبير، إلا أن ذلك لم يثن أهالي الجزائر عن رسالتهم تجاه إخوانهم الأندلسيين، فقد قام خير الدين بن يعقوب (بربروس) بمهمته تجاههم على أكمل وجه، فبعدما استرجع مدينة مستغانم التي كانت تابعة للسلطان الزياني، قام بإرسال أسطوله المتكون من 28 سفينة من مستغانم إلى بلاد الأندلس قصد إنقاذ مسلميها [1].

---

[1] مجهول: **غزوات عروج ...، المصدر السابق**، ص49.

ولما ضايق ابن القاضي خير الدين، ترك له مدينة الجزائر وأقام بجيجل، لأن هدفه الأساسي كان منصبا على إنقاذ مسلمي الأندلس[1]. وفي سنة (935هـ/1529م) استنجد المسلمون المضطهدون بخير الدين، فأنجدهم ب 130 مركبا، تحت رئاسة نائبيه إيدين رايس، وصالح رايس، وأسفرت هذه العملية عن نقل 600 موريسكي كانوا ينتظرون النجدة عند مصب نهر"أوفيلا"Ovila، وتمكنوا من تهجيرهم نحو الجزائر، رغم الاشتباك الذي خاضوه مع سفن الأسطول الإسباني عند جزر البليار[2].

وكان خير الدين في كل مرة يستقبلهم ويوفر لهم سبل العيش[3]. وقد تمكّن خلال سبع سنوات من نقل سبعين (70) ألف مهاجر، كما وجه أهالي الجزائر وأعيانها رسالة إلى السلطان سليمان القانوني في (947هـ/1541م) ، يخطرونه فيها بعدد المسلمين في الأندلس، وما يلاقونه من أذى الأعداء لهم، وحاجتهم إلى العون وتأييد السلطان، كما يشيدون في هذه الرسالة بجهود خير الدين في كف الأذى عنهم بنقلهم للجزائر وتوطينهم في المدن الساحلية الجزائرية والتي ذكروا منها على سبيل المثال مدن شرشال وبرشك وتلمسان، وكيف سعى خير الدين جاهدا لتوفير الأمان لهم من خلال تشجيعهم على التعمير والاستقرار على طول الشريط الساحلي الجزائري[4].

وعلى الرغم من التحديات والرهانات الداخلية والخارجية التي كانت تقارع دولة السلطان سليمان القانوني، إلاّ أنه لم يلبث أن استجاب لنداء الأندلسيين، بعدما أوكل مهمة العون والإنقاذ لخير الدين بن يعقوب مانحا إياه الثقة المطلقة لرؤيته واستراتيجيته الناتجة عن خبرة

---

(1) مجهول: **غزوات عروج ...**، **المصدر السابق**، ص59.

(2) حنيفي هلايلي: **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 2010م، ص 23.

(3) Haedo**: les rois…, op.cit,** p46.

(4) رسالة مسلمي الأندلس الموريسكيين المتواجدين بالجزائر إلى السلطان سليمان القانوني أوائل شعبان 948هـ/أواخر نوفمبر 1541م، **ينظر**: **BOA**. TS. MA. E. 0576. 0035 / يُنظر **الملحق رقم 06**.

طويلة وعميقة وسليمة لكل رهانات البحر الأبيض المتوسط الغربي وخصوصا لملف الموريسكيين[1].

وقد جاءت حملة شارلكان على مدينة الجزائر في (25-26جمادى الثانية 948هـ/ 15-16 أكتوبر1541م) كرد فعل على الحملات الجهادية التي كان يقوم بها خير الدين بن يعقوب على السواحل الإسبانية لإنقاذ مسلمي الأندلس[2]، وبعد فشل الحملة السالفة الذكر، عملت الإيالة الجزائرية جاهدة على الاستجابة لاستغاثات الموريسكيين، وساهمت في استقرارهم بمختلف المناطق الجزائرية[3].

كان الفزع قد ساد نفوس الإسبان والبرتغاليين، وهم يشهدون تنامي القوة العثمانية وبسط نفوذها على بلاد المغارب، وعلى رأسها جزائر بني مزغنة، التي أضحت قوة يحسب لها ألف حساب، وشرعت تطرد الإسبان من مدنها الساحلية، وتهاجمهم في عقر دارهم لنصرة أهالي الأندلس، والدليل على ذلك الرسالة التي أرسلها الملك البرتغالي لشارلكان، يحرضه فيها على التدخل في المغرب لمنع توطيد أقدام العثمانيين في المنطقة[4]. ولما تولى صالح رايس حكم إيالة الجزائر، شرع في العمل على استرجاع الأندلس، فوجه فرقة من جيشه إلى ريف المغرب لمهاجمة الإسبان واسترجاع حجر بادس، والتي عندما تمكن من استرجاعها اتخذها قاعدة لشن هجماته على السواحل الإسبانية[5].

بعد استقرار الحكم العثماني بالجزائر، وتصعيد العمل الجهادي في مياه المتوسط، واتخاذ الصراع العثماني الإسباني أبعادا عالمية، استمر تيار الهجرة الأندلسية قويا نحو الجزائر التي استقبلت (974هـ/1567م) عددا ضخما من المهاجرين، لأنه بعد تنكر الإسبان للمواثيق والوعود التي قطعوها لأهالي غرناطة، جاء قانون (20-جمادى الآخر974هـ/1جانفي1567م) نهاية عام (974هـ/1567م) كموعد نهائي لتخلي المسلمين، نساء ورجال عن لباسهم

---

[1] عبد الجليل التميمي: **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن** 16م، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ماي 2009م، ص ص 19-20.

[2] محمد دراج: **الدخول العثماني ...، المرجع السابق**، ص312.

[3] حنيفي هلايلي: **أبحاث ودراسات...، المرجع السابق**، ص27.

[4] أ.ع: **مهمة دفتري** 14212، حكم 179، ص432، بتاريخ 961هـ/ 1554م.

[5] أ.ع: **مهمة دفتري** 889، حكم 656، ص167، بتاريخ 961هـ/ 1554 م.

الإسلامي ولغتهم العربية...الخ. وفي هذه الأثناء قام ديسا بتأليف قوة من الشرطة لمراقبة المسلمين وإلزامهم بنفقاتها، وإقصاء جميع الموريسكيين عن حي البيازين، وأمر بعقوبات صارمة لكل من يتعاون مع المنفيين في الجبال، لكن الماركيز دي مونديجار حل هذه القوة بهدف كسب عطف هؤلاء المسلمين، ثم أصدر ديسا أمرا آخر بتاريخ (14رجب976هـ/1جانفي1568م) يقضي بتسليم المسلمين أولادهم الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاثة (03) إلى خمسة عشر(15) سنة إلى سلطات الكنيسة بهدف تعليمهم الدين النصراني واللغة القشتالية، وبموجب هذا القرار قررت الفئة المتبقية من المسلمين التفكير في الثورة[1].

وفي أوت عام (977هـ/1569م) أرسل زعيم الثورة المنحدر من بني أمية والمدعو **فرناندو دي فالور(Fernando de Valor)** إلى بايلرباي الجزائر قلج علي باشا، طالبا منه المدد بالمال والرجال والسلاح، فاستجاب علي باشا لطلب ابن أمية، وذلك من خلال إيداعه بيانا يطلب فيه التطوع من أهالي الجزائر، فاستجابت له أعداد كبيرة، اختار منهم 400 رجل سلحهم بالبنادق والأسلحة والذخيرة، وأرسلهم في ست سفن تحت قيادة الرايس العثماني حسين، وبعد وصول هذا الأخير للأندلس طاف بتجمعات المجاهدين ليشد عزمهم، وفي الوقت نفسه وصلت مجموعة من المجاهدين المتطوعين بالأسلحة والمؤن من المغرب، خاصة من منطقة تطوان[2].

وكان قلج علي قد كاتب السلطان العثماني طالبا منه الإذن بمساعدة الثوار في الأندلس، وقد حصل منه على الموافقة، وأمره بإرسال النجدات والمعونة لهم[3].

---

(1) **نقلا عن** علي المنتصر الكتاني: **ثورة غرناطة الكبرى 1568م**، التاريخ العربي، ع16، 1570، خريف 1421هـ/2000م، ص 298.

Gines Perez de Hita : **Guerras Civilzes de Granada**, primera parte, Madrid, 1913.

(2) علي المنتصر الكتاني: **المرجع السابق** ، ص 314.

(3) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 9، حكم 231، ص 89، بتاريخ 24 شوال 977هـ/31مارس 1570م./ **مهمة دفتري** 10، حكم 14، ص 12، بتاريخ 3 صفر979هـ/26 جوان1571م.

-أ.ع: **مهمة دفتري** 9، حكم 204، ص 77، بتاريخ 10 ذي القعدة 977هـ/15 أفريل 1570م/ **يُنظر: الملحق رقم 07**.

كانت إسبانيا متخوفة جدا من إمكانية مساعدة الجزائر لمسلمي الأندلس، لأنها تعرف مدى قوة الأسطول الجزائري، وبالفعل فقد كانت تخوفاتها في محلها، لأن المساعدات الجزائرية كانت على المستوى الشعبي والرسمي، وقد طبق قلج علي الأوامر التي تلقاها من السلطان، والرسالة التالية تكفي للدلالة على ذلك، وهي موجهة إلى لويس التاسع من طرف: م. دي. لوز M, de Luz مبعوث فرنسا إلى مجلس المنتخبين la cour delecteura يقول فيها:"..إن السيد مونتيز Monteze حاكم وهران كتب بأن ملك الجزائر، يحضر بعزم لمواجهته، وسيكون معه 14 ألف تركي مسلحين بالأسلحة النارية، وأكثر من 60 ألف رجل من الأهالي، وأرسل 400 جملا محملة بالبارود الخاص بالمدفعية نحو مدينة مزغران وهي على طريق الجزائر–وهران"[1]، لكي يحرر وهران من الإسبان، ومنها يقود حملاته نحو إسبانيا لمساعدة مسلمي الأندلس في ثوراتهم ضد جلاديهم، ومد يد المساعدة ونجدة المهاجرين منهم بحملهم نحو الجزائر.

كان قلج علي يحاول كل جهده لتقديم عون الجزائر المادي والبشري اللامحدود لإخوانه الموريسكيين[2]، من أجل إنجاح ثورة جبال البشرات التي اندلعت عام (976هـ/1569م)، والتي نزح على إثرها حوالي 3000 موريسكي نحو المدن الجزائرية في تلك الفترة[3].

وفي سنة (977هـ/1570م) تواصل نزوح الأندلسيين إلى الجزائر بدون انقطاع، خصوصا بعد المرسوم الذي وجهه الصدر الأعظم العثماني إلى بايلرباي الجزائر بتاريخ (11ذي القعدة 977هـ/16 أبريل 1570م)، وقد طلب منه أن يقدم جميع المساعدات، وبكل الوسائل الممكنة التي يراها صالحة[4].

حتى أنه بعد القضاء على ثورتهم، أرسل الموريسكيون رسالة استغاثة للسلطان العثماني ضمنوها تذمرهم من عدم وصول أسلحة كانت قد أرسلت إليهم، وأنهم أضحوا يواجهون ضائقة في الذخيرة، وأن الصليبيين قد بسطوا نفوذهم على الأماكن التي كانت بحوزتهم سابقا،

---

[1] Ernest Charrière : **op.cit,** T3, p26.

[2] عمار بن خروف: **المرجع السابق**، 2006م، ج1، ص108.

[3] ناصر الدين سعيدوني: **دراسات أندلسية،....المرجع السابق**، ص39.

[4] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 9، حكم 231، ص89، بتاريخ 24 شوال977هـ/31مارس 1570م.

فكان رد فعل السلطان هو إعطاء تعليمات لقلج علي بشأن التوجه إلى الأندلس على رأس بضع قطع من الأسطول لمساعدتهم في حال سنحت له الفرصة[1].

وجاء في رسالة أخرى تحمل نفس التاريخ، وجهت لقلج علي يأمره فيها السلطان بأن يظل عينا ساهرة وأذنا صاغية تجاه الأندلس، وفي حالة عدم وجود خطر على الأسطول العثماني من اتحاد الإسبان والبنادقة ضده، فعليه الانفصال عنه، والتوجه لمساعدة أهالي الأندلس، لرفع الضرر عنهم ودفع الأعداء وقهرهم[2].

كما قام حسن فينزيانو بين سنتي (982-988هـ/ 1582-1588م) بجلب ألف موريسكي من منطقة أليكانت (Alicante)[3]، كما وصلت جموع أخرى من موريسكيي كاتالونيا إلى الجزائر، بينما امتلأت مدينة الجزائر، والبليدة، والقالة وشرشال بهؤلاء النازحين سنة (999هـ/ 1591م)[4].

وقد أحصى الدكتور محمد دراج من خلال تتبعه لمسيرة الأسطول الجزائري بين (934-986هـ/ 1528-1584م) ما يفوق 33 غارة بحرية ناجحة على السواحل الإسبانية أنقذوا خلالها الكثير من الموريسكيين[5].

ثانيا -دار الجهاد (الجزائر) تساند تونس ضد الخطر الإسباني (941-976هـ/ 1534 -1569م) :

1/ خير الدين ومشروع الإسبان في تونس (941-976هـ/ 1534 -1569م):

شكّلت تونس إحدى جبهات الصراع الجزائري الإسباني، بحكم موقعها الإستراتيجي في حوض المتوسط، وكذلك رغبة العثمانيين في بسط نفوذهم على كامل الجهة الغربية للمتوسط وطرد الإسبان من الأراضي الإسلامية، ولذلك توجه خير الدين بحملة عسكرية إلى تونس

---

(1) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 14، حكم 283، ص199، بتاريخ 3صفر 979هـ/26جوان 1571م.

(2) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 14، حكم 284، ص200، بتاريخ 3 صفر 979هـ/26جوان 1571م.

(3) سعيدوني: **دراسات أندلسية...** ، **المرجع السابق**، ص39.

(4) عبدالجليل التميمي: **مناورات لخطة عصيان بالأندلس سنة 1582م ودور الجالية الموريسكية في استانبول في سياسة هولندا حيال طرد الموريسكيين سنة 1610م**، في م.ت.م، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1999م، ع 95-96،ص-ص675-676.

(5) محمد دراج: **الدخول العثماني ...**، **المرجع السابق**، ص122.

واستطاع ضمها بسهولة سنة (941هـ/1534م)[1]، ونادى بإسقاط الحفصيين، وإعلان تبعيتها للدولة العثمانية، لكن تخوف الإسبان من هذه الخطوة وتقوية مركز خير الدين في المتوسط، جعلهم يعقدون اتفاقا مع مولاي الحسن يتم بموجبه احتلال تونس من طرف الإسبان الذين قاموا بطرد خير الدين من تونس وإعادة مولاي الحسن إلى سدة الحكم، وأصبح بذلك تابعا لشارلكان وسلم له قلعة حلق الوادي[2]، مما سهل الاحتلال الإسباني لتونس، وتعاونه مع القوى المحلية التي قبلت بشروط المعاهدة التي أمضيت مع الإسبان.

أ- موقف خير الدين من سلطاني تونس:

استغل الإسبان ضعف الدولة الحفصية التي كانت تعاني من الانحطاط حتى أنها أصبحت عاجزة عن مواجهة الأطماع الإسبانية نتيجة الصراع على العرش بين أسرتها، حتى كان قد تولى عرش الدولة الحفصية الملك الحفصي الحسن بن محمد بعد وفاة والده أبي عبد الله الخامس (900-933هـ/1494-1526م)، ولكنه كان سيء السيرة مهملا لأمور ملكه منشغلا بإشباع ملذاته، ونتيجة لذلك اضطربت أحوال تونس وخرجت بعض المدن عن طاعته، كالقيروان وخاصة بعد أن أقدم على الاستعانة بالإسبان وإعدامه إخوته وأخواته، إذ لم ينج منهم إلا عبد المؤمن وأخاه الرشيد الذي استطاع الهروب من أخيه الحسن بن محمد خوفا من قتله طالبا مساعدة الدولة العثمانية عند ذلك استدعى السلطان العثماني خير الدين بن يعقوب الذي خلف أخاه عروج في حكم الجزائر وكلفه بإعداد حملة لتحرير تونس واسترجاعها من يد الإسبان، عندئذ دخلت البلاد في صراع إسباني عثماني [3].

ب- تونس تحت راية خير الدين:

سار خير الدين إلى القسطنطينية بأمر من الخليفة العثماني، حاملا معه مشروع إسقاط السلطان الحسن مصطحبا معه الأمير الرشيد، وفي طريقه هاجم السفن الإسبانية فغنم منها

---

[1] خير الدّين: **المصدر السابق**، ص ص 172-174.

[2] نفسه، ص ص 176-177.

[3] جون وولف: **المرجع السابق**، ص46. / إلهام يوسف، ولاء علي صقر: **الصراع الاسباني العثماني على تونس 941-982هـ/1534-1574م**، في مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد 40، ع05، 22/10/ 2018، ص ص 404-405.

الكثير، ولما وصل إلى القسطنطينية سرّ به السلطان سليمان كثيرا[1]، وعيّنه أميرالا للبحرية العثمانية مع احتفاظه بمنصب بايلرباي الجزائر، فتمكن خير الدين من إقناع السلطان العثماني بضرورة ضمّ تونس، لأن هذا سيمكّن الدولة العثمانية من بسط نفوذها على منطقة المغارب، وكان رأي السلطان أيضا بأن تونس تشكل نقطة هامة في تثبيت الأمن والاستقرار في مصر[2].

وبعد موافقة السلطان العثماني لمشروع خير الدين شرع في إعداده للحملة على تونس، ولهذا الغرض جنّد كل الإمكانيات للتعجيل في بناء أسطوله في ترسانات غاليبولي (مقر الأميرالية) في اسطمبول. كما منحه السلطان 8 آلاف جندي إنكشاري و800 قطعة ذهبية، وأذن له بالتحرك نحو هدفه. وفي طريقه لتونس هاجم خير الدين السواحل الإيطالية، حيث فاجأ مدينة ريجيو، واستولى على قلعتي سانت أوسيدو (Sontusido) وجيرارنو (Girarno) ثم حرقهما بعد ما أسر سكانهما، كما استولى على قلعة نابولي وأسر من كان فيها واستولى أيضا على قلاع أسبرلونجا (Seperlonga) وأسر منهم 10 آلاف شخص، وفي فوندي (kontes de fundi) أسر مائة وخمسين شخصا[3].

ولما بلغ خير الدّين عنابة[4]، وجد في انتظاره إمدادات جاء بها حسن آغا[5]، وفي (5صفر941هـ/15أوت 1534م) وصل خير الدين بأسطوله إلى بنزرت[1]، وعندما علم

---

[1] قدم خير الدين مجموعة من الهدايا للسلطان العثماني سليمان القانوني فور وصوله لاسطنبول، للإطلاع على ذلك، يُنظر: **الملحق رقم 08**.

[2] خير الدّين: **المصدر السابق**، ص164. / عباد: **المرجع السابق**، ص62. / عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص109.

[3] مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص92. / عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص110.

[4] يذكر المؤرخ التركي أوزوجارشيلي (Uzuncarsili) بأنّ خير الدين توجه أولا إلى الجزائر، يُنظر: İsmail Hakkı UZUNÇARŞILI**: Osmanlı Devleti'nin Merkez ve Bahriye Teşkilatı**, Turk tarih Kurumu basimevi, Ankara1984, s322.

[5] **حسن آغا**: هو علج من أصل سرديني، اختاره خير الدين خليفة عنه في حكم الجزائر، عندما توجه إلى إسطنبول في سنة1533م، امتدت فترة حكمه مابين 1533 و1544م، في عهده تعرضت الجزائر لحملة ضخمة قادها شارلكان سنة 1541م، ينظر: إبراهيم سعيود: **علاقات الجزائر بالدويلات الايطالية...**، **المرجع السابق**، ص43.

[1] كان الجيش يتكون من 1800 إنكشاري، و6500 إغريقي وألباني، و600 من المرتزقة الإسبان، أما القوات البحرية فكانت تتكون في البداية من 84 مركبا، ستة منها رجعت إلى القسطنطينية، و10 ذهبت إلى الجزائر، و15 ذهبت إلى عنابة، و15 اتجهت إلى بنزرت. **ينظر**:

الحسن بذلك انطلق يجول في الشوارع يطلب نجدة الأهالي، لكن شعبه كان ناقما عليه فلم يستجب لندائه، وفي اليوم الموالي دخل خير الدين تونس دون عناء يذكر، ثم توجه بعد ذلك إلى مدينة تونس، التي استقبله أهلها معتقدين بأنه أحضر معه الأمير الرشيد لينصبه على العرش، لكن نوايا خير الدين كانت إلحاق تونس بدولة الخلافة العثمانية مباشرة، فلما علم الأهالي بذلك اتصلوا بالسلطان الحسن وطلبوا منه العودة إلى تونس، ووعدوه بالمساعدة على طرد العثمانيين[(1)].

وفي 18 من نفس الشهر، وقف خير الدين على رأس 4 آلاف و500 رجل أمام باب الجزيرة، في حين حضر الحسن برفقة 4 آلاف فارس، وفي بداية المعركة كانت الغلبة للأهالي الذين طاردوا العثمانيين وحاصروهم في القلعة من كل جانب، وفي اليوم الثاني نظم خير الدين حملة أخرى، أضاف لها المرتزقة والأجانب، وكان عددهم 2800، حيث هاجموا المدينة وكانوا يحسنون القتال، مما دفع أهالي تونس للهروب والنجاة بأعناقهم، وأُرغم الحسن على الفرار، بعد ما قتل من رجاله 300 جندي بينما قُتل من رجال خير الدين80، أما الأهالي فأعلنوا ولاءهم لخير الدين[(2)].

قام خير الدين بإرسال الرسائل للمناطق المجاورة، يشجعهم على إلقاء القبض على الحسن، وقد وجّه أيضا رسائل إلى بعض عساكره في الجزائر، يأمرهم فيها بالتفاهم مع القبائل بُغية تحريضها ضد الحسن الحفصي، في حين انشغل هو بإدارة وتنظيم البلاد[(3)].

بعد هزيمة الحسن توجّه إلى القيروان، وقد كانت آنذاك تحت حكم عرفة الشابي[(4)]، وهناك وجد أنصارا له فأجابوه والتفّوا حوله، حيث جمع حوالي 15 ألف متطوع، وما إن سمع

- De La Primaudaie: **Documents…, op.cit** « Relation du Frère Juan du Iribès sur les événements de Tunis, 4 Janvier 1535 », R.A, T19, 1875, p348.

(1) Ibid, pp 345-346.

(2) De La Primaudaie: **Documents…, op.cit** ،pp 345-346.

المجهول: **غزوات**...، **المصدر السابق**، ص 92. / ابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص ص183-184.

(3) المجهول: **غزوات**... ، **المصدر السابق** ، ص93. / Haedo**: Histoire des rois…, op.cit,** p 56.

(4) علي الشابي:" **مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية**"، م.ت.م، ع 13-14، تونس 1979، ص ص68-70.

خير الدين بهم حتى سار إليهم في 15 ألف جندي مصطحبا معه عددا من المدافع إلى الصحراء، فولى الأعراب منهزمين وبادروا بالطاعة والولاء[1].

سعى خير الدين للتحالف مع الأعراب[2]، واستعملهم في الاستيلاء على بعض المدن، وأقام حاميات عثمانية بالقيروان وغيرها، ولاستتباب الأمن طلب من حسن آغا خليفته في الجزائر إرسال 300 جندي انكشاري و400 فارس[3].

ثم بدا له توسيع ميناء مدينة تونس، فاستخدم الأرقاء من النصارى في شقّ قنال حلق الوادي، الذي يمتد من البحر إلى البحيرة، أما الحسن الحفصي فقد فرّ إلى قوم من أصدقاءه الأعراب ومكث عندهم[4].

كانت للقوة الحربية العثمانية أسلحة متطورة، يضاف لها التنظيم العسكري العالي ممّا جعل تفوّق خير الدين على خصمه الحسن أمرا لا نقاش فيه، حيث أنّ هذا الأخير لم يعد باستطاعته تجنيد الجيوش النظامية، نظرا للضعف الذي آلت إليه الدولة، كما أنّ وسائل دفاعاتهم لم تكن تساير التطور الحاصل آنذاك، فقد كانوا يحاربون على حدّ قول **بروديل**: "كرفاق عقبة بالسيف والرمح، وما إلى ذلك"[5].

ج-حملة شارلكان على تونس سنة (941هـ/1535م):

كانت سياسة شارلكان تتمثل في تطويق إيالة الجزائر من شرقها إلى غربها حتى يفسح المجال له لنشر المسيحية والاستحواذ على خيراتها، وذلك بسياج الحصار المتين. وكان الصراع

---

[1] المجهول: **غزوات...**، **المصدر السابق** ، ص94. / ابن أبي الضياف، **المرجع السابق**، ج 2، ص13. / عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص113.

[2] اعترف خير الدين للمشائخ بامتيازاتهم العقارية والجبائية. **ينظر** محمد الحبيب العزيزي: **ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث، المجلة التونسية نموذجا**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، (2006-2007م)، ص237.

[3] Rang Sander et Ferdinand Denis**: Fondation de la Régence d'Alger, Histoire des Barberousse,** 2t, Librairie de L'Eveche Oriental, 1837, T1, pp 320-321.

[4] مارمول: **المصدر السابق**، **ج3**، ص32. / Haedo**:** Haedo: **Histoire des Roi,** ...**op.cit,** p56.

[5] دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، تونس 2003م، ص53. / Braudel: « Les Espagnols… », **op.cit**, p216.

بين الأمراء الحفصيين على الحكم قد انعكس على قبائل عرب سليم وصراعها من أجل السيطرة على جميع عرب تونس والاستحواذ على رضا الدولة[1].

وبعد طرد الحسن من العرش قرر اللجوء إلى ملك إسبانيا لطلب المساعدة، هذا الأخير الذي طلب منه البابا وضع حد لنشاط المسلمين في البحر المتوسط والقضاء على الوجود العثماني في تونس وهذا الطلب قابله باستحسان، وأعلن استعداده لمساعدة الملك المخلوع وبدأ في الإعداد للحملة.

بعد أن جمع شارلكان كل القوات في سردينا انطلق على رأس الحملة المتكونة من 400 سفينة تحمل25500 رجل. وفي النصف الأول من شهر جويلية (941هـ/1535م) ظهرت الأرمادة المسيحية أمام قرطاجة وتم الإنزال دون مقاومة وأقيم مقر القيادة في المكان نفسه الذي أقام فيه سان لويس[2].

2/ خير الدين والحملة الإسبانية على تونس:

كانت الحملة التي قادها شارلكان ضخمة، فقد كان جيشها مكوّنا من كتائب الإسبانيين، والإيطاليين، والألمانيين، وتضم قرابة 400 سفينة من مختلف الأنواع والأحجام، بما في ذلك 90 سفينة مماثلة على متنها 26 ألف جندي من جنود المشاة، وقرابة ألفي فارس[3]. وحسب رسالة موجهة من أسقف دي لافور إلى فرانسوا الأول (François1)[4] بتاريخ (17ذي الحجة941هـ/18جوان1535م) ورد فيها: "أن السيد فيرون غونزاغ

---

[1] كليل صالح: **المرجع السابق**، ص 53. / أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة...**، **المرجع السابق**، ص236.

[2] نفسه، ص53.

[3] Mercier**: op.cit**, t3, p37. / مارمول: **المصدر السابق**، ج3، ص34.

[4] **فرنسوا الأول (François1)**: ولد سنة 1494م، حكم فرنسا سنة 1515م، كانت أيامه مصروفة لمحاربة شارلكان الذي كان من مقاصده إخضاع أوروبا كلها لسيطرته فقاومه ملك فرنسا مقاومة عنيفة، وساعده على ذلك السلطان العثماني سليمان القانوني، كما أعلى شأن الجندية، وبسط الزراعة والصناعة، وصارت فرنسا من عهده روضة أوروبا الزاهرة بالحضارة والمدنية، لكنه مات مقتولا سنة 1559م.**ينظر** فريد وجدي: **المرجع السابق**، ج7، ص242.

(FerrandGonzague)[1] حصل على تفويض الإمبراطور لتجميع عدد كبير من الأحصنة، ووضعها في حالة الاستعداد، كما أنه لم يبق في نابولي سفينة واحدة ولا رجال ولا خيول"[2].

بعدما راجت الأخبار عن التجهيزات الهائلة التي أعدّها شارلكان لغزو تونس، قرّر خير الدين توزيع أسطوله في أماكن مختلفة[3].

فحسب مراسلة كان مع خير الدين 84 قادسا، 6 رجعت إلى القسطنطينية، و10 أرسلت للجزائر، و15 إلى عنابة، و15 اتجهت إلى بنزرت، و18 وضعت في مستودعات، حيث بقي 20 قادسا فقط، مع 7 قوادس أحضرها سنان رايس من جربة لحراسة حلق الوادي والشواطئ القريبة من تونس[4].

كما أنّ القوة الّتي بين يدي خير الدّين لم تكن كافية لردّ هذه الحملة العظيمة؛ إذ لم يكن الجيش الإسلامي يشتمل إلا على نحو 4 آلاف من العثمانيين، وألف انكشاري، وألفين من التونسيين حسب روسو[5]. أما السرّاج وبن أبي دينار فقد أوردا بأنّ عدد قوات خير الدين ومن انظم إليه من أهالي تونس بلغ 18 ألفا[6]. أما خير الدين فقد أورد في مذكراته أن جيشه بلغ 12 ألفا[7]، إلا أنّ نصفهم كان من المتطوعين البدو الذين لا يعرفون قواعد الحرب ولا يترددون في الفرار أو الالتحاق بالعدو عندما تشتدّ عليهم وطأة الحرب[1].كما تخلّفت بعض القبائل والأهالي عن النداء الذي وجهه خير الدين للجهاد عبر أئمة المساجد[2].

---

(1) **فيرون غونزاغ (FerrandGonzague)**: ولد سنة 1507م بـ: قاستالا (Guastalla)، ينحدر من عائلة ملكية بإيطاليا، شارك في عدة معارك ضد الدولة العثمانية متحالفا مع هولندا وهنغاريا، شغل عدة مناصب منها نائب للملك بجزيرة صقلية، ثم حاكما لمدينة ميلان الإيطالية سنة 1547م، توفي ببروكسل سنة 1557م، ينظر:

- Nouvelle Biogaraphie: op.cit, T 24, pp227-228.

(2) Ernest Charrière **: la Négociation de la France dans le levant**, Extrait de correspondance de Rome et de Venise, 4T, Paris, (1848-1860), T1, p268.

(3) مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص92.

(4) De la Primaudaie: **Documents…, op.cit**, « relation du Frère Juan…» T19, p348.

(5) أي أنّ مجموع قوات خير الدين كان سبعة آلاف. **ينظر** روسو: **المرجع السابق**، ص88.

(6) السرّاج: **المرجع السابق**، ص205. / ابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص185.

(7) خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص173. / ابن أبي الضياف: **المرجع السابق**، ج2، ص13.

(1) خير الدين بربروس: **المصدر السابق**، ص173.

(2) صالح اكليل: **المرجع السابق**، ص142.

لما التقى الجمعان دارت معركة حامية الوطيس، فقاتل المسلمون أعداءهم بكل شجاعة، إلا أن الأسرى المسيحيين الذين نجحوا في تهشيم أبواب سجونهم، تمكّنوا من السيطرة على القلعة، وكان عددهم 12 ألف أسير، فقاموا بتوجيه مدافع معقل القصبة صوب جيش المسلمين الذي وقعوا بين فكي الكماشة، كما أوصدوا أبواب المدينة وقاموا بحراستها ليمنعوا خير الدين وجيشه من التحصّن بها، وكان ذلك إثر خيانة فرنك جعفر الذي أوكل له خير الدين مراقبة الأسرى[(1)].

لم يكن في وسع خير الدين الاستمرار في المعركة بمن بقي معه من الجنود البالغ عددهم 7 آلاف و200، لأنّ الجوّ حار، فقام بهجوم أخير لتشتيت صفوف العدوّ، بعدها اضطر للانسحاب نحو الجنوب لكن الشيخ أحمد بن مرابو شيخ جبل منطقة الرصاص ساعده في الاتجاه نحو الشمال قاصدا مدينة عنابة برا[(2)] وكان قد أخذ احتياطاته بتأمين خطوطه الخلفية حيث ترك بها 15 سفينة[(3)]. في هذه المعركة سقط الآلاف من الشهداء، وقد تمنّى خير الدين أن يكون شهيدا بينهم، إلاّ أنّ الله كتب له النّجاة، وقد تحمّل كبار نبلاء أوروبا مشقة ومخاطر الاشتراك في هذه الحملة من أجل أن يستمتعوا بالتفرج عليه مقيّدا في الأغلال[(4)].

وبفضل الاحتياطات الحكيمة، تمكن من إنقاذ أغلبية جيشه البالغ عدده ثلاثة آلاف جندي وألفي فارس[(1)]. لكن في طريقه لعنابة، اعترضته حشود الأعراب في ناحية تيبر سوق، ووقعت بينهم معركة فهزمهم إلا أنه خسر خلالها ما يقارب 500 شهيد[(2)].

---

(1) عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص117.

(2) صالح اكليل: **المرجع السابق**، ص143.

(3) De la Primaudaie: **Documents…, op.cit,** « relation du Frère Juan… », T19, p348

/ المجهول: **غزوات**……، **المصدر السابق**، ص98.

(4) خير الدين: **المصدر السابق**، ص176. / Charrière: **op.cit**, T1, p271.

(1) De la Praimaudaie: **Documents …, op.cit**, « lettre de Sa Majesté au commandant de Bougie,Tunis 23 Juillet 1535 », R.A, t20,1876, p128.

(2) محمد المهدي بن علي شغيب: **أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)**، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر1980م، ص107. /

-De la Praimaudaie : **Documents …,op.cit**, « lettre de Sa Majesté… », R .A , t20 , 1876 , P 129.

ومن الأسباب التي جعلت خير الدين لا يقوى على صدّ هذا العدوان؛ هي أنّ الدولة العثمانية كانت منشغلة بحروبها في المجر والنمسا[1]، ممّا حال دون إرسال قوات لدعم خير الدين في حربه ضدّ شارلكان[2]، وأنها لم تتّجه بعد بثقل قواها إلى البحر المتوسط، وهذا من شأنه ألا يسمح لها بإرسال قوات كبيرة للجزائر وتونس، وخير الدين لا يجهل قوات خصمه، لهذا فلا مانع من احتمال أنّه كان يفضل الاحتفاظ بالجزائر في الدرجة الأولى ، وأنه كان يخشى أن يقع بها نزول إسباني لو أنه أطال الصمود أمام قوات شارلكان، وبذلك يخسر الجزائر وتونس معا[3].

وبعدما وصلت الأخبار إلى شارلكان بأن خير الدين قصد عنابة، قام بإرسال أسطول مكون من 30 سفينة على متنها 2000 جندي تحت قيادة الأمير الجنوي أندري دوريا، إلا أن مدافع خير الدين منعتهم من الاقتراب، فاضطروا للتّراجع. عندها أكمل خير الدين طريقه إلى مدينة الجزائر التي استقبله أهلها بالترحاب[4].

3/ مساعي الجزائر في تحرير تونس من الهيمنة الإسبانية (977هـ/1569م):

ظلت تونس تحت نفوذ الإسبان حتى سنة (976هـ/1568م)، حينها تولى قلج علي حكم الجزائر فراسله أعيانها طالبين منه إنقاذ تونس من شدة وطأة مولاي أحمد وحلفائه الاسبان، فاستجاب لهم سنة (977هـ/1569م)، لأنه كان منشغلا بتدعيم ثورة البشارات[1]. فافتتك مدينة تونس في (رجب977هـ/ ديسمبر1569م)[2]، وعين عليها القائد رمضان، الذي جاءه التعيين الرسمي من إسطنبول بتاريخ (25 شوال 979هـ/11 مارس 1572م)، وهو يتضمن ما يلي:"حكم إلى القائد رمضان، قائم مقام وكيل أمير أمراء الجزائر (علج علي) في

---

(1) محمد فريد بك: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح.إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط9، 2003، ص ص210-236.

(2) إبراهيم سعيود: **الأسرى المغاربة في إيطاليا...**، **المرجع السابق**، ص80.

(3) المطوي العروسي: **السلطنة الحفصية...**، **المرجع السابق**، ص699.

(4) المجهول: **غزوات ....**، **المصدر السابق**، ص98.

(1) عبد الجليل التميمي: **رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن 16**، م.ت.م، تونس، ع 29-30 جويلية1983م، ص94.

(2) Kurdoglu.F: **Kilic Ali Pasa**, Denis matbaasi, Istanbul, 1932, s 513.

سوسة والقيروان والمنستير وبلد الجريد وبنزرت من نواحي تونس يتضمن تعيينه على المناطق المذكورة..."[1]، وذلك نزولا عند رغبة أعيان تونس الذين قاموا بتزكيته لدى السلطان العثماني[2].

إذ مثل التواجد الإسباني في حلق الوادي[3] تهديدا لمدينة تونس لأنه تحكّم في المدخل البحري لها، كما شكل خطرا على مصالح المسلمين في المتوسط. لهذا عزم قلج علي على ضمها وتطهير سواحلها منه قبل انسحابه إلى الجزائر، فأصدر الأوامر إلى خليفته في الجزائر مامي قورصو يدعوه لتجهيز الأسطول[4]، كما طلب مساعدات من الخليفة العثماني للقضاء على الحصن الإسباني القوي في حلق الوادي، إذ بدون القضاء عليه تظلّ تونس مهددة، ويظلّ النفوذ العثماني فيها معرضا للخطر[5]. فوافق الباب العالي على هذا الطلب، ووعد بتعيين 150 سفينة تذهب إليها[6].

وأثناء انتظاره لوصول الأسطول العثماني، توجه قلج علي على رأس أسطول يتكون من 19 مركبا لاستقبال المساعدة، برفقة أشجع البحارة، ومن بينهم مراد رايس ومامي ومصطفى الأرنؤوطي، والرايس جعفر [7].

وخلال إبحاره، دخل في معارك بحرية مع السفن المسيحية، تمكن في إحدى المرات من الاستيلاء على 4 سفن مالطية، ثأرا بذلك لدرغوث باشا الذي قتل في حصار مالطا سنة (973هـ/1565م)[1].

في تلك الأثناء استجدت تطورات في شرق البحر المتوسط، دفعت بالعثمانيين إلى فرض الحصار على قبرص ممّا شغلهم عن إرسال المساعدات لقلج علي، وأصبحوا يطالبون

---

(1) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 12، حكم 1037، ص ص541-543، بتاريخ 25شوال 979هـ/10 مارس1572م.
(2) نفسه، **مهمة دفتري** 18، حكم 237، ص 135، بتاريخ 19شوال979هـ/ 4 أفريل1572م.
(3) يُنظر: **الملحق رقم 09**.

(4) De Grammont: **op.cit**, p107.

(5) عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص229.
(6) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 14، حكم 603، ص423، بتاريخ 22 جمادى الثانية 978هـ/20 نوفمبر1570م.
(7) عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص229.

(1) Retalier: **op.cit**, T2, pp 252-257.

بإلحاق الأسطول الجزائري ليساندهم، فاستجاب لهم قلج علي وأرسل أسطوله بقيادة قارة خوجة رايس، ورجع هو إلى الجزائر معه السفن والأسرى الذين استولى عليهم[1].

ولقد أورد **بروديل** بخصوص حنكة قلج علي وتفوّقه على الإسبان، عندما ضمّ تونس لتحت لواء الدولة العثمانية، ما يلي:"إن هذا الفتح يعود إلى اختلال التوازن الذي تسببت فيه ثورة غرناطة، فقد نجح قلج علي في استراتيجيته الرامية إلى تشتيت القوات الإسبانية على جبهتي الأندلس وتونس"[2]. لذلك فإن جهوده قد أزعجت الإسبان نظرا لأنّه بات يهدّد مصالحهم في منطقة المغارب، ممّا حملهم على تحيّن الفرصة المناسبة لاستعادة هيبتهم في المنطقة.

وبات مشكل تواجد الإسبان في حلق الوادي يؤرق قلج علي وأهالي تونس، إلا أن رسائل الاستنجاد التي كان يرسلها أهالي تونس للسلطان العثماني بشكل مستمر، دعمت موقف قلج علي، فراسله السلطان يطلب منه إرسال عدد من الجند إلى تونس[3].

ثالثا-مجاهدو البحرية الجزائرية يحررون حجر بادس في المغرب الأقصى:

في بداية (رجب 960هـ/ جوان 1553م) ذهب صالح رايس من الجزائر على رأس 40 سفينة حربية وذلك تلبية لدعوة الملك الفرنسي مُنزلا قواته في ميورقة، وقد كبدته حامية ماهون بعض الخسائر، ثم واصل طريقه على السواحل الإسبانية، متجها نحو ميناء بادس بعد استيلائه على10 سفن إسبانية وبرتغالية[1] مكونة من 3 سفن حربية مزودة بكثير من الذخيرة والمقاتلين وكل ما يلزم، و2 كارافيل مكلفة بتموين القواعد البرتغالية في المغرب الأقصى[2].

---

[1] سي يوسف: **المرجع السابق**، ص 108.

[2] Braudel: **la Méditerranée..., op.cit**, T2, p 365.

[3] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 19، حكم 264، ص123، بتاريخ 4 صفر 980هـ/15جوان 1572م.

[1] Ernest Charrière :**op.cit,** T2, p204.

[2] المنور مروش: **المرجع السابق**، ص154.

المبحث الثالث – العمليات الجهادية للبحرية الجزائرية على الصعيد العالمي:

لم تكن مهام الأسطول الجزائري خلال القرن (10هـ/16م) منحصرة على المستوى المحلي والإقليمي، بل إن نشاطه امتد على الصعيد العالمي، الذي تمثل في مشاركاته إلى جنب الأسطول العثماني في حرب بريفيزا ،حصار مالطا، فتح قبرص، ومعركة ليبانت، ووصوله إلى غاية المحيط الأطلسي لمطاردة السفن الإسبانية المحملة بخيرات العالم الجديد، وكذلك تعاونه مع الأسطول الفرنسي في عديد المرات نظرا للمصلحة المشتركة التي اقتضتها الظرفية المتوسطية آنذاك، كون إسبانيا كانت عدوا مشتركا لكليهما، وهذا ما سوف نفصله في هذه الجزئية.

أولا– مظاهر التعاون الجزائري العثماني:

1/ الأسطول الجزائري يدعم خير الدين في معركة بروزة أو بريفيزا (945هـ/1538م):

تكتسي هذه الجزيرة أهمية استراتيجية في البحر المتوسط، لذلك قرر خير الدين مهاجمتها على رأس أسطول يتكون من 130 سفينة على متنها قوات يتراوح عددها بين 20و30 ألف رجل[(1)]، تحت قيادة رياس مشهورين، أمثال: درغوث باشا، سنان باشا، مراد رايس، صالح رايس، علي رايس، حسن آغا، وحسن بن خير الدين، في حين كانت قوات التحالف المسيحي المكونة من البابوية والبندقية وإسبانيا وفلورنسا وجنوة ومالطا تحت إمرة أندري دوريا، ويورد خير الدين في مذكراته بأنه لم ير ولم يسمع في حياته عن أسطول بهذا الحجم[(1)].

فقد بلغ أزيد من 600 سفينة، منها 308 سفن حربية، 120 سفينة لنقل الجنود، ويقوم بدفع الأسطول آلاف الجدافين، وتم نقل 60 ألف جندي على متن هذا الأسطول حتى أن بعض السفن الضخمة كانت تقل على متنها ألفي جندي فصارت تبدو كقلعة تسبح ببطء على سطح الماء من جراء ضخامتها وثقلها، وكانت قوات التحالف متفوقة في عدة أمور، إلا أن تحكم خير الدين في جميع وحدات أسطوله والتي كان من ضمنها الأسطول الجزائري،

---

(1) Moulay Belhamissi**: Histoire de la marine Algerienne(1516-1830),** Enal, Alger,1986, p142.

(1) يذكر الباحث دراج أن ما أورده خير الدين عن معركة بريفيزا ليس من باب المبالغة، فإن البحر المتوسط لم يشهد معركة بحرية بهذه الضخامة منذ معركة أكسيوم والتي كانت في سواحل اليونان سنة 31 قبل الميلاد، بقيادة ولي عهد إمبراطورية روما أوكتافيانوس ماركوس أنتونيوس ضد أسطول كليوبترا. **ينظر** محمد دراج: **الدخول العثماني إلى الجزائر...، المرجع السابق**، ص327.

واستماثة قواده وجيشه جعلت النصر حليفهم، عكس أسطول أندري دوريا الذي لم تكن قواته تفهم لغة بعضها، زد على ذلك المصالح الدنيوية فقد كان أميرال البندقية وقائد أسطول البابوية يكرهان دوريا[1].

2/حسن بن خير الدين يقود الأسطول الجزائري نحو مالطة (972هـ/1565م):

نظرا للموقع الاستراتيجي الذي تحتله جزيرة مالطا بين ضفتي المتوسط الشمالية والجنوبية، وتحديدا بين صقلية وتونس وطرابلس فالذي يُسيطر عليها يتمكن من التحكم في المواصلات البحرية بين حوضي البحر المتوسط الشرقي والغربي، ومذ توطن بها فرسان القديس يوحنا صاروا يعترضون سفن الحجيج[2]، ويقدمون الدعم للبحرية الإسبانية، ونظرا للخطر الذي كانت تشكله على طرابلس والمهدية وتونس وبجاية والجزائر فإن الدولة العثمانية لم تكن لتسمح ببقاء هذه الجزيرة بيد التحالف المسيحي، فقد أورد حاجي خليفة: أنه في أواخر شعبان من سنة (13 شعبان972هـ/ 15 مارس1565م) اتجه الأسطول العثماني إلى جزيرة مالطة والذي كان تحت قيادة الوزير مصطفى باشا الأسفندر، وبيالة باشا، وكان تعداد الأسطول 150 سفينة، فحاصروها والتحق إلى جانبهم الأسطول الطرابلسي بقيادة درغوث باشا، ب13 سفينة في اليوم السابع من الحصار[1].

كان السلطان العثماني سليمان القانوني قد أرسل فرمانا إلى حسن باشا بن خير الدين الذي كان بايلربايا على إيالة الجزائر يخبره فيه بضرورة المشاركة في حصار جزيرة مالطة، كما نوه السلطان في هذا الفرمان بشهامة حسن بن خير الدين وفراسته وحنكته وسداد رأيه، كما طلب منه تقديم الخدمات اللازمة للأسطول العثماني من عدة وعتاد ولوازم غذائية، وذلك لقرب الجزائر من جزيرة مالطة مقارنة بالباب العالي، وطلب منه جمع أكبر عدد من المتطوعين لإحراز

---

[1] خير الدين: **المصدر السابق**، ص ص169-173. وقعت معركة بروزة أو بريفيزا معركة في 04 جمادى الأولى 945 هـ/ 28سبتمبر1538م في خليج أكتيوم الذي وقعت فيه معركة أكتيوم البحرية عام 31 ق.م. بالقرب من ميناء بريفيزا غربي اليونان، وانتصر فيها الأسطول العثماني على العصبة المقدسة 1538م.

[2] أ.ع: **مهمة دفتري** 6، حكم 565، ص266، بتاريخ 25 جمادى الأولى 972هـ/28ديسمبر 1564م.

[1] حاجي خليفة: **المصدر السابق**، ص ص144-145. /حاجي خليفة: **فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار (فذلكة التواريخ)**، **(تاريخ ملوك آل عثمان)**، تح. وتقو وتر. الحواشي. سيد محمد السيد، (د.د.ن)، (د.م.ط)، (د.ط)، (د.ت)، ص296.

النصر، نظرا لخطورة فرسان مالطا كما أسلفنا[1]، وبعد تلقي حسن بن خير الدين لأمر السلطان قاد الأسطول الجزائري على رأس 28 سفينة على متنها 2500 مجاهد[2].

لكن وصول الأسطول الجزائري كان متأخرا جدا، بسبب ورود أخبار عن استعدادات إسبانية لمهاجمة منطقة المغارب، وقد كانت وجهتها نحو حجر بادس سنة (971هـ/1564م)، التي كانت بيد الحامية الجزائرية، وقد جاءت هذه الحملة ردا على محاولة حسن بن خير الدين تحرير وهران والمرسى الكبير سنة (970هـ/ 1563م)[3]، لكن الخطر بقي قائما مما حمل بايلرباي الجزائر على الاطمئنان أولا على إيالته وتأمين خطوطه الخلفية، لأن الضرورة تقتضي أن تكون الجزائر في مأمن أولا وقبل كل شيء.

التحق الأسطول الجزائري في 28 جوان، وشارك في الحصار، حيث كان الجند الجزائري يتقدم القوات المهاجمة، وتمكنوا من غرس ألويتهم ثلاث مرات ،واعتبرت هذه الفرقة من أحسن فرق الجيش العثماني، ونظرا للجهود الجبارة التي أبلاها حسن باشا مع مجاهديه، فقد كلف بمهمة حراسة الجزيرة بأسطوله[1].

كما كلف بمهاجمة حصن القديس سانت ميشال، فهاجمه على رأس 6000 مجاهد برا ونائبه المدعو كانديلسا بحرا، وألحقوا خسائر فادحة بالجنود المدافعين عن الحصن، واستطاعوا النزول به ووضع عدة ألوية عليه، كما ألحقوا خسائر معتبرة، قدرت بحوالي 200 جندي

---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** 6، حكم 561، ص263، بتاريخ 29 جمادى الأولى 972هـ/1جانفي 1565م/ أ.ع: **مهمة دفتري** 6، حكم 565، ص266، بتاريخ 29 جمادى الثانية 972هـ/31جانفي 1565م./ أ.ع: **مهمة دفتري** 6، حكم 904، ص426، بتاريخ 22 شعبان 972هـ/24مارس 1565م.

[2] J.de Hammer**: Histoire de l'empire Ottoman depuis l'origine jusqu'à nos jours**, traduit de l'Allemand par J. J. Hellert, Bellizard, 19T, Paris, 1837, T6, p202.

- أما هايدو فقد أورد أن عددهم كان 3000، **ينظر** :

- Haedo: **Histoire des Rois... , op.cit,** p130.

-وكذلك التحق إلى جانب الأسطول العثماني "محمود بن حسن بن خير الدين" رفقة سفنه وجنوده، **ينظر**: أ.ع: **مهمة دفتري** 6، حكم 1049، ص 484، بتاريخ 18 رمضان 972هـ/18أفريل 1565م.

[3] عمار بن خروف: **المرجع السابق**، ص ص 218-219.

[1] نعيمة بوحمشوش: **مساهمة البحرية الجزائرية ...**، **المرجع السابق**، ص ص 179-180. /خليل الساحلي: **المغرب العثماني أثناء حرب مالطة سنة 1565م**، المجلة التاريخية المغربية، عدد7-8، جانفي 1977م، تونس، ص59. **نقلا عن** دفاتر المتفرق: رقم71، ص111، 23 محرم 973هـ /25 جويلية 1565م.

وفارسين من أفضل فرسانهم، ورغم أن الجزيرة كانت محاصرة تم قصفها بعنف برا وبحرا ولمدة تزيد عن أربعة أشهر، لكنهم اضطروا لفك الحصار عنها عند حلول الشتاء[1].

أما حسن بن خير الدين، فإنه حاول مع قلج علي الإبقاء على الحصار والاستمرار في الهجوم لوحده، لكن تحت رفض الأميرال بيالي باشا، عاد إلى الجزائر فاقدا نصف جنده، وقد أرسل السلطان العثماني سنة(974هـ/1566م) رسالة ينوه فيها بالجهد الذي بذله مجاهدو البحرية الجزائرية، والشهامة والخصال الحميدة التي تحلوا بها في حربهم ضد المالطيين، وأنه قد تم إحراز نصر باهر بمجرد دخولهم منطقة العمليات[2].

كما قام بتعيين حسن بن خير الدين على رأس الأسطول العثماني نظرا لكفاءته وحنكته في العمليات الجهادية التي قادها بعد وفاة بيالي باشا في (975هـ/1567م)[3].

3/ مجاهدو البحرية الجزائرية يساهمون في حصار وتحرير قبرص (978هـ/1570م):

كان الحوض الشرقي للبحر المتوسط عام (978هـ/1570م) تحت سلطة الدولة العثمانية، فقد بلغت في هذا الوقت قمة مجدها، ولا يفلت من سلطتها إلا بعض المقاطعات مثل البندقية، أما اليونان وكل شبه جزيرة البلقان فكانت تخضع لها، عدا جمهورية ركوز Raguse الصغيرة المطلة على الأدرياتيك والتي كانت تدفع ضريبة مقابل استقلالها، وكذلك شريط ساحلي ضيق شمال الأدرياتيك[1]. وكان فرسان مالطا الممثلين العسكريين للعالم المسيحي–والبنادقة المتمركزين بقبرص وشواطئ الأدرياتيك يقومون بغارات جزئية ضد المصالح العثمانية، مما جعل التجارة الإسلامية تتضرر والاتصالات البحرية بين السواحل العثمانية تنقطع إلى درجة أن سفن الحجاج صارت معرضة للخطر. لأجل هذا اضطرت الدولة العثمانية للتحرك بغية وضع حد لتلك الاعتداءات، فقررت شن حملة ضد جزيرة قبرص التي كانت

---

[1] مصطفى عبد الله الغاشي: **المرجع السابق**، ص46.

[2] أ.ع: **مهمة دفتري** 5، حكم 817، ص313، بتاريخ 23 جمادى الثانية 973هـ/13 جانفي 1566م ./ عبد الجليل التميمي: **دراسات** ...، **المرجع السابق**، ص 178.

[3] نجيب دكاني: **المرجع السابق**، ص130.

[1] Léon Galibert**: L 'Algerie Ancienne et moderne**, Paris,1844, p 209.

تشكل مع جزيرة كريت قاعدتين بحريتين لأولئك القراصنة[1]. فطلب السلطان سليم من جميع قواته في البحر المتوسط الالتحاق بالأسطول الذي تم تحضيره لهذه المهمة، وخرج الأسطول من الدردنيل متوجها إلى قبرص تحت قيادة بياله باشا يحمل100 ألف جندي يقودهم لالا مصطفى[2]، "فبرز بعسكر ملأ الأرض برا وبحرا فساروا إلى أن بلغوا جزيرة قبرص، ففرق الجند على حصونها وقد تحصن بها الكفار، وأحكموا خنادقها وكان من أحكم الحصون المشيدة بها ثلاثة عامرة، وهي في غاية الارتفاع مشحونة بالسلاح والأبطال واللئام والقوت ومن دونهم خنادق غويطة، عريضة محمية بالمدافع الكبار ترمي من يقرب منها، فأحطت العساكر بتلك القلاع فناوشهم القتال برمي المدافع العظيمة بالليل والنهار حتى حطمت دورهم وقصورهم، ففتحوا حصنين منها وبقي الثالث وهو المسمى ماغوسا، وفيه سلطانهم محصور وبعد خيانة هذا الأخير تم ضرب عنقه، أخذوا أمواله وذخائره، وقتلوا وأسروا، وصارت قبرص دار الإسلام، ومن جملة الممالك العثمانية" [3].

وفي هذه الأثناء تلقى قلج علي أمر الالتحاق بالأسطول العثماني ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها الباب العالي له جاء فيها:" ... وعليه نأمرك بالالتحاق بالأسطول ومساندته في هذه المهمة، فلا تتأخر في تنفيذ هذا الأمر والعمل على حفظ وحراسة الجزائر بلادا وقلاعا..."[1]. وفي حملة (صفر 978هـ/ يوليو 1570م) خرج علي باشا للبحر ليلتقي الأسطول، فصادف في طريقه سفن مالطة استولى على أربع من سفنهم الحربية، ولكنه عاد إلى تونس ليصلح السفن التي تضررت أثناء القتال، ولما كانت الأعلام التي أخذت من السفن قد أرسلت إلى قبرص، وبهذا ملأوا قلوب الأعداء رعبا. وفي اليوم الثامن من ربيع الآخر الموافق

---

[1] نعيمة بوحمشوش: **مساهمة البحرية الجزائرية ...، المرجع السابق**، ص 189.

[2] محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص 107.

[3] محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، 2ج، تح. علي الزاوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ج2، ص 61.

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** 12، ص 173، بتاريخ 02 ذي القعدة 978هـ/ 28 مارس 1571م، الدولة العثمانية تقوم بحملة ضد قبرص وتأمر بابلرباي الجزائر بالانتباه من أي هجوم مباغت من طرف الإسبان. / التميمي: **دراسات...، المرجع السابق**، ص 195.

(10ربيع الثاني 978هـ/10 سبتمبر1570م) تم فتح قلعة لفوكشا[1]. وهكذا تم فتح قبرص يوم (10 ربيع الأول 979هـ /02 أوت 1571م).

وفي أثناء عودة الأسطول الهمايوني تصادف بثلاث قطع بحرية من نوع قادرغة تحمل أحد أقرباء ملك إسبانيا والذي تلقى فيها الأسطول الأمر من الباب العالي بإلقاء القبض عليه واتخاذ كل الإجراءات والاحتياطات في هذا الجاني وعدم إفلاته منهم وتسليمه إلى السلطان[2]. كما ساهم أسطول الجزائر في فتح جزيرة قبرص ونهب جزيرة سيفالونية وسواحل قريطش (كريت) وجزيرة كورفو واستولى على مدن سوبرتوالغي وبار التابعة للبندقية[3].

4/الأسطول الجزائري ينجد أسطول الدولة العثمانية في معركة ليبانت (979هـ/1571م)

بتاريخ (10ربيع الأول 979 هـ/2 أوت1571م) سقطت قبرص في يد العثمانيين، مما حمل البندقية على إرسال نداء استغاثة للدول المسيحية، فاستجاب البابا بيوس الخامس Piv.V[1]، الذي نظّم الحلف[2] واستعدّ لمساعدة البندقية، فوصلت أخبار هذا الحلف إلى اسطنبول[3].

وكان السلطان بدوره قد أصدر لقلج علي الذي كان بايلربايا على الجزائر أوامر تقضي بتجهيز أكبر عدد ممكن من السفن للذهاب إلى قبرص من أجل تعزيز الأسطول العثماني[4]. وقام بايلرباي الجزائر بإرسال رسالة إلى الباب العالي، يعلم فيها مسؤولي الإدارة المركزية بأنه أخذ

---

(1) حاجي خليفة: **تحفة الكبار في أسفار البحار...، المصدر السابق**، ص 156.

(2) أ.ع: **مهمة دفتري** 14، حكم 390، ص 274، بتاريخ 17ربيع الأول 978هـ/ 19 أوت 1570م./التميمي: **دراسات...، المرجع السابق**، ص 200.

(3) المنور مروش: دراسات....، **المرجع السابق**، ص 159.

(1) بيوس الخامس: ولد في بيمون في 1504م، وتوفي في 1572م انتخب بابا في 16 جانفي 1566م، وقد بذل جهودا معتبرة لعقد حلف عسكري يوحد كل القوى الأوروبية كللت بالنجاح غير أنه بمجرد وفاته انحل الحلف. / نعيمة بوحمشوش: **مساهمة البحرية الجزائرية...، المرجع السابق**، ص 187.

(2) دعى إلى هذا الحلف البابا بيوس الخامس، وتم التوقيع عليه في 25 ماي 1571م، وهو يتكون من 317 سفينة تنتمي لكل من إسبانيا والبندقية والبابوية وفرسان مالطا. / عبد القادر فكاير: **المرجع السابق**، ص 179.

(3) محمد فريد بك المحامي: **المرجع السابق**، ص ص256-257.

(4) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 12، حكم 15، ص 8، بتاريخ17جمادى الأولى 978هـ/16أكتوبر1570م.

/أ.و.ج: **مهمة دفتري** 12،حكم367 ، ص 173، بتاريخ 2 ذي القعدة 978هـ/27مارس 1571م.

أوامر السلطان على محمل الجد وحمى خطوطه الخلفية، وأنه بصدد الالتحاق بالأسطول العثماني بمن معه من مجاهدي البحر بكامل عدتهم وعتادهم[1].

بعد الأوامر السابقة وجه السلطان أمرا جديدا لقلج علي يطلب منه الانضمام للأسطول العثماني، فسير أسطوله للبحر في (979هـ/1571م)[2].

شارك قلج علي بأسطول مكون من 6 سفن من نوع باشترده (Bachtarda) وسفينة واحدة من نوع قادرغه، و11 قاليته[3]، وكان رفقته الرياس التابعين له أمثال خوجه وقارة علي بأسطول تعداده 30سفينة، واستولى في طريقه على 4 بوارج مالطية، كما تمكن من أسر عدد من السفن المسيحية التي علم من ركابها عن تجمع الحلف المسيحي في مسينا، ويستعد للتحرك نحو كورفو[1]، وقد كلف قلج علي بقيادة الجناح الأيسر للأسطول العثماني، وكان تحت إمرته أساطيل الجزائر، طرابلس وتونس.

جرت المعركة في (17جمادى الأولى 979هـ/7 أكتوبر1571م) في خليج ليبانت، لكن الأسطول العثماني خسر المعركة لعدة اعتبارات منها: أن المجاهدين العثمانيين كانوا يعانون إرهاقا شديدا جراء مكوثهم قرابة الستة أشهر في البحر، وقد كانوا عائدين للاستراحة، لكن مفاجئة أسطول الحلف المسيحي لهم اضطرهم لخوض هذه الحرب، أما قلج علي فقد تمكن بفضل خبرته في البحرية من إنقاذ أسطوله كاملا، والذي كان يشكل الجناح الأيسر من الأسطول العثماني، كما استولى على السفينة الحاملة لراية البابوية[2].

---

[1] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 12، حكم 518، ص 249، بتاريخ 12 ذي الحجة 978هـ/6ماي 1571م.

[2] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 14، حكم 48، ص41، بتاريخ غرة صفر 979 هـ/24جوان1571م.

[3] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 10، حكم 14، ص 12، بتاريخ 3 صفر 979هـ/26جوان1571م.

[1] نعيمة بوحمشوش: **مساهمة البحرية الجزائرية...، المرجع السابق**، ص ص197-198.

[2] Charrière**: op.cit** , T3, pp185-190.

/ كاتب جلبي (حاجي خليفة): **تحفة الكبار في أسفار البحار...، المصدر السابق**، ص163.

وكان السلطان سليم الثاني قد أرسل لبايلرباي الجزائر رسالة يستفسر فيها عن أوضاع ما تبقى من السفن، وعن أحوال الكفار ومخططاتهم بعد ليبانت، وضرورة تتبع أخبارهم والتجسس عليهم، وإعلام السلطان بكل صغيرة وكبيرة[1]. وهذا لا ينم إلا على الثقة الكبيرة التي منحها إياه السلطان والمكانة المعتبرة التي حظي بها.

وعلى إثر ذلك عبرت الإدارة المركزية على ارتياحها الكبير لتفاني قلج علي في تقديم الخدمات الجليلة للباب العالي، الأمر الذي توج فيما بعد بتعيينه أميرال الدولة العثمانية، فضلا عن إدارته لإيالتي الجزائر وتونس[2]. وكلّفه بالحفاظ على سواحل الدولة العثمانية، وأمره بإعادة بناء الأسطول العثماني المحطم، وطلب منه إحضار الكفاءات وأصحاب المهارات المختصين في علوم البحار[1].

وفعلا تمكن قلج علي من تجديد الأسطول العثماني[2]، وكان قد استفاد من خبرة الرياس الجزائريين في إعادة بناء الأسطول العثماني المحطم فقد وزعهم على ورشات البناء، ووضعهم على رأس المدارس، واهتم بتحسين أسلحة البحارة وتطويرها، وفي (صفر980هـ/ جوان 1572م)، استعرض أسطوله الجديد المكون من 200 سفينة شيني و8 قلاع بحرية، وكانت بذلك معركة ليبانت وتبعاتها فرصة للبحرية الجزائرية لتؤكد قوتها في أرض المعركة، إذ برز بعد نظر قادتها وقدرتهم على المناورة، وبرز تفوق السفن الجزائرية الخفيفة الرشيقة في الملاحة[3].

---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** 16، حكم 129، ص62، بتاريخ 4 جمادى الثانية 979هـ/23أكتوبر1571م.

[2] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 12، حكم 1088، ص571، بتاريخ 7 ذي القعدة 979هـ/21مارس 1572م.

[1] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 16، حكم 563، ص320، بتاريخ 11 جمادى الثانية 979هـ/30أكتوبر1571م.

-أ.و.ج: **مهمة دفتري** 16، حكم 150، ص74، بتاريخ 4 جمادى الثانية 979هـ/23أكتوبر1571م.

[2] أرسل السفير الفرنسي **François De Noailles** (والذي كان يشغل منصب أسقف داكس- l'évêque d'Acqs) إلى الملك الفرنسي شارل التاسع، رسالة بتاريخ (9 ذوالقعدة 979هـ/23 مارس 1572م)، جاء فيها ما يلي: "**..سيدي الجيش الذي وضعه السلطان للبحر هذه السنة سيخرج نهاية ماي القادم، بتعداد مائتي مركب، نذكر منها مائة وستون قالير للقائد قلج علي نائب الملك على الجزائر، والذي عُين مكانه حديثاً عرب أحمد..**"**ينظر** :

-Charrière: **op.cit** ,t3, pp 251-252.

[3] نعيمة بوحمشوش: **مساهمة البحرية الجزائرية...**، **المرجع السابق**، ص ص 219-220.



وإثر مراسلة من السلطان سليم الثاني إلى الباشا أحمد عراب تمت مكافأة البحارة الجزائريين على جهودهم واستماتتهم في القتال أثناء معركة ليبانت[(1)].

5/أسطول الجزائر يساهم إلى جنب الأسطول العثماني في تحرير تونس من الهيمنة الإسبانية (982هـ/1574م):

لم يكن سعي الإسبان يهدف للاحتفاظ بما تبقى لهم من مراكز في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، بل كانوا يدبّرون تنظيم هجوم على تونس والجزائر معا، فلما علم السلطان العثماني بذلك المخطط بعث رسالة لجميع حكام المناطق الغربية يأمرهم فيها باتخاذ الاحتياطات اللازمة لصدّ أيّ هجوم مفاجئ للإسبان على الجزائر وتونس[(1)].

كانت تونس هي وجهة الإسبان، فحسب رسالة وجهها السلطان العثماني إلى بايلرباي طرابلس يخبره فيها أن الاستعدادات التي كان يقوم بها **الدون خوان دوتريش Don Juan d'Autriche**[(2)]، الذي اتفق مع قادة أسطوله بتجميع الأسطول في جزيرة طبرقة، كان ينوي بها الهجوم على تونس[(3)]، وقد سير إليها حملة في (جمادى الآخرة 981هـ/أكتوبر 1573م) وكان الأسطول الذي يقوده مكونا من 107 باخرة، و31 مركبا تحمل على متنها جيشا كبيرا مؤلفا من 9000 إيطالي، 5000 إسباني، 5000 ألماني و3000 بحارة آخرين[(4)].

---

(1) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 12، حكم 1088، ص571، بتاريخ 7 ذي القعدة 979هـ/21مارس1572م.

(1) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 14، حكم 284، ص 200، بتاريخ 3 صفر 979هـ/26جوان1571م./ **مهمة دفتري** 10، حكم 10، ص 8، بتاريخ 2 محرم979هـ، لكن الأصح هو 22 محرم 15/979جوان 1571م./ **مهمة دفتري** 10، حكم 6، ص 4، بتاريخ 2 محرم 979هـ/ 26 ماي 1571م، والأصح هو حكم 5./**مهمة دفتري** 10، حكم 22، ص 19، بتاريخ 2 محرم 979هـ، لكن الأصح هو 3 صفر 979هـ/26جوان1571م./ **مهمة دفتري** 10، حكم 19، ص 17، بتاريخ 12 محرم 979هـ، لكن الأصح هو3 صفر 979هـ/26جوان1571م.

(2) الدون خوان (Don juan d'Autriche): أمير إسباني لكنه أخ غير شرعي لشارل الخامس، ولد في 24 فيفري 1545م، كان ضابطا كبيرا، عندما وصل فيليب الثاني إلى الحكم أرسله للقضاء على ثورة الموريسكيين سنة 1568م في غرناطة فنجح في ذلك وعُين قائدا عاما للقوات المتحالفة التي واجهت العثمانيين في ليبانت، ثمّ حاكما على هولندا، لكنه لم يفلح في القضاء على ثورة البروتستانت، توفي مسموما سنة 1578م. **ينظر**:

- Dictionnaire ‹Encyclopédie des Noms propres de la langue Française, op.cit, p699.

(3) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 10، حكم 12، ص9، بتاريخ 3 صفر 976هـ. لكن الأصح هو 3 صفر 979هـ/26جوان1571م./**مهمة دفتري** 10، حكم 14، ص12، بتاريخ 3 صفر 976هـ/27 جويلية 1568م.

(4) عبد الجليل التميمي: **المرجع السابق**، ص57.

وعندما بلغ الأسطول الإسباني حلق الوادي لم يجد أدنى معارضة من قبل القوات المرابطة، وكان أهالي تونس قد بعثوا للسلطان العثماني يناشدونه إرسال عدد من الجند، فطلب من قلج علي بعد الرجوع من معركة ليبانت، أن يرسل لهم مقدارا من الجند[1]، لكن الدون خوان سبقهم قبل اتخاذ احتياطاتهم، فهاجمها واستولى عليها دون عناء لأن الحامية العثمانية التابعة لإيالة الجزائر، والتي استخلفها قلج علي بعد حملته على تونس سنة (976هـ/1569م)، لم تستطع المقاومة نظرا لقلة عددها البالغ ألفي جندي يقودهم رمضان باشا، فاضطرت الحامية للانسحاب صوب الحمّامات، لكنهم وجدوا الأبواب موصدة [1]، فتوجّهوا لمدينة القيروان التي كان على رأسها حيدر باشا، وفي الطريق لاحقتهم القوات الإسبانية واشتبكت معهم في قتال كبير انتهى بانتصار الحامية الجزائرية [2].

كان قلج علي قد طلب الإذن من السلطان سليم باستعادة تونس قبل تمكن الإسبان من تحصينها تحصينا جيدا [3].

فأرسل السلطان العثماني أوامره إلى باشا الجزائر بضرورة الاستعداد وإرسال الجنود إلى تونس، وتوخي الحذر واليقظة [4]، وألزمه بضرورة إمداد الأسطول العثماني بـ5 آلاف كيس و10آلاف شبكة و100 خيمة يحملها الأسطول الجزائري لموقع الحرب[5]. كما تم إرسال فرمانات أخرى إلى الجزائر وطرابلس الغرب والقيروان بالاستعداد لاسترجاع تونس[6].

[1] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 19، حكم 264، ص123، بتاريخ 4 صفر 980هـ/15جوان 1572.

[1]أحمد ابن أبي الضياف: **المرجع السابق**، ج2، ص22.

[2] ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: **المصدر السابق**، ص199.

[3]Jacque Auguste De Thou: **Histoire universelle depuis 1543 jusqu'en 1607**, 16T, traduite de l'édition Latine à Londres1734, T6, p722.

-(Ch.de) Rotalier: **Histoire d'Alger et la piraterie des Turcs dans la Méditerranée à dates du seizième siècle,** , Paulin, 2T, Paris, 1841, T1, p267.

[4] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 21، حكم 526، ص 220، بتاريخ 21 ذي القعدة 980هـ/24مارس 1573م.

[5] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 24، حكم 13، ص5، بتاريخ 16 ذي القعدة 981هـ/8مارس1574م./ أ.ع: **مهمة دفتري** 24، حكم 293، ص107، بتاريخ 20 ذي الحجة 981هـ/ 11 أفريل 1574م.

[6] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 21، حكم 637، ص266، بتاريخ 16ذي الحجة 980هـ/22أفريل 1573م.

وُجّهت الرسالة الأولى لحاكم تونس، كرد على الرسالة التي أخطرت بسقوط الولاية بيد الإسبان، وهي تعلم الحاكم عن الأسطول المجهز ضد حلق الوادي، وتطلب منه المساعدة بالرجال والسلاح والعتاد[1].

أما الرسالة الثانية، فكانت موجهة لأحمد عرب باشا جزائر الغرب، يُطلب منه التوجّه إلى تونس بقواته البحرية، للالتحاق بالأسطول الذي يقوده قلج علي باشا، والالتحام مع قوات تونس وطرابلس، وكلها ستكون تحت مسؤولية قلج علي[2].

أما الرسالة الثالثة، فقد كانت موجهة للقائد رمضان باشا الذي عُين حاكما على إيالة الجزائر[1] تخبره بتجهيز أسطول يتكون من 300 (قادرغة)، ويطلب منه إرسال عساكر الجزائر للمشاركة في الحملة بعدد 1095 فارسا، و1000 انكشاري بكامل عتادهم وعدّتهم، ويحدد تاريخ خروجه في (1شهر محرم 982هـ/22 أفريل 1574م) بقصد" فتح وتسخير قلعة حلق الوادي"، وتخبره بأن الحملة أسندت لسنان باشا، أمّا قيادة الأسطول فقد كلف بها القابودان قلج علي باشا، وتأمره بالتعاون مع حاكم طرابلس، وحاكم تونس والاتحاد مع قائد الحملة عند وصوله إلى تونس[2].

---

(1) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 24، حكم 166، ص59، بتاريخ 5 ذي الحجة 981هـ/27مارس1574م.

(2) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 24، حكم 167، ص59، بتاريخ 5 ذي الحجة 981هـ/27مارس1574م.

(1) كان رمضان باشا في القيروان عند عودة مامي أرناؤوط من اسطنبول، وهو يحمل أمر تعيين هذا الأخير على الجزائر، توقف بميناء سوسة، وسلّم التعيين لرمضان باشا، فغادر هذا الأخير القيروان بعد أن ترك أحد خلفائه هناك، وتوجه إلى الجزائر، ودخلها في شهر ماي 1574م، وفي شهر جويلية أرسل قوة بحرية شاركت مع قلج علي في استرجاع تونس. **ينظر**:

- Haedo: **Histoire des Rois …op.cit**, pp425- 426.

(2) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 24، حكم 168، ص60، بتاريخ 5 ذي الحجة 981هـ/27مارس 1574م./ **مهمة دفتري** 24، حكم 246، ص ص91–92، بتاريخ 14 ذي الحجة 981هـ/5 أفريل 1574م. وتحدد الرسالة أماكن تجنيد هؤلاء بالشكل التالي"...60 فارسا من لواء تنس، 100فارس من لواء معلعامة (كذا)، 20 فارس من منطقة سلسل (كذا) 80 فارسا من لواء مدية، 100 فارس من رفقاء شرمي (كذا) الموجودين في الجزائر، و100 فارس من أغوات المتفرقة (متفرقة أغالري) ومن قادة البلوك (بلوك باشترى)، والجزائر، و20 فارسا من بوابي الجزائر ((قبوجي) و40 فارسا من جاويشها و35 فارسا من منطقة عمرون (كذا) و400 فارس من قسنطينة و80 فارسا من بسكرة، و60 فارسا من بلد عباس (كذا) وألف من الإنكشارية الأكفاء المسلمين ببنادقهم ....".

كان قلج علي هو قائد الأسطول وسنان باشا هو قائد الحملة، وقد تمكنت هذه الحملة بفضل تظافر الجهود من القضاء على الوجود الإسباني في جميع البلاد التونسية[1]، رغم التعزيزات التي قام بها الإسبان في كل من حلق الوادي وتونس[2]، وتمّ تعيين حيدر باشا حاكما عليها، وأصبحت ملحقة بالجزائر إلى غاية سنة (995هـ/1587م)، بعدها أصبحت في تبعية مباشرة للباب العالي[3].

ثانيا–التقارب الجزائري الفرنسي بين الشد والجذب:

كان ملك فرنسا فرنسوا الأول يكن لشارلكان عداء شديدا (العداء التقليدي بين الهابسبورغ وآل البوربون) وبعد انهزامه في معركة بافيا سنة (978هـ/1525م) ازداد ذلك العداء، لذا قام بأسره وإجباره على إمضاء معاهدة الاستسلام المخزية، وفي نفس الوقت كان متخوفا من مهاجمة خير الدين لسواحله، فقد جاء في رسالة أرسلها لأسقف أوكزور Auxerre [1] في (18رمضان938هـ/ 23 أفريل1532م) ما يلي:" انتظر الشهير، والذائع الصيت، وصاحب القدرة الكبيرة، المسمى بربروسا المتأهب في البحر الأبيض المتوسط، الذي يستطيع غزو، ومفاجأة بلدي وكونتية بروفانس..."[2].كما جاء في رسالة أخرى يعتذر فيها فرانسوا الأول من شارلكان لعدم تمكنه من إرسال سفنه لنجدة نابولي، وتذرعه بأنه يلقى صعوبة في إحلال الأمن على السواحل الفرنسية الجنوبية المطلة على البحر المتوسط مثل: لانغدوس وبروفانس لأنها كانت تواجه نفس الخطر والضرر[3].

وهذا دليل على الوضع المتأزم الذي تعيشه فرنسا آنذاك؛ والذي نتج عن انهزامها في معركة بافيا **Pavie** أمام شارلكان، لذلك فإن الظرفية المتوسطية آنذاك حتمت عليه اختيار

---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** 26، حكم 832، ص287، بتاريخ 15 رجب 982هـ/30أكتوبر1574م.
– أ.ع: **مهمة دفتري**26، حكم 834، ص288، بتاريخ 15 رجب 982هـ/30أكتوبر1574م.

[2] De La Praimaudaie: op. cit, 1877, t21, pp 372-379 et pp461-463.

[3] عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره...، المرجع السابق**، ص168.

[1] **Auxerre**: إقليم في يون– Yonne جنوب شرق باريس، **ينظر** : Petit Larousse, p 1104

[2] Charrière**: op.cit**, T1, pp 200-201.

[3] Ibid, p200.

حليف قوي يكون معه ضد شارلكان، ففكر في الدولة العثمانية لأنها كانت الملجأ الوحيد، خاصة وأن عدوهما واحد، وفي نفس الوقت يأمن جانب خير الدين.

وحسب رواية هايدو فإن خير الدين بعد طرده للإسبان من حصن البنيون سنة (935هـ/1529م)، فإنه هو الآخر كان يفكر في إيجاد حليف له ضد شارلكان، لكنه لم يفصح عن نيته في التحالف، إلا بعد مغادرته مدينة الجزائر بعدما استُدعي من طرف الخليفة العثماني سنة (940هـ/1534م)، وفي طريقه للأستانة، توقف بفرنسا حيث قابل فرنسوا الأول وقدم له هدايا ثمينة، واتفقا على توحيد الجهود ضد إسبانيا فقام خير الدين بمهاجمة الموانيء الإيطالية وكبدها خسائر جسيمة في شتاء (939هـ/1533م)و(940هـ/1534م) و(941هـ/1535م)[1].

ولما كانت سنة (942هـ/1535م)، وقع فرنسوا الأول معاهدة صداقة مع الدولة العثمانية، وعليها طلبت فرنسا من الخليفة العثماني عبر سفيرها "**بولان**"**Polin** في القسطنطينية أن يرسل إليها أسطولا، وفي (3ربيع الثاني 950هـ/5جويلية 1543م) وصل إلى مدينة "نيس" خير الدين على رأس الأسطول العثماني، وقد تعاون مع الأسطول الفرنسي في استرجاع المدينة المذكورة في 22 أوت، ويذكر أن حسن آغا بايلرباي الجزائر قد شارك في هذا المجهود الحربي بحوالي 40 سفينة جزائرية، علما أنّ الجزائر كانت قد غنمت الكثير من السفن الإسبانية المحملة بالمدافع والذخيرة، والتي خلفها شارلكان بعد فشل حملته على الجزائر سنة (947هـ/1541م)، وأكثر غاراته على سواحل إسبانيا، وفعل بهم ما كان يفعله خير الدين وأكثر[1].

بعد إنهاء هذه المهمة بقي خير الدين مرابطا في ميناء طولون الذي قضى فيه فصل الشتاء، وقد ضمن له الملك الفرنسي التموين الكافي لجيشه، وسلمه 800 ألف ريال، و400 أسير جزائري وعثماني[2].

---

[1] Haedo: **Histoire des Rois**... **op.cit**, p57.

[1] الشيخ لكحل: **نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن (11هـ/17م) (1013-1070هـ/1604-1659م)**، رسالة ماجستير في التخصص الحديث، إشرا. إبراهيم سعيود، جامعة غرداية، (2012م-2013م)، ص34.

[2] عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية ...، المرجع السابق**، ص182.

ولما تولى حسن باشا بن خير الدين بكلاربيكية الجزائر، استنجد به الملك الفرنسي فرنسوا الأول ضد إسبانيا ثلاث سنوات قبل وفاته، لكنه تجاهل ذلك ورفض مساعدته ، كونه يرى فيها إهانة لقوة الجزائر العسكرية، كما أنه لم يكن يكترث بالعلاقات الطيبة بين الدولة العثمانية وفرنسا، مما جعل الفرنسيين يكنون له الكره، ويعملون على إقصائه من حكم الجزائر[1].

وفي سنة (959هـ/1552م) أرسل "هنري الثاني" دالبيس (d'Albisse) [2] إلى صالح رايس يطلب منه مهاجمة السواحل الإسبانية، مقدما وعودا للعمل معه، وفي هذه الأثناء كان درغوث على رأس الأسطول العثماني يعمل لسد الطريق على الدوق دالب (قائد الجيش الإسباني) وذلك بالتنسيق مع دي لاغارد (قائد الأسطول الفرنسي)، وهكذا قام صالح رايس بتلبية دعوة الملك الفرنسي، وقام بمداهمتهما في بداية جوان (960هـ/1553م)[1]، على رأس أربعين سفينة حربية، وتمكن من محاصرة السفن الإسبانية التي كان على متنها الدوق فرناندو الفارس دو توليد–Fernando Alvarez de Tolède[2].

كما تمكن صالح رايس رفقة مجاهديه من الإنزال بميورقة، ونهب الأرياف، فكبدته حامية ماهون بعض الخسائر، ليواصل طريقه على السواحل الإسبانية، لكن النتائج لم تكن كبيرة، وفي طريقه إلى بادس استولى على 10سفن إسبانية وبرتغالية [3].

كما استنجدت فرنسا سنة (965هـ/1558م) بالباب العالي والحكام العثمانيين بالجزائر ضد الإسبان الذين كانوا يقفون في وجه ملاحة سفنها، فغزا الأسطول العثماني خليج

---

[1] Ernest Charrière **: op.cit**, T1, p624-625.

[2] **صالح رايس**: لم يتفق على مؤلده فهناك من يقول بالاسكندرية، وهناك من يقول في غربي الأناضول، كان من أهم رفاق بربروس، يُعْتبر في طليعة رياس الجزائر منذ 1529م، وقد كان قائد تشكيلة قي معركة لابريفيزا وفي عمليتا كبرى تالية ثم كنائب للقائد العام للأسطول العثماني، كانت له تجربة طويلة في أقطار المغرب والصراعات السياسية والعسكرية الدائرة في النصف الغربي من البحر المتوسط، عُين بايلرباي الجزائر في جانفي 1552م، وقام بالتوسع والتوحيد إلى أن وصل الجنوب الشرقي ورقلة وتقرت، توفي بالطاعون سنة 1556م، وهو يستعد لفتح وهران، ينظر المنور مروش: **المرجع السابق**، ص ص 125-127.

[1] Ernest Charrière **: op.cit ,** T1, pp624-625. et T2, p181.

[2] للاستفادة أكثر حول هذه الحملة المشتركة **ينظر**: Ibid, p261.

مروش: **المرجع السابق**، ص154.

[3] Ernest Charrière **: op.cit** , T2, p204/

"سالرنو" و"نابولي" و"كورسيكا"، ثم اتجه إلى "مرسيليا" أين التقى الأسطول الفرنسي واشترك معه في مهاجمة "مينورقة"[1].

ورغم هذا الوفاق الذي كان بين الدولتين، إلا أن مجاهدي البحر الجزائريين كانوا يعترضون السفن الفرنسية مرارا، عندما لاتلتزم بالقوانين المتفق عليها، ونرجع ذلك لمساندة الفرنسيين للدول التي تعادي الجزائر على وجه الخصوص إسبانيا وممتلكاتها الإيطالية، أو رفع أعلام السفن الفرنسية على سفن الدول المعادية، لكي لاتتعرض لمهاجمة السفن الجزائرية وما إلى ذلك من المخالفات، ومن الأمثلة على ذلك استيلاء رياس البحر الجزائريين على سفن فرنسية سنة (986هـ/1560م)، فقام القنصل الفرنسي بتقديم شكوى للسلطان العثماني سنة (969هـ/1561م) طالبا منه استرجاعها، إلا أن الفرنسيين لم يبقوا مكتوفي الأيدي، وأرسلوا مبعوثا للجزائر سنة (970هـ/1562م) ليطالب بتعويض الخسائر التي لحقت بسفنهم [1].

كان الباب العالي لا يتوانى في تشديد اللهجة على باشوات الجزائر، عندما ترده شكاوي الفرنسيين من الغارات التي كان يشنها مجاهدو البحر الجزائريين على سفنهم وتجارتهم، والرسالة [2] التي بعثها السلطان سليم الثاني لحاكم الجزائر سنة (979هـ/1572م) يأمره فيها بإطلاق سراح بعض الأسرى الفرنسيين، تدل على ذلك.

إن النشاط المعادي الذي كان يمارسه مجاهدو البحر ضد السفن الفرنسية يترجم عدم قبولهم التعامل مع النصراني الكافر أولا، وثانيا أن هذه السفن المستولى عليها لم تلتزم كما أسلفنا بالعهود والمواثيق المبرمة بين البلدين، مما حملهم على عدم الامتثال لأوامر السلطان العثماني لمرات عدة، لأن السلطان نفسه كان ينتصر للدول التي تربطه بها معاهدات على حساب مصلحة الإيالة الجزائرية، إلا أن كل هذا لم يوصل الأمور لحد الصدام، ولم يمنع التعاون الذي كان بين السلطة في الجزائر والحكومة الفرنسية، فقد طلب قلج علي تزويده بمعدات

---

[1] عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره(910-1206هـ/1505-1792م)**، **المرجع السابق**، ص183.

[1] Charrière: **op.cit**, T2, p664. et p801. / Braudel: **la méditerranée…, op.cit**, T2, p303.

[2] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 12، حكم 1102، ص579، بتاريخ 08 ذي القعدة 979هـ/25 ديسمبر1571م.

يحتاجها أسطوله من مرسيليا سنة (987هـ/1579م)، وبمقابل ذلك يضمن المعاملة الحسنة للرعايا الفرنسيين في الجزائر[1].

عندما كان مجاهدو البحر الجزائريين يهاجمون السفن الفرنسية، لم يكتف البلاط الفرنسي بتقديم الشكاوي للباب العالي، بل عمل جاهدا على ضرورة معاقبة الرياس الذين كانوا يتسببون في خسائر لها، أمثال مراد رايس الذي استولى سنة (990هـ/1582م) على سفينتين فرنسيتين، وعلى إثرها كلف السلطان العثماني الباشا الجديد للجزائر بإرجاع الأسرى والغنائم، وتشير المراسلة أن أمر السلطان يقضي بضرورة إلقاء القبض عليه وإرساله مقيداً للباب العالي. ولكن يبدو أن هذا الأمر قوبل بالرفض لأن الفرنسيين سعوا بعد ثلاث سنوات أخرى لإرجاع نفس السلع، إضافة إلى غنائم أخرى ترتبت عن نشاطهم خلال هذه السنوات[2].

ولما قاد باشا الجزائر حسن فنزيانو حملة سنة (992هـ/1584م) ضد جيوفاني دوريا، والذي لاحقه فينيزيانو مسافة طويلة إلى غاية جنوة، فما كان من البلاط الفرنسي إلا تقديم المساعدة في مهمته هذه، ومكنوه من الإقامة في مرسيليا مدة ثمانية أيام[1]، وذلك بحكم العدو المشترك بينهما والمتمثل في إسبانيا، مما يوضح أن المصلحة السياسة لفرنسا والجزائر فوق كل اعتبار.

تذكر المصادر أنه حتى سنة (994هـ/1586م)، لم تتوقف المساعي الدبلوماسية من أجل استعادة الحمولة التي كانت متن السفينتين اللتين استولى عليهما الرايس مراد، بالإضافة إلى سلع أخرى غنمها الرياس من غارة على بعض السفن الفرنسية، وحسب الرسالة التي وردت في **وثائق شاريار**: "...أن تعدياتهم تتضاعف من يوم لآخر بدون أي احترام من هؤلاء القراصنة لروابط الصداقة وللأوامر المعطاة لهم..."[2].

---

[1] Charrière: **op.cit**,T3, pp799-800.
[2]Ibid, T4, p124./

المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص 256.

[1] Charrière:**op.cit**, T4, p300.

[2] المنور مروش: **المرجع السابق**، ص256. /

Charrière: **op.cit**, T4, p124.

كما أن المتتبع لمسار العلاقات الجزائرية الفرنسية وخاصة فيما يتعلق بمساندة البحرية الجزائرية لهنري الرابع بين سنتي (1001-1006هـ/1593-1598م)، يلاحظ أنها لم تقتصر على عدوه الخارجي فحسب، وإنما تعدته للمعارضين له في بلده، وهم سكان مرسيليا الذين أرادوا تسليم مدينتهم للإسبان[1] ومن منطلق أن السياسة الخارجية العثمانية المتعلقة بالعلاقات مع فرنسا تعتمد على اعتبارات سياسية تنطلق من الجزائر، فإن فرنسا قد تمكنت من تعيين أول قنصل لها بالجزائر سنة (972هـ/ 1564م)، لكنه لم يباشر مهامه، لأن حكام الجزائر كانوا يرفضون التمثيل الأورومسيحي في بلادهم، وهذا ما تأكده الرسالة التي بعثها حسن فينزيانو إلى حكام مارسيليا[2].

وكما أسلفنا أن فرنسا طلبت من الدولة العثمانية الضغط على حكامها بالجزائر لقبول ممثلها الدبلوماسي، الذي لم يسمح له بمباشرة مهامه، ومراسلة السفير الفرنسي في القسطنطينية المؤرخة في (3 ربيع الأول 973هـ/ 27 سبتمبر1565م) تأكد ذلك، لأنها تتحدث عن ضرورة وجود قنصل يرعى مصالح التجار الفرنسيين، ويحد من مجاهدي البحر الجزائريين على السفن الفرنسية [1]، إلا أن مهمة القنصل في حقيقة الأمر هي التجسس على الحملات الجهادية التي يقوم بها رياس البحر، ومعرفة كمية الغنائم التي يستقبلها ميناء الجزائر من وراء تلك الحملات، والدليل على ذلك هذه الرسالة "...رغم هذا كتبت إلى جلالتكم للقيام بوسيلة لإنهاء مثل هذه الغارات، بأن تبعث قنصلاً للإقامة في بربرية، لمراقبة القراصنة الذين تراجعوا وعلى نوعية غنائمهم، لكي يكون لديكم فكرة عن ملك الجزائر وبايلرباي طرابلس؛ لأن القراصنة حينئذ ليس لديهم وسيلة لإخفاء غنيمتهم، ولا لبيع الأشخاص والبضائع الفرنسية، حتى يتجنبوا مهاجمة سفن مرسيليا، كما يفعلون دائماً..."[2].

---

[1] عائشة غطاس: **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619-1694)**، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ حديث، إشرا. مولاي بالحميسي، جامعة الجزائر،1984، ص ص16-17.

[2] الرسالة مؤرخة في 28 أفريل1579، ينظر:

Eugène Plantet : **Les correspondances des deys d'Alger avec la cour de France**, T1, p2.

[1] Charrière:**op.cit,** T2, p 800.

[2] Charrière:**op.cit,** T2 , p 800.

إلا أن مسألة التمثيل الدبلوماسي الفرنسي في الجزائر قُوبلت بالرفض، ولم تُكلل بالنجاح إلا في سنة (986هـ/ 1578م)، بعد تدخل الباب العالي، وإرساله أمراً مستعجلاً يقضي بقبول **موريس سورون Maurice Sauron** قنصلاً[1]. ورغم وجود رسالة من الباشا حسن فنزيانو إلى قناصل وحكام مارسيليا ترفض هذا التمثيل[2]. إلا أن الفرنسيين تمكنوا في الأخير من تنصيب قنصل لهم في مدينة الجزائر وكان ذلك في سنة (989هـ/1581م)[3].

ثالثا–الأسطول الجزائري في مواجهة الإسبان في الحوض الغربي للمتوسط:

بعد أن استتبت الأمور لخير الدين في مدينة الجزائر،كوّن أسطولا قويا ونقل عملياته الحربية إلى داخل الأراضي الإسبانية فكانت أول عملية بقيادة إيدين رايس، وقد تطرقنا لهذا في عنصر مساعدة الجزائر لمسلمي الأندلس، وعند تحريه لحصن البنيون،كانت قد قصدت الحصن سفينة إسبانية بعد أربعة أيام من تحريره ظنا من قائدها أن الحصن مازال بحوزة الإسبان، فوجد القلعة قد نسفت على آخرها، فقفل راجعا، لكن زوارق مجاهدي البحر تبعتهم وألقوا القبض عليهم، وكان عددهم 16 جنديا، قتل منهم واحد أما البقية فقد أسروا وكان القارب مملوء بالبارود والذخيرة والأسلحة و600 دوقة إسبانية[1].

---

[1] Ibid, T3, p 718.

[2] Plantet Eugène :**Les consuls de France à Alger avant la conquête(1579 – 1832)**, Hachette, Paris,1930, p8.

[3] جمال قنان: نصوص **ووثائق**....، **المرجع السابق**، ص39.

[1] De La Praimaudaie: **op.cit,** Lettre écrit par un espion juif, Sans date, (Arch. De Simancas. Estado, Legajo 461), p166.

كما خاضوا معركة في سواحل **فورمونتيرا Formentera** إحدى جزر البليار في (22 صفر936هـ/25 أكتوبر1529م) وكان النصر حليف رياس الجزائر[1]، وبعد انسحاب خير الدين من تونس في (941هـ/1535م) هاجم جزيرة مينورقة **Menorca**، وقام بتخريب عاصمتها ماهون التي أسر فيها نحو 5 أو 6 آلاف شخص، واستولى على سفينتين من نوع الكرافيل، إحداهما كانت تحمل كثيرا من نبلاء وفرسان إسبانيا[2]. وفي (985هـ/1578م) أسر حسن فينيزيانو 30 شخصا من جزيرة مايورقة، ورغم إبرام معاهدة سلم بين الإسبان والعثمانيين سنة (988هـ/1581م)، إلا أن حكام الجزائر لم يعترفوا بها كون الإسبان يحتلون وهران والمرسى الكبير لذلك لجأ رياس الجزائر لحرب الاستنزاف، وقد امتد نطاق عملهم ابتداء من السواحل الإيطالية شرقا إلى غاية جزر الكناري غربا جاعلة العلاقة بين إسبانيا وإيطاليا صعبة، والطرق البحرية المؤدية للمدن الإيطالية التابعة لها محفوفة بالمخاطر[3].

كما أن مامي رايس قضى أكثر من 20سنة على رأس البحرية الجزائرية (981-1004هـ/1574-1596م)، كلها في تنشيط الجهاد البحري ضد الإسبان، فلم تسلم لا سواحلهم ولا سفنهم من هجماته، وحتى العلج مراد رايس الكبير لم يرفق بالسواحل الإسبانية، والمناطق التابعة لها، ولم يمثل نشاطه هذا خطرا على المصالح السياسية الإسبانية فحسب، بل مثّل تهديدا للمصالح الاقتصادية فقد ألحق الضرر بتجارة موانئ إسبانيا، وأثرى مدينة الجزائر بما جلبه من غنائم [1].

---

[1] عبد القادر فكاير: **الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ/1505-1792م)، المرجع السابق**، ص 185.

[2] Charrière : **op.cit,** T1, p277.

[3] Braudel**: les Espagnols…, op.cit**, p380.

[1] Braudel: **la méditerranée…, op.cit**, T2, p562.

خاتمة الفصل : ومما تقدّم يمكن القول

- أن ظهور الإخوة أبناء يعقوب في الجزائر ساهم في إحباط أخطر مشروع بعد الحروب الصليبية الأولى الهادفة إلى تمسيح البلاد الإسلامية، فبعد تكوين إيالة الجزائر استطاع كل من خير الدين ، وحسن آغا، وحسن بن خير الدين وصالح رايس تحقيق نجاحات مهمة على تلك القوى حيث تمكنوا من التصدي بنجاح لعديد الحملات الإسبانية، والشروع في تحرير المواقع المحتلة، وبسط نفوذهم على سائر أنحاء الجزائر.

- أثبتت البحرية الجزائرية جدارتها كقوة إقليمية خلال القرن (10هـ/16م)، في البحر الأبيض المتوسط، واستطاعت تحويل موازين القوى لصالح القوة العثمانية، إذ استطاعت من خلالها الجزائر تحطيم حلم اسبانيا في السيطرة على تونس وذلك من خلال مساعدتها أسطول الدولة العثمانية في اجتثاث الاسبان من تونس وعثمنتها. كما تمكنت البحرية الجزائرية من تقديم العون المادي والبشري لثورات الموريسكيين في الأندلس، ونقلهم لبلاد المغارب، بغية تخفيف وطأة محاكم التفتيش التي طالتهم.

-كما أن الجهود التي بذلتها البحرية الجزائرية تحت مظلة الدولة العثمانية قطعت خط الرجعة على الاسبان ، وحمت بلاد المغارب مدة ثلاثة قرون من احتلال مؤكّد، كانت قد لاحت معالمه في الأفق خلال القرن (10هـ/16م) .

الفصل الثالث:

حركة الجهاد البحري الجزائري، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/ 17م)

المبحث الأول: مجابهات البحرية الجزائرية لإسبانيا والدويلات الإيطالية وحملاتهم خلال القرن (11هـ/ 17م)

المبحث الثاني: مجابهات البحرية الجزائرية لفرنسا وحملاتها خلال القرن (11هـ/ 17م)

المبحث الثالث: مجابهات البحرية الجزائرية لإنجلترا وهولندا وحملاتهما خلال القرن (11هـ/17م)

الفصل الثالث: حركة الجهاد البحري الجزائري، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن(11هـ/17م)

تمهيد:

يعتبر القرن (11هـ/17م) العصر الذهبي لحركة الجهاد البحري الجزائري، لسيطرة رياسها على البحر المتوسط، ووصلت لأوج قوتها وعبر رياسها المحيط الأطلسي، ووصلوا حتى ايرلندا وايسلندا، فشكلت بذلك شوكة في حلق الأوروبيين، وتسابقت الدول الكبرى والصغرى لربط علاقات وطيدة مع الجزائر لضمان حماية سفنها وتجارتها المارة في عرض البحر المتوسط، فاتسع نطاق التعاملات الدولية للجزائر (فرنسا، هولاندا، إنجلترا، إسبانيا، الدويلات الإيطالية)، لكن اتسمت بالسلم والحذر (التقارب والقطيعة)، وفي السياق نطرح التساؤل الآتي: **كيف تمكّنت مراكز الجهاد البحري الجزائري من التصدّي للحملات الإسبانية، الإيطالية، الفرنسية، الإنجليزية، الهولندية؟**

المبحث الأول- دور مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة إسبانيا والدويلات الإيطالية وحملاتهم خلال القرن (11هـ/ 17م):

يبدو أن العلاقات بين الجزائر وإسبانيا خلال القرن (11هـ/17م)، لم تكن كالقرن السالف الذي تميز في مطلعه بشن الحملات واحتلال السواحل الجزائرية، وفي النصف الثاني منه تميز بالانحسار وتحول من المهاجم للمدافع على مناطق نفوذه فوق الأراضي الجزائرية، لكن الاستراتيجية تغيرت في القرن (11هـ/17م) فالحروب التي كانت بين البلدين قد خفت أوزارها وأصابها الركود والفتور بسبب تغير أوضاع البلدين الداخلية والخارجية، وأخذ الصراع شكلا آخر تمثل في شن البحرية الجزائرية حروبا استنزافية على السفن التجارية، خاصة بعد قرار الطرد لمسلمي الأندلس في سنة (1018هـ/1610م)، كما استمر العداء بين الجزائر والدويلات الايطالية، إذ تمكنت طائفة رياس البحر الجزائرية من شن هجومات على السفن والسواحل الإيطالية، وذلك بهدف تأديب هذه الدويلات التي تساهم في الحملات الاسبانية وقيام بعضها(الدويلات الايطالية) بتسيير حملات ضد الجزائر.

أولا-دور مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة الإسبان وحملاتهم خلال القرن (11هـ/17م):

عرفت إسبانيا اضطرابات داخلية وخارجية انعكست على علاقاتها بالجزائر، فخلال القرن (11هـ/17م) قلّت حدة الصراع بين الطرفين، فقد استطاعت الجزائر مواجهة الحملات الأوروبية والإسبانية على قلتها، إذ لم تجرّد إسبانيا نحو الجزائر سوى حملتين، سنأتي على ذكرهما في سياق الأحداث، إلا أن إسبانيا استطاعت المحافظة على وهران والمرسى الكبير وإبقائهما تحت سيطرتها.

1/ محاولة احتلال الجزائر سنة (1009هـ/1601م) ورد فعل الرايس مراد:

أ– خوان دوريا(Guan Doria) يهاجم الجزائر سنة (1009هـ/1601م):

لاحظ جاسوس فرنسي يدعى **روكس (Roux)** أن معظم سفن الجزائر تكون في مهامها الجهادية خلال فصل الصيف وتقل حراسة الميناء، وقدر عدد الجنود الحراس بألفي جندي فقط، وبالتالي فإن إمكانية احتلال مدينة الجزائر أيسر في هذه الفترة من بقية الفصول الأخرى من السنة، فقام الجنوي المدعو **جيرومينوكونيستاجيو** (**Geromino Conestaggio**) بإعداد تقرير في(10جمادى الأولى 1010هـ/5نوفمبر1601م)[1]، ضمنه خطة روكس، وقدمه لخوان أندري دوريا، الذي قام بدوره بإقناع الملك فيليب الثالث بهذه الخطة، فما كان من هذا الأخير سوى الموافقة على هذه الحملة التي سُيّرت إلى الجزائر، وقد شارك في هذه الحملة الصليبية قوات البابا وجنوة ونابولي وتوسكانيا وصقلية وسردينيا وبارما ومودينا ولبروطان وجزر الباليار، وكان قائد الحملة هو خوان دوريا الجنوي[2]، وكانت تشكيلتها 68 سفينة على متنها 10آلاف جندي [3]، وقد عين خوان دوريا على رأس القيادة العامة للأسطول **"مانويل دي بيغا"Manuel de Vega** ولما اقترب الأسطول من السواحل الجزائرية على بعد 30كم من مدينة الجزائر، هبت عاصفة هوجاء أجبرته على الانسحاب والعدول عن هذه الحملة[4].

ومن هذا المنطلق نرى إرادة الله في حفظ هذه المدينة من كيد أعدائها، فكيف نفسر هبوب العواصف في شهر أوت، وهو الشهر الذي تستقر فيه أحوال البحر ويهدأ، وتغادر فيه السفن الجهادية لأداء رسالتها، ومجاهدوها كلهم اطمئنان على أن فصل الصيف هو فصل الإبحار.

---

(1) Jeronimo Conestaggion: **Relation des préparatives faits pour surprendre Alger**, tra. H.D.De Grammont, Adolphe Jourdan, Alger, 1882, p15.

(2) ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية...**، **المرجع السابق**، ص157.

(3)إبراهيم سعيود: **علاقات الجزائر بالدويلات الإيطالية خلال القرنين 17 و18**، **المرجع السابق**، ص54.

(4) يورد فكاير: **المرجع السابق**، ص73، بأن الأسطول تحرك يوم 28 أوت 1601م، لكن التقرير الذي قدمه جيرومينو عن الحملة كان في 5نوفمبر 1601م، أيعقل أن الحملة كانت قبل تقرير جيرومينو؟ وهذا غير مقبول، وبالتالي فإن الحملة كانت في سنة 1602م، بما أنه اقترح شهر أوت.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل بقي مجاهدو البحر الجزائريين مكتوفي الأيدي إزاء هذه الحملة التي هددت الجزائر وهم غائبون عنها، لولا عناية الله؟

ب- الرايس مراد يهاجم سواحل إسبانيا ردا على حملة خوان دوريا:

يقول الشيخ عبد الرحمان الجيلالي عن حملة خوان دوريا السالفة الذكر بأنها من كبريات الحملات الصليبية التي شُنت على الجزائر[1]، لذلك فإن رياس البحر لم يتركوها تمر مرور الكرام، فجند الرايس مراد أسطوله في السنة الموالية (1011هـ/ 1602م)، وغـزا السواحل الإسبانية التي ألحق بها خسائر جد معتبـرة، وخاصة منها مدينة لورقة [2].

2/ القس "ماثيو" وراء الحملة الاسبانية على الجزائر سنة(1012هـ/1603م):

لم ييأس الإسبان من فشل محاولاتهم السابقة في احتلال مدينة الجزائر، فأعادوا الكرة سنة (1011هـ/1603م)، وقاموا باتصالات عديدة مع ابن القاضي(أمير كوكو) وذلك عن طريق "القس ماثيو" الذي ربط علاقات وطيدة معه، لما كان أسيرا عنده، وبعد تحرره من الأسر، أوحى لمسؤوليه في إسبانيا باحتلال الجزائر من الجهة الشرقية، ثم الزحف إلى مدينة الجزائر، كما أقنع ابن القاضي بالسماح للسفن الإسبانية بالإنزال في ميناء الفحم الذي يقع في ضواحي آزفون، وتقديم المساعدة للجنود الإسبان عند هجومهم على مدينة الجزائر، وكان قائد الميناء هو عبد الله ابن أخ ابن القاضي، لكن عبد الله طلب 50 ألف ريال مقابل إنجاز المهمة، فوعدوه بالمكافأة لكنهم اشترطوا عليه تقديم ابنه رهينة ليضمنوا وفاءه، وتم الاتفاق على اليوم الموعود.

لكن باشا الجزائر سليمان قطانية تمكن من كشف المؤامرة المحاكة ضد الجزائر عن طريق جواسيسه، واتصل بعبد الله ووعده بمكافأة قدرها 50 سلطاني مقابل رأس كل جندي إسباني، و200 مقابل رأس القس ماثيو الذي قام بالتحريض على هذه العملية [3].

---

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، 4ج، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1994، ج3، ص116.

[2] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات**.....،**المرجع السابق**، ص157.

[3] Pierre Dan :**op.cit** , p115.

ولما كان اليوم المتفق عليه، وصلت الحملة المكونة من 4 غاليرات بقيادة نائب ملك مايورقة، وكان الإنزال في ميناء الفحم حسب ما خططوا له، لكن قائد الأسطول لم يغادر سفينته ريثما يستطلع الأمر، ونزل القس **ماثيو** مع 80 جنديا، ووجد عبد الله في استقباله، لكن ماثيو لم يلحظ الرهينة المتفق عليها في انتظاره، فبادر بسؤال قائد الميناء، الذي طمأنه أنه بانتظارهم في القلعة المتواجدة عند مدخل المنطقة والتي تم الاتفاق بشأن إنزال السلاح فيها، لكن ماثيو اشتم رائحة الخيانة، فبادر للانسحاب في سرية تامة، لكنه فوجئ بالحصار الذي ضربه عليه عبد الله وجنوده الذين قضوا عليهم، وفر القائد بسفنه ومن عليها تاركين بني جلدتهم وراءهم، أما عبد الله وجنوده فحملوا رأس القس ماثيو ورؤوس الجنود الإسبان إلى مدينة الجزائر لينالوا مكافأة الباشا سليمان[1].

3/ جهود حكام الجزائر في تحرير وهران والمرسى الكبير خلال القرن (11هـ/17م):

أ- محاولات التحرير سنوات (1012-1015هـ/1604-1607م): وكانت هذه في فترة حكم خضر باشا[2]، وقوصة محمد باشا[3] في عهد الماركيز **دي أردال Marquis de Ardale**

[1] Pierre Dan :**op.cit**, p115.

[2] **خضر باشا**: حكم على ثلاث فترات من 1589م-1592م، من 1595م- 1596م، من 1599م-1603م، نشط الجهاد البحري ضد السفن الأوروبية التي لا ترتبط بمعاهدة مع الجزائر، اتهم بالاختلاس فسجن إلى أن ظهرت براءته، استعان بالأعراب على الجند التركي وثارت عليه فرق من الاوجاق فعزله الباب العالي، وقع خلاف بينه وبين فرنسا فهدم مركزها التجاري القديم في القالة وسجن قنصلها، وبعد تدخل من فرنسا لدى الباب العالي صدر حكم بإعدامه، ينظر أحمد توفيق المدني: **محمد بن عثمان باشا داي الجزائر 1766م-1791م**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص ص 50-51.

[3] **قوصة محمد**: (**1603م-1605م**): قام بتنفيذ حكم الاعدام في حق الخضر، وصادر أملاكه، صد غارة إسبانيا عن مرسى أزفون (بورقيدون) ثم قام بعقد معاهدة مع فرنسا تحمي تجارتها في البحر وتجعل باشوات الجزائر مسؤولين عن كل غلطة تقع من القرصان ضد السفن الفرنسية، وإعادة بناء القالة. ينظر أحمد توفيق المدني: **محمد بن عثمان...**، **المرجع السابق**، ص 33.

ب- محاولة سنة(1031هـ/1622م): أرسل حاكم الجزائر حسين باشا عددا من الجيش الإنكشاري بغرض التضييق على الإسبان المتواجدين في وهران فهاجموهم في أحواز هذه الأخيرة، وخاضوا عدة معارك معهم في جهة الهبرة [1].

ج- **المحاولة البرية والبحرية سنة (1051هـ/1642م):** واجه مركيز **دي سانت كروز(De Sint Cruz)** حصارا ضُرب على مدينة وهران برا وبحرا من طرف الأهالي والقوات العثمانية وقد دعم هذا الحصار قطع بحرية لكل من فرنسا والبرتغال اللتان كانتا في حرب مع إسبانيا، إلا أن هذا المركيز استطاع صد المحاصرين عندما خرج لهم على رأس قوة تتألف من 800 جندي، وقد تزامن ذلك مع نجدته من طرف الدوق تورسي على رأس قوة بحرية تتألف من 25 قطعة بحرية من جنوة[2].

د- حملة إبراهيم باشا[3]: قاد حملة عسكرية بغية تحرير وهران في بداية النصف الثاني من القرن(11هـ/17م)، بعدما عجز عن تحريرها بكل الطرق[4]، والذي يقول عنه **أبوراس الناصر** في **عجائب الأسفارِ**:".....وأول من غزا وهران من ملوك الترك بالجزائر إبراهيم باشا، وكان قبل الولاية يقال له إبراهيم خوجة وطويها بثقله وأناخ عليها لكلكله فرماها مدة من المائدة [5] قنة (قمة) جبل هيدور بالمدافع والبونبة فلم يفد شيئا وسعى في هلاكها بجميع الحيل والمكايد وهو في كل ذلك كضارب حديد بارد، فلما أيقن أنها ممتنعة عليه، انقلب راجعا إلى دار ملكه" [6].

---

(1) يحي بوعزيز: **مدينة وهران عبر التاريخ**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص35.

(2) صالح عباد: **المرجع السابق**، ص139.

(3) **إبراهيم باشا:** هو إبراهيم باشا البوشناقي-نسبة إلى إقليم بوشناق بالبوسنة-تولى الحكم لأول مرة في (12 ربيع الثاني 1066هـ/7فبراير1656م) ثم عزل، وعاد للحكم مرة ثانية يوم (22 ذي القعدة 1067هـ/31 اوت1657م) إلى غاية(1069هـ/1659م)، وهو آخر حاكم في عهد الباشوات. **ينظر** ابن المفتي حسين بن رجب شاوش: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر**، تح. الأستاذ فارس كعوان، ط1، الجزائر، ص ص 53-54.

(4) محمد بن أحمد أبي راس الناصر: **المرجع السابق**، ج1، ص145.

(5) **المائدة**: أي حصن الجبل أو مرجاج ويقع إلى الغرب من مدينة وهران حيث يشرف على ميناء المدينة والمدينة في آن واحد وهو إلى الجنوب الغربي من برج حسين بن زهوة. **ينظر** محمد السعيد بوبكر: **المرجع السابق**، ص86

(6) أبو راس الناصر: **المرجع السابق**، ص145.

هـ- حملة حاجي محمد[1]: وهو أول دايات الجزائر الذي قام بحملة على الغرب الجزائري بعدما حاول حاكم وهران (**الدون أنيقودي طوليدو**) سنة (1086هـ/1675م) السيطرة على تلمسان، كما أن الوالي الإسباني على وهران الماركيز **دي ألقريفي** (**Marquis de Algarves**) قام بمحاولة التوسع خارج منطقة السيطرة الإسبانية، إلا أنه قتل خارج أسوار وهران أثناء تلك الحملة التي كان يقوم بها [2].

و- حملة الباي شعبان: الذي كان بايا على بايليك الغرب ما بين (1090-1098هـ/1679-1686م) والذي كانت قاعدته مازونة، وقد قام هذا الباي بمحاصرة مدينة وهران وعسكر في كدية الخيار، إلى أن استشهد تحت أسوار المدينة، برمية من أحد المغاطيس[3]، واستطاع النصارى أخذ رأسه، وعلقوه على باب وهران ثم استرجع فيما بعد ودفن مع جسده خارج المدينة [4]، وفي هذا يقول **أبو راس الناصري**: "..ولما قلد الأتراك بالجزائر إيالة مازونة وما ينضم إليها من البسائط والبلدان لسيدي الباي شعبان في حدود نيف وسبعين ومائة وألف، صرف همته للجهاد ومكافحة أهل البغي والإلحاد، فكرر الغزو إليها والتدويخ، وقد استعانوا عليها من تلك العدوة بالصريخ مع ما انضم من ضعفة الدين من المسلمين، فاشتد عضدهم واطمأن الكفر بالثغر قرير العين، فكثير الآن يقع القتال وفي كل ذلك الحرب بينهم سجال إلا أنه قبض أيديهم عن بسائطها وأكثر المرات يكتسح مسارحها وضيق عليهم أشد التضييق ولم يكن لهم في الفرج سبيل ولا طريق وأرصد عليهم الجواسيس والعيون حتى أنهم لا مجال لهم لا يمين المدينة وبرج العيون،.... أن الباي شعبان

---

[1] **حاجي محمد:** يعتبر من أوائل الدايات الذين حكموا الجزائر، امتدت فترة حكمه ما بين (1082-1093هـ/1671-1682م) كما يعتبر من قدماء الرياس، كان عجوزا هرما، اعتزل الحكم من نفسه تاركا مكانه لصهره بابا حسن، استقر بطرابلس. ينظر أحمد توفيق المدني: **محمد بن عثمان**...، **المرجع السابق**، ص 42.

[2] مولاي بالحميسي: **تحرير مدينة وهران 1708م**، **المرجع السابق**، ص ص62-63

[3] وتعني الذين يعملون غيروا دينهم ووطنهم خدمة للإسبان ويقال أن من قتله اسمه أبو النصاصيب أحد بطون أولاد عبد الله من قبيلة بني عامر العميلة للإسبان. **ينظر** طاهر التومي: **العلاقات**...، **المرجع السابق**، ص197.

[4] الآغا بن عودة المزاري: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تح. يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ج1، د.س .ن، ص ص 228-230.

رحمه الله زحف إلى وهران في نحو أربعة ألاف فيهم نحو ثلاثة آلاف فارس، وزحف الكفرة إليه من وهران مع مردة العرب من بنى عامر وكيزة وغمرة ونحوهم من أزيد من 8000، فيهم 1000 خيل والباقي رجالة، فكان مصاف القتال بكدية الخيار، وصبر الفريقان، ثم انفضت الكفرة واختل مصافهم، وقد ربط بعضهم أنفسهم بالحبال وبعضهم طرحوا أنفسهم في الأكبال فجعلهم الله غنيمة للمسلمين فيئا للموحدين، فقتل في تلك الهزيمة أكثر من إحدى عشر مئة، ودامت عليهم الهزيمة حتى انتهى المسلمون إلى باب وهران، فحمي الوطيس عنده، وفي تلك المعركة قتل الباي رحمه الله...فجزوا رأسه....سنة ثمان وتسعين وألفا، إن الذي قتله من المسلمين الذين معهم المسمون بالمغاطيس.."[1].

4/ التحرير الأول لمدينة وهران والمرسى الكبير سنة (1119هـ/1708م):

بعد كل المحاولات والمبادرات التي قادها زعماء تحركت لديهم حمية الجهاد ضد الكفار والتي باءت كلها بالفشل طوال القرنين (10-11هـ/16-17م) في تحرير وهران، تظافرت مجموعة من العوامل والدوافع منها ما هو داخلي وما هو خارجي، ساعدت على تحرير وهران الأول الذي كان ما بين (1119-1144هـ/1708-1732م) في مطلع القرن (12هـ/18م)، في عهد الداي محمد بكداش.

أ-عوامل تحرير وهران الأول: يرى الأستاذ بوبكر محمد السعيد أن العوامل الداخلية تمثلت فيما يلي [2]:

1- إصرار العثمانيين في السعي للقضاء على التواجد الإسباني.
2- استقرار الأوضاع على الحدود الشرقية مع تونس والغربية مع الغرب.
3- تزايد وتيرة الغارات الإسبانية على المناطق الداخلية.

---

(1) أبو راس الناصر: **المرجع السابق**، ص ص 145-146. / أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: **المرجع السابق**، ص ص 114-115.

(2) محمد السعيد أبو بكر: **المرجع السابق**، ص ص92-96.

4- الحصار الذي فرضه باي الغرب مصطفى بوشلاغم[1].

5- دور الشعراء في استنهاض الهمم وتحريك القلوب.

6- ثورة اليولداش في مارس (1118هـ/1707م) على الداي حسن خوجة.

أما العوامل الخارجية؛ فتمثلت في [2]:

1- مشكل وراثة العرش الإسباني وحرب الوراثة الأوربية (1113-1124هـ/1702-1713م).

2- استفادة الجزائر من تحسن علاقاتها مع دول أوروبا.

بعد اعتلاء **الداي محمد بكداش** (1118-1121هـ/1707-1710م) منصب داي الجزائر، سنة (1118هـ/1707م) كانت أولى اهتماماته قضية الاحتلال الإسباني في وهران والمرسى الكبير، فلبى نداء المساعدة الذي بعث به الباي مصطفى بوشلاغم مرات عديدة للداي الذي سبقه، لكنه لم يجد آذانا صاغية، وقد كان بوشلاغم محكما الحصار على وهران كما أسلفنا منذ سنة(1115هـ/1704م)، فأرسل له الداي بكداش المدد مع وزيره وصهره أوزن حسن[3].

ب- تجهيزات الحملة على ضوء المصادر المحلية: يقول الزياني: "...وجهز لها الباشا الجنود برا وبحرا فخيموا على أرجائها سهلا ووعرا وانتدب للجهاد الجم الغفير الكثير رغبة في جنة المأوى، ورهبة من نار السعير، فكانت الجنود التي تأتي من البحر ينزلون بمرسى أرزيو،

---

[1] **الباي مصطفى بوشلاغم:** هو مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي أول بايات وهران جمع في توليته بين الإيالة الشرقية والغربية، تولى بايا على مازونة وتلمسان، تولى الحكم 47 سنة، كان له الفضل الأكبر والدور الأساسي في فتح وهران، بقي مصطفى بوشلاغم بايا على وهران، إلى أن تمكن الإسبان من استعادتها سنة 1732م، وقام بنقل مقر بايليك الغرب بعد ذلك إلى مستغانم، بعدها حاول استعادة وهران ومات في مستغانم ودفن فيها وضريحه معروف بها. **ينظر** الآغا بن عودة المزاري: **المرجع السابق**، ص ص 274-276.

[2] محمد السعيد أبو بكر: **المرجع السابق**، ص ص97-98.

[3] محمد بن سعيدان : **جهود الداي محمد بكداش في تحرير وهران (1707-1710)**، في مجلة دراسات تاريخية، مجل.10، ع.02، 2022م، ص ص 327-341. /محمد السعيد أبو بكر: **المرجع السابق**، ص ص97-98.

ويذهبون منها مع البر لوهران، ولا يمكنهم حصارها من جهة البحر لإحالة مراكب النصارى بينهم وبينها، مع زيادة شدة بأس برج المرسى، وكان الرئيس على الجيوش التي تأتي من البحر خليفة الباشا ورديفه وصهره ووزيره حسن أوزن يعني الطويل والباي مصطفى الكبير على محلته، فحاصر وهران وضايقها..." [1].

وأورد **الجامعي** ما مفاده:" أن السلطان نصره الله لم يوجد هذا الجيش لقتال عدوه حتى أعطاه ما يقول بذلك من النفقة، وعين له من آلاته المعينة عليه ما يحتاج إليه وذلك دليل على نصحه وخلوص نيته في هذا الجهاد وغيره وعن كثرة الآلات ينفي عددها وعدم تناهيها وليس المراد أنها لا تعد حقيقة لاستحال عدم تناهي ما دخل في العالم وقد أحصى الوكلاء على تلك النفقة كل من ذلك عددا، فأما السلاح فيعلم عدده، وعدد الجيش، وسيأتي إن شاء الله ما يدل على أنه من ثمانية آلاف إلى تسعة آلاف..". ويردف قائلا:" ..وأن الناس جاءوا إليه من كل فج عميق وانسابوا إليه من كل قبيلو فريق زيادة على من عينه السلطان لذلك من العساكر المنصورة بالله تعالى، حتى أن الناس وفدوا إليه بخيامهمو عيالهم واعتكفوا عليها الليالي والأيام، ورفضوا كل شيء سواه في ذلك المقام..." ، ويضيف أيضا:".. أن طلبة العلم وحملة القرآن كانوا أشد الناس مسارعة لإجابة دعاء السلطان لهذا الجهاد المبارك...، وأنهم كانوا بمحلة مستقلة من غيرها... وكان عددهم يزيد تارة على الألف وتارة ينقص عنه إلى السبعمائة"...، وكانت أرزاقهم وسلاحهم من أرزاق العسكر وخزانة الملك عمرها الله تعالى، وأدام ملوكهم" [2].

---

[1] محمد بن يوسف الزياني: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح وتق. المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013، ص209.

[2] الجامعي: **فتح مدينة وهران**، تح. حساني مختار، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003، ص ص 77-83-87-88.

وقال **المشرفي**:" ...وإنما هو محاصر لها بمحلته المعتادة والتي هي مائة فسطاط من الأتراك في كل فسطاط 25 جنديا مع جيشه من العرب، فأمده الباشا السيد محمد باكداش بالجيش برا وبحرا النظر صهره ووزيره السيد أزون حسن..."[(1)].

ويقول **الجامعي**:"...ولم يكن معه إلا نحو المائة خباء الجندية أو مثلها ما ينتجه عليها بقليل من المرابطين.. "، وقال أيضا: "... أن جملة فساطيط العسكر الذي خص به هذا الثغر وفتح حصونه 340فسطاطا وفي كل فسطاط 25 رجلا، فإذا ضربت إحداها في الآخر خرج 8500، وهذا عدد العسكر الراتب وأما غيره من سائر المسلمين فلا يقصر عن ضعف هذا العدد.."[(2)].

" ..فكان لا ينفق على الجهاد إلا من خاص ماله ...، وقد أنفق عليه ما لا يحصي له أحدا عددا. ... فكان مبلغه مائتي ألف وستين ألفا وأربعة وثلاثين ريالا من جلائل النفقات والعطايا دون تافهها وحقيرها..."[(3)].

ومن خلال ما سبق، يمكن أن يُستشف بأن تعداد الحملة بلغ ما بين 8000 و9000جندي نظامي، إضافة إلى محلة البايليك والمتطوعين من سكان القبائل، سواء أكانوا قبائل المخزن أو الرعية أو الأتباع، وكذلك العلماء وطلبة الرباط (700-1000طالب). أما الأسلحة فقد تنوعت استخداماتها، وبلغ تعدادها 3300 قنطار من البارود و المدافع[(4)].

إضافة إلى السيطرة على الأبراج الحامية لمدينة وهران: كانت خطة انتزاع المدينة من أيدي الاسبان تقضي بضرورة السيطرة على الأبراج المحيطة بها والتي هي بمثابة أجهزة دفاعية، وكان عددها خمسة، فما كان من حسن أوزن إلا حاصر الحصن الأهم وهو برج العيون لان به العيون التي تزود المدينة بالمياه في(14ربيع الأول1119هـ/14جوان1707م) إلى غاية (18جمادى الآخر1119هـ /15سبتمبر1707م)، وكان الهدف من ذلك قطع المياه عن

---

(1) عبد القادر المشرفي الجزائري: **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر**، تح وتق. محمد بن عبد الكريم، ص39.

(2) الجامعي: **المصدر السابق**، ص ص 90-91.

(3) أحمد بن سحنون الراشدي: **المرجع السابق**، ص 117.

(4) محمد السعيد أبو بكر: **المرجع السابق**، ص104.

المدينة من أجل إجبارهم على الاستسلام، وبعد المعركة الفاصلة اقتحموا البرج، وقد أورد الجامعي بأن عدد الأسرى تراوح ما بين 320إلى 540 والجرحى 27 والهالكون 40، وغنم المسلمون السلاح والبارود والأقوات والذخيرة ما يغنيهم أيام حصارهم، أما الشهداء فقاربوا المائتين[1].

كان الهدف الثاني هو برج الجبل أو مرجاجو (سانتاكروز) الذي يطل على وهران والمرسى الكبير ويعد أكبر الأبراج، ونظرا لأهميته زوده الإسبان ب31 مدفعا، فحاصره يوم (26جمادى الآخر1119هـ/23سبتمبر1707م)، وتمكن أوزن حسن من اقتحامه في 28سبتمبر من نفس السنة وقاموا بأسر 106 رجل و6نسوة [2].

بعد سيطرة المجاهدين على أهم برجين، جاء دور برج بن زهوة[3]، وكان يسمى قبل دخول الإسبان لوهران برج المرسى، وهو أقرب برج لمدينة وهران ويقع تحت برج الجبل بمئات من الأمتار ويشرف على الميناء والطريق الرابط بين وهران والمرسى الكبير، شُرع في حصاره يوم الأحد من (22 جمادى الثانية 1119هـ/ 19سبتمبر1707م)، أي بعد شهرين كاملين تقريبا، استولى عليه أوزون حسن يوم الثلاثاء 5 شعبان من نفس السنة (11شعبان1119هـ/6نوفمبر1707م)، وذلك لحصانته وشدة صمود المحاصرين داخله، وتم ذلك بعد تفجير ثلاث ألغام أسفل السور، أحدثت به ثغرة تسلل منها المجاهدون الذين أجهزوا على من بداخله وعددهم 120رجلا، وكان ثمانية منهم قد فروا وسلموا أنفسهم للباي مصطفى بوشلاغم[4].

---

[1] الجامعي: **المصدر السابق**، ص ص99-100.

[2] يحي بوعزيز: **فتح مدينة وهران...، المرجع السابق**، ص54.

[3] برج بن زهوة: يسمى أيضا برج اليهودي وهو زاوية بن كسيبة المعروف بابن زهوة، الذي فتح أبواب وهران غدرا للإسبان، ومكنهم من احتلالها، ويطلق عليه الإسبان، Chateau Saint Grégoire ينظر: محمد السعيد أبو بكر: **المرجع السابق**، ص108.

[4] يحي بوعزيز: **فتح وهران...، المرجع السابق**، ص 54./محمد السعيد أبو بكر: **المرجع السابق**، ص ص 108-109. / أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة ...، **المرجع السابق**، ص429.

وبعد السيطرة على الأبراج الثلاثة جاء دور مدينة وهران لأنها أضحت مكشوفة، من ناحية الغرب فأقيمت المتارز حول سور المدينة وتمكن المجاهدون من الوصول برا إلى قصبة المدينة بعد قطع الأشجار القريبة منها، كما تمكنوا من قطع الاتصال بين وهران والأبراج الأخرى التي ما تزال بها حاميات إسبانية، مثل: البرج الجديد والبرج الأحمر وبرج مرزاق وأبراج الأجنة، كما سيطروا على كنيسة سانتا ماريا من ناحية البحر، فبعد حصارها دخلتها القوات[1]، في(26 شوال 1119 هـ/19 جانفي 1708م)[2]، بعد فرار الحامية الإسبانية المتواجدة بها، لذلك فتحت دون سلاح. وقد تمكن المجاهدون من أسر حوالي560 إسبانيا أما حاكمها الإسباني **دون ملشيور دي أفيلانيدا(Don Melchior De Avelaneda)** فقد ترك ميدان المعركة ونجا بنفسه وحمل متاعه وفر إلى المرسى الكبير بحرا، ثم منه ذهب إلى إسبانيا [3].

بعدها اتجه المجاهدون لتثبيت فتحهم إلى البرج الجديد الذي يقع بالقرب من الساحل، وبرج العيون في الجنوب الشرقي للمدينة، ويسمى أيضا برج الصبايحية، وسماه الإسبان بعد ذلك برج القديس أندري **(le Fort .Sain Kandré)** يوجد به 100 مدفع وكانت مدة حصاره ثمانية أيام ليتمكن المجاهدون من السيطرة عليه صبيحة يوم الجمعة، أما الإسبان المتواجدون به فقد استسلموا دون مقاومة تذكر والبعض منهم هرب إلى البرج الأحمر، أما عدد الأسرى فكان حوالي 400 شخصا[4].

---

(1) الجامعي: **المصدر السابق**، ص ص 117-119. /محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية**، تق وتح. محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م، ص228./ محمد السعيد أبو بكر: المرجع السابق، ص 109.

(2) وقد أجمع على هذا التاريخ كل من: الآغا بن عودة المزاري: **المرجع السابق**، ص236. /محمد بن يوسف الزياني: **المرجع السابق**، ص159. أما بن ميمون فذكر أن الفتح كان في (1 شوال 1119هـ/20 جانفي 1708م). **ينظر** محمد بن ميمون الجزائري: **المصدر السابق**، ص228.

(3) محمد السعيد أبو بكر: **المرجع السابق**، ص109. /أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة ...، **المرجع السابق**، ص431.

(4) الجامعي: **المصدر السابق**، ص 123. /محمد السعيد أبو بكر: المرجع السابق، ص110.

ثم استكملوا مسار التحرير بعد يوم من تحرير البرج الجديد إلى البرج الأحمر، ويسمى برج الأمحال أو القصر الأحمر [1]، يقع في الشرق من المدينة بين برج العيون والبرج الجديد، وهو من أكبر الأبراج وأجملها ويشتمل على عشرة حصون بها(300) مدفعا، بعد فتحه تمكن المجاهدون من أسر حوالي (500) شخص[2].

د- تحرير المرسى الكبير: عندما أكمل الباي مصطفى بوشلاغم مهمته في وهران، اتجه رفقة مجاهديه صوب المرسى الكبير الذي يقع في الغرب من وهران والذي هو عبارة عن قصبة منيعة، لها طريق واحد يؤدي إليها مقداره ذراعين أو ثلاثة، ويطلق عليه أيضا حصن المرسى، وكان الجنود الإسبان الفارون من وهران قد التجأوا إلى الحامية المعتصمة به، فحاصره حسن أوزون مدة ثلاثة أشهر من ناحية البر والبحر، عندها أمر القائد حسن أوزون بوضع الألغام جهة البحر. وبعد محاولات عديدة نجح المجاهدون في تقويضه واقتحموا المدينة بتاريخ (13محرم 1120هـ/19 جانفي 1708م)، والتحم الطرفان في معركة عنيفة كانت الغلبة فيها للمجاهدين بعدما تمكنوا من القضاء على آخر مقاومة للإسبان فيها فاستسلمت المدينة وغنموا كل ما فيها، وكان عدد الأسرى الإسبان (3000) أسير[3]، كان من بينهم حاكم المرسى الكبير "**بالتزار دي فيلالبا Baltazar D Villalba**"[4].

حاول جنود الدعم الإسبان الذين قدموا من إسبانيا تقديم النجدة لبني جلدتهم من البحر، لكن المدفعية العثمانية ردتهم في البحر لتستسلم بعد ذلك الحامية الإسبانية في(16 محرم 1120هـ/ 6أفريل 1708م)، وبذلك تم تحرير مدينة وهران، وكل الحصون المحيطة بها[5]. وإثر هذا التحرير، أرسل السلطان العثماني أحمد الثالث(1115-1143هـ/1703-

[1] يسميه الجامعي برج الفرنسيس، **ينظر** الجامعي: **المصدر السابق**، ص120.

[2] محمد السعيد أبو بكر: **المرجع** السابق، ص110.

[3] محمد بن ميمون: **المصدر السابق**، ص246. وأرجوزة أبي عبد الله محمد التغريري الواردة في كتاب الأغا بن عودة: **المرجع السابق**، ص ص236-237.

[4] Pastemaldjoglou**:"Mers el Kebir historique et description de la forteresse"**, R .A, Alger, 1940, N 84, p166.

[5] محمد السعيد أبو بكر: **المرجع السابق**، ص111.

1730م) هدايا وخلعة للداي بكداش وصهره حسن، كما أرسل للجزائر سفنا وعتادا حربيا من أجل تدعيم الأمن في المنطقة[1].

وبهذا تم تقويض الوجود الإسباني بالجزائر في بداية القرن(12هـ/18م)، لكن الإسبان سوف يتمكنون من العودة إليها، واحتلالها مرة أخرى سنة (1145هـ/1732م).

5/الإسبان يحتلون وهران للمرة الثانية(1145هـ/1732م):

لم يستصغ الإسبان طردهم من وهران سنة (1120هـ/1708م) بهذه السهولة بعدما استوطنوها لما ينيف عن قرنين من الزمن، حيث ظلت آثار الهزيمة ماثلة في أذهانهم، ولذا فإنهم ظلوا حريصين على إعادة احتلالها، ولتنفيذ هذا المخطط أصدر الملك **"فيليب الخامس"** منشورا مؤرخا في (13ذو الحجة1144/6جوان 1732م) من إشبيلية يطلب فيه الدعم الداخلي من الدول المسيحية لاسترجاع المدينة ومما جاء فيه:" إن التخلي عن وهران وتركها في أيدي المتوحشين يعني الإقرار بالهزيمة والعزوف عن تنصير الكفار، ونشر الديانة، ولذا قررت استرجاع المدينة ...، ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف الكبير أمرت أن يجتمع الجيش في أليكانتي Alicante"[2].

كان قائد الحملة هو الدوق **"دي مونتيمار"** الذي انطلق من ميناء" أليكانتي " في15جوان، وكان جيشهم مؤلفا من 30ألف رجل و505سفينة و200مدفع غير مدافع البواخر [3]، ووصل إلى وهران في29 من الشهر. وتم الإنزال في عين الترك، حيث كان المكان شبه خالي من القوات العسكرية الجزائرية. وتمكّنت الجنود الإسبان من التقدم نحو المرسى الكبير ووهران، وكانت القوات الجزائرية في مواجهتهم، فخاضوا عدة معارك، ورغم موت القائد الإسباني دي مونتيمار، إلا أنهم نجحوا في احتلال المدينتين، وهذا راجع لعدم تكافؤ القوتين وتأخر وصول الدعم من مدينة الجزائر، وما سهل مهمة الإسبان هو اضطرار

---

[1]T.C.Basbakanlik Devlet Arsivleri Genel Mudurlugu Osmanli Arsivi Daire BaskanligiYayin Nu: 115:**Osmanli Belgelerinde Cezayir**, Ankara, 2010, pp30-32. / أ.ع: **C.HR**, **4371** بتاريخ (21 صفر1121هـ/1 ماي 1709م).

[1] Berbrugger : **Reprise d'Oran par les Espagnoles en 1732**, R.A, 1864, N8, p20.

[3] جون وولف: **المرجع السابق**، ص401.

الباي بوشلاغم إلى الانسحاب ومعه200بعير تحمل الأشياء الثمينة، وإخلاء المدينتين من السكان والجنود الذين لم يأخذوا معهم سوى الأسلحة الخفيفة، لأن الإسبان لما دخلوها وجدوا بها 138 قطعة مدفع، من بينها 87 قطعة من النحاس(1).

كان الداي عبدي باشا قد أرسل المدد المكون من 2000جندي تحت قيادة ولده للباي بوشلاغم الذي كان ينتظر مع الأهالي خارج المدينة، لكن الفشل كان مصير هذه النجدة، وأهم ما ساعد الإسبان على الاستقرار من جديد في وهران مدة أخرى امتدت إلى غاية عام (1205هـ/1791م)، هو استغلالهم للتحصينات التي كانت قائمة فيها قبل خروجهم الأول منها في سنة (1120هـ/1708م)، إذ أن الباي بوشلاغم لم يقم بتهديمها ظنا منه أنها سوف تكون جزائرية خالصة، ولن يرجع إليها الإسبان مرة أخرى وأضحى فقدانها للمرة الثانية غصة في حلق الجزائريين، وعلى رأسهم الداي عبدي باشا الذي تجرع مرارة الهزيمة فأصابته سكتة قلبية أدت إلى وفاته لإحساسه بالتقصير في عدم تحصينها بالعدة والعتاد بعدما خلصت من الاحتلال، ضف إلى ذلك تقاعسه وتأخره في إرسال النجدات إليها(2).

حاول المجاهدون كل جهدهم وقادوا عدة معارك وفرضوا الحصار على وهران ما يقارب السنتين لكن مجهوداتهم باءت بالفشل، لأن الإسبان كانوا قد عززوا من تحصينات المدينة، بتشييد حصون أخرى وخطوط دفاعية متينة خاصة الجهة الشرقية والجنوبية من مدينة وهران(3).

ثانيا- رياس الجزائر يجابهون الدويلات الإيطالية خلال القرن(11هـ/17م):

1/ الصراع الجزائري الإيطالي خلال القرن (10هـ/16م):

استنجد أهالي الجزائر في بداية القرن (10هـ/16م) بالأخوة أبناء يعقوب لحماية مدينة الجزائر بعد أن هددها الاسبان الذين احتلوا الجزيرة التي تقع مواجهة لها وهي يبنون

(1) Tapie : **la conquête d'Oran par les espagnoles en 1732**, Imprimerie Emile collet ,Oran, 1923, p10.

(2) محمد السعيد أبوبكر: **المرجع السابق**، ص127.

(3) عبد القادر فكاير: **المرجع السابق**، ص75.

(Penon) فتمكن الإخوة بفضل الله ثم حنكتهم ومساندة الأهالي لهم من الدفاع عنها كما أسلفنا، وغذت بذلك مدينة الجزائر من أكثر المراكز تنظيما وثراء، وفي العقد الرابع من القرن (10هـ/16م)، وتحديدا في سنة (948هـ/1541م) نظمت حملة كبرى اشترك فيها أكثر من 500 سفينة، ضد الجزائر، وقاد الحملة الإمبراطور شارلكان بنفسه واشترك فيها كذلك الجنود والسفن التابعة للإمارات الإيطالية المتحالفة مع الإمبراطور. وهكذا تجابه الإيطاليون والجزائريون[1].

إذ لم يخف الايطاليون حقدهم الصليبي على الإسلام والمسلمين في الجزائر، خاصة وأن إيطاليا مهد الكنيسة الكاثوليكية، وكانت بداية الصراع بين الجانبين عندما احتل الجنويون مدينة جيجل سنة(919هـ/1513م) وكان أندري دوريا على رأس الحملة، لكن الإخوة أبناء يعقوب طردوهم منها سنة(920هـ/1514م)، وكانت الأراضي الإيطالية نفسها قواعد تنطلق منها الحملات الإسبانية، كما أن الإيطاليين قد شاركوا في جميع الحملات الإسبانية ضد الجزائر سواء كجواسيس أو جنود أو قادة مثل أندري دوريا أو أحد أقربائه فيما بعد [2].

ونتيجة لهذا كله؛ أصبحت السواحل الايطالية منذ سنة(939هـ/1533م)هدفا للسفن الجزائرية، فقد استهدفها خير الدين في (940-941-942هـ/1533-1534-1535م)، بمهاجمة الشواطئ، والموانئ الإيطالية وكبدها خسائر جسيمة [3].

كما استغل قلج علي ضعف إسبانيا التي كانت في وقت ما مضطرة لمواجهة ثورة عنيفة قام بها الموريسكيون لاسترجاع الفردوس المفقود، وفي سنة (976هـ/1569م) احتل

---

[1] سالفاتوربونو: **العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي**، تر: أبو القاسم التومي، في مجلة الأصالة، ع 6، ص 99.

[2] عبد القادر فكاير: **الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن 16م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، (غير منشورة)، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2000-2001م، ص133.

[3] عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص5. / جميلة: **المرجع السابق**، ص87. / Haedo**: op.cit**, p49.

فعلا مدينة تونس، وشارك على رأس الأسطول الجزائري في معركة Lépante التي خرجت منها القوات البحرية الجزائرية سالمة رغم الهزيمة الشاملة التي لحقت المسلمين، وفي سنة (982هـ/1574م) استطاع قلج علي ضم تونس للراية العثمانية، وبهذا أدخل القلق والهلع لقلوب المسحيين[1].

وقام مراد رايس بعدة هجمات على السواحل والسفن الإيطالية من بينها: أنه في (7رجب985هـ/19 سبتمبر1577م) قام بمهاجمة سواحل كورسيكا، وصقلية، ونابولي، وفي كلابر قام بمهاجمة مزرعة تابعة لملك نابولي دله عليها أحد الأسرى المسيحيين في منتصف شهر نوفمبر، وأسر مائتي شخص من مختلف الأعمار، ثم عاد إلى بنزرت في تونس [2].

كما عاود مراد رايس في السنة الموالية أي (986هـ/1578م) غزو شواطئ كل من صقلية، وجزيرة كلابر، وأسر، وغنم أشياء كثيرة. وعندما غزا الباشا حسن فنزيانو جزيرة ميورقة وشواطئ أليكانت في نفس هذه السنة اعترض في طريق عودته مراكب جنوية، وأسرها، وعاد بها إلى الجزائر بما عليها من بضائع ورجال [3].

كما استولى مراد رايس على 25 سفينة للبندقية في شهر واحد إضافة إلى مهاجمته عدة مناطق من سردينيا، وصلت إلى حد إخلائها من قاطنيها، كما اجتاح مجاهدو البحر الجزائريين ثلاث قرى قرب كاغلياري ثم قريتين في داخل الأراضي الإيطالية وتمكنوا من احتلال بعض الجزر الصغيرة، التي يكمنون فيها لتصيّد السفن المارة [4].

أورد الباحث إبراهيم سعيود؛ نقلا عن "سلفاتوري بونو"، أن مجاهدي البحرية الجزائرية تمكّنوا من حجز سفينة حربية في (صفر986هـ/أفريل 1578م)[5]، كان على متنها

---

[1] سالفاتوربونو: **المرجع السابق**، ص 102.

[2] Haedo: de la captivité**…, op.cit,** pp344-345.

[3] يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج3، د.م.ج ،الجزائر، ط2 ،2009، ص 180.

[4] المنور مروش: **دراسات عن الجزائر**..، **المرجع السابق**، ج2، ص306.

[5] للاطلاع على عدد الأسرى مابين سنتي (1578- 1598م)، يُنظر: **الملحق رقم 10**.

الشاعر الإيطالي أنطونيو فينيزيانو الذي كان صحبة دون كارلو الأراغوني Don Carlo D'Aragona[(1)].

كما تمكن في سنة (986هـ/1578م) من أسر سفينة من صقلية وعليها القائد العام العسكري لصقلية دوق تيرانوفا (Terranova) وهو متجه إلى إسبانيا، كما أسر بعد ذلك سفينة بابوية[(2)]. واستولى مراد رايس في الفترة الممتدة(994-996هـ/1586-1588م) أيضا على أربع سفن تابعة لأسطول البابا وسفينة تابعة لمالطا[(3)].

أما في سنة (993هـ/1585م) واجه الأسطول الجزائري أسطول جنوه وهو بعمارة قوته وأسفر ذلك على أسر 18 سفينة جزائرية [(4)].

واصل مراد رايس استهدافه للمدن الإيطالية ففي سنة (999هـ/1591م) قام بحملة في خليج البندقية واستولى على عدة سفن وأربعين أسير[(5)]، وبالتعاون مع الرايس جعفر الجنوي في سنة (1002هـ/1594م) استولى على مركب أميرالي لدوق فلورنسا(توسكانيا) وعلى مركب آخر اسمه القديس يوحنا[(6)] . في السنة التي تلي ذلك (1003هـ/1595م) استولى على ثلاث سفن لصقلية، كما استولى الجزائريون في سنة (1009هـ/1601م) على سفينتين من البندقية محملة إحداها بأكياس الصوف، كما حصلت على سفينتين بندقيتين في سنة (1012هـ/1604م)، وبعد ذلك في (1013هـ/1605م) سجل البنادقة ضياع خمسة عشر سفينة استولى عليها رياس الإيالات المغربية[(7)].

[(1)]Bono Salvatore : **Siciliani Net Maghreb**, Roma,1992, pp69-73 .
نقلا عن إبراهيم سعيود: **علاقات الجزائر ....، المرجع السابق**، ص47.

[(2)] جون وولف: **المرجع السابق**، ص200.

[(3)] المنور مروش: **دراسات عن الجزائر..، المرجع السابق**، ج2، ص 306.

[(4)] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة...،المرجع السابق**، ص409.

[(5)] Christiane Villain Gadossi: **La Méditerranée au 12-16è, siécles, relation maritimes diplomatiques et commercial**, Variorum, London, 1983, pp26-27.
نقلا عن عبد القادر فكاير:**الصراع الجزائري...،المرجع السابق**، ص283.

[(6)] Haedo: **les rois d'Alger...,op.cit**, p224.

[(7)] المنور مروش: **دراسات عن الجزائر..، المرجع السابق**، ج2، ص ص307-308.

كل هذا جعل من مراد رايس هو العدو الأول للمدن الإيطالية، لذلك فقد تمكّنت بعض هذه المدن من القبض عليه بكل الطرق وعلى رأسها مدينة توسكانيا، التي كبدها خسائر كبيرة، فقد حاولت سفن هذه المدينة نصب فخ له عندما كان يغادر ميناء مارسيليا في سنة (1006هـ/1598م) لكنه نجا منه بأعجوبة[1].

كما قاد الباشا حسن فينزيانو الجهاد البحري ضد المدن الإيطالية طيلة فترة حكمه، ومن بين الهجمات التي قادها ضد السواحل الإيطالية، أنه توجه سنة (992هـ/1584م) على رأس أسطول يتكون من 22 سفينة إلى السواحل الجنوبية لأوروبا، حيث امتد نشاطه ما بين جنوه شرقا ومدينة أليكانت غربا، كانت جزيرة سان بياترو التابعة لسردينيا هي هدفه الأول فأنزل بأحد سواحلها ألفا وخمسمائة جندي. توغلت تلك القوات بنحو 40 ميلا، واستطاعوا أسر 700شخص، وغنموا غنائم معتبرة من بوليدونيا وهي إحدى مدنها لكنه خسر ثلاثين شخصا من رجاله[2].

كما قام أيضا القائد حسن فينزيانو بالاشتراك مع القبطان مامي أرناؤوط بتكرار الهجمات على المياه الإيطالية في سنة (994هـ/1586م). واستولى على سفن تابعة للبندقية وهي سفن ضخمة، وأخرى متوسطة، حيث بلغ سعرها من غير حمولتها عشرة آلاف أوقية، وكانت إحدى هذه السفن المحتجزة تحمل شحنة كاملة من الحرير، وأخرى بها سلعا ذات قيمة كبيرة[3].

2/ مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة الدويلات الإيطالية وحملاتها خلال القرن (11هـ/17 م):

أ- جيوفاني أندري دوريا الجنوي[4] يقود حملة على الجزائر:

---

(1) Dan: **op.cit**, p23.

(2) Haedo: **les rois d'Alger…, op.cit**, p200.

(3) المنور مروش: **دراسات عن الجزائر**..، **المرجع السابق**، ج2، ص306.

(4) **جيوفاني أندري دوريا**: هو حفيد الأميرال الجنوي المشهور أندري دوريا، موطنه جنوة التي ولد فيها سنة 1575م، والدته هي زانوبيا ابنة مارك أنطونيو، وتعتبر عائلة دوريا عائلة عسكرية، ودرعا الجمهورية جنوة، تأثر جيوفاني

من خلال الصراع الجزائري الإيطالي خلال القرن (10هـ/16م)، والذي ألقى بظلاله الوافرة على القرن(11هـ/17م) تواصلت التحرشات الإيطالية على الجزائر، فمع مستهل القرن السالف الذكر، قدم الجنوي المدعو جيرومينو كونيستاجيو (Conestaggio Geromino) تقريرا في (10جمادى الأولى1010هـ/5نوفمبر 1601م)[1].

وقد تضمّن هذا التقرير خطة روكس كما أسلفنا في بداية هذا الفصل، وقدّمه إلى القائد جيوفاني أندري دوريا، الذي فشل في كل محاولاته السابقة لغزو الجزائر تاركا المهمة لقريبه عساه يفلح في ذلك، فما كان من جيوفاني إلا تركيز كل جهده في إقناع الملك فيليب الثالث بهذه الخطة التي تمت المصادقة عليها، وقد شارك في هذه الحملة الصليبية معظم الدويلات الإيطالية من بينها قوات البابا وجنوة ونابولي وتوسكانيا وصقلية وسردينيا وبارما ومودينا ولبروطان وجزر الباليار، وكان قائد الحملة هو جيوفاني أندري دوريا الجنوي[2]، الذي انطلق من جنوة في(صفر1010/أوت 1601م) على رأس أرمادة بحرية تتكون من ثمان وستين سفينة على متنها عشرة آلاف رجل ، وقد ذكر دوريا وهو في طريقه لغزو الجزائر أن هذه الحملة مقدسة وأن الواجب الديني جعله يكون على رأسها، لأنه ذاهب على حد قوله لمواجهة " الشياطين " (i mandarsi) وقد دعا من خلال رسالته التي وجهها إلى حاكم جنوة كل الدول الأوروبية المسيحية إلى المشاركة في هذه الحملة، كما أن عبارته التي تضمنتها الرسالة كانت كلها حقدا دفينا تجاه الجزائر، كما ذكر أن من واجبه استكمال المهمة التي فشل فيها والده، وإذا فشل هو نفسه في هذه المهمة، فقد أوصى في رسالته أولاده بضرورة إعدادهم حملة لغزو الجزائر، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حقد وتطرف تجاه الجزائر والمسلمين[3].

بالحياة السياسية، والعسكرية لعائلته مما جعله يتبوأ مكانة مرموقة في البلاط الملكي الإسباني .ينظر إبراهيم سعيود: **علاقات**...، **المرجع السابق**، ص54.

[1] Conestaggion Jeronimo : **Relation des préparatifs faits pour surprendre, Alger**, R.A, N26,1882, pp290-308.

[2] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**..، **المرجع السابق**، ص157. / عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، **المرجع السابق**، ج3، ص116.

[3] إبراهيم سعيود: **علاقات الجزائر** ...، **المرجع السابق**، ص54.

وشهدت هذه الحملة فعلا مشاركة مختلف المدن الايطالية بقوات بحرية عسكرية، فقد شاركت جنوه بستة عشر سفينة، وسفينتين للدوق سافوا، وستة عشر سفينة من نابولي، واثنتا عشر سفينة من صقلية، وخمس سفن بابوية، وستة سفن للبندقية، وأربعة سفن من توسكانيا.

وساهمت المدن الايطالية بقوات عسكرية كبيرة منها 2000 من نابولي و1200 من صقلية و2500 من ايطاليا وتعهد البابا بتقديم 350 من أحسن جنوده ومن توسكانيا 400 مع عدد كبير من فرسان القديس إتيان [1].

وقد كان مصير هذه الحملة الفشل كسابقاتها، مثلما مر بنا كما أسلفنا في مستهل هذا الفصل، لكن الرد جاء قويا وسريعا على هذه الحملة فقد سير إليها باشا الجزائر، أسطوله الجهادي المكون من خمسين سفينة، والذي قام بضرب السواحل الإيطالية، وكبدها خسائر جسيمة، كعمل انتقامي ضد تحالفها ومشاركتها في الحملة ضد الجزائر [2].

ب- التوسكان يأخذون عنابة على حين غرة سنة (1016هـ/1607م):

لم تتوقف العمليات الجهادية ضد الأهداف الإيطالية بحكم العداوة المسبقة بين الهلال والصليب، فقبل عدة أشهر من تولي كوسة محمد باشا كحاكم جديد على الجزائر سنة(1014هـ/1605م)، وفي إطار حربها الخفية مع الدول الأوروبية، تمكنت الجزائر عن طريق جواسيسها من الاطلاع على معلومات استخباراتية، تحصلت عليها من يهود كانت تربطهم مع مجاهدي البحرية الجزائرية علاقات ومصالح تجارية، وكانت هذه المعلومات تفيد بالاستعدادات والتحضيرات لحملة توسكانية على الجزائر[3].

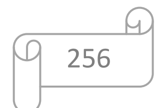
ففي سنة (1013هـ/1604م)كلفت حكومة التوسكان ضابط البحرية الإنكليزي روبير جيفورRobert Giffort بتنفيذ مخطط مجازف، وهو إضرام النيران في سفن مراد رايس وغيره من الرياس، والتي كانت راسية بميناء الجزائر، وقد كان لنجاح هذه العملية صدى بعيد في الآفاق كما تشهد بذلك الأخبار الكثيرة التي نشرت عن هذا الحادث، وقد شهدت

---

(1) Conestaggion: **op.cit**, p303.

(2) عزيز سامح إلتر: **المرجع السابق**، ص312.

(3) سالفاتوربونو: **المرجع السابق**، ص 102.



العقود الأولى من القرن (11هـ/17م) عمليات مختلفة قام بها القراصنة التوسكان وقطع من أسطول البلاد الإيطالية ضد مدن ساحلية جزائرية، وكان ضحايا هذا العمل القرصني الرجال والنساء والأطفال الذين كانوا يتخذون عبيدا في البلاد المسيحية، وهكذا كان الشأن على السواحل الإيطالية، لأن الرياس الجزائريين كانوا يكيلون الكيل بمكيالين انتقاما وثأرا لما حصل لإخوانهم المستعبدين في المدن الإيطالية[1].

وفي سنة (1016هـ/1607م) قام رياس البحر الجزائريون، باقتياد سفن يملكها تجار ليفورنة، وكرد فعل على ذلك، صمم دوق توسكانيا فرديناند الأول على تجهيز حملة لغزو الجزائر، وقد أسند هذه المهمة لفرسان القديس إتيان، ومن خلال قراءاتنا اكتشفنا أن ما ورد حول هذه الحملة، ينقسم إلى رأيين:

- **الرأي الأول**: والذي مفاده أن الهدف الحقيقي لهذه الحملة هو القبض على مراد رايس، الذي ألحق بتوسكانيا خسائر جمة من خلال العمليات الجهادية التي أشرف عليها، وكذلك سَحق الأسطول الجزائري الذي أدخل الرعب في نفوسهم وأقض مضجعهم؛ لكن أحد يهود ليفورن أخبر الرياس بأمر الحملة فاستعدوا لها فاضطر فرسان القديس ستيفان إلى تحويلها نحو مدينة عنابه[2].

- **الرأي الثاني**: (وهو المرجح) أن هذه الحملة كانت تستهدف مدينة(بونة) عنابه[3]، ويرجع قارنييري(Guarnieri) ذلك إلى سببين رئيسيين:

أولا- أن هذه المدينة كانت مصدر قلق للدويلات الإيطالية، كما تعد قاعدة تهدد مصالحها، إضافة لكون جمعية القديس ستيفان بتوسكانيا قد فقدت عددا من بحارتها في هذه المدينة.

---

(1) شوقي عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص193. وأحسن من خاض في موضوع الأسرى المغارب في الدويلات الإيطالية الأستاذ الدكتور ابراهيم سعيود في كتابه المعنون: **الأسرى المغارب في إيطاليا**...، **المرجع السابق**.

(2) يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص62. / Belhamissi: **op.cit**, p63.

(3) إبراهيم سعيود: **القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة**...، **المرجع السابق**، ص157.

ثانيا– تعتبر مدينة عنابة [1] سوقا رائجة لتجارة الأرقاء أو الأسرى المسيحيين، وكان الهدف الأساسي من هذه الحملة هو تحرير أكبر عدد ممكن من هؤلاء الأسرى[2].

انطلقت الحملة التوسكانية من ليفورنو في شهر سبتمبر سنة (1016هـ/1607م)، مشكّلة من تسع سفن من نوع غليوطة، وخمس سفن حاملة للأسلحة، وألفي رجل، ومئات من المتطوعين، وأسند الدوق قيادتها لسيلفيو بيكولوميني(Silvio Piccolomini)، وصلت الحملة إلى سواحل عنابة في 15 من سبتمبر، ودافع أهالي المدينة عنها بشكل مستميت، لكن نقص وسائل الدفاع مكن القوات التوسكانية من اجتياح المدينة، ومحاصرة أماكن تواجد الأسرى وتم تحرير العديد منهم[3].

قبل أن يسترد جنود الحملة التوسكانية أنفاسهم وهم منشغلون بالسلب والنهب فاجأهم محمد بن فرحات باي قسنطينة، رفقة أربعمائة وسبعين من فرسانه، لكنه استشهد وباءت نجدته للمدينة بالفشل، وبعد أن تم نهب المدينة أضرموا النار فيها، ثم قفلوا راجعين في 21 سبتمبر، وقد قُتل منهم 42 شخصا، وغنموا غنائم كثيرة، وأسروا ألفا وخمسمائة جزائري [4].

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: أين محل الأسطول الجزائري من هذه الحملة، ولماذا لم ينجد المدينة؟ لكن يبدو أن الأسطول في هذه الأثناء كان في مهمة مقدسة، وهي إنجاد الموريسكيين الذين كانوا يعانون الويلات جراء التعصب الكاثوليكي [5].

---

[1] وتعود محاولات التوسكانيين لاحتلال مدينة عنابه إلى سنة(976هـ/ 1568م)، حين حاول أمير بيومبينو(Piombino) التابعة لتوسكانيا، أخذ مدينة عنابه على حين غرة من حكومة الجزائر، لكن قارة علي وعلى رأس مجموعة من السفن قام بمهاجمته، وإجباره على التراجع بعد معركة حاسمة فعاد خائبا إلى توسكانيا، **ينظر**:

-Jacque Auguste De Thou: **Histoire universelle**, Londres, 1734, T5, p509.

-Haedo : Histoire… ,op.cit , pp173-174.

[2] Belhamissi: op.cit, p63./ Guarnieri(G), **I Cavalieri di Santa Stefano**, Pisa, 1960, p 144.

نقلا عن إبراهيم سعيود: **القرصنة المتوسطية**...، **المرجع السابق**، ص157.

[3] إبراهيم سعيود: **علاقات الجزائر**...**المرجع السابق**، ص57.

[4] De Grammont**: histoire…,op.cit**, p148.

[5] عبد القادر فكاير: **الصراع الجزائري**... ، **المرجع السابق**، ص286.

ج- هجمات الدويلات الايطالية على السواحل الجزائرية:

في(28جمادى الأولى1019هـ/17أوت1610م) أعدّ دوق توسكانيا المدعو كوسمي (Cosme) حملة جديدة بقيادة فرسان القديس إتيان لمطاردة السفن الجزائرية، وتمكنوا من تدمير قرية برشك الواقعة بين تنس، وشرشال، واستطاعوا أن يغنموا ثلاث سفن، وفي طريق العودة قصفوا مدينة جيجل بالمدافع ثم انسحبوا[1].

وفي سنة(1022هـ/1613م) أنزلت ثمان بوارج صقلية بقيادة (Ottaviod'Aragone) رجالها على الشواطئ الجزائرية، وفي شهر جوان من تلك السنة نهبت سفن غراندوق طوسكان قلعة أرزيو وحررت 200 رقيق من المسيحيين وأسرت عددا مماثلا من الجزائريين[2].

ونظرا للحقد الصليبي، فإن فرسان القديس يوحنا بمالطا، وفرسان القديس ستيفان بتوسكانيا لم يتوقفوا عن تعدياتهم ومطاردتهم للسفن التجارية الإسلامية أو غيرها، رغم الهدنة الموقعة بين السلطان العثماني و إسبانيا[3].

د- المواجهات بين رياس البحر الجزائريين والبنادقة:

شهد القرن(11هـ/17م) استمرار الصراع بين البندقية والجزائر، الذي كان يتزعمه البحارة الجزائريون وعلى رأسهم الرياس، فقد كانت سفن البندقية خلال القرن(11هـ/17م) هدفا لغارات رياس البحر الجزائريين خاصة في الفترة ما بين(1021-1047هـ/ 1618-1648م) [4]، ففي (1033هـ/1624م) اجتاح رياس الجزائر وتونس ميناء بيراستو، وهي قاعدة بحرية للبندقية في الأدرياتيك. فيقول البنادقة عن ذلك إن 6 غليوطات جزائرية بقيادة

---

[1] Belhamissi: op.cit, p64. / Henri De Grammont :" **Relations entre la France et la régence d'Alger au17 siècle. Les deux canons de Simon Dansa 1606-1628"**, R.A, Alger , N. 23,1879, p15.

[2] سالفاتور بونو: **المرجع السابق** ، ص 103.

[3] إبراهيم سعيود: **علاقات الجزائر...، المرجع السابق**، ص57. / عائشة غطاس: **العلاقات...، المرجع السابق**، ص137.

[4] الساحلي أوغلو: **المرجع السابق**، ص 340.

مامي و7 غليوطات تونسية بقيادة أسطى مراد قد اكتسحت مدينة بيراستو وأخذت 450شخصا في(7رمضان1033هـ/ 22جوان 1624م). وقدرت الغنائم التي أخذوها بأكثر من 100 ألف إيكي، وعلى إثر هذه العمليات أرسلت البندقية مبعوثا هو سلفاغو إلى الجزائر وتونس للتفاوض على عقد معاهدة الصلح[1].

وفي سنة (1055هـ/1645م) عزم السلطان إبراهيم أن يشن حربا على جزيرة كريت والتي كانت بحوزة البنادقة، فأمر إيالات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب بتجهيز سفنها الحربية، ثم قام بإرسال مبلغ قدر بـ16 سلطاني، فلبى عدد كبير من رياس الجزائر الدعوة، وقد تمركز أسطولهم بخليج سودا(Soudha) لمنع وصول الإمدادات البندقية إلى المدينة المحاصرة من طرف الجيش العثماني[2].

وحسب رواية المؤرخ التركي **نعيما Naima** أنه في سنة (1048هـ/1638م) قامت سفن رياس الجزائر وتونس بغارة على سواحل جزيرة اقريطش فسبوا ونهبوا وكروا راجعين، وفي تلك الآونة كان أسطول البندقية مرابطا في البحر الأدرياتيكي فتفطن لهم وأخذ في مطاردتهم فالتجئوا إلى ميناء أولونة أو فالونا الواقع على الساحل الألماني، واحتموا بمدافعه فحاصرهم حتى ملّ الحصار فضرب البلدة واستحوذ على السفن المغربية واستردوا أسراهم وأموالهم التي فازوا بها إلى البر، وجعلوا الأموال على ظهور الأسرى إلى أن وصلوا إلى سلانيك ومن هناك نقلتهم سفن مغربية إلى جزيرة رودس ومنها إلى المغرب[3].

وفي(محرم 1057هـ/فبراي1647م)، هاجم فرسان مالطا الرياس الذين كانوا في طريقهم إلى جزيرة كريت وتمكنوا من الاستيلاء على سفينة القبطان بعد معركة ضارية قتل فيها 250جزائريا وأسر150آخرين. وفي بداية مارس باغت القابودان باشا حسين البنادقة قرب جزيرة نغروبون (Negropont) وقام بمهاجمتهم بمجموعة من السفن الجزائرية التي كانت تشكل طليعة الأسطول العثماني، فقتل الأميرال موروزيني (Morosini) وتفرقت سفنه، إذ

---

[1] المنور مروش: **دراسات عن الجزائر..، المرجع السابق**، ص 317.

[2] أمين محرز: **المرجع السابق**، ص 64.

[3] عبد الجليل التميمي: **الصراع بين قراصنة تونس والجزائر والبندقية في القرن السابع عشر**، في المجلة التاريخية المغربية، للعهد الحديث والمعاصر، ع 4، جويلية 1975م تونس، ص106.

ذاك وصل باقي الأسطول البندقي بقيادة غريماني(Grimani)، فانكفأ الأسطول العثماني أمامه بعد أن تكبد خسائر معتبرة، وفي ماي سنة(1057هـ/1647م) حمل يوسف باشا أمرا سلطانيا إلى الرياس ليجهزوا سفنهم في حملة الربيع القادم، لكنهم تلكأوا عن ذلك إلى حين وصول مبلغ ستين ألف سلطاني أواخر عام(1058هـ/1648م)[1].

وقد عثرنا عند بحثنا في الأرشيف العثماني على دفتر يحوي مقادير الذخاير (المأكولات والنقود) الموزعة على غزاة تونس والجزائر المسؤولين على بعثة كريت[2].

وفي سنة(1059هـ/1649م) شارك الجزائريون في معركة فوجة (Foca) والتي انتصر فيها الأسطول البندقي بقيادة الأميرال ريفا[3]Riva.

وهزم العثمانيون مجددا في(1061هـ/1651م) من طرف الأميرال **ليوناردو موسنيغو Leonardo Mocenigo** في نقشة Nàxos قبالة جزيرة باروس، وإبان المعركة تصرف الرياس الجزائريون والتونسيون الذي كان معولا عليهم بفتور، مما جعل القبودان باشا يفكر في معاقبتهم على تقصيرهم، لكنهم انفصلوا عن الأسطول وراحوا يهاجمون سواحل بحر اليونان في طريق عودتهم

وفي سنة(1062هـ/ 1652م) هاجم البنادقة بقيادة الأميرال فرنشيسكو موروويني وحدة بحرية للرياس قرب ماتابان، وتمكنوا من الاستيلاء على 12 سفينة منها، ولقد كان هؤلاء الرياس متوجهون لتزويد الأسطول العثماني بمعدات السفن والكراكجية مقابل مبلغ 50 ألف سلطاني[4].

والملاحظ أن رياس الجزائر كانوا يتصيدون سفن البندقية عندما تكون عائدة إليها، ويكون سبب ذلك هو تسويق بضائع المشرق عن بضائع المغرب، أو لسهولة معرفة زمن

---

(1) أمين محرز: **المرجع السابق**، ص 65.
(2) أ.ع: (..18100 D..BŞM.d، بتاريخ أواسط جمادى الأولى سنة 1057 هـ / 18 يونيو 1647 م.
(3) أمين محرز: **المرجع السابق**، ص ص 65-66.
(4) أمين محرز: **المرجع السابق**، ص 66.

مغادرتها موانئ المشرق على زمن خروجها من البندقية. وقد يكون السبب أنه عند خروجها من البندقية تكون القوافل عكس عودتها من المشرق فإنها تكون منفردة يسهل مهاجمتها[1] .

كما قام رياس الجزائر بأسر طاقم حاكم البندقية الذي كان متجها للاستقرار بالقسطنطينية فاستولوا عليه فورا، واصطحبوه إلى مدينتهم، وما لبثوا أن وزعوا تلك الغنيمة حسب العادة، ورغم محاولة تحذيرهم من الشكوى بهم لدى الباب العالي الذي سيتدخل في ذلك الأمر ، لأن الأمتعة تعود لسفير لدى بلاطه، لم يمنعهم ذلك من السطو عليه دون الاكتراث بتلك الأقوال، بيد أن الحدث كانت له نتائج بعد زمن يسير، إذ حينما تم إبلاغ السلطان بتلك المسألة التمس منه القيام بإعادة تلك السفينة[2].

وفي العقد الأخير من القرن (11هـ/17م)، طلب السلطان العثماني من رياس الجزائر مساندة الأسطول العثماني في حربه ضد البنادقة، حتى أنه رشح الحاج حسين ميزومورتو لمهمة القابودان وطلب منه الإشراف على أساطيل الإيالات المغاربية، وضرورة إلحاقها بميدان المعركة[3]، كما طلب من الداي شعبان وأفراد الديوان بضرورة الاستعداد للجهاد والغزو في سبيل الله، وتجهيز الأسطول الجزائري وإرساله [4].

هـ- رياس الجزائر يهاجمون بقية الدويلات الإيطالية:

استمر الصراع الجزائري الإيطالي خلال القرن(11هـ/17م)، والذي غلبت عليه الهجمات الخاطفة لرياس البحر الجزائريين ضد السواحل الايطالية والسفن التجارية، ففي سنة (1022هـ/ 1613م) استولى رياس البحر الجزائريين على ستة عشرة سفينة تابعة لإيطاليا، وأسر مائتين وثلاثين شخصا[5].

---

[1] الساحلي أوغلو: **المرجع السابق**، ص 335.

[2] بيير دان: **المصدر السابق**، ص 117.

[3] أ.ع: **MFB,6/1**، بتاريخ 3 ربيع الأول 1101هـ/ 22 أفريل 1689م.

[4] أ.ع: **مهمة دفتري** 98 ، حكم 233 ، ص75، بتاريخ 10 ربيع الأول 1100 هـ / 1جانفي 1689 م.
- أ.ع: **مهمة دفتري** 99، حكم 296، ص 93، بتاريخ أوائل جمادى الأولى 1011 هـ / أواسط فبراير 1690م.

[5] Ben Mansour : **op. cit**, p 178.

واستطاع حسن قلفاط سنة(1033هـ/1624م) بقيادة تشكيلة من سبع سفن جزائرية، أن يستولي على عدة سفن بندقية محملة بسلع ثمينة واستمر في جولته حول كالابرية وصقلية وسردينيا، كما هاجم حصنا مسلحا بالمدفعية وسفينة بها 22 مدفعا ومعها سفينة أخرى (طرطانة) التي استولى عليها هي الأخرى، وهاجم الجزائريون سنة(1041هـ/1632م) سواحل مملكة نابولي، وتوغلوا إلى داخل أراضيها، حيث استطاعوا هزم عصابات من قطاع الطرق، والمتمردين على سلطات نابولي، كما استطاع الرياس في السنة الموالية الاستيلاء على ثلاث سفن تابعة لمملكة نابولي كانت اثنتان منها تحملان جنودا اسبان، وعلى سفينة أميرالية لفلورسا، وسفينتين تجاريتين محملتين بالحرير وغيره، قدرت قيمتها 200 ألف إيكو[1].

وفي سنة (1047هـ/ 1638م) استولى الرياس على أكثر من ألف شخص في غارتين على السواحل الإيطالية والإسبانية وهذا ما أكده الأسير الإنجليزي التاجر فرانسيس نايت، فقد ذكر بأنه وصل إلى الجزائر غنائم كثيرة، و365 أسير أخذوا من خليج جنوة[2].

وفي سنة (1048هـ/1639م) استولى علي بتشنين على ألف شخص في كالابرية، كما أسر سفينة إسبانية وصندلا محملا بـ60 سبيكة فضة و16 من البحارة الذين نجوا من الموت في المعركة للاستيلاء على الصندل[3].

بعد تولي شعبان آغا الحكم نشط الغزو البحري وقام الأسطول المكون من 30 سفينة بمهاجمة السفن الأوروبية منها 12 إيطالية، وقد صرحت ليفورن بأن إيطاليا خسرت سنة (1071هـ/1661م) ما قيمته مليوني ليرة وأن 500 شخص أسروا من طرف رياس الجزائر[4].

وفي سنة (1072هـ/ 1662م) قامت مدينة جنوة بتسيير أسطول مكون من20 سفينة بقيادة سنتريون Centurione لمحاربة السفن الجزائرية في البحر المتوسط، ثم انضمت

---

(1) المنور مروش: **دراسات عن الجزائر..**، **المرجع السابق**، ج2، ص287- 322.

(2) De Sourdis: **op. cit**, p 411.

(3) المنور مروش: **دراسات عن الجزائر..**، **المرجع السابق**، ج2، ص 322.

(4) De Grammont: **op,cit**, pp39-40./Mercie: **op.cit** ,p254.

إلى الأسطول الإنجليزي، الذي قام بمهاجمة مدينة بجاية في أفريل من نفس السنة، ثم قام بعد ذلك بحصار مدينة الجزائر[1].

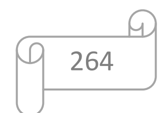
كما نجد أن الصراع الجزائري الإيطالي استمر حتى في عهد الدايات، حيث عرفت البحرية الجزائرية بعض الازدهار -على عكس فترة حكم الآغوات التي عرفت تراجعا كبيرا بسبب الأوضاع الداخلية التي مرت بها الجزائر- فازداد استهداف السفن المسيحية خاصة منها الإنجليزية، وهذا لم يمنع من الاستحواذ على السفن التابعة للمدن الإيطالية خاصة البندقية، ففي الفترة الممتدة من سنة(1081-1110هـ/1671-1699م) استولى الرياس على أكثر من 20 سفينة من مختلف الأحجام، تابعة لمختلف المدن الإيطالية[2].

ومن خلال ما سبق، يمكن القول بأن الجزائر خلال القرن (11هـ/17م) تعرضت لعديد الحملات الأوروبية، خاصة الإسبانية والإيطالية، لكن مجاهدي الجزائر وعلى رأسهم رياس البحر لم يبقوا مكتوفي الأيدي بل حاولوا التصدي والدفاع بكل قوة وبسالة، كما اضطلعوا بتحرير الثغور الجزائرية من الغزو الصليبي ، حتى أنهم هاجموا العدو في بلاده، ومن هنا يمكننا القول أن علاقات الجزائر مع المدن والدويلات الإيطالية تميزت في أغلبها بالصراع لأن معظم هذه المدن كانت تابعة أو متحالفة مع الإسبان.

---

[1] أمين محرز: **المرجع السابق**، ص 103.

[2] المنور مروش: **دراسات عن الجزائر..، المرجع السابق**، ج2، ص ص 339-349.



المبحث الثاني- مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة فرنسا وحملاتها خلال القرن(11هـ/17م):

اتخذ الصراع البحري منذ استقرار الأتراك العثمانيين بالجزائر أبعادا عالمية، فقد شكلت العلاقات الخارجية للجزائر في العهد العثماني أهم مظاهر السيادة، استطاعت من خلالها تكوين شخصيتها الدولية ومنذ بداية القرن (11هـ/17م) امتد النفوذ الجزائري، حيث أصبح مشكلة حقيقية لأغلب الأساطيل الأوروبية، فقد وصفت الجزائر بالسوط المسلط على العالم المسيحي، إنها رعب أوروبا ولجام إيطاليا وإسبانيا وصاحبة الأمر في الجزر.

لقد مرّ بنا في الفصل السابق مساهمة البحرية الجزائرية في معظم حروب فرنسا، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، وأن تفوقهم على عدوهم كان بفضل هذه المساندة، إلا أن قلة من مؤرخيهم من يعترف للجزائر بهذا الفضل أمثال دوغرامون الذي أورد ما مفاده: "...أن العلاقات بين البلدين كانت وثيقة، وأن الجزائر منذ نشأتها كانت سندا قويا لملوكنا في الحروب التي عانوها من عدوهم القوي شارل الخامس..."[1].

وأورد قاروGarrot بأن الجزائر كانت تمارس بفضل قادتها البحريين ضغطا على أوروبا كان في صالح فرنسا، خاصة أن ذلك حدث في وقت كانت فيه الأمة الفرنسية مهددة من شارلكان وهنري الثامن بالخطر، وبفضل تلك العلاقات مع الجزائر أنقذ فرانسوا الأول عرشه وحفظ شعبه من الخراب [2].

أن كل هذه المبادرات التي قام بها الأسطول الجزائري لصالح فرنسا كانت بدون مقابل، سوى من أجل ترضية السلطان العثماني، كما أن هذا الأخير قد أمر بالسماح للفرنسيين بصيد المرجان على السواحل الجزائرية، مقابل دفع عشر مداخيله لخزينة الدولة

---

[1] H.De Grammont : **Histoire d'Alger…, op.cit**, p71.
[2] Henri Garrot : **Histoire générale de l'Algérie**, Imprimerie .P.Crescenzo, Voutes Bastionord, Alger, 1910, p403.

الجزائرية [1]، وبموجب ذلك شيدوا حصنا على الساحل الشرقي للجزائر عرف بالباستيون سنة (967هـ/1560 م) [2].

أولا- دواعي تأجيج العداء بين الجزائر وفرنسا خلال النصف الأول من القرن (11هـ/17م) :

1/ تهديم الباستيون ورد الفعل الفرنسي:

أ- الرايس مراد يهدم الباستيون وفرنسا تفاوض:

لم تدم العلاقات الحسنة التي كانت سائدة بين البلدين، بسبب نقض الحكومة الفرنسية للعهود والمواثيق المتفق عليها بين البلدين فيما يخص تحصين وتسليح المواقع التجارية الفرنسية بالجزائر، وتصدير المواد المحظورة[3]، وعلى رأسها الحبوب التي كانت تصدر بكميات معتبرة، خاصة وأن المنطقة الشرقية في تلك الفترة عانت من وباء الطاعون سنة(1010-1011هـ/1602-1603م) الذي أعقبه جفاف دام لسنوات، فقامت سفن الرايس مراد[4]رفقة حامية عنابة بمهاجمة الحصن ودمرته سنة (1015هـ/1604م)[5].

لم تسكت فرنسا على الضرر الذي لحق بمنشآتها في الجزائر، فاحتجت لدى السلطان العثماني عن طريق سفيرها " دوبريف"(De Brèves) ، وطالبت بإعادة بناء الحصن وتعويض الخسائر التي لحقت بالتجار الفرنسيين[6]، فما كان من الباب العالي إلا

---

[1] أ.و.ج :**مهمة دفتري** 35، حكم 314، ص122، بتاريخ 3 جمادى الآخر7/986أوت 1578م.

[2] للاستزادة حول هذا الموضوع، **ينظر** الشيخ لكحل: **المرجع السابق**، ص ص15-21.

[3] **نفسه**، ص21.

[4] **الرايس مراد**: كان مراد رايس مسيحيا أسر في حداثة عمره واقتيد إلى الجزائر حيث اعتنق الإسلام، ويقول عنه هايدو أنه ألباني الأصل، كما يسميه مراد الكبير تمييزا له عن الرياس، كما يعتبر من أشهر الرياس إذ زوال القرصنة مدة 60عاما بكثير من النجاح، عمل كقائد للأسطول الجزائري سنة 1595م، إن الحملات العديدة التي خاضعها جعلت منه كبير الثروة. ينظر:

المنور مروش: **المرجع السابق**،ج2، ص ص252-255.

[5] جون وولف: **المرجع السابق**، ص247. /عائشة غطاس: **العلاقات**...، **المرجع السابق**، ص36.

[6] Xivrey(B.de), **Recueil des lettres missives de Henri IV**, 6T, Paris,imp .Royale, MDCCCLIII , t5, 1843-1876, p688. **نقلا عن** غطاس: **المرجع السابق**، ص37.

الضغط مرة أخرى[1] على الجزائريين عن طريق إيفاد المبعوث" الآغا محمد خوجة" سنة(1013هـ/1605م)، إلا أن هذه المفاوضات باءت بالفشل، لكن فرنسا لم تستسلم فأوكلت مهمة التفاوض مع الجزائريين لسفيرها دوبريف الذي رافقه الخوجة مصطفى سنة(1014هـ/1606م)، إلا أنه لم يسمح لدوبريف بالنزول من السفينة لمدة تجاوزت الشهر، حتى توسط له قائد الأسطول الجزائري مراد رايس لدى الديوان،ورغم كل ذلك فإن مهمة البعثتين باءت بالفشل هي أيضا[2].

ب- فرنسا تشن غاراتها على السواحل الجزائرية :

عقب استهداف الجزائريين للباستيون، أصدر هنري الرابع قرارا بإعلان الحرب على الجزائر، وتتحدث الرسالة التي بعثها إلى سفيره دوبريف باسطمبول، والمؤرخة في(6 ربيع الثاني 1013هـ/ 31أوت 1604م) عن بدء السفن الفرنسية بمهاجمة الأهداف الجزائرية [3].

وهناك قول آخر أورد: بأن هنري الرابع جهز أسطولا ضخما على رأسه أحد نبلاء قصره، الفارس سافاري دوبريف (Savary De Bréve) مهدّدا متوعّدا،" ولولا حرصه من جهة أخرى على التحالف مع الجزائر رغم كل شيء، ضد إسبانيا...بإثارة بقايا الأندلسيين ضدها" لفعل ما فعل في الجزائر...[4]، إلا أن المركيز دوبريف رد مدحورا[5].

---

[1] ففي المرة الأولى ضغط السلطان مراد الثالث على حاكم الجزائر حسن فنزيانو بالسماح لهم بصيد المرجان في خليج سطورا، ولمعرفة تفاصيل أكثر عن ذلك، **يُنظر**: أ.و.ج: **مهمة دفتري** 35، حكم 314، ص 122، بتاريخ 2 جمادى الثانية 986هـ/ 5 أوت 1578م.

[2] Brèves.S. de:**Relation des voyages de M. de Brèves tant en Grèce… qu'aux royaumes de Tunis et d'Alger**, N.Gasse, Paris, 1628, pp365-373.

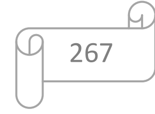
/ عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص ص37-39.

[3] Féraud**: op.cit**, p107 ./ الشيخ لكحل: **المرجع السابق**، ص57.

[4] مولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، ج2، دار البعث، الجزائر، 1985، ط1، ج2، ص27./

De Grammont **: introduction…, op.cit**,p71.

[5] نفسه، ص41.



كما أن فرنسا ثأرت من الجزائر بتنظيم غارة على ميناء مدينة برشك فحطمتها[1]، ثم قصدت مدينة جيجل، لكن مدافع سواحلها كانت لها بالمرصاد، بعدها اضطرت الحملة للانسحاب إلى مدينة ليفورن[2]، كما قامت 6 سفن فرنسية بالإغارة على مدينة عنابة سنة(1015هـ/1607م)، فحطموا السفن الراسية في الميناء، وسلبوا ونهبوا ما استطاعوا حمله، وأسروا 500 شخص اقتادوهم إلى ليفورن[3].

لم يقف مجاهدو البحر مكتوفي الأيدي أمام الحملات الفرنسية المتكررة على السواحل الجزائرية، فهاجموا الفرنسيين في البر والبحر، وسوف نأتي على العمليات الجهادية التي قادها رياس البحر ضد الأهداف الفرنسية، لكن سنورد سببين آخرين عمّقا القطيعة والحرب بين البلدين وهما: سرقة المدفعين ومذبحة البعثة الجزائرية.

2/حادثة مدفعي دانسا وتبعاتها:

أ-دانسا سارق المدفعين الجزائريين:

سبب هذه الحادثة هو أن بحارا يدعى سيمون دانسا أو دانسر(Simon Danser) هولندي الأصل، قدم إلى الجزائر -من مرسيليا سنة(1014هـ/1606م)- التي استقر بها وتزوج، وكان قد أعلن إسلامه، وغير اسمه إلى دالي رايس أو دوفيل (Dovil)، اشتغل في تجارة السفن المستديرة وخرج غازيا مع رياس الجزائر عدة مرات، فتمكن خلال 3 سنوات من أسر حوالي 40 سفينة لحسابه[4]، ومما زاد في التفاف الأهالي حوله، هو إدخاله لإحدى التقنيات الحديثة والمتمثلة في كيفية استعمال السفن المستديرة[5]، ومكافأة له على ذلك أعاره الباشا مدفعين من البرونز لتسليح سفنه، لكنه ما لبث أن خان الثقة التي حظي

---

(1) مبارك محمد الميلي: **المرجع السابق**، ج3، ص151.

(2) الشيخ لكحل: **المرجع السابق**، ص69.

(3) StanlayLan-Poole : **The Story Of The Barbary Corsairs**, G. P. Putnam's Sons, New -York, 1890, p255. نقلا عن الشيخ لكحل: **المرجع نفسه**، ص69

ومن خلال استقراءاتنا للموضوع يبدو أن هناك تعاونا بين الفرنسيين والتوسكانيين في حملتهم على عنابة.

(4) ويليام سبنسر: **المرجع السابق**، ص170.

(5) عائشة غطاس: **العلاقات...**، **المرجع السابق**، ص 40.

بها، وفر من الجزائر مستوليا على المدفعين اللذين سلمها لدوكيز(دوق بروفانس)، ولم يكتف بذلك، بل قدم للحكومة الفرنسية مشروعا لحملة تمكنها من الاستيلاء على مدينة الجزائر سنة(1018هـ/ 1610م)[1].

ب- رياس البحر يردون ويرهبون فرنسا في البر والبحر:

احتج الديوان لدى الحكومة الفرنسية، لكن دوكيز رفض إعادة المدفعين فوصل الأمر إلى حد القطيعة بين الجزائر وفرنسا، فأعلن الديوان الحرب عليها، فانطلق 3000غازٍ جزائري بسفنهم لممارسة الجهاد البحري ضد الفرنسيين، فمشطوا المتوسط وسواحله، والمحيط وقوافله، وفتكوا بكل ما هو فرنسي فكان ميناء الجزائر يستقبل في اليوم الواحد أربعة أو خمسة سفن تم حجزها[2]، فانتعشت مدينة الجزائر وازدهرت بفضل هذه الغنائم التي تهاطلت عليها من كل حدب وصوب، وتضررت التجارة الفرنسية، وخسرت أكثر من مليوني جنيه عام(1018هـ/ 1610م)[3].

وللحد من استيلاء رياس الجزائر على السفن الفرنسية، أنشأت مارسيليا أسطولا مشكلا من 3 سفن حربية، أسندت قيادته لسيمون دونسا الذي كان عليه مرافقة السفن التجارية ذهابا وإيابا[4].

قام المارسيليون مرة أخرى بجمع الأموال من الضرائب الجديدة التي فرضوها على أنفسهم، لتمويل الحرب التي هي على أشدها، وفي سنة(1022هـ/1613م) قاموا مرة أخرى بتجهيز 5 غاليرات حربية كبيرة، وأسندوا قيادتها إلى كل من بوليوBeaulieu وفانسيفيرا Vinciguerra وكلفوهما بمهاجمة السفن والسواحل الجزائرية [5].

---

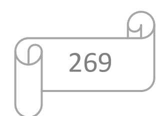
(1) ويليام سبنسر: **المرجع السابق**، ص170.

(2) Moulay Belhamissi: **Alger la ville aux mille canons**, E.N.A.L, Alger, 1990, p81.

(3) يحي بوعزيز، **علاقات الجزائر...، المرجع السابق**، ص62.

(4) Paul Masson: **Histoire du commerce Français dans le levant au XVII siècle**, Paris,1896, p27.

(5) يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر،...، المرجع السابق**، ص62.



إلا أن هذه المحاولات لم تجد نفعا، لأن التجارة الفرنسية قد تضررت بالحرب، وكان لزاما على السفن الفرنسية أن تكمل مسيرتها التجارية نحو ميناء الجزائر بعد خروجها من موانيء بلادها تحت ضغط ونيران مدافع البحرية الجزائرية [1]، إذ خسر الفرنسيون في الخمس سنوات الأولى التي أعقبت القطيعة فقط 3 ملايين فرنك، وعددا كبيرا من الأسرى [2].

لما تيقن الدوق دوكيز من فشل المفاوضات والمساعي الفرنسية من أجل إحلال السلم مرة أخرى مع الجزائر، ورغم أن الديوان قبل بهذه المساعي شرط إعادة المدفعين، لكن فرنسا لم تلتزم بذلك، فقرر دوكيز إعادة بناء الباستيون، واسترجاع امتيازاته بالقوة، رغم معارضة الحكومة الفرنسية، فجهز حملة بقيادة البارون دالمان(Baron d'Almagne) سنة (1026هـ/1618م)، ونجح في الرسو قرب الباستيون، وشرع في أشغال الترميم، ولما وصل الخبر إلى مسامع أعضاء الديوان، أمروا حامية عنابة بالانقضاض على الحصن وتدميره مرة أخرى، وقتل جنود الحملة الفرنسية، واستطاعوا أن يأسروا القائد دالمان و100 من جنوده [3].

وردا على هذا الاعتداء السافر قام رياس البحر بمهاجمة جزر المدار، وأسروا منها 1200 شخص، وغنموا الكثير، حتى أنهم فكوا أجراس الكنائس وأحضروها معهم [4].

---

[1] Moulay Belhamissi: **Alger la ville…op.cit**, p82.

[2] Henri De Grammont**: op.cit**, p15.

[3] Paul Masson: **Histoire des établissements et du commerce Français dans l'Afrique– barbaresque(1560-1793)**, librairie Hachette et C^ie, Paris, 1903, p22.
نقلا عن الشيخ لكحل: **المرجع السابق**، ص46

[4] عزيز سامح التر: **المرجع السابق**،ص327. /زيتوني: **المرجع السابق**، ص91.

3/ القطرة التي أفاضت الكأس "مذبحة البعثة الجزائرية"(1028هـ/1619م):

في ظل هذه الحرب المتواصلة بين الطرفين قررت السلطات الفرنسية وضع حد لذلك، فطالبت من الديوان الجزائري القبول بإبرام معاهدة صلح، وبعد جهود مضنية، ومساع حثيثة ووساطة من الباب العالي، وبعد الاتفاق على شروط الصلح تم إبرام المعاهدة[1] في(5 ربيع الثاني 1028هـ/21 مارس 1619م)، والتي تعتبر أول معاهدة سياسية في تاريخ الجزائر العثمانية، ولم تكد هذه المعاهدة تدخل حيز التنفيذ، حتى قتل أفراد البعثة الجزائرية التي وقعت المعاهدة مع بعض الأسرى الذين تم إطلاق سراحهم[2]، وذلك بسبب وصول أنباء تفيد بهجوم الرايس رجب على سفينة مارسيلية.

هذه الفاجعة الأليمة كانت سببا في إشعال فتيل حرب بين الطرفين فاقت ثماني سنوات (1029-1037هـ/ 1620-1628م)، حيث ركز رياس الجزائر ضرباتهم على الساحل الجنوبي لفرنسا، وكبدوهم خسائر معتبرة، بلغت حسب ما أورده القنصل الفرنسي في إحدى رسائله إلى حكام مدينة مارسيليا، بعد أربعة أشهر خلت على مجزرة

---

[1] ومن أهم البنود التي نصت عليها المعاهدة ما يلي:

أ-تتوقف مختلف عمليات القرصنة والتعديات، ولا يتعرض قراصنةُ الجزائر إلى سفن ومراكب فرنسا في الغرب،كما لا تتعرض إلى التجارِ الآخرين الذين يبحرون تحت الراية الفرنسية، ولا يسمح بتفتيشهم، أو بالاستيلاء على بضائعهم حتى ولو كانت ملكاً لأعداءِ الدولة العثمانية.

ب- لا يسمح لقراصنة دولٍ ومملكات أخرى أن يأتوا إلى مدينة الجزائر بأي فرنسي، وإذ حدث أنه جيء به يطلق سراحه على الفور مع إرجاع سفينته وأمتعته.

ج-لا يسمح جلالةُ الملك إطلاقاً بتسليح أية سفينة، بموانئ مملكته وثغورِها لمطاردة الجزائريين.

د-يتم إطلاق سراح جلِّ الفرنسيين من أي منطقة كانوا، وكلِّ الذين قُبِض عليهم تحت راية فرنسا. كما يتم إطلاق سراحِ جلِّ أسرى مملكة الجزائر بفرنسا، **ينظر**: عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص ص 44-45/ للاطلاع أكثر على نص المعاهدة، يُنظر: علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص 36- 38.

[2] وحسب الرسالة التي وجهها ديوان الجزائر إلى السادة القناصل وحكام مدينة مرسيليا في 25أفريل1623م، جاء فيها أن عدد الشهداء الذين استشهدوا في هذه المجزرة هم 61(سنان آغا وستون مسلما)، للمزيد **ينظر**: جمال قنان: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500-1830)**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،1987، ص ص69-70.

(1029هـ/1620م) فقط ما يزيد عن1000أسير، أما قيمة الغنائم فبلغت400 ألف، وجميع المراسلات الواردة في تلك الفترة تشتكي من انتصارات رياس الجزائر[1].

ويذكر المؤرخون أن سنة(1029هـ/1620م) كانت سنة استثنائية، إذ أن الرياس استولوا خلالها على 125سفينة، وخلال سنة (1029هـ/1620م)، في ظرف شهرين استولى رياس الجزائر على 10 سفن فرنسية بلغت قيمتها 205 ألف أوقية، وفي 6 أشهر أخرى أخذوا 21 سفينة فرنسية وجيء بها إلى الجزائر مع العلم أن هناك سفنا أخرى وجهت إلى تطوان. وفي (رجب 1030هـ/ ماي 1621م) قدر مجموع الغنائم الفرنسية، التي استولى عليها الرياس ب 800 ألف أوقية، وكان عدد الأسرى الفرنسيين 500 شخص مع العلم أن البحرية الجزائرية تكبدت خسائر كبيرة جراء هجمات الإنجليز والفرنسيين[2].

أما عائدات الجهاد البحري الجزائري فقد بلغت ما بين (1029-1039هـ /1620-1630م) رقما قياسيا، إذ فاقت ما معدله 350 ألف قرش سنويا[3].

ثانيا- الحملات الفرنسية على الجزائر خلال القرن (11هـ/17م):

1/الحملات الفرنسية على الجزائر بين سنتي(1047هـ/1637م) و(1050هـ /1641م):

أ- القائد دي مانتيي (De Montmeillan) يقود حملة على الجزائر سنة(1047هـ/ 1637م) :

لم تستطع حكومة لويس 13 تحمل الخسائر التي لحقتها جراء العمليات التي قام بها رياس الجزائر، فسعى ريشيليو لإبرام معاهدة انتدب لها سانسون نابولون والذي استطاع

[1] Eugene Plantet :**Les correspondances des deys d'Alger avec la cour de France**,T1 , pp7-12.

عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص ص45-48.

[2] المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص 316.

[3] Michel Fontenay: **La place de la course dans l'économie portuaire**, l'exemple de Malte -et des ports barbaresques, In. A. E. S. C, N6, 1988, pp 1321-1347.

نقلا عن الشيخ لكحل: **المرجع السابق**، ص 69.

إكمال مهمته بعد جهد جهيد، والتي توجت بعقد معاهدة سلام في(21 محرم1038هـ/19 سبتمبر1628م)[1].

إلا أن فرنسا كانت أول من نقض هذه المعاهدة رغم ما بذلته من مساعي لأجلها، بسبب حقد بعض تجار مارسيليا على نابلون ، والذين قاموا بالاعتداء على3 سفن جزائرية وأسروا ركابها، فرد رياس الجزائر بقوة، حيث وصلت قيمة الغنائم بين سنتي (1038-1044هـ/ 1628-1634م) 80سفينة، و4752000جنيه، وأسروا 1331 شخص[2].

وفي (جمادى الثانية1047هـ/نوفمبر1637م) كلف القائد دي مانتيي بالتوجه نحو مدينة الجزائر، وكان على رأس قوة بحرية مكونة من13 سفينة، لكنه عجز عن النزول في رأس ماتيفو (برج البحري حاليا)، وأرغم على الرحيل واعترض في طريقه بعض المراكب الجزائرية فأسر منها وأعطب البعض الآخر، فكان الرد الجزائري هو اعتقال القنصل وتخريب الرايس علي بتشين للمراكز الفرنسية، وأسر 317شخصا كانوا فيها[3]. واستمر هذا الأخير في عملياته ضد السفن الفرنسية، فحسب مراسلة إلى حكام مارسيليا بتاريخ (12 شوال 1049هـ/ 4 فيفري 1640م)، جاء فيها أنه في سنة (1048هـ/1639م)، تم غنم سفينة مارسيلية فرنسية، وسفنا أخرى كانت قيمة إحداها 56ألف قرش وبارجة من سان مالو بحمولتها من القطع النقدية، والسبائك الفضية، وغيرها من البضائع ما قدر بنصف مليون قرش[4].

إلا أن النكبة التي أصابت الأسطول الجزائري في فالونا(Valona) ، والظروف التي كانت تعيشها الجزائر إثر تمرد قبائل زواوة، دفعت الديوان إلى الموافقة على قبول الصلح في سنة(1049هـ/ 1640م) والذي سعى إليه أحد الخواص من أصحاب المصالح التجارية

---

[1] عائشة غطاس: **العلاقات...، المرجع السابق**، ص ص51- 52، ولمعرفة المزيد عن هذه المعاهدة ينظر: علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص 39-41.

[2] الشيخ لكحل: **المرجع السابق**، ص87.

[3] يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر...، المرجع السابق**، ص72.

[4] De Grammont: **relation..., op.cit,** p441./ جميلة ثابت: **المرجع السابق**، ص 75.

وتم إبرام معاهدتين الأولى خاصة بإبرام السلم، والثانية تخص المؤسسات التجارية الفرنسية[4].

ب- القائد دي مانتيي يعاود الكرة سنتي(1049-1050هـ/ 1640-1641م) :

رفضت فرنسا التوقيع على هذه المعاهدة، وأمر ريشيليو قائده دي مانتيي في(جمادى الثانية 1050هـ/أكتوبر1640م) بتسيير حملة ضد الجزائر، وضرورة تغيير بنود المعاهدة السياسية، ولو كلفه ذلك استعمال القوة [1]، لكنه ولى خائبا، وجددت فرنسا الكرة في العام الموالي فأرسلت أسطولها البحري في صيف(1051هـ/ 1641م)، إلا أنه لقي نفس المصير، لأن الجزائر لم تتنازل عن موقفها[2].

فكان بديهيا أن الحرب بين البلدين لن تضع أوزارها وإن لم تكن معلنة بصفة رسمية، وحقق خلالها رياس الجزائر انتصارات كبيرة وغنموا ما قيمته أربعة ملايين، وبقيت فرنسا مكتوفة الأيدي لا تستطيع تحريك ساكن بسبب انشغالها بمشاكلها مع أوربا خاصة إسبانيا، ولم يعد في صالحها الرد على العمليات الجهادية للبحرية الجزائرية [3].

2/ الحملات الفرنسية على الجزائر بين سنتي(1070-1073هـ/1660-1663م):

بمجرد توطيد لويس الرابع عشر مركزه، وتحكمه في زمام أمور فرنسا، غدت سياسته تجاه إيالة الجزائر تهدف إلى محاولة القضاء عليها وتحطيمها عن طريق الحملات البحرية، والتدخل المسلح، فقد استحث فرسان مالطة الذين كان أغلبيتهم من الفرنسيين على مهاجمة ما أسماهم" القراصنة البربريون"، وعلى إثر الخسائر التي تكبدها رياس البحر قرب سواحل فرنسا وإسبانيا، أضحت السفن الجزائرية تتفادى الخروج إلى البحر منفردة وبحلول

---

[1] جون وولف: **المرجع السابق**، ص ص291-292.

حول نص المعاهدة **ينظر** : De Card**: op.cit**, pp 22-26./De La Primaudaie: **Le commerce …,op.cit,** pp20-22.

[2] وللتعرف أكثر عن هذه القضية **ينظر**:

Eugene Plante: **Les correspondances des deys d’Alger…,**T1, pp47-48.

[2] De Grammont: **histoire…, op.cit**, p191.

[3] عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص61.

صيف(1070هـ/1660م)، حاول الفارس بول(Paul)[1] مباغتة ميناء الجزائر وإضرام النار في السفن الراسية فيه، لكن رياس البحر كانوا على علم مسبق بنواياه فاتخذوا احتياطاتهم، وخابت مساعي الفارس بول في تحقيق مبتغى سيده[2].

صعّد البحارة الفرنسيون المنتسبون لفرسان مالطة من عملياتهم القرصانية ضد سواحل الجزائر، فقد قام الفارس دي فالابل (le chevalier de Valabelle) بمهاجمة السواحل، وتمكن من أسر حوالي 500 شخص، أما الكونت دي فيرو(De Verue)فقد تمكن من أسر سفينة كانت تقل بعضا من وجهاء مدينة الجزائر[3].

كانت ردة فعل رياس الجزائر شديدة على انتهاكات الفرنسيين لبلدهم، فقادوا عملياتهم ضد جزر هيير Hyéres قرب طولون بأسطول يضم 18 سفينة، وقام بعمليات إنزال متعددة بالقرب من مرسيليا [4]، وضد السفن الفرنسية، وتمكنوا في فترة لا تتجاوز 7 أشهر (من محرم1071هـ/أكتوبر1660م إلى شعبان 1071هـ/أفريل1661م) من غَنم ما قيمته مليونين من البضائع وحوالي 30 سفينة، وغنموا الكثير من الأسرى الذين تجاوز عددهم 500 أسير [5].

وفي ربيع (1074هـ/1663م) قام الفارس بول بالاستيلاء على عدد من السفن بالقرب من السواحل الجزائرية، إلا أنه كان يجب عليه الإنزال ليلا، ومحاولة احتلال القل، إلا أن هذه العملية باءت بالفشل بسبب تفطن الأهالي والحامية العثمانية لها، بعدها قام بول

---

[1] **الفارس بول**: أدت انتصاراته العديدة على رياس البحر المغاربة بريشيليو إلى ضمه للبحرية الفرنسية سنة 1638م، تحصل على منصب ضابط في البحرية سنة 1644م، ثم رئيسا للأسطول سنة 1649م، عين نائب أميرال بحار الشرق 1654م، وكلف بقيادة حملة ضد المغاربة سنة 1660م.وللاستزادة حول هذا الموضوع، **ينظر**:

- Eugene Plantet**: Correspondances des beys de Tunis et des consuls de France avec la cour (1577-1830)** ،T1 , Félix alcon éditeur,Paris,1899, p15.

[2] Charle Roux : **France et Afrique du Nord avant 1830, Les précurseurs de la conquête**, T.1,Lirairie Felix Alcan, Paris, 1932, pp142-143

/ شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص103.

[3] De Grammont: **relation…, op.cit**, p 292 .

[4] Belhamissi : **Histoire de la marine d'Alger..., op.cit**, p146.

[5] Charle Roux**: op.cit**, p143.

بضم سفنه إلى أسطول الدوق دوبوفور، وحاولا عبثا في شهر أوت مباغتة ميناء الجزائر، وإحراق سفنه، فتكللت محاولتهما بالفشل لانكشاف أمرهما [1].

أرادت فرنسا احتلال موقع على السواحل الشرقية للجزائر حتى تتخذه نقطة انطلاق لأي عمل عسكري في المنطقة فكلفت في خريف(1072هـ/1661م) بهذه المهمة جاسوسها دي كليرفيل (De Clerville)، وفي(6 ذي القعدة1072هـ/ 22 جوان 1662م) وقع اختياره على منطقة سطورة لإنزال القوات الفرنسية، وإقامة مستعمرة دائمة على الساحل الجزائري[2]، إلا أن قرار المجلس الملكي فضل جيجل بدلا عنها متبعا رأي دوبوفور[3].

ب- أول محاولة فرنسية لاحتلال الجزائر"حملة الدوق دو بوفور [4] (De Beaufort)، على جيجل(1074هـ/1664م)":

بعد الانتهاء من الاستعدادات اللازمة، انطلقت الحملة من ميناء طولون في(ذي الحجة 1074هـ/جويلية 1664م) بقيادة "الدوق دوبوفور"(Duc De Beaufort)، والتي تشكلت من أسطول مكون من 63 سفينة مختلفة الأحجام والأشكال عليها 4650 جندي من القوات البرية مدعمة بقوات بحرية بلغ عددها 800 جندي، فضلا عن انضمام قوات أجنبية أخرى منها، فرقة من مالطة تضم 150 شخصا وأخرى انجليزية وثالثة هولندية ومئات المتطوعين[5]، وقدر بعضهم العدد الإجمالي للحملة ب 7000 جندي[1].

---

[1] Grammont**: relation…, op.cit**, p 294.

[2] De Grammont :**Relations entre la France et la régence d'Alger au XVII siècle**, Quatrième partie, Alger,1885, p41.

[3] Charle Roux**:op.cit**, p15. شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص104/

[4] **الدوق دو بوفور**: هو فرانسوا دو فوندوم، وهو الابن الثاني لسيزار دو فوندوم حفيد هنري الرابع، ولد في باريس سنة 1616م، وقد حمل لقب الدوق دوبوفور سنة 1636م. **ينظر**:

- Michaud et autres **: Biographie universelle ancienne et modeme ou histoire par order, C. L. G.Desplaces** - éditeur, Paris, 1854, T8, p563.

[5]Watbled Ernest: **L'expédition du duc de Beaufort contre Djidjelli en 1664**, R.A, N 1873, pp218-219 . /

شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص104.

وصلت الحملة في(29ذي الحجة 1074هـ/22جويلية1664م) إلى جيجل، حيث تمكن الجيش الفرنسي من الاستحواذ على المدينة بعد تصدي الأهالي والحامية العثمانية له، غير أنهم عجزوا عن الوقوف في وجهه بسبب اعتماده على مدفعية أسطوله، بعد أن خاضوا معركة دامية كلفت الجانب الفرنسي 400 شخص فغادروها والتجأوا إلى البوادي، وحتى يضفي الجيش الغازي على حملته صبغة صليبية، أقام الصليب ورفع العلم الفرنسي فوق محراب المسجد، وعسكر الجنود الفرنسيون في السهل الضيق الواقع بين البلدة والتلال المحيطة بها، إلا أن الأهالي لم يتوقفوا عن مناوشاتهم في انتظار الدعم من علي آغا[(2)]، وكانوا يغيرون على مواقعهم الأمامية من حين لآخر[(3)].

رغم الظروف الصعبة التي كانت تجتازها الجزائر وما امتازت به فترة الآغوات من فوضى واضطرابات، استطاع الآغا علي أن يجهز حملة تعدادها 3000 انكشاري و500 صبايحي لتحرير جيجل، وانضمت له في طريقه القبائل الثائرة ضده بنية الجهاد، حتى صار تعداد الجيش من 10إلى 12 ألف مجاهد، بعدما التحقت به قوات باي قسنطينة [(4)].

تصدت هذه الحملة للفرنسيين، واستطاعت أن تهزمهم وتردهم على أعقابهم، فمنيوا بخسائر في الأرواح والعتاد وذلك في (ربيع الثاني 1075هـ/نوفمبر1664م)، خاصة بعد تلقيها لتعزيزات ومدافع ذات عيار كبير، ومدى طويل، وصلت من مدينة الجزائر إلى بجاية بحرا، ثم تم إيصالها برا إلى الحملة المرابطة بجيجل، حيث تسنى لهم دك الحصون والخنادق والخطوط الدفاعية التي أقامها المحتلون في ظرف يوم واحد، فلم يستطع المحتلون الفرنسيون الرد على مجاهدي الجزائر رغم الإمدادات التي وصلتهم من فرنسا يوم 22 جويلية، ولاذوا

[(1)] Monchicourt : **L'expédition, op.cit**, p48.

عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص275.

[(2)] **علي آغا**: تولى حكم الجزائر مدة سنتين من(1073هـ/1663م) إلى غاية(1075هـ/1665م)، واستخلف موسى آغا عند خروجه، لمحاربة الفرنسيين في جيجل، **ينظر** عبد الرزاق بن حمادوش: **المرجع السابق**، ص226.

[(3)] Watbled Ernest: **L'expédition,…op.cit**, pp 221.

[(4)] De Castellen : « **Relation contenant diverses particularitez de L'expédition de Gigery**,in Recueil historique contenant diverses pièces curieuses de ce temps Christopher van Dtck, Cologne,1666, pp27-28. **نقلا عن** أمين محرز: **المرجع السابق**، ص115

بالفرار بعد أن مكثوا بالمدينة حوالي 3 أشهر، تاركين وراءهم1400قتيل، وحوالي 600 أسير، وكل مدفعيتهم ومعداتهم ومؤنهم، وسيقت هذه الغنائم إلى مدينة الجزائر (أواخر شهر ربيع الثاني1075هـ/نوفمبر 1664م)[1].

وشهد شاهد من أهلها، الذي يُدعى لوقران (أحد الأسرى الفرنسيين المقيمين بمدينة الجزائر) حيث يصف وصول هذه الغنائم إلى مدينة الجزائر فيقول:" ... كنت أحس بالعار وبالذل بسبب سقوط جيجري (جيجل) الذي لم أود تصديقه إلا عندما ألقيت نظرة إلى البحر ورأيت الأجفان العائدة وعلى متنها 80 فرنسيا أو أكثر، و14 قطعة مدفع إلى جانب غنائم كثيرة من بينها ملازم من الكتائب الملكية الذي وقع أسيرا هناك، لقد وصلت في هذا اليوم ثلاثة سفن تحمل عددا من الأسرى مماثلا للذي حملته الأجفان ... كما نقلت المدافع التي هي في مجموعها تتكون من 48 قطعة...، كما حملت كمية كبيرة من قطع المنجنيق وكمية هائلة من الذخيرة والقذائف..."[2].

وقد أورد الأسير لوقران أنهم أعدموا شخصا يدعى قارة شريف لمجرد أنه أبدى استسلامه، وكان رأيه باستحالة مجابهة الفرنسيين، ويضيف لوقران أيضا أن الأسرى الفرنسيين كانوا مفتخرين عند تمكن بني جلدتهم من جيجل، وبعد طردهم منها، غدوا لا يرفعون أعينهم، لأن الأطفال يقذفونهم بالحجارة والرجال والنساء يهددونهم بعبارة "إياكم وجيجري، فإن الرؤوس تقطع هناك بالمناجل..."[3].

أثارت هذه الهزيمة غضب الملك الفرنسي، الذي طالب بالتفسيرات والتوضيحات حول أسباب الانسحاب دون أمر منه، فقد جاء في رسالة نصها كما يلي: "إن الملك يريد التعرف على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى انسحاب قواته بدون أمر منه والتي وجهت لاحتلال ميناء جيجل حتى يتسنى له الضغط على قراصنة بلاد المغرب الذين يتسببون في

---

[1] Watbled Ernest**: L'expédition…,op.cit**, pp226-229. /

شارل فيرو: **المرجع السابق**، صص111- 126.

[2] نقلا عن جمال قنان: **نصوص وثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830م)**، **المرجع السابق**، ص ص103-104.

[3] نفسه، ص105.

تخريب تجارة رعاياه.[1]، وحرس على التقليل من قيمة الهزيمة، التي ألمت بجيشه وبلاده أمام الرأي العام الأوربي، فأمر قائده "دوبوفور" بالخروج على رأس أسطوله خلال الشتاء، رغم أن الموسم غير مناسب للإبحار، حتى يظهر بمظهر القوة أمام حلفائه وأعدائه، ويقلل من وقع الهزيمة، وأنها لم تؤثر في قواته تأثيرا كبيرا، كما أمره بإبقاء بعض السفن ظاهرة للعيان أمام مدينة الجزائر، "لكي لا يشعر الجزائري وكأنهم حققو نصرا كبيرا[2].

ولتغطية الفشل ومحو آثار هزيمة جيجل، تم في السنة الموالية قصف ميناء الجزائر في يومي 2 و27 ماي، إلا أنه لم يتضرر كثيرا، وفي 14 جويلية أغار "دوبوفور" على سفن جزائرية كانت راسية في حلق الوادي، وتمكن من حرق ثلاثة سفن، ثم في 24 أوت أغار على سفن راسية في ميناء شرشال، وتمكن من إحراق اثنتين والاستيلاء على ثلاثة أخرى[3].

كما أن رياس الجزائر ألحقوا خسائر معتبرة بالسفن التجارية الفرنسية، وعقدوا تحالفا مع قباطنة السفن الإنكليزية ضد الفرنسيين مما مكنهم من الاستيلاء على أربعة سفن كبرى، بحيث كانت السفن والأسرى من نصيب الجزائريين، أما الحمولة وباقي المعدات فمن نصيب الإنكليز [4]، وسنة بعد ذلك تمّت تصفية الخلافات بين البلدين، بإبرام معاهدة (14ذو القعدة1076هـ/17ماي 1666م)[5]، والتي حاول الملك الفرنسي بعدها التقرب من الجزائر، للمحافظة على السلم معها، بسبب انشغاله بحروب أوربا، لكن بمجرد اعتلاء الدايات حكم الجزائر سنة(1082هـ/1671م) شُدّدت اللهجة، وتم تحذير فرنسا بالقطيعة

---

[1] عائشة غطاس: **العلاقات...**، **المرجع السابق**، ص77.

[2] جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص ص 77-78.

[3] De Grammont: **Relations entre la France, op.cit**, p298.

[4] Gonzales, A:**Voyage en Egypt du Pere Antonius Gonzales 1665-1666**, trad. Du néérlandais, présenté et annoté par Ch. Libois. S.J. 1er vol, Publications de l'Institut Français d'archéologie orientale, Paris, 1977, p 261. **نقلا عن** أمين محرز: **المرجع السابق**، ص117/ .

[5] وللاطلاع على بنود هذه المعاهدة **ينظر** علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص49-51.

في حال عدم احترامها بنود المعاهدة التي وضعتها لإقامة السلام، وفق الرسالة التي جاء نصها كما يلي:" إن وسيلة تدعيم السلام بين بلدينا هي أن تمنعوا رعاياكم من استقبال أكثر من ثلاثة مسيحيين من أعدائنا على متن سفنكم...وألا يبحر رعاياكم في سفن أعدائنا... إن هذا سيكون سببا في القطيعة...كما أننا لن نسمح لكم بحجز رعايانا الذين يفرون من جنوه وليفورنة وإسبانيا وأماكن أخرى عندما يلتجؤون إلى مملكتكم بناء على السلام القائم بيننا..."[1].

إلا أن الفرنسيين لم يحترموا الاتفاق المبرم بين الدولتين فاضطر الرياس لمعاملتهم بالمثل، واحتجزوا الفرنسيين المتواجدين على متن سفن أعدائهم، كما أن الفرنسيين كانوا قد احتجزوا الجزائريين الفارين من إسبانيا وغيرها سنة(1090هـ/1679م)، مما كان سببا في إعلان الجزائر الحرب على فرنسا، حيث عمل الرياس على تكثيف عملياتهم ضد السفن الفرنسية، وغنموا 20 سفينة و400 أسير، أما قيمة البضائع فقدرت ب200 ألف[2].

3/حملات الأميرال دوكين على الجزائر(1093-1094هـ/1682-1683م):

أ- دوكين يستهدف شرشال ويقصف مدينة الجزائر (1093هـ/ 1682م):

كان رد الفعل الفرنسي على التدخلات المتكررة ضد سفنها هو توجيه حملة عسكرية على الجزائر، وقد تحصلنا على تفاصيل هذا الحادث من قبل صاحب الزهرة النيرة الذي أورد ما يلي:" وفي سنة (1093هـ/1682م) ثلاث وتسعين وألفا(1093هـ/1682م) في إمارة "بابا حسن"[3] وفي أول شهر رجب قدمت عشرة أجفان كبار، وخمسة عشر غربة من الفرنسيس إلى الجزائر على طريق محاصرتها، ورسوا تجاه الجزائر، بعد أيام قدمت العمارة الكبيرة، وهي خمسة عشر جفنا كبارا، وخمسة عشر غربة، وخمسة متاع الحويلار متاع

---

[1] Plantet: **op.cit**, pp71-72./ D'Arvieux: **op.cit**, t5, pp104-105.

[2] غطاس غطاس: **المرجع السابق**، ص ص82-83.

[3] **بابا حسن**: حسن شاوش، وهو أول من تسمى "بابا" نفي إلى طرابلس سنة 1094هـ/ 1682م، حيث مكث بها عدة سنين لإلى أن تقدم به العمر وأصابه الشلل، وعند ذلك حملوه إلى الجزائر، وأقعدوه في دار كان يملكها، فمكث بها حتى وفاته ودفن بجوار صهره التريكي. / ابن المفتي حسين بن رجب شاوش: **تقييدات** ...، **المرجع السابق**، ص ص 55-56.

البومبة[1]، فأول ما بدأ اللعين بالحرب، مشى بسفائنه وغربته إلى مدينة شرشال، وحاربهم وقابل اللعين شرشال بالمدافع بقدر طاقتهم، فلم يصل اللعين إلى طائل من أهل شرشال، ولم يمت...ولو نفسا واحدة، ومات من الملاعين أكثر من ألفي فارس" [2].

من خلال هذا القول نستنتج أن مدينة الجزائر لم تكن مستهدفة في بداية الحملة، والدليل على ذلك الهجوم الذي تعرضت له مدينة شرشال التي لم تتكبد خسائر خطيرة مقارنة بما سببته للعدو من مقتل ألفي شخص حسب ما أورده التلمساني، إلا أن الملفت للنظر أننا لم نجد في الوثائق والمصادر التي بحوزتنا سبب استهداف شرشال أولا.

ويضيف التلمساني في روايته ما مرده أن :"..في أثناء ذلك عمروا من أهل الجزائر غليوطة، وبعثوها إلى السفن ففي أربعة أيام جاءت بغنيمة شيطية، فيها خمسون كافرا وفيها كاتب القوم و(آلة الحرب)، وخاصة ملكهم، فبذلك حصل للمسلمين فرح عظيم وللملاعين خلاف ذلك.."[3].

نستنتج مما سبق، أن هدفهم التالي كان مدينة الجزائر، إلا أنهم كانوا يتحينون الفرصة للهجوم عليها.

ثم يستكمل التلمساني روايته: "..ومكث الملاعين على تلك الحالة إلى الليلة الثالثة من شعبان، فعند نصف الليل قربوا الحويلار إلى الجزائر، ورموا قدر 150 بومبة، كل بومبة في الثقل قنطار واحد[1]، وهدموا بها قدر مائتي دار، وسقطت منها بومبة واحدة في الجامع

---

[1] هذا يعني أن مجموع السفن التي تشكل منها الأسطول الفرنسي 60 سفينة مختلفة الأشكال والأحجام، حسب ما أوره التلمساني.

[2] محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية التلمساني: **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، نشر وتعل. خير الدين سعيدي الجزائري، **أوراق ثقافية**، الجزائر، ط1،2017م، ص ص 127-128.

[3] شيطية: ورد في النسخة(س) شهطية والصحيح شطية، ويقصد بها السفينة التي تستعمل بالقرب من الشاطئ. / التلمساني: **المرجع السابق**، ص 128.

[1] اصطحبت السفن الفرنسية معها مدافع الهاون، وهو تقنية جديدة أدخلها في تلك الفترة مهندس الصناعة الحربية المدعو "دليكا غاري"، وميزة هذا المدفع أنه يطلق قذيفة ضخمة من المتفجرات على مسافة تقدر ب1350م، من المفترض أن تحطم كل بناية تكون في واجهة المتفجرات. ينظر جون وولف: **المرجع السابق**، ص 343.

الجديد، وأخرى في الجامع الكبير، واستشهد من المسلمين قدر 20 نفسا، وبعد ليلتين من ليلة الجمعة، قربوا الحويلار أيضا، ورموا ثمانية وسبعين بومبة[1]، ولم يصل للمدينة غير ثلاث بومبات، وانهدمت بها حانوت واحد، ودار واحدة وحمام، وبعد هذه الليلة قربوا لها مرارا، فلم يصل منها شيء إلى الجزائر، فعند ذلك رجع الملاعين إلى بلادهم خائبين خاسرين، ومات من الملاعين خلق كثير خصوصا من المرضى.."[2].

ومما ورد نستنتج أن المجاهدين الجزائريين تمكنوا من التصدي لهذه الحملة، بل وألحقوا بهم هزائم معتبرة، واضطروهم للانسحاب مذلولين مقهورين.

ب- دوكين يقصف مدينة الجزائر[3] للمرة الثانية (4شعبان 1094هـ/ 28 جويلية 1683م):

لم يستسلم الملك لويس14 للهزيمة التي مني بها على أسوار مدينة الجزائر، فأمر قائده دوكين بمعاودة الكرة سنة بعد ذلك، لكنه جاء يطلب الصلح هذه المرة، إلا ان الداي بابا حسن رفض مصالحته، وهذاما أورده التلمساني في قوله: "وفي سنة أربع وتسعين وألف (1094هـ/1683م) في إمارة بابا حسن في أواسط صفر الخير، أتت ثلاث جفان صغار متاع الفرانسيس، وطلبوا الصلح من أهل الجزائر وبابا حسن المذكور لم يمل إلى الصلح قطعا، وامتنع امتناعا كليا". وعندما لم تفده الطرق الديبلوماسية، قرر إعلان الحرب على الجزائر مرة أخرى، وعاد إليها بعد ثلاثة أشهر من مجيئه لطلب الصلح على رأس حملة ضخمة، حدد عددها التلمساني قائلا ما مفاده: "جاءت ست سفن كبار من سفائنهم تدور تجاه الجزائر

---

(1) وأورد دولفان: أن عددها 300 قنبلة، **ينظر**:
Delphin **: Histoire des Pachas d'Alger**, journal Asiatique, 1922, p 211.
نقلا عن عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص87

(2) جمال قنان :**نصوص ووثائق...** ، **المرجع السابق**، ص116.

(3) أوردت الدكتورة غطاس- رحمة الله عليها- أن فرنسا أرادت أن تظهر للرأي العام الأوروبي أن حملة دوكين ضد مدينة الجزائر حلقة من حلقات مناهضة الإسلام، مزجت الصحافة الفرنسية أخبار حصار فينا بأخبار حملة دوكين، وكأن المعركة واحدة بل وكأنها نتائج نفس المعركة، ينظر عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص87.

قدر عشرين يوما، فعند ذلك أتت عمارتهم الكبيرة، وصارت الجملة ستين جفنا بين صغار وكبار، ثلاثون غربة وسبعة من الحويلار متاع البومبا"[1].

ولما وصل الماركيز دوكين قبالة مدينة الجزائر أنذر الداي بابا حسن بالإفراج عن جميع الأسرى الفرنسيين والأوربيين، وكان ذلك يوم(13جمادى الآخر1094هـ/8جوان 1683م)، فلم يجبه الداي[2]، فشرع في قصف المدينة، ودونت أحداث هذا القصف على قلم التلمساني كما يلي :"ففي الليلة الأولى من رجب الفرد رموا قدر ستين بومبة، وفي الليلة الثانية منه رموا إلى البلد وإلى المرسى قدر مائة وعشرين بومبة، وفي هاتين الليلتين لم يمت أحد من المسلمين بالبومبة، وبمدافع الأبراج مات كثير من النصارى، وسقط في الليلة الثانية بومبتان في دار الحاكم "بابا حسن" التي في باب الجزيرة وانهدمت بها عرصتان مذهبتان في تلك الدار، فعند ذلك دخل الخوف في قلب بابا حسن"[3].

خلف هذا الهجوم خسائر في الأرواح والممتلكات وفزع في نفوس الأهالي وأعقبتها اضطرابات خطيرة، جعلت الأهالي يلجؤون إلى الحاكم مطالبين بتسوية الأوضاع، فتنازل بابا حسن عن رفضه لأي تفاوض وحاول التفاوض مع فرنسا لكنه لقي معارضة من المرابطين وقناصل الدول الأوروبية وعرضوا عليه تقديم المساعدة للتصدي لفرنسا [4]. لكن الداي بابا حسن تعصب لرأيه، وقرر التفاوض مع دوكين، الذي اغتنم هذ الأخير الفرصة وشرع في فرض شروط مجحفة على الداي "بابا حسن"، وفق قوله: ".. لكن أصالح معكم إذا أعطيتموني جميع ما عندكم من أسارى الفرنسيس ومصروف العمارة وهي 300 ريال متاع الميزان، وقبلتم جميع ما اشترط عليكم، وكان عدد أسرى الفرنسيس الذين في الجزائر 550

---

[1] التلمساني: **المرجع السابق**، ص 129. / جمال قنان: **نصوص ووثائق.... المرجع السابق**، ص116. أما عائشة غطاس فأوردت أن تعداد الحملة كان 21عمارة حربية، وفيلق يضم 4 آلاف جندي، ينظر غطاس: **العلاقات...، المرجع السابق**، ص87.

[2] Plantet : **op.cit**, p84. /
يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية...، المرجع السابق**، ص85.

[3] التلمساني: **المرجع السابق**، ص 130. / جمال قنان: **نصوص ووثائق....، المرجع السابق**، ص116.

[4] Lacroix : Relation : **op.cit**, p164.
نقلا عن: عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص 88.

أسيرا[1] ، فأصلح "بابا حسن" مع الفرنسيس على هذا الشرط، فمن ساعتهم الملاعين رفعوا أسراهم على العجلة، والحال أنه لم يكن من أهل الجزائر راضيا بهذا الصلح غير هو بنفسه، وهذا الصلح الصادر منه وقع مخالفا لسيرته السابقة؛ لأنه كان رجلا شجاعا عاقلا منصفا، وكان محبوبا عند أهل الجزائر، وصار عندهم لو وجده أحدهم لقتله شر قتلة"[2].

وحسب ما أورده التلمساني، فإن جندا من الانكشارية تربصوا به واغتالوه عنوة، ونصبوا مكانه الرايس الشهير بالحاج "حسين ميزومورتو[3]، وفورا أعلن أن حكومته ليست مسؤولة عن قرارات لم تتخذها، فرفض الاستسلام لفرنسا وظل يجوب شوارع المدينة لتحفيز الأهالي وحثهم على التصدي لها، وأرسل لدوكين خطابا شديد اللهجة، ومن أهم ما جاء فيه ما يلي: "إن أردت الصلح معنا فأعطنا أسارى المسلمين الذين عندك، فأجاب اللعين بأنه لم يعط أحدا من أسارى المسلمين وإن أردتم الصلح معنا فأدوا إلينا الثلاثمائة ريال التي اشترطها عليكم"[4]، فكان رد الداي ميزومورتو هو رفض الصلح في حال عدم إرجاع الأسرى المسلمين، عندها شرع دوكين في قصف المدينة دون هوادة، ويصف هذه الأحداث التلمساني قائلا:".. وفي تلك الليلة رموا ثلاثمائة وخمسين بومبة، وبعد تلك الليلة صاروا يرمون ليلا ونهارا، ودام هذا الفعل – لعنهم الله–ثلاث وعشرون يوما، ورموا في تلك الأيام خمسة آلاف بومبة"[5].

وفي خضم تلك الأحداث فضح أمر القنصل الفرنسي لوفاشي بتجسسه على الجزائر لصالح أسطول بلاده باستخدام إشارات ذات دلالة كنشر غسيله بترتيب معين وقطع مميزة وألوان مختلفة تترجم للعدو معلومات سرية يستغلها في خطة الهجوم، فعوقب بربطه في

---

(1) يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية...**، **المرجع السابق**، ص85، أورد أن عددهم 570.

(2) التلمساني: **المرجع السابق**، ص 130. /جمال قنان: **نصوص ووثائق...**، **المرجع نفسه**، ص116-117.

(3) إلا أن بلانتي يورد في كتابه أن ميزومورتو قائد الرهائن الذين قدر عددهم ب 370 محتجز، وأنه استطاع إقناع دوكين بأنه في حال إطلاق سراحه فإنه مستعد لتحقيق الصلح خلال ساعة واحدة، **ينظر**
Plantet : **op.cit**,:note 2, p84.

(4) التلمساني: **المرجع السابق**، ص 131.

(5) نفسه، ص 132. / جمال قنان: **نصوص ووثائق...**، **المرجع السابق**، ص117.

فوهة المدفع[1]، وتم قذفه نحو الفرنسيين وتناثرت أشلاؤه في البحر، ولحق به عشرون أسيرا من أتباعه بنفس الطريقة فما كان لدوكين إلا أن انسحب أمام هذا التحدي بعدما باءت شروطه بالخذلان[2].

ورغم الوضع الصعب الذي أضحت فيه مدينة الجزائر، إلا أن الداي ميزومورتو وحكومته لم يطلبوا الصلح، وحسب ما أورده وولف، فإن القنصل الانكليزي ريكوت كتب إلى اللورد دارتماوث Dartmouth ما يلي: "...أنظر كم هي قليلة المبالاة التي أعطاها هؤلاء الناس إلى القنابل الفرنسية التي أحصي عددها فكان حوالي ستة آلاف، وأوفى المعلومات التي حصلت عليها تقدر عدد الدكاكين والمنازل، التي هدمت بثمانمائة.."[3]، لكن حسب رواية التلمساني أنه: "..انهدمت ثلاثمائة دار، ومات من المسلمين قدر أربعين نفسا"[4].

ضجرت فرنسا من تسخير إمكانياتها واستعمال أحدث الأسلحة في حرب رسمت نتائجها لنفسها لكن بدون جدوى تذكر فاضطرت إلى استبدال الأميرال " دوكين" بالأميرال "دوترفيل" الذي تمكن من إجراء مفاوضات دامت عدة أيام وحاز بمعاهدة الصلح بتاريخ (11جمادى الأولى1095هـ/ 25أفريل1684م) والتي تضمنت 29 بندا، ونصت على أن يكون السلام بين البلدين لمدة 100 سنة[1].

---

[1] يقول عنه وولف بأن المدفع القنصلي صنعه أحد البنادقة سنة 1572م، وكان مسار القذيفة يفوق4800م مع الدقة المتناهية. **ينظر** جون وولف: **المرجع السابق**، ص 345، والقطعة المدفعية عرفت فيما بعد من طرف الجزائريين بما سمي آنذاك ب"القنصلية"، وفي سنة 1830م، تم تحويلها إلى مدينة براست Brest الفرنسية أين أصبحت تزين ساحة الأسلحة عند مدخل الميناء، **ينظر**: Plantet : **op.cit**, note2, pp84-85.

[2] عبد الكريم شوقي: **المرجع السابق**، ص234.

[3] جون وولف: **المرجع السابق**، ص 346.

[4] التلمساني: **المرجع السابق**، ص 132. / جمال قنان: **نصوص ووثائق...**، **المرجع السابق**، ص117.

[1] وأهم البنود التي ركزت عليها المعاهدة: الاقلاع عن ممارسة القرصنة بين سفن الجزائر وسفن فرنسا، وحرية التجارة بين البلدين، وأيضا تحرير الأسرى من كلا الجانبين، وللتعرف أكثر على بنود هذه المعاهدة. ينظر: علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص 57-61./ De Card: **op.cit**, pp45-51.

4/ ديستري (D'Estrées) [1] يقود حملة على مدينة الجزائر (27شعبان1099هـ/26 يونيو1688م):

لم تنقضِ ثلاث سنوات على معاهدة السلم المئوي حتى تجدد النزاع ولجأ البلدان إلى الحرب، وقد تذرعت فرنسا لإعلان الحرب ضد الجزائر حين سماح الحكومة الجزائرية ببيع أحد بحارة مدينة سلا لغنيمة فرنسية، فقرر الملك مطاردة السفن الجزائرية حيثما وجدت[2].

ويتجلى هذا الخلاف في كونه بسيطا لا يوجب استعمال الأساليب الفتاكة، كما شهدت الجزائر في تلك الفترة العديد من تهديدات قادة الأساطيل الفرنسية، لتعطي مؤشرات لنقض معاهدة الصلح لعام(1095هـ/1684م)، منها مجيء الدوق مورتمارت le Dvuce Morte Mart على رأس مجموعة من السفن وقد حاول عبثا أن يستعمل التهديد لتطبيق معاهدة دوتورفيل السابقة التي زعم أن الرياس خرقوها، وطاردوا سفنا فرنسية في عرض البحر، ولكنه لم يحصل على نتيجة، ولم يستطع أسطول "دوبلانفيل "De Bainville الذي وجهته في صائفة(1097هـ/1686م) أن يؤثر على الحكومة الجزائرية وتلته محاولة أخرى بنفس الغرض باءت هي الأخرى بالفشل [1].

أما من الجانب الجزائري، فإن عدم تطبيق الفرنسيين لبنود المعاهدة، وبالأخص بند إطلاق سراح أسرى الجزائر الموثقين في السفن الفرنسية رغم المطالب المتكررة للداي ميزومورتو، هو الذي كان سببا في إعلان هذا الأخير الحرب عليهم في

---

[1] **جان كونت ديستري**: ابن فرانصوا أنيبال، ولد سنة 1624م قام بحملته الأولى سنة 1644م، رقي لمرتبة كولونيل في مقاطعة نافار سنة 1648م، نائب أميرال سنة 1668م، عين قائد للأسطول سنة 1669م، خلال الحرب مع المغاربة، تلقى منصب نائب أميرال سنة 1670م، شارك في حرب لويس14 مع هولندا، افتك جزيرة تاباكو (Tabago)حصل على رتبة الماريشال سنة 1681م، **ينظر**:

MNL Arage. A Burante et autres: **Biographie universelle ancienne et meieme ou dictionnaire critique de tous les hommes**, De celebreté Belge Bruxelles, 183-1817 ,T7 ,p128.

[2] Grand Chanp(P) : **Le Marechal destres devant Alger**, R.T, 1918, p288.

نقلا عن عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص92.

[1] يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية...**، **المرجع السابق**، ص99.

(شوال1098هـ/أوت1687م)، حينها شرع مجاهدو البحرية الجزائرية في مهاجمة السفن الفرنسية في عرض البحر [1].

وقد أبلغ القس مونتماسون Montmasson والقنصل الفرنسي بيول Piole الحكومة الفرنسية في(ربيع الثاني1095هـ/ أفريل 1684م)، أن الجزائر على وشك قطع علاقاتها مع فرنسا وإعلان الحرب، كما أن الجزائر عزمت على بناء قلعة بحرية قوية في ميناء رأس تامنتافوست، وقد اقترح تخريبها أو بالأحرى تدميرها قبل استكمال بنائها[2].

أصبحت فرنسا عاجزة عن التصدي لرياس الجزائر رغم جل الاحتياطات التي اتخذتها في ذلك السبيل، حيث جهزت عددا هائلا من السفن ووزعتها على مختلف النقاط التي يمر بها بحارة الجزائر[3].

لما وصل للداي ميزومورتو خبر أن الحكومة الفرنسية ألزمت السفن التجارية بالتسلح ووعدت أصحابها بمكافأة كل من يتمكن من إحضار سفينة جزائرية، قام بسجن القنصل الفرنسي و372 رعية فرنسية، كما تم نهب القنصلية الفرنسية، وبيعت 16 سفينة فرنسية كانت متواجدة في الميناء مع بحارتها[4].

بدأ التوتر بين البلدين بعد استيلاء رياس الجزائر سنة(1098هـ/1687م) على سفينة مشبوهة قرب سواحل مدينة الجزائر على متنها أسلحة من مالطا، تبين أنها تابعة للبندقية وتحمل جوازا فرنسيا اكتشف أن مهمتها هي التجسس على الأسطول الجزائري لمعرفة ما إذا كان سيتوجه إلى الشرق لمساعدة الأسطول العثماني في حربه ضد البندقية لغرض إعداد كمين له، وما زاد من الشكوك في فرنسا، هو عثور الرياس على جوازات سفر

---

[1] جون وولف: **المرجع السابق**، ص ص352-351.

[2]عبد الكريم شوقي: **المرجع السابق**، ص235.

[3] عائشة غطاس: **العلاقات...**،**المرجع السابق**، ص93

[4] De Grammont**: histoire…,op.cit**, p255.

فرنسية، أو شهادات إبحار مستخرجة من قناصلها في أيدي ربابنة السفن المعادية للجزائر وهو خرق صريح لاتفاق السلام الموقع عليه سنة (1095هـ/1684م) [(1)].

شرع الأميرال دوستري D'Estrées في شهر (جمادى الأولى1099هـ/ أفريل 1688هـ) في إعداد حملة عسكرية كبيرة ضد الجزائر، فكتب دوسول Dusault مدير الباستيون رسائل إلى الداي وديوانه يحذرهم ، ومن جملة ما كتبه" كيف تستطيع مدينة الجزائر الصمود أمام 25 ألف قنبلة، كل واحدة منها في حجم هائل لم يسبق له مثيل"، كما أمره بإرسال وفد إلى فرنسا قصد تسوية الأزمة مع لويس14، كما حذرهم من عواقب ما يشاع في فرنسا من أن الجزائريين يقذفون الأسرى الفرنسيين من فوهات المدافع، وأكد لهم بأن فرنسا ستعمل مثل ذلك بالجزائريين، كما حذر آغا عنابة وباي قسنطينة من عواقب امتناعهم عن شحن الحبوب التي اشتراها شركاؤه[(2)].

إلا أن هذه المراسلات لقيت ردا عنيفا من الداي وديوانه، تضمنته رسالة بعث بها يعبرون فيها عن عدم رضاهم لتدخل ديسول في أمور السياسة، حيث جاء فيها: "نريد أن نعرف بأي حق، وماهي الجهة التي أوكلتكم لإسداء النصح نفسه في أمور الدولة..يكفي أننا عرفناكم من وقت طويل، بأنكم أهل لتعكير الأمور وتعقيدها، وليس لتسهيلها وحلها.."[(3)].

ولما وصلت الأخبار لداي الجزائر عن طريق عيونه في الموانئ والمدن الفرنسية، بحجم وقوة الاستعدادات التي تقوم بها فرنسا لتجهيز حملة دوستري في ميناء طولون، حتى باشروا في تقوية تحصينات ومدفعية الميناء والأبراج والسواحل، وتزويدها بالذخيرة والبارود، وقاموا

[(1)] عبد الكريم شوقي: **المرجع السابق**،ص236. / جمال قنان: **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619–1830)**، **المرجع السابق**، ص ص11–112.

[(2)] Plantet:**op.cit**, pp148-155./ عبد الكريم شوقي: **المرجع السابق**، ص ص 236–237.

/ يحي بوعزيز:**علاقات الجزائر الخارجية...**، **المرجع السابق**،ص 88.

[(3)]عبد الكريم شوقي: **المرجع السابق**، ص237 ./يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية...**، **المرجع السابق**، ص 89./

-Plantet :**op.cit** , pp-156-157.

برفع الحصار الذي ضربوه على مدينة وهران وكان القصد منه هو تحريرها من الإسبان الذين كانوا دائمي الإغارة على القبائل المجاورة للمدينة، أو للزحف على تلمسان ومحاولة نهبها، فعادت تلك القوات مسرعة إلى مدينة الجزائر للمشاركة في التصدي للحملة الفرنسية[1].

ومع حلول شهر (رمضان1099هـ/جويلية1688م) وصل ديستري على رأس حملة عسكرية جرارة قوامها 44 عمارة وهدد الداي بقتل الأسرى الجزائريين المتواجدين على سفنه، فرد عليه الداي بأن القنصل الفرنسي سيكون أول الضحايا إن شرعوا في قصف المدينة، لكن الأميرال ديستري لم يحاول أي تفاوض مع الجزائر، وشرع في القصف من اليوم الأول واستغرق نحو 26 يوما فبلغ عدد القنابل 10420 قذيفة على المدينة [2]، وخلّفت خسائر جسيمة في المباني، وقد أورد أحد التجار واصفا الخراب الذي لحق بمدينة الجزائر:".. إنّ المدينة دمرت تماما؛ فالسفن الخمس التي كانت راسية في الميناء غرقت، وحصن "ماتيفو ومدافعه الخمسة عشرة دمرت...، المساجد ومنزل الداي سويت بالأرض، وتجاوزت القذائف المدينة لتدمر قنوات الماء. أصيب "ميزومورطو" مرتين، ولجأ الأهالي إلى الريف.."[3].

كان رد فعل الداي ميزومورتو هو وضع القنصل أندري بيول Andre Piolle وكل مساعديه الذين كان عددهم 43 شخصا، في فوهة المدفع وقذفهم في وجه الأسطول الفرنسي[4].

لم تجن فرنسا من حملتها نتيجة تذكر، فما إن انسحب الاسطول الفرنسي حتى هاجم رياس الجزائر المناطق الساحلية الفرنسية لدفع قاطنيها للضغط على السلطات

[1]عبد الكريم شوقي: **المرجع السابق**، ص237./ محمد بن ميمون الجزائري: **المرجع السابق**، ص21.

[2] Plantet: **op.cit**, pp157-158. /جون وولف: **المرجع السابق**، ص352.

[3] De Grammont**: histoire…,op.cit**, p 212.

[4] Henri Garrot :**op.cit**, p527. يحي بوعزيز: **علاقات...**، **المرجع السابق**، ص89.

الفرنسية بباريس، معاملة بالمثل على ما قام به الفرنسيون قبل حملتهم الأخيرة على الجزائر لقبول شروط فرنسا[1]

وحتى الملك " لويس الرابع عشر " الذي وصف بالملك الشمس فإنه لم يتمكن مثلما كان يزعم من إملاء شروطه على الداي، فاضطر الى النزول عند رغبة الجزائريين والتزم بتعويض سفينة أحد الرياس، وتقديم العتاد الحربي كما تعهد بتقديم 9000 قنبلة و4 مدافع بل وقائدا للمدفعية لحصار وهران، فلويس الرابع عشر الذي أعلن الحرب على الجزائر، وجد نفسه عاجزا عن التصدي لرياسها وعن تمويل الحرب، وهو ما يؤكده نص القرار الملكي المؤرخ بـ: (30ذي الحجة1100هـ/14سبتمبر1689م) قبيل إبرام المعاهدة"....إن جلالة الملك قد أخبر بأنه في البحر الأبيض المتوسط عدد كبير من السفن الجزائرية مسيطرة على مختلف الممرات وتفاديا لوقوع سفن رعاياه في أيدي الجزائريين يمنع على مختلف السفن الخروج مهما كان الأمر...."[2].

لكن الأمر الذي كان يحبط من معنويات رياس البحر هو الضغط الذي كانت يمارسه الباب العالي، عليهم ، كونه كان على وفاق مع فرنسا، والوثيقة التالية تبين ذلك[3].

بعد كل هذه الأحداث كان لزاما على فرنسا أن تبحث على حلول دبلوماسية للخروج من أزمتها مع الجزائر، فأوفدت سوراندSorhaind في مهمة سرية في (جمادى الآخر1100هـ/أفريل1689م)[4]، وأوفدت بعده مارسيل قيوم Marcel-Guillaume في 19 سبتمبر، الذي أمضى معاهدة سلم جديدة مع الجزائر، عُرفت باسمه يوم(10ذي الحجة

---

(1) H.De Grammont :**relation ...,op.cit**, p317.
-Henri Garrot **:op.cit**, p 527./

شوقي عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص238.

(2) عائشة غطاس: **المرجع السابق**، ص95.

(3)جاء في الوثيقة ما يلي:حكم إلى قبودان أحمد باشا بحل المشكلة مابين العساكر الذين استولوا على السفن الفرنسية التجارية وأخدوها إلى رودس، ونقضوا العهد الذي بين العثمانيين وفرنسا. ينظر :

أ.ع: **مهمة دفتري** 98 ، حكم 821 ، ص229، بتاريخ أوائل شوال سنة 1100 هـ/ أواخر جويلية1689م.

(4) Plantet: **op.cit**, T1, p163. /

يحي بوعزيز: **علاقات...**، **المرجع السابق**، ص 89.

1100م/ 24 سبتمبر1689م)، جاءت في 31 بندا، تم التنازل فيها عن مختلف النزاعات القائمة بين البلدين واتفق فيها أيضا على فدية الأسرى[1]. ورغم إبرام معاهدة(10ذي الحجة 1100هـ/ 24 سبتمبر 1689م) ، فإن تسوية الخلافات بصورة نهائية لم تتأتى إلا بعد سنة(1106هـ/ 1694م).

ومما سبق، يمكن القول أن فرنسا تُعتبر من أبرز الدول الأوروبية التي ساعدتها الجزائر وساندتها في حروبها خاصة مع شارلكان، لكنها لم تعرف قيمة ذلك، فخلال القرن (11هـ/17م) نظمت حملات على الجزائر لغزوها، الأمر الذي حتم على رياس الجزائر مجابهة فرنسا للدفاع عن بلادهم، والذين كان لهم فضل في إنعاش وازدهار الاقتصاد الجزائري خاصة مجال التجارة جراء عائدات الجهاد البحري.

وتميزت العلائق الفرنسية الجزائرية خلال هذا القرن بالمد والجزر (التوتر والهدوء) ونشير أن الجانب الفرنسي في أغلب الأحيان هو الذي يبادر بنقض العهود والمواثيق، وهنا تصاعد مجال النشاط الدبلوماسي بين البلدين في هذه الفترة.

---

[1] للاطلاع أكثر عن بنود هذه المعاهدة **ينظر** علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص62-64./ يُنظر كذلك: **الملحق رقم 11**.

المبحث الثالث- دور مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة إنجلترا وهولندا وحملاتهما خلال القرن (11هـ/17م):

يعتبر القرن (11هـ/17م) العصر الذهبي لحركة الجهاد البحري الجزائري وعلى وجه الخصوص النصف الأول منه، حيث أن الجزائر كانت الحاملة للواء الجهاد البحري الإسلامي، وهذا ما سبب لها التعرض لحملات من قبل الدول الأوروبية، خاصة إنجلترا وهولاندا اللتان نظمتا عديد الحملات لغزو الجزائر.

أولا- مجابهات مجاهدي الجزائر لإنجلترا وحملاتها خلال القرن (11هـ/17م):

كانت الجزائر تبني علاقاتها وفق الدبلوماسية العثمانية، وعلى هذا الأساس بنيت العلاقات الجزائرية الإنجليزية، ولم تكن السفن الجهادية تتعرض للسفن الإنجليزية، إلا أن معاهدة السلام الإنجليزية الإسبانية المنعقدة سنة(1013هـ/ 1604م)[(1)] أنهت كل الحصانة التي كانت تتمتع بها السفن الإنجليزية، وذلك لأمرين مهمين؛ هما:

1- أن إسبانيا هي العدوة اللذوذة للجزائر بحكم احتلالها وتحكمها في جزء من ترابها المتمثل في وهران والمرسى الكبير.

2- السياسة التنصيرية التي تمارسها السلطة الإسبانية ضد مسلمي الأندلس ومحاكم التفتيش المطبقة عليهم، نظرا لتعصبها الديني.

---

(1) A Collection of All The Marine Traites Subsisting between Great-Britain, Commencingin The Year 1546, and including the Definitive Treaty of 1763, London: Printed for J. Millan, Charing-Cross, 1779, p70.

نقلا عن: بلقاسم قرباش: **العلاقات الجزائرية الإنجليزية الأولى من منظور إنجليزي(1550-1620م)**، جامعة العربي بن مهيدي، وهران، الجزائر، جويلية، 2018 ، ص539 . ينظر الرابط.

/https //www.researchgate.net/ publication32636799 6

وقد اعتبر المؤرخون أن القرن (11هـ/17م) هو عصر تفوق البحرية الجزائرية وغدا أسطول الجهاد البحري الجزائري يشكل تهديدا خطيرا لسفن دول شمال أوربا، وخاصة الإنجليزية، فقد أكد السفير الإنجليزي في إسبانيا أنه خلال السبع سنوات الأولى من حكم جيمس، تمكن رياس البحر من أسر466 إنجليزيا، وكانت ردة فعل الحكومة الإنجليزية هو الترخيص لضباط البحرية بتتبع فلول رياس الجزائر، وتنظيم حملات ضدهم أينما وجدوا، وقد كتب السفير الإنجليزي في إسبانيا المدعو "فرانسيسكو تنغهام Francis Cottingham، يصف هذه الحالة الخطيرة في سنة(1026هـ/1617م)، بقوله:"...إنّ قوة وجرأة قراصنة شمال إفريقيا هما الآن على هذا النحو من الضخامة، سواء في البحر المتوسط، أو في المحيط الأطلسي، وأشهد أنني لم أعرف في حياتي شيئا، قد جلب إلى هذا البلاط (الإسباني) الأسى العميق، والخراب الكبير غير هؤلاء القراصنة"[1].

1/الحملة الإنجليزية على مدينة الجزائر سنة(1029هـ/1620م):

كان رد فعل الملك الإنجليزي "جيمس الأول"إزاء العمليات الجهادية للبحرية الجزائرية ضد السفن الإنجليزية، هو تجريد حملة عسكرية، لقنبلة مدينة الجزائر، قادها الأميرال "روبير مانسيل Robert.Mansel "[2].

وقد ضمت الحملة كبار رجال الحرب أهمهم السير "ريتشارد هوكينز" نائب أميرال، والسير "توماس باتونكانت" ، تشكلت هذه الأرمادة من 6سفن حربية عادية عليها 230 مدفعا نحاسيا، و12 سفينة تجارية عليها 143 مدفعا حديديا من العيار الصغير، وقد كانت السفن على النحو الآتي[3]:

1- سفينة ليون: بقيادة الرائد من روبرت مانسيل، 600 طنا، 250 رجلا و40 بندقية نحاسية.

---

[1] جون وولف: **المرجع السابق**، ص253.

[2] وليام سبنسر: **المرجع السابق**، ص 181.

[3] محمد الأمين بوحلوفة: **المرجع السابق**، ص ص 96-97.

2- سفينة vantguard :بقيادة الرائد نائب الأميرال السير ريتشارد هوكينز، 660 طن، 250 رجلا، و40بندقية نحاسية.

3- سفينة قوس قزح: بقيادة الأميرال Eearالسير توماس باتون، 660 طن، و250 رجلا، و40 بندقية نحاسية.

4- سفينة الإصلاح المستمر: بقيادة الكابتن آرثر مينوارينج، 660طنا، 250 رجلا، 40 بندقية نحاسية.

5- سفينة الظبي :بقيادة القبطان السير هاري بالمر، 400 طن، 160رجلا، 34بندقية نحاسية.

6- سفينة Gonvertin: بقيادة القبطان توماس لوي الحب، 500طن، 220 رجلا، 36 بندقية نحاسية.

7- ذروة الزئبق: بقيادة الكابتن فينياس بيت، 240 طنا، 55 رجلا، 18 بندقية.

8- الجاسوس: بقيادة الكابتن إدوارد غيليز، 160طنا، 55رجلا، 18بندقية، ما مجموعه 3880طنا، و1500 رجل، و268 مسدس نحاسي، بالإضافة إلى 12سفينة أخرى تجارية يبلغ مجموعهما 2790 طنا، و1170 رجلا، و243 بندقية حديدية، وكانت ميزة السفن الإنجليزية هو تفوقها في قوة الطلقات النارية.

لكن السفن الجهادية الجزائرية كانت أسرع وأكثر سهولة في القيادة، ولذلك فإن أي تفوق للطلقات النارية الإنجليزية يكون بدون جدوى.

وكان وصول الأرمادة الإنجليزية إلى سواحل الجزائر في أواخر (ذي الحجة1029هـ/نوفمبر1620م)، لكن هذه الحملة منيت بالفشل، ولم يقدّر لها تحقيق مبتغاها الذي جاءت من أجله وهو فك وثاق الأسرى وتهريبهم، وإضرام النار في قطع الأسطول الجزائري، حتى لا تقوم له قائمة، وقد أكّد هذا الإخفاق العسكري عجز إنجلترا في الرد على البحرية الجزائرية لأسباب تمثلت في ضعف الأسطول الإنجليزي أمام حنكة مجاهدي البحر الجزائريين، وخفة سفنهم، يضاف لذلك عدم تحمل الخزينة الإنجليزية لنفقات حرب قد تطول، خاصة بسبب البعد الجغرافي بين الجزائر وانجلترا، وهو ما طرح مشكلة التزود

بالمؤونة والذخيرة والاستراحة، الأمر الذي جعل القائد مانسيل يضطر للعودة إلى مايوركا للتزويد بالمؤونة رغم مساعدة الإسبان لكنها تبقى مساعدة حذرة لا تتوفر على كل ما يحتاجه الأسطول الإنجليزي [1]، كما أن انشغال إنجلترا بالحروب الدينية في أوربا (حرب الثلاثين سنة) كان له أثره هو الآخر[2].

لكن رياس الجزائر ردوا بقوة على هذا الاعتداء السافر، فبمجرد مغادرة مانسيل سواحل الجزائر، حتى انطلقوا في عملياتهم الجهادية واستطاعوا أسر 40 سفينة إنجليزية، انتقاما من الحملة السالفة الذكر.

وبالتالي لم يبق لإنجلترا حل سوى الخيار الدبلوماسي والتفاوض مع الجزائريين، فعقدت معاهدة سلام مع باشا الجزائر في (جمادى الأول1013هـ/مارس 1622م)، لكن هذه المعاهدة لم تنجح في تثبيت السلام؛ فقد كان الإنجليز سباقين إلى نقضها، كما يقول المؤرخ الأمريكي "وولف": " ...وكما حدث مع الفرنسيين، فإنّ أول المخلين ببنود المعاهدة هم الإنجليز، وليس الجزائريون" [3]، مما أرجح الكفة لصالح الجزائريين وبعث فيهم البهجة والسرور من أجل استئناف الجهاد فقد شكلوا تهديدا للسفن الإنجليزية وتمكنوا من سواحل إنجلترا وإيرلندا، وكان هجوم "مراد رايس" على ساحل "بلتيمور" الإنجليزي في سنة (1040هـ/ 1631م)[4]، أجرأ هجوم حصل آنذاك غنم فيه مئات الرجال والنساء والأطفال تم بيعهم في سوق الرقيق بالجزائر مما ضاعف عدد الأسرى خاصة بعد سنة(1043هـ/1634م)، وقد قدر عددهم سنة (1049هـ/1640م) بـ3000 أسير، الأمر الذي دفع الحكومة الإنجليزية لافتدائهم تحت ضغط الأهالي، وتولى أول عملية افتداء القنصل الإنجليزي "إدمون كاسن"Edmond Cassen في سنة (1056هـ/1646م)، الذي استقبل من طرف الباشا والديوان، وقد افتدى حوالي 246 أسيرا وساهم في إبرام معاهدة

---

[1] محمد الأمين بوحلوفة: **المرجع السابق**، ص ص97-101.

[2] جون وولف: **المرجع السابق**،ص ص 254-256. / عبد اللطيف بالطيب: **أمير البحر مراد رايس الأصغر الجزائري–من الجزائر إلى إيرلندا**، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص63.

[3] جون وولف: **المرجع السابق**، ص ص256-298.

[4] للتعرف أكثر عن ذلك **ينظر** عبد اللطيف بالطيب: **المرجع السابق**، ص ص 121-130.

جديدة، نصت على عدم الإساءة للسفن الإنجليزية، وطواقمها في الجزائر، بالإضافة إلى بنود أخرى تتعلق بحق الجالية الإنجليزية في الجزائر[1].

2/الحملة الإنجليزية على مدينة الجزائر (1070هـ/1660م):

رغم تجديد إنجلترا للمعاهدة التي وقعتها مع الجزائر (جمادى الآخر1065هـ/ أفريل1655م) على يد روبرت بلاك Robert Blake، إلا أن العلاقات بين الطرفين كان يشوبها السلام الحذر، بسبب لجوء ضباط السفن الإنجليزية إلى تمويه أعلامها لصالح سفن أجنبية، مما أثار سخط رياس البحر، ودفع الديوان إلى توجيه رسالة شديدة اللهجة إلى حاكم إنجلترا كرومويل[2]. وضاق الديوان ذرعا بتماطل الحكومة الإنجليزية فيما يخص قضية تفتيش جميع سفنها التجارية، والقبض على التي تحمل ركابا أو بضائع الدول المعادية للجزائر، واستطاع رياس البحر أن الإمساك بخمسة سفن انجليزية، ثلاثة منها كانت تحمل جنودا فرنسيين إلى البرتغال[3]. وفي سنة (1070هـ/1660م) تم اقتياد حوالي 12 سفينة إنجليزية إلى موانيء الجزائر، مما حمل القنصل الإنجليزي على الرضوخ للشروط الجزائرية في المعاهدة التي أبرمها في (ربيع الثاني1071هـ/ ديسمبر1660م)، والتي أقرت بحق تفتيش حمولات السفن ومصادرة الأملاك المشحونة العائدة لأعداء الجزائر، إلا أن الحكومة الإنجليزية رفضت المصادقة عليها، رغم تعهد الديوان بدفع ضعف أجرة شحن السلع المصادرة كتعويض للقباطنة الإنجليز[4].

فعزم شارل الثاني ملك إنجلترا على إرغام حكومة الديوان على تعديل شروط المعاهدة السابقة وبالأخص الشرط المتعلق بتفتيش السفن الإنجليزية، من أجل ذلك سيّر

---

[1] جون وولف: **المرجع السابق**، ص ص 300-305.

[2] Ficher God Frey : **Légende Barbaresque**, trad Hellal (Farida), Alger 2000, p 304. /

أمين محرز: **المرجع السابق**، ص 85.

[3] Gérard van Krieken :**Corsaires et marchands; Les relations entre Alger et les Pays-Bas 1604-1830**, editions, Bouchene, 2002, p56./

نقلا عن أمين محرز: **المرجع السابق**، ص91.

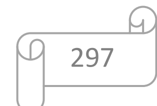
[4] Fisher: **op.cit**, p308.

حملة ضد الجزائر قادها الأميرال إدوارد مونتاغو Amiral Edward Montague، ويورد لنا صاحب الزهرة النيرة تفاصيلها كما يلي: "..سنة إحدى وسبعين وألف في دولة رمضان بولكباشي، أتت عمارة الإنجليز بثلاث وعشرين سفينة كبارا، وأراد تجديد الصلح الذي بينهم وبين أهالي الجزائر، وشرط شروطا من جملتها أن سفائن الإنجليز إذا تلاقت مع سفائن الجزائر، تجوز سفائن الجزائر من تحت ريحها، وإذا ظهر منها علامة الإنجليز لا يفتشها أهل سفينة الجزائر بل يخلون سبيلها، فأجاب أهل الجزائر بأن هذا شيء لا يمكن، وإذا أراد أن يكون مصطلحا معنا، فيكون الصلح على الشروط التي كانت من قبل، وإلا فلا صلح بينه وبيننا، وإذا أراد شيئا يفعل بنا فعليه بمباشرته بقدر جهده وطاقته وطردوه. أي أن مونتاغورسى قبالة خليج مدينة الجزائر، وأرسل مفاوضه، لكن الديوان تمسك بشروط المعاهدة ولم يرض عنها بديلا، ويستكمل التلمساني مجريات الحملة قائلا:"...فمكث اللعين منتظرا لجواب يوافق غرضه 23 يوما، فحين يئس اللعين من رجائه اصطف جفونه تجاه الجزائر وشرع بالرمي على الأبراج وإلى المدينة، فقابلهم أهل الجزائر من الأبراج ومن سور المدينة ودام القتال بينهم في ذلك اليوم إلى المغرب، فعند ذلك أقلعت سفن اللعين من مخاطفهم وحلوا قلاعهم وتوجهوا إلى بلادهم خائبين خاسرين، ولم يمت في ذلك الحرب (كذ)، إلا رجل واحد انجرح ومات بعد ثلاثة وعشرين يوما، وأما من النصارى الملاعين فقد مات أكثر من مائة، وسفينة قابودانها انسقطت(كذ)، حتى ما وصلت إلى مايورقة إلا بشق الأنفس..."[(1)].

وبذلك تضررت قطع الأسطول الإنجليزي جراء القصف المكثف من أبراج مدينة الجزائر، وفشلت هذه الحملة رغم التطور الهائل في سلاح المدفعية، مما اضطر الأميرال إلى الانسحاب إلى بلاده، تاركا وراءه قطعا من أسطوله بيد نائبه السير لاوسون Sir Lawsonيواصل بها الحرب ضد مجاهدي البحرية الجزائرية أينما وجدوا[(2)].

[(1)] ابن رقية التلمساني: **المرجع السابق**، ص ص 124- 126.

[(2)] Fisher**: op.cit,** p309.



أما عن ردة فعل مجاهدي البحرية الجزائرية على هذه الحملة فيخبرنا التلمساني أنه بمجرد إقلاع الأسطول الإنجليزي" شرعوا في شحن 42 سفينة، وباشروا في أخذ سفائن الإنجليز، فلم يمض ستة أشهر إلا وفي مرسى الجزائر اثنتان وستون مركبا من الإنجليز...ودامت هذه الحرب إلى أن جاء الإنجليز إلى الجزائر، وصار يحلل على الصلح، فلم يقبلوا منه حتى قبل شروط أهل الجزائر وأعطى لأهل الجزائر 15قنطارا من البارود، و12 ألفا من الكور"[1].

3/الحملة الإنجليزية على بجاية ومحاولة الهجوم على مدينة الجزائر (1073هـ/ 1662م):

واصل أسطول مونتاغو مطاردة السفن الجهادية، وفي بداية سنة(1073هـ/1662 م) انضمت إليه عمارة جنوية بقيادة سنتريون Centurione، في هذه الآونة هبت عاصفة قوية دمرت الأسطول الجزائري وأغرقت الكثير من السفن الحربية قرب المول[2]، فوصل الخبر إلى مونتاغو وعزم على استغلال الفرصة والنيل من الجزائريين، فهاجموا أولا مدينة بجاية وانهالوا عليها بالقصف في اليوم الأول والثاني من أفريل، واستولوا على أربعة سفن حربية خلال ثلاثة أيام وألجأوا بقية السفن إلى ميناء الجزائر، حيث كانوا على علم بوجود الأسطول الهولندي هناك، ظنا من الأميرال مونتاغو أنه سيضيق الخناق على الجزائريين وما لبث أن وجد السفن الجزائرية تلج الميناء بكل طمأنينة بفضل المعاهدة التي أبرمها شعبان آغا والأميرال الهولندي دي رويتر[3].

ظل الأميرال الإنجليزي محاصرا مدينة الجزائر طيلة أيام، إلا أن هذا الحصار لم يجد نفعا، مما أجبره على التفاهم مع شعبان آغا عن طريق قائد الأسطول جون لاوسون بوضع بند يلمح عن إمكانية مصادرة سلع الأعداء المحمولة على السفن التجارية الإنجليزية واستخدام جوازات مختومة لسفن الطرفين من أجل التأكد من هويتها عند التفتيش[1]، وفي

---

[1] ابن رقية التلمساني: **المصدر السابق**، ص ص 126-127.

[2] Charles Roux **:op.cit**, p155. أمين محرز: **المرجع السابق**، ص103.

[3] De Grammont :**Relation… ,op.cit**, pp 292-293. / Mercier: **op.cit**, p53.

[1] Fisher**: op.cit**, pp310-313./ Mercier**: op.cit**, p53.

10 نوفمبر تم عقد معاهدة سلم مع شعبان آغا وفق البنود المتفق عليها سابقا في 23 أفريل 1662م[1]، وقد قدر التلمساني خسائر الطرفين منذ آخر حملة في(1071هـ/1660م) إلى غاية عقد معاهدة السلام بما يلي:" ..وفي هذه الحرب إلى أن أصلح اللعين مع أهل الجزائر، ضيع اللعين لأهل الجزائر 17 جفنا، وقد ضيع أهل الجزائر من سفائن الملاعين الإنجليز أكثر من 500 جفن.."[2].

4/الحملة الإنجليزية على مدينة الجزائر (1080هـ/1669م):

ساد العلاقات بعد ذلك سلم حذر بسبب عدم تعميم الحكومة الإنجليزية لجوازات السفر على سفنها، وعدم الرد على ديوان الجزائر فيما يخص هذه القضية، إضافة إلى تجاوزاتهم في حمل الأعداء على متن سفنهم، فكان رد الرياس هو حجز السفن التي لا تمتلك جوازا انجليزية، لكن نائب الأميرال توماس آلن استطاع التوصل إلى اتفاق بين الطرفين، وتجديد معاهدة(1073هـ/1662م) بمعاهدة أخرى سنة(1075هـ/1664م)[3]، لكن الخروقات من كلا الطرفين، جعلت الحكومة الإنجليزية تسّير "توماس آلن" في شهر(ربيع الثاني1080هـ/سبتمبر 1669م)بأسطول تعداده 23سفينة حمولته من 40إلى 50 مدفع، وسفن الكاتش(ketches) وسفن التموين[4]، وأُجريت مباحثات دامت 5 أيام لم تسفر على نتيجة مجدية، مما تسبب في قصف برج المول من قبل الأسطول الإنكليزي وجاءه رد قوي من حصن سيدي يعقوب أو حصن الإنجليز كما يسميه الجزائريون المنشأ حديثا، مع

---

(1) جمال قنان: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500- 1830م**، **المرجع السابق**، ص ص-96.
91./ علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص147-148.

-Articles of peaceconcluded betwin His Sacred Majesty and the Kingdoms and Governments of Algiers, Tunis, And Tripoli, in the year 1662, london, 1662, pp3-8.

نقلا عن أمين محرز: المرجع السابق، ص104.

(2) ابن رقية التلمساني: **المصدر السابق**، ص 127.

(3) لمعرفة المزيد حول هذه المعاهدة، **ينظر** علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص 149-150.

(4) جون وولف: **المرجع السابق**، ص ص 326-327.

خروج الرياس بالسفن للمواجهة في معركة دامية تضرر فيها الإنكليز بشدة وأجبروا على الانسحاب إلى ماهون بالبليار[1].

لم يستسلم الإنكليز من النيل من الجزائريين فاشتركوا مع الهولنديين في عمارة ذات خمس سفن بقيادة "آلن" وأربع أخر بقيادة "ويليام فان غنت الهولندي (Willem van Ghent)"، رست السفن في مضيق جبل طارق لقطع الطريق على السفن الجزائرية فأغرقوا سفينة قرب رأس سبارطل(Cap Spartel)، وألجأوا ستة أخرى للساحل المغربي نهاية شهر أوت، وتمكن أغلب من كان على متنها من الفرار لكن السفن أحرقت جميعها[2]، وظل الانكليز يحومون حول السواحل الجزائرية آملين في تضييق الخناق على الرياس، فقام علي آغا بتعزيز التحصينات شرق العاصمة وجدد حصن تامنفوست ووضع حوله خندقا احتياطا لقيام الإنكليز بإنزالات برية[3].

5/هجوم أسطول الإنجليزي على ميناء بجاية(1082هـ/1671م):

ظلّ تبادل التهم بخرق المعاهدات يعكر صفو العلاقات بين البلدين، ليجد كل طرف المبرر للقيام بأعمال عدوانية؛ ففي عام(1082هـ/1671م) تحديدا بشهر ما يتعرض مرسى بجاية إلى هجوم الاسطول الانكليزي بقيادة الأميرال إدوارد سبراغ (EdwardSpragge)الذي أسفر عن حرق 12 سفينة[4]، وفي رواية أخرى إحراق 8 سفن والاستيلاء على ثلاثة أخرى[5]. واستشهد أكثر من ثلاثة آلاف شهيد جراء هذا العدوان، أما من الطرف الإنجليزي فقد قتل17 شخصا، وجرح 41آخرون[6]، ثمّ يمّن شطر مدينة الجزائر فأحرق تسع سفن وشرع في إملاء شروطه على حكومة الداي، التي تولّت السلطة في

---

[1] عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص ص 397-398.

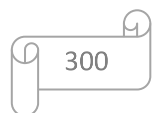
[2] krieken : **op.cit**, pp 66-67./Panzac **: les corsaires barbaresques**, p29.
نقلا عن أمين محرز: **المرجع السابق**، ص123.

[3] Belhamissi: **Alger la ville de mille canons**, p24. /De Grammont**: Relation… op.cit**, p341.

[4] Moulay Belhamissi**: Alger, L'Europe et la guerre secrète 1518-1830,** éditions A.N.E.P, Alger, 2009, p72.

[5] De Grammont**: Relation…,op.cit**, p341.

[6] جون وولف: **المرجع السابق**، ص329.



البلاد بعد القضاء على نظام الآغوات، لكنه لم يكمل المفاوضات، وعاد على جناح السرعة إلى بلاده[1].

ثار الأهالي على تعديات الأسطول الإنجليزي ضد إخوانهم في بجاية، وقاموا بقتل الترجمان ومداهمة مقر القنصلية، فقام الديوان الجزائري بوضع القنصل وكبار التجار الإنكليز في السجن لاجتناب سخط الشعب عليهم[2]، ولم يكتف الإنكليز بما جرى، بل قامت سفنهم بتشديد الحصار على مدينة الجزائر، واستمر هذا الحصار لغاية (شعبان1082هـ/ديسمبر1671م)، حتى تمكن من عقد معاهدة سلام مع الداي الحاج محمد[3]، وقد استمرت المعاهدات بين البلدين في هذا الشأن، ومن ذلك معاهدة 6 أفريل 1686م[4].

ثانيا-مجابهات مجاهدي البحرية الجزائرية لهولندا وحملاتها خلال القرن(11هـ/17م):

ظهرت هولندا على مسرح المتوسط في مستهل القرن(11هـ/17م)، وقد كانت من بين الدول التي ارتبطت بعلاقات سلم وعداء مع الجزائر بحكم ضرورة التعامل بينهما والتي اقتضتها الظرفية المتوسطية آنذاك، خاصة قضية المراكز التجارية التي انفردت فرنسا باستغلالها، والتي أسالت لعاب الدول الأوربية ولم تستطع أية دولة أوربية منافستها في هذا الامتياز، ومن بينها إنجلترا وهولندا، هاته الأخيرة التي كانت تهدف الى استمالة الجزائريين ففي سنة(1013هـ/ 1604م) قامت بإطلاق سراح مجموعة من الأسرى المسلمين الأتراك الذين كانوا على متن سفينة اسبانية وتم اقتيادهم إلى شمال افريقيا بدون طلب الفدية ،وقد

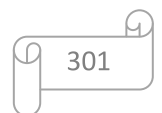
---

[1] دجاجنة بوحفص: **الحملات العسكرية لدول غرب أوروبا المتوسطية على الجزائر 1145-1246/1732هـ-1830م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث، اشرا. مختار حساني، المركزالجامعي بغرداية،1431-1432هـ/2010-2011م، ص32.

[2] Fisher**: op.cit**, pp323-324./De Grammont: **Relation… ,op.cit,** pp341-342.

[3] Mercier: **op.cit**, p274./ Fisher: **op.cit**, p p324-325. /De Grammont: **Relation…, op.cit,** p342.

[4] للاطلاع على بنود هذه المعاهدة يُنظر: **الملحق رقم 12**.



بعثوا معهم رسالة تعبر عن حسن نوايا هولندا على أمل معاملة أسراها بالمثل"[1]، لكنها لم تكتف بذلك فقط، بل كانت لها محاولات أخرى غير سلمية)، وقد كلفت هذه الأخيرة قراصنتها للقيام بأعمال عدوانية ضد السواحل الجزائرية متحالفة مع دول أوروبية أخرى، كالهجوم الذي قامت به السفن الهولندية بالتعاون مع السفن الإسبانية على مدينة جيجل سنة(1019هـ/1610م)، مما كان سببا في خرابها، وفي سنة(1025هـ/1616م)، جدد الهولنديون الكرة بالتحالف مع الأسطولين الإنجليزي والإسباني على نفس المدينة، رغم أنه تم تمثيل هولندا بواسطة قنصل يرعى مصالحها، لكن بحلول العقد الثاني من القرن(11هـ/17م)، غيرت هولندا من سياستها العدائية مع الجزائر، ورأت أن السلام أضمن للمحافظة على رعاياها الذين يجوبون المتوسط، وأنه لا طاقة لها بمواجهة السفن الجزائرية وحنكة رياسها[2]، الذين تمكّنوا من الاستيلاء على447 سفينة هولندية بين سنتي(1022-1032هـ/1613-1622م)، لأنها كانت سفنا صغيرة مسلحة تسليحا خفيفا[3].

وبالرغم من إبرام هولندا اتفاقية مع السلطان العثماني سليمان باشا في(28جمادى الأول1026هـ/2 جوان1617م) والتي نصّت على حرية الملاحة والتجارة بين هولندا والإيالات العثمانية، إلاّ أن شكاوى التجار الهولنديين حول تعرض سفنهم للمصادرة من طرف رياس الجزائر لم تتوقف عن الوصول إلى السلطان العثماني، والذي أمر باشا الجزائر بإيقاف التحرشات لكن الرياس لم يمتثلوا لأمره مما أدى الى تجدد المواجهات المسلحة في(1027هـ/ 1618م)، فقد قامت هولندا بإرسال مجموعة من السفن في مهمة تحرير الأسرى وبذلك تم الغاء معاهدة(1026هـ/1617م) وتم أسر 17 بحار جزائري، إلاّ أنه بحلول سنة (1028هـ/1619م) أعاد الهولنديون ترسيم علاقات السلم مع ايالة الجزائر، فأرسلت مبعوثها المدعو كورنليس بيناكير في(19جمادى الآخر1028هـ/ 7جويلية1622م)، لاسترجاع الأسرى الهولنديين دون مقابل، وعقد سلام مع الجزائر، لكن مطالبة عائلات

[1] محمد الأمين بوحلوفة: **المرجع السابق**، ص 40.

[2] عبد القادر فكاير: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث...، المرجع السابق**، ص ص 102-105.

[3] جون وولف: **المرجع السابق**، ص261.

جزائرية بضرورة تحرير 12 جزائريا تم أسرهم من طرف سفينة حربية هولندية، كان عائقا في تحقيق آمال الهولنديين في السلام دون عودة الأسرى الجزائريين[(1)].

ولم يحل (ذو الحجة1031هـ/ أكتوبر 1622م)حتى تنازل المبعوث الإنجليزي "بيناكير" عن شروطه، ووعد الباشا بإرجاع الأسرى الجزائريين، شرط إبرام معاهدة سلام بين البلدين، وكان قد وافق على دفع 1500 فلوران، وبالفعل توجت مجهوداته بإبرام اتفاقية من 14 بندا في مطلع (ذي الحجة 1031هـ/ أكتوبر1622م)، وكان الباشا قد طلب من الأسرى الهولنديين المكوث بين يدي قنصلهم، ريثما يُرجع الهولنديون الأسرى الجزائريين المتواجدين بمالطا. وكان حسين باشا الجزائر قد أرسل برسالة إلى حاكم هولندا جاء فيها ما مفاده أنه سمع عن حروبه ضد الإسبان الذين هم أعداءه مثلما هم أعداء للمسلمين، وأنه يأمل الانتصار عليهم [(2)].

1/الحملة الهولندية على الجزائر–حملة يوحنا فندلسين(1040هـ/1630م):

عرفت العلاقات بين الطرفين توترا في عقد الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات، فقد أرسلت هولندا فندلسين على متن سفينتين حربيتين دون اصطحاب القنصل معه إلى مدينة الجزائر التي وصلها في(ذي القعدة 1039هـ/جويلية 1630م)، وقد أمضى شهرا كاملا لغاية21 أوت يتبادل مع أعضاء الديوان اللوم والعتاب على من كان المبادر في نقض السلام، وأنه لن يتم توقيع معاهدة سلام بين البلدين بدون حضور القنصل[(3)].

---

(1) Krieken **: op.cit**, p31

نقلا عن عبد القادر فكاير: دراسات في تاريخ الجزائر الحديث ...،**المرجع السابق**، ص ص 106-105.

(2) عبد القادر فكاير: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**...، **المرجع السابق**، ص106. وللتعرف أكثر عن بنود هذه المعاهدة. **ينظر** علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص249-250. معاهدة أكتوبر1622م، ص 290، رسالة من حسين باشا حاكم الجزائر إلى هولندا 1625م.

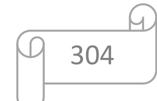
(3)عبد القادر فكاير: **علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع و التاريخ، العدد الأول/جانفي-ديسمبر2007،ص ص189-190.

ولما احتج فندلسين عن السفن الهولندية التي أسرها رياس الجزائر، كان الرد هو ان الهولنديين أيضا قد استولوا على سفينة جزائرية قدرت حمولتها بأكثر من 70 ألف فلوران وكان رد فعل رياس البحر على ذلك، هو استيلاء مراد رايس على السفينة الهولندية (I'hirondelle) التابعة لشركة الهند الغربية، وكان على متنها 36 رعية، أما السبب المباشر للحرب بين البلدين هو فرار 10 أسرى إلى السفينتين الهولنديتين، فرفض فندلسين إرجاع الأسرى مما أشعل فتيل الحرب، وكان قد خير بين أحدهما إما إرجاع الأسرى، أو الحرب فاختار الثانية، ووعد بأنه سوف يحضر ومعه 50 سفينة، وخلال عودته إلى هولندا التي وصلها في(جمادى الأولى 1040هـ/ديسمبر1630م)، حاول القبض على بحارة الجزائر المتواجدين بالبحر لاستبدالهم بأسرى هولنديين كانوا متواجدين بالجزائر، ولم يتمكن من أسر إلا أربعة فقط، لكن رد فعل السفن الجهادية كان أضعافا في الأشهر الأخيرة من هذه السنة، فقد تمكنوا من حجز 23 سفينة و500 أسير هولندي[(1)].

2/حملة أدبارتز دي رويتر Michel Adriaensz De Ruyter سنة(1066هـ/1655م):

قام دي رويتر بإعطاء تعليمات لبحارته بضرورة أسر وحرق وإغراق السفن الجزائرية أينما وجدت، وإن كان عليها ما يمكن نقله إلى هولندا أو بيعه في الموانئ الاسبانية فليفعلوا، وقد بلغ أسطوله الجزائر نهاية شهر (شوال1065هـ/ أوت 1655م)، وأراد مغالطة حراس الشواطئ بتنصيبه لأعلام انجليزية على متن 8سفن وحراقتين، ثم أرسل 3سفن لاستطلاع وضع ميناء الجزائر، التي جاءته بخبر مفاده أنه توجد 11 سفينة راسية و5 أخرى محمية داخل الرصيف، فقرر إرسال حراقاته للقضاء عليها، لكن هبوب الزوابع البحرية وغزارة الأمطار حرمته من تحقيق هدفه، فقرر تنصيب أعلام بلاده، والرسو بها في مكان بعيد عن قذائف المدافع الجزائرية، وحفز قادته البحريين بمنح250 فلوران لكل من يجازف بالذهاب

(1)عبد القادر فكاير: **علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية ،المرجع السابق**،ص ص189-190.



إلى الميناء بالحراقات، لكنه اكتشف في اليوم الموالي بأن 11 سفينة قد غادرت الميناء، وتأكد من استحالة تدمير السفن الجهادية، فولى أدراجه خائبا[1].

لكن في طريقه إلى هولندا أجبرته 11 سفينة حربية[2]، على خوض معركة قرب جبل طارق، والتي أسفرت عن فقدان 4 سفن جهادية واستشهاد 120 شخصا، وأسر عدد آخر، ومنذ حملة الأميرال دي رويتر عام (1065هـ/1655م)، ظلت هولندا على عدائها مع الجزائر، وكان رد فعل مجاهدي البحرية الجزائرية بالمثل، فلقد كانوا دائما بصدد مهاجمة السفن الهولندية، وقد تمكنوا من الإيقاع بـ35 سفينة هولندية بين سنتي(1066-1071هـ/ 1656-1661م)، وكان الرد عليهم بالاستيلاء على ثلاثة سفن جهادية كبيرة تحمل ما يقارب 900 رجل في مضيق جبل طارق تمكن منها قائد الأسطول جان فان كامبن (Jan VanCampen) عام(1071 هـ/1661م)[3]، وفي مراسلة من مرسيليا بتاريخ (6جمادى الأولى1072هـ/ 27 ديسمبر 1661م)تذكر أن 30 سفينة جهادية جزائرية استولت على 9 سفن هولندية محملة بالسلع لليفورنة[4].

3/حملة أدبارتز دي رويتر الثانية على الجزائر(1073هـ/ 1662م):

عاد الأميرال ميشيل دي رويتر إلى غرب البحر المتوسط في صيف(1072هـ/1661م) مكلفا بمهمة قد كلف بها قبله مونتاغو، على رأس أسطول مشكل من 18 سفينة، وفي أواخر أوت صادف دي رويتر الأسطول الانكليزي راسيا في ميناء قادس الإسباني عائدا من الجزائر بضرر كبير، مما جعله يتراجع عن مواصلة طريقه، والاكتفاء بالمكوث بمضيق جبل طارق لاعتراض السفن الجزائرية ثم التوجه إلى الجزائر بقوة

[1] عبد القادر فكاير: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث...، المرجع السابق**، ص ص 108-109.

[2] على الأغلب كانت تلك التي غادرت ميناء الجزائر عندما كان يترصدها الأسطول الهولندي لإضرام النار فيها عندما كانت راسية في ميناء الجزائر في حملة دي رويتر سنة1655م.

[3] أمين محرز: **المرجع السابق**، ص86.

[4] المنور مروش: **دراسات عن الجزائر...،المرجع السابق**،ج2، ص332.

أكبر، فلم يتمكن إلا من حجز سفينتين وأسر 180شخص، تخلص منهم رجاله ببيعهم في مايورقة، رغم تعليماته [1].

استطاع الأميرال دي رويتر القبض على سفينة جزائرية بخليج تونس وأسر أفراد من طاقمها، ثم توجه إلى الجزائر ورسى بها يوم(2شعبان 1072هـ/ 22 مارس1662م)[2]، وشرع في مفاوضات الصلح وتبادل الأسرى بين شعبان آغا والمفاوض الهولندي "جلبرت دي فيانن"Gilbrert de Uyanen وقد توصلا فيها إلى اتفاق صلح مدته ثمانية أشهر[3]، ومن ضمن بنود الاتفاق صلاحية الجزائريين في تفتيش السفن التجارية الهولندية وكذا احتجاز سلع وركاب الدول المعادية وتعويض أجرة النقل[4]، فكلف دي رويتر أحد قادة جنوده المدعو أندريس فان در بيرج Andries van der Burgh للقيام بدور القنصل وتعداد الأسرى الهولنديين الموجودين في المدينة. لكن هولندا رفضت اتفاق دي رويتر مع الجزائر بسبب البند المتعلق بحق التفتيش الذي يمثل ضررا لمصالحها مع بعض الدول كإسبانيا وإيطاليا، من أجل ذلك عاد دي رويتر إلى الجزائر يوم 6 يوليو يشرح رفض بلاده لهذا الاتفاق فوعده شعبان آغا بعدم مصادرة أي شيء حتى انتهاء فترة الاتفاق [5].

أبرم شعبان آغا معاهدة[6] سلم مع الأميرال الهولندي دي رويتر مماثلة للمعاهدة التي أقامها مع الأميرال الإنكليزي لاوسون وكان ذلك في (شعبان1073هـ/أفريل 1662م)[1].

---

[1] Krieken: **op.cit**, pp-55-57.

نقلا عن أمين محرز: **المرجع السابق**، ص 94.

[2] Dapper.o: **Description de L'Afrique contenant les noms et la situation..avec des cartes des états des provinces et des villes**, traduite de flamand, Amsterdam, Wolfgang, 1686, p182.

[3] Krieken: **op.cit,** pp58-59.

نقلا عن أمين محرز: **المرجع السابق**، ص106.

[4] Dapper: **op.cit**, p182.

[5] Krieken**: op.cit**, p59.

نقلا عن أمين محرز: **المرجع السابق**، ص106.

[6] عبد الكامل جويبة: **المرجع السابق**، ص199.

[1] للتعرف أكثر على بنود هذه المعاهدة ، **ينظر** على تابليت: **المرجع السابق**، ص 251.

لكن رجال الديوان رفضوا هذه المعاهدة حتى أقنعهم شعبان آغا بالقبول بعد تعهد هولندا بتقديم أربعة مدافع برونزية وافتداء أسرى السفن الهولنديين بالسعر الأول للسوق، ويتم ذلك قبل (رجب1074هـ/فبراير1664م)، بعد ما تأخر الهولنديون في تقديم الفدية، توجه الجزائريون بأصابع اللوم إلى القنصل "فان در بيرج" غاضبين من حكومته التي لم ترع أسراهم الذين مات منهم أزيد من 100 بسبب الطاعون خلال الأشهر الأولى من عام(1073هـ/ 1663م)، فأجبر الآغا شعبان على نقض المعاهدة وإجباره تفتيش السفن التجارية الهولندية ومصادرة بضائع العدو مقابل تأخر الفدية والمدافع، وفي هذه الأجواء أرسلت هولندا أسطولا يترأسه كورن ليسترومب إلى البحر المتوسط فاستولى على غنيمتين جزائريتين وخطف 150 راكبا جزائريا من سفينة إنكليزية، وأسر سفينتين يصل طاقمهما إلى 272 بحارا بيعوا للإسبان، فتذمر بحارة الجزائر من فعل ترامب وزجوا بالقنصل في السجن عدة أيام ثم أخلوا سبيله ووضعوه تحت حراسة 10 انكشاريين لحمايته، وأعلن الديوان مواجهة بحارة السفن الهولندية بنفس مصير الجزائريين الأسرى من قبل ترامب[1].

4/حملة رويتر الثالثة على الجزائر سنة (1074هـ/1664م):

بعد انقضاء4 أشهر من انتهاء مهلة جلب الفدية الخاصة بالأسرى الهولنديين والاجانب المقدرة ب: 15 شهرا، قدم الأميرال دي رويتر إلى الجزائر يوم(26ذو القعدة1074هـ/ 19 يونيو 1664)، ووجد الأوضاع مضطربة بسبب ما فعله ترامب وأجواء التحضير للحملة الفرنسية على جيجل، الأمر الذي جعل علي آغا ملتزما بحق التفتيش ومصرحا أن الجزائر لم تتنازل قط عن هذا الحق بدليل هدنة(1072هـ/1662م)، كما طالب بتعويضات مقابل الخسائر التي تسبب فيها ترامب[2].

---

(1) أمين محرز: **المرجع السابق**، ص107.

(2) عبد القادر فكاير: **علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية..، المرجع السابق**، ص 192.

انتهت هذه المفاوضات بنتيجة وحيدة وهي إطلاق سراح القنصل فان در بيرج وأمين سره وثلاثة من خدمه مقابل 37 جزائري [(1)]، واستمر افتداء الأسرى[(2)] حتى بلغ عدد الهولنديين 55، ورفض دي رويتر طلب علي آغا في افتداء بعض الأسرى الاجانب، وبعث برسالة مفاجئة إلى الديوان أن هولندا ليست بحاجة إلى سلام مع الجزائر ورفع راية الحرب وعاد أدراجه مباشرة يوم 5 يوليو [(3)].

لم تقم هولندا بأي هجوم بسبب اندلاع الحرب مع انكلترا بين سنتي (1075هـ/1665م) و(1077هـ/1667م) واكتفت بحماية سفنها من هجمات مجاهدي البحرية الجزائرية الذين ضاعفوا من هجماتهم على السفن الهولندية [(4)]، وقد تمكنوا من بارجة بحرية كانت مرافقة لست سفن تجارية، وتم حجز إحدى هذه السفن، الأمر الذي جعل هولندا تتعاون مع انكلترا من أجل إرضاخ مجاهدي البحر الجزائريين، فنصحهم دي رويتر بإرسال أسطول مشترك لمضيق جبل طارق صيف (1081هـ/ 1670م) واستطاعت النيل من سبع سفن جهادية جزائرية [(5)].

اكتفى الهولنديون بهذا النصر ولم يرغبوا بزيادة هجوم آخر حتى لا يغتر الإنكليز أكثر لأنهم يملكون قاعدة بحرية هامة بطنجة، واستمر الخلاف سنين عدة بين الجزائر وهولندا قبل أن تبادر الأخيرة بالصلح [(6)].

[(1)] Dapper:**op.cit,** p183.

[(2)] للاطلاع حول أسعار الفدية من عهد خير الدين إلى سنة 1690م، يُنظر: **الملحق رقم 13**.

[(3)] Krieken**: op.cit**, pp-65.

نقلا عن أمين محرز: **المرجع السابق**، ص125.

[(4)] Turbet-Delof **: la presse périodique française Barbaresque au XVII siècle(1611-1715)**, Librairie Droz, Genève, 1973, p53.

[(5)] Krieken**: op.cit,** pp-66-67.

نقلا عن أمين محرز: **المرجع السابق**، ص126.

[(6)] Turbet-Delof: **la presse périodique Francaise Barbaresque…,op.cit**, p125.

5/الحرب الإنجليزية الهولندية على الجزائر سنة (1076هـ/1670م):

كان سوء العلاقات بين الجزائر وإنجلترا وهولندا سببا في اتحاد هاتين الأخيرتين ضدها، فقد قررتا شن الحرب عليها في سنة(1079هـ/1668م)، وذلك بعد استيلاء مجاهدي البحرية الجزائرية على سفينة حربية هولندية وسفينة تجارية كانت ضمن تشكيلة السفن التجارية الستة التي كانت تحت حماية السفينة الحربية، ونتيجة لذلك تم اتفاق الطرفين على إرسال أسطول مشترك يتشكل من 5 سفن انجليزية تحت قيادة ريتشارد ألين Allen Richard، و4 سفن هولندية تحت قيادة "ويليام فان جنت"Willem Van Gent، وبناء على تعليمات دي رويتر تم تجميع الأسطول وإجراء الاستعدادات في مضيق جبل طارق في(ربيع الأول1081هـ/ أوت 1670م)، لكن اعترض طريقه أسطول جزائري كان عائدا من المحيط الأطلسي، تعداده 7سفن جهادية كبرى تحمل 30 مدفعا، وعلى متنها 1800مجاهد، وأكثر من 200 أسير، ولما وصلت الأخبار إلى قائد الأسطول بالكمين المعد لهم، غيرت 6سفن وجهتها ولجأت إلى السواحل المغربية، فلم يتمكن الأسطول المشترك سوى من السفينة التي كانت تحمل الجرحى، وبعض الأسرى المسيحيين، ومن كثرة الخسائر التي مني بها الهولنديون على يد السفن الجهادية، اعتبروا هذا نصرا كبيرا، ونظموا حوله أشعارا[1].

وعليه فمنذ رحيل دي رويتر من الجزائر لم تصلها سفينة حربية باستثناء حملة (1081هـ/1670م) والتي لم تصل إلى مينائها أصلا، لأن الهولنديين اقتنعوا بقوة مجاهدي البحرية الجزائرية، واستحالة الدخول معهم في حرب، لأن هذا سوف يعرض مصالحهم للخطر، وهذا ما جاء على لسان جون وولف: "..أن التجار الهولنديين قد انتهوا إلى هذه النتيجة، وهي أن شراء الحماية سيكون أرخص من فرضها بالقوة البحرية، وكانوا أقل اعتمادا على قانون الشرف، وأكثر قدرة على وضع توازن بين تكاليف حملة بحرية مشكوك في

---

[1] عبد القادر فكاير: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث...، المرجع السابق**، ص 113. ، إلا أن الباحث أمين محرز ذكر أن السفن كلها أحرقت في رأس سبارتل، ، وكذلك جون وولف في ص328، أورد بأن السفن السبعة أغرقت أو أحرقت بما فيها 4 سفن ذات 44مدفع، واستشهاد أكثر من 2200، وعددا من أبرز قوادهم.

نجاحها وبين الفوائد التجارية التي لا يتعرض لها الرياس المغارب"[1]، فاتبعوا الطرق السلمية لمهادنة الجزائريين، وإبرام الاتفاقيات والمعاهدات التي تخدم مصلحتهم، وعليه أرسلت هولندا موفدها المدعو " توماس هيس" Tomas Hessعلى متن 4 سفن حربية وقد وصل الجزائر يوم (24 رجب 1086هـ/13 أكتوبر1675م)، وتمكن من إمضاء معاهدة في(7 ربيع الأول 1088هـ/ 9ماي1677م)[2].

وفي (20 ربيع الأول 1090هـ/30 أفريل1679م) تمكن أيضا من إمضاء أول معاهدة [3]، تم فيها موافقة الهولنديين على دفع الإتاوة للجزائر، وكان أساسها منح الجزائر المدافع الثقيلة والصواري وكور المدافع، والبنادق والرصاص والبارود والحبال، والأشرعة وغيرها من المعدات الحربية، وقد اكتملت شروط المعاهدة السالفة الذكر باتفاقات سنة(1091هـ/1680م)[4]، وسنة(1092هـ/1681م)[5].

وعليه فقد أثمرت الزيارات الثلاث للموفد هيس إلى الجزائر في تحسين العلاقات بين البلدين، والذي استحسنه داي الجزائر نظرا للمشاكل والحروب التي كانت تعيشها الإيالة مع فرنسا وانجلترا، لكن قضية ندرة مجيء السفن التجارية الهولندية إلى الجزائر ، حمل القنصل الهولندي كريستوفل ماتياس Maties Christofellعلى إرسال توجساته لبلاده وطلب منهم ضرورة ظهور السفن الحربية الهولندية أمام ميناء الجزائر من حين لآخر، لكن الداي حسين ميزومورتو تأكد أن ذلك كان بسبب عدم استعمال نموذج موحد للرايات عوض النماذج المختلفة التي تقدمها المقاطعات والمدن الهولندية[6].

---

(1) جون وولف: **المرجع السابق**، ص337.

(2) عبد القادر فكاير: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**...، **المرجع السابق**، ص 114.

(3) علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص253-254.

(4) للاطلاع على بنود هذه المعاهدة يُنظر: **الملحق رقم 14**.

(5) جون وولف: **المرجع السابق**، ص337.

(6) عبد القادر فكاير: **دراسات في تاريخ الجزائر الحديث**...، **المرجع السابق**، ص ص 117-118.

ومما سبق يمكن القول، بأن إيالة الجزائر قد عرفت خلال القرن (11هـ/17م)بروز قوتها البحرية على الساحة الدولية، وبالتالي بسط نفوذها على البحر المتوسط، الأمر الذي دفعها لأن تكون مستهدفة من قبل الدول الأوروبية على رأسهم إسبانيا، الدويلات الإيطالية، فرنسا، إنجلترا، هولاندا، حيث نظموا ضدها العديد من الحملات المدعمة من قبل الكنيسة والبابوية، والتي كانت تهدف للقضاء على الإسلام والمسلمين، لكن المراكز الجهادية أدّت دورا كبيرا في صدها، بل وحتى أنهم تمكنوا من الهجوم على الضفة الشمالية الأورومسيحية ، وغنوا الكثير، وقادوا حتى من استطاعوا أسارى للجزائر، وباعوهم في ساحة البادستان.

خاتمة الباب:

- عرفت الجزائر في مطلع القرن (10هـ/16م) العديد من الهجمات الصليبية المسيحية الإسبانية المتوالية، نتج عنها غزو أغلب سواحلها، والتي كانت لها عدّة دوافع أمنية واستراتيجية ودينية واقتصادية، إلا أن ظهور الإخوة(بربروس) أبناء يعقوب على مسرح أحداث البحر المتوسط قلب موازين القوى، حيث تمّ من خلالهم، وتحديدا على يد خير الدين (بربروس)الذي كان له فضل إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية الحامية للهلال الاسلامي في العالم، والتي فرضتها الظرفية المتوسطية؛ كسقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس والاحتلال الصليبي الأسباني لمعظم المدن والمواقع الساحلية المغاربية في أوائل القرن (10هـ/16م) .
- بعد عثمنة إيالة الجزائر، اتجه اهتمام حكامها نحو بناء القوة البحرية والبرية؛ أي تنظيم الأمور العسكرية والأمنية للإيالة (على حساب الجوانب الاجتماعية، الثقافية ..)، حيث أقاموا ثورة عمرانية كبيرة في بناء الاستحكامات والحصون الدفاعية وكذا تقوية وتجهيز الأسطول البحري من خلال بناء دور صناعة السفن (الشباك، البولاكر الفرقاطة، القاليوطة، الشالون) صناعة الأسلحة، تمويل السفن ...
- أعادت حركة الجهاد البحري في هذا القرن التوازن للمنطقة، بعد أن كانت في حالة تفكك وضعف تام، (قال عنها شارل أندري جوليان **"فسيفساء سياسية"**). وحسمت النزاع مع الدول الأوروبية على رأسهم اسبانيا، وهيمن رياس الجزائر على الحوض الغربي للبحر المتوسط.
- أما خلال القرن(11هـ/17م) فكانت أيضا حملات أوروبية من قبل إسبانيا، الدويلات الايطالية، انجلترا، هولندا، فرنسا، إلا أنها صدت من قبل مجاهدي المراكز البحرية الجزائرية، بل نظموا وجهزوا حملات بحرية معاكسة وهاجموا هذه الدول في عقر دارها، وتمكّنوا من فرض حروب استنزافية على العدو الأورومسيحي، وأثبتوا أيضا قوة وهيبة إيالة الجزائر ورجالها. والمميز للقرن (11هـ/17م) هو انتقال الجهاد البحري من نشاط حربي إلى نشاط اقتصادي، وبما أن الأسطول الجهادي البحري الجزائري وصل لهذه القوة والمكانة العالية، كان له أثر وانعكاس واضح ومباشر على الحياة السياسية، العسكرية،الاقتصادية والاجتماعية، حيث مثلت العائدات البحرية

للجهاد (الأسرى، المواد الاستهلاكية، الحرير، الذهب، الفضة، القمح، الأقمشة ...)؛ أي الغنائم البحرية ومبالغ افتداء الأسرى الأوربيين، مزودا رئيسيا للأسواق الداخلية والخارجية، ومصدرا مهما لخزينة الدولة ومحركا فعالا لعجلة اقتصاد الإيالة الجزائرية.

الباب الثاني:

مراكز حركة الجهاد البحري في طرابلس، تونس، المغرب الأقصى ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

الفصل الأول: مراكز حركة الجهاد البحري في طرابلس الغرب، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

الفصل الثاني: مراكز حركة الجهاد البحري في تونس، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

الفصل الثالث: مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

تمهيد:

لقد شكل نشاط الجهاد البحري في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط امتدادًا واضحًا لجهاد المسلمين ضدّ المسيحيين، الذين طالما استهدفوا البلاد الإسلامية تحت مسمى الحروب الصليبية، الأمر الذي جعل مراكز حركة الجهاد البحري المغاربية تحمل على عاتقها بُعدًا إنسانيًا من خلال الوقوف في صفوف الشعوب المظلومة تارةً وتأمين سواحلها من أي إعتداء أورومسيحي خارجي تارةً أخرى، حيث مثلت المراكز الجهادية في كل من:(طرابلس الغرب، تونس و المغرب الأقصى) مفتاحًا لتفوق وعظمة نشاط الجهاد البحري، الذي برز خلال القرنين (10-11هـ/16-17م) كقوةٍ عالمية إقليمية ودولية تسيطر على العالم المتوسطي بالطول والعرض.

الفصل الأول:

مراكز حركة الجهاد البحري في طرابلس الغرب، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10–11هـ/16–17م)

المبحث الأول: مراكز حركة الجهاد البحري في الساحل الطرابلسي خلال القرنين (10–11هـ/16–17م)

المبحث الثاني: مراكز حركة الجهاد البحري الطرابلسي ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/ 16م)

المبحث الثالث: مراكز حركة الجهاد البحري الطرابلسي ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/ 17م)

الفصل الأول: مراكز حركة الجهاد البحري في طرابلس الغرب(ليبيا)، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

تمهيد:

برزت إيالة طرابلس الغرب بعد تحريرها من التحالف المسيحي، كقاعدة هامة تحتضن مراكز متقدمة لحركة الجهاد البحري والتي ساهمت بدورها في الدفاع والذود عن فضائها الترابي وعن المنطقة المغاربية بصفة خاصة، وكذا المساهمة في حروب الدولة العثمانية ضد أعدائها بصفة أعم، حيث كان لنشوء البحرية الطرابلسية العثمانية على يد "درغوث باشا" سنة(960هـ/ 1553م)، الأثر الواضح في النشاط المتوسطي عسكريًا واقتصاديًا، وذلك من خلال ما ستؤديه الأخيرة من دور جهادي في مسار أحداث القرنين (10-11هـ/16-17م) على الصعيدين المغاربي والمتوسطي، أين تصبح هذه المراكز الواجهة الأساسية لصد أي اعتداء أو محاولة سطو تقوم بها البحرية الأوروبية ضدّ السواحل الطرابلسية.

من هذا المنطلق؛ جاء هذا الفصل ليكشف بدوره عن أهم المراكز الجهادية الطرابلسية، ودورها الجهادي في حماية فضائها الترابي من حملات التحالف المسيحي الصليبي المتكررة عليها طيلة القرنين(10-11هـ/16-17م)، فهل تمكّنت مراكز حركة الجهاد البحري الطرابلسي من صدّ كل تلك الحملات التي تعرضت لها سواحلها خلال هذه الفترة؟ .

المبحث الأول- مراكز حركة الجهاد البحري في الساحل الليبي (طرابلس الغرب) خلال القرنين (10-11هـ/16-17م):

عانت طرابلس الغرب كغيرها من بلدان المغارب من ويلات تلك الأزمات التي طبعت هذه الأخيرة أواخر القرن(09هـ/15م) ومطلع القرن (10هـ/16م)، فكثرت الثورات والنزاعات المحلية، مما حمل الاسبان على انتهاز الفرصة واحتلالها(915-936هـ/1510-1530م)، بعدها قام الإمبراطور شارلكان بمنحها لفرسان القديس يوحنا (936-957هـ/1530-1551م)، وهذا لتعويضهم عن خسائرهم في شرق المتوسط من جهة، ومن أجل كسب الرأي العام المسيحي من جهة أخرى .

ولم يُثن انشغال البحارة العثمانيين بمحاربة الإسبان وتحرير تونس والجزائر والتمكين للمسلمين هناك بداية القرن (10هـ/16م)، عن الاستجابة للاستغاثات التي وجهها سكان طرابلس الغرب لهم، ومحاربة فرسان القديس يوحنا المالطيين وتحرير طرابلس الغرب منهم، لتبدأ ليبيا معهم عهداً جديداً تحت الحكم العثماني دام أكثر من 3 قرون شهدت فيها البلاد فترات هامة تراوحت بين الازدهار والتراجع وأصبحت موانئها مراكز جهادية تنطلق منها العمليات لإضعاف خصومها وخصوم الدولة العثمانية.

من هذا المنطلق؛ خصّصنا هذا المبحث للتعريف بأهم المراكز الجهادية الطرابلسية في نقطة أولية على أن نرجيء أهم مركز وهو مركز مدينة طرابلس، في نقطة لاحقة نظير أهميته ومحوريته، مع تناول كيفية تجهيز أساطيلها.

أولا- أهم مراكز الجهاد البحري في سواحل طرابلس الغرب(ليبيا) وتحصيناتها:

تقع طرابلس الغرب في الركن الشرقي لشمال افريقيا، وهي متاخمة لتونس عند قصر البيبان، وهذه المنطقة تشكل خطرا على الملاحة، لقوة الجزر، لذلك يتجنبها ربابنة السفن وتختفي هذه الظاهرة كلما اتجهنا شرقا حتى تنتهي زوارة نتيجة التغير في شكل الساحل، مما يضفي هدوء على البحر، ومن مدينة طرابلس وعلى امتداد 50 خمسين فرسخا نحو الشرق والجنوب الشرقي تظهر الكثبان الرملية، وبعدها رأس مصراته في اتجاه الجنوب الشرقي، يليها خليج سيرت، وبعده بـ5 فراسخ

سواحل مصراته، ولا توجد مراكز عمرانية بين بنغازي وخليج سرت رغم وفرة المياه الجوفية التي تتجمع بها على عمق يتراوح من قدمين إلى 3 أقدام[1].

ومن بنغازي باتجاه الشمال الشرقي تظهر منطقة رأس الحمام، وهي أرض خصبة آهلة بالسكان، بينها وبين البحر فرسخان، ومن منطقة رأس الحمام صوب الجنوب الشرقي يضيق الساحل ويظهر الحيز الجبلي الذي يمتاز بخصوبته وكثرة سكانه يسمى الجزيرات، طبيعته صخرية محمية من الرياح الشمالية والشمالية الغربية والشرقية، واتجاه الجنوب الشرقي توجد مدينة درنة، ويليها رأس التنين بعد عشرة فراسخ من درنة[2].

1/ أهم مراكز الجهاد البحري في الساحل الطرابلسي:

لقد جعل موقع طرابلس الغرب[3] المتواجد في وسط الشمال الإفريقي - من جزيرة جربة غربًا إلى مصر شرقًا- من الساحل الطرابلسي منطقة استراتيجية، كونه حلقة وصل بين البلدان الأوروبية وبين مناطق الشرق الأدنى، من حيث أهمية التجارة بكل من الهند والشرق الأقصى، وكذا تعرضها لأخطار الغزو الأجنبي، هذا الأخير الذي فرض على سلطاتها اتخاذ تدابير دفاعية للحفاظ على استقلالها، ومما جعل طول الساحل وقربه من اليابسة بلا فائدة تذكر، هو أنها لم تساهم أحيانًا في تكوين أحواض قادرة على استقبال السفن المتفاوتة الأحجام، وهذا لا ينفي وجود مرافق وموانئ، بل كانت هناك تلك التي أقامها الأهالي القاطنون بالساحل إلى جانب مراكز ملاحية مسخرين لذلك كل ما أتاحت لهم الطبيعة[4].

---

[1] خليفة محمد سالم الأحول: **بحوث ومقالات في مصادر تاريخ ليبيا الحديث**، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2007، بنغازي، ليبيا، ص 25.

[2] خليفة محمد سالم الأحول: **المرجع السابق**، ص 26.

[3] **طرابلس الغرب**: من الممالك الثمانية الكائنة بقطعة إفريقيا، وهي متشكلة من بوادي فزان، ومن القسم الأعظم من شرقي القطعة البربرية الواقعة في الجهة الشمالية من قطعة إفريقيا، **يُنظر** سالنامة: **ولاية طرابلس الغرب سنة (1301هـ/ 1883م)**، ع 10، ص 76.

[4] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص ص 31-32.

كما أن المؤرخين المهتمين بالجهاد البحري والملاحة الطرابلسية أعطوا مواصفات للمرافئ والموانئ سواء كانت بحرية أو تجارية، ونحن في هذا الصدد سنتعرض إلى ذكر أهم هذه المراكز خلال القرنين (10-11هـ/16-17م).

أ- مركز تاجوراء: تقع تاجوراء على بعد نحو ثلاثة (03) أميال شرق طرابلس، وتوجد فيها عدة قرى مع بساتين مغروسة بالنخيل وغيره من الأشجار المثمرة، وقد غدت خصبة جدا بعد سقوط طرابلس الغرب، لأن عدد كبيرا من المدنيين لجأوا إليها[1]، ومرساها ملاصق لطرابلس، وبالرغم من كونها على غرار مرفأ مزوارة مكشوفة على البعد وبدون حواجز طبيعية واقعية، فإنها عرفت منذ القديم نشاطا ملاحيا وتجاريا لملائمتها استقبال السفن المختلفة التي ظلت تتوافد عليها من كافة أرجاء الحوض المتوسطي[2].

اتخذها الرياس العثمانيون؛ أمثال: "صالح رايس،كمال رايس، ودرغوث باشا" مركزا جهاديا ينطلقون منه لغزوهم البحري ضد الاسبان وحلفائهم، وقد تمكّن حاكمها "خير الدين كرمان"، الذي كان تحت إمرة "**خير الدين بن يعقوب(بربروس)**" من إقامة قلعة لحماية ثغرها، الذي كانت تقصده سفن الرياس وشيد بها برجا يسمى برج القيادة على مقربة من قلعة تاجوراء[3].

وقد عدّل "خير الدين كرمان" مساحة المرسى حتى يستقبل المراكب الحربية، فأصبح هذا الأخير قاعدة بحرية لأسطوله المكون من السفن ومن البحارة الذين خلّفهم له خير الدين بن يعقوب، وكذا تلك التي افتكها من الفرسان، إضافة للمراكب الطرابلسية، التي لم ينلها تدمير الإحتلال الاسباني ولا

---

[1] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج2، ص 110، إلا أن محققا الكتاب أوردا بأنها تبعد بنحو 13 ميلا، ينظر : التهميش 101.

[2] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 35.

[3] نيقولاي إيفانونف: **المرجع السابق**، ص218. محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص ص 28-29، إلا أننا وجدنا أن مراد آغا هو من حول تاجوراء إلى حصن منيع يرقب منها عاصمة طرابلس الغرب، **ينظر**: برنيا كوستانزيو: **طرابلس من (1510-1850م)**، تع. خليفة محمد التليسي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1985م، ص36.

الأسر؛ في حين تمثل الخطر الأكبر لفرسان مالطا في شخص "خير الدين كرمان" صاحب تاجوراء، والذي كان يتهدد الفرسان معلنا عليهم الحرب برا وبحرا مما حد من نفوذهم خارج السور[1].

ب- مركز مصراتة: وهو عبارة عن إقليم يقع على شاطئ البحر المتوسط، يبعد بنحو 100 ميل عن طرابلس[2]، ومما جعل لهذا المركز أهمية ملاحية كبيرة هو المرفأ الطبيعي هناك، والذي كون حوضًا متميزًا، وكذا وجود لسان بري ممتد داخل البحر قرب رأس البرج، وقد سُمي مرساها بمرسى هوارة أو مرسى قصر أحمد، والذي كان قد ازدهر تجاريًا خلال القرنين(10-11هـ/16-17م)، ممثلاً نقطة إلتقاء للتبادل التجاري لبضائع مناطق البحر المتوسط وأوروبا ومنتجات بلاد السودان، ومما رسخ أهمية هذا المرسى مساهمته الكبيرة في الجهاد البحري حيث اتخذه المجاهدون ملجأ دفاعيا أساسيا يترقبون منه تطورات الأحداث في طرابلس ومحيطها المائي[3].

ج- مركز بنغازي[4]: هو مركز بالغ الأهمية في منطقة برقة، التي تزخر بالثروات الطبيعية كوجود سبخات بضواحيها تدر عائدات مهمة عند استغلالها،كما مثلت مركزا لاستقبال المنتوجات الفلاحية لمنطقة برقة عموما، إضافة لكونها نقطة بيع للمنتجات الآتية من السودان الأوسط، وبقيت في تطور بعد خضوعها للأتراك العثمانيين سنة (1006هـ/1597م).

وفي (ربيع الأول1047هـ/ أوت1637م) قصدتها أربع سفن للموريسكيين النازحين من إسبانيا عقب قرار الطرد خلال القرن (11هـ/17م) فشيدوا بها حصنًا، وتمكّن الداي "محمد

---

(1) محمد سعيد الطويل: **العلاقات السياسية التجارية بين ليبيا ودول غرب أوربا المتوسطية (1210-1248هـ/ 1795-1832م)** أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمار بن خروف، جامعة الجزائر، (2007هـ-2008م)، ص ص 42-43.

(2) الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج2، ص111، إلا أن محققا الكتاب أوردا بأنها تبعد بنحو 130 ميلا، ينظر التهميش 103.

(3) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص36./ الطاهر أحمد الزاوي: **معجم البلدان الليبية**، مكتبة النور، طرابلس، 1968م، ص318. / أتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة1911م**، تر. خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، ط2، 1991م، ص293.

(4) عرفت في منتصف القرن السادس عشر ميلادي هذه المدينة الحديثة كميناء ونسبت إلى صاحب أقدم ضريح بها من الأولياء، فكانت "**مرسى ابن غازي**"، الذي دوّنه التاريخ سنة 1579م وتطور هذا الاسم بعد ذلك إلى بنغازي، وأغفل المرسى، **ينظر** محمد مصطفى بازامه: **مدينة بنغازي عبر التاريخ، 2ج**، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968م، ج1، ص 42.

الساقزلي"(1633-1649م) من بناء قلعة لدحر ما قد يصيبها من خطر خارجي، وقد تمت أعمال البناء فيها بعد عام من بدئها، كما تدعمت بـ 10 مدافع، ممّا جعلها قطبا للأندلسيين، الذين شكلوا من بنغازي مركزا للجهاد البحري مستفيدين من موقعها الاستراتيجي على الصعيد الملاحي[1].

تَشَكّلَ مركز مدينة بنغازي خلال هذه الحقبة الزمنية من ميناء واسع جدًا يصلح لاستقبال السفن الثقيلة التي تزيد حمولتها على الخمسين طناً، ومن حامية عثمانية مشكلة من حوالي 30 جنديا يقودهم آغا، وعلاوة على ذلك فقد كان هذا المركز جهاديًا وتجاريًا في نفس الوقت، حيث أصبحت مدينة بنغازي خلال العقد الأخير من القرن (11هـ/17م) مركزا تجاريا هاما لكل من بلدان المغارب وبلاد الشرق والدول الأوروبية، وهو ما تبرره حركة تصدير السلع التي كانت ترسلها مدينة بنغازي خلال هذه الفترة لكل من طرابلس وبلاد الشرق على متن سفن فرنسية[2].

د- مركز درنة: أُنشأ هذا المرفأ بمصب واد درنة على الساحل الشرقي لبرقة في موقع يشكله لسان ممتد في البحر يحميه بروز رأس المتاريس، الذي يوفر حوضًا صغيرًا لرسو السفن متوسطة الحمولة، ولم تبرز أهمية درنة إلا بعد سنة (1040هـ/1630م) على إثر نزوح الأندلسيين اللاجئين من اسبانيا إليها، وقد استقروا عند أنقاض مدينة قديمة كانت في العهد الروماني تسمى "دارنيس"Darnis، ولم يكن بها أحد حين استقرارهم، فقاموا بتعميرها وتطويرها[3]، واتخذوها مركزا شرقيًا لحركة الجهاد البحري ضد السفن المسيحية، بيد أن ازدهارها سرعان ما أهّلها لتصبح ثاني قاعدة ملاحية في منطقة بنغازي، رغم ما كان يعانيه مرساها من خطورة الأمواج والعواصف التي تهب في بعض فصول السنة[4].

ومع مستهل العقد الأخير من القرن (11هـ/17م) أضحت مدينة درنة محصنة عسكريًا، بها ما يُقارب الخمسين جنديًا مرابطًا لحراستها، وميناء بحري صالح لرسو باخرتين أو ثلاث، وقد اتسعت

---

(1) محمد مصطفى بازامة: **المرجع السابق**، ص 250، / كاماللو ما نفروني: **إيطاليا في الأحداث البحرية الطرابلسية**، تع. عمر محمد الباروني، مرا. صلاح الدين السوري، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، 1988م، ص 69.

(2) خليفة محمد سالم الأحول: **المرجع السابق**، ص28.

(3) العياشي: **ماء الموائد (رحلته إلى ليبيا، طرابلس وبرقة)**، تح. سعد زغلول عبد الحميد وآخرون، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص157.

(4) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص39.

حتى غذت منطقة عمرانية ذات طابع أندلسي لها حدائقها، ماؤها العذب، أحواضها وسوقها التجاري، الأمر الذي جعل سكانها يزيد حتى بلغ حوالي 2000 إلى 3000 نسمة خلال هذه الفترة[1].

2/ الأبراج والقلاع والحصون في طرابلس الغرب:

شهد سور مدينة طرابلس عبر التاريخ إضافات كبيرة، حيث عمل الحكام العثمانيون وبصفة متواصلة على إحكامه بمجموعة من الأبواب والأبراج التي من شأنها صدّ الهجمات البحرية المتكررة[2].

وللإشارة فقد اتُّخذت أربطة منذ الفتح الإسلامي لها، سواء لمواجهة البيزنطيين، أو اتخاذها قواعد يُنطلق منها لاستكمال ما تبقى من فتح بلاد افريقية، وبعد مجيء العثمانيين تحولت هذه القلاع وما تبعها من حصون إلى حاميات ومقر للجنود، كما بقيت القلعة صامدة ضد الأسلحة النارية، بل مثلت مركز دفاع على واجهة المدن وما جاورها أو بالمواقع الاستراتيجية، فتكونت مما تتطلبه هذه الأسلحة، مما ساهم في تقدم الحصون على أسوار المدن، وبالتالي حمايتها وتدعيمها بالمدافع ومخازن البارود، وهو ما أسس نظام القلاع والحصون الذي انتهجته الخلافة العثمانية في العهد الأول، لدرجة أن الإسبان المحتلين وفرسان مالطة قد حاولوا جاهدين في التحصين ضد سلاح المدفعية، بتشييدهم لحصون في القلعة وفي مقدمة الميناء دفاعا عن طرابلس من العثمانيين وشيدوا حصونا مماثلة في شمال المدينة، خاصة موقع حصن المندريك، الذي أطلق عليه لاحقا حصن الصخرة أو حصن الماء أو حصن درغوث وغيرهم على الشواطئ، كما قسّمت المدافع على فتحات وأسوار القلاع لصد المهاجمين. وعلى العموم فإن طرابلس هي الوحيدة التي خُصت بهذه التحصينات، أما

---

[1] خليفة محمد سالم الأحول: **المرجع السابق**، ص28.

[2] أشادت بعض الدراسات التاريخية والأثرية بالسور والأبراج التي شيدت في فترات متعاقبة كان للعثمانيين دور كبير في ترميم جملة من العمائر ذات الصلة بالمنشآت الدفاعية أو بنائها. وقد حظيت التحصينات بشغف الدراسة والتمحيص منذ فترة الاستعمار الايطالي، حيث حاول الباحث الايطالي سلفاتوري أوريجما (Salvatore Aurigemma) إماطة اللّثام عن أغلب أجزاء السور وأبراجه، لتبقى دراسته مرجعا في ذلك ينظر علي الشايب بن ساسي ومصطفى البركي: **تحصينات طرابلس الغرب من القرن السادس عشر إلى 1835: دراسة من خلال المصادر الأدبية التاريخية والنقائش التخليدية** ، في مجلة السبيل : مجلة التّاريخ والآثار والعمارة المغاربية [نسخة الكترونية]، عدد11، سنة 2021. الرابط : http://www.al-sabil.tn/?p=8076

القلاع خارج المدينة فقد كانت قلعة بنغازي التي بناها محمد الساقزلي سنة(1045هـ/1635م) وجهزها بمدافع تشرف على الميناء(1).

كما تعد الأبراج وسيلة هامة للدفاع في العمارة الحربية، ويمكن تشييدها مستقلة كأداة للمراقبة في الخطوط الأمامية وتبادل الإشارات، لكن في الفترة العثمانية لم تعد بتلك الأهمية وتحولت لما يشبه ستارًا،كون أن الاستراتيجية الدفاعية آنذاك، كانت تعتمد على المسدسات والبنادق والمدفعيات، حتى أن الأبراج كانت تشكل عائقا لها، لذا فقد تراجع دورها، وبالتالي اقتصر استخدامها على الأطراف فقط، كما يوجد على كل برج فتحات دائرية مع استدارة البرج، التي تتناسب مع ارتفاعه والأسلحة المستعملة آنذاك، مما أدى إلى تشابهها لحد ما، وذلك لقدرة الآلات الحربية الجديدة على هدم الحصون والأسوار المرتفعة، فتجلى التطور في انتشار المدفعية وإتقان استعمالها مطلع القرن (10هـ/16م)، وانتشار البارود مما جعلهما محور الأسلحة في الحروب، مُسدلة الستار على أسلحة العصور الوسطى، ومن ثم حدث هذا التحول في تشييد الحصون والقلاع، وقد استخدم هذا النوع من الأبراج في قلعة مدينة المرج التي اندثرت كما أسلفنا، حيث أثبتت الحفائر الأثرية وجود هذا النوع بالقلعة التركية(2).

ثانيا-مركز طرابلس قاعدة رئيسية لأسطول الجهاد البحري:

1/مركز ميناء طرابلس تاريخيا وجغرافيا:

تعتبر مدينة طرابلس مركزا مهما نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز منذ القدم، فتأسست المدينة التي كانت تسمى أويا على يد الفينيقيين في القرن 9 ق.م، كما أن للرومان دور كبير في ازدهارها خصوصا في القرن 3م، حيث سموا المدن الثلاث طرابلس لبدة وصبراتة باسمها، وهو ما بقي كذلك بعد فتحها من قبل "عمر بن العاص" عام (22هـ/642م)، إلى أن أضيفت لها صفة الغرب في العهد العثماني تمييزا لها عن مدينة طرابلس الشام(1).

(1) خليفة محمد سالم الأحول: **المرجع السابق**، ص227. للاستزادة ينظر: علي الشايب بن ساسي ومصطفى البركي: **تحصينات طرابلس الغرب...**،**المرجع السابق**، الرابط : http://www.al-sabil.tn/?p=8076

(2) عبد الله كامل موسى عبده: **دراسات في الحضارة والآثار الإسلامية في ليبيا**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2002م، ص ص 121-122.

(1) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص ص 39-40. /حسن مسعود أبو مدينة: **جغرافيا ميناء طرابلس**، دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع، مصراتة –ليبيا، ط1، 2005م، ص78.

وصف "البكري" مدينة طرابلس وحالة مرساها قائلاً مانصه: "... وعلى مدينة طرابلس سور ضخم، جليل البنيان، وهي على شاطئ البحر، وبني جامعها لأحسن مبنى، ولها أسواق حافلة جامعة...ومرساها مأمون من أكثر الرياح"[1].

هذا وتعد "رحلة التجاني" أوفى مرجع عن مدينة طرابلس في تلك الفترة، نقتبس منه وصف ميناء طرابلس، إذ يقول: " وبخرج باب البحر منها منظر من أنزه المناظر، مشرف على الساحل حيث مرسى المدينة، وهو مرسى حسن متسع تقرب المراكب فيه من البر، وتصطف هناك اصطفاف الجياد في أواديها[2].

ومما زاد من أهمية طرابلس، موقعها الجغرافي الاستراتيجي المطل على جزيرة مالطا، بحيث تحولت إلى قاعدة بحرية أساسية على ساحل المتوسط والذي تجتازه السفن الأوروبية المسيحية في وجهتها إلى الشرق الأدنى، كما تمتعت طرابلس بميزات ملاحية طبيعية، ومثال ذلك وقوعها على خليج صغير هلالي الشكل محمي برصيف صخري من جهة الشمال والجنوب الغربيين، إضافة إلى وجود مينائها شرق رأس الزور مما أكسبه حصانة ضد الرياح الشرقية العنيفة[3].

هذا الأمر مكّن لمينائها احتضان العديد من السفن، غير أنه عانى من عراقيل ملاحية أخرى حدّت من إمكانية استغلاله، حيث كانت المياه غير عميقة فلم تتعدى 25 قدما، إضافة إلى مساوئ الحواجز الطبيعية الصخرية المتحكمة بذلك في حجم السفن القابلة للرسو، فقد أمكن التوغل للحوض الداخلي للمراكب الصغيرة، التي لا يزيد غاطسها عن 15 قدما، ومن هذه العراقيل نذكر أيضا انغلاق الميناء في وجه الملاحة من جهة الشمال الغربي لوجود حاجز صخري يجبر السفن على الرسو في عرض البحر [1].

ولكون هذه التضاريس مكنت من استغلال ميناء طرابلس بشكل أفضل، فإن الظروف المناخية للسواحل الغربية لطرابلس الغرب ميزتها حدة الرياح الشمالية الغربية وكذا الشرقية منها، مما جعلها

---

(1) أبو عبيد الله البكري: **المسالك والممالك**، تح. أدريانفان ليوفي، أندي فيري، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1992م، ج2، ص653.

(2) أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني: **رحلة التجاني**، تق. حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، طرابلس – تونس، 1981م، ص246.

(3) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 40. /سالم علي الحجاجي: **ليبيا الجديدة**، مؤسسة السريعة، طرابلس، ليبيا، ط2، 1970م، ص52.

(1) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص41.

تسبب خطرًا حقيقيًا خصوصًا مع اضطراب الأحوال الجوية خلال فصلي الصيف والشتاء، نتيجة لما تتعرض إليه من عواصف وأمواج وحركات المد والجزر [1].

وقد حرص الحكام الذين تعاقبوا عليها منذ القرن (8هـ/14م) على سيرورة عملية التطوير على الصعيد العمراني وصيانة الأمن، وذلك عن طريق تحصينها بالأسوار الدفاعية والخنادق العميقة، وعندما تولى فرسان مالطا الحكم عملوا على تكثيف الدفاعات عليها بالأبراج العالية المطلة على الميناء لحماية المدينة من أي هجوم عثماني، وفي شأن ذلك أورد "الوزان" ما يلي: "..وكانت هذه المدينة (أي طرابلس) قد خربت على أثر احتلال المسيحيين لها، حقا أنهم حصنوا القصر بسور متين ومدفعية ضخمة، كما شاهدنا ذلك في عام (924هـ/1518م)، وسمعت منذ وقت قريب أن أمير المدينة أخذ يعمرها بالسكان باسم القيصر"[2].

وبما أن مدينة طرابلس تعتبر عاصمة الإيالة، ومقر حكومتها، ومركز قوتها البرية والبحرية، والتي كانت تابعة للدولة المركزية (الدولة العثمانية) إلى غاية بداية العهد القرمانلي سنة (1123هـ/1711م)، فقد قدر عدد أفراد الحامية المرابطين بها 4 آلاف جندي أواخر القرن(11هـ/17م) [3].

2/ العثمانيون يحصنون مركز مدينة طرابلس الغرب:

لقد خول الموقع الاستراتيجي لمدينة طرابلس الواقع قرب جزيرة مالطا وإشرافها على الخطوط الملاحية التجارية، أن تكون أحد بؤر النزاع خلال القرن (10هـ/16م) بين القوى المتنافسة في البحر المتوسط المتمثلة في العثمانيين والاسبان، الأمر الذي جعلها بمجرد نجدة العثمانيين لها تبرز كقاعدة رئيسية للجهاد البحري لا تقل أهمية عن قاعدتي الجزائر وتونس[1].

بعد هزيمة فرسان مالطا على يد الأسطول العثماني في (12شعبان 958هـ/ 14أغسطس1551م) غدت طرابلس الغرب ولاية عثمانية، وتولى حكمها "مراد آغا"، الذي اهتم في بداية عهده بترميم القلعة وبث الحياة العامة مجددا بمدينة طرابلس، والتي شهدت ضررًا بالغًا بسبب

---

[1] سالم علي الحجاجي: **المرجع السابق**، ص 101، / عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 41.

[2] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج2، ص98. / حسين مسعود أبو مدينة: **المرجع السابق**، ص92.

[3] خليفة محمد سالم الأحول: **المرجع السابق**، ص26.

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص42.

سياسات احتلال الاسبان وفرسان مالطا، وبفضله عاد ميناء طرابلس ليصبح قاعدة هامة للقوات البحرية العثمانية في المتوسط، فكان نقطة انطلاق لحملات الجهاد البحري سواء لاسترداد ما احتل من التراب التونسي أو للإغارة على الدول الأوروبية المعادية، وكذا رد الهجمات المضادة، أو في المعارك الكبرى التي جرت حول مالطا وليبانت[1].

وبعد تولي "درغوث باشا" حكم طرابلس (959-973هـ/1556 -1565م) ذاع صيت ميناء طرابلس، فأصبحت سفن طرابلس تبث الرعب في وسط البحر المتوسط، لدرجة أن التجار الأوروبيين عندما كانوا يغادرون موانئهم في البحر المتوسط يُودّعون بهذا القول" حفظك الله من سفن طرابلس"، وذلك نتيجة لاهتمام "درغوث باشا" بتقوية الأسطول البحري، وتحصين مدينة طرابلس، حيث أنشأ دارا لصناعة البارود جنوب القلعة، وبنى على أسوار هذه الدار شرفات في هيئة حصن لحماية الدار ومدخل المدينة من الجهة الجنوبية الشرقية، كما أقام حصنا جديدا على هضبة باب البحر في الجانب الشمالي الغربي من سور المدينة عرف بحصن التراب، كما عرف بطابية درغوث أو الطابية الإسبانية[2].

كما قام "درغوث باشا"، بتطوير حصن "القديس سان بيتر"، الذي بناه الإسبان لحماية الميناء، فتم استبداله بحصن أقوى، وحوله إلى ما يشبه القلعة، ويقع هذا الحصن في الطرف الشمالي الشرقي للمدينة مطلا على أولى جزر الميناء، وذلك للتحكم في مدخل الميناء الشمالي، والواقع بين الحصن وتلك الجزيرة، وقد عرف هذا الحصن بعدة أسماء منها حصن درغوث والبرج الأحمر والبرج الاسباني، وقد جسدت أحد الرسومات الأوروبية لمدينة طرابلس هذا الحصن، والتي يرجع تاريخها إلى النصف الثاني من القرن (10هـ/16م)، كما يظهر هذا الرسم أن ميناء طرابلس كان يحتوي رصيفين

---

[1] خليفة محمد التليسي: **حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب**، الدار العربية للكتاب، ط3، 1997، ص76.

[2] حسين مسعود أبو مدينة: **المرجع السابق**، ص 92. / مارمول كاربخال: **افريقيا...**، **المرجع السابق**، ج3، ص125. / خليفة محمد الذويبي: **الأوضاع العسكرية في طرابلس الغرب قبيل الاحتلال الايطالي (1298-1329هـ/1881-1911م)**، دار الكتب الوطنية، ط1، 1999م، ص83.

خشبيين ترسو بجانبهما مجموعة من السفن الشراعية ذات المجاديف، يقع الرصيف الأول بالقرب من حصن درغوث، أما الرصيف الثاني فقد بنى على أول جزر الميناء[1].

وقد شيد "درغوث وقلج علي باشا" دار البارود التي تؤدي مهمتها كاملة في صناعة وإعداد الذخيرة الحربية، وتم تشييدها بشكل مربع، شاهقة الأسوار، لا تتوفر لها الحماية اللازمة عند الغطاء تحقيقًا للغرض الذي أقيمت من أجله، ويقول عنها المؤلف "المجهول" أنها لا تزال تشاهد من الميدان بجانبيها وذلك في عصر عثمان الساقزلي خلال النصف الثاني من القرن (11هـ/17م)، ويصلها السور بباب الحرية المعروف (بالدباغ) [2].

وخلال القرن (11هـ/17م)حصنت طرابلس ببنيات دفاعية متطورة لمجابهة التحديات الأوربية، ورغم أن المدينة كانت محصنة بأسوار ممتازة وعريضة، وذات حماية كافية، وتتصل بحصن المنارة أو حصن الشريف الذي أعيد تحصينه سنة (1036هـ/1627م) من قبل محمد الشريف، والذي يسيطر على المدينة والميناء وينحدر من سور بسيط ينتهي عند البرج المربع المعروف (بالحصن الأسباني) "درغوث باشا"، إلا أن الوالي "عثمان باشا" (1059-1083هـ/1649-1672م)، بادر بتشييد ورش لبناء السفن، وتقوية رصيف الميناء بإنشاء رصيف وقائي ضد حركة الأمواج العاتية، فضلاً عن بناء خمسة أبراج على السور البحري وتأسيس سور هلالي الشكل حول حصن المندريك زوده بقطع من المدافع القوية، وذلك لرفع الكفاءة القتالية لطرابلس وإعدادها للتصدي للأعداء، من خلال زيادة عدد قطع الأسطول التي بلغت 24 سفينة، ممّا أعاد للبحرية الطرابلسية هيبتها وصولتها، وقد لقيت إنجازات "عثمان الساقزلي"(1649-1672م) استحسان الرحالين العرب المغاربة الذين خلدوا هذه الإنجازات في كتاباتهم[1].

---

[1] حسين مسعود أبو مدينة: **المرجع السابق**، ص 92. / خليفة محمد الذويبي: **المرجع السابق**، ص 82.

[2] برنيا كونستانزيو: **المرجع السابق**، ص 153.

[1] برنيا كونستانزيو: **المرجع السابق**، ص 154. / محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص43 و ص289. /أبو سالم العياشي: **المصدر السابق**، ص67. / أتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...**، **المرجع السابق**، ص 286./ محمود علي عامر ومحمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث(**المغرب الأقصى-ليبية**)، منشورات جامعة دمشق، 1999م-2000م، ص ص 196-199.

كما أشار إليها بعض الكتاب الأوروبيين ومن بينهم "بوتي دولاكروا الابن" « Petis De Croix Fims La» سكرتير ملك فرنسا "**لويس الرابع عشر**" في قوله:"...وحجم مدينة طرابلس يماثل حجم مدينة طولون تقريبا، وهي محصنة بسبعة معاقل غير متكافئة وإن كانت قوية بما فيه الكفاية، ولطرابلس من ناحية البحر حصن المندريك المسلح بثلاث قطع مدفعية من الحديد المصبوب، وبستة وثلاثين رطلاً من الرصاص، وبتسع عشرة قطعة حديدية تزن ما بين 8 و12 رطلا، ويوجد في القلعة التي يقيم بها الداي ثلاث قطع مدفعية من الحديد المصبوب، يتراوح وزن الواحدة بين 18 و 24 رطلاً، أما معاقل المدينة وأسوارها فهي خالية من المدافع إلاّ من ناحية باب البحر، حيث توجد ثلاثة مدافع من الحديد المصبوب يزن الواحد منها 8 أرطال، أما حصن "درغوث" فيوجد به 15 مدفعًا قديمًا من الحديد المصبوب ذوات عيارات ضيقة جدًا، وتحصينات المدينة من ناحية البر جميلة المنظر كثيرة، وتحيط بها الخنادق، لكن هذه لا تحتوي على مياه، لأن المسؤولين لا يخشون أحدا من تلك الجهة سوى عرب الدواخل، الذين لا مدافع لديهم ولا خبرة لهم بزرع الألغام، وتوجد عند رأس المنشية ثلاث بطاريات مهمتها الدفاع عن مدخل المرسى، وتتألف البطارية الأولى من 7 مدافع ما بين 18 و24 رطلاً سيئة المواضع، وتتألف الثانية من 5 مدافع، والثالثة من 3 مدافع، ويتراوح وزن الواحد منها مابين18 إلى 24 رطلاً [1].

وقد جاءت هذه التحصينات تبعًا لحرص الولاة على رفع القدرة الدفاعية للمدينة، مثلما حدث في عهدي "بالي داي وخليل باشا" سنة (1084هـ/1673م)، حيث وصلت أنباء عن خروج أسطول فرنسي صغير للهجوم على طرابلس، فشرع في بناء سور ما بين "حصن درغوث" وضريح "المرابط سيدي إنديش"، وذلك لحجب باب البحر وحماية المرسى الداخلي الصغير ضد قذائف الأسطول المعادي، واستمر العمل في هذه الدفاعات مدة ثلاثة أشهر، ثم أقيمت قاعدة نصبت عليها ستة مدافع زادت في تحصين الجبهة البحرية، وقد واصل هذه التحصينات فيما بعد

[1] **نقلا عن** شارل فيرو: **الحوليات الليبية من الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي**، تع وتح. محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي-ليبيا، ط3، 1994م، ص209.

"إبراهيم المصرلي أوغلي" خليفة "بالي" سنة (1086هـ/1675م)[1] كما قام هذا الأخير بتعمير القلاع وتشييد البرج الكائن شرقي الثغر المعروف الآن (ببرج الشعاب) [2].

ثالثا– تجهيز الأسطول الليبي (طرابلس الغرب):

نتناول في هذه الجزئية ما يخص تجهيز الأسطول الليبي ، خاصة ما يتعلق بالمواد الأولية التي يحتاجها الأسطول الطرابلسي وكيفية حصوله عليها، وما الدول التي كان يُستورد منها ما هو غير موجود بطرابلس، وكذلك التعرف على أهم ورش صناعة وتصليح السفن، وكذا أهم رياس البحر الذين اضطلعوا بهذه المهمة الصعبة.

1/المادة الأولية لصناعة السفن:

يعتبر الأسطول البحري القوة الضاربة الثانية بعد الجيش البري في طرابلس الغرب، وقد تشكل هذا الأسطول من السفن التي جاء على متنها "درغوث" من اسطمبول إلى طرابلس الغرب، لذلك يعتبر درغوث المؤسس الفعلي للأسطول الطرابلسي الذي أصبح يهدد الجزء الغربي للبحر المتوسط[3].

ولعل أهم العوامل التي ساعدت "درغوث باشا" في تكوين هذه القوة البحرية الناشئة، هو الشهرة التي حظيت بها طرابلس في مجال صناعة السفن منذ الفتح الإسلامي، وكان لترسانتها الدور الفعال في هذا الجانب، وعندما جاء العثمانيون استغلوا هذه الترسانة وفعّلوها وعادت لنشاطها الأول [1]، وقد كان الأسطول في البداية يتكون من 18 قطعة بين شينية وغليون وأضاف عليها بعد ذلك ضعف العدد السابق من المراكب، وهذا ما يدل على قوة البحرية الطرابلسية [2].

---

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص44. /شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص180/برنيا كونستانزيو: **المرجع السابق**، ص177.

[2] أحمد بك النائب الأنصاري: **المرجع السابق**، ص 249.

[3] نيكولاي إيليتش بروشين: **تاريخ ليبيا من منتصف القرن السادس عشر حتى مطلع القرن العشرين**، تر. عماد حاتم، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط2، 2001م، ص45.

[1] عمر علي بن إسماعيل: **انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا (1795م-1835م)**، مكتبة الفرجاني، طرابلس-ليبيا، 1966م، ص26.

[2] كامللو منفروني: **المرجع السابق**، ص57.

وكانت المراكب التي يمتلكها الأفراد الذين لهم علاقة بالنشاط البحري، تمثل جزء من الأسطول الرسمي أثناء الحروب والمجابهات، أما في الأيام العادية فهي متروكة لأصحابها يمارسون من خلالها نشاطهم الاقتصادي مستفيدين من الخدمات التي تقام في الميناء وفي ترسانة السفن[1].

لقد كانت بلدان المغارب، ومن بينها طرابلس الغرب فقيرة من حيث المواد الأولية (كالأخشاب والحديد والزفت والقطران) الضرورية لصناعة السفن، لذلك حاول الولاة الطرابلسيون معالجة هذا النقص من خلال تغطية احتياجاتهم على مرحلتين:

- **المرحلة الأولى**: ونقصد بها السنوات الأولى للإيالة الطرابلسية الناشئة، والتي تم فيها تسديد النقص عن طريق طلب المساعدة من الدولة العلية، التي كانت تقدم لهم المساعدة بطريقتين:

1/ توجه لإيالة طرابلس سفنًا من أسطولها مجهزة بالرجال والعتاد والأسلحة، خاصة عند شيوع أخبار لتجمع العدو قربها، أو ورود خبر عن نية استهدافه لها، مثلما جاء في الفرمان السلطاني المرسل إلى "درغوث باشا" والمؤرخ في(04 ربيع الأول 967هـ/ 04 ديسمبر 1559م)، والذي جاء فيه ما يأتي: "لقد راسلت عتبتنا العالية وأخبرتنا كيف أن العدو، ما أن سمع بعودة الأسطول العثماني إلى اسطمبول، حتى قامت سفنه بالتجمع بالغرب من مصراتة بهدف الهجوم على طرابلس، مع العلم أن طرابلس الغرب هي مثل مماليكي المحروسة، وأن رعاياها مثل باقي رعايا الدولة العثمانية، ودائما ننظر إليها بعين العطف والرحمة، وحمايتهم واجبة، ولذا ومن أجل دفع اعتداء الكفار عليها وحفظ الولاية، جهزنا مراكب شبيهة بالكواكب، وزودناها بكل أنواع السلاح والعساكر، لقتال الأعداء وأرسلناها إلى ناحيتكم، وسوف تصلكم عن قريب هذه القوات كلها، خاصة أنك أظهرت كل المساعي المشكورة لخدمة شؤون السلطة وإعلاء كلمتها، فأنت مملوكي البطل، هذا من أجل انزال الهزيمة بأسطول العدو، ولكي تحصل الغلبة، فقد أرسلنا رسالتنا إلى الرؤساء ومشايخ القبائل وإلى العلماء لجمع الشمل وتوحيد القوات، وليقفوا معك ويوحدوا قواتهم للقتال إلى جانبك ضد الأعداء، وعليك أن تبذل كل ما في وسعك وتتبع أخبار العدو وتقدم بحراسة السواحل ليلاً ونهارًا حتى لا يصلها أي

---

[1] محمد سعيد الطويل: **البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي**، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا 2012م، ص47. / مصطفى عبد الله بعيو: **دراسات في التاريخ اللوبي الأسس التاريخية لمستقبل لوبيا**، مطابع عابدين، الإسكندرية، ص 134.

أذى من الكفار الأعداء، ونأمرك بتعمير وترميم كل القلاع اللازمة للدفاع عن الإيالة، وعليك بإظهار مساعيك وبطولتك المعتادة مع تلك القوات المرسلة لك، وإظهار مدى السلطات وقوتها للأعداء الكفار حتى تلحق بهم الهزيمة"(1).

وتورد الوثائق العثمانية موقفًا آخر، لاستنجاد "درغوث باشا" بالباب العالي، حين طالب بالبارود والمدافع، وكان نص الرسالة كالآتي:" أرسل الأمير طرغود دام إقباله، رسالة إلى عتبتنا العالية ذكر فيها أن طرابلس الغرب التي تعد دارا للجهاد، يعيش أهاليها في حال من الخوف والخطر من هجوم الأعداء، وإنها بحاجة إلى البارود والمدافع، وحدد حاجتها الآنية إلى 1000 قنطار بارود، لذا نأمرك بتهيئة 200 قنطار بارود ممّا تبقى لديك، علمًا أن استعدادات حركة أسطولي الهمايوني، أصبحت تامة، وحركته باتت وشيكة، وابذل جهدك لحفظ المسلمين وحمايتهم في تلك الديار"(2).

2/ توجه فرمانا لإحدى ولاياتها بتقديم المساعدة لإيالة طرابلس الغرب، مثلما وجهت ل:

أ– بايلرباي إيالة الجزائر: أمرا بإرسال العتاد الحربي إلى "درغوث رايس" في رسالة جاء فيها:" لقد وصلت إلى عتبتنا العلية رسالتكم حول العمليات الحربية التي قام بها تورغوث رايس الذي قدم بـ 3 سفن لمجابهة العدو، إلا أنه يشكو من قلة الذخيرة العسكرية وهو يطلب المال، وعليه نأمركم ببيع الكمية اللازمة من الذخيرة الحربية لتورغوث رايس، وتحميلها على ظهر سفنه، وهذا بعد أخذ المال والضرائب المحدودة له، ونأمركم بعدم إهمال ذلك وإرسال الذخيرة اللازمة" (1).

ب– حاكم إينه بختي طورخان الذي وُجه له نفس الفرمان السابق الذي وجه لحاكم الجزائر(2).

---

(1) أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 3، حكم رقم 579، ص 209، بتاريخ 6 ربيع الأول 967هـ/ 6 ديسمبر 1559م. / عبد الجليل التميمي: **دراسات** ...، **المرجع السابق**، ص 174.

(2) أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 6، حكم رقم 950، ص 443، بتاريخ 29 جمادى الأولى 972هـ/ 1 جانفي 1965م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات** ...، **المرجع السابق**، ص ص 181-182، لكن التميمي أخطا الشهر واعتقده شهر شعبان./ أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 3، حكم رقم 579، ص 209، بتاريخ 6 ربيع الأول 967هـ/ 6 ديسمبر 1559م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات** ...، **المرجع السابق**، ص 174.

(1) أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 3، حكم رقم 248، ص 99، بتاريخ 20ذي القعدة 966هـ/24 أوت 1559. / عبد الجليل التميمي: **دراسات** ...، **المرجع السابق**، ص 173.

(2) أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 3، حكم رقم 251، بتاريخ 20ذي القعدة 966هـ/24 أوت 1559.

ج- حاكم إينه بختي طورخان أمرا بإرسال العساكر بسرعة إلى "درغوث باشا" في رسالة جاء فيه:" نأمرك بإرسال إلى بايلرباي طرابلس الغرب تورغوث ريس، العساكر المتطوعين مع ريس مصطفى، كما تم تعيين مصطفى وهو أحد ممثلي سلطان الباب العالي (جاويش) لحمل الأموال وتسليمها إلى طورغود ريس، فالأمر يقتضي البحث وبسرعة، على ريس مصطفى تسليم هذا الحكم الشريف له وإرساله على وجه السرعة إلى طرابلس للالتحاق بطورغود ريس"[1].

3/ توجه فرمانا لكل الولايات العثمانية المطلة على الحوض المتوسطي بضرورة تقديم المساعدة للإيالة الطرابلسية، مثلما جاء في الرسالة الآتية: "هذا حكمنا الشريف إلى حكام وقادة المناطق التابعة لنا بالبحر الأبيض المتوسط: إن بايلرباي طرابلس الغرب الحالي في حاجة إلى إرسال العتاد له، وعليه ندعوكم لدى وصول هذا الحكم، إلى إرسال كل الجنود المتطوعين الموجودين وإهماله، لا يقبل منكم ذلك، وعلى هذا الأساس، عليكم أن تتداركوا الأمر وإرسال العتاد إلى طورغود ريس"[2].

- المرحلة الثانية: ونقصد بها ما بعد مرحلة توطيد الحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب من طرف "درغوث باشا"، أي أنه بعد استقرار الأوضاع كان لابد من تقوية الأسطول الطرابلسي، فكان يتم جلب المواد الأولية من خارج طرابلس وذلك عبر طريقتين:

1/داخليا: وذلك مما كان متوفرا في الولايات العثمانية، فمثلاً كانت يتم جلب الخشب من غابات الأناضول والشام والمغرب، والحبال من أزمير[3]، والحديد من سالونيك في إطار التعاون المشترك في ظل السيادة العثمانية، وكان يتم تجنيد المتطوعين للعمل البحري في الولايات العثمانية في ترسانة اسطمبول المعروفة بالترسخانة العامرة، حتى أن حاكم ولاية طرابلس قد اشتكى ندرة المجدفين وتجهيزات السفن بطرابلس الغرب في رسالة نصها كالآتي:" لقد أرسل بايلرباي طرابلس إلى الباب العالي رسالة أحاطنا فيها إلى قلة السفن الكبيرة بطرابلس الغرب، بحيث أن السفن الصغيرة التي توجد في موانئ هذه الإيالة صغيرة.....، مع العلم أن الإيالة تشكو من قلة المجدفين، والموجودون بها كلهم

---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 3، حكم رقم 580، ص 209، بتاريخ 6ربيع الأول 967هـ/ 6 ديسمبر 1559م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات** ...، **المرجع السابق**، ص 174.

[2] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 3، حكم رقم 581، ص 209، بتاريخ 6 ربيع الأول 967هـ/ 6 ديسمبر 1559م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات** ...، **المرجع السابق**، ص 175.

[3] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص ص 45-46. /مصطفى عبد الله بعيو: **المرجع السابق**، ص 134.

تم تعيينهم واستخدامهم منذ عهد درغوث باشا للمحافظة على السواحل الطرابلسية، وأمام قلة عدد المجدفين لغاية حماية السواحل، يطلب تعيين مجدفين من الرعايا للقيام بهذه المهمة، وعليه عند وصول أمري هذا، فليتم تجهيز السفن وتجنيد الرعايا في خدمة البحرية والحصول على عدد المجدفين اللازمين للأسطول"[1].

2/خارجيا: كانوا يأتون بالأخشاب المختلفة الصالحة للصناعة من البندقية، أما حبال السفن وأنواع الحبال الأخرى والرصاص كانوا يستوردونه من عند الإنجليز والهولنديين [2].

فمحمد باشا الساقزلي (1633-1649م) اهتم كثيرا بالأسطول وسعى جاهدا لرفع كفاءته، فبادر في تنشيط استيراد الخشب والمواد الأولية من الإيالات العثمانية الأخرى، وعمل على نقل الخبرات والتقنيات المتطورة من الدول الأوربية كفرنسا وانجلترا وإيطاليا [3].

وقد عمل الرهبان المسيحيون وملوك أوربا على ردع كل من يقوم بتصدير هذه المواد، التي لربما تصب في خدمة البحرية الطرابلسية وهو ما يهدّدهم، ورغم هذا المنع إلا أن التجار المسيحيين في فرنسا والدويلات الإيطالية وإنجلترا كانوا يصدرون لطرابلس أقمشة الأشرعة والسيوف والبنادق والرصاص ...إلخ، عن طريق التهريب، بالإضافة إلى السفن التي يقوم الطرابلسيون بمصادرتها لاستخلاص ما يناسبهم لبناء سفن ملائمة لعملياتهم الجهادية [4].

وتوفر المراكب المغنومة أيضا كميات من الخشب في حالة كونها غير صالحة للاستعمال المباشر، إلى جانب الصواري وعدتها والحبال والمجاديف وقماش الشراع والمراسي (جمع مرساة)، كما توجد بعض المواد الخام المحلية على الأرجح كالقطران والأخشاب في برقة، والحبال التي كانت تصنع من ليف النخيل في الواحات وبعض المناطق الساحلية [1].

---

(1) أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 40، حكم رقم، ص 209، بتاريخ 20 شعبان 987هـ/ 12 أكتوبر 1579م./عبد الجليل التميمي: **دراسات ...، المرجع السابق**، ص 246.

(2) كُوستانزيُو برنيا: **المرجع السابق**، ص ص89-123.

(3) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص293.

(4) كوستانزيو برنيا: **المرجع السابق**، ص123.

(1) محمد سعيد الطويل: **البحرية الطرابلسية ...، المرجع السابق**، ص48.

إلا أنه سنة (1044هـ/1634م) منعت فرنسا رعاياها وتجارها من شحن أية بضائع باتجاه بلدان المغاربة حتى بعض الدول التي كانت لها علاقات جيدة معها، منعت هي الأخرى من إمداد الأساطيل الإسلامية بالأشرعة والمجاديف والبارود وغيرها إلا بإذن قانوني من سلطاتها، لكن رغم كل هذه المعوقات كانت تجارة التهريب نشطة بفعل مساعدة الدول المناوئة أو بمبادرة فردية من طرف التجار الذين عملوا على توفير المستلزمات لورش البناء في طرابلس، فقد شجع "محمد باشا الساقزلي" تجارة التهريب التي كانت توفر له الأدوات الضرورية للأسطول، والذي انعكس بالإيجاب على أسطوله الذي بلغ 10 سفن كبيرة عالية التجهيز، تحوي 30 إلى 40 مدفعًا للسفينة الواحدة، حتى أنه لم يكن بمقدار أي أسطول أوربي مواجهة الأسطول الطرابلسي باستثناء القوادس المالطية[1].

2/ ورشات صناعة السفن:

في البداية تجدر الإشارة أن الدولة العثمانية كانت تُنصّب الباشوات المتميزين بالقدرة والكفاءة في الإشراف على عملية بناء السفن وتطوير قدرات الأسطول القتالية، بغية الاطمئنان على حماية الباشا للإيالة المسندة إليه، وكذا إشراكه في الحروب البحرية للدولة العثمانية وقتما يحين ذلك، وقد تم لدايات طرابلس الغرب الحصول على الاستقلال الإسمي من طرف السلطان العثماني، وذلك نظير خدماتهم المتمثلة في إعداد أساطيل جهادية تتمتع بقدرات تقنية وقتالية، وكان باشوات ودايات طرابلس قد بادروا للنهوض بالأسطول البحري الطرابلسي، وذلك من خلال تفعيل الورشات القديمة لصناعة السفن و جلبوا لها صناع أكفاء في هذا المجال الذين كان أغلبهم من الأعلاج والأسرى المسيحيين، وقد كان لهؤلاء دور بارز في خدمة وتطوير الأسطول الطرابلسي، وذلك من خلال صنع سفن تماثل السفن الأوربية، وإذ أوردنا أن طرابلس الغرب كانت تصنع السفن، فلا نتصور سفنا بتلك الضخامة والجودة التي تصنعها الدول الأوربية، وذلك لأن الورشات العثمانية المخصصة لصناعة السفن كانت تقوم ببناء هياكل السفن فقط، في حين أن التجهيزات الملاحية والعسكرية كانت تعتمد على الإمدادات الأوروبية[1].

---

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 48 وص ص 293-294.

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص ص 46 -50-51.

وكان " الداي صفر" من الدايات الذين شجعوا الأعمال البحرية، فقد قام بشراء سفن كبيرة، كما قام باستخدام الصناع بعد ما وسع من ترسانة طرابلس الغرب، وسار "محمد باشا الساقزلي" على نهجه، فعمل على توسيع دار صناعة السفن، واختار أقوى الشباب للعمل في البحرية[1]، ويزودنا "الجراح جيرارد" الذي كان أسيرا في مدينة طرابلس صورة عن الجهاد البحري ودار بناء السفن، فجاء في خضم حديثه أن "محمد باشا الساقزلي" هو أول من بني المراكب بطرابلس، وأنه بعد ما تمكن مجاهدو البحر من أسر البناء بيير بلنج"Pierre Bling " الخبير بصناعة السفن، بنى له "محمد الساقزلي" مركبين رائعين، وأسروا أيضا في سنة (1064هـ/1654م)، باترون أوجر " Auger Pattern" وهو أيضا خبير بروفنسالي، وقد بني للوالي 4 سفن، ومقابل هذا الصنيع أعاده إلى بلاده دون فدية، وينبغي الإشارة أن هذان الأسيران قدما خدمة للبحرية الطرابلسية عند نقل خبرتهم للعمال، وبذلك ذللت صعوبة صناعة السفن بتوفر الخبرة الطرابلسية[2]، فقد كان يتكون الأسطول في عهده من 7 إلى 9مراكب بالإضافة إلى مركب كبير، وكانت السفن الكبيرة مزودة ب30 إلى 40 مدفعًا تتسع 300 جندي، و50 من الأسرى، في حين أن المراكب الصغيرة المختلفة الأحجام كانت تحمل من 20 إلى 30 قطعة مدفعية، وكل واحدة محملة بالعتاد الحربي والمؤن والمياه[3].

وقد استخدم الطرابلسيون في نشاطهم البحري السفن ذات المجاديف، والتي تتميز بشكلها الطويل الضيق الذي يساعدها على شق أمواج البحر، ناهيك عن سرعتها في الاندفاع، إذا ما حركت مجاديفها في الماء، وتميزت أيضا عن السفن المسيحية بالخفة، ممّا مكنها من مطاردة سفن الأعداء أو الهروب منها، وكانت تسند مهمة التجديف للأسرى [1].

كانت طرابلس الغرب تعاني من قلة وجود السفن الكبيرة، ذلك أن حجم السفن الصغيرة لا يساعد على ممارسة التجارة، وما يثبت هذا القول الرسالة التي أرسلها بايلرباي إيالة طرابلس سنة (987هـ/1579م) إلى الباب العالي ليخبرهم بهذا الوضع، وطلب منهم تزويد وتعزيز أسطوله بقطع

---

[1] محمود علي عامر، محمد خير فارس: **تاريخ المغرب العربي الحديث** ، ص ص 188-194.

[2] **نقلا عن**: خليفة محمد التليسي: **حكاية...**، **المرجع السابق**، ص102.

[3] محمد الهادي عبد الله أبو علجية: **النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية (1711م-1835م) وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية**، جامعة قاريونس، بنغازي، 1997م، ص 78.

[1] مصطفى عبد الله بعيو: **المرجع السابق**، ص 132.

من السفن، وعدد من المجدفين لأن الإيالة تشكو أيضا من قلتهم، اللهم إلا من بقوا من عهد "درغوث" يحرسون السواحل الطرابلسية[1].

كان الأسطول الطرابلسي يضم عدة أنواع من المراكب فيها الغاليرات[2]، وهي سفن حربية سريعة كانت تشكل نسبة كبيرة من قطع الأسطول الطرابلسي، كما كانت سائدة في أغلب أساطيل البحر المتوسط الإسلامية والمسيحية على السواء[3]، وكذلك ضم الغليونات- ومفردها غليون - وهو من المراكب التجارية الحربية في آن واحد[4]، والتي ظهرت في الفترة الممتدة ما بين القرن (9هـ/15م) و(10هـ/16م)[5].

وتعتبر من القطع البحرية المنتشرة الاستعمال في البحر المتوسط، وعند أغلب الأساطيل بما في ذلك الطرابلسي والعثماني، وكذا القادرغات التي هي أيضا من المراكب المكونة للأسطول الطرابلسي[6]

هذا وقد شهدت ترسانة طرابلس خلال القرن (11هـ/17م) نشاطًا مكثفًا في صناعة السفن، ففي بدايته عرفت البحرية الطرابلسية نوعًا جديدًا من السفن وهي المراكب المستديرة[1]، والتي يطلق عليها اسم جفون[2]، وقد كان ظهورها في البحرية الطرابلسية متزامنًا مع ظهورها في البحرية التونسية والجزائرية[3].

---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 40، ص 156، بتاريخ 20 شعبان 987هـ/ 12 أكتوبر 1579م/ عبد الجليل التميمي: **دراسات ...**، **المرجع السابق**، ص 246.

[2] النخيلي درويش: **السفن الاسلامية على حرف المعجم**، جامعة الاسكندرية، 1974م، ص21.

[3] كامللو منفروني: **المرجع السابق**، ص59.

[4] س.باك: **القدرة البحرية في البحر الابيض المتوسط**، تر. بسام العسلي، دار الشورى، بيروت، ط1، 1981م، ص29.

[5] النخيلي درويش: **المرجع السابق**، ص112.

[6] عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص25.

[1] **المركب المستدير**: هو الذي تكون علاقة طوله بعرضه 3 إلى 4 أما الطويل يصل إلى 9 متر، **ينظر**: كواندرو: **المرجع السابق**، ص73.

[2] كامللو منفروني: **المرجع السابق**، ص68.

[3] ايتوري روسي: **المرجع السابق**، ص115.

ولم تنحصر معرفتهم بقيادة هذه السفن وإنما فاقت أكثر من ذلك فأصبحوا هم من يصنعونها، وقد ساعدهم في ذلك كما ذكرنا المسيحيون المهتدون(الأعلاج) الذين قاموا بتعليمهم طرق صناعة هذه السفن، ففي طرابلس قد علمهم العلج اليوناني "الريس مامي" سنة (1027هـ/1618م)[1].

ومن الأسلحة التي استخدمها البحارة في نشاطاتهم وحروبهم البحرية المسدسات، بالإضافة للأسلحة البيضاء كالسيوف والسكاكين وغيرها، ويكون استخدامها عند المواجهة المباشرة بالخصم، وذلك بسحب سفنهم بواسطة الكلاليب والمخاطيف، وعليه تصبح المواجهة وكأنها برية، وقد قيل أن صرخات البحارة الطرابلسيين تبث الرعب أثناء المعركة لدى الأعداء فيتركون على أثرها مراكبهم فارين[2].

ولابد للإشارة أن أول من ساهم في صناعة البارود في مدينة طرابلس هو "درغوث باشا" (960-973هـ/1553-1565م) كما أسلفنا، حيث قام ببناء دار للبارود في الركن الجنوبي للمدينة أي قرب باب المنشية، وهي على شكل مستطيل قدر طولها بحوالي 65 مترا، وعرضها بحوالي 45 مترا، وتعتبر هذه الدار بمثابة مخزن للبارود، وبمرور الزمن اكتسبت أهمية وذلك بتطور الأسلحة المستعملة في الجيش والأسطول الطرابلسي[3]، ورغم ما تنتجه هذه الدار، إلا أن طرابلس الغرب كانت تعاني من قلة وجود البارود، ولعل ما يثبت هذا القول الرسالة التي بعث بها درغوث إلى الوزير "مصطفى باشا" سنة (973هـ/1565م)، يخبره فيها أنه بحاجة إلى البارود لأن طرابلس تعيش في حالة خوف وعدم استقرار وأنه بحاجة إلى 1000 قنطار بارود، كما أمره بتجهيز 200 قنطار بارود مما تبقى لديه[1].

3/ المساعدات الخارجية:

---

[1] جان كلود زليتر: **طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط إفريقيا (1500م-1795م)**، تر. جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهرية، بنغازي، 2001م، ص238.

[2] محمد سعيد الطويل: **البحرية الطرابلسية ...، المرجع السابق**، ص168.

[3] محمد سعيد الطويل: **البحرية الطرابلسية ...، المرجع السابق**، ص 169.

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 6، حكم رقم 562، ص 443، بتاريخ 29 جمادى الأولى 972هـ/ 1 جانفي 1965م.

استفادت الأساطيل الجهادية في بلاد المغارب عموما وطرابلس الغرب بوجه أخص من الصراعات الدينية والتقلبات السياسية الحاصلة في أوربا، كالتي بين فرنسا وإسبانيا وإنجلترا وهولندا، فقد حصلت الأساطيل العثمانية على متطلباتها من معدات وتجهيزات من هولندا وإنجلترا، وفي المقابل تسمح لهاتين الدولتين بمرور سفنهم التجارية في حوض البحر المتوسط[1].

وعلى إثر المعاهدة الممضاة بين هولندا وطرابلس سنة (1094هـ/1683م)، عهدت هولندا بتدعيم وتزويد طرابلس الغرب ب 150 برميل بارود، 3 آلاف قذيفة، 3كوابل، 5 صواري سفن، وقد زودتهم بكل هذا في فترة لا تتجاوز الأربعة عشر شهراً، وفي المقابل أفرجت حكومة الداي عن 9 أسرى هولنديين [2]، كما سمحت لهم بإقامة مركز قنصلي في المدينة [3].

وكما أسلفنا، ونظرًا لتضارب المصالح بين الدول الأوروبية، فإن هولندا كانت تزود بلدان المغارب ومن بينها ولاية طرابلس الغرب بالتقنيات والمعدات اللازمة في مجال الملاحة البحرية نكاية في عدوتها إسبانيا، وإلى جانب هولندا لم تلتزم إنجلترا هي الأخرى بقرار الحظر، خدمة لمصالحها فتعاونت اقتصاديًا وسياسيًا مع ولاية طرابلس، من خلال تزويد الأساطيل الجهادية بما تحتاجه من مواد ضرورية، إلا أنه في النصف الثاني من القرن (11هـ/17م) تغير موقف إنجلترا بعد استيلائها على مضيق جبل طارق، وأضحت أكبر قوة بحرية في أوربا وتحالفت مع فرنسا ضد الأساطيل الجهادية رغم استمرار الدعم الهولندي[4].

4/أهم قيادات الأسطول الطرابلسي:

تعاقب على قيادة حركة الجهاد البحري بإيالة طرابلس الغرب العثمانية العديد من رياس البحرية المعروفين آنذاك، والذين يعود لهم الفضل في الإرتقاء بهذه الإيالة عسكريًا من خلال إقحامها للمساهمة في الصراع العثماني المسيحي الدائر على مستوى حوض البحر الأبيض المتوسط، والارتقاء بها اقتصاديًا من خلال سعيهم لانتعاش نشاطها الملاحي والتجاري، وهو ما سيعود على الإيالة بالخير الوفير. ومن بين أبرز هؤلاء الرياس الذين سطروا بإنجازاتهم أسمائهم في المصادر المؤرخة للقرنين (10-

---

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص47.

[2] محمد الهادي عبد الله أبو علجية: **المرجع السابق**، ص82.

[3] شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص123.

[4] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص ص 60-61.

11هـ/16-17م) [1]، منهم على التوالي: مرادآغا، درغوث باشا، قلج علي، جعفر باشا، رمضان باشا، حسين باشا، مامي رايس، محمد باشا الساقزلي، شريف رايس، عثمان باشا الساقزلي، بيرام رايس، علي رايس، مصطفى الثغري (مصطفى تاغرينو)، مصطفى كامبانا، مصطفى الاستنكويلي، إبراهيم مصرلي أوغلو، عمر المتشو المصراتي، عمر قازدغلي رايس، أحمد رايس درغتلي، محمد شكينو، (بسكاينو)... الخ، وفي هذا الصدد سنورد تعريفًا بأهمهم فيمّا يأتي:

أ- مراد آغا: هو من أصول ايطالية من مواليد راقوسا، أسره القراصنة وباعوه، وآل أمره إلى قصر السلطان سليم، وعملت له عملية الإخصاء ليباشر خدمة النساء في القصر لذلك سمي (آغا) [2]، كان مراد آغا من آغوات الحرم الذين نشأوا بالسرايا السلطانية، كان يحسن اللّغة العربية وله كفاية فيها يقلد إياه وشهامة فيها يستعان به[3]، انضم لخير الدين بن يعقوب سنة (945هـ/1538م) وهو الذي أرسله إلى تاجوراء ليستأنف ما بدأه "خير الدين كرمان" في تاجوراء وينظم الغزو على مدينة طرابلس، وقام بمهمته خير القيام[4].

وبعد تعيينه واليا اتجه لإصلاح المدينة التي دُمّرت بسبب الغارات المتوالية، كما انصرف لتشييد حصون جديدة، احتياطا للغارات المتوقعة في المستقبل[5]، وقد قام بإخضاع البلاد للنفوذ العثماني، وحاولت زوارة التخلص من نفوذه فغزاها في(شعبان 959هـ/ أغسطس 1552م) وأخضعها لحكمه، بقي واليا على طرابلس إلى(ربيع الآخر 960هـ/ مارس 1553م)، حيث عزل وعُين "درغوث باشا" واليًا على طرابلس بدلاً عنه، وانتقل "مراد آغا" إلى تاجوراء وكانت مدة ولايته سنة و7 أشهر، أخذ معه بعض المسيحيين الذين كان أسرهم، وبنى جامعه الكبير بواسطة هؤلاء الأسرى[1].

[1] **نفسه**، ص 131. وللاطلاع على تعداد السفن البحرية الطرابلسية خلال هذه الفترة، ينظر: **الملحق رقم15**.
[2] طاهر الزاوي: **ولاة طرابلس...**، **المرجع السابق**، ص 153.
[3] أحمد بك النائب الأنصاري: **المرجع السابق**، ص 188.
[4] طاهر الزاوي: **ولاة طرابلس...**، **المرجع السابق**، ص 155.
[5] أتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...**، **المرجع السابق**، ص 216.
[1] طاهر الزاوي: **ولاة طرابلس...**، **المرجع السابق**، ص 155.

ب- درغوث باشا: أطلق عليه الكتاب الغربيون اسم Dargut ولد حوالي سنة (890هـ/1485م) في إحدى قرى الأناضول، اشتغل في البداية بحارا تحت التدريب [1]، إذ يقول عنه مارمول كربخال:" أن أصل درغوث من حصن صغير بآسيا يقع قبالة جزيرة رودس من الإقليم الذي يسميه الأتراك اليوم مانطيشا...، اعتاد ركوب البحار عدة سنين حتى صار من أعظم رؤساء السفن في بحر المشرق..." [2]، إلاّ أن "جون وولف" يقول في كتابه أن "درغوث باشا" من الأصول اليونانية [3].

لما بلغ "درغوث" سن العشرين أصبح بحارًا ذا خبرة، زاول الملاحة والجهاد البحري قبل الأخوين "عروج وخير الدين"، كما عمل مساعدًا للربان خير الدين، ويقال أنه تزوج من بنت "سرايلات صالح" أحد أتراك مودون المقيم في جربة [4]، فتكونت في زمانه نواة الأسطول الطرابلسي واشتهرت طرابلس بصناعة السفن [5].

تولى "درغوث" ولاية طرابلس بعد وفاة "مراد آغا" سنة (962هـ/1555م)، فقد عمل طيلة فترة حكمه على تثبيت الحكم العثماني وتخليص السواحل الطرابلسية من التحرشات الاسبانية، إذ كان قائدًا بحريًا عظيمًا، متخذًا من طرابلس قاعدة كبرى لعملياته التي كثرت بها الغنائم والأسرى الأوربيون[6]، وهكذا أصبحت بحرية "درغوث" مثارًا للرعب في نفوس بحارة وسكان أوروبا الجنوبية، الشيء الذي ظل قائما حتى أواخر حياته عندما أصبح شيخًا هرمًا[7]، وقد اختلفت الروايات حول استشهاده الذي زعزع طرابلس بعد رحيله، وهذا بعد مشاركته في حصار مالطا الذي استشهد فيه، وبعد وفاته نكست طرابلس الغرب قبل جيرانها بفقدانها للريس درغوث، فبموته غدت أمرة الأمراء مجرد لقب خال مضمونه، وهكذا ازدادت الصراعات العسكرية بين الجند والأهالي، وتلاشت قوة الجهاد البحري[1].

---

(1) مصطفى خوجة: **تاريخ فزان**، تح. حبيب وادعة الحسناوي، د ط، م م ج ل د ت، 1979م، ص 41.

(2) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص 71.

(3) جون. ب. وولف: **المرجع السابق**، ص 64.

(4) عزيز سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص 25.

(5) توللي ريتشارد: **عشرة أعوام في طرابلس**، تر. عبد الجليل طاهر، دار ليبيا للنشر، بنغازي ،1967م، ص 32.

(6) شوقي عطا الله الجمل: **المرجع السابق**، ص 131.

(7) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 138.

(1) محمود علي عامر ومحمد خير فارس: **المرجع السابق**، ص 174.

ج- محمد باشا الساقزلي: أصله من جزيرة (ساقز) جزيرة من جزر الروم، قدم إلى طرابلس نوتيا في إحدى سفن النصارى، وهو نصراني انتقل إلى الجزائر وأسلم بها، اشتغل بغزو السواحل الأوروبية وجاء إلى طرابلس أيام رمضان داي[1].

ويقول عنه النائب:" وقلده قيادة العساكر البحرية...، ثم لما رأى رمضان داي من نفسه عدم الاقتدار على رتق فتق الإيالة ورفع وهيها، وكان صهره هذا ذا شهامة وكفاية، نزل له عن ولايتها...، ونهض بأعباء الإيالة، وبعث العمال وبسط في الناس العدل ودانت له القاصية"[2].

عُرف "محمد الساقزلي" بمقدرته ونشاطه إلى أن حصل من السلطان "مراد الرابع" على أمر تعيينه واليًا على طرابلس، ومنحه لقب الباشوية، ارتبط ذكره بالضرائب الفادحة التي فرضها على النخيل والزيتون، كما قرر رسومًا على حق المرور من باب المنشية وباب البحر كانت تدر عليه 2500 ريال في السنة [3].

مات محمد الساقزلي (ليلة الجمعة في شهر ذي القعدة 1059هـ / 1649م)، وقيل سنة (1060هـ/1650م) والأول أصح، وكانت ولايته سنة (1040هـ/ 1631م)، وقيل سنة (1042هـ /1633م) وهذه الرواية الأخيرة هي الأصح، وكان موته بسُمّ وضع له في تفاحة وأعطاه إياه طبيب إفرنجي كان أسيرا عنده[4].

د- عثمان باشا الساقزلي: هو علج يوناني الأصل من جزيرة ساقز، اشتهر في بداية حياته بكونه من الرياس الشجعان إلى جانب "محمد الساقزلي"[5]، وبعد وفاة هذا الأخير قام الكيخيا محمود بتكليف من الخازن رمضان بإبلاغ "عثمان بك" بوفاة الباشا، فحضر إلى القلعة ودعي لاستلام الحكم، فامتنع في البداية ثم قبل، وبايع الناس بالإجماع، ومنح كل جندي 10 ريالات[1]، ثم راسل السلطان "محمد

(1) الطاهر الزاوي: **ولاة طرابلس...**، **المرجع السابق**، ص 177.
(2) أحمد بك النائب الانصاري: **المرجع السابق**، ص 232.
(3) ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...**، **المرجع السابق**، ص 269.
(4) ابن غلبون: **التذكار...**، **المرجع السابق**، ص 183.
(5) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 145.
(1) ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...**، **المرجع السابق**، ص 278.

الرابع" في تعيينه دايًا على طرابلس الغرب، فكتب إليه السلطان بذلك وولاه أمر طرابلس التي اهتم بها، كما اهتم بتنشيط الغزو البحري، فغنم من الكفار سفنًا كثيرةً وأموالاً غزيرة[1].

ولما استقر به المقام في الولاية ذكرته طباعه الخبيثة ما كان عليه، فقد منع التجار المسافرين لفزان من التجارة في النحاس، وحجر على الناس شراء السلع المهمة القادمة من البحر، وقال عنه حسين بن أحمد: "كان عثمان هذا داهية حازما، وكان ذا مكر وخداع، لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة"[2]، وصادف ذلك ملأً من أهالي طرابلس نتيجة سياسة الاستبداد والظلم رفقة أعوانه، فمالت نفس كثير منهم إلى مقاتلته، وكان (شيخ قبيلة بني نوير من المحاميد) ذا شهامة وبأس شديد قد أظلم الجو بينه وبين عثمان، فاتقفت كلمته وكلمة (ولد شريف باشا) ومن دان لهم من الرعية كأهل تاجوراء وطائفة قليلة من العساكر[3]، وفي (29رجب 1083هـ/ 19 نوفمبر1673م) ثار الجند على "عثمان الساقزلي" وفي غرة شعبان قرروا خلعه، وقد بذل محاولات كثيرة لإنقاذ نفسه لكنه فشل، وبعد حصار دام 11 يوما،شرب سما فمات، وكانت وفاته يوم (9 شعبان 1083هـ/29 نوفمبر 1673م)[4].

هـ- **بيرام رايس:** من فئة الأعلاج ذوي الأصول الفرنسية، ولد بمدينة طولون سنة (1017هـ/1609م)، اشتغل منذ صغره بأعمال البحر والملاحة حتى صار من أبرز البحارة المشهورين الملمين بمختلف الخبرات الأوروبية والمغاربية، كان في بداية أمره مسيحيا ، عندما وقع أسيرًا عند غزاة البحر التونسيين، ثم اعتنق الدين الإسلامي وغدا ضمن صفوف الأعلاج ،بعدها اعتقلته سفن مدينة ليفورنو ثم أطلقت سراحه بعد سعي أمه في الأمر [5]. لينضم عنوة إلى فرسان مالطة تمهيدًا لعودته مجددًا إلى صفوف مجاهدي البحر، وهو الأمر الذي كُتب له إبان فترة حكم "مصطفى شريف داي" الذي لم يلبث أن ولاه منصب نائب أمير البحر، ليصبح نظير ذلك أميرا للبحرية

---

[1] ابن غلبون: **التذكار**...، **المرجع السابق**، ص 186.

[2] **نقلا عن**: الطاهر الزاوي: **ولاة طرابلس**...، **المرجع السابق**، ص ص 173-174.

[3] أحمد بك النائب الأنصاري: **المرجع السابق**، ص 240.

[4] الطاهر الزاوي: **ولاة طرابلس**...، **المرجع السابق**، ص 186.

[5] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 146.

الطرابلسية في عهد عثمان، ثم قائدا للأسطول الطرابلسي في معركة الدردنيل الواقعة سنة (1647م/1057هـ) ومعركة البنادقة الواقعة سنة (1075هـ/ 1665م) [1].

و- **إبراهيم مصرلي أوغلو**: وهو من أشهر أمراء البحر العثمانيين الذين برعوا في مجال البحرية الطرابلسية، انتقل الأخير من مصر إلى ولاية طرابلس بعدما خولت له الدولة العثمانية صلاحية ذلك سنة (1084هـ/1673م)، في ظل شيوع نبأ مرض بالي شاوش وفشله في إعادة السيطرة العثمانية على أوضاع أيالة طرابلس الغرب، وخاصة بعد استمراره في عملية السيطرة السياسية والتحالفات التي عقدها مع كل من طائفتي الرياس وجند الإنكشارية [2].

أمام القرار الذي أصدره الباب العالي بخصوص إرسال "**إبراهيم مصرلي أوغلو**" إلى إيالة طرابلس الغرب، فقد سمح " **بالي شاوش**" للأخير بالبقاء في المدينة كأحد أعضاء طائفة الرياس الأتراك النافذين في مجال البحرية والسياسة الداخلية للأيالة، وهو ما خول له فيمّا بعد تولي منصب الداي سنة (1086هـ/1675م)، بدعم من الباب العالي والعناصر التركية المتواجدة على مستوى الديوان والإنكشارية [3].

وقد عمل الأخير خلال فترة ولايته على ترقية نشاط الجهاد البحري ودحر الخطر الخارجي المتمثل في الحصار الأوروبي الذي كان يُفرض على الإيالة بين الحين والآخر، من خلال العناية الفائقة التي أولاها للأسطول الطرابلسي، وكمحاولة منه لتحقيق أمن الإيالة فقد كان يضطر أحيانًا إلى توقيع بعض المعاهدات التي تضمن السلم وحالة اللاحرب مع الدول الأوروبية الكبرى، إذا ما عجزت البحرية الطرابلسية على صدّ اعتداءاتها في فترة ما، ومثاله اتفاقية الصلح التي عقدها الأخير مع الأميرال "ناربوروه" سنة (1087هـ/1676م) على الرغم من عدم موافقة الديوان وطائفتي الرياس والإنكشارية عليها، الأمر الذي جعله يتعرض لجملة من محاولات الاغتيال المنظمة، فرجع إلى مصر في (محرم 1087هـ/ أفريل 1676م خوفًا على نفسه[1].

وممّا سبق ذكره، يمكننا القول:

---

[1] شارل فيرو: **الحوليات الليبية من الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، المرجع السابق**، ص ص194-195.

[2] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 148.

[3] أحمد بك النائب الأنصاري: **المرجع السابق**، ص ص249-250.

[1] شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص ص235-246.

بتعدد مراكز حركة الجهاد البحري في إيالة طرابلس الغرب خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، ولعلّ سبب ذلك يعود لموقعها الإستراتيجي، الذي جعل منها حلقة وصل بين بلدان المشرق والمغرب من جهة، وبين الدول الأوروبية ومناطق الشرق الأدنى في الجهة الأخرى، ومن أهم هذه المراكز " مركز مدينة طرابلس" الذي مثل بدوره الحاضرة التاريخية والدفاعية للأسطول الطرابلسي، ومراكز كل من مدن" تاجوراء- مصراتة- بنغازي ودرنة"، حيث عُني العثمانيون بتجهيز سفنها وأساطيلها بالاعتماد على ما توفر لديهم من خبرة بحرية حربية أندلسية وأوروبية، وهو ما سمح لهذه المراكز حتمًا لتبني نشاط الجهاد البحري خلال الفترة المدروسة، كقوة عسكرية لا تقل أهميتها عن قاعدتي الجهاد البحري في كل من أيالتي تونس والجزائر.

المبحث الثاني- دور مراكز حركة الجهاد البحري الطرابلسي في مجابهة الحملات الأوربية خلال القرن (10هـ/16م):

أدّت مراكز حركة الجهاد البحري الطرابلسي دورًا بارزًا في الصراع المحتدم القائم على ضفتي البحر الأبيض المتوسط بين إيالات المغارب والدول الأورومسيحية خلال القرن(10هـ/16م) ، حيث كان لهذه المراكز الدور الأساس في توسيع دائرة الجهاد المغاربي والمساهمة في حروب الدولة العثمانية ضدّ أعدائها الأوروبين، بل تعدى الأمر ذلك حدّ التأثير المباشر على سيرورة ذلك الصراع، وذلك من خلال سلسلة الحملات التي كانت تقوم بها البحرية الطرابلسية، إمّا في شكل هجمات خاطفة على السواحل الأوروبية الجنوبية، أو تلك التي كانت تنظمها للرد على الاعتداءات الأجنبية التي تعترضها بين الفينة والأخرى، لهذا ستبقى مراكز حركة الجهاد البحري الطرابلسي نشطة طيلة هذه الفترة، الأمر الذي سيتيح بدوره الفرصة الكاملة أمام العثمانيين للبروز أكثر في المنطقة الطرابلسية وما جاورها.

أولا-دور مراكز حركة الجهاد البحري الليبي (الطرابلسي) في مجابهة الحملات الأوروبية خلال النصف الأول من القرن(10هـ/16م):

1/ الإسبان يحتلون طرابلس الغرب (915-936هـ/1510-1530م):

لم يتوقف مشروع إسبانيا بمحاولة التوسع في سواحل الجزائر وتونس، بل أقدم "بيدرو نافارو" على تجسيد المشروع الإسباني الكبير، واتجه إلى مدينة طرابلس الغرب، وتنفيذا للأمر الذي وجهه

الملك فيرديناند في قوله: "...ولابد لاستقرارنا في إفريقيا من احتلالِنا لوهران وبجاية وطرابلس ...ولا تسمح للمغاربة بالإقامة في مدن الساحل..."(1).

أَبحر بيدرو نافارو من بجاية إلى صقلية ثم إلى مالطا ومنها إلى طرابلس، حيث قام بتجهيز أسطول قوامه 120 قطعة بحرية، استعانة بسفن أخرى من مالطا، عليها 15 ألف جندي من الإسبان، و3 آلاف من المالطيين والطليان، وفي صباح 25 جويلية تم تنفيذ عمليات النزول تحت ضربات القصف المدفعي الطرابلسي، الذي كان يقابله نيران السفن الإسبانية(2)، وتمكّن من احتلالها في (24 ربيع الثاني916هـ/30جويلية 1510م) بعد مقاومة ضارية مخلّفا وراءه 5 آلاف شهيد، و6 آلاف أسير(3).

ورغم البسالة التي أبداها أهالي طرابلس في مقاومتهم للاسبان، فقد قال عنهم "روسي" أنهم:" ظلوا يحاربون ثلاث ساعات داخل شوارع المدينة إذ كان الطرابلسيون يقاومون بعنف"(4)، وبعد السيطرة الكلية على طرابلس الغرب اتخذت قاعدة رئيسية لتحركاتهم البحرية والقرصانية، كما عملوا على تحصين الميناء بأسوار قوية للحماية من أي هجوم من طرف الطرابلسيين (5).

ولعل العوامل التي دفعتهم إلى القيام بهذا، هو ظهور الدولة العثمانية كدولة بحرية قوية في الحوض الشرقي من البحر المتوسط، وكانت طبيعة الصراع على السيادة تتوجب الإسراع بالسيطرة على أكثر ما يمكن من موانئه وسواحله (1)، واحتلال الإسبان لطرابلس يعني احتلالهم لمنافذ البحر

---

(1) حول رسالة الملك فيرديناند إلى بيدرو نافارو يأمره فيها باحتلال طرابلس، مُؤرخة في ماي 1510م. **يُنظر**: شارل فيرو: **الحوليات الليبية من الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، المرجع السابق**، ص ص73-74.

(2) أتّوري روسّي: **طرابلس تحت الإسبان ...، المرجع السابق**، ص ص22-18.

(3) الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج2، ص101. / أحمد بن حسين النائب الأنصاري: **نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان**، تق وتح.محمد زينهم محمد عرب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، مصر، 1994م، ص38. وأورد العياشي أن احتلالها كان في 16 محرم سنة 916هـ، **ينظر** أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي: **الرحلة العياشية (1071هـ-1073هـ/1661م-1663م)**، تح. سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006م، مج1، ص 143.

(4) إيتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...، المرجع السابق**، ص 171.

(5) شوقي عطا الله الجمل: **المرجع السابق**، ص130.

(1) Beranger(J), Contamine(P), Durand(Y), Rapp(F): **l’Europe du début du XIV°siècle à la fin du XVIII° siècle**, 3T, P.U.O, Paris, 1980, t2, p276.

المتوسط الذي تعتبر المملكة الإسبانية القوة الضاربة فيه، وبذلك تمُكن من الحيلولة بين الأسطول العثماني وبين تمركزه في الحوض الغربي من هذا البحر(1).

ونظرا للسياسة التعسفية التي انتهجها الاسبان ضد الأهالي في طرابلس وازدياد خطرهم وقوة شكيمتهم، اضطر أهالي تاجوراء ومنهم الوافدون عليها من طرابلس إلى تشكيل وفد والاتصال بالسلطان العثماني سليم الأول في(926هـ/1519م)، قصد دراسة الموقف وطلب المساعدة (2).

2/ طرابلس الغرب تحت فرسان القديس يوحنا (936-957هـ/1530-1551م):

كانت التكاليف باهضة والمخاطر بأنواعها تتهدد الوجود الإسباني في طرابلس الغرب، حتى كاد الاسبان يفقدونها بسبب كثرة الهجمات التي تلقوها من طرف مجاهدي البحر، خاصة بعدما ذاع صيت الإخوة بربروس ومجابهتهم للإسبان والمراكز التابعة لهم، وتزايد مقاومة الطرابلسيين للغزاة، والعوامل الجغرافية مما رفع حجم تكاليف الحفاظ عليها، فكل ذلك دفع الإسبان للبحث عن قوة موالية تدير طرابلس نيابة عنهم، وقد تزايدت هذه الرغبة الإسبانية لعدة أسباب منها: التطورات التي عرفتها أوربا نتيجة لتيار النهضة وبروز النزعة القومية، مما هدد مستقبل الإمبراطورية الإسبانية، كما أدى خروج اسبانيا للعالم الجديد إلى زيادة التزاماتها وشعورها بخطر تشتت قواها، وقد تزامنت مختلف هذه الوقائع مع التطورات التي حدثت في الحوض الشرقي للمتوسط، حيث استطاع العثمانيون إخراج فرسان القديس يوحنا من رودس وانتقالهم إلى إيطاليا(3).

وعندما تمتع هؤلاء بتأييد وتشجيع من البابوية وتمويل من معظم البلاد المسيحية، نتيجة ممارسة القرصنة وكيدهم في التعرض لأساطيل الدولة العثمانية في البحر المتوسط، فما كان من المرشد الأكبر لمنظمة الفرسان القديس يوحنا إلا مراسلة الامبراطور "شارل الخامس" في (ذي الحجة 930هـ/أكتوبر

(1) محمد المطوي العروسي: **المرجع السابق** ، ص ص656-657.

(2) نجم الدين غالب الكيب: **مدينة طرابلس عبر التاريخ**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط2، 1978م، ص91.

(3) محمد شرعي بن معيزة: **دور الكنيسة الكاثوليكية وتنظيماتها في العلاقات بين الايالات المغاربية ودول جنوب غرب أوربا (فرنسا، إسبانيا، الدويلات الإيطالية)، خلال القرنين 16م-17م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: مختار حساني، جامعة غرداية، السنة الجامعية 2011- 2012م، ص114.

1524م) طالبا منحهم جزيرة مالطا، وقد رحب الإمبراطور بهذا الطلب، واشترط أن تتولى المنظمة مهمة الدفاع عن القلعة وطرابلس [1].

وقد استغرقت المفاوضات مدة طويلة حتى تمكنوا من الاتفاق النهائي، وذلك لتوالي بعض الأحداث التي أذهلت "شارل الخامس"، وصرفته عن التفكير في طرابلس، وهي حرب إيطاليا وروما سنة (934هـ/1527م)، وأخيرا وقع الإمبراطور في (25 رجب 936هـ/ 24 مارس 1530م) مرسوم التنازل عن طرابلس لفرسان القديس يوحنا في كاستيل فرانكو بولونييزي (Castlfranco Bolognese)، مما خول لهم الحصول على جزيرة مالطا من الامبراطور "شارل الخامس" وحماية طرابلس والدفاع عنها[2]، ولم يتغير واقع طرابلس من التخلف على جميع الأصعدة، بفعل سياسة الفرسان التدميرية والتخريبية لمنشئاتها التحتية، ولم يشهد عصرهم (الفرسان) بطرابلس سوى قيامهم بإعادة بناء وتحصين أسوارها[3].

3/ مجابهة مركز تاجوراء لفرسان القديس يوحنا في طرابلس:

يرجع أول اتصال لخير الدين بن يعقوب(بربروس) بتاجوراء إلى سنة(921هـ/ 1515م)، عندما اتخذ منها قاعدة لحملاته على الإسبان في طرابلس، بما أنه لا ينوي البقاء بعيدا عن مسرح الأحداث الرئيسي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، لذلك ترك أحد أقاربه نائبا عنه في تاجوراء وهو "خير الدين كرمان"، وقد بذل هذا الأخير جهودا كبيرة في جعل هذه القاعدة أكثر أهمية، وأوفر أمنا، فأنشأ برجا للمراقبة، والدفاع قرب مدينة طرابلس، وقام بتوسيع مرسى تاجوراء حتى يصلح لرسو المراكب الحربية، فأصبح هذا الميناء بمثابة القاعدة البحرية لأسطوله المكون من بعض القطع البحرية والبحار الذين تركهم "خير الدين بن يعقوب" وتمكن من الحصول على السفينتين اللتين يمتلكهما فرسان القديس يوحنا في طرابلس بما فيهما من رجال وعتاد، إضافة للمراكب الطرابلسية التي نجت

---

[1] عمر محمد الباروني: **المرجع السابق**، ص ص79-80.

[2] إيتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...**، **المرجع السابق**، ص192. /توللي ريتشارد: **المرجع السابق**، ص32.

[3] جمال أحمد حداد رشوان: **المنازل الأثرية في طرابلس الغرب في العصرين العثماني الأول والقرمانلي دراسة أثرية تاريخية**، رسالة دكتوراه فلسفة في الدراسات الافريقية 1551م-1835م، تاريخ حديث ومعاصر، إشرا. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وآخرون، جامعة القاهرة، مصر، 2015م، ج1، ص 08. /عمر الباروني: **المرجع السابق**، ص98.

من الأسر أو التدمير الاسباني[1]، وأعلن الحرب في البر والبحر على فرسان القديس يوحنا، وضيق عليهم الخناق، وأضعف شوكتهم وقطع سكان جنزور تحالفهم مع طرابلس وامتنعوا عن دفع الضرائب للفرسان، وانضموا لحركة المقاومة[2].

كما حاصر طرابلس، وضيق على أهلها حتى لم يقدروا على فتح الأبواب، وانتشرت قوات "خير الدين كرمان" حول طرابلس، كما بنى قلعة جنوبا على بعد ميل من سور المدينة وكانت تعرف بقلعة القائد وكانت بالظهرة، ونصب عليها المدافع، حيث كانت قنابلها تصل تقريبا من السور، وتضايق الفرسان من هذه القلعة، وعول "كرمان" على طردهم من طرابلس، وكان ذا عزم وقوة إرادة، فحشد جنده ورجاله، وانضم إليه المتطوعون من لماية وزنزور، فتقدم الجيش نحو أسوار المدينة ونشبت الحرب، واختلطت أصوات التكبير والتهليل بأصوات القنابل والمدافع، ونصبت السلالم على الأسوار، وحمي وطيس الحرب، وضاقت الدنيا في وجوه الفرسان، وظنوا ألا مناص من الأسر أو القتل، وكادوا يستسلمون حتى أتاهم النصر بسبب انتشار خبر كاذب، بوفاة "خير الدين كرمان" بين الجنود، فأخذ الجنود يهربون من مواقع الدفاع نحو قلعة الظهرة، مما عجل بفوز الفرسان بالمعركة[3].

وفور حصول الفرسان على العون من مالطا اتحدوا مع عرب المنشية وقرروا الهجوم على قلعة القائد بالظهرة التي تتحصن فيها الحامية العثمانية المكونة من حوالي 80 شخصا، وكان "خير الدين كرمان" في قبيلة أبي دبوس التي تبعد عن المدينة بثلاثة أميال، فخلى بين الفرسان وبين القلعة لاستحالة نجدتهم لكن الجنود المرابطين في القلعة استماتوا في الدفاع عنها، وأبوا الاستسلام، فنسفت القلعة بمن فيها [4].

وبقي للفرسان "خير الدين كرمان" الذي يتحصن في قبيلة أبي دبوس التي تبعد عن المدينة بخمسة أميال، فانتقل من مكانه إلى تاجوراء، وحل الفرسان على هذه القبيلة فنهبوها وأسروا من فيها

---

[1] محمد سعيد الطويل: **العلاقات السياسية التجارية...**، **المرجع السابق**، ص ص41-42.

[2] جان كلود زليتر: **المرجع السابق**، ص73. /برنيا كونستانزيو: **المرجع السابق**، ص34

[3] ابن غلبون: **التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار**، تص وتعل. الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004م، ص ص154 -155.

[4] عمر الباروني: **المرجع السابق**، ص ص104-105. وقد جرت هذه المعركة سنة 1538م، حسب ما أورده الطويل لعدة اعتبارات، للاستزادة حول الموضوع ينظر محمد سعيد الطويل: **العلاقات السياسية التجارية...**، **المرجع السابق**، ص44.

وأضرموها بالنار، لكن أخبار "خير الدين كرمان" انقطعت بعد ذلك، ويقال أنه قتل في هذه المعارك [(1)]، إلا أن "محمد سعيد الطويل" أورد أن "خير الدين كرمان" كان دائم المشاركة إلى جانب خير الدين ابن يعقوب(بربروس) في غزواته الجهادية منها معركة بريفيزا في (شوال944هـ/سبتمبر1538م)، إلى أن استشهد أمام "كاستيلنوفو" سنة (945هـ/1539) [(2)].

بعد ذلك قام "خير الدين" بتعيين "مراد آغا" مساعده الأيمن على تاجوراء خلفا "لخير الدين كرمان" وذلك سنة (945هـ/1539م)، ليكمل ما بدأه سلفه، ويترأس الغزوات الجهادية على طرابلس، وكان "خير الدين بن يعقوب" يثق في تلميذه مراد ثقة عمياء، ويعتمد عليه في إدارة الحرب [(3)]، وقد أمده وهو في تاجوراء بالسفن الحربية والرجال والعتاد الحربي، ولم يخل زمن مراد من الأخذ والرد مع المسيحيين في البر والبحر، والغرض من ذلك إظهار وجوده وجعل اسمه مقرونا بالأعمال الجهادية، حتى لا يجد الأعداء فرصة للتعاون ضده [(4)].

إلا أن الفرسان كانوا يغزون القبائل المجاورة لطرابلس والتي كانت تدفع لهم الضرائب، خاصة تلك الواقعة على طريق تونس طرابلس، لخوفها من قوات الحسن الحفصي الذي كان متحالفا مع الإمبراطور، لكن بعد وفاة خير الدين سنة (953هـ/1546م)، لم يقدر "مراد آغا" على إعانة هذه القبائل والدفاع عنها لانقطاع المساعدات التي كان يرسلها له "خير الدين"، لكن في ظل هذه الأجواء قيض الله البحار "درغوث" الذي عمل جاهدا على تقويض أركان الاسبان في سواحل تونس وإضعاف شوكتهم، وكان يعمل جاهدا على تحرير طرابلس الغرب من الفرسان كذلك [(5)].

4/الأسطول العثماني يحرر طرابلس الغرب انطلاقا من مركز تاجوراء الجهادي عام (958هـ/1551م):

---

(1) ابن غلبون: **التذكار...، المرجع السابق**، ص ص 154-155.

(2) محمد سعيد الطويل: **العلاقات السياسية التجارية...، المرجع السابق**، ص45.

(3) N. De Nicolay: **Les quatre premiers livre des navigations et pérégrinations orientales. Guillaume**. R. Guill, Lyon, 1569, p33.

نقلا عن: محمد سعيد الطويل: **العلاقات السياسية التجارية...، المرجع السابق**، ص45.

(4) عمر الباروني: **المرجع السابق**، ص110.

(5) ابن غلبون: **المرجع السابق**، ص ص 157-159.

في النصف الثاني من القرن (10هـ/16م)، عزمت الدولة العثمانية على التدخل رسميا في منطقة المغارب لحسم الصراع في المنطقة بسبب عدة متغيرات منها:

أ- نية الدولة العثمانية في وضع حد للحكم غير المباشر في المغرب بعد وفاة "خير الدين" وإخضاعه للسلطة المباشرة للدولة حيث عملت على دعوة "درغوث باشا" ورفاقه وضمهم للبحرية العثمانية بمرتبات قدرها «80 أو قجة»[1].

ب- عزم الدولة العثمانية على حسم الصراع الدائر في الحوض الغربي للبحر المتوسط لصالحها، وطرد الإسبان من المنطقة وخاصة بعد الحملة الفاشلة للامبراطور شارلكان وقائده " أندريا دوريا " على الجزائر سنة (948هـ/1541م)، حيث نبهت إلى نوايا الإسبان في المنطقة.

ج- مواصلة الصراع القائم في أوربا، والذي وصل إلى إعلان الحرب بين فرنسا وإسبانيا سنة (939هـ/ 1532م)، ولذلك عمل على استغلال الفرصة وفرض سيطرته على منطقة المغارب.

ومن خلال ما تقدم، أمر السلطان سليمان القانوني (926-974هـ/ 1520- 1566م) قبيل صيف (951هـ/1551م) بإعداد الأسطول العثماني،[2] المكون من 140 سفينة من مختلف الأحجام والأنواع إلى عرض البحر، بقيادة "سنان باشا" القائد العام للأسطول العثماني، بالإضافة إلى سفن "درغوث رايس" التي بلغت حسب المصادر خمسين، وكذلك صالح باي حاكم رودس[3]، وقد حاذى الأسطول العثماني الساحل الصقلي، ثم هاجم مالطا وحاول عبثا الهجوم على مدينة نوتابيلي (Notabile) ولكنه استطاع أن يغزو جزيرة قوزو (Gozzo) وأسر منها 5 آلاف شخص، اتجهوا بهم جميعا إلى مدينة طرابلس، فوصلوها في الخامس من شهر أوت[4].

حل الأسطول على طرابلس، ونزل "سنان باشا" في منطقة تاجوراء حيث يقيم "مراد آغا"، وقام بإيفاد رسول عربي يحمل علما أبيض ومعه رسالة للفرسان يطلب منهم أن يسلموا المدينة،

---

(1) سامح عزيز التر: **المرجع السابق**، ص46.

(2) عبد الجليل التميمي: **الخلفية الدينية للصراع العثماني- الإسباني على الإيالات المغاربية في القرن السادس عشر**"، م.ت.م، ع 10-11، تونس 1978م، ص26.

(3) إيفانوف: **المرجع السابق**، ص265. / عبد الجليل التميمي: **الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني**، جمع وتق. عبد الجليل التميمي، الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، ط1، 1984م، ص77.

(4) ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح**...، **المرجع السابق**، ص209. / Charrière: **op**. **cit**, t2, pp154-162.

ويعدهم فيها بالإبقاء على حياتهم وأموالهم، وشرع (سنان باشا) في إنزال الجيوش والمدافع إلى البر ورتب الجيش، وأحاط بالمدينة من كل ناحية، فحفرت الخنادق، ونصبت المدافع البرية قرب سيدي الشعاب، واتخذ الأسطول مواقعه من البحر، ولم يشرعوا في الهجوم حتى يعلموا موقف الفرسان[1]، في حين رست سفينة سفير فرنسا لدى الدولة العثمانية دارامون (Daramon) في تاجوراء بناء على طلب رئيس أساقفة مالطا، وحاول إقناع "سنان باشا" بعدم محاصرة القلعة[2]، لكن ذلك لم يعد ممكنا والسلطان قد قرر محو الوجود المسيحي في هذه المدينة رغم اعتراف الدولة العلية بحق فرنسا في حماية الأقلية المسيحية هناك[3].

وفي يوم (6 شعبان 958 هـ/9 أغسطس 1551م) أُمر الجيش العثماني بالهجوم، فاستهدفت المدافع الأبراج والأسوار وقصر الحكومة، وأحرزت المدفعية نجاحا فتقدمت ونصبت على مسافة 150 متر من قصر الحكومة، وكان ضرب المدافع قويا ومحكما، وعمت الفوضى جنود الفرسان، وألحوا على ضباطهم في طلب الصلح، وطلب بعضهم اللجوء إلى مالطا، واعتقد حاكم المدينة "فالييرا" أن سقوط المدينة في يد العثمانيين أمر لا مناص منه، فأرسل إلى "سنان باشا" يطلب منه المفاوضة في الصلح، وتم الاتفاق على الاستسلام وانسحاب الفرسان إلى مالطا [4].

وهكذا أصبحت طرابلس ولاية عثمانية وقاعدة للأسطول العثماني في البحر المتوسط وأضحى "مراد آغا" أول شخصية عثمانية تتولى الحكم في المقاطعة الجديدة سنة (958هـ/1551م).

5/حملة فرسان مالطا على زوارة [1] الطرابلسية سنة (959هـ/1552م):

---

[1] ابن غلبون: **المرجع السابق**، ص159.

[2] ولتفاصيل أكثر حول الموضوع، **يُنظر**:

-Charrière: **op.cit**, t2, pp 154 -162 et p 261.

-De Grammont(H): **Histoire d 'Alger…**, **op.cit**, p 79.

-Haedo(D): **Histoire …**, **op.cit**, p 99.

[3] بناء على المعاهدة المعقودة بين الطرفين في (شعبان 942هـ/ يناير 1536م) والمعروفة بمعاهدة "**الامتيازات**"، للاستزادة. **ينظر** فريد محمد بك المحامي: **تاريخ الدولة العثمانية**، دار الجيل، بيروت، 1977م، ص ص 91-95.

[4] ابن غلبون: **المرجع السابق**، ص ص 160-161. / N. De Nicolay: **op.cit**, p33.

[1] **زوّارة** :اسم مدينة من مدن طرابلس التي تقع بقرب الحدود الغربية ومازالت تحمل هذا الاسم، وكانت تسمى (طوكين) تقع غربي طرابلس بنحو 109 كم، **ينظر** الطاهر أحمد الزاوي: **معجم** ...**المرجع السابق**، ص 175 .

لم يتقبل أهالي زوارة الدخول تحت نفوذ "مراد آغا"، فبقيت منطقة زوارة منفصلة عنه، دون طرابلس كلها والسبب مجهول، ولكن "مراد آغا" لم يسكت عن ذلك، واضطرته إلى غزوها بجيش بلغ تعداده 3600 جندي، وحاصرها في (شعبان 959 هـ/جويلية 1552م)، وقد اتفق أن فرسان القديس جهزوا أسطولا من 16 سفينة، عليها ألفا جندي لغزو زوارة، لبعدها عن مدينة طرابلس، وظنوا أن نفوذ "مراد آغا" لن يصلها، ووصل جيش الفرسان زوارة في اليوم الخامس من شعبان من السنة المذكورة، والتي كانت تحت حصار جيش "مراد آغا"، وزحف جيش الفرسان إلى زوارة وعاث فيها فسادا، ويقال أنه لم يشعر بوجود جيش "مراد آغا"، وأخذ الفرسان في الرجوع إلى الأسطول، وعلى حين غرة انقض عليه جيش "مراد آغا" من كل جانب وانعدم خيار الفرار عليهم، فتشتتوا وتركوا كل غنائمهم وما استولوا عليه من أسرى، واضطر الفرسان إلى الالقاء بأنفسهم في البحر، ومات الكثير منهم غرقا قبل وصولهم للسفن، فأقلع الأسطول بمن بقي وهم يجرون أذيال الخيبة، وكانت هزيمة منكرة لجيش الفرسان وأسطوله، ولم يحدث في أيام "مراد آغا" غير هذا الحادث الذي اعتبر وصمة عار فاقت حادث جزيرة رودس[1].

ثانيا- دور مراكز حركة الجهاد البحري الطرابلسي في مجابهة الحملات الأوروبية خلال النصف الثاني من القرن(10هـ/16م):

1/درغوث يعزز مركز طرابلس الجهادي، وينشط الجهاد البحري:

حصل "درغوث" على إمارة طرابلس في (جمادى الآخرة 960 هـ /مارس 1553م) حيث بذل جهودا كبيرة في تثبيت الحكم العثماني في الولاية العثمانية الجديدة في جميع أنحاء طرابلس بما في ذلك برقة وفزان، وحصّن طرابلس جيدا، حيث سخر حوالي 300 من الأسرى في ترميم منشئات مدينة طرابلس وتحصين قلعتها وتشييد أبراجها الجديدة"[2]، واتخذها مركزا لعملياته الجهادية ضد الكفار، وخضع الجهاد البحري في طرابلس لظروف الملاحة في الحوض المتوسطي التي لم تكن تسمح بالإبحار إلا من بداية ماي إلى شهر نوفمبر"[1].

[1] ابن غلبون: **المرجع السابق**، ص163. / طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية...**، **المرجع السابق**، ص237.

[2] شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص ص 122-123.

[1] حسن إميلي: **الجهاد البحري...**، **المرجع السابق**، ص 264.

وبالرغم من موسمية النشاط البحري فإن ذلك لم يمنع ازدهار القاعدة الجهادية بطرابلس، ومن أسباب ازدهار البحرية الطرابلسية أن الحاكم أولاها اهتمامًا بالغًا، لأنه يحضى بتاريخ حافل بالأعمال الجليلة في هذا المضمار، ويأتي بعد فترة طويلة من الركود والاضمحلال البحري الطرابلسي ليعيدها إلى أيام مجدها، وتصبح حاملة لراية للإسلام، بسبب الوضع الدولي السائد في البحر المتوسط، ولأهمية البحرية في الحروب من جهة وصيانة أمن الدولة من جهة، أولى "درغوث" اهتماما كبيرا ببناء وتطوير البحرية الطرابلسية، حتى يستطيع من خلالها مقارعة المسيحيين، وحماية سواحله من هجماتهم[1]، فكان يبقي سفنًا على أهبة الاستعداد، وسهر على تشغيل أوراش البناء المحلية، وهو ما مكنه من خلق قوة بحرية بلغت 35 سفينة جهادية، كان لها دور فعال في خوض العمليات على مستوى الحوض الغربي للمتوسط، والتي عادت عليه بغنائم معتبرة[2].

ولكي يقطع "درغوث" الطريق على الاسبان زحف في سنة (964 هـ/1556م) على جزيرة جربة وضمها إلى طرابلس وكذلك قفصة، وضم القيروان بعد القضاء على حاكمها "محمد بن الطيب الشابي" وولى عليها "حيدر باشا"[3]، وفي سنة (967هـ/1559م) قام مجاهدو البحرية الطرابلسية بالهجوم على السواحل الإسبانية وتمكنوا من إنقاذ حوالي (2500) موريسكي[4].

2/ مركز طرابلس الجهادي تحت التهديد المسيحي(967هـ/1559م):

نظرا للأهمية التي توليها الدولة العثمانية لإيالتها الجديدة طرابلس الغرب، وخوفا من محاولة احتلالها مرة أخرى من طرف الاسبان، أو حلفائهم، فقد كان السلطان "سليمان القانوني" يتتبع أخبار المنطقة، ولما وصلته أخبار بتجمع الأسطول المسيحي في خليج ماسينا الذي بلغ تعداده 132 سفينة، وأنه قد تم الاتفاق على تقسيم القوات إلى قسمين، قسم يهاجم جربة، والقسم الثاني يهاجم طرابلس الغرب، فأرسل السلطان فرمانا ضمنه هذه الأخبار، وطلب من بايلرباي الجزائر، بضرورة

---

[1] محمد سعيد الطويل: **البحرية الليبية الطرابلسية**...، **المرجع السابق**، ص 46.
[2] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص ص265-266.
[3] الأنصاري أحمد بك النائب: **المنهل**...، **المرجع السابق**، ص 224.
[4] محمد عبد الله عنان: **المرجع السابق**، ص 388.

التجسس على العدو، وضرورة العمل والتعاون لحفظ الإيالة والنواحي التابعة لها، فلربما يتمكنون من الهجوم على طرابلس قبل وصول الأسطول العثماني[1].

كما وجه بايلرباي الجزائر رسالة للسلطان العثماني، أخطره فيها بالعمليات الجهادية التي خاضها درغوث، غير أنه يشكو من قلة الذخيرة العسكرية، فرد عليه السلطان بضرورة بيع الكمية التي يحتاجها درغوث من المعدات الحربية، وضرورة تحميلها على سفنه، لمساندته ومؤازرته.

كما أرسل السلطان العثماني فرمانا إلى حاكم اينه بختي طورخان يأمره فيه بضرورة إرسال العساكر المتطوعين مع الريس مصطفى على وجه السرعة لمساندة درغوث ضد الحملة المسيحية المرتقبة على طرابلس الغرب، والتي راجت أخبارها في المنطقة، كما أرسل له السلطان الأموال مع الجاويش مصطفى لفك الضائقة المالية التي يعانيها[2]، كما تم إرسال فرمانات إلى جميع الحكام والقادة المعينين على سواحل البحر المتوسط، للإسراع بإرسال الجنود والأسلحة والذخيرة، وكل ما يلزم من أمور الحرب إلى طرابلس الغرب لمساعدتها في محنتها، وحذّرهم من مغبة التهاون، أو التماطل، في هذا الأمر، وذلك نظرا لجدية الموضوع وأهميته بالنسبة لأمن طرابلس، وضرورة المحافظة عليها[3].

وقد أرسل فرمانا لأعيان طرابلس وصلحائها وعلمائها ومشايخ العربان بضرورة تعاونهم مع بايلرباي طرابلس، ليكونوا يدا واحدة على العدو في حال محاولة الهجوم عليهم[4]، كما تم إرسال فرمان آخر إلى "درغوث باشا" يرد فيه السلطان القانوني عن طلبه بضرورة نجدة طرابلس الغرب، لأنه وردته أخبار بأن الأسطول المسيحي يعد العدة للإغارة على طرابلس الغرب، فكاتبه السلطان بأن يكون مع أعيان المدينة يدا واحدة في حال تم الهجوم عليهم قبل وصول

---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 3، ص ص 58–59، بتاريخ 16 شوال 966هـ/ 22 جويلية 1559م. عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص173.

[2] أ.ع **مهمة دفتري** رقم 3، حكم 580، ص 209، بتاريخ 6 ربيع الأول 967هـ/ 6 ديسمبر 1559م. / عبد الجليل التميمي: دراسات...، **المرجع السابق**، ص174.

[3] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 3، حكم 581، ص 209، بتاريخ 6 ربيع الأول 967هـ/ 6ديسمبر 1559م./ عبد الجليل التميمي: دراسات...، **المرجع السابق**، ص175.

[4] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 3، حكم 578، ص 208، بتاريخ 6 ربيع الأول 967هـ / 6ديسمبر 1559م.

الأسطول العثماني لنجدتهم، وأن يقوم بالترميم والتحصين لكل المنشآت، وتزويدها بما يلزمها من معدات وأسلحة[1].

3/مجاهدو البحرية الطرابلسية يساهمون في حروب الدولة العثمانية:

أولا–مجاهدو البحرية الطرابلسية والعثمانية ينقذون جربة من الاسبان (969هـ /1560م).

أ– **فشل الحملة المسيحية على جربة**[2] سنة (**969هـ/1560م**): بسط درغوث سيطرته على جربة منذ عام (966هـ/1558م)، وبعد مدة عين عليها غازي مصطفى التركي[3]، أما درغوث فقد تفرغ للجهاد البحري خاصة في موانئ إيطاليا مثل ريجيو ومسينا وغيرهما، مما أزعج الأوربيين فأخذوا يفكرون في طريقة للانتقام منه، وقد أورد "مونشيكور" في كتابه ما يلي: "لقد كان صاحب الفكرة نائب ملك صقلية وفرسان مالطا الذين كانوا يحرصون على استرجاع طرابلس من درغوث"[4]، وكان الإمبراطور قد سمح لفرسان مالطا ونائبه على نابولي بشن هذه الحملة لوجه البابا الذي أغرقه بالمنح، والتي كانت الخزينة الإسبانية في أمسّ الحاجة إليها[5] .

وفي (14 جمادي الأول 967هـ/10 فيفري 1560م)، توجه الأسطول المسيحي المتكون من 54 سفينة حربية و36 سفينة شحن، ومن 10 آلاف إلى 14 ألف رجل موزعين على 79 لواء، و1000 رجل مالطي وأكثر من 100 حصان و30 مدفعا[6].

وفي 20 مارس وصلت الحملة إلى جربة، وبعد معركة طاحنة ضدّ العرب والعثمانيين سيطروا على القلعة وبنوا بها حصنا[7]، بعد إلحاح من "درغوث باشا" أمر السلطان العثماني بإعداد حملة

---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 3، حكم 579، ص 209، بتاريخ 6 ربيع الأول 967هـ / 5 ديسمبر 1559م. / فاضل بيات: **البلاد العربية في الوثائق العثمانية أواخر عهد السلطان سليمان القانوني**، تق. خالد أرن. ص ص 293-295.

[2] لتفاصيل أكثر حول هذه الحملة **ينظر**

–Monchicourt.ch: **L'expéditionEspagnole de1560 contre l'ile de Djerba,** Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1913.

[3] محمد أبو راس (الناصر) الجربي: **مؤنس الأحبة في أخبار جربة**، تح وتع: محمد المرزوقي، تونس، ط2، 1960م، ص115.

[4] Braudel: «Les Espagnols…», op.cit, p39

[5] أندري جوليان: **المرجع السابق**، ص348. / Braudel: «Les Espagnols…», op.cit, p394.

[6] شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص114.

[7] ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح**…، **المرجع السابق**، ص224. / عبد الجليل التميمي: **الولايات العربية**…، **المرجع السابق**، ص84.

بحرية كبيرة سنة (967هـ/1560م) ، فتحرك الأسطول بأقصى سرعة حيث وصل سواحل جربة خلال 20 يوما، ممّا فاجأ العدو ومنعه من إقامة التحصينات والدفاعات فيها، لكن بعد وصول أخبار تحرك الأسطول العثماني فقرّروا مغادرة الجزيرة، لكن أسطول "بيالي باشا"[1] داهمهم في (18جمادي الثانية967هـ/15مارس1560م)، وأغرق لهم 30 سفينة وأسر 5 آلاف مسيحي[2].

ب-درغوث يحاصر الإسبان في حصن جربة (969هـ/1560م):

بعد الهزيمة النكراء التي مني بها الأسطول المسيحي، فرض درغوث[3] وبيالي باشا الحصار على الحامية المسيحية المتواجدة في القلعة[4]، حيث وصل المحاصِرين إمدادات من السلطان "أحمد الحفصي" الذي كانت تربطه بدرغوث صلات صداقة قوية[5]، وكان قد تلقى(السلطان أحمد) من السلطان العثماني أوامر بذلك[6].

حاولت الحامية المسيحية فك الحصار المضروب عليها وبقيت صامدة في انتظار الدعم من مالطا وصقلية لكن دون جدوى، فقررت الاستسلام بعد ذلك[7]، وقد تمكن درغوث ورفاقه من بناء برج[8] برؤوس الخمسة آلاف مسيحي الذين قتلوا في هذا الحصار[1].

---

(1) بيالي باشا: أميرال عثماني كبير، كانت أشهر أعماله انتصاره في معركة جربة على الحملة الصليبية التي قادها في 1560م، في أوت 1564م، خلّص حجر بادس من الاحتلال الإسباني، وفي 1565م ساهم في حصار مالطا، توفي سنة 1578م. **يُنظر** نعيمة بوحمشوش: **مساهمة البحرية الجزائرية ...، المرجع السابق**، ص172.

(2) ولتفاصيل أكثر **يُنظر**: Charrière: **op.cit,** t2, pp 154 -165.

Zekeriyye Zade: **Ferah Cerbe Fetihnamesi,** aciklamalarla yayina Hazirlayan ohron Sai Gokya, Istambul, 1975 ,ss 16-143.

(3) ويؤكد شيرين في كتابه أن درغوث الذي كانت رايته خضراء قد وصل من طرابلس على رأس 11غاليرة، ثم غاب وعاد إليها يوم 28 صحبة المدفعية والجنود، **يُنظر**:

Cirin: **Successi dell 'armataecc**, Venezia, 1560, pp133-138

(4) ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...، المرجع السابق**، ص225. /شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص123.

(5) ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص191.

(6) عبد الجليل التميمي: **الخلفية الدينية ...، المرجع السابق**، ص22.

(7) ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...، المرجع السابق**، ص225./ شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص124.

(8) أُطلق عليه تاريخيا برج الرؤوس قرب البرج الكبير وبقي رمزا حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث أجبرت فرنسا باي تونس على إثر معاهدة نصت أحد بنودها السرية على تدمير برج الرؤوس سنة1832م. / عبد الجليل التميمي: **الولايات العربية...، المرجع السابق**، ص 85.

ثانيا- درغوث يقود الأسطول الطرابلسي نحو مالطا سنة (972 هـ/1565م):

بعد تحرير جربة اتجهت الأنظار إلى مالطا (التي كانت تمثل قمة الهرم الذي قاعدته- طرابلس جربة) وضرورة تحريرها من هيمنة منظمة فرسان القديس يوحنا، وهو أمر بالغ الأهمية بالنسبة لطرابلس، حيث جعلت من مالطا مركزا يهدد التجارة الإسلامية في المتوسط، إلى جانب تلك الغارات المتكررة التي كانت تطال السواحل المغاربية، ومثال ذلك منطقة قصر أحمد بمصراته الواقعة إلى الشرق من مدينة طرابلس التي نهبت سنة (968هـ/ 1561م)، وهو ما حدث لعديد المدن الأخرى[2]، لذلك كان "درغوث باشا" يطلب باستمرار من السلطان العثماني "سليمان القانوني" برمجة حملة للسيطرة عليها ، لكنه فضل تحرير المناطق المغاربية المحتلة قبل التوجه لجزيرة مالطا[3].

لما وصل "لدرغوث باشا" خبر الحملة العثمانية على مالطا أعد العتاد استجابة لأوامر السلطان العثماني[4]، رغم معارضته لهذه الفكرة لأنه كان يريد "قلج علي" رفيقا في مشروعه لتحرير السواحل المغاربية الواقعة تحت وطأة الاحتلال الإسباني، مثل حلق الوادي بتونس والمرسى الكبير بوهران وحجر بادس باعتبارها جزء من الأراضي الإسلامية وأن خطر الإسبان في هذه المناطق أشد تأثيرا، وهذا بخلاف مالطا التي تعتبر إحدى القلاع المسيحية المحصنة والتي لا تشكل تهديدا على الأراضي العثمانية[5].

شاركت عديد الولايات العثمانية في حصار مالطا، منها طرابلس التي شاركت فور وصول الأسطول العثماني إلى مالطة يوم (18 شوال 972هـ/18 ماي 1565م)، الذي كان على رأسه "بيالي باشا"، و"مصطفى باشا" قائدا للقوات البرية، والتحق بهم "قلج علي" باشا بالإسكندرية، و"حسن بن خير الدين" بايلرباي الجزائر[6]، و"درغوث باشا" طرابلس على رأس 15 قطعة بحرية

---

(1) شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص125.

(2) محمد سعيد الطويل: **البحرية الطرابلسية....**، **المرجع السابق**، ص 51. / شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص118.

(3) يشير محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، بأن هناك بعض المؤرخين يتزعمون هذا الرأي مثل شارل أندري جوليان في **كتابه تاريخ شمال افريقيا**، ج2، وأيضا:

(4) Defontin-Maxanage: **Alger avant la conquêt, AudjAli,** Paris, A.Pedone, editeur, 1930.

(5) طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية...**، **المرجع السابق**، ص 242. / محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص79.

(6) محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص79.

و1400 مجاهد[1]، الذي وصل إليها في 2 جوان، فهو بذاك كان متأخرا، وكانت المعارك قد استُأنفت لكنها لم تحقق انتصارا، لذا تحتم عقد مجلس حرب آخر، وقد أبدى فيه "درغوث" رأيه المعارض للخطة التي انتهجها "مصطفى باشا" و"بيالي باشا" قائلا: إنه كان يجدر بالقائدين بداية هجومهما من المدينة القديمة، ومن حصن البرج لأنه هو الممول الرئيسي عددا وعدة لباقي الحصون، إذا سقط فستسقط كل القلاع الأخرى فيما بعد، ورغم صوابه إلا أن رأيه هذا كان متأخرا، إذ لم يعد هناك مجال لإيقاف العمليات ونقلها إلى مكان آخر، ومن حسن حظ مالطا أن "درغوث" وصل متأخرا فبعد انتهاء هذا الاجتماع تواصلت المعارك التي حصدت أعدادا كبيرة من المجاهدين، ورغم بسالتهم وإقدامهم، إلا أنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على مالطا، ولم يدركوا سبب ذلك، إلا بعد تكبدهم خسائر فادحة، ويتمثل هذا السبب في كون حصن "القديس ألم "كان على اتصال بما جاوره، إذ لم يتفطن العثمانيون لقطع الاتصال بينهم، وبهذه الطريقة كان "لافاليت" ينقل الجرحى تحت جنح الليل ويعزز الدفاعات تباعا ويمون الحصن، مما أبقى هذا الحصن صامدا مدة 20 يوما[2]، قبل أن يفتكه العثمانيون في(25 ذو القعدة 972هـ/23 جوان 1565م)، بعد أن ضعفت قواهم نظرا للخسائر البشرية الكبيرة[3].

---

[1] وقد تضاربت الآراء بين المؤرخين حول تشكيلة الأسطول الطرابلسي الذي قد شارك ب 12 قطعة بحرية على حسب ما أورد ابن غلبون، وهو الرقم الأقرب إلى الواقع ويتمشى وحالة البحرية الطرابلسية في تلك الفترة، أما الرقم الذي أعطاه شارل فيرو، وهو 23 مركبا يبدو مبالغا فيه إلى الحد الذي حمل روسي لا يعتد به واتخذ رقما أقرب إلى ابن غلبون وهو 15 قطعة بحرية و1400 مجاهد، **ينظر** محمد سعيد الطويل: **البحرية...، المرجع السابق**، ص 52.

[2] وقد أوردت نعيمة بوحمشوش: **مساهمة البحرية الجزائرية...، المرجع السابق**، ص 175. أن الحصار البحري له أهمية كبرى، لكنه لم يكن صارما، إذ لم يلتزم درغوث باشا بما أمره السلطان، رغم كون الأوامر واضحة في هذا الصدد، إذ دعاه السلطان إلى حماية الطرق البحرية، ويعني ذلك إحكام الحصار على مالطا، وللاستزاد حول الموضوع أكثر **ينظر**:

- أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 6 حكم 429، بتاريخ 25 ربيع الثاني 972هـ/ 29 نوفمبر 1564م.

-أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 6، حكم 1423، بتاريخ 17 ذي الحجة 972هـ/15 جويلية 1565.

[3] نعيمة بوحمشوش: **مساهمة البحرية الجزائرية...، المرجع السابق**، ص174.

وبالرغم من اشتداد الحصار الذي دام لأزيد من ستة أشهر[1]، إلا أن النصر لم يكن حليف العثمانيين، وهو ما أكد بُعد نظر "درغوث" لكونه عارض الهجوم على هذه الجزيرة قبل تحرير المناطق المغاربية الواقعة تحت الاحتلال الإسباني، وأثناء المعارك الدامية هاجم "درغوث باشا" حصن "القديس ألم" فأصيب على إثر ذلك بشظية من طلقة مدفع كانت كفيلة لاستشهاده بتاريخ (25 ذي القعدة 972هـ/23 جوان 1565م) [2]، تاركا فجوة في طرابلس الغرب وفي الأسطول العثماني الذي فقد أحد أمهر قادته وأشجعهم، وقد اعتبر هذا الحادث أحد أكبر الخسائر التي تكبدها الجيش العثماني إثر هذه الحملة، لينقل جثمانه بعد ذلك إلى طرابلس الغرب، أين دفن بالجامع الكبير الذي بناه بمدينة طرابلس، وعُين بعده "قلج علي باشا" على رأس طرابلس[3].

وباستشهاد "درغوث باشا" يمكن القول أن إيالة طرابلس الغرب فقدت قائدا أمّن البلاد وسبب ازدهارها وحارب ضد النصارى، فقد كان لهم ندا عنيدا لقوة شخصيته وعبقريته الحربية، فقد كان دائم الخلاف مع السلطان العثماني نفسه أو قادة الأسطول العثماني نظرا لكرهه للنصارى خاصة الإسبان، وبذلك قدمت طرابلس الغرب وبحريتها قائدها ثمنا لمحاولة فتح مالطا وإبعاد الخطر المسيحي على الأراضي الإسلامية[4].

---

(1) تشير الوثائق العثمانية إلى أنه من بين الأسباب التي حالت دون نجاح الحملة العثمانية على مالطا هو عدم استجابة نواب درغوث باشا في طرابلس لإمداد الحملة باحتياجها الشديد للذخيرة (البارود الأسود)، وذلك نتيجة الخوف من تعرض طرابلس لهجوم مضاد **ينظر**: خليل الساحلي أغلو: **المرجع السابق**، ص 344.

(2) كاتب جلبي: **تحفة الكبار في أسفار البحار...**، **المصدر السابق**، ص145.

(3) عينه السلطان العثماني لما عرف عنه من الشجاعة والإقدام، خاصة أثناء الهجوم المسيحي على جزيرة جربة، حينما تردد بيالي باشا أخذ علج علي المبادرة وقام بهجوم مباغت كبد الإسبان خسائر فادحة، ومن حينها وصلت أخباره إلى السلطان العثماني سليمان القانوني، الذي كافأه على شجاعته وإقدامه ودفاعه عن الدولة العلية، وذلك بتعيينه حاكما على طرابلس الغرب، حيث استمرت ولايته عامين كاملين(1565-1567م) لينقل بعدها للجزائر، **ينظر**: طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية...**، **المرجع السابق**، ص243، /محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص ص 81-82.

(4) طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية...**، **المرجع السابق**، ص 243.

وعلى الرغم من فشل العملية، إلا إنها قد حققت بعض النتائج الاستراتيجية، أهمها التقليل من حدة الضغوطات على مركز طرابلس الجهادي، والحد من النفوذ الإسباني في وسط الحوض المتوسطي واقتصاره على دعم عمليات القوادس[1].

ثالثا-مجاهدو البحرية الطرابلسية يساهمون في معركة ليبانت سنة (979 هـ/1571م):

كانت قد راجت الأخبار عن تجمع أسطول الرابطة المسيحية، وأن وجهته كانت تونس، لكن فيما بعد تم تغيير وجهتهم نحو ليبانت، إلا أننا نجهل الأسباب التي جعلتهم يغيرون ذلك، فهل هو:

1- تكتيك من أجل تشتيت انتباه العثمانيين.
2- أم أنه فعلا كانت وجهتهم تونس، لكنهم عندما سمعوا بفتح قبرص، أصروا على الانتقام لها.
3- أم أنه كانت وجهتهم منع العثمانيين من فتح قبرص، فأرسل السلطان فرمانا لجعفر بايلرباي طرابلس، يأمره فيه بضرورة حراسة إيالة طرابلس الغرب، وترميم القلاع والحصون، وتجهيزها بالمدافع والذخيرة [2].

كنا قد تطرقنا في الفصل الثاني من الباب الثاني لمعركة ليبانت التي تنازع فيها التحالف المسيحي والأسطول العثماني الذي شارك إلى جنبه أسطول الجزائر بقيادة "قلج علي"، والأسطول الطرابلسي بقيادة "جعفر باشا" الذي عين سنة (975هـ/1568م) خلفا "القلج علي باشا" على رأس إيالة طرابلس الغرب والذي شارك بستة مراكب[3]، في حين أنه ورد في الوثائق العثمانية أن الأسطول الطرابلسي بقيادة "جعفر باشا"، قد التحق بالأسطول العثماني بمركبين، سفينة من نوع قادرغة، وأخرى من نوع غليوطة[4].

---

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 276.

[2] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 14، حكم 1532، ص 1035، بتاريخ 10 محرم 979هـ/ 4 جوان 1571م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات ...**، **المرجع السابق**، ص ص 201-202.

[3] محمد سعيد الطويل: **البحرية الطرابلسية...**، **المرجع السابق**، ص 56. / إيتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي...**، **المرجع السابق**، ص197.

[4] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 10، حكم 14، ص 12، بتاريخ 3صفر 969هـ/ 27 جوان 1571م.

ولأن "قلج علي" كان تحت قيادته الأسطولين الجزائري والطرابلسي واللذان كانا يشكلان الجناح الأيسر من الأسطول العثماني، فقد تمكن من الإفلات هو أيضا بفضل الخطة التي طبقها أثناء انسحابه من هزيمة محققة، وانسحب إلى القسطنطينية بعد الخسارة التي طالت الأسطول العثماني، وفقدت البحرية الطرابلسية كفاءاتها البحرية وتجهيزاتها الأساسية المتمثلة في 5 غاليرات وغليونين[1]، و200 شهيد[2]، مع العلم أن أول من علم بتحركات القوات المسيحية المتحالفة لمهاجمة الأسطول العثماني، كان "جعفر باشا" الذي بادر بإخطار السلطان العثماني "سليم الثاني" وأعلمه أيضا أن تونس هي هدف المسيحيين[3]، ولذلك يمكننا الجزم بأن الطرابلسيين قاموا بدورين[4]:

- التجسس الفعال الذي استطاع كشف تحركات العدو قبيل المعركة .
- التضحيات الفذة أثناء المعركة.

رابعا–مجاهدو طرابلس يساهمون في تحرير تونس سنة (982هـ/1574م).

شكلت تونس إحدى حلقات الصراع العثماني الإسباني، فبعدما تمكن "قلج علي" من الزحف على تونس في سنة (977هـ/1569م)، وتمكن من ضم مدينة تونس، لكن استعصت عليه حلق الوادي لشدة تحصيناتها كما أسلفنا، ورغم إلحاحه في استقدام الأسطول العثماني، لكن الظرفية المتوسطية آنذاك اقتضت ضرورة فتح قبرص، ثم تلتها هزيمة العثمانيين في ليبانت، وبعد تمكن "الدون خوان النمساوي" من احتلال تونس سنة (980هـ/1572م)، كانت بداية الحاجز الذي منع من وحدة بلاد المغرب وخضوعها للعثمانيين، حيث استطاع الاسبان فصل الإيالتين الجزائرية الطرابلسية عن بعضهما، ومنعهما من توحيد قواهما بالقدر الكافي لمواجهة الأخطار الأوروبية عامة والإسبانية

---

[1] برنيا كونستانزيو: المرجع السابق، ص 75. في حين أورد محمد سعيد الطويل أنهم خسروا أربعة مراكب، ينظر محمد السعيد الطويل: **البحرية الطرابليسية...**، **المرجع السابق**، ص56. / إيتوري روسي: **ليبيا مند الفتح العربي...**، **المرجع السابق**، ص198.

[2] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص277.

[3] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 14، حكم 1532، ص 1035، بتاريخ 10 محرم 969هـ/ 4 جوان 1571م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات ...**، **المرجع السابق**، ص ص 201-202.

[4] طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية...**، **المرجع السابق**، ص 244.

خاصة، هذا ما جعل القيادات العثمانية وأتباعها في الإيالتين المغاربيتين يدركون أنه لا يمكنهم أن يرخوا دفاعاتهم على هذه المنطقة ما لم يتم تصفية الإسبان من تونس[1].

فتزايدت الأسباب لتحرير هذه الرقعة التي حظيت بأهمية خاصة بعد ضم العثمانيين لطرابلس سنة (958هـ/1551م) واستنجاد أهالي القيروان "بدرغوث باشا" والي طرابلس لطرد الحفصيين، مما جعل "درغوث" يضم القيروان إلى طرابلس، وولى عليها "حيدر باشا" سنة (965 هـ/1558م) [2].

فما كان من السلطان العثماني "سليم الثاني" (973-982هـ/1566-1574م) إلا اتخاذ القرار بضرورة تحرير تونس سنة (984هـ/1573م) من السيطرة الإسبانية، فأخطر قيادات الإيالتين الجزائرية والطرابلسية بضرورة المشاركة في الحملة بالعدة والعتاد والرجال والمؤونة، وكل ما يلزم للحرب[3]، وقد فصلنا في قضية التحضيرات للحملة في الباب الثاني.

وفور وصول الأسطول العثماني إلى طرابلس الغرب التحقت به قوات القيروان وطرابلس الغرب التي تجمع الأسطول العثماني فيها، وشارك الأسطول الطرابلسي وعلى رأسه "مصطفى باشا" بواسطة جيش غفير من جنوده في هذه الحملة التي مع خرج لها السلطان الحفصي "أحمد بن حسن" بنفسه على رأس قوة عسكرية قدر عددها بما يقارب حوالي الأربعة آلاف جندي، حيث التقى الجيشان ببعضهما فأغار "مصطفى باشا" على الأخير وتمكن من قتله وتشتيت جنوده، فدخل المدينة بحد السيوف وقاتل عددا من النصارى الإسبانيين الذين كانوا مرابطين بها، وأسر البعض الآخر، وقد كان هذا الحدث فتحا مباركا يعود الفضل فيه للوزير " سنان باشا" الذي قدم إلى تونس بأمر من الباب

---

[1] طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية...، المرجع السابق**، ص245.

[2] محمد سعيد الطويل: **البحرية الطرابلسية...، المرجع السابق**، ص 53

[3] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 21، حكم 509، ص211، بتاريخ 21 ذي القعدة 980هـ /25 مارس 1573م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات ...، المرجع السابق**، ص 214.

-أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 21، حكم 526-527، ص220، بتاريخ 22 ذي القعدة 980هـ /26مارس 1573م.

عبد الجليل التميمي: **دراسات ...، المرجع السابق**، ص 215.

-T.C. Basbakanlik Devlet Arsivleri Genel Mudurlugu Osmanli Arsivi Daire Baskanligi
Yayin Nu 125, Osmanli Belgelerinde, Trabusgarb, Istanbul, 2013 , ss42-44، والذي سوف أشير إليه لاحقا ب: **طرابلس الغرب في الوثائق العثمانية**.

العالي وتمكن بعدها من ضبط شؤون البلاد وحركة الجهاد[1]، وبأمر من "جعفر باشا" الذي نفذ أوامر السلطان العثماني "سليم الثاني"، تم تجهيز4000 مقاتل، ثم قام بالتنسيق مع "حيدر باشا" حاكم القيروان للهجوم على مدينة تونس بعد أن دعمهما "سنان باشا" بقوات إضافية[2]، وبعد جهود جبارة برا وبحرا، تم لهم النصر بحمد الله، وألحقت تونس بالدولة العثمانية، وبذلك اجتُث الإسبان وحلفائهم من الضفة الجنوبية للمتوسط، ولم يبق في حوزتهم إلا وهران والمرسى الكبير.

كان السلطان العثماني يحرص على سلامة الإيالات التابعة لدولته، خاصة إيالات المغارب لانكشافها على العدو، وتربصه بها بين الفينة والأخرى، فكانت معظم الفرمانات التي كان يوجهها لولاتها تقضي بأخذ الحيطة والحذر وضرورة التعاون فيما بينها لصد هجماته، وتقديم الدعم لبعضهم البعض، كما رأينا سلفا عندما كان "درغوث" يحتاج للمعدات الحربية، لكنه كان يفتقر للمال اللازم، وكما رأينا في استنفار كل الجهود من أجل اقتلاع الاسبان من حلق الوادي، وتحرير تونس وضرورة تفعيل نظام الجوسسة لتفادي غاراته المفاجئة، وليس تربصه بالإيالات فقط، بل ضرورة معرفة تحركاته لاتقاء هجماته على السفن التابعة للدولة العثمانية ورعاياها، وفي هذا الصدد، أرسل السلطان العثماني فرمانا لبايلرباي طرابلس يطلب منه توفير المجدفين للعمل على السفن الموجودة في طرابلس الغرب، ويأذن له بإشراك أهالي طرابلس في هذه المهمة، شريطة مراعاة العدل بينهم لخطورة الوضع في المنطقة، وذلك لورود أخبار تفيد بأن سفن الأعداء متواجدة وبكثرة، ولذلك هي تشكل تهديد لمنطقة طرابلس الغرب وما يجاورها[3].

---

[1] قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي(917-990هـ): **غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني**، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط01،(1387هـ/1967م)، ص ص468-469.

[2] طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية...، المرجع السابق**، ص245.

[3] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 40، حكم 342، ص 156 بتاريخ20 شعبان 987هـ/ 12 أكتوبر 1579م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات ...، المرجع السابق**، ص 246./ إلا أن هذا التاريخ ورد خاطئا في كتاب: طرابلس الغرب في الوثائق العثمانية: **المصدر السابق**، ص 67، والذي كان: 9 ذو القعدة 987هـ/3 أوت 1597م، والدليل على ذلك أن الفرمانات الواردة في هذا الدفتر كانت من أوائل شهر شعبان إلى غاية أواخر شهر ذي القعدة.

-أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 42، حكم 344، ص82، بتاريخ 10 رجب 989هـ/ 9 أوت 1581م./ طرابلس الغرب في الوثائق العثمانية: **المصدر السابق**، ص ص 68-70.

وفي فرمان آخر يطلب منه الاستعداد للحرب التي كانت متوقعا نشوبها في الربيع بين أسطول الدولة العثمانية والحلف المسيحي، ويطلب منه أيضا اتخاذ التدابير التي تضمن حماية البلاد، وكذا تتبع أخبار العدو وتحركاته عن طريق الجواسيس[1].

4/مركز طرابلس في مواجهة التمردات الداخلية والأطماع الخارجية:

بحكم الموقع الاستراتيجي الذي كانت تحتله طرابلس كما أسلفنا فإنها كانت محط أطماع خارجية، لذلك راسل الرايس "درغوث" الباب العالي في رسالة جاء فيها:" أن طرابلس الغرب التي تعد دارا للجهاد، يعيش أهاليها في حال من الخوف والخطر من هجوم الأعداء، وأنها بحاجة إلى البارود والمدافع، وأنه حدد حاجتها الآتية إلى 1000 قنطار بارود.." [2]، فما كان من السلطان العثماني سوى تلبية طلبه على الفور وراسل وزيره "مصطفى باشا"، وطلب منه تهيئة 200 قنطار بارود المتواجدة لديه، وضرورة الإسراع بها لطرابلس، وضرورة المحافظة عليها وعلى أهاليها[3].

كما أن مركز طرابلس الجهادي، شهد تمردات داخلية، استنزفت إمكانيات الإيالة الجديدة لصد الأطماع الخارجية، وكما يقول "مالك بن نبي" في مقولته الشهيرة " القابلية للاستعمار" أن الضعف الداخلي يؤدي حتما لأطماع خارجية، وهذه سنة كونية، فما كان من الحكام العثمانيين لطرابلس سوى توجيه جل إمكانياتهم لإخماد هذه التمردات، مثلما وقع في زمن البايلرباي "محمد باشا" الذي تمكن من القضاء على تمرد الأعراب بقلعة (مادوت)، ومنع انقساما داخليا محققا، فقام السلطان العثماني "سليم الثاني" بتكريمه بسيف وخلعة جراء خدماته الجليلة التي بذلها رفقة عساكر الانكشارية لتطويع المتمردين وحملهم على طاعة أوامر السلطان والبايلرباي[4].

---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 44، حكم 287، ص 145، بتاريخ 23 محرم 991هـ/ 16فبراير1583م./**طرابلس الغرب** في الوثائق العثمانية، **المصدر السابق**، ص ص72-73.

[2] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 6، حكم 950، ص443، بتاريخ 29 شعبان 972هـ/ 1 أفريل 1565م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات ...**، **المرجع السابق**، ص ص181-182.

[3] عبد الجليل التميمي: **دراسات ...**، **المرجع السابق**، ص 182.

[4] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 7، حكم 250، ص95، بتاريخ 16 ربيع الأول 975هـ/ 20سبتمبر 1567م./عبد الجليل التميمي: **دراسات في التاريخ العثماني...**، **المرجع السابق**، ص ص183-184.

ووفقا لما جاء في رسالة وجهها السلطان "سليم الثاني" لبايلرباي طرابلس (قلج علي)، أن أهالي تاجوراء قاموا بتجهيز 400 فارس وقاموا بإثارة الفوضى والتمرد بالإيالة الطرابلسية، وتحالفوا مع الكفار وهم ينوون الإغارة على جزيرة جربة وقلعة حلق الوادي [1]، فقاد البايلرباي حملة من البر والبحر قوامها سبع سفن حربية وأكثر من ألف فارس للقضاء على التمرد، ونجح في تأديبهم، وبعد ثلاثة أيام توجه إلى تاجوراء، وأعاد السيطرة عليها، ونجح في إعادة الأمن والنظام إلى البلاد وأخضع العشائر، وأدخلهم تحت طاعته[2].

وكان السلطان العثماني قد نبه بايلرباي طرابلس الغرب، في نفس الرسالة إلى ضرورة الاهتمام بأمور الإيالة وعدم الغفلة على أمنها وحراستها، وطلب منه تدارك المؤن والذخيرة الحربية اللازمة لتحاشي وقوع مثل هذا التمرد والعمل على توفير الأمن والرفاهية للأهالي، كما طلب منه التجسس باستمرار على أحوال الأعداء وإرسال الأخبار للباب العالي [3].

وبعد ستة أشهر تم توجيه رسالة أخرى لبايلرباي طرابلس (قلج علي) يخطره فيها السلطان "سليم الثاني" بالاحتراس من هجوم المالطيين والنابوليتان على إيالته، وأنهم قد قاموا بجمع سفنهم ومراكبهم على أساس أنه في حالة عدم خروج الأسطول العثماني في هذا الموسم ينوون إلحاق الضرر بطرابلس الغرب، ولكي يجنب الباب العالي الهجوم عليها، قرر إلحاق الأسطول العثماني بالبحر المتوسط، وطلبوا من بايلرباي طرابلس ضرورة جمع وحدات السفن التابعة له بأكملها وترتيبها وتحضيرها [4].

ولأهمية طرابلس بالنسبة للدولة العثمانية ولخوفها من وقوعها مرة أخرى في أيدي الاسبان وحلفائهم، فقد وجه السلطان العثماني "سليم الثاني" رسالة لجعفر باشا عندما تولى بكلربيكية

---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 7، حكم 740، ص263، بتاريخ 16رجب 975هـ/16 جانفي 1568م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات في التاريخ العثماني...، المرجع السابق**، ص 184.

[2] **نفسه**. /فاضل بيات: **الدولة العثمانية في المجال العربي...، المرجع السابق**، ص561.

[3] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 7، حكم 740، ص263، بتاريخ 16رجب 975هـ/16 جانفي 1568م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...، المرجع السابق**، ص 184.

[4] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 7، حكم 1472، ص512، بتاريخ 25 ذي القعدة 975هـ/21 ماي 1568م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...، المرجع السابق**، ص 184.

طرابلس يخطره فيها بضرورة حفظ وحماية القلاع والبقاع وكل ما يتعلق بمصلحة الجمهور والدين والدولة، وأن يلحق الهزيمة والخذلان بأعداء الدولة والملة وأن يقف بالمرصاد لمحاولات العدو للنيل من استقرار تلك الجهات، وأن يعمل على تعمير القلاع ويحضر اللوازم والمعدات الحربية لرواج أخبار عن تجمع أسطول الحلف المسيحي في جزيرة طبرقة بقيادة الدون خوان النمساوي وعزمه الهجوم على تونس[1].

وعندما راجت الأخبار بالتحضيرات التي تقوم بها اسبانيا لمحاصرة قلعة تونس وسائر القلاع، وجهت رسالة "لجعفر باشا" جاء فيها ضرورة حفظ الولاية وحراستها، وكذا تعمير وترميم كل قلعة تحتاج إلى ترميم وخصوصا القلاع المواجهة للعدو، وتجهيزها بالمدافع والذخيرة والمهمات الحربية[2]، كما تم إرسال عدة رسائل للبايلرباي "جعفر باشا" تتضمن ضرورة بث الأمن والطمأنينة بين الأهالي، حتى يكونوا يدا واحد على أعداء الدين، لأن التفرق مدعاة للضعف والخذلان، مما يؤدي بطرابلس كي تصبح فريسة للأطماع الأجنبية، كما تضمنت الرسائل ضرورة حفظ الإيالة وحماية قلاعها، وبذل الجهد والسعي لهزيمة أعداء الدين والدولة[3].

ولما كانت طرابلس الغرب تابعة لبايلرباي تونس "حيدر باشا"(982-983هـ/1574-1575م) ، راسله السلطان العثماني وأخبره بأن قبائل العربان الموجودة بين مصر وطرابلس الغرب بجبل الأبيض هم في حالة تمرد وعصيان، وهم يغيرون على القوافل التي تقصد مصر إلى طرابلس والعكس، كما أنهم مستمرين في علاقاتهم بالكفار الذين يقصدون بسفنهم هذه المنطقة للتزود بالماء،

---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 10، حكم 5، ص4، بتاريخ 17 محرم 979هـ/11 جوان 1571م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات**...، **المرجع السابق**، ص 189.

-أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 10، حكم 91، ص62، بتاريخ غرة صفر 979هـ/25 جوان 1571م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات**...، **المرجع السابق**، ص 193.

[2] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 14، حكم 1532، ص 1035، بتاريخ 10 محرم 979 /4 جوان 1571م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات**...، **المرجع السابق**، ص ص201-202.

[3] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 14، حكم 1584، ص 1077، بتاريخ 16 محرم 979 /10 جوان 1571م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات**...، **المرجع السابق**، ص203.

- أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 14، حكم 1597، ص 1087، بتاريخ 18 محرم 979 /12 جوان 1571م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات**...، **المرجع السابق**، ص ص204-203.

وطلب من "حيدر باشا"، ضرورة إخضاعها وتأديبها كي يمنع تعاون العدو معها للإغارة على طرابلس الغرب مرة أخرى[1].

وعندما تم تعيين "حسن جاقرجي" بايلربايا على طرابلس الغرب سنة (985هـ/1577م) بعدما فصلت عن إدارة تونس، طُلب من "حيدر باشا" ضرورة التعاون معه، من أجل الحفاظ على طرابلس الغرب من تربص الأعداء بها[2]، نظرا للظرف الذي كانت تمر به.

كان اهتمام الدولة العثمانية بطرابلس الغرب واضح جدا في مراسلاتها مع بايلربایاتها منذ غدت إيالة عثمانية، خوفا من تسلط الأعداء عليها وهي قليلة الحيلة، فكانت ترسل لها المواد الحربية اللازمة والعساكر وكذا السفن، فقد جاء في رسالة وجهت للباب العالي أن إيالة طرابلس تعاني من قلة السفن الكبيرة، وهي تمتلك فقط سفنا من نوع غليوطه (Galiote) ذات 20 مقعدا للتجديف، مع العلم أن الإيالة تشكو من قلة المجدفين، والموجودون بها تم تعيينهم واستخدامهم منذ عهد "درغوث باشا" للمحافظة على السواحل الطرابلسية، وأمام قلة عدد المجدفين لغاية حماية السواحل، يطلب تعيين مجدفين من الرعايا للقيام بهذه المهمة، فكان رد السلطان على ذلك هو ضرورة تجهيز السفن وتجنيد الرعايا في خدمة البحرية والحصول على عدد المجدفين اللازمين للأسطول في أقرب الآجال[3].

وقد كان اهتمام الدولة العثمانية أيضا بإيالة طرابلس يصب في محاولتها منع الأطماع الخارجية عنها[4]، وكذا في حال ضعفها وانشغالها بمشاكلها الداخلية، التي لم تفتر يوما، فقد ادخر السلاطين العثمانيون جهدهم للتعاون مع بايلربايات طرابلس الغرب للتصدي لكل محاولات التمرد بها سواء من

---

(1) أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 30، حكم 792، ص338، بتاريخ 14 ربيع الثاني 985هـ/ 1 جويلية 1577م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص238.

(2) أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 31، حكم 462، ص 207، بتاريخ 14 جمادى الثانية 985هـ/ 29 أوت 1577م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص239.

(3) أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 40، حكم 342، ص156، بتاريخ 20شعبان 987هـ/ 12 أكتوبر1579م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص246.

(4) وكان يتم ذلك بخروج الأسطول العثماني لعرض البحر المتوسط، ومنع أي هجوم على الإيالات المغاربية، لأنه الأكثر تهديدا من بين ممالكها، للاستزادة أكثر حول ما يخص طرابلس الغرب، **ينظر**: أ.ع: **مهمة دفتري** 44، حكم 287، ص145، بتاريخ 23 محرم 991هـ/ 16 فيفري 1583م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص 254.

أهالي طرابلس نفسها[1]، أو من عساكر الدولة العثمانية الممثلين في الانكشارية، أو ظلم هؤلاء الآخرين، وتعديهم على الرعايا الطرابلسيين[2].

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن: الوقوف على الدور الدفاعي الفعال الذي لعبته مراكز حركة الجهاد البحري على طول الساحل الطرابلسي خلال القرن (10هـ/16م)، في ظل سلسلة الحملات الأوروبية التي كانت تتعرض لها البحرية الطرابلسية بين الفينة والأخرى، وتأتي في مقدمها حملة الإسبان بقيادة بيدرو نافارو... وغيرها من الحملات الأوروبية، التي جعلت من هذه المراكز تسعى للرد عليها بالمثل، يُضاف إلى ذلك مساهمة البحرية الطرابلسية في الحروب العثمانية من خلال إنقاذها لجربة من الإحتلال الإسباني سنة(967هـ/ 1560م)، ومساهمتها الفعلية في حرب العثمانيين ضدّ مالطا سنة(972هـ/ 1565م)، وفي معركة ليبانت سنة(978هـ/ 1571م) وصولاً إلى مشاركتها في تحرير تونس من قبضة الإسبان سنة (982هـ/1574م).

---

[1] للاستزادة حول هذا الموضوع، ينظر: أ.ع: **مهمة دفتري** 69، حكم 32، ص18، بتاريخ 3 جمادى الثانية 1001هـ/6مارس 1593م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص ص 278-279. لكنه أخطأ الشهر، وقد وردت بتاريخ 9 رجب 1001هـ/ 11 أفريل 1593م.

- أ.ع: **مهمة دفتري** 69، حكم 271، ص135، بتاريخ 10 ذي القعدة 1001هـ/ 7 أوت 1593م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص279، لكنه أخطأ السنة، وقد ورد هذا التاريخ عنده كما يلي: 10 ذي القعدة 1000هـ/ 18 أوت 1592م/ أ.ع: **مهمة دفتري** 69، حكم 311، ص156، بتاريخ 20 ربيع الأول 1000هـ/ 5جانفي 1592م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص 280.

[2] للاستزادة حول هذا الموضوع **ينظر**:أ.ع: **مهمة دفتري** 58، حكم 579، ص224، بتاريخ 17 شعبان 993هـ/ 14 أوت 1585م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص267./ أ.ع: **مهمة دفتري** 62، حكم 45، ص15، بتاريخ 19 ربيع الأول 995هـ/ 27 فيفري 1587م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص ص 269-268./ أ.ع: **مهمة دفتري** 62، حكم 276، ص124، بتاريخ 29 شوال 995هـ/ 1 أكتوبر1587م/ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص 268. لكنه أخطأ اليوم، وقد ورد بتاريخ 12 شوال 995هـ/ 15 سبتمبر 1587م./طرابلس في الوثائق العثمانية: **المصدر السابق**، ص ص 80-81، أخطأوا اليوم أيضا، وقد ورد بتاريخ 16 ذي القعدة 995هـ./ أ.ع: **مهمة دفتري** 62، حكم 284، ص126، بتاريخ 29شوال 995هـ/ 1أكتوبر 1587م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص 269. لكنه أخطأ اليوم، وقد ورد بتاريخ 4 شوال 995هـ/ 7 سبتمبر 1587م.

- أ.ع: **مهمة دفتري** 62، حكم 282، ص128، بتاريخ29 شوال 995هـ/ 1أكتوبر 1587م../ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص 270. لكنه أخطأ اليوم، وقد ورد بتاريخ 15 شوال 995هـ/ 18 سبتمبر 1587م.

المبحث الثالث- مجابهة مراكز طرابلس الغرب للحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/17م):

سعت الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا وإسبانيا وإنجلترا لنقل حروبها المتوسطية إلى سواحل المغارب عامة ومنه إلى السواحل الطرابلسية خاصة، وذلك مع مستهل القرن (11هـ/17م) الذي برزت فيه حركة الجهاد البحري بصفة أكثر حتى أخذ مفهوم العصر الذهبي لنشاط البحرية، ولعلّ مرد سعي تلك الدول يعود بالدرجة الأولى إلى رغبتهم في السيطرة على الموانئ والمراكز الطرابلسية المهمة، التي كانت تشكل بدورها المركز الأساسي الذي تنطلق منه هجمات مجاهدي البحر الطرابلسيين على السواحل الأورومسيحية والسفن الغير متعاقدة معهم بموجب وثيقة عبور على مستوى الحوض المتوسطي، وهو الأمر الذي سيجعل من مراكز طرابلس الغرب تسعى بدورها لتعكير صفو تلك الحروب والاعتداءات والتنقلات البحرية التي ستستمر حتى نهاية العقد الأخير من القرن (11هـ/17م).

وقد شهدت طرابلس الغرب خلال القرن (11هـ/17م) جملة من الحملات الأوربية كإسبانيا وحلفائها، ولعل السبب في ذلك إما بغرض تحرير الأسرى أو بهدف أغراض أخرى خفية، إلا أن الولاة العثمانيين لم يبقوا مكتوفي الأيدي وقاموا بصد هذه الحملات بأساطيلهم، والسبب الخفي الذي كان وراء هذا هو أن النجاحات الجهادية جعلت ولاة الإيالة يرفضون الخضوع لأية اتفاقيات مبرمة مع الدول الأوروبية، خاصة بعد بسط سيطرتها على الحوض المتوسطي، رغم ردود الفعل التي حاولت تلك الدول إبداءها عسكريا ودبلوماسيا، والتي كان الداي يتجاهلها عادة، أو يقابلها بمواقف صارمة لاسيما خلال عهدي محمد الساقزلي وخليفته عثمان الساقزلي، وبعدما تعاظم شأن مملكتي فرنسا وإنجلترا، ومصالحهما في الحوض المتوسطي، وبعده ارتفاع حدة خسائرهما في السفن والأسرى، زادت درجة التهديدات الفرنسية والإنجليزية وضيقوا الخناق على الساحل الطرابلسي منذ ستينات القرن (11هـ/17م)، بهدف إجبار الأسطول الجهادي على احترام سلامة السفن عن طريق اتفاقيات سلم مع سلطات طرابلس، أو عن طريق بعث الحملات البحرية لقمع قواعدها الجهادية[1].

أولا – مجابهتها للحملات الفرنسية:

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 303.

ترد أولى الإشارات حول تعيين أول قنصل فرنسي بطرابلس الغرب إلى سنة(1019هـ/1610م) في عهد صفر داي، لكن العلاقات بين البلدين تراوحت بين الشدّ والجذب لغاية سنة (1060هـ/1650م)، حين اتخذت فرنسا محاولة فرض معاهداتها بالقوة على طرابلس الغرب فشرعت منذ سنة(1068هـ/ 1658م) تحاصر طرابلس الغرب بين الفينة والأخرى مستعرضة أسطولها، حيث ظهر أمام طرابلس أسطول فرنسي بقيادة "الفارس بول" (Paul) الذي نجح في إجبار داي طرابلس على تحرير 400 أسير فرنسي مقابل 150 سكودو عن كل واحد منهم، وهو ما مهد لسياسة فرنسية أكثر تشددا على أمل مسايرة النجاحات الإنجليزية، وبعد سنتين من ذلك (1070هـ/1660م) عاد "الفارس بول" على رأس أسطوله، وكان هدفه تدعيم المفاوضات الجارية مع حكومة طرابلس، وتهديد رياس الجهاد البحري، ومنعهم شن أي هجوم ضد السفن التجارية الفرنسية[1].

ولقد سمح انشغال القوى المسيحية بحرب كريت المحاصرة من طرف الأسطول العثماني لمجاهدي البحر بالهجوم على المراكب التجارية الأوروبية بما فيها الفرنسية حيث بلغ عدد الأسرى سنة 1559أسيرا، فأرسلت فرنسا أسطولا بحريا بقيادة "دالميراس" (Dalmeras)، مكونا من 14 قطعة بحرية ، وبالرغم من هذه القوة، إلا أن "الداي عثمان الساقزلي" لم يستجب لمطالب "دالميراس" بإطلاق سراح الأسرى، إلا بعد دفع الفدية[2]، ووصل أسطول فرنسي آخر بقيادة الماركيز دي مارتيل (De. Marte) في (20 ربيع الأول 1083هـ/15جويلية1672م)، قادما من تونس ونجح في تحرير سراح 300 أسير دون فدية، لكن بالي داي (1083هـ/1672م) باشا طرابلس رفض الاستجابة لمطالبه، واستقباله رغم طلب السلطان العثماني بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين، مما جعل طرابلس تجابه فرنسا، حيث ألحقت الضرر البليغ بالسفن التجارية الفرنسية، حسبما تؤكده وثيقة فرنسية موجهة إلى لويس 14 سنة (1083هـ/1672م)، جاء فيها إن الأسطول الطرابلسي يضم 7 سفن جهادية بإمرة حاكم إيالة طرابلس الغرب وعددا كبيرا من السفن التي تجهز لأعمال الجهاد البحري من طرف مختلف الأشخاص – من التجار والإقطاعيين الزراعيين المحليين، كما جاء في المذكرة أن عددا

---

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص305. / شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص163.

[2] إيتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي**...، **المرجع السابق**، ص 280. / شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص169. / محمد سعيد الطويل: **العلاقات السياسية التجارية**....، **المرجع السابق**، ص59.

كبيرة من الرعايا الفرنسيين يستعبدون فوق أراضي الإيالة وقد قيدوا بالسلاسل إلى مجاديف سفن الجهاد، ودعت المذكرة إلى استعراض قوة فرنسا البحرية أمام حاكم طرابلس[1].

1/حملة دي لابوساديير(De la Boussardiére) (1084هـ/1673م) :

بسبب الفشل الذي صاحب الحملات السابقة أعدت فرنسا أسطولا حربيا جديدا تحت إمرة "دي لابوساديير" سنة(1084هـ/ 1673م) الذي فرض الضغط العسكري على طرابلس بهدف تحرير الأسرى الفرنسيين، وإعادة الهيبة للعلم الفرنسي، حاول "بالي داي" التأثير على مسار الولاية بإقامة تجهيزات دفاعية لحماية المرسى والمدينة، فقام بإغراق سفينة عند مدخل الميناء وتحصين الأسوار الأمامية لطرابلس، خاصة بين حصن درغوث وضريح المرابط سيدي فطيس لمجابهة قذائف المدفعية المعادية ورغم طول الحصار الفرنسي، -بفضل دعم جزيرة مالطا- فإن هذه الحملة لم تحقق نتائج تذكر[2].

وردا على ذلك زاد الطرابلسيون من وتيرة حملاتهم ضد السفن التجارية الفرنسية سنة (1087هـ/1676م) مدعومة مع مجاهدي تونس والجزائر، وخصوصا في عهد "مصطفى الاستنكويلي" الذي وجد دعما خفيا من إنجلترا وهولندا اللتين تضاربت مصالحهما مع فرنسا، وتم الاستيلاء على مركبين فرنسيين كانا راسيين في مينائين بقبرص[3].

ولتصاعد الاحتجاجات داخل فرنسا، أقدم الملك "لويس الرابع عشر" على توجيه حملة قوية جديدة ضد الأسطول الطرابلسي سنة (1088هـ/1677م) التي تلقى فيها هزيمة نكراء وهذا في عهد الداي الحاج عبد الله[4]، ورغم فشل فرنسا في تحرير الأسرى الذين كانوا يبلغون آنذاك 800 أسير فرنسي والذين استعبدوا ضد فرنسا، لاسيما في التجديف على متن السفن الجهادية، إلا أنها لجأت (فرنسا) إلى استكمال الدور العسكري بالضغط الدبلوماسي عن طريق إرسالها الضابط البحار "دي

---

(1) نيكولاي إيليت بروشين: **المرجع السابق**، ص99.

(2) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص ص 328-329.

(3) نيكولاي إيليت بروشين: **المرجع السابق**، ص99.

(4) ارتكب محمد عبد السلام الحراري خطأ عندما أورد أن عبد الله الأزميرلي هو من كان دايا على طرابلس سنة 1677م، **ينظر** عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص329.

فالبيل" في سنة (1090هـ/1679م)، بمهمة عقد اتفاقية هدنة من أجل حماية التجارة الفرنسية، والسعي لتحرير المساجين، لكنها فشلت[1].

2/حملة دوكين(Duqusene)(1092هـ/1681م):

أتيحت الفرصة للإيالات المغاربية بمواصلة هجماتها على فرنسا لانشغالها، وأسر عدد كبير من المراكب التجارية الأوربية، وخاصة الفرنسية منها، فقد تمكنت البحرية الطرابلسية خلال عشر سنوات، أي في الفترة الممتدة من (1079-1089هـ/ 1668-1678م) من 104 سفينة منها 33 فرنسية، وقدر ثمن البضائع المستولى عليها بعدة ملايين من الفرنكات، وأسر قرابة 2450 أسير[2].

فبعد فشل الضابط "دي فالبيل" استلم الأميرال "دوكين" أمرا بمعاقبة الطرابلسيين، وقد حل أمام سواحل طرابلس، يوم(21 رجب 1091هـ/16 أوت 1680م) رفقة 7 سفن حربية من بينها سفينة الأميرال التي كانت مسلحة ب80 مدفعا من النحاس، وأرسل ضابطا يطلب السلام من الداي "حسن عبازة"، لكن رد الداي كان عدم إعطائه إجابة واضحة، ولا يمكنه تسليم الأسرى، ولا حتى عقد اتفاقية صلح معه[3]، فازدادت الأمور توترا وتعقيدا، وكلف "الأميرال دوكين" بمهمة مطاردة الأسطول الطرابلسي أينما وجد، وفعلا تمكن "دوكين" ومساعده "دوفرفيل" من محاصرة السفن الطرابلسية الراسية في جزيرة ميناء ساقز في(رجب 1091هـ/ اوت 1681م) وإلحاق الضرر بها، فلم يجد الداي بديلا عن توقيع معاهدة استسلامية في (ذي القعدة 1092هـ/ نوفمبر1681م)، ونصت على إطلاق سراح الأسرى وعدم التعرض للسفن التجارية الفرنسية[4]، والأهم من ذلك هو عدم اقتراب السفن الجهادية من السواحل الفرنسية تنفيذا لمعاهدة الصداقة القائمة بين الدولة العثمانية

---

(1) ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...، المرجع السابق**، ص 304. / محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص329. /نيكولاي ايليت بروشين: **المرجع السابق**، ص99.

(2) محمد سعيد الطويل: **العلاقات السياسية التجارية...، المرجع السابق**، ص60.

(3) جان كلود زليتنر: **المرجع السابق**، ص277، ./شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص196 ./ برنيا كونستانزيو: **المرجع السابق**، ص 188.

(4) إيتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...، المرجع السابق**، ص304. وللتفصيل أكثر حول هذه القضية **ينظر** برنيا كونستانزيو: **المرجع السابق**، ص188. /شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص ص197-200.

وفرنسا رغم أن هذه الأخيرة خرقتها عند هجومها على الأسطول الطرابلسي المرابض في إقليم عثماني(جزيرة ساقز).

رغم المساعي الجادة التي قام بها السفير "مجدولين" ونجاحه في تحرير حوالي 260 أسيرا فرنسيا، إلا أن هذا الاتفاق لم يدم طويلا بسبب استحواذ الطرابلسيين على شحنة السفينة الفرنسية التي تحطمت قرب ميناء طرابلس، وكان هدف إيالة طرابلس هو فرض الإتاوة السنوية والهدايا القنصلية على فرنسا، إلا أن هذه الأخيرة أخذت تعد العدة لهجوم كبير ردا على ذلك[1]، وتنفيذا للفرمان السلطاني الذي يمنع الايالات المغاربية كلها من التعرض للمراكب الفرنسية، كما هو الحال بالنسبة للجزائر وتونس[2].

3/حملة الأميرال ديستري[3] (De.Strees)(1096هـ/1685م):

تولى الأميرال "ديستري" قيادة أسطول حربي مكون من 8 سفن و5 قوادس غليونية مسلحة ومن مركبي إحراق، توجه إلى طرابلس وسبقه إليها قائد الفرقة البحرية "دانفريفيل" (Danfreville) مع بضع سفن أخرى، وبعد وصول "ديستري" يوم (18رجب 1096هـ/ 1685/6/19م) حاصر المدينة لإجبار حكومة طرابلس الغرب على الالتزام بشروط المعاهدة السابقة والرضوخ لمطالب لويس 14، وأثناء ذلك كان الأسطول الطرابلسي يحارب إلى جانب الأسطول العثماني ضد البندقية،

---

[1] برنيا كوستانزيو: **المرجع السابق**، ص ص 188-189. /محمد سعيد الطويل: **العلاقات السياسية التجارية....**، **المرجع السابق** ، ص ص61-62.

[2] أ.ع: **مهمة دفتري** 98 ، حكم 821 ، ص229، بتاريخ أوائل شوال سنة 1100 هـ/ أواخر جويلية 1689م.

[3] إلا أن شارل فيرو يؤكد في كتابه الحوليات بأن الحملة فرنسية، وأورد بأن العياشي كان شاهدا على هذه الحملة، لكن معرب الكتاب عبد الكريم الوافي، صحح هذه المعلومة واستدرك الخطأ، وأورد بأن أبا العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: **الرحلة الناصرية**، تح وتق. عبد الحافظ ملوكي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2011، ص ص178-182، كان شاهدا على حملة دوستري، مثل بقية المراجع الأجنبية، وكذلك محمد سعيد الطويل في أطروحته: **العلاقات**...، **المرجع السابق**، ص64، في حين أن المصادر الليبية، مثل:

-ابن غلبون: **التذكار**...، **المرجع السابق**، ص ص218-219، أورد كلمة الافرنج والأنصاري: **المنهل العذب**...، **المرجع السابق**، ص ص259-260، أورد كلمة اسبانيا، وأورد الدرعي: **الرحلة**...، **المرجع السابق**، ص178، كلمة الكفار، وأورد أن النصارى استولوا على طرابلس في القرن10هـ. لذلك حسب قراءاتنا وتمحيصنا فإن الحملة التي كان الدرعي شاهدا حيا عليها هي حملة اسبانية، لكن محمد عبد السلام الحراري تكلم عن الحملة الفرنسية وتكلم عن الحملة الاسبانية، وأن الحصار الاسباني تزامن مع الحصارات الأوروبية الأخرى وعلى رأسها الفرنسية، ينظر محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص337.

وعندما رفض الداي "عبد الله الأزميرلي" (1094هـ-1098هـ/1683م-1687م) ومجلس ديوانه الشروط الفرنسية، بدأ "ديستري" في قصف المدينة،[1] بقنابل مختلفة الأحجام أدت إلى تدمير هائل في أحيائها وحصونها، مما أجبر حكومة طرابلس على الرضوخ للصلح وتوقيع معاهدة سنة (1096هـ/ 1685م)[2] التي كانت شروطها أكثر قساوة من معاهدة سنة (1092هـ/1681م)، على حسب ما أورده أتوري روسي[3].

4/حملة درويبرت(Derabarte)(1103هـ/1692م):

بعد المعاهدة الأخيرة بين فرنسا وطرابلس ساد السلام الحذر الذي طبع العلاقات بين البلدين، لكن مجاهدي البحرية الطرابلسية، لم يكونوا يعترفون بالمعاهدات التي يفرض توقيعها بقوة السلاح، فتمكنوا من الاستحواذ على بعض السفن الفرنسية ، عندها ظهرت بوادر أزمة جديدة بين البلدين سنة (1103هـ/ 1692م)، فسير الأميرال "درويبرت" أسطولا مكونا من 15 سفينة وبمجرد وصوله شرع يقصف مدينة طرابلس يوم (8 ذو القعدة 1103هـ/21 جويلية 1692م)، دون رحمة، ومجموع ما تلقته هذه المدينة هو1500 قنبلة، لكن الداي "محمد الإمام" رفض الاستسلام والرضوخ لمطالب الأميرال الفرنسي، وقد أورد لنا ابن غلبون ما يلي:" وظهرت شجاعة محمد الامام وحزمه حتى كان يطوف على الأبراج بنفسه ولم يعتمد على أحد، ويعد الرماة بالعطاء الكثير، فرمى بعضهم هوان البونية بكرة فتفرقع الهوان فقتل من حوله من النصارى نحو 15 وتأخروا، فلم يفد رميهم فيها شيئا ورجعوا خائبين"[4].

---

[1] جاد كلود زليتنر: **المرجع السابق**، ص283، وللاطلاع أكثر على تفاصيل هذه الحملة **ينظر**: شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص ص 205-208.

[2] Eugène Plantet **: Les correspondances des deys d'Alger avec la cour de France, 1579-1833,** recueillie dans les dépôts d'archives des affaires étrangères, de la marine, des Colonies et de la chambre de commerce de Marseille et publiée avec une introduction, des éclaircissements et des notes attaché au ministère des affaires étrangères tome second (1579-1833), 2T, Paris, 1889, T1, p340.

[3] ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي...**، **المرجع السابق**، ص305./ نيكولاي إيليت بروشين: **المرجع السابق**، ص100.

[4] ابن غلبون: **المرجع السابق**، ص 222.

أدّى هذا الأمر لانسحاب الأسطول الفرنسي يوم (21 ذو القعدة 1103هـ/1692/8/3م) إلى عرض البحر، فطفح كيل الدولة العثمانية التي حاولت الحفاظ على علاقاتها مع فرنسا، ووجهت إلى طرابلس حملة بحرية تحمل أميرالا تركيا من أجل الضغط على حاكم الإيالة ليحترم المعاهدة السلمية مع فرنسا، وهو ما باء بالفشل، ولكي يؤكد هذا الأخير استقلاله عن الباب العالي رفض الموافقة إلاّ على بند واحد، فأطلق سراح القنصل الفرنسي الذي سافر إلى الجزائر، وفي (شعبان 1104هـ/مايو1693م) عاد القنصل الفرنسي إلى طرابلس بأسطول بحري حربي، مهددا بإعادة قصف المدينة، فعقد الصلح وتمت المصادقة على اتفاقية سنة (1092هـ/1681م)، وأضيفت إليها مادة جديدة[1]، كما أبرمت معاهدة جديدة بين طرابلس وفرنسا بتاريخ (23 رمضان 1104هـ/27 ماي1693م).

ثانيا- مجابهتها للحملات الإنجليزية:

أكّدت سفن أوروبا الغربية الوجود البحري المسيحي قبالة سواحل طرابلس الغرب، الذي كانت تضطلع به قوادس مالطا وسفن إيطاليا، الشيء الذي رفع خسائر الأسطول الجهادي، سقوطا في الأسر، أو إحراقا، أو جنوحا، وبعدها فقدت طرابلس بعض قطع أسطولها وجزء من نخبة جنودها مع ارتفاع درجة التعاون الأوربي للحد من قوة الحملات الجهادية، وقد اتخذ هذا التعاون بعدا جديدا تمثل إلى جانب المواجهة العسكرية المباشرة قيام الأساطيل التابعة للدول القوية بحماية سفن الدول الصغرى من خطر المجاهدين[2].

1/حملة كرومويل سنة(1068هـ/1658م):

كانت إنجلترا في طليعة الدول التي اهتمت بتأمين خطوطها التجارية في البحر المتوسط منذ نجاح "كرومويل" في إعادة تأسيس أسطول إنجليزي قوي، وفي تحقيق رغبته الشديدة في بسط هيمنة دولته على البحار، ولذلك عملت انجلترا كل ما في وسعها من أجل تقويض هذه الأخطار خاصة وأن حملة الأميرال "روبرت بلاك" (R. Blake) المتوسطية في سنتي (1064 - 1065هـ/1654 - 1655م) تمكنت من تحقيق نتائج ملموسة، تمثلت في إجبار طرابلس على قبول السلم، والترخيص

---

(1) نيكولاي إيليت بروشين: **المرجع السابق**، ص 102.

(2) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص ص303-304.

بفتح قنصلية إنجليزية، وعليه كانت الفترة الثانية من ولاية "عثمان الساقزلي" مرحلة متسمة بالوجود العسكري الملاحي الأوربي المتمثل في قيام البوارج الحربية الإنجليزية باستمرار بمهمة تهديد الأسطول الجهادي، وإجبار الداي على تجديد الصلح و الالتزام ببنوده[1].

وقد تمكّن الإنجليز من عقد أول معاهدة مع طرابلس الغرب أيام حكم "كرومويل" (1068هـ/1658م)، إذ أرسلوا أسطولا بحريا لسواحل الإيالة بقيادة "الأميرال ستوكس" وأجبروا حاكمها تحت فوهات المدافع على توقيع شهادة الصلح، وفي أكتوبر سنة (1072هـ/1662م) تم تأكيد هذه المعاهدة بمساعدة سفن الأميرال "لاوسون"، وتم توقيع معاهدات مشابهة بعد ذلك مع الجزائر وتونس، ونصت هذه المعاهدات قبل كل شيء على حرية الملاحة لقاء جزية معينة، ولتأمين سلامة السفن التجارية بصفة نهائية في هذه المنطقة توصل الإنجليز سنة(1073هـ/ 1663م) وعن طريق سفيرهم في اسطنبول إلى اعتراف الباب العالي بحق الإنجليز في إنزال عقوبة برعايا الدولة العثمانية في إيالات طرابلس الغرب وتونس والجزائر، إذا ما قام هؤلاء بخرق بنود الاتفاقيات السلمية[2]، وقد وافقهم الباب العالي على ذلك، باعثا بفرمان خاص بهذا الصدد لحكام إيالات المغارب، ونتيجة لذلك تمكنت إنجلترا من إحراز نجاح سياسي هام أهلها لاحتلال موقع دبلوماسي مميز في طرابلس، وبالتالي أصبح قنصلها يتمتع بنفوذ متعاظم يزداد قوة مع تضعضع الوضع السياسي للولاية خاصة بعد سنة (1082هـ/1671م) التي عين فيها **"ناثانيال برادلي" Nathniel Bradley** في منصب القنصل، والذي كان يتعامل مع الداي على قدم المساواة، وبسلطة لا نظير لها[3].

2/حملة السير جون ناربرو J.Narbrough سنة (1086هـ/1675م):

أعقب حرب كريت، تزايد نشاط مجاهدي البحر، وأصبح أكثر كثافة وحجما مما كان عليه، دون تقييد أو احترام أو مراعاة للمواثيق المبرمة، وقد دعا ذلك من جديد الفرق البحرية المسيحية للقيام بمظاهرات قوية ضد شواطئ طرابلس[4]، لأن دايات طرابلس في هذه الفترة شجعوا حركة

---

(1) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 304.

(2) نيكولاي إيليت بروشين: **المرجع السابق**، ص ص95-96. / خليفة عبد الله الخياط: **العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا**، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، الجماهيرية، 1985م، ص 15.

(3) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص305.

(4) ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...**، **المرجع السابق**، ص 293.

الجهاد البحري ضد السفن الإنجليزية، ففي عهد "بالي داي" تم خرق المعاهدة التي وقعها "عثمان باشا" مع الإنجليز، فقد جهز خمسة 5 سفن جهادية فيهم من كبار الجند واختار لها من الرياس (مصطفى الكبير الاستنكويلي) و(إبراهيم مصراي أوغلو) و(عمر قاره طاغلي) و(أحمد درغتلي) وبعثهم للغزو، وفي عهد "إبراهيم داي مصرلي أوغلو" جهز 6سفن جهادية، خلال شهري (جمادى الأول وجمادى الاخر (1085هـ/أغسطس وسبتمبر 1674م)، قصد الاستيلاء على سفن العدو، وقد تمكنت هذه السفن الجهادية من غنم 3سفن انجليزية[1]، وفي رواية أخرى تم غنم سفينتين إنجليزيتين (**مارلين وألهنتر** Marline -Alihunter) كانت الأولى متجهة من البندقية إلى أليكانتي (Alicante)، والثانية من ليفورنو إلى سميرن(Smyrne)، فأرسلت إنجلترا إلى طرابلس السير " جون ناربروغ" قائد الأسطول الإنجليزي بالبحر الأبيض المتوسط، يرافقه "ناتانيال برادلي"، ووصلت الفرقة البحرية يوم (7 ذو الحجة 1085هـ/3 مارس 1675م) [2]، وقدم إلى حاكم طرابلس الغرب مطلبا بإعادة ما تم نهبه من السفن الإنجليزية، فرد "إبراهيم داي" بالرفض وواصل تعزيزه للقلعة وإقامة تحصينات جديدة، فقام الإنجليز في (ربيع الأول 1086هـ/يونيو1675م) بقصف طرابلس ثم قفلوا راجعين إلى مالطا وحاولوا منها أن ينظموا حصارا بحريا[3].

3/حملة السير (جون ناربرو J.Narbrough) الثانية سنة(1087هـ/1676م):

تمكّن مجاهدو البحرية الطرابلسية من الإفلات من نطاق الحصار الإنجليزي والتحول إلى الشرق حيث باغتوا قرب جزيرة سابينزا (Sapienza) السفينة التجارية برستول (Bristol) التي كانت متجهة من أزمير إلى ليفورنو فسلبوها، وأفرغوا شحنتها من البضائع في درنة، ثم نقلوها بعد ذلك عن طريق البر، وفي ليلة (9 ذو القعدة 1086هـ/24 يناير1676م) عاد الإنجليز بأساطيلهم إلى طرابلس، واقتحموا الميناء ببعض زوارقهم التي قامت بعملية جريئة أحرقت فيها أربعة مراكب للداي[4].

---

[1] الأنصاري أحمد بك النائب: **المنهل العذب ...، المرجع السابق**، ص ص 247-249.

[2] جان كلود زليتر: **المرجع السابق**، ص ص 266-269. / ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...، المرجع السابق**، ص ص 293-294. / برنيا كونستانزيو: **المرجع السابق**، ص178./ شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص ص 184-185.

[3] نيكولاي إيليت بروشين: **المرجع السابق**، ص ص 97-98. / خليفة عبد الله الخياط: **المرجع السابق**، ص20.

[4] Paul-Rycaut , Richard-Knolles : **The Turkish history**, London, 1687,p242.
نقلا عن ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح ....، المرجع السابق**، ص294.

ولم يكتف الإنجليز بذلك فقاموا بقصف المدينة، وبعد ذلك وعلى مدار شهري (ذو القعدة وذو الحجة 1086هـ/يناير وفبراير1676م) أخذت الحملة البحرية تراقب السواحل من طرابلس حتى مصراته فتأسر وتدمر جميع السفن التي تكون في طريقها، وقد أجبرت عمليات الإنجليز الصارمة والمرفقة بعمليات التنكيل بالسكان الحاكم "مصرلي أوغلي" على تأكيد معاهدة سنة (1072هـ/1662م)، كما اتفق على أن يقوم حكام طرابلس بإطلاق سراح الإنجليز الأسرى دون أية فدية وأن يعوضوا إنجلترا ورعاياها عن خسائرهم، وفضلا عن ذلك هدد الإنجليز حاكم الإيالة بعمليات أشد وطأة في حال خرقه لشروط اتفاقية السلم الجديد[1].

وفي 26 يناير ضربوا المدينة، ثم استمروا في حصارها، وقد تضايقت المدينة من الخسائر التي تعرضت لها، وانتابها الخوف من التعرض لما هو أسوأ، وقد ظل الساحل حتى مصراتة تحت رقابة السفن الإنجليزية طوال شهر يناير وفبراير، واستولت القوة الإنجليزية على بعض الوسائط البحرية الصغيرة، وأشعلت فيها النار، وقد وجد في بعضها أعلام رسمت عليها ثلاثة أقمار وذراع تشهر سيفا، واضطر "إبراهيم داي" في (1 محرم 1087هـ/ 15مارس 1676م) إلى توقيع اتفاقية صلح أجبر حكام طرابلس بموجبها على إرجاع جميع الأسرى الإنجليز أو رعايا الإنجليز، دون دفع أية فدية، وتقديم تعويض قدره 80 ألف دولار عن الإهانات التي لحقت أنجلترا، وهددوا بتوقيع عقوبات أشد قسوة ضد أية عملية تهدف لخرق السلم[2].

وفي(6 شوال1110هـ/6 أفريل1699م) تمكنت إنجلترا عن طريق قائد أسطولها البحري من توقيع معاهدة مع الداي "محمد الإمام"، ولأهميتها تم تجديدها في سنوات(1112هـ/1701م)،(1114هـ/1703م)،(1120هـ/1708م)، (1122هـ/1711م) و(1142هـ/ 1730م)، لتخدم المصالح المشتركة وتجعل إنجلترا على رأس الدول المتعاونة تجاريا مع طرابلس الغرب[3].

---

[1] نيكولاي إيليت بروشين: **المرجع السابق**، ص 98. / ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...**، **المرجع السابق**، ص 294. وللتفصيل أكثر حول هذه الحملة، **ينظر** شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص ص185-187.

[2] ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...**، **المرجع السابق**، ص294

[3] عبد الله الخياط: **المرجع السابق**، ص20. وللتفصيل أكثر حول هذه الحملة **ينظر** جاد كلود زليتر: **المرجع السابق**، ص ص 269-274.

ثالثا- مجابهتها لحملات إسبانيا وحلفائها:

كانت العلاقات بين طرابلس واسبانيا وحلفائها في حالة عداء ومواجهة غالبا، وهذا بحكم العداء التقليدي لهم جراء ما لحق طرابلس الغرب من ويلات احتلالهم لها إبان النصف الأول من القرن (10هـ/16م).

1/ اسبانيا: بقيت الأمور على حالها من علاقات متوترة واعتبار اسبانيا نفسها الأقوى في البحر المتوسط، ولا سيما غربه، لكون أجزاء هامة من شواطئ أوربا المتوسطية في قبضتها، وكانت سفنها التجارية تشكل الأهداف المفضلة لمواسم الجهاد البحري، كما أن التحاق عناصر من ذوي الأصول الأندلسية بأعداد هامة في أساطيل الجهاد الجزائرية والتونسية والطرابلسية قد رسخ نظرة الحقد تجاه اسبانيا، واعتبار الأسلاب المفقودة وهو ما ضاعف من حدة الأضرار بالممتلكات الإسبانية، ممّا دفع الإسبان لمحاولة التصدي لذلك كلما سنحت الفرصة إلى مهاجمة المياه الطرابلسية بغرض تهديد سلطاتها وإجبارها على عقد معاهدة سلام تجعل المصالح الإسبانية في منأى من عمليات الأسطول الجهادي، وقد وجد الإسبان في النكبة التي عرفتها الولاية بعد وفاة "عثمان الساقزلي" والتراجع الكبير في القدرات العسكرية والملاحية للبلاد فرصة لمحاولة جر الولاية إلى عقد معاهدة سلام وتعاون بين الدولتين حرصت خلالها اسبانيا على اكتساب موقع خاص في السياسة الخارجية لطرابلس الغرب، مما عجل بإطاحة "إبراهيم مصرلي أو غلو" سنة (1086هـ/1676م) [1].

أ-الحملة الاسبانية سنة(1096هـ/1685م):

أقدم العدوان الإسباني على انتهاج الحل العسكري بعدما باء الجانب السياسي بالفشل ضد طرابلس سنة(1093هـ/1682م)[2] وذلك تزامنا مع ظروف الاضطراب التي عرفتها الولاية بعد وفاة "مصطفى الاستنكويلي"، والتي زعزعت أوضاع القوات العسكرية والأسطول الجهادي بسبب الصراع على السلطة، فضلا عن الصراعات الخفية حول النفوذ بين الداي الجديد "عبد الله الأزميرلي"، والبك "مراد المالطي"، وهو ما أتاح للأسطول الإسباني محاصرة المدينة وقصفها بشدة[3].

---

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق،** ص336./ ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...، المرجع السابق،** ص302.

[2] على حسب قراءاتنا واطلاعنا فإن هذه الحملة كانت سنة(1096هـ/1685م) وهي السنة التي تزامنت فيها الحملة الفرنسية على طرابلس بقيادة دوستري، والتي تكلمت عنها المصادر الأوربية وأكدت بانها حملة فرنسية.

[3] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق،** ص 336.

وقد أورد "ابن غلبون" تفاصيل ذلك فيما يأتي: "...ولما رأت حكومة (اسبانيا)[1]ما حل بطرابلس من الارتباك وضعف الحامية طمعت في الاستيلاء عليها وبعثت بأسطولها، وجاء في أواخر جمادي الآخرة من هذه السنة وحاصر البلد ورموها بالمدافع ولم تكن في قلاعها يومئذ قوة كافية لدفاعهم فدهش الساكن واستولى الرعب.." [2].

ويصف لنا الرحالة المغربي "أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي"، الذي صادف وصوله إلى طرابلس، إثر حجته الثانية (1096هـ/1685م) تعداد الأسطول الإسباني، والقصف الذي تعرضت له مدينة طرابلس، والهول الذي أصاب قاطنيها، قائلا:"... وفي رحلتنا للحرمين الشريفين سنة ست وتسعين وألف وحاصرها الكفار، دمرهما الله تدميرا، وذلك أنا يوم نزولنا بها بمنزل الركب بسبب البحر، إذا بسفن ثلاث ظهرت على متن البحر، ثم تتابعت الفلك في اليوم نفسه إلى أن كملت اثنتين وعشرين سفينة فأقاموا عليها دمرهم الله، بقية الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، وأهل المدينة في تلك المدة في هول عظيم، ونكد جسيم، وعناء شديد، وليس فيهم مدبر ذو رأي حميد، أو نظر سديد، بل أخذوا في نقل أمتعتهم من المدينة لخارجها وحريمهم إلى سوانيهم بالمنشية.." [3].

وفي هذه الأثناء عقد الوالي "عبد الله الأزميرلي" اجتماعا مع أعيان المدينة يعالجون فيه الوضع المزري الذي وصلت إليه المدينة بفعل الخراب والدمار الذي لحقها، ويقول في ذلك الأنصاري: "..فعقد الوالي مجلسا من الأعيان والأمراء منهم" عبد الله الريجبي" وعمر فشارم، وفاوضهم فيم ألم بهم فاتفقوا على مدافعة الأساطيل بغرامة حربية، ثم أمرهم الوالي بمشورة مراد بك فأجاب "بأن المدينة إذا

---

[1] أما ابن غلبون يكتفي بنعتهم ب (الافرنج) قائلا وفي أيامه (يقصد عبد الله الأزميرلي) سنة (489هـ/ 1096م). أواخر جمادى الآخرة أتي الافرنج بالبونية (أي السفن الحربية) لأخذ البلد ورموها بالمدافعة. أما أحمد النائب الأنصاري فإنه يحدد هوية الأسطول بأنه اسباني شأنه في هذا شأن المؤرخ التركي محمد بهيج الدين، ولذا فإن هذا الأخير لا ينفرد وحده بهذه الرواية بل يدعمه فيها مؤرخ ليبي ثقة، **ينظر** ابن غلبون: **التذكار**...، **المرجع السابق**، ص 218، /الأنصاري: **المنهل العذب**...، **المرجع السابق**، ص 259. /شارل فيرو: **المرجع السابق**، هامش ص204. أما فيما يتعلق بهوية الأسطول الذي هاجم طرابلس في تلك الفترة، والذي يصر شارل فيرو هنا على أنه أسطول فرنسي، فقد شرحنا ذلك في عنصر الحملات الفرنسية، وأن محمد عبد السلام الحراري قد ذهب بأن التهديدات الاوربية لطرابلس تزامنت مع بعضها في تلك الفترة.

[2] أحمد بك النائب الأنصاري: **المنهل العذب**...، **المرجع السابق**، ص259.

[3] أبو العباس أحمد بن الناصر الدرعي: **الرحلة**...، **المصدر السابق**، ص178.

كانت حاضرة البحر، ولم يكن بساحتها عمران القبائل ... ولا موضعها متوعر من الجبل .. كانت في غرة للبيات .. وسهل طروقها في الأساطيل البحرية على عدوها، و تحريقه لها لما يأمن من عدم وجود الصريخ لها ... والرأي السديد....أن تتركوا هذه البلدة للعدو، وأختط لكم بلدا(بالهاني) – موضع يبعد عن الثغر بنحو ساعة – أحسن منها سهلة المرافق، حصينة المعاقل، ويصعب منالها على العدو، ويتضاعف امتناعها وحصنها بموضعها الطبيعي! ..، فلطف أولئك الأعيان، في الرد عليه وصرفوا له وجوه المداهنة وجعلوا ذلك ذريعة لبغيتهم حتى تسهل لوفاقهم على عقد الصلح والعقد على ما وقع عليه اتفاق الطرفين من الشروط، وأقلعت الأساطيل وانقشع الجو"[1].

ومن خلال ما سبق؛ فقد أورد "الأنصاري" أن الداي ومعه الديوان اضطروا لعقد اجتماع مشترك شمل كافة أعيان طرابلس، قضى بقبول تقديم تعويضات لاسبانيا عن أضرارها مقابل الانسحاب، والموافقة على معاهده صلح بامتيازات خاصة لفائدة الرعايا الأسبان نصت على تبجيلهم واحترامهم، وفي هذا الشأن ذكر "ابن غلبون" قائلا: "...منها دخول طاغيتهم كائنا ما كان بنعله على ملكها (أي الداي) يطأ بها بساط ملك خليفة الله ورسوله في الأرض ومشي كبيرهم شاهرا سلاحه بين يدي الملك ... "[2]، وبعد مدة أقيمت معاهدة تتضمن بندين مفادهما أنه في حالة رفع أحد الرعايا الأسبان دعوى ضد مسلم، فإنه لا يبث في القضية بحسب الشريعة الإسلامية بل تعرض أمام المحاكم التابعة لدولته[3].

ب- الحملة الاسبانية الثانية (1102هـ/1691م):

لقت المعاهدة الاسبانية رفضًا شاملاً في طرابلس واعتبروها خرقا لسيادة الداي والديوان والولاية، مما أزم أوضاع الإزميرلي وأنصار السلم، و كان من نتيجتها الإطاحة به في السنة التالية ومع ذلك لم يحاول مسؤولو طرابلس نقض الصلح إلا خلال عهد "محمد الإمام" بعد أن دعمه صهره "خليل أرناؤوط" والذي بادر بدوره في سنة(1100هـ/ 1689م) وخرق هذه المعاهدة بإطلاق الأسطول الجهادي ضد المصالح الإسبانية[4]، لكن الرد الإسباني كان حاضرا وتمثل في بعثها لأسطول

---

(1) أحمد بك النائب الأنصاري: **المنهل العذب...**، **المرجع السابق**، ص ص 259-260.
(2) ابن غلبون: **التذكار...**، **المرجع السابق**، ص219.
(3) شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص 204. / ابن غلبون: **المرجع السابق**، ص219.
(4) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص337.

حربي عولت عليه كثيرا في إحراز انتصار تستعيد به شتاتا من هيبتها الضائعة، فاسحة المجال للقوتين الفرنسية والانجليزية، وقد تشكل الأسطول من 15 سفينة حرية مجهزة بالقنابل والمدافع، متجها نحو طرابلس الغرب التي وصلها يوم (29 رمضان 1102هـ /25 جويلية1691م)، فحاصرها أملا في استسلام "الباشا محمد الإمام" أو الرضوخ لأوامر قادة الأسطول الاسباني، لكن "محمد الامام" عندما اتخذ قرار نقض الصلح كان على علم بنتائج فعله هذا، لذلك بادر بتحصين القلاع وبناء الاستحكامات وتشجيع حراسها واعدًا إياهم بزيادة مستحقاتهم، وكان يجول بنفسه عليها تحسبا لغفلة الحراس أو تهاونهم، وكان يشجع الناس على الجهاد دفاعا عن مدينتهم التي كانت عرضة للاحتلال مجددا[1].

وباشر الأسطول الإسباني بعد وصوله سواحل طرابلس الغرب بتاريخ (29 شعبان 1102هـ /27 ماي 1691م)، في قصف المدينة بالقنابل ليعم الخوف، بيد أن الجيش الطرابلسي كان قد أخذ مواقعه وحضر بطريقة جيدة لإدارة هذه المعركة، وساهم في ذلك السكان المحليين الذين كانوا على استعداد لملاقاة العدو، وفي ذلك يقول النائب الأنصاري:"...وركب العساكر وأهل البلاد القلاع وتواقعوا بالمدافع، وكشفت الحرب عن ساقيها وحمى الوطيس وهبت الريح المبشرة..." [2].

طالت المعارك بين شراسة الجنود الإسبان وإصرار مجاهدي طرابلس، خاصة أمام النشاط البارز "لمحمد الإمام" في تشجيع المقاومة، مما رفع روح مقاتليه مكبدين الإسبان خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، مما دفع قادة الأسطول على الانسحاب، مفضلين إنقاذ ما تبقى لهم من جند وسفن، على مواصلة المغامرة التي لا تزال معالمها مجهولة، وهذا بعد أن شهدوا عزيمة أهالي طرابلس في المقاومة والجهاد، على عكس المرة السابقة التي لم يجدوا فيها أي عناء في تدمير المدينة وإرعاب أهلها الذين اضطروا للهروب إلى دواخل البلاد مخافة من الهلاك، في غياب شبه كلي للسلطات الحاكمة التي كانت تسعى لعقد الصلح بدل الجهاد والدفاع عن المدينة وأهلها[3].

---

[1] طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية العثمانية مع اسبانيا...**، **المرجع السابق**، ص 441. / أحمد بك النائب الأنصاري: **المنهل العذب...**، **المرجع السابق**، ص ص 260-261.

[2] أحمد بك النائب الأنصاري: : **المنهل العذب...**، **المرجع السابق**، ص 266.

[3] الطاهر تومي: **علاقات الايالات المغاربية ..**، **المرجع السابق**، ص443./ الطاهر أحمد الزاوي: **ولاة طرابلس.**، **المرجع السابق**، ص207.

و مما أربك سياسة الولاية وعرضها إلى ضغوط متعاظمة هو تزامن الحصار عليها من عدة قوى أوروبية كفرنسا إلى جانب الإسبان في ظل التنسيق المسيحي ضد المسلمين مما أرغم "محمد الإمام" على القبول باتفاقيات الصلح، لا سيما وأن تزايد الضغوط الداخلية قلصت من نفوذه على حساب نفوذ القناصل الأوربيين، الذين فرضوا خياراتهم السياسية إلى درجة أصبح معها القنصل الإسباني لا يتورع عن التدخل في توجيه سير الأحداث الداخلية من خلال الصلاحيات المتعاظمة التي أصبحت الاتفاقيات الأوربية المتشابهة في بنودها أهدافها تخدم المصالح الأوربية على حساب السلطات الأخرى[1].

2/مالطا: مع تعاظم دور الأسطول الطرابلسي منذ سنة (1028هـ/1619م) في أمن الولاية وتنمية مواردها الاقتصادية، اتخذ الأوروبيون موقفًا عسكريًا، اضطلعت به أساسًا قوادس مالطا لقربها من قاعدة طرابلس، حيث اعتمد رجالها على أسلوب عسكري مشابه لأسلوب العمليات الجهادية، مما أهل هذه القوادس لمواكبة السفن الطرابلسية، وقد ظهر ذلك بداية في عهد "محمد باشا الساقزلي"، حيث تكبدت خسائر جمة، ففي سنة(1043هـ/ 1634م) تعرضت سفن الجهاد الطرابلسية من قبل ستة مراكب مالطية بقيادة "الفارس فرا كارلو فالدينا " (Fra Carlo Valdina)، فتمكن الفرسان من انتزاع السفينتين الفرنسيتين والاستيلاء على سفينتين طرابلسيتين، واستشهد العديد من المجاهدين، وأسروا 330 شخصا من بينهم الرايس (مراد) [2].

إلا أن هذا لم يثبط من عزيمة "محمد باشا" الذي أعاد تنظيم فرقته بحيث صارت تتوفر على عدد يتراوح بين 7 إلى 9 مراكب، ومركب من نوع (غاليرا)، وفي يوم (27 شوال 1047هـ/13 مارس1638م) هوجمت الفرقة الطرابلسية مجددا في مياه كالابريا من قبل السفن المالطية العاملة تحت قيادة "فرا جاكومو دي لييجشارول" (Giacomo de Liege Charrault)فاستولت على 3 سفن برئاسة "الرايس إبراهيم" المدعو (Beccaza) وقتل من الطرابلسيين 209 وأسر 214 وقدرت خسائر طرابلس في المعركة بحوالي 100ألف سكودو، أما من الجانب المالطي فقد خسروا

---

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص ص 337-338.

[2] إيتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...**، **المرجع السابق**، ص270. / كامللو مانفروني: **المرجع السابق**، ص69. /برنيا كونستانزيو: **المرجع السابق**، ص123.

100 قتيل من بينهم 9 فرسان، وتم تحرير كثير من الأسرى المالطيين بطرابلس مقابل الأسرى الطرابلسيين[1].

وبعد سنة تمكنت الفرقة المالطية من التسلل وإحراق مركبين بميناء طرابلس وفي(جمادى الأول1050هـ/سبتمبر1940م) تمكنت فرقة مالطا بقيادة "لاندغرافيود اسيا " Landgraviod) Assia) من مهاجمة مركب طرابلسي عند رأس الأعمدة فأسرت 34 بحارا، وقتلت واحدا وأطلقت سراح 14 أسيرا مسيحيا، 4 منهم فرنسيون كانوا في خدمة باشا طرابلس، وفي(1052هـ/ 1642م) تمكن الفارس" فرا برنارد فكيتي"(Bernordo Vecchietti) بواسطة المراكب المالطية من إحراق بعض المراكب الطرابلسية في ميناء طرابلس، واستولى في(20 جمادى الأول/6 سبتمبر) من ذلك العام على فرقاطة طرابلسية كان بها 137 أسير، ورغم كل هذا فقد كان من الواجب وجود نوع من العلاقات الدبلوماسية بين مالطا وطرابلس، في بعض الأحيان، وثمة وثيقة مرسلة من المرشد الأكبر "**الاسكاريس**" **Lascaris** إلى باشا طرابلس بتاريخ (21 ذو الحجة 1053هـ/29 فبراير1644م) تطلب منه فيها إطلاق سراح 5 بحارة مالطيين أسروا بطرابلس قبل عام من ذلك، بينما كانوا على ظهر سفينة يمتلكها "**جيوسبيبويسون**" **Giuseppe Buison**[2] ولا يعني هذا أن النجاح كان دوما حليف القوادس المالطية، بل تمكن المجاهدون الطرابلسيون خلال عهدي "محمد داي الساقزلي" وخليفته "عثمان الساقزلي" من إلحاق الهزائم بها في بعض المواسم مما سبب تراجع فعاليتها منذ سنة (1056هـ/1647م)[3].

كما انتصرت البحرية المالطية في (شعبان 1089هـ/سبتمبر1678م) على مجاهدي البحر الطرابلسيين، فقد استطاعت مراكبها بقيادة الفارس البرتغالي "دون جيوفاني كوريا دي سوسة"G.Correa De Susa" أن تغرق لهم مركبين قرب قبرص بعد معركة دامية أنقذوا بها 144 من

---

[1] ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...، المرجع السابق**، 270-271. / محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة: **المرجع السابق**، ص 79. / بيير دان: **المصدر السابق**، ص ص 232-233.

[2] ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...، المرجع السابق**، ص 271.

[3] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 301.

ملاحي المركبين و11 عبدا مسيحيا، ممّا أجبر رئيس البحرية الطرابلسية "أحمد ابن بيرام" في سنة (1095هـ/1684م) على دفع فدية بمبلغ 700 قرش مقسمة على 14 شهرا[1].

كما استولى فرسان مالطا أثناء هذه الحرب المتواصلة في سنة (1115هـ/1703م) قرب رأس سبارتفتو (Spartivents) على زورق طرابلسي على متنه 70 رجلا، كما افتكوا سفينة أخرى سنة (1112هـ/1700م)، وفي(12 ربيع الثاني 1121هـ/20 يونيو1709م) فوجئت سفينة القيادة(Capitana) وسفينة طرابلسية أخرى تحت قيادة علي قبطان عند خليج برندسي (Brindisi) بالفرقة الموحدة لأساطيل مالطا تحت قيادة "فرا لودفيجو فليوريني" (LodvicoFleurigny)، وقد هوجمت السفينة الطرابلسية من قبل السفينة (سان جيوفاني) بقيادة الفارس "فراجيوسبي دي لانغون" Giuseppe de Longon . وقد أبدت السفن الطرابلسية مقاومة باسلة، وحاولت دحر تهديد المستبدين، إلا أن اشتعال النار - صدفة أو يأسا - في السفينة (كابتانا) الطرابلسية دفع البحارة لإلقاء أنفسهم في البحر، وقد التقطت الزوارق 400 نوتي و50 أسيرة مسيحية فكت عنهم الأغلال، وكانت السفينة مجهزة ب56 قطعة مدفعية و240 قاذفة و500 نوتي و40 مسيحي والسفينة الثانية 40 مدفعا، و30 قذيفة و50 رجلا و10 أسرى[2].

3/الدويلات الإيطالية:

كانت هذه الدويلات مسرحا للعمليات الجهادية بين طرابلس ومالطا وهذا يعود لطول شواطئها، ولتبعيتها للخصم الرئيسي اسبانيا، ولقربها من طرابلس الغرب، ولذلك كانت خاضعة باستمرار لاستنزاف ثرواتها وكفاياتها البشرية، الشيء الذي فرض عليها التحضر الدائم ضد الهجمات الجهادية، مع إظهار ردود فعل عنيفة تجاه طرابلس كلما أتيحت لها الفرصة، ففي سنة (1020هـ/1611م) أعدت حملة تحت إشراف نائب الملك بصقلية وبقيادة "دوريا" لمهاجمة جزيرة قرقنة باعتبارها أحد المراكز الرئيسية للسفن الجهادية، وهو ما باء بالفشل لرفض قوادس مالطا المشاركة فيها، ومع ذلك لم يكن هذا الحدث ليؤثر على استمرار العمليات الجهادية من المصالح الإيطالية، ولا على حركة السفن التجارية المتوجهة نحو طرابلس[3].

---

[1] ايتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح...، المرجع السابق**، ص ص297-298.
[2] **نفسه**، ص ص 316-317.
[3] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص 301.

وفي أول عقدي القرن(11هـ/17م) ظهر "العلج مامى رايس" الذي بث الرعب من جديد في البحر المتوسط، وكانت سلسلة من المعارك مع سفن توسكانيا والسفن البابوية ومنظمة فرسان مالطة، وهو الذي أدخل استعمال السفن المستديرة على الأسطول الجهادي الطرابلسي مكان الغليونات، وخلال حكم "مصطفى شريف"(شريف داي) الذي بدأ عهده على الراجح سنة(1029هـ/ 1620م) نظمت الدول الإيطالية بإشراف "فيلير تودي سافويا" Filler Tody Savoia حملة جماعية للتخلص من مجاهدي البحر، وانضمت إلى هذه الحملة سفن بابوية وأخرى لأمير نابولي وصقلية وجنوة ومالطة وقسمت إلى ثلاثة أسراب جابت بحر ترينو والسواحل الأفريقية طولا وعرضا ورغم كل هذا إلا أنها لم تعد بنتائج تذكر سنة (1032هـ/1623م) [(1)].

خلال عهد "محمد داي الساقزلي" ضيقت سفنه الخناق على المصالح الإيطالية، واستطاعت في (1043هـ/1634م) نهب جزيرة كورسيكا، مما جعل الدويلات الإيطالية تبادر إلى تشجيع نشاطات القراصنة الأوروبيين في ظل استحالة دحر الهجمات الطرابلسية، مبقية في الوقت ذاته على العلاقات التجارية الودية مع طرابلس رغم مواصلة تلقيها لضربات جهادية، كما حدث سنة (1043هـ/1634م) حينما تعرضت السواحل الإيطالية لحملة مشتركة تونسية طرابلسية نهبت خلالها بعض الشواطئ والجزر ومع قرار الباب العالي بسط نفوذه على ما تبقى من الجزر الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط، شارك الأسطول الطرابلسي سنة (1054هـ/1644م) في فتح معظم أجزاء كريت التابعة للبندقية، ماعدا عاصمتها كنديا[(2)].

---

(1) كاميليلو مانفروني: **المرجع السابق**، ص68.

(2) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص302.

وفي سنة (1062هـ/1652م) قبضت السفن البابوية على 6 سفن لطرابلس، ولما تولى "العلج عثمان الساقزلي" ساهم هو الثاني في حرب كريت بسفنه، وجرت له مصادمات عديدة مع البنادقة وحلفائهم في معركة الدردنيل سنة (1067هـ/1657م) بالإضافة لفرسان القديس "استيفان"[1]، وهكذا توالت الخسائر الإيطالية، وعلى رأسها خسائر جمهورية البندقية مع تصاعد عمليات الأسطول الطرابلسي في بحري الأدرياتيكي وايجه في سنة (1075هـ/1665م) التي شهدت معركة بحرية قوية بين الأسطولين الطرابلسي والبندقي قبالة جزيرة سابينيز(Sapeienza)، حقق خلالها أمير البحر "بيرام رايس" وقادة الأسطول "مصطفى كمبانة" و"علي رايس" فوزا ساحقا ضد البنادقة، أسفر عن مقتل أميرال أسطول مونشينيغو، وإلى نقل عدد كبير من الأسرى البندقيين إلى طرابلس، ممّا ألزم الداي ببناء سجن جديد لاحتوائهم والتأكيد على بسط نفوذ الأسطول الطرابلسي في المياه الإيطالية[2].

ورغم اشتداد الضغوط الأوربية الأخرى على طرابلس، تتالت الغارات على سواحل ايطاليا وقبض على سفن أخرى وحجز الكثير من الأسرى، وتميز في هذه المعارك البحرية أحد الأعلاج المدعو "حسن كابودآن" وأصله من كالابريا، فكان يبعث الرعب في الحوض الغربي من المتوسط، والأساطيل الإيطالية لا تجرؤ على الخروج من موانئها[3].

وفي العقد الأخير من القرن (11هـ/17م)، طلب السلطان العثماني من الحاج حسين ميزومورتو الإشراف على أساطيل الإيالات المغاربية والتي من بينها أسطول إيالة طربلس الغرب، وضرورة إلحاقها لميدان المعركة التي تجري أحداثها ضد البنادقة، كما أسلفنا في فصل الجزائر[4]، كما نوه بضرورة الاستعداد للجهاد والغزو في سبيل الله، وتجهيز الأسطول الطرابلسي وإرساله[5].

---

[1] كاميليلو مانفروني: **المرجع السابق**، ص69.

[2] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص ص302-303. / كاميليلو مانفروني: **المرجع السابق**، ص70.

[3] كاميليلو مانفروني: **المرجع السابق**، ص71.

[4] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 99، حكم رقم 153، ص ص 35-36، بتاريخ أوائل ربيع الأول1101 هـ/أواسط ديسمبر 1689م، يُنظر: **الملحق رقم 16**.

[5] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 99، حكم رقم 154، ص26، بتاريخ أوائل ربيع الأول 1101هـ/ أواسط ديسمبر 1689م، يُنظر **الملحق رقم 17**.

كما طلب من بايلرباي طرابلس الغرب اسماعيل وأفراد الديوان بتوزيع الذهب والخلع (الخلعة) بين العساكر للاشتراك مع الأسطول العثماني لخوض الحرب في الربيع القادم سنة (1011 هـ/ 1690م)[1].

وفي سنة (1110هـ/1699م) صادقت الدولة العثمانية على معاهدة السلم مع جمهورية البندقية، فالتزمت السفن الطرابلسية والمغاربية بضرورة تطبيق بنود المعاهدة والكف عن التعرض للسفن البندقية في البحر المتوسط.

رابعا-مجابهتها للحملات الهولندية:

1/حملة الأميرال رويتر (Rugter) (1072هـ/1662م):

لم يكن أسطول طرابلس الغرب يجابه ردود الفعل المالطية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية فحسب، بل أدى تعرضه لمختلف السفن التجارية النشيطة بين أوروبا وبين موانئ الشرق إلى الأضرار بمصالح بعض الدول الأوربية الأخرى، وإلى استنزاف مواردها المادية والبشرية، مما فرض عليها هي الأخرى السعي للتقليص من حجم الأضرار المترتبة عن العمليات الجهادية، ومن بين هذه الدول هولندا، التي حاولت بدورها التصدي للأسطول الجهادي الطرابلسي منذ سنة (1072هـ/1662م)، بقيادة الأميرال "رويتر" (Rugter) بغاية إطلاق سراح الأسرى الهولنديين[2].

حث "رويتر" "عثمان باشا" داي طرابلس الغرب على توقيع معاهدة مماثلة لتلك التي بين بلاده وبين الباب العالي ودايات تونس والجزائر، وقد نجح الأميرال المذكور في ذلك، ممّا أدى إلى افتداء 80 أسيرا هولنديا، حيث تراوحت أسعار فدية كل منهم ما بين 220 قطعة " أبو ثمانية"، وقطعة عن كل رئيس معدات منهم 350[3].

(1) أ.ع: **مهمة دفتري** مهمة دفتري رقم 99، حكم رقم 154، ص36، بتاريخ أوائل جمادى الأولى 1011 هـ / أواسط فبراير 1690 م، يُنظر: **الملحق رقم 18**.

(2) محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص307. /كاميليلو مانفروني: **المرجع السابق**، ص 70.

(3) شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص 164.

2/ محاولة هولندا الحفاظ على علاقتها الودية مع طرابلس الغرب:

لكي يضمن الهولنديون سلامة سفنهم ومصالحهم انتهجوا سياسية تقارب مع بلدان المغرب، مستغلين حاجة أساطيلها إلى التجهيزات الملاحية والعسكرية، حيث لم يعد بمقدور الأقاليم المتحدة الاستمرار في دورها السابق لانشغالها بحروبها خلال النصف الثاني من القرن(11هـ/17م)، وخاصة ضد فرنسا، إلى جانب مجابهة سفن الجهاد والتضييق على تجارة التهريب، مما جعل علاقاتها برجال الجهاد ومن بينهم الطرابلسيون تتأثر بصورة سلبية، الأمر الذي دفع بالهولنديين إلى المحادثات السلمية والقبول بتدعيم رجال الجهاد بالمادة الملاحية والعسكرية لصيانة علاقاتهم، حيث نجحوا في (جمادى الآخر 1094هـ/يونيو 1683م) في عقد معاهدة سلام تام تكفل الأمن لتجارتهم في البحر المتوسط[1]، عن طريق السيد "هيس"(Hers) مفوض جمعية السلطات العامة الهولندية ومندوب "أمير أورانج" (Orange) الذي أقام مركز قنصلي في مدينة طرابلس، وذلك بعد أن أهدى أصحاب السلطة مبلغا كبيرا من المال، والتزم بإمدادهم في فترة لا تتجاوز الأربعة عشر شهرا ب 150 برميل بارود، 3 آلاف قذيفة تتراوح زنة الواحدة منها ما بين أربعة وثمانية أرطال، وثلاثة كوابل، وخمسة صواري سفن، فاستحسن الديوان الطرابلسي ذلك وقرر في نفس جلسته أن يوافق على افتداء تسعة أسرى هولنديين. إلا أن العلاقات بين البلدين ما لبثت أن تأزمت سنة (1095هـ/1684م)، عند تأخر المندوب "هيس" في إحضار المعدات التي التزم بها للداي وأعضاء الديوان في الموعد المتفق عليه، فداهمت السفن الجهادية السفن الهولندية، ولما رجع "هيس" إلى طرابلس في سنة (1095هـ/1684م) حاملا معه الهدايا المذكورة أعلاه، وبينما كان ما يزال في سفينته بالميناء، عادت سبع من السفن الجهادية الطرابلسية ومعها سفينة تجارية هولندية تم الاستيلاء عليها، فطالب "هيس" باستعادتها بموجب نصوص المعاهدة التي لم يكن قد مضى وقت طويل على إبرامها إلا أن الديوان رفض ذلك[2].

[1] Daniel Panzac: **Course et Diplomatie , les provinces Ottomanes du Maghreb et LEurope(17-18siecle)** , in Maroc Europe. n11, (1997-1998), p145.

نقلا عن محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، 340.

[2] شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص ص 202-203.

وبالرغم مما حدث إلا أن المياه بدأت تعود لمجراها بين الدولتين بالتزام هولندا بجانبها من الاتفاق، والتي مكنت القنصل الهولندي من النجاح في التقريب بين وجهات النظر حفاظا منه على مصالح بلده، مقدما المبادرات التي تعزز موقعها كدولة صديقة لطرابلس، وقد أبدى حسن نية بلاده، عندما ساند الداي خلال الأزمة الإقتصادية التي خلفها وباء سنة (1101هـ/1690م)، حيث ساهمت الأقاليم المتحدة في تمويل خزينة الولاية بالقروض المالية حسب الإفادة الواردة في شهادة القنصل الفرنسي المناوئ له والتي أدلى بها في سنة (1103هـ/1692م) قائلا: "ثلاثون ألف قرش نصفها تم دفعه، والنصف الآخر بصدد الدفع بين آن وآخر تلك هي المبالغ التي أعطاها لهما القنصلان الإنجليزي والهولندي من قبيل المنافسة لنا".[1]

كما كانت قوة الدولة التي تتعامل معها طرابلس هي العامل الأساسي في تقلباتها هذه مع الدول الأوروبية، ولذلك فإن الداي "محمد الإمام" اضطر لتغيير نهجه في التعامل بعد الضغط الذي تعرض له إثر الحملة الفرنسية الأخيرة، فكان مجبرا على نقض المعاهدات مع إنجلترا وهولندا، كما أنه أمر السفن الجهادية الطرابلسية على محاربة سفنهما، مثلما ورد في الرسالة التي أوفدها للملك الفرنسي لويس 14:" احرص على معاهدة تحالفنا معكم، فقد فسخنا صلحنا مع أعدائكم الانجليز والهولنديين، ولقد استقدمنا إلى حضرتنا قنصلي هاتين الدولتين في بلادنا، وأبلغناهم بأننا قد فسخنا من الآن فصاعدا الصلح الذي أبرمناه مع بلدهما، وبأننا قد أصبحنا بالتالي في حالة حرب معهما، وبأنه لم يعد أمامهما سوى العودة إلى بلديهما، وفي نفس الوقت أصدرنا أوامرنا إلى الرئيس علي – القائد العام لأسطولنا الحربي ولسفن الغزو – وإلى جميع رياس هذه السفن بتعقب السفن التابعة لهاتين الدولتين كلما التقوا بها في البحر"[2].

ومن المنطقي تولي الأقاليم المتحدة لزمام المبادرة ضد الأسطول الجهادي باعتبار حاجة هذا الأخير للتمويل فحاولوا استعادة مكانتهم لدى سلطات طرابلس، رغم أن ذلك لم يتم إلا سنة (1115هـ/1703م)، حسبما تشير إليه وثيقة ليبية والتي ورد فيها وصول يهودي هولندي يدعى يهودا "كوهين" (J.Cohen) إلى طرابلس، هدفه تجديد معاهدة الصلح المذكورة، مع الالتزام بتوريد

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص341.
[2] شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص 232.

أربع قطع مدفعية من عيار 28 و200 قنطار من البارود، 40 ألف كورة قذف، وألف بندقية وكوابل وبكارات و غيرها عتاد سفن الجهاد، فضلا عن دفع أتاوة للخزينة الطرابلسية بقيمة 50 ألف قرش[1].

خامسا- مساهمة البحرية الطرابلسية في الحروب العثمانية خلال القرن(11هـ/17م):

كانت الدول الأوربية واضعة نصب عينيها إضعاف الدولة العثمانية وتقليم أظافرها، خاصة في الضفة الجنوبية للمتوسط، وبما أن هذه الأخيرة كانت أقرب لأوروبا من الدولة المركزية، وفي مواجهة ضفتها الشمالية، فكانت دوما معرضة لحملاتها وهجماتها، فما كان من الدولة الأم إلا أخذ الحيطة والحذر للمحافظة عل ممتلكاتها في بلاد المغارب، وهذا ما رأيناه مرارا في الرسائل الموجهة من الباب العالي إلى بايلربايات الإيالات المغاربية- التي من بينها طرابلس الغرب، بضرورة اليقظة والتجسس على مخططات الأعداء قصد إفشالها أو مجابهتها بأقل الخسائر، ومن هذا المنطلق فإن دور البحرية الطرابلسية كغيرها من بحريات المغارب لم يقتصر على حماية المدن الساحلية والدفاع عنها، بل تعداها إلى المشاركة في حركة الجهاد البحري الإسلامي تحت لواء الدولة العثمانية في عديد الأمكنة والأزمنة ضد الدول الأوربية، وكانت تلبي النداء وتشارك بكل ما جادت به إمكانياتها، ونرى ذلك عندما طلب السلطان العثماني من جميع إيالاته المشاركة إلى جنب الأسطول العثماني في الحرب على جزيرة كريت سنة (1054-1055هـ/1644-1645م)[2].

ودعاها إلى إرسال السفن بمجاهديها وعتادها ومؤنها وكل مستلزمات الحرب، فكانت طرابلس الغرب ممن لبوا النداء، وشاركت بحريتها ب5 مراكب كبيرة ومركبين صغيرين، واعترافا من الباب العالي بالجهود الجبارة والخدمات الجليلة التي قدمها مجاهدو البحرية الطرابلسية، فقد احتلت

---

[1] محمد عبد السلام الحراري: **المرجع السابق**، ص342.

[2] لمعرفة تفاصيل أكثر حول هذه الغزوة، **يُنظر**: حاجي خليفة: **تحفة الكبار ...**، **المصدر السابق**، ص ص 188-216، إلا أن محققا الكتاب محمد حرب وتسنيم حرب، كانا قد أخطئا التاريخ الميلادي الموافق للتاريخ الهجري لهذه الحرب في الصفحتين (190-191)، وبدلا من كتابة 1645م كتبا 1654م، وقد تكرر هذا الخطأ خمس مرات، وقد تحققت من ذلك بعد اطلاعي على النسخة العثمانية، **ينظر** :كاتب جلبي (حاجي خليفة): **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مكتبة السليمانية، اسطمبول، ص ص 115-137، وكان تأليفه لهذا الكتاب عقب حملة كريت سنة 1055هـ، لأنه عايش هذه الأحداث، كما أن الدولة العثمانية تمكنت من فتح هذه الجزيرة سنة (1080هـ/ 1669م) بعد حروب دامت 24 سنة. ينظر إسماعيل سرهنك: **المرجع السابق**، ج1، ص468.

سفن البحرية الطرابلسية الصدارة في الاستعراض البحري الكبير الذي أجري على مرأى السلطان العثماني "ابراهيم الأول" سنة (1057هـ/1647م)، وفي سنة (1079هـ/1668م)، حظي "عثمان باشا" بهذا التقدير والامتياز الذي يضم جيوش الولاية التي تجمعت تحت راية الباب العالي[(1)].

وفي إطار المساهمة الطرابلسية في الحروب العثمانية البحرية، فقد شاركت إيالة طرابلس الغرب رفقة العثمانيين في حربهم ضدّ البنادقة خلال معركة بشيكة الشهيرة (Beshika) سنة (1064هـ/1654م)، حيث كان الأسطول الطرابلسي مرابطًا إلى جانب الأسطول العثماني في الجناح الأيسر لموقع المعركة[(2)]، في الحين الذي رابطت فيه الأساطيل الأخرى المشاركة إلى جانب الطرفين في الجهة اليمنى لموقع المعركة، الأمر الذي أدى إلى تفوق القوة العثمانية على نظيرتها البندقية، يُضاف إلى ذلك انضمام البحرية الطرابلسية المشكلة من حوالي 11 سفينة حربية للبحرية العثمانية[(3)]، التي كانت متوجهة بدورها لدحر قوات البنادقة في كل من جزيرة ساقز والجزر القريبة، ومثله كذلك حدث سنة (1078هـ/1667م)، أين توجهت السفن الطرابلسية الستة لمشاركة في إلقاء القبض على القرصان البندقي الشهير "جورجيو فتلي"، بجزيرة كريت، وقد كان ذلك بأمر من الباب العالي[(4)]. وحتى نهاية العقد الأخير من القرن (11هـ/17م) فقد استمرت هذه المساعدات بين الأيالة الطرابلسية والدولة العثمانية، ودليل ذلك مشاركة البحرية الطرابلسية ب 5 غلايين (جمع غليون) في الحرب التي دارت بين البحرية العثمانية وأعدائها النصارى سنة (1109هـ/ 1698م) [(5)].

ويلخص "الطويل" دور البحرية الطرابلسية، فيورد ما يلي:" أن البحرية الطرابلسية كان لها دور مهم في الأحداث والوقائع التي دارت خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، وأن رجالها كانوا من أصحاب الرأي والمشورة وصانعي القرار الحاسم، هذا علاوة عن كونها مدرسة للقادة العثمانيين مثل جعفر باشا، محمد آغا ومصرلي زادة إبراهيم باشا الذي وصل إلى رتبة الوزارة ونالت البحرية العثمانية

---

(1) برنيا كوستانزيو: **المرجع السابق**، ص 183.

(2) إسماعيل سرهنك: **المرجع السابق**، ص ص 590-591. /شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص 189.

(3) اسماعيل سرهنك: **المرجع السابق**، ج1، ص593. / سامح عزيز التر: **المرجع السابق**، ص 123. إلا أنه لا يحدد عدد القطع البحرية المشاركة.

(4) اسماعيل سرهنك: **المرجع السابق**، ج1، ص598. /سامح عزيز التر: **المرجع السابق**، ص 124.

(5) اسماعيل سرهنك: **المرجع السابق**، ج1، ص608. / سامح عزيز التر: **المرجع السابق**، ص 132.

في عهده اهتماما بالغا، وهذا لا يعني أن البحرية الطرابلسية قد وصلت إلى درجة عالية من القوة والازدهار، أو أنها على قدم المساواة ببحرية تونس والجزائر ومراكش"[1]، ويفند قوله بما كتبه "الراهب بيير دان" (Dan Pierre)سنة (1047هـ/1637م) من أن إيالة طرابلس لم يكن لها بحرية ذات قيمة مع بداية القرن السابع عشر فكانت البحرية الطرابلسية لا تعد سوى سبعة أو ثمانية مراكب مسلحة للقرصنة، كما يعترف "الراهب دان" بالمكانة الهامة لمدينة طرابلس ورجال بحريتها حيث يقول: " ...ولكن رغم أن عدد مراكبها قليل إلا أن مكانتها بين الدول المسيحية محترمة، وذلك لشجاعة قراصنتها وكذا قلة وحشيتهم ويوجه الراهب دان أن عدم شهرة طرابلس بحريا قياسا ببقية إيالات المغرب، يعود إلى افتقارها للمراكب والمعدات الحربية من ناحية، وموقعها القريب من مالطا الذي يحد من نشاطها البحري، وعلى الرغم من ذلك فإن إيالة طرابلس تعتبر معبرا للتجارة المسيحية مع مصر والشام وأفريقية" [2].

ومن خلال ما سبق يمكننا التنويه للدور الفعال الذي لعبته مراكز حركة الجهاد البحري الطرابلسي في مجابهة الحملات الأورومسيحية على طول الساحل المتوسطي خلال العصر الذهبي للجهاد البحري (ق11هـ/17م)، حيث تمكنت أوليًا من مجابهة الحملات الفرنسية الممثلة في (حملة لا بوسادير (1083هـ/1673م، حملة دوكين(1091هـ/ 1681م، حملة ديستري(1096هـ/ 1685م)، حملة درو بيرت(1103هـ/ 1692م)، ومجابهتها للحملات الإنجليزية المتمثلة في (حملة كرومويل (1068هـ/1658م)، حملة السير جون ناربرو(1085هـ/ 1675م) ..الخ)، ومنه مجابهتها لحملات الإسبان وحلفائهم من مالطيين وإيطاليين، والهولنديين من خلال حملة "الأميرال رويتر"سنة (1072هـ/1662م) على الرغم من محاولة هولندا للحفاظ على علاقتها الودية مع طرابلس الغرب، يُضاف إلى ذلك مساهمة البحرية الطرابلسية في الحروب العثمانية خلال هذه الفترة، ومنها معركة بشيكة (1064هـ/1654م، حرب كريت(1054هـ/ 1645م)، وحرب البندقية سنة(1077هـ/ 1667م).

---

[1] محمد سعيد الطويل: **البحرية الطرابلسية**...، **المرجع السابق**، ص57.

[2] Pierre Dan : **op.cit**, pp251-255.

/محمد السعيد الطويل: **البحرية**... **المرجع السابق**، ص ص57-58.



خاتمة الفصل: ومما تقدّم يمكن القول

- تعدّدت مراكز حركة الجهاد البحري بإيالة طرابلس الغرب خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، ومن بينها مراكز كل من مدن(تاجوراء- مصراتة- بنغازي- درنة) ذات الأهمية العسكرية والإقتصادية، والتي اكتست دورًا مهمًا على الصعيد الملاحي والتجاري، ويعود سبب ذلك إلى خبرات الجالية الأندلسية النازحة بالمنطقة.

- يُعد مركز مدينة طرابلس أهم قاعدة للأسطول الجهادي، كونه حاضرة تاريخية واستراتيجية مهمة في ذات الوقت، وقد عُني العثمانيون بتحصينه حتى أصبح قوة عسكرية لا تقل أهمية عن قاعدتي الجزائر وتونس، حيث مثل الأخير نقطة انطلاق حملات الجهاد البحري الطرابلسية.

- كما تكتسي بقية المراكز الطرابلسية ككل، أهمية بالغة لدى العثمانيين وليس من السهولة بمكان تحديد حجمها، وهو ما تبرره سلسلة الفرمانات السلطانية التي كانت توجه لولاتها بالمنطقة.

- أدّت مراكز حركة الجهاد البحري الطرابلسي دورًا فعالاً في الدفاع عن السواحل الطرابلسية من الاعتداءات الأورومسيحية، التي كانت تتعرض لها سواحل الإيالة بين الفينة والأخرى، وتأتي في مقدمتها حملات الإسبان وفرنسا وإنجلترا، حيث استمرت الحروب البحرية سجالاً بين الطرفين طيلة القرنين (10-11هـ/16-17م) في إطار الحرب المضادة، يُضاف لذلك مساهمتها في حروب الدولة العثمانية المختلفة على المستوى المغاربي والمتوسطي.

- تمكّن ولاة إيالة طرابلس الغرب من تعزيز مراكز حركة الجهاد البحري، وذلك من خلال جملة التحصينات التي أقاموها ، والتي اتخذت كأبراج مراقبة وقلع (جمع قلعة) للعمليات الجهادية ضدّ الكفار، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المراكز لم تكن مسخرة لدحر الخطر الخارجي فقط، بل عُنيت كذلك بمواجهة التمردات الداخلية من باب أن التآكل والضعف الداخلي سيؤدي لا محالة لضعف خارجي.

الفصل الثاني:

مراكز حركة الجهاد البحري في تونس، ودورها في صدّ الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

المبحث الأول: مراكز حركة الجهاد البحري في تونس خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

المبحث الثاني: مراكز حركة الجهاد البحري التونسي ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/16م)

المبحث الثالث: مراكز حركة الجهاد البحري التونسي ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/ 17م)

تمهيد:

تُعتبر مراكز الجهاد البحري أحد الأركان الأساسية التي كانت قد اعتمدت عليها البحرية التونسية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، لضمان أمن واستقرار الإيالة التونسية ودحر الأخطار الخارجية عنها، وذلك بعدما كانت تونس محل أطماع الدول الأوروبية التي سعت جاهدةً خلال هذه الفترة وما يليها للحصول على بعض الامتيازات في سواحلها، ومنه العمل على إخراجها من حيز المنافسة التجارية الخارجية، الأمر الذي جعلها تشن جملة من الحملات العسكرية ضد السواحل التونسية بحجة القضاء على نشاط الجهاد البحري، أين يكون لمراكز الجهاد البحري التونسي دور فعال في محاولة صد تلك الهجمات المتكررة وتعكير أي اقتحام خارجي قد يُهدد أمن وسلم الإيالة.

ومن خلال هذا السياق يتبادر إلى ذهني التساؤل الآتي: **فيم تمثلت ماهية مراكز الجهاد البحري التونسي، وهل نجحت في مجابهة الحملات الأوروميسيحية عليها خلال الفترة محل الدراسة ؟**

المبحث الأول:مراكز حركة الجهاد البحري في تونس خلال القرنين (10-11هـ/16-17م):

تميزت تونس بانتشار الحصون والقلاع حول مدنها الساحلية، وتعود بعض التحصينات لفترة ما قبل الإسلام، ذلك أن معظمها بُني في عهد الفينيقيين الذين استوطنوا البلاد، والتي كان الهدف منها الدفاع عن المدن التي كانت مراكز تجارية ضد الغزوات الخارجية.

حافظت القلاع على دورها بعد الفتح الإسلامي وخضعت للتطوير، فكان أغلبها عبارة عن رباطات (هدف ديني وحربي) والتي اقتصر دورها العسكري على مراقبة السفن المسيحية القادمة إلى الشواطئ الافريقية وكان الدافع من إقامة الأربطة والحصون الاسلامية رغبة الحكام المسلمين في التحصين ضد الأعداء، ولما استولى الاسبان على بعض الثغور غيروا بناءها ومنحوها طابعا معماريا يتناسب مع نمط منشئاتهم العسكرية خلال تلك الفترة، لكن بعدما أضحت تونس إيالة عثمانية[1]، أعاد الولاة تحصيناتها بما يتناسب ومستلزمات تلك الظرفية، وسوف نتناول في هذه الجزئية أهم المراكز الجهادية في تونس خلال الفترة محل الدراسة ، وتحصيناتها لحمايتها من هجمات الدول الأورومسيحية ، وكذا تجهيز الأسطول التونسي لمجابهة القرصنة الأوروبية.

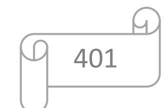
أولا–المراكز الثانوية لحركة الجهاد البحري في الساحل التونسي خلال القرنين(10-11هـ/16-17م):

سوف نعرض في هذه الجزئية أهم المراكز الجهادية في تونس على أن نفرد مدينة تونس–حلق الوادي في نقطة تالية وذلك نظير أهميتها السياسية والعسكرية.

1/بنزرت: يقول عنها حسن الوزان:" بنسرت أو بنزرت كما نقول، هي مدينة عتيقة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط على بعد نحو خمسة وثلاثين ميلا من تونس، وهي صغيرة يسكنها قوم فقراء، ويدخل البحر قرب المدينة داخل الأراضي من حلق ضيق قصير، يتسع جنوبا إلى أن يكون شبه بحيرة كبيرة تحيط بها مداشر عديدة لصيادي السمك

---

(1) للاطلاع على خريطة إيالة تونس، يُنظر: **الملحق رقم 19**.



والفلاحين، إذ تمتلك سهلا عظيما يسمى سهل ماطر، وهذا السهل منتج إلى أقصى حد لكنه مثقل بالضرائب الجسيمة التي يفرضها عليه ملوك تونس"[1].

ويقول التمجروتي عنها: "مدينة بنزرت هي على ساحل يعرف بمرمى القبة، وهي حيث يقع النهر الأعظم في البحر وبإزائها بحيرة فيها أصناف من الحوت، وهي أكثر بلاد إفريقية حوتا، ويمتلك ميناء بنزرت حلقا ينفذ منه البحر إلى بحيرة ويخرج منه عند الجزر أول النهار، يسمونه هو الوادي، اكتنفته الديار والبنيان على عدويته فتدل السفن فيه وتكون كأنها في داخل البلد بين الديار"[2].

تقع مدينة بنزرت في الشمال الشرقي لافريقيا بين خطي عرض 37و38 درجة شمالي رأس إنجلة وبين خطي الطول 9و10 درجة شرقي خط غرينتش، ويحدها البحر الأبيض المتوسط من الشمال والشرق والغرب، وتتواجد المدينة على ضفاف مضيقي صقلية وسيردينا أين تمر أغلب السفن نحو المتوسط الشرقي والغربي، أما ساحل بنزرت فيتميز بتضاريسه الوعرة وسواحله الصعبة وبتعدد الرؤوس الصخرية والأجرف والخلجان الضيقة، وقد ازدهرت المدينة خلال القرن (9هـ/15م) بعد نزوح الأندلسيين إليها[3].

ونظرا للأهمية البالغة التي يحتلها الموقع الاستراتيجي لبنزرت الذي يتحكم في مضيق صقلية، وبالتالي فإن بنزرت تعد بمثابة الثغر الأعلى الذي يحمي البلاد، كما كانت مطمع الدول الأجنبية التي أرسلت جواسيس لمعاينة المنشآت والتحصينات والموانئ، وقد شكلت بنزرت حلقة الصراع الإسباني العثماني للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط، وبعد أن

---

(1) الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص 68.

(2) على بن محمد التمغروتي: **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تح. عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، (1423هـ/ 2002م)، ص 40.

(3) زياد حلوفي: **الشريط الساحلي من بنزرت الى مرسى الخرز دراسة أثرية**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في علوم التراث اختصاص آثار اسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، إشرا. ناجي جلول، (2013-2014م)، ص ص 39-43.

أصبحت ملكا للعثمانيين تحت قيادة سنان باشا سنة (982هـ/1574م)، غدت من القواعد الحصينة لأسطول الجهاد البحري بالمتوسط [(1)].

تعتبر مدينة بنزرت إلى جانب غار الملح-التي توجد بنفس المنطقة-من أهم مراكز الجهاد البحري بالإيالة التونسية في العهد العثماني، وتتأتى هذه الأهمية من موقعها في الحوض الغربي للمتوسط الذي يمكّنها من مراقبة قواعد مالطة وصقلية، وقد استغل الأتراك العثمانيون هذه الخاصية الاستراتيجية وجعلوا منها منذ القرن (10هـ/16م) الميناء الرئيسي للسفن المعدة للجهاد البحري، لدرجة أن الأسطول التونسي كان غالبا ما يطلق عليه اسم أغربة بنزرت.

وعلى رغم أهمية هذا النشاط خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، فإن التطور العمراني الذي شهدته هذه المدينة في هذه الفترة يعود أيضا إلى أهمية النشاط الإقتصادي الذي ساهم في دفعه اللاجئون الموريسكيون الذين استقروا بحي الأندلس [(2)].

وتعتبر قلعة القصبة من أهم تحصينات بنزرت وهي تمثل موقع المدينة القديمة من العهد البوني إلى العهد البيزنطي وتراقب الضفة الشمالية للقنال والمفضي إلى المرسى القديم في شكل مستطيل غير منتظم، وسورها لا يحتوي إلا على باب وحيد مكوع يفتح على واجهتها الغربية، والقلعة محصنة بثمانية أبراج، عبارة عن أجزاء مربعة ومستطيلة الشكل، حيث يقع كل برج في زاوية من زوايا القلعة، وتعود كل التحصينات للفترة العثمانية [(3)].

كما تم بناء القصبة والقصيبة بمدينة بنزرت التي كانت تستقطب العديد من قطع الأسطول الحربي التونسي عن طريق الميناء القديم المتكون من قنال طبيعي طوله 2000 مترا وعرضه 250 مترا تقريبا، تحمي مدخله سلسلة حديدية، وتقع حماية الميناء بالقصبة من

[(1)] **بنزرت عبر التاريخ**، أعمال الندوة السنوية التاريخية لمدينة بنزرت دورتا سنة 1991م وسنة 1992م، نشر جمعية صيانة المدينة، بنزرت، ص 21.

[(2)] ناجي جلول: **التحصينات الساحلية العثمانية في إيالة تونس من القرن 16 إلى 19 م**، تق. عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات (زغوان)، تونس، مارس 1995م، ج1، ص15.

[(3)] زياد حلوفي: **المرجع السابق**، ص 47.

الجهة الشمالية والقصيبة جنوبا، وتعد القصبة مدينة صغيرة مسورة ومهيأة لإيواء الحامية والحاكم والحاشية [1].

كانت هذه المدينة قبل ردم الممر المائي الذي يربط البحر ببحيرة بنزرت تتكون من أربع وحدات عمرانية: ربض الأندلس، الجزيرة الصغيرة أو الربع وحي القصبة، ولأجل هذا الطابع المميز كان يطلق عليها اسم بندقية الغرب، أما أسوار المدينة التي كانت تحيط ببنزرت من كل الجهات، لم يبق منها سوى الجداران اللذان يربطان برج الأندلس بباب ظهر الكدية وباب حي الأندلس وبرج مربع معد للمدفعية، هذان الجداران اللذان لا يتعدى ارتفاعهما ستة أمتار يعود استحداثهما إلى فترة علي باشا الحسيني (1123-1156هـ/1740-1743م)، وقد شيدا بواسطة الطابية (خليط من التراب والجير) والتي نجدها في أغلب المعالم الحربية التي تعود إلى هذه الفترة(برج الرابطة وبرج الأندلس بتونس-البرج الجديد بطبرقة)، والقصبة الحالية في حد ذاتها مدينة صغيرة معدة لإيواء الحامية العثمانية[2].

وتطوق هذا المعلم من كل الجهات أسوار تدعمها أبراج طويلة تحمي الأركان ووسط الجدران وتتكاثر خاصة في الجهة المعرضة للقصف البحري، ورغم تعدد الشواهد التاريخية التي تدل على وجود هذه القلعة منذ العهد الأغلبي، فإن مواد البناء التي استعملت في تشييد هذه الأسوار، وخاصة التراب، تجعلنا نجزم بأن أقدم أجزائها لا يمكن تأريخه قبل بداية القرن (10هـ/16م)، وهو ما تؤكّده النصوص التاريخية والرسوم الطوبوغرافية التي تعود إلى هذه

---

[1] عبد الحكيم سلامة: **التحصينات التونسية وتوظيفها**، المجلة العربية للثقافة، تونس، مج. 26، ع50، 2007م، ص 179. / يعقوب جايماز أوغلو: **تونس من خلال كتاب بحرية للرحالة التركي بيري رايس في القرن السادس عشر الميلادي**، المجلة التاريخية المغاربية، ع 110، جانفي -كانون الثاني 2003م، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، ص 280. /

Neji Djeloul : **Les Fortifications cotieres Ottomaines de la régence Tunis (xvi-xix siècles)** (tome premier)- préface du prof : Abdeljalil Temimi, Publication De La : Fondation Temimi Pour La Recherche L'information (F T E S) Zaghouan, Mars 1995, p160.

[2] وكان هذا على إثر فرمان أرسله السلطان العثماني يشدد فيه على ترميم وتحصين قلعة بنزرت وإكثار الجنود بحاو حراستها من جهة البحر، ينظر: أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 28، ص 231، بتاريخ (25 رجب 984هـ/18 أكتوبر 1576م). / عبد الجليل التميمي: دراسات...، **المرجع السابق**، ص 234.

الفترة، وبالعكس من ذلك، فإن قلعة القصيبة التي تحمي الضفة الجنوبية لمدخل الميناء، مازالت تحتفظ ببعض المرافق التي تعود إلى عصر"بني الورد" (5-6هـ/11-12م)، وتتكون هذه الأجزاء من نواة مربعة الشكل يحيط بها استحكام على شكل نصف دائرة، أما البرج الدائري الذي يوجد في مقدمة الميناء فإنه يعود أيضا إلى العهد العثماني[1].

ومن المعالم العسكرية الهامة التي مازالت قائمة بمدينة بنزرت، نجد برج الأندلس الذي ينسب خطأً للإسبان، ويعود بناؤه إلى القرن (10هـ/15م)، وبالتحديد في فترة حكم القلج علي، وكان هذا الحصن يتخذ شكل نجمة ذات خمسة أذرع مشيدة بواسطة التراب والحجارة، أما الزيادة التي شوهت الشكل الأصلي للمعلم، فقد أضيفت في عهد علي باشا الأول لتدعيم المرامي للبحرية لهذا البرج، ويدعم الحصن الأندلسي برج آخر يعرف ببرج سيدي سالم أو سيدي يوسف نسبة "ليوسف داي" الذي أمر بإحداثه في أوائل القرن(11هـ/17م)، هذا الحصن الذي يمثل مركزا أماميا لمراقبة حركات السفن الواردة على خليج بنزرت، كان قبل تهديمه يتكون من بناية مثمنة الشكل ترتكز على مجموعة من العقود الكبرى المعدة لإيواء المدافع الثقيلة[2].

كما مارس سكان بنزرت الجهاد البحري ومن بين أهم هؤلاء الغزاة نذكر على سبيل المثال الرايس محمد شلوف البنزرتي، الرايس علي بن حمزة البنزرتي، الرايس أحمد أرناؤوط، حسين الصغير، حمودة بن أحمد الصغير، علي البنزرتي، الرايس عمر المغراوي...إلخ[3].

أما مدينة غار الملح التي تلاشت في آخر العهد الحفصي أعيد إحياؤها منذ منتصف القرن (11هـ/17م) نظرا لموقعها البحري الممتاز وقربها من العاصمة، وهي مدينة تشبه ضاحية "قاسم باشا" باسطمبول لأن أغلب سكانها من البحارة والعسكريين يرتبطون بالميناء والترسخانة، وتحمي هذا المركب الصناعي-الحربي ثلاثة أبراج مازالت قائمة إلى اليوم، اعتمد

[1] **نقلا عن** ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص ص 15-16.

[2] ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص16.

[3] عبد الحكيم القفصي: **المرجع السابق**، ص ص 25-26.

في بنائها تقنية العقود الكبرى والأبراج المثمنة التي تعتبر من الخاصيات الأساسية للعمارة العسكرية الموريسكية [1].

2/طبرقة: تقع هذه المدينة في الشمال الغربي لتونس، وعرف ميناء طبرقة بتصدير الخشب والرخام نحو ميناء" أوستيا" وتواصل نشاط المرسى في الفترة الوسيطة، وذكرت المصادر أن المرسى قرب نهر كبير كانت تدخله السفن الكبيرة [2]، ويبدو أن ميناء طبرقة كان مهيأ، حيث أنه يقع في المضيق الفاصل بين جزيرة طبرقة والساحل الشمالي للمدينة، ويحمي المرسى معسكرين [3]، والمعروف عن الساحل الشمالي الغربي أنه يطغى عليه الكثبان الرملية والشواطئ الصخرية، كما يحتوي في عرض البحر على أشرطة هامة من المرجان [4].

وفي هذا الشأن يقول "هابنسترايت" في كتابه "وصلنا جزيرة طبرقة وهي تبعد عن اليابسة ببعض مئات من الأقدام[5]، وهي عبارة عن صخرة محصنة بفعل عامل الطبيعة وعمل الانسان، وفي أعلاها حصن[6]، يمارس سكانه تجارة مربحة جدا مع العرب ويشتغلون أيضا بنجاح في صيد المرجان، تعود ملكية جزيرة طبرقة إلى "آل لومويليني"(Lomellini) الجنويين بعد أن منحت لهم هذه الجزيرة من أحد أعيان مدينة تونس اعترافا منه بفضل إطلاق سراحه، وقد كانت هذه الجزيرة في وقت سابق ضمن ملكية الإمبراطور شارلكان الذي عمل على تحصينها لاستعمالها في حملته على مدينة تونس[1].

---

(1) ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 234. / ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص16.

(2) البكري: **المسالك والممالك...، المرجع السابق**، ج2، ص 720.

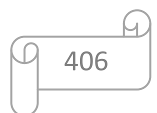
(3) زياد خلوفي: **المرجع السابق**، ص 6.

(4) **نفسه**، ص 17.

(5) يقول محقق الكتاب الدكتور ناصر سعيدوني، أن المسافة بين حصن جزيرة طبرقة والساحل المقابل لها هو 400 متر، وهي اليوم ملتصقة بالبر بعد إصلاح الميناء وتهيئة طريق يؤدي إلى حصن الجنويين الذي تهدمت بناءاته الداخلية، **ينظر** أوهابنسترايت: **المرجع السابق**، هامش 1، ص93.

(6) يدعم هذا الحصن من الجهة الغربية برج دائري، مازالت تظهر آثاره للعيان إلى اليوم، ومن الجهة الجنوبية يوجد برجان يراقبان الجزيرة، وقد أحيط هذا الحصن بسور، مازالت آثاره إلى اليوم في الركن الجنوبي للمدينة. ينظر زياد خلوفي: **المرجع السابق**، ص ص 103-104.

(1) أوهابنسترايت: **المرجع السابق**، ص 93.



لكن هذه مغالطة تاريخية والحادثة التي امتلك بها الجنويون جزيرة طبرقة كانت كالتالي: هو أن الأميرال أندري دوريا أمر ابن أخيه القرصان الإيطالي الشهير جانتين دوريا (Gannetino Doria) بالقبض على الرايس درغوث عند سواحل كورسيكا في (10صفر947هـ/15 جوان 1540م)[1]، والذي سُخر للتجديف في سفن عائلة لوميليني (التي اشترته من دوريا) مدة أربع سنوات إلى أن افتداه السلطان العثماني "سليمان القانوني وخير الدين" بثلاثة آلاف دوكة عام (950هـ/1543م)، مع التنازل لعائلة لوميليني عن جزيرة طبرقة التونسية[2]، التي استغلوها لصيد المرجان الذي كان سببا من أسباب انتعاش جزيرة طبرقة، حيث أحدث الجنويون مدينة محصنة هدمها "علي باشا الأول" باستثناء القلعة المعروفة اليوم بالحصن الجنوي، ولمراقبة هذا الحصن أحدث "علي باشا" استحكاما ثانيا (برج الجديد) تدعمه أبراج مستديرة، شيد بواسطة الطابية، أما مدينة مرسى الخرز التي اشتهرت في العصر الوسيط بنشاطها البحري والعسكري، فقد حُولت في مطلع العصور الحديثة إلى محطة تبادل تجاري تتولى الإشراف عليها مؤسسات تجارية فرنسية مقابل إتاوات سنوية، وهدايا إلزامية لفائدة الحكومة الجزائرية[3].

3/المهدية: ذكر الحسن الوزان في كتابه (وصف افريقيا) أن المهدية:"بناها المهدي الشيعي...على ساحل البحر المتوسط فوق كتلة صخرية داخل البحر، وأحاطها بأسوار عالية متينة، وأبراج ضخمة وأبواب مصفحة بالحديد، كما حصن الميناء بأسوار جيدة، وفي سنة (924هـ/1519م)، ظن الكونت بيدرو نافارو أنه بإمكانه الاستيلاء عليها بتسع سفن حربية، لكن أهلها ردوه خائبا على أعقابه، حتى اضطرت مدفعيته للقتال وهي متقهقرة فتكبدت جراء ذلك خسائر فادحة [1].

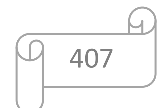
---

[1] مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص72. / يحي بوعزيز: **علاقات الجزائر الخارجية...**، **المرجع السابق**، ص45.

[2] Eugène Plantet**: Correspondances des beys ...., op.cit**, p15. / Haedo: **les rois… ,op.cit**, p225.

[3] ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص 17. /زياد خلوفي: **المرجع السابق**، ص 6.

[1] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج2، ص ص 86- 87.



وبحكم موقع مدينة المهدية الذي كان قريبا جدا من حلق الوادي، فإن موقعها كان يشكل خطورة على الإسبان، وذلك بعد احتلال شارلكان تونس سنة (941هـ/1535م)، خاصة وأنها تتوسطها (تونس) [1].

كانت مدينة المهدية تمثل بأسوارها وميناءها المحصن موقعا استثنائيا، حاول الأتراك العثمانيون السيطرة عليه أكثر من مرة، وقد نجحوا في ذلك نهائيا مع منتصف القرن(10هـ/16م)، إذ تمكن "درغوث باشا" من السيطرة على المدينة وتحويلها لقاعدة عسكرية يتحصن بها مجاهدو البحر العثمانيين، مما جعلها تتحول إلى أحد أهم نقاط الصراع الإسباني العثماني على وجه الخصوص، والذي انتهى بسيطرة الاسبان على المدينة سنة (956هـ/1550م) واحتلالها، ثم تهديم أسوارها قبل الخروج منها سنة (962هـ/1555م) [2].

وبسبب استفحال أمر الأعراب العصاة الذين أذاقوا أهلها الويلات ونغصوا عيشهم، مما دفع أهل المدينة لتركها، فغدت شبه خالية ومهجورة، فقام أهاليها بتقديم شكوى للباب العالي سنة(986هـ/1578م) تتضمن حالة الخراب والدمار الذي آلت إليه مدينتهم، فأمر السلطان بإعفائهم من الضرائب مدة 3 سنوات شريطة تعمير المدينة وإحيائها من جديد[3].

وبذريعة تعمير وبناء المهدية تم السماح لبعض المجدفين الكفار الذين يُسيّرون السفن بالإقامة والاستقرار بها، وعند وصول هذا الخبر لمسامع السلطان العثماني، أرسل فرمانًا

---

[1] جون وولف: **المرجع السابق**، ص 66.

[2] رضوان الكعبي: **مدينة المهدية خلال الفترة العثمانية معالمها التاريخية**، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في تاريخ وحضارة العالم المتوسطي، اختصاص آثار وفنون الإسلامية، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة-قسم التاريخ-إشرا. ناجي جلول، 2003-2004م، ص 18.

[3] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 35، ص177، بتاريخ 20 جمادى الثانية 986هـ/24 أوت 1578م ./ عبد الجليل التميمي: دراسات...، **المرجع السابق**، ص ص242-243.

/ أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 72، ص 243، بتاريخ 4 شوال 1002هـ/23 جوان 1594م. / عبد الجليل التميمي: دراسات...، **المرجع السابق**، ص ص281-282.

يشدد فيه بضرورة طردهم وعدم السماح لهم بالاستقرار فيها[1]، وخاصة بعد حركة الإعمار التي شهدتها المدينة والتي ساهمت فيها عمليات الجهاد البحري التي أنعشتها اقتصاديا، لكن الأوروبيين لم يبقوا مكتوفي الأيدي، فقد كانوا يتربصون بها دومًا ويتحينون الفرصة لقطع الطريق على غزاة البحر التونسيين، وكانت المهدية أقرب وأنسب للهجوم عليها بحكم وقوعها على شبه جزيرة متطرفة عن التراب التونسي، وقد قام فرانسوا دي تولاد بالسيطرة عليها وإحراق جزء منها، وتخريب استحكاماتها ومنشآتها العسكرية (الميناء ودار الصناعة) سنة (1005هـ/1597م) [2].

بعد هذه التخريبات التي كانت بين سنتي (952-1005هـ/1555-1597م)، ورث الأتراك العثمانيون بقايا جهاز دفاعي فاطمي امتد على كامل أطراف شبه الجزيرة، والذي كان متمثلا في السور الرئيسي الذي كان يسد المضيق الفاصل بين المدينة السلطانية (المهدية) والمدينة الشعبية (زويلة)، الذي يفوق عرضه عشرة أمتار، وفي أطرافه يقوم برجان مثمنان، والجدار نفسه كانت تدعمه أربعة أبراج مربعة وضخمة تحمي المدخل البري الوحيد للمدينة (باب الفتوح)، الذي يتصل بدوره بسور ثان (نحو الشرق) بواسطة ممر تحميه عدة أبواب متتابعة صنعت من الحديد المحض، وأمام السور الكبير (من الجهة الغربية) توجد ستارة أقل سمكا تدعمها أبراج نصف دائرية، ويحيط بها خندق فسيح يتصل بالبحر من الشمال والجنوب بين زويلة، المحصنة بسور وخندق، والمدينة السلطانية، التي توجد برملة المهدية[3].

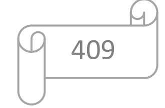
حاول الأتراك العثمانيون انطلاقا من نهاية القرن (10هـ/16م) تحصين المدينة من جديد للدفاع عنها، وذلك من خلال إحداث عدد من الأبراج تحولت معها الاستراتيجية الدفاعية من جهاز دفاعي ممتد ومتماسك إلى مجموعة من الأبراج المنفصلة[1]، والمتمثلة في حزام الأسوار بطريقة متقطعة متكونة من طبخانات ساحلية ترتكز على ثلاثة حصون

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 73، ص 101، بتاريخ (17 شوال 1003هـ/25 جوان 1595م). / عبد الجليل التميمي: دراسات...، **المرجع السابق**، ص ص101-102.

[2] رضوان الكعبي: **المرجع السابق**، ص19. / ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص 18.

[3] ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص 18.

[1] رضوان الكعبي: **المرجع السابق**، ص 27.



رئيسية: البرج الكبير، برج الرأس والبرج الصغير (أو السقيفة الكحلاء)، الذي لايشكل في حقيقة الأمر إلا الطابق السفلي للباب الفاطمي والذي وقع تدعيمه بأبراج مثمنة وأسوار من التراب، أما البرج الكبير، الذي يعلو ربوة صغيرة تتوسط المدينة العتيقة فيعود استحداثه لأواخر القرن (10هـ/16م)، وهذا الحصن المربع تدعمه أبراج مدفعية ضخمة مبنية بواسطة التراب والحجارة المصقولة[1].

يطلق العرب على القلعة اسم "المهدية" في الوقت الحالي، وكانت تسمى قديما ب"فرقة"، وقد عرفت عند الأوربيين ب"افريقية"، وهي تقع على رأس منخفض شبيه بالجزيرة، والبحر يحيط القلعة من أطرافها، وجزء منها فقط معبر منخفض، وللقلعة مقابل الجسر سبعة أبواب، أغلبها لايسمح لأهل القلعة بدخول من أسلم من الكفار، فإن وجدوا أحدا منهم نكبوا عليه بالضرب لا يتيحون له أي فرصة، لأنه ورد في كتب التاريخ لديهم أنه يوجد داخل القلعة ميناء، يشبه ميناء باسطنبول وباب الميناء مقوس، وربطت بالقوس وقطعة من حديد وعمود من مرمر، والسبب في ذلك أنه إذا حاولت سفينة أجنبية الدخول إلى الميناء قطعت الحبال القطعتين لتقعا على السفينة وتهلك ومن أجل ذلك لاتزال القطعتان بقوس باب الميناء[2].

4/صفاقس: وصف "الحسن الوزان" مدينة صفاقس بما نصّه:"مدينة عتيقة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط أيام كانوا يحاربون الرومان، وهي مدينة كبيرة محاطة أيضا بأسوار عالية متينة، كانت في القديم كثيرة السكان، لكنها لم يبق فيها سوى ثلاثمائة إلى أربعمائة كانون" [3].أما مارمول كربخال فيقول عنها أنها تقع على الشاطئ، وتبعد عن العاصمة بنحو ستة وعشرين فرسخا جنوب شرقي البلاد [1]، وقد شكلت على الدوام همزة وصل أو نقطة عبور بين ثلاثة مجالات بيئية لها خصوصياتها أي؛ منطقة الساحل وجهة الجنوب الشرقي ومجال القيروان، وهي تنفتح على البحر المتوسط الذي أثر بقوة في تطورها

---

[1] ناجي جلول: **المرجع السابق،** ص ص 18-19.

[2] يعقوب جايماز أوغلو: **المرجع السابق،** ص 286.

[3] الحسن الوزّان: **المصدر السابق،** ص 87.

[1] مارمول كربخال: **المصدر السابق،** ص 84

الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، حيث شارك أهلها باستمرار في الأنشطة البحرية واكتسبوا خبرة في التواصل مع الآخرين والتعايش مع التقلبات التي تطرأ من حين لآخر داخل المياه المتوسطية[1].

وكان يصعب على المرء أن يتجول أيام الصيد داخل قلعة صفاقس من حدة رائحة السمك الممتدة من مداخل صفاقس [2]، كما تمتاز هذه المنطقة بوفرة القرى المحصنة (القصور) وبكثرة الزياتين والكثافة السكانية، ومنها قصر صفاقس [3].

أما بالنسبة لتحصيناتها، فقد امتازت هذه المنطقة في العصر الوسيط بتعدد القرى والمدن ولكن الزحف الهلالي أدى لانقراض أغلب هذه التجمعات الحضرية، وبهذا تصبح صفاقس القاعدة العسكرية الكبرى الوحيدة لهذا الشريط الساحلي بعد انقراض قاعدة قصر زياد وتراجع المحرس، وتشرف مدينة صفاقس على البحر بأسوارها العالية التي يعود استحداثها للفترة الأغلبية، ويتخلل هذا السور بابان (باب الجبلي وباب الديوان)، اللّذان أدخلت عليهما عدة تعديلات في العصر الحفصي، أما أشغال الفترة العثمانية فقد تمثلت خاصة في إضافة عدة أبراج للمدفعية (برج النار، برج دريرة، برج البقرة، برج سيدي خنفير..)، وهي عبارة عن متاريس استغلت في بنائها تضاريس الهضبة التي أحدثت فوقها مدينة صفاقس[4].

وجاءت متاريس المدفعية مثمنة الشكل فضلا عن الأبراج الطويلة ويتراوح ارتفاع سور صفاقس بين 10 إلى 12 مترا ويتعدى عرضه 3 أمتار، وقد استعمل في بنائه أولاً

---

[1] إبراهيم محمد السعداوي: **مرسى صفاقس وحركة الجهاد البحري، حتى مطلع القرن التاسع عشر**، في كتاب المدن المراسي في تاريخ المغرب-(صفاقس)، تنسيق عبد المالك ناصري، أشغال الأيام الوطنية الثامنة عشر، للجمعية المغربية للبحث التاريخي، الدار البيضاء في 27-29 أكتوبر 2010م، ص 311.

[2] يعقوب جايماز أوغلو: **المرجع السابق**، ص 287.

[3] عبد الحكيم سلامة: **المرجع السابق**، ص 177.

[4] ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص 19.



الحجر الغشيم والحجارة المصقولة في الزوايا والرباط وقواعد الأبراج، وثانيا الخشب المعروف (بالعيادي، أو السرداوي) للربط الأفقي [1].

ثم جعل الناس على السور المذكور أوقافًا ابتغاء لوجه الله، فكلما وقع جانب من السور الطوب ردوه بالحجر والجير، وفي أيام السلطان "أبي فارس الحفصي"، جدد الباب الجبلي وما يليه من السور واسمه مكتوب على الباب في الحجر، وهو باقي لغاية الوقت الحاضر، وقد اعتنى الناس ببناء السور وترميم ما انهرش منه اعتناءً كثيرًا [2]، أما القصبة فإن أغلب استحكاماتها تعود للفترة الزيرية، وإلى هذا العصر يرجع أيضا حصن بونقة، الذي مازالت أنقاضه قائمة جنوب المدينة [3].

5/ قابس: تقع مدينة قابس على البحر، وتطل على خليج سيرتا الصغير، وتحيط بها الواحة في أغلب جهاتها وهي تقع على الطريق التجارية الرابطة بين المشرق والمغرب، والمحطات التجارية الإفريقية، وهي الباب الذي دخل منه الفاتحون المسلمون [4].

يسميها مارمول بـ"كاباي"، ويقول أن أهل البلد يسمونها "قابس" يصفها أنها مدينة كبيرة وعريقة في القدم، إذ أنها من بين المدن الأولى التي شيدها الرومان بإفريقيا: "تقع هذه المدينة على شاطئ خليج يمتد من صفاقس إلى جربة، وتؤمن سلامتها أسوار عظيمة تحرسها قلعة جميلة مشيدة على مقربة من مجرى جدول ماؤها حار، أما موقعها فإن "بطليموس" حدده على خط عرض من 830 درجة و40 دقيقة"[5]، أما عن "حسن الوزان" فيقول عنها:" هي مدينة كبيرة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط في داخل الخليج تحيط بها أسوار عالية قديمة وكذلك القصبة، يجري جدول ماء صغير قرب المدينة، وأن ماءها حار، يكاد يكون مالحا.." [1]، أما المنصّر "إيفالد" الذي زار قابس سنة (1250هـ/1835م)

---

[1] عبد الحكيم سلامة: **المرجع السابق**، ص 178.

[2] محمود المقديش: **المرجع السابق**، ص 174.

[3] ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص 19.

[4] بلقاسم بن محمد بن جرادة: **قابس عبر التاريخ**، مطبعة الخدمات السريعة، قابس، 2001 م، ص 12.

[5] مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص 100.

[1] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ص 91.

فيقول عنها: "وعند الظهر ولج بنا مركب نهر قابس الذي يصب في البحر وهو ضيق قليل العمق لا تصله لأجل ذلك السفن الكبيرة وحتى الصغيرة، وهو نفس قول "الادريسي" عن مينائها الذي كانت تؤثر فيه الأمواج، وكذلك عملية المد والجزر واتجاه الرياح"[1].

لم تكن بها معالم بارزة نظرا لاندثارها بفعل الغارات التي كانت تتعرض لها، عدا بعض الرباطات مثل؛ رباط أو قصر بن عيشون، الذي يقع على بعد 3 أميال جنوب قابس، وقصر زجونة الذي يقع على بعد 8 أميال إلى الجنوب، والقصر الأول بالقرب من منطقة شاطئ تبلبو [2].

وخلال القرن (10هـ/16م) لم تخضع مدينة قابس للاحتلال الاسباني، رغم أن قواتها البحرية مرت من صفاقس إلى جربة وإلى طرابلس، وخلال الفترة العثمانية غدت تابعة لحكم الأتراك العثمانيين، شأنها شأن مدن الإقليم، وكل المدن الشاطئية وترابط بها حامية مكونة من 370 جندي تابعة لسلطة والي طرابلس [3]، أما قلعة محرس فقد شيدت بعد حوالي منتصف القرن (9هـ/15م) [4]، بساحل خليج قابس لحمايته من غارات القراصنة المسيحيين، كما أهالي قابس كانوا يمارسون الجهاد البحري رفقة رياس البحر العثمانيين [5].

6/جزيرة جربة: يقول عنها الوزان فيما معناه:" أنها مجاورة لليابسة، وهي كلها منبسطة رملية، بها قصبة مشيدة على ساحل البحر، وقد هجم عليها زهاء 50 أسطولا مسيحيا، نهبها واستولى عليها قبل القرن (10هـ/16م)، وبعد احتلال بيدرو نافارو لطرابلس الغرب سنة (916هـ/1510م)، حاول احتلالها، لكن حملته منيت بالفشل"[1].

---

[1] بلقاسم بن محمد بن جراد: **المرجع السابق**، ص 24.

[2] **نفسه**، ص59.

[3] مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص 101. / بلقاسم بن محمد بن جراد: **المرجع السابق**، ص 84.

[4] تكهننا بهذا التاريخ، جاء استنادا لرواية الوزان:" **بناه الأفارقة في عهدنا هذا**"، ورواية مارمول:" **قلعة شيدها منذ عهد قريب ملوك تونس**".

[5] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج2، ص 91. / مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص 101.

[1] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج2، ص ص 93-95. /مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص ص 103-118.

تعتبر جزيرة جربة أهم مركز عسكري يتواجد جنوب صفاقس وتأتي هذه الأهمية من محاذاتها لطرابلس الغرب وتحصيناتها الطبيعية[1]، لقد تعرضت جربة في العصر الحفصي خلال نصف قرن للاحتلال الأراغوني، ولاستكمال سيطرتهم على الجزيرة شيدوا بها منذ سنة (688هـ/1289م) حصنا يعرف اليوم ببرج غازي مصطفى (حومة السوق)، وقد أدخل عليه العثمانيون عدة تعديلات، وأكبر حاميات الجزيرة كانت توجد بهذا الحصن المربع المحاط بستارة وخندق ومجموعة من الطبخانات الساحلية التي يعود استحداثها للقرن(13هـ/19م)، أما الأبراج الصغيرة المبنية بواسطة التراب والحجارة (أبراج أجيم، أغير،الباب، المرسى) فيعود استحداثها لفترة "درغوث باشا" الذي جعل من جربة مركزا للعمليات العسكرية الموجهة ضد طرابلس ومالطة[2].

ونظرا للأهمية البالغة التي تحتلها هذه الجزيرة ولكونها تستقطب رياس البحر العثمانيين القادمين من شرق المتوسط للاستقرار في غربه، فإنها كانت أول منطقة تطأها أقدامهم كالإخوة أبناء يعقوب، ودرغوث رايس...ألخ، لذلك سوف نستفيض بالحديث عن الحملات الموجهة لها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

7/الحمامات: تقع مدينة الحمامات شمال شرق افريقيا بين مدينة بناها ملوك تونس في وقت غير بعيد عن الخليج، والحمامات قلعة صغيرة بأرض منبسطة في الجنوب الشرقي على مدخل الساحل، يمكن للسفن أن ترسي أمام هذه القلعة وهي تابعة لسلطان تونس[3]، على بعد 17 فرسخا من تونس بطريق البر إلى جهة الشرق، أما عن طريق البحر، فهناك ما يزيد عن ستين فرسخا من حلق الوادي، فمنه إلى رأس أبولون، حيث يطوق الشاطئ البحر على هيئة هلال، ثم يمتد بعيدا جهة الشرق على خليج قرطاجة إلى رأس عطارد، وهنالك قلعة وبعدها يشكل البحر خليجا تقع عليه هذه المدينة، وهذا ما جعلها بعيدة من تونس

---

(1) يُنظر **الملحق رقم 20**.

(2) ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص 19.

(3) يعقوب جايماز أوغلو: **المرجع السابق**، ص284.

عن طريق البحر، وقريبة منها عن طريق البر[1]، كما أنها غدت قاعدة بلاد الشط، وقد اهتم العثمانيون خاصة بترميم القصبة الحفصية[2].

8/ برج قليبية: وهو عبارة عن قلعة صغيرة مبنية على الساحل بين تونس والحمامات فوق صخرة تدعى رأس عطارد، تقع في الجنوب الشرقي على هضبة كبيرة يوجد بها ميناء لائق بالسفن الحربية، سكانها شجعان، وقد نهبها الإسبان ثلاث مرات، وهذه المدينة خصبة بموقعها الطبيعي، والبرج يعد من أكبر القلاع التونسية يعود للفترة البونية، وقد رمم خاصة أيام الدولة المرادية وجهز بمدافع ثقيلة [3]، وتعد قليبية تحت تصرف سلطان تونس وشاطئها مهيأ لإرساء السفن البحرية [4].

9/ المنستير: مدينة عتيقة بناها الرومان على ساحل البحر، بعيدة بنحو 12 ميلا عن سوسة، يحيط بها أسوار مبنية في الداخل بعناية أغلب أهلها فقراء[5]، وهي قلعة صغيرة على شاطئ البحر، وفي هذا الشأن يذكر " مارمول كربخال " أن موقعها ممتاز وتبعد عن سوسة بأربعة فراسخ إلى جهة المشرق وتحيط بها أشجار الزيتون، تربتها قليلة الخصوبة، لا تصلح لزراعة القمح[6]، ويوجد بها ميناء جيد للسفن الصغيرة الواقع بين القلعة ورأس الجزيرة وتعتبر محرسا ورباطا مقدسا، وكانت المدينة تتألف في آخر العهد العثماني من حومة البلد (أو القصر الكبير) وثلاثة أرباط، تطوقها أسوار خاصة، ويعتبر القصر الكبير من أقدم وأهم قصور المنستير[7].

---

(1) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص63.

(2) ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص6.

(3) **نفسه**.

(4) يعقوب جايماز أوغلو: **المرجع السابق**، ص284.

(5) حسن حسني عبد الوهاب: **المرجع السابق**، ص84.

(6) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص67.

(7) ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص6.

10/ سوسة: تقع مدينة سوسة في تونس، وهي مدينة كبيرة على أعالي الجبل، تحتوي على صخور تنتهي عند البحر، يحيط بيها البحر من شمالها وجنوبها وشرقها، كما يحتوي سورها على صخرة لديها ثمانية أبواب تعرف بمدينة الخير، تمتاز مدينة سوسة بأسواقها وشوارعها، وقد انقسمت إلى أحياء الحي القديم الذي يقع فيه السوق والحي الجديد[1]، وقد كانت الأغلبية تعتبر رباطا، وهذا يبرز بصفة جلية من خلال عدة تراجم أفردها المالكي لنشاط هذا الحصن[2].

ثانيا- تونس-حلق الوادي، أهم مركز في تونس خلال القرنين (10-11هـ/16-17م):

1/ حلق الوادي بتونس (الموقع والتأسيس):

تقع مدينة تونس في الشمال الشرقي لإقليم تونس، وهي تحتل موقعًا دفاعيًا ممتازًا بين البحرين وسبخة السيجومي، وقد برز دورها العسكري منذ بداية الفتح الإسلامي، لما جهزها "حسان بن النعمان" (أيام عبد الملك بن مروان) بدار صناعة تتصل بالبحر بواسطة قنال اصطناعي(قنال حلق الوادي أو فم الوادي)، أما سور المدينة الذي حافظت عليه حتى نهاية القرن (13هـ/19م)، فيعود استحداثه لسنة (332هـ/944م) أي فترة حكم الفاطميين الذين ركزوا اهتماماتهم على المدن البحرية والأرباض (ربض باب سويقة في الشمال وربض باب الجزيرة في الجنوب)، لكن لم يقع تجهيزهما إلا في العهد الحفصي (ق8هـ/14م)، حين جعلوا من تونس قاعدة إفريقية وأعطوها باستثناء بعض الاستحكامات المظهر الذي ستحتفظ به طوال خمسة قرون، حتى الإحتلال الفرنسي[3].

كانت المدينة "العتيقة" تحتل نفس المساحة البيضوية الشكل التي تحتلها الآن، وتتصل بالأرباض بواسطة مجموعة من الأبواب أهمها باب سويقة في الشمال، باب قرطاجنة

---

(1) هشام البنزرتي: **سوسة جوهرة خالدة من الفتح الإسلامي إلى الحرب العالمية الثانية**، تونس، 2013، ص2.

(2) ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص6.

(3) ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص ص 13-14. / ثامر الحبيب: **هذه تونس**، تق. وتح. حمادي الساحلي والرشيد إدريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ص 4.

في الشمال الشرقي، باب البحر من الناحية الشرقية (قبالة الميناء ودار الصناعة)، باب الجزيرة في الجنوب وباب أرطة الذي جدد بناءه في العصر الحفصي وأطلق عليه اسم باب المنارة، وإلى نفس هذه الفترة يعود استحداث باب الجديد، أما الأرباض فقد كانت تتخللها مجموعة من الفتوحات أهمها باب الخضراء (الذي يتصل بقرية الخضراء)، باب أبي سعدون (الربض الشمالي)، باب خالد (سيدي قاسم حاليا)، باب عليوة، باب الفلاق وباب القرجاني (الربض الجنوبي)، وفي الجانب الغربي، فوق ربوة جبل أم عمرو تنتصب القصبة التي أحدثها "عبد المؤمن بن علي" وأكمل بناءها بنو حفص، والقلعة الجديدة المحاطة بسور خاص يفصلها عن المدينة الشعبية، كانت في حقيقة الأمر مدينة سلطانية مجهزة بمنشآت مستقلة: جامع خطبة، دار الضرب ومساكن الأمير والحاشية، وتتصل بالمدينة الكبرى بواسطة عدة أبواب أهمها باب انتجمي في الغرب وباب الجبلية في الشمال، أما باب الغدر فلم يكن إلا بابا صغيرا مستترا يفضي إلى البادية ويمكن السلطان من الهروب في حالة الخطر[1].

وفي هذا الصدد يقول " تيفينو" «Thevenot»، وهو من الرحالة الذين زاروا أيضا مدينة تونس في القرن (11هـ/17م)، والذي عبر عن إعجابه الشديد بقصبة مدينة تونس مركز الحكم والقرار السياسي بإيالة تونس، وحسب وصفه فإن القصبة زمن زيارته لمدينة تونس كانت في حالة جيدة، أما تجهيزاتها الدفاعية فأورد أنها بضع مدافع صغيرة، كما أبرز أن القصبة كانت تعتبر من الأسرار العسكرية، حيث منعت الجاليات المسيحية من الاقتراب والنظر إليها، باعتبارهم يمثلون خطرا يمكن أن ينقل أسرارهم العسكرية للقوات المسيحية المعادية[2].

كانت الحرب بين العثمانيين و العدوان الإسباني (941-981هـ/1535-1574م) قد أثرت على عمران مدينة تونس خاصة الدفاعية منها، إذ كثيرا ما ذكرت مشاريع تحصين

---

[1] ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص 14.

[2] Jean de Théveno: **Voyages De Mr. De Thevenot Tant en Europe qu'en Asie & en Afrique (Band 2): Livre Second De La Première Partie Du Voyage De Mr. De Thevenot Au Levant، Où l'Egypte est exactement décrite avec ses principales Villes & les Curiosités qui y son**t, Paris, 1689, pp888-896.

أهم النقاط الساحلية بدءً ببناء أبراج حلق الوادي ورادس وقمرت، لأن هذه المدن تحيط بمدينة تونس، وتمثل جدار حصينا بينها وبين البحر بتواجد جملة من الموانئ المحروسة بأبراج وحصون دفاعية، كما أجمعت كل المصادر على تشييد برج غار الملح في نفس الفترة، الذي يتميز بموقع استراتيجي من أجل حماية مدينة تونس من جهة الشمال، إذ كانت سياسة التحصينات التي أقيمت في هذه الفترة وطيلة الثلث الأخير من القرن (10هـ/16م) من قبل باشوات الإيالة، وعليه فإن مدينة تونس شهدت في هذه الفترة، إن لم نقل تطورا عمرانيا، فهو عملية إحياء لعمارتها وإصلاح خرابها، خاصة العمارة الدفاعية[1].

وقد اعتاد العثمانيون على استعمال مادة التراب المدكوك أكثر من الحجارة في تحصيناتهم في أواخر القرن (10هـ/16م)، لأن الحجارة ليست بالمادة القابلة لتحمل قوة الأسلحة النارية باعتبار أن الصلابة لا تلائم الذبذبات التي تنجر عن اصطدام كتل صلبة أخرى عليها، بينما استعمال التربة المدكوكة باعتبارها مادة لينة لديها القدرة على امتصاص قوة كور المدافع، ومن جهة أخرى تنوعت مواد البناء المستعملة في تلبيس جدران المباني الدفاعية، فاستعمل الخشب والحجارة المصقولة والقرميد [2].

2/التحصينات:

ارتأى "خير الدين بن يعقوب" أن تحصين تونس أمر متعذر إذ تشرف عليها عدة مرتفعات من جهة الغرب، ولو أراد تحصينها لاحتاج لهدم الأرباض وهي كل زينة المدينة ولا يقبل السكان هدمها، ولهذا جمع أمره على"تحصين حلق الوادي"[3]، فقام بتشييد التحصينات ورمم القلاع، كما أمر بنزع السلاح من 18 مركبا قصد استغلاله في تعزيز دفاعات الأبراج والحصون[1].

---

[1] برهومي عبد المنعم: **تحصينات مدينة تونس في العهد العثماني**، رسالة ماجستير في تاريخ العالم المتوسط حضاراته تراث وعلوم متحفية، كلية الآداب والفنون الانسانيات (منوبة)، إشرا. ناجي جلول، (2012-2013م)، ص ص 36-37.

[2] عبد المنعم برهومي: **المرجع السابق**، ص 40.

[3] مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص37.

[1] De la Primaudaie: **Documents…, op.cit**, « relation du Frère Juan… », t19, p348.

كان حلق الوادي قبل تحصينه من طرف "خير الدين" عبارة عن برج مربع شبيه بمقر الجمارك عند مدخل القنال، الذي تتسرب عبره مياه البحر للمستنقع الواقع قبالة مدينة تونس، و"خير الدين" هو من شرع في تشييد القنال لإدخال مياه البحر للمستنقع، وذلك تسهيلاً لمرور القوارب التي تصل تونس بحلق الوادي[1].

وتحضيرا للحملة الاسبانية على تونس كان "خير الدين" قد أمر ببناء جدار سميك يمتد من البحر إلى برج الماء ثم إلى المستنقع، ثم أمر بأن يبني في الطرف الأقصى لهذا الجدار حصن مستدير على شكل باستيون وبعوارض وبشرفات تنظر لجميع الجهات، ولما ضاق عليه الوقت لإتمام الجدار ومده إلى المستنقع، أمر بإقامة سور في المكان الفارغ يصنع من مجاديف السفن تغرس في الأرض وتربط بأغصان الشجر وتردم بالتراب، هذا السور أقوى صمودا للمدفعية من الجدار، وبعد ذلك استعملت أكياس من شعث القنب، أُخذت من سفن راسية هنالك أصلها من الاسكندرية وأكياس أخرى من الصوف جيء بها من تونس، لكي يقيم سورا جعل فيه كوات منخفضة جدا يمكن أن تتحرك فيها المدافع، ثم حمى السور من الخارج بخندق مليء بمياه البحر وأعطى أمره ببذل الجهد في تحصين الجهة الشرقية لحلق الوادي، وذلك باستعمال الأخشاب والتراب وغير ذلك من الأشياء وعلاوة على ما ذكر، أمر "خير الدين" ببناء جسر متسع فوق القنال داخل هذه الأسوار، وهي مساحة من الأرض بين البحر وبرج حلق الوادي، كما أمر ببناء سور يطل على الشاطئ يأتي منه الدفاع عن السفن الحربية[2].

---

(1) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص ص 37-38.

(2) نفسه، ص 37.



ولما احتل الإسبان تونس، قاموا بهدم أكثر أقواس الحماية التي كانت لقرطاجنة[1]، وأخذوا أحجارها لبنيانه وجعلوا الرمية على أهل البلاد من الجير والجص وحصنوه حصانة لم يكن لها نظير وأداروا به خندقا وأدخلوا له ماء البحر إلى أن دار به دور السور وملأوه بآلات الحرب والرجال وما يحتاجون إليه من خشب صار غصة في الحلق[2].

إن تشييد قلعة حلق الوادي تسبب في اختفاء ما بقي مائلا من أنقاض قرطاج[3]، ويقول عنه ابن أبي دينار: "كان هذا الحصن لم يرى مثله في الشرق ولا في الغرب ذلك أن النصارى هم من اهتموا به وحصنوه بما قدروا عليه من المبتدأ إلى التمام وأداروا به خندقا وأجروا الماء فيه، والماء من البحر إلى البحيرة والسفن تجري فيه وهو منبع من كل جهاته وأسواره مشيدة مشحونة بحماته"[4].

ولما تم تحرير تونس من الاحتلال الإسباني سنة (981هـ/1574م)، قام "سنان باشا" بهدم تحصينات حلق الوادي وكذا هدم البرج المشيد في جزيرة شيكلي وسط البحيرة، وهدم القلعة (نوفا أركس) التي كان سيربيوني يدافع عنها، وكان من الطبيعي أن يقوم العثمانيون بإعادة ترميم الحصون والأبراج القديمة وبإنشاء أخرى جديدة، وتواصل ذلك طيلة الفترة العثمانية، ومن أهم الإضافات التي طرأت على تحصينات مدينة تونس عندما أضحت إيالة عثمانية، كانت على مستوى سور المدينة بترميمه وتمتين أبوابه[5].

إن استقرار الأتراك العثمانيين في إيالة تونس قد منح الإيالة على صعيد التسيير الإداري وكذا حول تنظيم الدفاع على السواحل المغاربية، مركزا عثمانيا متقدما، وكان دوره بالفعل مضايقة الأساطيل الأوروبية في حوض البحر المتوسط الغربي[6]، وللحفاظ على

---

[1] تأسست قرطاجة 814 ق.م إلى منتصف القرن السادس قبل الميلاد هذه الفترة القرطاجية تعتبر أهم فترات التاريخ المغرب القديم، **ينظر** محمد بيوحي حمران: **المغرب القديم (مصر والشرق الأدنى القديم)**، دار المعرفة، الإسكندرية، ط1، (1410هـ/-1990م)، ص 198.

[2] ابن أبي الدينار: **المصدر السابق**، ص 209.

[3] أوهابنسترايت: **المرجع السابق**، ص 115.

[4] ابن أبي الدينار: **المصدر السابق**، ص 204.

[5] عبد المنعم برهومي: **المرجع السابق**، ص 39.

[6] عبد الجيل التميمي: **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي ...، المرجع السابق**، ص 64.

هذه الإيالة الفتية، طالب السلطان العثماني من أهالي وعلماء وأعيان تونس بضرورة التعاون للدفاع عن بلدهم وكذا العمل على تعمير ماخرب من القلاع والتحصينات، وكذا ضرورة العمل على تحصين بنزرت ونابل وتشديد حراستهما من جهة البحر[1].

بل إن وجهاء إيالة تونس أنفسهم قد وجهوا لائحة يحيطون فيها علما السلطات العثمانية العليا أنه يوجد بحلق الوادي القريبة من تونس ميناء صغير كانت تقصده سفن التجار وتحتمي به، ولكن لا يوجد برج في هذا الميناء لحفظ سفن التجار وتأمينها من غارات سفن القراصنة الأعداء، وعليه فإنهم يرجون بناء برج جديد ذي خمسة فتحات لإطلاق النار [2].

وقد كان لهذه المبادرة التي أخذها وجهاء إيالة تونس لدى الباب العالي ببناء برج جديد، أمر في غاية الأهمية والنضج السياسي، إذ مثل هذا الاقتراح كان يمكن أن يصدر من سلطات الإيالة مباشرة، وليس من الوجهاء والأهالي، وهو ما يترجم عن الاهتمام والعناية الكبيرة لمساهمة الأهالي والوجهاء في الدفاع عن فضائهم وقد كان ردود فعل الدولة مشجعة جدا لمثل هذه المبادرة الذكية، تطلب دون ضياع أي دقيقة لحفظ السواحل وحراستها والحرص على أمن الولاية وسواحلها [3].

---

[1] عبد الجيل التميمي: **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي ...، المرجع السابق**، ص 64. وللاستزادة أكثر حول هذا الموضوع ينظر: أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 28، ص74، بتاريخ 25 رجب 984هـ/18 أكتوبر 1576م. / عبد الجليل التميمي: **دراسات...، المرجع السابق**، ص234.

/ أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 28، ص231، بتاريخ 25 رجب 984هـ/18 أكتوبر 1576م ./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...، المرجع السابق**، ص235.

[2] عبد الجيل التميمي: **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي ...، المرجع السابق**، ص 64. وللاستزادة أكثر حول هذا الموضوع ينظر: أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 58، ص190، بتاريخ 25 جمادى الثانية 993هـ/24 جوان 1585م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...، المرجع السابق**، ص266.

[3] عبد الجليل التميمي: **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي ...، المرجع السابق**، ص 65. وللاستزادة أكثر حول هذا الموضوع **ينظر**: أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 44، ص145، بتاريخ 23 محرم 991هـ/26 فيفري 1583م. / عبد الجليل التميمي: **دراسات...، المرجع السابق**، ص254.

كانت تتواجد جملة من الموانئ المحروسة بأبراج حصن دفاعية بجهة تونس، فمدينة تونس عرفت وجود عدة موانيء متمثلة في ميناء تونس والقنال الموصل إليه من حلق الوادي، وعدة موانيء أخرى، ومن أهم المنشئات البحرية التي ذكرتها المصادر تلك الأعمدة الخشبية التي تم استعمالها لتحديد المسلك البحري، الذي ينطلق من حلق الوادي ليشق بحيرة تونس وصولا إلى الميناء [(1)].

ثالثا– تجهيز الأسطول التونسي:

سوف نتناول ما يخص الأسطول التونسي من المواد الأولية التي يحتاجها وكيفية حصوله عليها، وما الدول التي كان يُستورد منها ما هو غير موجود بتونس، وكذلك التعرف على أهم ورش صناعة وتصليح السفن، وكذا أهم رياس البحر الذين اضطلعوا بهذه المهمة الصعبة.

1/المادة الأولية لصناعة السفن وتجهيزاتها :

إذا تحدثنا عن السفن التي كان يتشكل منها الأسطول التونسي خلال القرن (10هـ/16م)، فإنه كان يضم مجموعة من السفن الطويلة وخاصة القنجة وهي سفينة أقل حجما من الغربان العادية ولكنها أكثر سرعة. وامتاز هذا الأسطول أيضا بندرة الشواني الضخمة البطيئة، كما لعبت البلاد التونسية دورا رياديا فيما يمكن أن نسميه بثورة الشراع "بالمتوسط إذ أنه منذ منتصف القرن (11هـ/17م)، أصبحت السفن الشراعية الكبيرة تمثل الركيزة الأولى لسلاح الجهاد البحري، في حين حافظت عمارات اسطمبول على طابعها التقليدي، هذا التطور الذي يعود فيه الفضل للمغامرين الشماليين (إنكليز وهولنديين) يفسر فقدان بنزرت لمكانتها العسكرية لحساب ترسخانه غار الملح التي يسمح عمق مينائها بإيواء الغلايين والبطاشات[(2)] .

---

(1) وجيه الفضلاوي: **المنارات الساحلية بإيالة تونس خلال القرن التاسع عشر**: مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في علوم التراث اختصاص آثار إسلامية، إشرا. لطفي عيسى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، ص 70. / عبد المنعم برهومي: **المرجع السابق،** ص 36.

(2) ناجي جلول: **المرجع السابق،** ص 16.

وقد كشفت لنا الوثائق عن بعض أنواع السفن المستعملة في الجهاد البحري، حيث وردت فيها الأسماء التالية " شقف" للقرصنة، فلايك قرصان " الفليكون القرصان" "فرقاطة" " غيلوطة" " برقنتي" إلا أننا لم نتمكن من التعرف على خصائص كل منها، وهناك أسماء أخرى لبعض السفن كانت تستعمل في الجهاد والغزو في ذلك العهد ويمكن أن نذكر منها: الغاليرة، البارك، الغليون، الفلوكة، التريدة، الشباك، وقد استعملت هذه الأنواع على مستوى موانيء الإيالة التونسية، والمثال الحي الذي يتوفر لدينا يتمثل في ميناء بنزرت، كونه قاعدة للأسطول الحربي والتجاري، ويظهر أن السفينة المخصصة لذلك كانت تسمى الصندل إذ تشير معلومات الأرشيف أن القمح والشعير والحطب كان يُحمل عن طريق هذا النوع من السفن نحو طبرقة وسوسة وتونس[1].

ومن بين السفن المستعملة أيضا نجد الطارطان وهي سفن لا تبعد عن الساحل إلا بضعة أميال، كما استعمل رياس تونس سفن الكالار وهي أخف من الكالار المسيحية، وقد صنع الجزائريون نوعا آخرا من السفن وهي البريكانتان وهي قادرة على السير في البحر دون أن تكون تحت رحمة الرياح غير أنها لا تصمد للعواصف ولذلك لا تستعمل إلا بين شهري ماي وسبتمبر، بينما امتازت السفن الأوربية بعلوها عن سطح الماء وبكثرة مدفعياتها وذخيرتها وقواتها وتسليحها مما يجعلها قلعة متنقلة في بعض الأحيان[2] .

ونجد أن سفن الغزو التونسية كانت تأوي إلى ميناء بنزرت فكثيرا ما تنسب إلى هذه المدينة فيقال عنها السفن البنزرتية، أو سفن بنزرت، أو أسطول بنزرت وقد تأوي أيضا إلى حلق الوادي. وكانت بعض السفن تأوي إلى غار الملح، ولما اتخذت تونس سفن البرتون صرفتها إلى ميناء سوسة[3] .

---

[1] **نقلا عن** عبد الحكيم القفصي: **بنزرت والبحر في العصر الحديث**، في كتاب بنزرت عبر التاريخ، أعمال الندوة السنوية التاريخية لمدينة بنزرت دورتا سنة 1991 وسنة 1992، نشر جمعية صيانة المدينة، بنزرت، ص 24.

[2] أحمد قاسم: **إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوى بن عظوم (982-1008هـ/1574-1600م)**، تق.عبد الجليل التميمي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، (رجب 1425هـ/أوت 2004م، ص 386.

[3] أحمد قاسم: **المرجع السابق**، ص 387.

كما شاركت سفن صفاقس في الدفاع عنها، لحماية الشاطئ والمرسى والأهالي من الهجمات البحرية، وهو ما يؤكده حسين خوجة بقوله "...مهما ظهر قرصان نصارى على تلك السواحل، يخرجون إليهم ويأتون بغنائم مستكثرة عديدة.."، وقد حظيت حركة الجهاد البحري بتأييد كبير سواء من قبل عامة الناس أو خاصتهم، واتخذت تلك المساندة أشكالا متعددة حسب الشرائح الاجتماعية لأنها تراوحت بين المساهمة بالأموال (أي تجهيز السفن) إلى المشاركة في المواجهات [1].

وتكشف هذه الوثائق أيضا عن أسماء بعض الرياس "كعلى المتالي، وخليل البنزرتي، وقاسم الغربي، وعبد العالي، وعمر بن رحومة، وأحمد موسى، وبوذينة دباش، ومحمد البجاوي، ومحمد متيقاشى"[2].

كانت إيالة تونس من حين لآخر تشن حملات ضاربة ضد السواحل المسيحية لكنها سرعان ما تتعرض بدورها لهجمات من أساطيل جنوة ومالطة وتوسكانيا، وقد ظلت الحمامات وحلق الوادي وجزر قرقنة وأماكن أخرى تحمل لمدة طويلة آثار تلك الهجمات [3]. وقد أبرزت انعكاسات الصراع البحري بين سكان الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط ملامحها وتأثيراتها على كيفية بناء السفن لدى كل من المعسكرين، فراعى الأوروبيون في بناء سفنهم تحقيق المتانة والقوة رغبة في توفير المناعة[4] .

وأما عن الأسطول التونسي، يقول "هابنسترايت" أن القوة البحرية التونسية قليلة الأهمية، فهي لا تتجاوز بعض السفن الحربية الراسية بمرسى" بورتوفارينا" على بعد ثلاثة أميال من مدينة تونس [5]. ويرجع ذلك إلى عدم تكافؤ القوتين، فالسفن الأوروبية أقوى

---

[1] ابراهيم محمد السعداوي: **المدن والمراسي في تاريخ المغرب**، تنسيق. عبد المالك ناصري، أشغال الأيام الوطنية الثامنة عشر للجمعية المغربية للبحث التاريخي الدار البيضاء في 27-29 أكتوبر 2010، ص 330.

[2] **نقلا عن** عبد الحكيم القفصي: **المرجع السابق**، ص 24.

[3] بوبكر الصادق: **البحر المتوسط في عيون التونسيين**، تر. بسام حجار، في كتاب المتوسط التونسي، مؤسسة كوبراد أديناور، بيروت، 2003، ص 17.

[4] أحمد قاسم: **المرجع السابق**، ص 386.

[5] ج. أو .هابنسترايت: **المرجع السابق**، ص 119.

ومدافعهم أحسن من أجل ذلك اضطر المغاربة للاعتماد في نشاطهم الجهادي على عنصر المفاجآت، يختطفون بها النصر اختطافا أو يفرون، ولذا التجأوا إلى توفير أسباب السرعة لسفنهم قصد تغطية النقص الحاصل [1].

ومع مطلع القرن (10هـ/16م) تفاقمت الصراعات العثمانية الإسبانية في البحر المتوسط، ويبدو أن النقاشات تركزت آنذاك حول آليات المواجهة وأجمعوا أنه لا يكون ذلك إلا بإنشاء سفن مخصوصة تناسب القتال، والمهم أن جل الممولين وافقوا على ذلك[2].

أما عن تجهيز المعدات الحربية المستعملة في الجهاد البحري، فقد استعمل حكام الإيالة التونسية المدافع في الغزو البحري وفي تسليح الحصون الساحلية لرد الغارات والهجمات عن الإيالة، وكان العثمانيون منذ تمركزهم قد حرصوا على تأسيس مصنع لها بقصبة تونس، كما شجع البايات المراديون هذه الصناعة، وسعوا لامتلاك تقنيات صُنعها، فأسسوا مصنعا آخر لسبك المدافع، وللإشارة فقد اعتمد العثمانيون في بداية عهدهم في صناعة المدافع على الأسرى خاصة الأسرى الإسبان الذين تحصنوا بالباستيون حيث كان لديهم 205 من رجالهم أهل صناعات كعمل الطوب وتذويب الحديد وعمل المدافع الكبيرة وغيرها، فاستعانت بهم السلطة العثمانية ومنذ ذلك الوقت كثرت صناعة المدافع، كما لا ننكر أيضا جهود الموريسكيين الذين قدموا في القرن (11هـ/ 17م) وطوروا هذه الصناعات بإدخالهم لتقنيات صهر المدافع[3]. ولا أدل على ذلك من كتاب بن غانم الذي كتب في هذه الفترة مخطوطا، يحتوي على 50 فصلا في صناعة المدافع والبارود.

---

[1] أحمد قاسم: **المرجع السابق**، ص 386.

[2] ابراهيم محمد السعداوي: **المدن والمراسي ...**، **المرجع السابق**، ص 330.

[3] حنان حمودي **الأسلحة و انواعها و استعمالاتها في إيالة تونس** ،رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في تاريخ و حضارة العالم المتوسطي، إشراف. جمال بن طاهر، غير منشورة ، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون الانسانيات بمنوبة، قسم التاريخ، 2003-2004م، ص ص 30-36.

وقد كانت المدافع تصنع من النحاس في هذا المصنع طيلة القرن (11هـ/17م)، لكنه أهمل بعد نهاية هذا القرن، ولما تولى الحسينيون، اهتموا بالمنشآت العسكرية، ذلك لأنهم اعتمدوا على ورشات ومنشآت الأتراك العثمانيين لصناعة الأسلحة النارية الثقيلة والبارود وكذلك الورشات الخاصة لصناعة الأسلحة النارية الخفيفة والبيضاء وطوروا أيضا صناعة المدافع التي غدت تصنع من النحاس والحديد، واعتمد مصنع الحفصية في عهد حمودة باشا على أنواع المدافع المعمول بها في أوروبا آنذاك وخاصة مدافع الحديد المعتبرة الموجهة لصناعة السفن الحربية[1] .

وبما أن المدافع تحتاج للبارود، فقد وجدت دار صناعة البارود، والتي كانت قائمة منذ القرن (9هـ/ 15م)، وتواصل العمل به إلى بداية القرن (10هـ/ 16م)، قبل أن يتوقف عن العمل سنة (941هـ/1535م) [2]، ولما كان الحضور العثماني حضورا عسكريا، فقد أسس سنان باشا في إطار تنظيمه لشؤون هذه الإيالة إلى جانب مصنع تذويب المدافع بالقصبة مصنعا لصناعة البارود، وذلك سنة (981هـ/1574م)، حتى يتمكن من توفير ما يلزم الجيش والأسطول، وبتأسيس العثمانيين لمصنعهم الجديد أصبحت الإيالة طيلة القرنين (10-11هـ/ 16-17م) قادرة على توفير الكميات التي تحتاجها من البارود، بفضل توفر ملح البارود بها والكبريت بجنوبها، وخاصة بقفصة[3] .

وبالإضافة لدار صناعة البارود بالقصبة في حاضرة تونس، في نفس الفترة يوجد ثلاثة مصانع لصنع ملح البارود في القيروان والجم وقفصة يطلق عليها في الوثائق التونسية تارة "دار الملح"، وتارة أخرى "دار ملح البارود"، أو "دار البارود"[4].

---

[1] حنان حمودي: المرجع السابق، ص ص 30-36.

[2] Neji Djeloul: **op.cit**, p 75.

[3] حنان حمودي: **المرجع السابق**، ص ص 38-39.

[4] نقلا عن حنان حمودي: **المرجع السابق**، ص 42.



2/ورشات صناعة السفن:

ذكر ابن أبي الدينار، أن موسى بن نصير هو الذي خرق البحر وجعل دار الصناعة حيث جاء قي قوله ما يلي: ".. جر البحر حتى أقحم دار الصناعة فصار ميناء المراكب وأمر بصناعة مئة مركب وغزا بها بلاد الروم...، كما يوجد قول، أن من بنى دار الصناعة هو حسان ابن النعمان، وابن الشماع صحح أن مشيد دار الصناعة هو عبيد الله بن الحبحاب[1] .

وفي عهد زيادة الله الأول أنشأت بمدينة سوسة دار لصناعة السفن الحربية لها ثمانية أبواب أحدها كبير جدا شرقي دار تعرف بدار الصناعة وهو باب البحر، تدخل منه المراكب وتخرج، وقد ساهم الحكام في توسيع دار الصناعة وأكملوا ما ينقصها من المصالح والمنافع، فامتدت هذه الملحقات إلى ناحية برج خديجة الذي تثبته آثار المخازن الواسعة الموجودة أنقاضها هناك، وهي مستودعات يخزن فيها حاجيات الأسطول كالأخشاب الكبيرة المعدة لصنع السفن والصواري، واعتنى الأمراء الأغالبة بقطع أخشاب الأشجار العظيمة في صقلية لاستعمالها في صنع المراكب الحربية، ومستودعات الأسطول كان يخزن بها الحبال والإرسان من القش وكذلك لفائف القماش لصناعة الأشرعة والقلوع والمعدات الضرورية لصنع أدوات السفن والأدوات اللازمة لتجهيز الأسطول الحربي[2].

لكن بعدما تمركز العثمانيون في تونس غدت حلق الوادي هي الميناء الرئيسي لمدينة تونس، عندها انتقلت إليها دار الصناعة، كما قاموا بترميم جزء من الحصن الإسباني وتدعيمه في القرن (11هـ/ 17م) بقلعة صغيرة (برج الخريطة) رغم أهمية المرفأ[3] .

(1) ابن أبي الدينار: **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، مطبعة الدولة التونسية بمحاصرتها المحمية**، تونس، ط1، 1286م، ص 12. وص38.

(2) هشام البنزرتي: **المرجع السابق**، ص 34.

(3) ناجي جلول: **المرجع السابق**، ص 4.

والجدير بالذكر أن صناعة السفن تتطلب خبرة كبيرة لذلك كان يتوفر عدد وأصناف من المهنيين من بينهم: قلفاط معلم، قلفاط حداد، معلم حداد، نجار معلم نجار، وتتناول عديد الوثائق الحرفيين من الحدادين والنجارين وغيرهم[1].

3/المساعدات الخارجية :

وفي عهد خير الدين بن يعقوب(بربروس) تلقى دعما كاملا وإمدادات لازمة من السلطان والذي توجه بأسطول عثماني مؤلف من 80 سفينة و8 آلاف جندي إلى منطقة بنزرت، حيث حظي هذا الأخير باستقبال طيب من الأهالي [2]. وبعدما ارتكز العثمانيون بتونس كانوا يقومون بجلب البارود من الجزائر التي كانت تمتلك دار صناعة البارود في قلعتها منذ بداية القرن (10هـ/16م)، وفي بعض الأحيان من مركز السلطة العثمانية باسطنبول قبل أن يتم تأسيس دار صناعة البارود[3].

ركز على حماية تونس من الاعتداءات الخارجية، وحصن الجيش بالأسلحة والعتاد، كما فرض شروطا على الدول الأوربية التي سعت لعقد الاتفاقيات معه، أو بتجديد المعاهدات السابقة، أن تكون الهدايا المقدمة له عبارة عن أسلحة وذخائر حربية[4].

كما شهد عام (1012هـ/1604م) تطورا في عتاد السفن وذلك بعد قدوم المغامرين من إنكلترا وهولندا، الذين أدخلوا سفنا كبيرة من الشكل المستدير ذات تقنيات جديدة ومن جملة هؤلاء يوسف رايس بعد اعتناقه للإسلام، حيث اشتمل الأسطول على 12 قطعة كبيرة وستة أغربة وأربعة أو خمس بطاشات وثلاث فركاطات[5].

وكان غزاة البحر التونسيون يتزودون بما يحتاجون إليه في مهمتهم من الغنائم ويستكملون حاجتهم مما تقدمه لهم بعض الدول الصديقة التي تستفيد استفادة مباشرة أو

---

[1] **نقلا عن** عبد الحكيم القفصي: **المرجع السابق**، ص 25.

[2] عبد المنعم الجمعي: **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007، ص 53.

[3] حنان حمودي: **المرجع السابق**، ص 39.

[4] كمال مايدي: **المرجع السابق**، ص 60.

[5] توفيق البشروش: **جمهورية الدايات في تونس (1591–1675م)**، مجموعة أيام الناس، شركة أوربيس، تونس، 1992م، ص 86.

غير مباشرة من نشاطهم ومثال ذلك هولندا في سنوات حروبها مع الإسبان، ويذكر بعضهم أنه شاهد الهولنديين يزودون رياس البحر بالصواري والحبال والبارود والمجاديف ومدافع البرونز والأخشاب وغير ذلك، بل إنهم كانوا يبيعونهم سفنا كاملة التجهيز وذلك حتى يخففوا عنهم شيئا من عناء الحرب التي تدور بينهم وبين الإسبان، وإذا احتاج رياس البحر لبعض المعينين عمدوا إلى اختيار ما يناسبهم من بين أسراهم الفرنسيين والإنكليز والهولنديين لتوفير اليد العاملة المختصة في التجارة مثلا أو في بناء السفن أو في المدفعية أو الملاحة إلى غير ذلك ويزودهم أسرهم للإيطاليين والإسبان بأحسن المجدفين [1] .

وبحضور انطوان نحسون إلى تونس دفع له 30 ألف بياستر على أن يجلب لهم عددا من المدافع وألف قنطار من البارود و20 مدفعا و10آلاف قذيفة ومجموعة من الألواح ومطالب أخرى خاصة بتجهيز السفن[2] .

كما حظيت السفن التونسية (قوادها وغيلوطاتها وشراعيها وفرقاطاتها) بالرسو في كامل موانئ فرنسا واستقبالها كسفن حليفة بإمكانها التزود منها بالمرطبات والمؤن [3] .

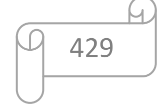
4/أشهر الرياس في إيالة تونس:

أ–عثمان داي : ولد عثمان داي سنة(956هـ/1550م) في الأناضول أين عمل كصانع للأحذية قبل أن ينضم للجيش العثماني، انتقل لتونس مع الحملة العثمانية التي قادها سنان باشا وقلج علي لتحرير تونس من الإسبان سنة (977هـ/ 1574م). وفي سنة (1001هـ/1593م) انتخبه الديوان الحاكم (الذّي كان يضم ضباط الجيش الإنكشاري في تونس) كداي لتونس، وبالتالي أصبح القائد العسكري في تونس، لكنه لم يرض بهذا

[1] أحمد قاسم: **المرجع السابق**، ص ص 387–388.

[2] كمال مايدي: **المرجع السابق**، ص 60.

[3] توفيق البشروش: **المرجع السابق**، ص 86.



فقام سنة (1006هـ/1598م) بحصر الباشا في أدوار صوريّة ما جعله الحاكم الفعلي في تونس[1].

مع وصول عثمان داي للحكم دخلت تونس في عهد جديد، خاصة مع إحلال السلام على تراب الإيالة التونسية، كما قام ببناء أسطول تونسي قوي وسلسلة من الأبراج مخصصة لمراقبة السواحل التونسية، وفي عهده أي سنة(1018هـ/1609م) استقبلت تونس جزء كبير من اللاجئين الموريسكيين الذّين فروا من إسبانيا بعد طردهم منها، فوصل قرابة 80 ألف منهم إلى تونس، أصبح عثمان داي مع شيخوخته يخشى مغادرة المدينة لذلك قرر إنشاء خطة باي لقيادة الجيش خلال حملات جمع الضرائب في المناطق الداخلية التونسية، وقد أسند المنصب لانكشاري جورجي يُدعى رمضان، وقبل وفاته بأيام قام بإقناع الديوان بانتخاب زوج ابنته المدعو يوسف داي، كداي جديد لتونس، وكانت وفاته سنة(1019هـ/ 1610م) ودفن في تربة تحمل اسم حفيدته عزيزة عثمانة[2].

ب-يوسف داي: تولى يوسف داي الحكم بعد وفاة عثمان داي، شهدت الإيالة التونسية تطورا كبيرا في عهده، فقد شجع على بناء السفن، وساهم في إعمار البلاد وبنائها، وتم تشييد عدة أسواق وحوانيت وغيرها من خيراته، جلب الماء من أماكن بعيدة لنفع المسافرين وله صدقات عديدة [3]، عرفت فترة حكمه بالعصر الذهبي للحكم العثماني بالإيالة التونسية، اهتم بتطوير الأسطول حتى بلغ عدد سفنه 15مركبا من الكبار دون الصغار، ونشط حركة الجهاد البحري، حتى استأثرت البلاد بالغنائم، وبعد 28 سنة من حكمه، توفي سنة (1047هـ/1637م)[4].

---

(1) خرنق مبروكة: **العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1605-1705) سياسيا وتجاريا**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشرا. عمار بن خروف، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة غرداية ،2011-2012، ص ص 133-134.

(2) توفيق البشروش: **المرجع السابق**، ص 141.

(3) محمد مقديش: **المرجع السابق**، ص ص 91-92.

(4) ابن أبي الضياف: **المرجع السابق**، ص39. /مبروكة خرنق: **المرجع السابق**، ص ص20-21.

ج-أسطى مراد: بويع لحكم الإيالة التونسية صبيحة اليوم الذي توفي فيه يوسف داي، وكان يعتبر أكبر مماليكه (يوسف داي)، من مآثره تشييد مرسى غار الملح، كما شيد مدينة لتوطين الأندلسيين بها [1]، كان رايسا للبحرية في أيام حكم يوسف داي، اتصف بالعزم وحب العدل، وقد توفى سنة (1050هـ/1640م) بعد ثلاث سنوات من الحكم [2].

د-الداي أحمد خوجة: استلم الحكم بعد وفاة الأسطى مراد [3]، وكان يشغل منصب كاتب بالديوان، كما شارك في عمليات الجهاد البحري، فاتفق الديوان على تقديمه للولاية نظرا لحسن خلقه الذي استمال به قلوب الجند وأعيانهم، لكن بعد حكمه تغيرت حالته وأظهر الجفاء والغلظة وثابر على جمع الأموال وادخارها، ومن آثاره بناء البرج الصغير بحلق الوادي قرب باب رادس المعروف ببرج الخريطة، وهو الآن قصر الملوك لعدم الحاجة إليه [4]، وكان دافعه في بناء هذا البرج هو هجوم قراصنة مالطيين على المرسى وأخذوا منه المراكب، كما شارك الأسطول التونسي في إخضاع جزيرة كاندي المتمردة عن الباب العالي رفقة الأسطول العثماني [5]، وفي فترة حكمه وقع طاعون دام سبع سنين ووقع قحط شديد في أيامه، ولما رأى حمودة باشا طاعة الجند له ومحبتهم فيه استجلبه بالهدايا والأموال ولم يزل على حاله إلى أن توفي سنة (1057هـ/1647م) [6].

هـ-الداي الحاج محمد أوغلو: كان من أعظم رؤساء البحر، شارك في عديد الغزوات الجهادية، وكان يذكر بحسن السيرة، وبعد توليه الحكم عجز عن القيام بمهامه، واختل إدراكه فكان يأمر بالشيء وينهي عنه في آن واحد ونفى جماعة من أعيان العسكر [7]. أكمل الحاج محمد أوغلو في (شوال 1076-صفر 1080هـ/ماي 1666-14 جويلية

(1) محمد مقديش: **المرجع السابق**، ص 96.

(2) مبروكة خرنق: **المرجع السابق**، ص 21.

(3) **المرجع نفسه**، ص 21.

(4) أحمد ابن أبي ضياف: **المرجع السابق**، ج2، ص48.

(5) حاجي خليفة: **تحفة الكبار...**، **المصدر السابق**، ص 190.

(6) أحمد ابن أبي الضياف: **المرجع السابق**، ص48.

(7) **نفسه**، ص55.

1669م) مهامه وأوكل التصرف إلى كاتبي الديوان، فما كان منهما إلا أن تسببا في خلعه لفائدة أحدهما [1].

من خلال ما سبق تعرفنا على مكونات الأسطول التونسي من خلال السفن المستعملة وأنواع الأسلحة وعتاده وأهم الموانئ التي يرسو بها، وأن معدات الأسطول التونسي تكاد تكون مماثلة لمعدات الدول المعادية في السرعة والقوة ونوع العتاد.

أما عن مصادر تجهيز هذا الأسطول فقد تم تموينه من ثلاثة مصادر؛ وهي: الجهاد البحري من خلال الغنائم البحرية والورشات الصناعية أي من خلال ما يُنتج ويُصنع محليا كما أنها تتزود خارجيا لاستكمال النقائص من خلال الدول الصديقة والمساعدات الخارجية أو عن طريق التجارة أي عن طريق الشراء أو المقايضة، كما لرياس تونس الدور الأهم في النجاح الذي حققته حركة الجهاد البحري.

ومما سبق، يمكننا القول:أن إيالة تونس العثمانية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، اكتسبت أهمية استراتيجية، بدليل سلسلة الحصون والقلاع والمراكز العسكرية التي كانت مسخرة لعمليات الجهاد البحري، ويُلاحظ ذلك جليًا من خلال الدور الفعال الذي لعبته المراكز الثانوية لحركة الجهاد البحري التونسي (بنزرت-طبرقة-المهدية-صفاقس-قابس-جربة...الخ، والمراكز الرئيسية (تونس-حلق الوادي)، في دحر الحملات الأوروبية التي كانت تتعرض لها السواحل التونسية بين الحين والآخر.

---

[1] توفيق البشروش: **المرجع السابق**، ص65.

المبحث الثاني-الحملات الأوربية على تونس، ودور مراكز حركة الجهاد البحري في صدها خلال القرن (10هـ/16م):

اتخذ الأوروبيون من نشاط القرصنة حرب مطاردة يقومون بها على مستوى ضفتي البحر المتوسط في شكل حروب عسكرية غير معلن عنها، تكون بديلا لهم عن المعارك العسكرية المباشرة، الأمر الذي جعلهم في الغالب يتعرضون للسواحل التونسية بُغية تحقيق أهدافهم الاستطلاعية وتحصيلهم الغنائم، وهو ما أدى بمراكز الجهاد البحري التونسي للقيام برد فعل مباشر وفوري على كل اعتداء أوروبي قد تتعرض له سفنهم وسواحلهم، وخاصة خلال القرن (10هـ/16م) في ظل تيقن رياس البحر التونسيين بأن نشاط القرصنة البحرية وجه من وجوه الحرب ضدّ المسيحيين والكفار، وأنها تتعدى ذلك لتكون نشاطا جهاديا في سبيل الله.

أولا-حملة شارلكان على حلق الوادي بتونس سنة (941هـ/1535م)، ودور خير الدين بن يعقوب في صدّها:

تميزت العلاقات بين تونس وإسبانيا مع بداية القرن (10هـ/16م) بالتبعية المباشرة، خاصة بعد فرض شارلكان لمعاهدة الحماية على الحفصيين، الذين كانوا غير قادرين على حماية أنفسهم، وهكذا استطاع الاسبان استغلال هذا الوضع، وذلك من خلال احتلال المدن الساحلية لتونس، وبمجيء العثمانيين إليها أثر على العلاقات بين الحفصيين والإسبان، فقد كانت الأسرة الحفصية الحاكمة تلجأ لطلب المساعدة من الاسبان حفاظا على السلطة ضد العثمانيين، خاصة بعدما ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية، ومن هنا نستطيع القول أن الجزائر أصبحت قاعدة هامة لضرب الإسبان، وهكذا رفض الإسبان هذا الوضع وحاولوا تغييره لصالحهم، وذلك من خلال شن شارلكان حملات ضدهم، كان ظاهرها حملة وقائية (من العثمانيين) وباطنها احتلال.

وبسيطرة "خير الدين" على تونس، شلت حركة "شارلكان" في المنطقة، فقام هذا الأخير برد فعل قوي، تمثل في تسيير حملة على تونس، فقد كانت الظروف الداخلية لتونس مهيئة لكل محاولة تقوم بها أي قوة أجنبية للاستيلاء عليها، كونها تعيش فوضى سياسية تمثلت في الصراع على السلطة، ونظرا لخطورة الوضع واحتمال أي تدخل اسباني سارع "خير الدين" لانتزاع تونس من السلطان الحفصي المتعامل مع الاسبان، وبتحقيق "خير الدين" انتصارات عظيمة في تونس، بحكم موقعها الاستراتيجي في الحوض المتوسط، اعتبره "شارلكان" تهديدًا موجهًا ضد امبراطوريته، فجاءت الحملة الاسبانية، بناء على عدة أسباب من بينها استنجاد السلطان الحفصي بشارلكان، فشرع هذا الأخير في الاستعداد لحملته، إذ تمكن من جمع أسطول ضخم، ومن جهة أخرى استعد "خير الدين" لمواجهة هذه الحملة، وحسب ما اتفقت عليه المصادر فإن استعداداته كانت قليلة بسبب محدودية الفترة.

1/دوافع حملة شارلكان على تونس سنة (941هـ/1535م):

أ-موقع تونس:

إن الموقع الاستراتيجي لتونس جعلها محط أنظار شارلكان، لذلك قام هذا الأخير بإرسال أحد جواسيسه سنة (940هـ/1533م) وهو الضابط أوشوا دارسيلا (Ochoa d 'Ercilla)[(1)]، ومما ورد في التقرير الذي كتبه أن الحفصيين أبدوا استعدادا للتعاون مع شارلكان، كما حذر من امتداد النفوذ العثماني على تونس، وذكر بأن سيطرة العثمانيين على تونس تساعدهم كثيرا في السيطرة على ما تبقى من المنطقة، وبالتالي سيتوجهون بعد ذلك لاسترداد الأندلس، وهذا ما يخشاه العالم المسيحي[(2)].

ومما أوحى به أيضا إلى شارلكان" أن احتلال تونس سيسهل على ملك اسبانيا احتلال إفريقيا، ويجب البدء باحتلال جزيرة جربة، كما اقترح في الحملة على تونس مشاركة 6 آلاف رجل، و20 أو 24 مركبا، مع 10 أو 12 سفينة نقل[(3)]، فقام شارلكان بإيفاد جاسوس

---

(1) قائد إسباني،كان سجينا في تونس، أطلق الحسن الحفصي سراحه سنة 1533م. **يُنظر**:

-De la Praimaudaie**: Documents…, op.cit**, « mémoire du Capitaine Ochoa d'Ercilla sur les affaires du roi de Tunis, sans date (1533) ». R.A, t19, 1875, pp 268-296.

(2) **Ibid**, pp 268-296.

(3) **Ibid**

آخر إلى تونس سنة (941هـ/1534م) وهو لويس بريزيندا (Luis Presenda) الذي تنكر في زي تاجر، وقد ورد في مذكراته التي بعث بها إلى الامبراطور في(1جمادى الأول941هـ/7نوفمبر1534م) مايلي[1]:

-التحالف مع الحسن الحفصي في تونس، لطرد العثمانيين.

-تنظيم محاولة لقتل خير الدين.

كما أن الراهب **"خوان دي إيريبيس"**، أوصى الدكتور أرسيلا (Ercilla) مستشار الإمبراطور بالتعجيل بالحملة التي يتم التحضير لها، واقترح أن تكون في شهر مارس، كما رأى بأن نجاح الحملة سيعزل الجزائر ويسهل احتلالها، ومن ثم ضمها مع طرابلس وتونس للإمبراطورية الواسعة التي لا تغيب عنها الشمس[2].

ب-استنجاد السلطان الحسن بشارلكان: بعد تيقّن الحسن الحفصي بعدم الانتصار على خير الدين، فضل الاستنجاد بملوك الإسبان، وبتشجيع من قائد فرسان مالطة، اتصل الحسن بنائب ملك نابولي، وبنصيحة منه وجَّه رسالة إلى شارلكان، تحمل معنى التآمر والخيانة جاء فيها: "إن رئيس الترك باربروشة ظلمني وأخذ مملكة آبائي وأجدادي من يدي، وكان الحامل له على ذلك ما علمه بيني وبينك من الصداقة والموالاة، فالواجب عليك أيها الملك أنك تُعينني...على رد مملكتي ...فإن استولينا عليها، تكون البلاد لك وأنا أكون كالنائب فيها"[3].

وهكذا استغل البابا فرصة استنجاد الحسن بالإمبراطور الإسباني، وبدأ يحرّض شارلكان، وممّا شجع هذا الأخير أيضا هو اشتغال السلطان العثماني بأمور فتح تبريز وإيران وبغداد، كما أن ريح الوحدة الصليبية كانت تهب على أوروبا التي تناست حتى خلافاتها

---

[1] De la Praimaudaie: **Documents.., op.cit,** « Mémoire de Luis Prèsenda, Envoyé en Mission A Tunis, Madrid, 7 Novembre 1534 », t19, 1875, pp338-340.

[2] De La Primaudaie: **Documents…, op.cit,** « relation du Frère Juan de Iribès sur les évènements de Tunis, 4 janvier 1535 », t19, 1875, p349.

[3] المجهول: **غزوات...، المصدر السابق**، ص95.

المتعلقة بالإصلاح الديني، فقد وافق الأمراء الإيطاليون والألمان عن أي حملة يزمع شارلكان القيام بها ضد بلاد المغارب [1].

والأكثر من ذلك هو أنّ فرنسا وعدت بلسان مونتمورنسي (Montmorency)[2] ممثّل الملك "فرنسوا الأول" أنها لن تهاجم الإمبراطورية أثناء الحملة،[3] ولكل هذه الاعتبارات استجاب شارلكان بسرعة ملحوظة لنداءات المساعدة الصادرة عن السلطان الحفصي مولاي الحسن، وقرر القيام بحملة عسكرية على تونس، كان يهدف من ورائها عزل العثمانيين عن المشرق وعن القسطنطينية، خاصة وأن السواحل التونسية كانت تتحكم في الطريق الرئيسي الرابط بين الحوضين الشرقي والغربي للبحر المتوسط[4].

2/الاستعداد الإسباني للحملة ورد الفعل الإسلامي:

أ-التحضيرات الإسبانية للحملة: شرع شارلكان في إعداد حملة صليبية، فقد أورد مارمول (Marmaul) بأن الإمبراطور شارلكان قد أعطى أوامر سرية بتحضير سفنه الموجودة في موانئ إسبانيا وصقلية وجنوة ونابلي، بالإضافة لسفن لنقل المؤونة والغذاء، وأن تشترى الأقوات والذخائر وغيرها من لوازم الحرب، كما كتب للدون يان (Don yan) ملك إسبانيا "بأن يبعث إليه غليونه (سفينته الحربية الكبرى) وكذا عددا من قطع أسطوله الحربي"[5].

---

[1] Braudel: **«les Espagnols …» , op.cit**, p366.

[2] **مونتمورنسي(Montmorency):** ولد سنة 1492م، قائد جيش شارك بمعركة مارينين (Marignan) سنة 1515م عندما كان بمنصب ضابط، ومعركة بغينيا سنة 1520م، تولى عدة مناصب بقيادة الجيش الفرنسي. **يُنظر:** Nouvelle Biographie**, op.cit**, t36, p341.

[3] Braudel: **« les Espagnols…», op.cit**, pp366 -367.

[4] Ibid, p353.

[5] مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص33.

وحسب رسالة موجّهة من أسقف دي لافور إلى فرنسوا الأول (François1) [1] بتاريخ (17 ذو الحجة 941هـ/ 18جوان 1535م) ورد فيها: "أن السيد فيرون غونزاغ [2] (Ferrand Gonzague)حصل على تفويض الإمبراطور لتجميع عدد كبير من الأحصنة، ووضعها في حالة الاستعداد، كما أنه لم يبق في نابولي سفينة واحدة ولا رجال ولا خيول"[3].

كانت الحملة التي قادها شارلكان ضخمة، فقد كان جيشها مكوّنا من كتائب الإسبانيين، والإيطاليين، والألمانيين، وتضم قرابة 400 سفينة من مختلف الأنواع والأحجام، بما في ذلك 90 سفينة مماثلة على متنها 26 ألف جندي من جنود المشاة، وقرابة ألفي فارس[4].

اختار الإمبراطور مدينة كاغلياري (Cagliari) الواقعة جنوب جزيرة سردينيا المقابلة لتونس لوضع الاستعدادات النهائية، حيث استقر بها مدة يومين، وفي 14جوان واصل الأسطول تقدّمه نحو تونس، وفي اليوم الموالي أصبح على مشارفها [5].

(1) **فرنسوا الأول (François1):** ولد سنة (900هـ/1494م) ، حكم فرنسا سنة (921هـ/1515م) ، كانت أيامه مصروفة لمحاربة شارلكان الذي كان من مقاصده إخضاع أوروبا كلها لسيطرته فقاومه ملك فرنسا مقاومة عنيفة، وساعده على ذلك السلطان العثماني سليمان القانوني، كما أعلى شأن الجندية، وبسط الزراعة والصناعة، وصارت فرنسا من عهده روضة أوروبا الزاهرة بالحضارة والمدنية، لكنه مات مقتولا سنة (967هـ/ 1559م). **يُنظر** رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 78.

(2) **فيرون غونزاغ** (Ferrand Gonzague) : ولد سنة (913هـ/1507م) بـ: قاستالا (Guastalla)، ينحدر من عائلة ملكية بإيطاليا، شارك في عدة معارك ضد الدولة العثمانية متحالفا مع هولندا وهنغاريا، شغل عدة مناصب منها نائب للملك بجزيرة صقلية، ثم حاكما لمدينة ميلان الإيطالية سنة (954هـ/1547م)، توفي ببروكسل سنة 1557م. **يُنظر** رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 78.

(3) Charrière**: op. cit**, t1, p268.

(4) Mercier**: op.cit**, t3, p37. / مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص34.

(5) De la Praimaudaie: **Documents…,op.cit,** « Compte-rendu d'une lettre de L'empereur écrit du camp devant la Goulette, 29 juin1535 », R.A, t19, 1875, p356.

ب-رد فعل خير الدين: ورغم الفارق الكبير في عدد القوات، إلا أن خير الدين عزم على منازلة أقوى ملوك المسيحية[1]. والرسالة التي بعث بها الأسقف دي ماكون إلى فرنسوا الأول في (27 ذو القعدة 941هـ/29 ماي 1535م)، تدلّ على ذلك، فقد ورد فيها:"أن المدعو باي (Baille) كان برفقة دفتر دار القسطنطينية، وقد سمع منه بأنه تلقّى رسائل من خير الدين، يقول له فيها بأنه يجد في نفسه قوة كبيرة، وأنه يملك كل ما يحتاجه، مما يجعله لا يخشى جيش الإمبراطور، ولا كل القوى المسيحية عندما تكون مجتمعة"[2].

إلا أن "مارمول" أورد بأن "خير الدين" كان على علم مسبق بحملة "شارلكان" على تونس، لكنه لم يتأكد منها بصفة تامة، إلا عندما حلّ بحلق الوادي راهب فلورنسي مبعوث من ملك فرنسا للسلطان العثماني سليمان القانوني، الذي أكّد له أن الإمبراطور سوف يشارك في الحملة بنفسه، عندئذ بادر بإرسال مركبين صغيرين إلى القسطنطينية، أحدهما تلو الآخر قصد إطلاع السيّد الأعظم والباشوات على الأوضاع الراهنة للشؤون المغاربية، وإبلاغهم بضرورة التعجيل بالانجاد، وإلاّ ضاع جيش البحر، وضاعت معه المناطق العثمانية في بلاد المغارب[3].

ربما لم يقصد "خير الدين" الاستهانة بعدوه، وهذا لأنه اتخذ التدابير الوقائية منذ وطئت قدماه تونس فقد شيّد التحصينات ورمّم القلاع، كما أمر بنزع السلاح من 18 مركبا قصد استغلاله في تعزيز دفاعات الأبراج والحصون [4].

وفي رواية أخرى: "أن خير الدين علم بأمور الحملة الإسبانية بعد عمليات الإنزال عند برج بحلق الوادي، وبالتالي فإن الاستعدادات لمواجهة الإسبان، ستكون قليلة لأن الفترة محدودة، وأن خير الدين لا يمكنه جلب الإمدادات اللازمة"[5].

---

(1) Léon Galibert: **L'Algérie Ancienne et Moderne, Paris**, 1844, p178.
(2) Charrière: **op.cit**, T1, p264.
(3) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص33.
(4) De la Primaudaie: **Documents…, op.cit**, « relation du Frère Juan…», T19, p348.
(5) المجهول: **غزوات...**، **المصدر السابق**، ص55.

3/آثار الاحتلال الإسباني على مدينة تونس:

أ-قرطاجة أول معسكر إسباني: رغم الفرق في حجم القوات بين الطرفين، إلا أن خير الدين عزم على ضرب السفن التي ظهرت في البحر، بُغية استطلاع المكان الذي سيتمّ فيه الإنزال، فقد أجبرت سفنه الراسية في مدخل القنال بطلقاتها المدفعية سفن شارل الخامس على التراجع [1].

ب-حلق الوادي قلعة مسيحية: رغم محاولة شارلكان ضرب حصار على الدفاعات في حلق الوادي، إلا أنّ القوات المدافعة تمكّنت خلال هجمات تمّت في الليل والنهار من تحقيق نجاحات، كان من بينها الهجوم الذي نظّمه "سنان رايس" في الرابع من جويلية بمعية 3 آلاف جندي، انطلاقا من حلق الوادي على أحد المعسكرات الإسبانية[2]، وفي إحدى المواجهات تمكّنت قوّات خير الدين من قتل 6 آلاف جندي إسباني، كما تمكنت من استرجاع الموقع الذي كانوا يتستّرون فيه[3].

لكن بعض المصادر الأوربية تحاول التكتّم على خسائر الجيش المسيحي بقولها أنّ تَكرُّر الهجمات كان يلحق بالمعتدين بعض الخسائر الخفيفة، وأن الذين لقوا حتفهم لم يكونوا من أفراد الجيش، وإنما من خدّامهم الذين تركوا صفوفهم من أجل نهب الحقول [4].

أثناء الحصار كانت هناك عدة محاولات من طرف المسلمين لأخذ مواقع من القوات الإسبانية، وفي 23 جوان-ليلة عيد سان جون (Saint Jean) -طرد المجاهدون قوات المشاة الإيطالية، و قد لقي قائدها الكونت دي سارنو (De Sarno) حتفه، إضافة إلى اثني أو ثلاثة عشر من أفضل قادتهم، و20 نبيلا من خيرة بيوتات نابولي[1].

---

(1) De la Praimaudaie**: Document…, op.cit** «Compte – rendu..» R.A, T19, 1875, p356.

(2) خير الدين: **المصدر السابق**، ص173.

(3) المجهول: **غزوات**...، **المصدر السابق**، ص96.

(4) De la Praimaudaie: **Documents…, op.cit,** « Compte-rendu d'une lettre de L'empereur », R.A, t19, 1875, p356. / Mercier: **op.cit**, T3, p353.

(1) De la Praimaudaie: **Documents…, op.cit,** « Compte-rendu….», R.A, T19, 1875, p 356. / Charrière: **op.cit**, T1, p270.

وخلال هجوم آخر تمّ في الخامس والعشرين من نفس الشهر تمكّنوا من القضاء على 25 جنديا وعدد من الضباط، كما أصيب الماركيز دي مونديجار(De Mandejar) [1] بجروح بليغة [2] فبعث الإمبراطور إلى بلاده يطلب الإمداد، والرسالة الموجّهة من أسقف دي لافور إلى فرنسوا الأول (François) بتاريخ (17 ذو الحجة 941هـ/18جوان1535م) تدلّ على ذلك، فقد ورد فيها: " أن السيد فيرون غونزاغ (Ferrand Gonzague) [3]حصل على تفويض الإمبراطور لتجميع عدد كبير من الأحصنة، ووضعها في حالة الاستعداد، كما أنه لم يبق في نابولي سفينة واحدة ولا رجال ولا خيول"[4].

كانت الإمدادات تصل لشارلكان من نابولي وصقلية وسردينيا، فكل يوم تقريبا كانت تصل مراكب محملة بمواد غذائية، كما التحق الماركيز سانشو ألركون (Sancho Alarcon)[5] بمدد قدره 1200رجل [1].

لكن حسب رسالة بعث بها نيكولاس رانس إلى فرنسوا الأول بتاريخ (13 محرم 942هـ/13جويلية 1535م) ورد فيها:" أن السيد ألركون قد التحق بالمعسكر ومعه ثلاثة آلاف جندي من المشاة، وقد استدعاه الإمبراطور حتى يستفيد من نصائحه في الحرب"[2].

---

(1) **الماركيز دي مونديجار (De Mandejar):** الحاكم العام لمدينة غرناطة، أرسله شارلكان على رأس أسطوله إلى إسبانيا، وكلفه في طريقه باحتلال عنابة، عملا بالمعاهدة الحفصية الإسبانية التي حولت مملكة تونس إلى محمية إسبانية. **يُنظر** هابنسترايت: **المرجع السابق**، هامش رقم1، ص82.

(2) De la Praimaudaie: **Documents..,op.cit**, « Compte-rendu …. », R.A, T19, 1875, p357. /Charrière: **op. cit**, T1, p270.

(3) ولد سنة (913هـ/1507م) بـ:قاستالا(Guastalla)، ينحدر من عائلة ملكية بإيطاليا، شارك في عدة معارك ضد الدولة العثمانية، متحالفا مع هولندا وهنغاريا، شغل عدة مناصب منها: نائب للملك بجزيرة صقلية، ثم حاكما لمدينة ميلان الإيطالية سنة (954هـ/1547م)، توفي ببروكسل سنة (964هـ/1557م). **يُنظر** رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 85.

(4) Charrière: **op.cit**, T1, p268.

(5) قائد إسباني استدعاه شارلكان للاستفادة من نصائحه، واستشارته حول تنفيذ مشروع الهجوم ضد تونس أو حلق الوادي. **يُنظر**: Charrière**: op.cit**, T1, p270.

(1) De la Praimaudaie: **Documents…, op.cit**, « Compte-rendu…», R.A, t19, 1875, p357.

(2) Charrière: **op.cit**, T1, p270.

كما وصل من برشلونة القائد روزا (Rosa) الذي طال انتظاره حاملا معه المدفعية الثقيلة، التي أدّى استعمالها إلى إحداث تهديمات كبيرة بالأسوار التي أقامها خير الدين وعند اقتحام أحد التّحصينات المركزية لحلق الوادي، استخدم شارل الخامس برجا متحركا ضخما يفوق ارتفاعه جدران القلعة نفسها، وتتابعت الهجمات، ولم يهدأ القصف المدفعي على مدى شهر كامل[1]، وأعطيت الوعود بتقديم مكافئات للجنود الإسبان مدى الحياة لتحفيزهم على الدخول لحصن حلق الوادي، ورفع العلم به[2].

4/ التحالف الحفصي الإسباني:

أ-الحسن الحفصي تحت حماية شارلكان: حسب الوثائق الإسبانية فإن الحسن الحفصي، لما علم بنبإ إنزال قوات شارلكان، بعث إليه يدعوه للتفاوض فقبل الإمبراطور، وأرسل اثني عشر مركبا حربيا للقدوم به مع أهله وشيوخ المدينة[3].

كما أنّ الرسالة التي بعث بها نيكولاس رانس إلى فرنسوا الأول بتاريخ (13 محرم 942هـ/13جويلية 1535م)، ورد فيها مايلي:" أن الملك الذي جرى إبعاده عن تونس يريد المثول أمامه لتقبيل يده، ولكي يضمّه كذلك، وقد أجابه الإمبراطور بأن مثوله بين يديه يسرّه، شرط ألاّ يكون مصحوبا بكتيبة كبيرة بسبب النقص الكبير للمؤن، وأنه يستطيع المجيء بصحبة بعض مرافقيه المهمّين"[1].

ب- تونس تحت قبضة الأسرى المسيحيين: بعد النجاح الذي حققه الإسبان في السيطرة على حلق الوادي، فضّل الكثير من قادة الجيش المسيحي عدم المجازفة والتوغل نحو الداخل والعودة إلى أوروبا، فبقي شارل الخامس متردّدا أياما عديدة حتى أقنعه البعض من القادة بضرورة السير إلى تونس ومواصلة الحرب، ففي17جويلية، تحرك الجيش النصراني

---

[1] De la Praimaudaie: **Documents, op.cit**, « Compte-rendu … », R.A, T19 1875, p 357.

/ رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 86.

[2] De la Praimaudaie: **Documents…,op.cit** «ordre pour l'attaque de la Goulette camp devant la Goulette ,12 juillet 1535 »,T19, 1875, p491.

[3] De la Praimaudaie: **Documents…, op.cit**, « Compte-rendu … », R.A, T19, 1875, p357.

[1] Charrière: **op.cit**, T1, p271.

على امتداد الشاطئ الأيمن للجزيرة، وكان في طريقه إليها يحرق القرى التي صادفها، ويقطع أشجار الزيتون[1]، وعندما علم "خير الدين" بذلك خرج في 6 آلاف من رجاله، لأنّ البدو الذين انضمّوا إليه في البداية، قاموا بخيانته بعدما سمعوا بسقوط حلق الوادي التي انسحب منها "سنان رايس" بمن بقي معه من البحارة، وانضمّ ل"خير الدّين" الذي عسكر في خربة الكلخ على بعد 6 كيلومترات من المدينة (تونس)، وكانت قد وصلته مساعدات عسكرية من الجزائر[2].

لما التقى الجمعان دارت معركة حامية الوطيس، فقاتل المسلمون أعداءهم بكل شجاعة، إلا أن الأسرى المسيحيين الذين نجحوا في تهشيم أبواب سجونهم، تمكّنوا من السيطرة على القلعة، وكان عددهم 12 ألف أسير، فقاموا بتوجيه مدافع معقل القصبة صوب المجاهدين الذي وقعوا بين فكي الكماشة، كما أوصدوا أبواب المدينة وقاموا بحراستها ليمنعوا "خير الدين" ومجاهديه من التحصّن بها، وكان ذلك إثر خيانة "فرنك جعفر" الذي أوكل له "خير الدين" مراقبة الأسرى،" وكان هذا الأخير قد شعر بالخطر قبل مغادرته مدينة تونس، وقرّر إعدام الأسرى، لكن إسراع شارلكان في شن هجومه، لم يترك لخير الدين وقتا لتنفيذ قراره، ورغم الوضعية الحرجة التي أضحى فيها خير الدين، إلا أنه دافع عن تونس ستة أيام بعد سقوط حلق الوادي، وكبّد العدو خسائر كبيرة، لكن ضخامة الجيش الإسباني الذي كان يسانده الحسن الحفصي بقواته، جعل التصدّي لهذه القوات مجتمعة في حكم المستحيل، ففي أول اشتباك سقط 2500 شهيد، كما أنّ العدوّ قد استولى على الذّخيرة الحربية بما فيها 40 مدفعا كانت في حلق الوادي[1].

---

[1] لبارون ألفونصو روسو: **المرجع السابق**، ص89. / جون وولف: **المرجع السابق**، ص48. / رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص ص87-88.

[2] ابن أبي الضياف: **المرجع السابق**، ج2، ص13. / خير الدين: **المصدر السابق**، ص ص174-175. / Range et Denis: **op.cit,** T1, p331.

[1] خير الدين: **المصدر السابق**، ص175. / بن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص185.

وبسيطرة شارلكان على تونس عزّز مكانته في البحر المتوسط، لأن حلق الوادي الواقعة على الطريق الجنوبي من مضيق صقلية، قد أكملت تقريبا مراقبته على مدخل غرب البحر الأبيض، واستكمالا لمشروعه فقد حاول أن يجعل المدن الأخرى في إقليم تونس، خاضعة لتابعه الجديد السلطان "الحسن الحفصي".

ثانيا–الإسبان يستكملون مشروعهم في تونس، والرايس درغوث يقف لهم بالمرصاد:

1/ المهدية في قبضة الإسبان بعد جهود مضنية: بعد مغادرة الإمبراطور شارلكان من حلق الوادي، أمر الأسطول الإسباني بالعودة إلى موانئه في إسبانيا [(1)]، بعدما توجه هو مع بقية الأسطول إلى المهدية بهدف الاستحواذ عليها، بأيّ شكل من الأشكال، نظير موقعها من صقلية [(2)]، لكنه لم يظفر بها حتى سنة (946هـ/1539م) أين تمكن الإسبان من إنزال حامية عسكرية بها، وذلك بطلب من السلطان الحفصي للقضاء على ثورة داخلية ضده، إلا أن الحامية انسحبت بعد رد فعل أهالي المهدية [(3)]، لكنّ ذلك ليس السبب الحقيقي حسب وجهة نظرنا، لأنّ جميع الحاميات الإسبانية انسحبت من الموانئ الحفصية في تلك الفترة، عدا حامية بنزرت وحلق الوادي.

وفي بداية سنة (958هـ/1550م) التحق "درغوث" بمدينة المهدية وشرع في شن غارات ضدّ القراصنة الأوربيين والإسبان بالأخص[(1)]، وبعزم من "شارلكان" على وضع حدّ لنشاطات درغوث، سيّر "أندري دوريا" حملة ضدّ مدينة المهدية تحت إمرة نائب ملك صقلية "الدون خوان دي فيجا" (Don Guan de Vega) سنة (959هـ/1551م)[(2)]، مع العلم أن "الحسن الحفصي" كان ضمن هذه الحملة، لكنه مات في الطريق، وبعد أن علم

---

(1) Charrière**: op.cit**, T1, p277.

(2) De la Praimaudaie**: Documents ...,op. cit,** « Compte rendu des lettres que le roi de Tunis et D. Bernardino de Mendoza ont écrites a sa Majesté, sans date 1536 » , R.A, T21, 1877, p213.

(3) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص116.

(1) نفسه، ص116. / المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص113.

(2) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص74. / البارون ألفونصو روسو: **المرجع السابق**، ص94.

"درغوث" بأمر إنزال القوات الإسبانية على الشواطئ التونسية، تاركًا مهمة الدفاع عن المهدية للحامية العثمانية[1].

وبمرور الوقت أصبحت تكاليف المهدية باهضة، ولم يعد بوسع "شارلكان" تحمّل أعبائها من حيث أجور الجند واحتياجاتهم، بالإضافة لتكاليف التّحصينات التي ينبغي القيام بها لحمايتها من البحارة المسلمين، فقرر الجلاء عنها، وكلّف أحد قواده المدعو "دون فيرناند داكونا"(Don Fernand d'Acuna) بتدمير جميع تحصينات المدينة، وتخريبها بعد سحب الحامية الإسبانية منها، وكان ذلك في (4 رجب 961هـ/4جوان1554م)[2].

2/ احتلال الإسبان لمدينة بنزرت (942هـ/1535م):

بعد نجدة "خير الدين" لتونس اعترف به سكان مدينة بنزرت، كما رحبوا بالحامية العثمانية التي قصدت مدينتهم[3]، لذلك أمر "شارلكان" قائده "أندري دوريا" بمهاجمتهم من جهة البحر، أما السلطان الحفصي فهاجمهم من جهة البر، وتمّ أخذ المدينة عنوة، وبعد استسلام السكان قام الحسن الحفصي بإنزال عقابه عليهم بسبب ثورتهم ضده ثلاث مرات[1].

وفي الرسالة التي بعث بها "الدون برناردينو دي ماندوزا" للإمبراطور شارلكان في (25 جمادى الاخر 942هـ/20 ديسمبر1535م) يخبره فيها: "بأن السلطان الحفصي قد قام بهدم حصون بنزرت، وأنّ هذا التصرّف قد أعجبه، وكان يتمنى أن يتمّ هذا مع باقي المواقع البحرية التونسية، عندها لن يجد القراصنة ملجأً"[2].

---

(1) ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص190./ البارون ألفونصو روسو: **المرجع السابق**، ص94. /
Braudel: **la Méditerranée.., op.cit,** T2, pp230-231.

(2) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص ص88-90. / البارون ألفونصو روسو: **المرجع السابق**، ص94. /

Braudel**: la Méditerranée..., op.cit,** T2, p231.

(3) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص10.

(1) **نفسه**.

(2) De la Praimaudaie: **Documents ..., op.cit**, « Lettre de Don Bernardino De Mendoza a sa Majesté, La Goulette de Tunis, 20 décembre 1535 », R.A, T21, 1877, p24.

وبما أنّ "برناردو دي ماندوزا" عُيِّن ممثلا لشارلكان في تونس، وقائدا عاما في حلق الوادي، فقد كان همّه الأول مُنصبًّا على بناء القلاع الإسبانية، في المناطق التي تمّت السيطرة عليها كحلق الوادي وبنزرت، وتدمير الأسوار التي كانت تحمي الأحياء المسلمة في تلك المدن التي أضحت إسبانية[1].

3/ إتمام السيطرة على باقي السواحل (القليبية، سوسة، صفاقس، المنستير):

بعدما غادر شارلكان مدينة تونس، اندلعت اضطرابات داخل البلاد، إعلانا بعدم اعتراف السكان بمعاهدة الحماية، لذلك فإن سلطة الحسن الحفصي لم تتجاوز أكثر من مدى القذائف الإسبانية، ولم يستمر في دعمه إلا بعض القبائل التي كان لها الدور في توطيد دعائم الإسبان[2].

أ–القليبية: بعدما أخضعها الإسبان كانت موالية للعثمانيين، واستطاع أهلها الدفاع عنها ببسالة[3]، وقاموا بقتل أشجع الجنود الإسبان، لكن مجاهديها انهزموا، واستشهد ألف شخص، وتمّ أسر ألف من الناس والأطفال، ثمّ سُلّمت "للحسن الحفصي"[1]، وقد أبدى سكانها كراهية شديدة لهذا الأخير لما لحقهم من شروره، فقد كان يسلّط عليهم الجنود الإسبان في كل مرة يثورون فيها، وفي المرة الثانية والثالثة لم يُظهروا مقاومة تذكر، وكان ذلك في (ذي الحجة 947هـ/ أفريل 1541م)، لأن العثمانيين غادروا المدينة وتركوا الأهالي دون مدافع[2].

---

(1) CH.de la Veronne: «Sourse **de l'histoire de la Tunisie dans les archives espagnoles, l'expédition de Moulay Hassan à Kairouan en 1536** » -« Actes du Premiers Congrès d'Histoire de la Civilisation du Maghreb », T2, Tunis, 1979,
نقلا عن نيقولاي إيفانوف: **الفتح العثماني للأقطار العربية (1516–1574م)**، تع. يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2004 م، ص237.

(2) نيقولاي إيفانوف: **المرجع السابق**، ص237.

(3) نفسه، ص237.

(1) الشابي: **المرجع السابق**، ص136.

(2) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص ص63-64.

ب-سوسة: كانت موالية للعثمانيين، بعدما عجز السلطان الحسن الحفصي عن طردهم، فاستنجد بالإمبراطور "شارلكان" الذي أصدر أوامره إلى نائبه في صقلية، فعهد هذا الأخير ل "ماركي دوطيرنوف" [1] بهذه الحملة، التي جهز لها أسطولا يتكون من 14 سفينة بحرية، و4 سفن ضخمة على متنها ألفي جندي، كما قام ملك تونس بإرسال جيش عن طريق البر عدّته 7 آلاف فارس، وجعل ولده على رأسهم، إلا أن الإسبان فشلوا في حملتهم واضطروا لامتطاء سفنهم بعدما تعرّضوا لخسائر فادحة[2].

وبعد مرور عامين على فشل الحملة قرر الإمبراطور "شارلكان" تكليف "أندري دوريا" بتلك الحملة فاستطاع إخضاعها، فلم ينج سكانها من عسف وجور الإسبان، لكن بعد ذلك تمردت على السلطان الحفصي[3].

ج-صفاقس: رفض أهل صفاقس الخضوع للإمبراطور "شارلكان"، لأنهم كانوا موالين للعثمانيين[4]، لكن عندما قصد ميناءهم أسطول مكون من 20 سفينة حربية، موفد من طرف ملك صقلية لاستخلاص الجبايات من قائد جربة، التمسوا حماية الأمير "محمد بن الحسن الحفصي"، لكن حمايته لم تدم طويلا فقد استطاع العثمانيون السيطرة على المنطقة[1].

د-المنستير: بعدما استولى عليها "أندري دوريا" سنة (946هـ/1539م)[2] ،ترك بها فرقة من الجنود، قام "الحسن الحفصي" باصطحابهم عندما زحف على القيروان، وهي التي غطّت انسحابه لكنها لم تكمل مهمتها في المنستير، وغادرت في (محرم 948هـ/ماي1541م)، مما حمل العثمانيين على بسط نفوذهم مرة أخرى[3]، وبينت وثائق "بن عاظوم" أن الإسبان قد

---

(1) نبيل من نبلاء صقلية، **يُنظر**: مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص65.

(2) البارون ألفونصو روسو: **المرجع السابق**، ص92./ الشابي: **المرجع السابق**، ص129.

(3) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص66. **ويُنظر**: كذلك بن عامر: **المرجع السابق**، ص81.

(4) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص102.

(1) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص67.

(2) بعد احتلال المهدية والمنستير، تمّ فرض حصار على جربة. **يُنظر**: المهدي بن علي بن شغيب: **المرجع السابق**، ص108.

(3) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص67.

هاجموها سنة (957هـ/1550م)، مما كان سببا في نزوح البعض للقيروان اتقاء لخطر الغزو، وبينت وثيقة أخرى أن هذا الهجوم تسبب في حصول بعض الأسرى من السكان [(1)].

ثالثا- الحملات الإسبانية على مركز جربة ودوره في صدها خلال القرن(10هـ/16م):

1/الحملات الإسبانية على مركز جربة ودوره في صدها خلال النصف الأول من القرن(10هـ/16م):

من المعروف أن جزيرة جربة تعرضت خلال النصف الأول من القرن (10هـ/16م) لعدة حملات إسبانية كان هدفها السيطرة عليها لموقعها الجغرافي والاستراتيجي، وباعتبارها إحدى الركائز التي يُعتمد عليها في السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، ونظرا لحالة الضعف والانحطاط التي آلت إليها الدولة الحفصية في عهد "السلطان أبي عبد الله محمد" [(2)]، اتخذ الإسبان مدينة طرابلس نقطة انطلاق للمحاولات العديدة لاحتلال جزيرة جربة؛ حيث كانت المحاولة الأولى في شهر ربيع الأول سنة (916هـ/1510م)، والثانية في الشهر الموالي من نفس السنة بقيادة "بيدرو نافارو" [(1)]، الذي رسى بأسطوله قرب مضيق القنطرة وحاول خداع سكانها، فتمركز بها وأنزل ثلاثة رجال يجيدون التحدث بالعربية وكلفهم بالتعرف على الطرق السهلة للنزول والاستقرار بالجزيرة، وأمرهم بغرس أعلام بيضاء كعلامة على نيّاته السلمية في الظاهر، وكدليل لقواته حتى تتعرّف على مكان الإنزال، غير أن سكان الجزيرة الأصليين ومهاجري الأندلس، تفطنوا للخديعة وعلموا بالمجازر التي ارتكبها الإسبان في طرابلس، قبل أن يقدم إلى جزيرتهم فانتزعوا الأعلام البيضاء وتصدوا لمقاومته وأرغموه على الانسحاب مهزوما لمدينة طرابلس[(2)].

لم يتعظ لما حصل له وأعاد الكرة في (25 جمادى الأول 916هـ/29 أوت 1510م)، حيث جهز لها 12 ألف جندي، وترك 3 آلاف لحراسة مدينة طرابلس بقيادة "الكولونيل سامانيجو" (Samanyego) و"بالومبينو"(Palumbino)، ولحقت به 15

---

(1) **نقلا عن**: أحمد قاسم: **المرجع السابق**، ص 186.

(2) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 114.

(1) أتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي ...، المرجع السابق**، ص149.

(2) عمر محمد الباروني: **المرجع السابق** ، ص50.

سفينة كبيرة وثلاثة أخرى صغيرة تحت قيادة "دون غارسيا دوتوليدو" (De Toledo Garcia)، ومعه "فرانسيسكو ماركيز" (Francisco Marquez) على رأس 3آلاف جندي كانوا مرابطين في بجاية[1]،جرت المعركة ضد أهل الجزيرة في جو خانق، شديد الحرارة، وانتهت إلى كارثة حين أخذت القوات المسيحية تتهافت في فوضى وتشتت على إحدى الآبار[2]، وقد كان العرب يترصدونهم ويستدرجونهم، وما كادوا يجرّونهم إلى هذه الحالة حتى هاجموهم، وأقاموا لهم مذبحة في الموقع، وكان عدد الضحايا 4 آلاف قتيل وجريح، وفي رواية أخرى ألفين، وكان ضمن الموتى " دون غارسيا دي توليدو" و" ابن الدوق ألبا "، وشخصيات أخرى مثل "غارسيا سارسينتو" (Garcia Sarcinto)[3].

غادر الأسطول جربة يوم 31 أوت، فاستقبلته العواصف في الطريق ولم يصل طرابلس إلاّ يوم 19 سبتمبر[1]، وفي أكتوبر أبحر"دي نافارو" قصد احتلال المنستير، تاركا بطرابلس "ديجو دي فيرا" (Diego De Verra) مع 3 آلاف جندي، لكن العاصفة ردّته إلى طرابلس، بعدما تكبّد خسائر فادحة في سفنه ورجاله، وفي الشتاء أعد حملة على جزيرة قرقنة لكنها فشلت أيضا، وكان يهدف من ذلك الحصول على قاعدة بحرية لسفنه، ولعمليات قادمة يقوم بها ضد جربة والساحل[2].

أما المحاولة الثالثة التي منيت هي الأخرى بالفشل، فكانت تحت قيادة "الدون هيجو دو منكادا"(Don Hugo de Moncada) (نائب ملك إسبانيا في صقلية)، حيث كان عتاده فيها ألف فارس، و1300 من المشاة، كان ذلك سنة (926هـ/1520م)[3].

---

[1] أتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي ...، المرجع السابق**، ص178. / شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص79.

[2] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج2، ص95.

[3] أتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي ...، المرجع السابق**، ص178.

[1] **نفسه**، ص178.

[2] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 121.

[3] محمد أبو راس الناصر (الجربي): **المرجع السابق**، ص192.

2/الحملات الإسبانية على مركز جربة ودوره في صدها خلال النصف الثاني من القرن 10هـ/16م:

أ-الهجوم الإسباني على جربة وتداعياته (959هـ/1551م):

في (ربيع الأول 958هـ/مارس1551م)، انسحب "حسن قورصو" إلى جربة أين وافاه "درغوث"، وطلب من شيخها صالح السماح له بتجنيد الجنود، وقد جند فعلا حوالي 2500 شخص[1].

وبمباغتة من" أندري دوريا" لدرغوث رايس" بميناء جربة سنة (ربيع الثاني958هـ /أفريل 1551م)، سدّت عليه جميع المنافذ، وتمكن من سحب سفنه عبر طريق بري نصفه قناة لا يزيد عمق الماء فيها عن المتر الواحد، ونصفه الآخر طريق مفروش بالأخشاب المطلية بالزيوت، وتمّ دفع السفن بالأيدي عبر تلك القناة للبحر، وتمكن من الإفلات بأسطوله كاملا[1].

ب-الحملة المسيحية على جربة سنة (967هـ/1560م):

رأينا في الفصل المتعلق بطرابلس الغرب الفرمانات التي أرسلها السلطان العثماني لدرغوث باشا، كي يستعد للحملة المسيحية الموجهة نحو طرابلس وجربة، وقد فصلنا في هذه القضية، وكيف تمكن "درغوث" رفقة "بيالي باشا" إفشال هذه الحملة وقطع خط الرجعة عليها.

رابعا-حملة دون خوان النمساوي على تونس سنة (980هـ/1573م)، وتظافر الجهود لتحريرها من الهيمنة الاسبانية:

1/ حملة دون خوان النمساوي على تونس سنة (980هـ/1573م):

أ-الدون خوان يقود الحملة على مدينة تونس: كان الملك "فيليب الثاني" يدرك أن الاحتلال الإسباني للساحل الإفريقي يُعدّ مجرد خسارة مالية، وخيبة سياسية بالنسبة

---

[1] عبد الجليل التميمي: **الولايات العربية...، المرجع السابق**، ص76.

[1] Charrière: **op .cit,** T2, p144.

أتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي ...، المرجع السابق**، ص207. / رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 221.

للمصالح الإسبانية، وكان يرى ضرورة تخريب تحصينات حلق الوادي ومدينة تونس وجميع الاستحكامات القائمة على الساحل الإفريقي، بدل إبقاء حاميات إسبانية معزولة معرضة دوما للهجمات العثمانية، أو لثورات سكان البلاد، لكن "الدون خوان" لم يتّفق معه في هذا الرأي، لأنه كان يحلم بإنشاء مملكة على أرض تونس، بوسعها أن تصبح في يوم من الأيام سدّا منيعا في وجه الشعوب الإسلامية، وقد لقيت أفكاره دعما وتشجيعا من طرف الكنيسة البابوية بروما، وفرسان مالطا [1].

في ربيع عام (980هـ/1572م)، وقّع "فيليب الثاني" أمرا بشأن الحملة على تونس، لكنه ألغاها [1]، ثم ما لبث وصادق على الحملة في (صفر981هـ /جوان1573م) شرط تحطيم القواعد العثمانية، ثمّ الجلاء عن تونس فورا [2].

قرر "الدون خوان دوتريش" التوجه نحو تونس[3]، فخرج في(11جمادى الاخر981هـ /7 أكتوبر1573م) بأسطوله من جزيرة فافينيانا (Favignana)، وتبعا لذلك فإن الأسطول كان مؤلفا من107 باخرة و31 باخرة أقل حجما، على ظهرها 9000 إيطالي و5000 إسباني و5000 ألماني و3000 بحارة آخرين، قد حلت بمينائي تونس وحلق الوادي وتم الاستيلاء عليهما دون كبير عناء، إن هذا الحادث الحاسم قد صاحبه سلوك متغطرس وازدراء من طرف المحتلين، تجاه الأهالي والدين الاسلامي والتراث الثقافي ووصل الأمر إلى درجة العبث بجامع الزيتونة، كما يقر بذلك المؤرخون [4].

---

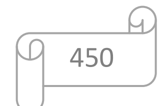
[1] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 137.

[1] Braudel: **la Méditerranée…, op.cit,** T2, p973.

[2] Mercier: **op cit**, T3, p115. / De Grammont: **op.cit,** p115.

[3] بعث أمير أمراء طرابلس إلى الباب العالي برسالة يخبره فيها بشأن التحركات الإسبانية. يُنظر: أ.و.ج: **مهمة دفتري** رقم10، حكم رقم6، ص4، بتاريخ 2 محرم 979هـ/26 ماي 1571م، لكن الأصح هو حكم 5.

[4] عبد الجليل التميمي: **دراسات ...**، **المرجع السابق**، ص 58.



وعندما بلغ الأسطول الإسباني حلق الوادي لم يجد أدنى معارضة من قبل القوات الإسلامية[1] ثم تقدموا نحو مدينة تونس بقيادة "سانتاكروز" (Santa Cruz)، فهاجمها واستولى عليها بسهولة[2]، لأن الحامية العثمانية لم تستطع المقاومة نظرا لقلة عددها البالغ ألفي جندي يقودهم "رمضان باشا [3]، فاضطرت الحامية للانسحاب صوب الحمّامات، لكنهم وجدوا الأبواب موصدة [1]، فتوجّهوا إلى مدينة القيروان التي كان على رأسها "حيدر باشا"، وفي الطريق لاحقتهم القوات الإسبانية واشتبكت معهم في قتال كبير انتهى بانتصار القوات الإسلامية، يصفه"ابن أبي دينار" بقوله: "ولما وصل العدو إلى الترك صدقوا في القتال، وصبروا صبر الأحرار، فهربت الكفرة، وركبت الترك أدبارهم إلى أن أخرجوهم من الخنقة التي بقرب الحمامات، وقتلوا منهم ما شاء الله، وقطعوا رؤوس القتلى وبعثوا منها أحمالا إلى القيروان لتسكين الأحوال" [2]، ولما رجع الإسبان خائبين مهزومين، صبّوا غضبهم على أهالي الحمامات، فقتلوا الرجال وسبوا الأطفال والنساء، واستولوا على المدينة ونهبوها، أما "رمضان باشا" وجنوده، فقد استُقبلوا بجفاوة بالغة في مدينة القيروان من طرف قبائل الشابية [3].

---

[1] كان أهالي تونس قد بعثوا إلى السلطان العثماني يناشدونه إرسال عدد من الجند ، فطلب من القلج علي بعد الرجوع من معركة ليبانت، أن يرسل لهم مقدارا من الجند. **يُنظر**: **مهمة دفتري** رقم19، حكم رقم 264، ص266، بتاريخ (4 صفر980هـ/15 جوان 1572م).

[2] Zeller: **op.cit**, p64.

[3] رمضان الذي كان قد عينه القلج علي على تونس بعد تحريرها، جاءه التعيين بفرمان سلطاني. **ينظر**: أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 12، حكم 1037، ص541، بتاريخ 25شوال 979هـ/10 مارس 1572م. / عبد الجليل التميمي: **دراسات...، المرجع السابق**، ص196.

أ.ع: **مهمة دفتري** رقم10، حكم 253، ص166، بتاريخ 25شوال 979هـ/10 مارس 1572م. / عبد الجليل التميمي: **دراسات...، المرجع السابق**، ص163.

[1] ابن أبي الضياف: **المرجع السابق**، ج2، ص22.

[2] ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص199.

[3] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 139.

ب-تونس تحت سيطرة الدون خوان النمساوي سنة (981هـ/1573م):

بعد استقرار الجيش الإسباني في تونس، قام "الدون خوان دوتريش" بتنصيب الملك "أحمد الحفصي" بعدما كان لاجئا، ولما حاول القائد الإسباني فرض شروط باهضة عليه، لم يستطع تَحمُّلها[1]، فتنازل عن العرش لأخيه "محمد بن الحسن" الذي كان نبذه شعبه، وقد شاركه في الحكم الإسباني "غابريال سربيلوني" (Gabriel serbelloni) أحد فرسان مالطا[1].

أما الجنود الإسبان فقد كانوا يتشوّقون لدخول مدينة تونس التي كانوا يسمعون عن الكنوز المخبّأة فيها من طرف الأهالي، فأخذوا يطوفون الشوارع جماعات، وبأيديهم المجارف والمعازق، وظلّوا ينبشون المنازل ويدقّون الجدران، ويحفرون الساحات والسطوح، ويفرشون الأسوار ويكسرون النوافذ، فلم يبق بيت سليم، حتى استنفذوا كامل قوتهم ولم يجدوا شيئا، فقرّروا تحطيم خوابي الزيت، التي فاقت 50 خابية في كل مزرعة [2].

وعند بوابة باب البهار تجمّع حشد مفاجئ، حيث وقف الجنود على صفّين بطول ربع ميل يعرضون المسروقات للبيع، وأخذ البحارة والمتسوقون يبتاعون بأرخص الأثمان بضائع التحف النادرة، وسجاجيد القيروان، والأقمشة الناعمة، والأواني الفاخرة، وأكياس البهارات، والعطور وغيرها، وحمل الضباط معهم أعمدة بكاملها من الرخام والحجر الأرجواني، الذي كانت تزدان بها زوايا المنازل التونسية، غير أن أهمّ ما تجب ملاحظته هو انتهاك حرمة

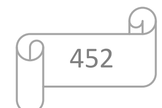
---

(1) أرسل دون خوان السلطان أحمد أولا إلى باليرمو مع اثنين من أبنائه، ومن هناك تمّ تحويله إلى نابلي، حيث سجن في حصن سانت ألم (Saint Elme)، ويورد دوتو De Thou أنه رآه عام (982هـ/1574م) في هذا الحصن، وكان عمره في تلك السنة يقارب الثمانين سنة. **يُنظر**:

De Thou**: op.cit**, T6, p722.

(1) Dapper, O: **Description de l'Afrique contenant les noms et la situation …avec des cartes des états des provinces et des villes** , traduite de flamand , Amesterdam ,Wolfgang ,1686, p194. / Mercier**: op.cit,** T3, p116.

(2) رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 140.



جامع الزيتونة من قبل "الدون خوان" فقد قلع سواريه الرخامية الرائعة وحملها إلى الأراضي المسيحية [1].

كان سكان تونس قد لجئوا إلى الجبال والغابات والبوادي، وقد نالهم من الجوع والعطش ما تقشعر منه الجلود، كما ربط الإسبان خيولهم في جامع الزيتونة واستباحوا ما به من الكتب العلمية، وألقوها في الطرقات تدوسها خيولهم [2].

أما إنجازاته، فقد قام بتحصين قلعة حلق الوادي، وقلعة تونس بدلا من هدمهما، وذلك بهدف تعزيز مراكزه على السواحل الإفريقية، وقد بنى مدينة أطلق عليها اسم شيكلي بقلعة الباستيون وأسكنها الإسبان، بها بناءات من الخشب وآبار للمياه، ومخازن للمؤونة، ومطاحن للقمح، ومخازن للأسلحة، ومعامل الحدادين، ومستشفى وصيدلية وكنيسة [1]، كانت هذه المدينة معدة لاحتواء 4 آلاف شخص، استغرق بناؤها 8 أشهر [2]، وهي تبعد بحوالي 150 إلى 200 متر عن مدينة تونس، و كان هدفه من بناء هذه القلعة هو تشديد المراقبة على تونس [3]، وحسب ما ورد في المصادر فإن بنائه لهذه المدينة كان بهدف تنصيب نفسه ملكا عليها [4].

وبعد انسحاب الوالي العثماني من القيروان، رفقة عدد كبير من الشرفاء، بدأت المناوشات بين العثمانيين والصليبيين، خاض خلالها "السلطان الحفصي محمد" عدة معارك

---

[1] محمود السيد الدغيم: **المرجع السابق**، ص413. / عبد الجليل التميمي: **الخلفية الدينية للصراع العثماني–الإسباني على الإيالات المغاربية في القرن السادس عشر**، **المرجع السابق**، ص16. /

- De La Praimaudaie**: Documents…, op.cit**, «Description de Tunis et de Bizerte … », R.A, T21, 1877, p290.

[2] محمد بن محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (التتمة)**، 3ج، المطبعة السلفية، القاهرة، 1931م، ج2، ص 154.

[1] عبد الجليل التميمي: **الولايات العربية**...، **المرجع السابق**، ص ص103-104.

[2] De La Praimaudaie: **Documents…,op.cit,** «Relation des événements de la Goulette et de Tunis, faite par Don Gabrio Serbelloni », R.A, T 21, 1877, p296.

[3] عبد الجليل التميمي: **الولايات العربية**...، **المرجع السابق**، ص ص103-104.

[4] Mangin: **Regards sur la France d'Afrique**, 12éme éd Plon, Paris, 1924, p19. / Pellissier de Raynaud: **Exploration scientifique de l'Algerie**، imp. Royale, Paris, 1844, p101.

على رأس قوات التحالف الصليبي، وفي (14شوال 981هـ/5 فيفري1574م) نشبت معركة قرب الحمامات، والتي تمكنت خلالها القوات العثمانية من إرغام جيش "مولاي محمد" على الفرار، بعد هزيمته، ولم تكن مراكز "حيدر باشا" الأمامية تبعد عن مدينة تونس أكثر من أربعين ميلا، وكان المجاهدون يشنون الغارات على المناطق الخاضعة لسيطرة الإسبان [1]، كما أن "العلج علي" قد طلب من السلطان العثماني "سليم الثاني"، أن يأذن له باستعادة تونس قبل أن يتمكن الإسبان من تحصينها تحصينا جيدا [2].

2/ تونس تدحر الإسبان بفضل جهود الدولة العثمانية والجزائر وطرابلس سنة (981هـ/1574م):

على الرغم من الهزيمة البحرية التي مني بها الأسطول العثماني في ليبانت [1]، واشتداد الضغوط عليه، واحتلال تونس وحلق الوادي من طرف الإسبانيين في خريف (980هـ/1573م)، وتهديد بقية السواحل المغاربية، إلا أنّ الباب العالي أخذ ذلك في الاعتبار، مما جعله يأذن بالبدء في استعداداته العسكرية لاجتثاث الإسبان وتدمير قلعتي حلق الوادي وتونس، ومن أجل ذلك أرسل السلطان العثماني تعليمات للجزائر وطرابلس الغرب والقيروان بالاستعداد لاسترجاع تونس [2].

وتم توجيه فرمان لحاكم تونس، كرد على الرسالة التي أخطرت بسقوط تونس بيد الإسبان، وهي تعلم الحاكم عن الأسطول المجهز ضد حلق الوادي، وتطلب منه المساعدة بالرجال والسلاح والعتاد[3]، كما وجهت بقية الفرمانات للجزائر وطرابلس، يطلب منهم

---

[1] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 142.

[2] De Thou: **op.cit**, T6, p722. / Retalier**: op.cit,** p267.

[1] طلب السلطان العثماني من القلج علي، أن يجمع شتات الأسطول العثماني ويقوم بتجديده. **يُنظر** الأرشيف الوطني الجزائري: **مهمة دفتري** 21، حكم 509، ص213، بتاريخ 21ذي القعدة 980هـ/24 مارس 1573م.

[2] أ.ع.و: **مهمة دفتري** 21، حكم 637، ص266، بتاريخ 16 ذي الحجة 980هـ/18 أفريل 1573م. / قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني: **البرق اليماني في الفتح العثماني**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1967م، ص ص 464-465. / سامح ألتر: **المرجع السابق**، ص246.

[3] أ.و.ج: **مهمة دفتري** 24، ص59، حكم 166، بتاريخ 5ذي الحجة 981هـ/ 27 مارس 1574م.

السلطان ضرورة المشاركة الفعالة في تحرير تونس من الهيمنة الإسبانية، وقد تناولنا جهود كل من إيالة الجزائر وإيالة طرابلس بالتفصيل في الفصول السابقة.

تم إخبار بايلرباي تونس (26شوال981هـ/17فيفري 1574) برسالة جاء فيها:" في أول الربيع سوف نستعد لإرسال الأسطول إلى تونس..." [(1)]، وبعد ثلاثة أسابيع وجه فرمان آخر لبايلرباي الجزائر جاء فيه:" نظرا لاستيلاء أسطول العدو على تونس، فقد تقرر وصول أسطولنا الهمايوني إلى تلك الجهات في الربيع" [(2)]، وفي رسالة موجهة إلى بايلرباي طرابلس ثم حاكم زوارة وكوكو بتاريخ (17محرم982هـ/ 8ماي 1574م)، جاء فيها:" جهزنا السفاين المملوءة بأنواع آلات الحرب والقتال، وأصناف أدوات الضرب والنزال، وملأناها كلها بأبطال الرجال البارزين لإعلاء كلمة الدين المبين...وأن تحضر الذخائر الوافرة المتكاثرة لعساكرنا المنصورة بألطاف الله المبرورة الواردين على تلك الديار لدفع أشرار وشرور الكفار...." [(1)].

إن الفرمان الموجه لبايلرباي تونس بتاريخ (16 ذو الحجة981هـ/7 أفريل1574م) أعلن عن خروج الأسطول "برفقة سائر القادة والأمراء والانكشارية وأرباب التيمار والمحاربين المتطوعين...، ثم اجتمع أنت وأمير أمراء الجزائر "رمضان باشا"، وأمير أمراء طرابلس الغرب "مصطفى باشا"، وأمير أمراء الجزائر السابق "أحمد باشا"، واتحدوا يدا واحدة، وتوجهوا نحو تونس وحاصروها أو قوموا بمحاصرة بنزرت..." [(2)]،وعلى ضوء ذلك أمر بايلرباي الجزائر بحمل العساكر المرسلة من الجزائر لحلق الوادي 100خيمة للأسطول الهمايوني، وأن يوجه

---

(1) عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص 58. وللتفصيل أكثر حول هذا الموضوع، **ينظر**: أ.ع: **مهمة دفتري** 23، حكم 634، ص294، بتاريخ 18 ذي الحجة 981 هـ / 9 أفريل 1574م ./ أ.ع: **مهمة دفتري** 23، حكم 660، ص 303، بتاريخ 28 شوال 981هـ/20 فيفري 1574م.

(2) عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص 58.

(1) **نفسه**، ص 59.

(2) أ.ع: **مهمة دفتري** 24، ص 75، بتاريخ 15 ذي الحجة 981هـ/ 7 أفريل 1574م ./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص226.

عساكر الجزائر لحلق الوادي، وضرورة تسجيل كل اللوازم والمعدات وإعدادها للأسطول، على أن يتم تقسيم الخيام وتوزيعها حتى لا يقع مضايقة في هذا الأمر[1].

تحرك الأسطول العثماني بقيادة قلج علي صحبة "سنان باشا" قائد الجيش البري في (23 محرم982هـ/15ماي1574م)، وتكونت الحملة من جنود وبحارة بالآلاف، فاق عددهم 55.000 من مختلف الإيالات العثمانية، وكذا تجهيز أسطول مؤلف من 300 سفينة بمختلف أنواع الأسلحة، وتم إعداد المواد الغذائية لمدة لا تقل عن ثلاثة أو أربعة أشهر [2].

وبفضل الخطة التي وضعها كل من "سنان باشا" وقلج علي"، والتي قضت بالتدمير الكامل لقلعة حلق الوادي، من خلال وضع متفجرات في أسسها، وتم ذلك بعد قتال مرير وشرس لأن الإسبان دافعوا بشراسة عن قلعتي حلق الوادي وسان جان حتى الموت [1]، حيث جاء في الرسالة التي بعث بها "سنان باشا" للسلطان العثماني، أنه تم تحرير تونس وحلق الوادي التي تم هدمها من أساسها، وأنه قد تم وضع الرجال في قلعة تونس لضبطها..، وقد اندحر أعداء الدين والدولة [2]، وسوف نأتي على أحداث التحرير المهمة بشيء من التفصيل لأهمية الحدث.

---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** 24، ص 107، بتاريخ 20 ذي الحجة 981هـ/ 12 أفريل 1574 ./ عبد الجليل التميمي: **دراسات**...، **المرجع السابق**، ص228.

[2] عبد الجليل التميمي: **دراسات**...، **المرجع السابق**، ص 60. وللتفصيل أكثر حول هذا الموضوع **ينظر**: **مهمة دفتري** 24، ص 92، بتاريخ 14 ذي الحجة 981هـ/ 6 أفريل 1574م. فيما ذكر صاحب البرق اليماني أن عددها كان 200 غراب، **ينظر** قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني: **المصدر السابق**، ص 466.

أما تقديرات المصادر الأوربية: أن الأسطول كان يتألف من 250 سفينة حربية من نوع غاليرة (Galères) و40 سفينة لنقل الجنود والأسلحة و الذخيرة، و40 ألف جندي، **ينظر**:

Haédo**: op.cit**, p414. /Dapper: **op.cit,** p194. /Braudel: **«les Espagnols …», op.cit**, p 425.

[1] عبد الجليل التميمي: **دراسات**...، **المرجع السابق**، ص 60. / قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني: **المصدر السابق**، ص 470.

[2] أ.ع: **مهمة دفتري** 26، ص 288، بتاريخ 15 رجب 982هـ/ 31 أكتوبر1574م./ **مهمة دفتري** 26، ص 287، بتاريخ 15 رجب 982هـ/ 31 أكتوبر1574م. وللتفصيل أكثر حول الموضوع **ينظر**: عبد الجليل التميمي:

أ-دحر الإسبان في حلق الوادي (جمادى الأولى 982هـ/أوت 1574م):

بدأت المعارك يوم17جويلية، حيث كُلّف "قلج علي" من طرف "سنان باشا" بفرض الحصار على حلق الوادي من جهة الجنوب وتحطيم القلعة، وقام بدور فعال حيث يقول "الكولونيل هانيزو" (Hanezo) ساهم كثيرا في تقدم الحصار، فكان في كل مكان يوجه ويشجع الرجال بأقواله وأفعاله" [1]، وقد التحق به 400 جندي إسباني كانوا متواجدين بمعسكر ميناء حلق الوادي [2]، كان في مساعدة "قلج علي" أحمد عرب" الذي أبدى من جهته فعالية ليس فقط كونه قائدا، وإنما كمقاتل كذلك، حيث دخل غمار المعركة مثل الجندي العادي [1].

بعدما تمت الاستعدادات الضرورية، بدأ القصف المدفعي العثماني ضد القلعة يوم 21 جويلية انطلاقا من الساحل، مما أدى لتهديم أجزاء من أسوارها، وتقدّمت القوات المحاصرة حتى بلغتها، لقد استمرت أعمال الحصار لمدة شهر، عثروا خلالها على نفق طويل محصن، وبالقرب من المنطقة التي كان متواجدا فيها "سنان باشا"، كان بداخلها الرجال والآلات الحربية، فتمكن هذا الأخير من شن هجوم عنيف في (2جمادى الأولى 982هـ/20 أوت 1574م)، وفي صبيحة يوم 23 أوت سقطت القلعة[2]، فقتلوا كل من كان فيها ثأرا لآلاف الإنكشارية والمغاربة الذين قتلوا على أسوارها، أو تشوهوا، كما استشهد قُرب أسوار القلعة بايلرباي طرابلس الغرب "مصطفى باشا" [3]، ولم يبق منهم على قيد الحياة إلا 300 شخص، كان من بينهم "بورتوكاريرو" وقعوا في الأسر، [4] وذلك لطلب فديتهم بالأموال

دراسات...، **المرجع السابق**، ص ص 230-231./ قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني: **المصدر السابق**، ص 469

[1] Rotalier: **op.cit**, p78.

[2] Guy Terbet Delof : **l'Afrique Barbaresque dans la littérature Française aux XVI et XVII siècle**, Droz, Genève, 1973, p141.

[1] Haédo: **op.cit**, p422.

[2] De Grammont: **op.cit**, p116.

[3] السراج: **المصدر السابق**، ج2، ص230. / إيفانوف: **المرجع السابق**، ص ص299-300.

[4] De La Praimaudaie: **Documents…,op.cit,** « Relation des événements de la Goulette…», R.A, T 21, 1877, p367./ voir aussi, Mercier: **op.cit,** T3, p117.

الكثيرة أو تبديلهم بالأسرى المسلمين الموجودين في يد المسيحيين في مختلف أنحاء أوروبا، كما استولى العثمانيون على 200 مدفع ثقيل وأكثر من 30راية [(1)].

ب-سقوط الدولة الحفصية والتحرير النهائي لتونس (جمادى الثانية 982هـ /سبتمبر1574م):

كان قائد الأسطول العثماني "سنان باشا" قد عهد لمصطفى باشا وحيدر باشا بالهجوم على تونس، وأمدهم ب1000 جندي [(2)]، وأعطاهم 8 مدافع ثقيلة و8 مدافع صغيرة[(1)]، ودعّمهم بقوات "إبراهيم بك" من صنجق[(2)] مصر، و"محمود بك" من صنجق قبرص، و"باكير بك" صاحب قره حصار، وكان مع هؤلاء كذلك 2000 جندي [(3)].

حاصرت القوات العثمانية مدينة تونس، من كل جهاتها، وأثناء تقدمهم إليها واجهتهم الدفاعات الإسبانية التي كانت منتشرة خارج المدينة البالغ عدد قواتها 30 ألف، التي ما لبثت أن انهزمت وخسروا 200 رجل بين قتلى وجرحى ومدفعين كانا بحوزتهم، ومما زاد في نكستهم تخلّي بعض العرب الذين كانوا في خدمتهم عنهم وقت الشدّة [(4)]، فعند قدوم الأتراك العثمانيين، وقبل الهجوم انضم إليهم كل الفرسان والجنود الذين صحبهم الأمير مع مواشيهم، وتركوه وحيدا مع 60 فارسا [(5)].

[(1)] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 150.

[(2)] بينما جاء في تقرير سربيلوني أربعة آلاف جندي، **يُنظر**:

De La Praimaudaie**: Documents…,op.cit,** « Relation des événements de la Goulette…», R.A, T 21, 1877, p298.

[(1)] **Ibid**

[(2)] **صنجق**: هي كلمة استحدثت في العهد العثماني، تطلق على الموظف الذي يكون حاكما على وحدة إدارية أصغر من الولاية، كما يطلق على الوحدة "صنجقية". **يُنظر**: مصطفى عبد الكريم الخطيب: **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996، ص65.

[(3)] السراج: **المصدر السابق**، ج2، ص227.

[(4)] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 151.

[(5)] De la Primaudaie**: Documents..., op.cit**, « Relation de ce que Don Juan de Zamoguerra a vu et entendu à la Goulette, au fort de Tunis et à L'ile de Santiago 1574 », R.A, T21, 1877, p376.

بعدما شدد المسلمون الحصار على تونس، قامت الفرقة التي كانت تحتلّ برج الراهب بإخلائه[1]، فاضطرت القوات الإسبانية بمعية السلطان محمد[2] إلى ترك المدينة واللجوء إلى حصن الباستيون، الذي كان محصنا بالأخشاب والرمال، بالإضافة لتزوُّده بالمدافع والطعام والماء، وما يزيد عن 7 آلاف مقاتل، فدخلت القوات العثمانية مدينة تونس دون مقاومة [3].

أرسل الأمراء الذين حرروا مدينة تونس، يطلبون العون من "سنان باشا" لتحرير الباستيون، فبعث إليهم "قلج علي"، ولما وصل إليه ورأى حصانته، طلب هو الآخر منه مددا جديدا، فأوفد له حوالي 1000 جندي بقيادة "علي آغا" مُجهّزين ب14 مدفعا صغيرا وكبيرا، وأحاط الجميع بالباستيون من جميع الجهات، ولما بدأت المعركة وصل "سنان باشا" ليطّلع بنفسه على الوضعية، وليشدّ أزرهم، ثمّ عاد لحلق الوادي، وفي 10 أوت، وصل بايلرباي الجزائر "رمضان باشا" ومعه 5 آلاف رجل بالإضافة لعدد آخر من رجال القبائل الذين انضموا إليه في الطريق، فاجتمع مع "سنان باشا"، واتفقا على تشديد الحصار بقواته على الباستيون، وذلك لتعزيز القوات المحاصرة لها منذ 17جويلية [1].

وفي 7 سبتمبر أعلن "الدون خوان النمساوي" عن نيته في التوجّه لتونس على رأس أسطول يتكون من 60 سفينة لنجدة المحاصَرين المسيحيين، إلاّ أن مدريد لم تأذن له بتسيير الأسطول الإسباني إلا في 23 سبتمبر، لكنه أدرك أن الأوان قد فات[2] .

---

(1) De La Praimaudaie: **Documents…,op.cit,** « Relation des événements de la Goulette…», R.A, T 21, 1877, p298.

(2) بلغ تعداد قوات السلطان الحفصي من الإسبان والبدو 30 ألف، لكن البدو خذلوه في ميدان المعركة بعد اليوم الأول. **يُنظر** رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 151.

(3) ابن أبي الضياف: **المرجع السابق**، ج2، ص24.

(1) السراج: **المصدر السابق**، ج2، ص ص230-229.

(2) Braudel: **La Méditerranée..., op.cit**, T2, p97.

هذا وقد أورد صاحب البرق اليماني أن الأسطول العثماني كان قد التقى الأسطول الاسباني الذي جاء لنجدة حلق الوادي في عرض البحر، وتمكن من إغراق 30 سفينة إسبانية وأسر 50 أخرى بمن فيها من الجنود، **ينظر** قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني: **المصدر السابق**، ص 473. إلا أننا لم نجد لهذه الرواية ما يدعمها من مصادر أخرى أوربية كانت أم محلية.

بعد سقوط حلق الوادي توجه "سنان باشا" مع جيشه نحو الباستيون، بعدما سبقه إليه قلج علي، فتوحّدت القوات وشدّدت الحصار على الإسبان، الذي كان مرفوقا بهجمات متواصلة ومكثفة [1].

يُذكر أن تلك الأيام، كانت من أقسى ما عانى الإسبان يقول "روفيينو"(Rouvino) الذي ظلّ طيلة ذلك الوقت بين المحاصرين واصفا المشهد:" أظلمت السماء لغزارة الحجارة المنهالة علينا، واحترقت من كثرة الأجسام الملتهبة" [2].

لقد أمطر العثمانيون الإسبان بِوابل من ألواح الخشب المشتعلة ونيران البنادق، والأقواس فقُتل آلاف الجنود، أو أحرقوا وهم أحياء، وتحوّلت الأرض إلى ما يشبه ظهر القنفد لكثرة السهام المنغرزة فيها، وفي يوم الإثنين 13 سبتمبر شن العثمانيون هجوما استهلّوه بزرع الألغام تحت أبراج القلعة، وبعد تفجيرها كان من السهل اقتحام الحصن والاستيلاء عليه، والقضاء على من فيه واستولوا على كل ما فيه من مؤونة وسلاح[1]، وألقي القبض على القائد سربيلوني، وعدد من رجاله، كما قتل ابنه بطلقة نارية أصابته في رأسه [2]، وسقطت من جهة أخرى قلعة شيكلي وأُسر قائدها "دي زاموقيرا" [3]، وتمّ إرسال القادة الثلاثة (سربيلوني، زاموقيرا، وبورتوكاريرو)، والسلطان الحفصي "محمد"، مقيّدين إلى اسطنبول.

تكّبد الجانبان خسائر معتبرة، فالإسبان وحدهم خسروا 8 آلاف إذا ما أغفلنا العدد الكبير من أنصار مولاي محمد، أما العساكر العثمانية ومعها قوات المتطوعين من تونس وطرابلس والجزائر، فقد استشهد منهم 10 آلاف في حربهم مع الإسبان، وهكذا قضي على وجود الدولة الحفصية وعلى الوجود الإسباني في تونس [4].

---

[1] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 152.

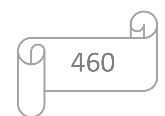
[2] Paul Sebag:"**une Relation inédite sur la prise de Tunis par les Turcs en 1574"**publier université de Tunis, 1971, p228.

[1] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 153.

[2] De la praimaudaie: **Documents..,op.cit**, « Relation…», R.A, T21, 1877, p37.

[3] Poinssot et Lantier**: op.cit**, p29.

[4] رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 153.



لقد أثار استرجاع تونس موجة عارمة من الابتهاج في جميع أنحاء العالم الإسلامي، حيث قال الصدر الأعظم "محمد باشا" سوفو لسفير البندقية بفرح:"حلقتم ذقننا في ليبانتو، فقطعنا يدكم في تونس، الذقن ينبت غيرها، أما اليد فلا ينبت غيرها أبدا" [(1)].

وغدت تونس تحمل الراية العثمانية، وعين "سنان باشا" "حيدر باشا" حاكما مسؤولا عليها، كلفه بإقامة حكم ونظام عثماني مثل الجزائر، وأمره بتحطيم باقي الحصون والمنشآت الإسبانية حتى يندثر التهديد الإسباني، وخاصة قلعة حلق الوادي، حتى لا يتمكن الإسبان منها مرة ثانية، لأنّ المتحكّم فيها يسهل عليه التحكم في تونس كما حدث في السابق، كما أمر "سنان باشا" بانتزاع أحجارها حتى أساسها بعد نسف القلعة عن آخرها[(1)] .

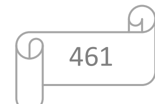
خامسا– الحملات الأوروبية على الإيالة التونسية بعد سنة (982هـ/1574م):

لم تتوقف المحاولات الإسبانية والأوروبية العديدة، عن القيام بحملات عسكرية مزدوجة كما كان الشأن في (26ربيع الأول984هـ/22 جوان 1576م) ضدّ تونس، حيث أعد "المركيز دي سانتاكروت" في الربيع من السنة المذكورة أسطولا متكونا من 35 سفينة وخمسة أخرى من نوع فرقاطه (Fregate) وقام بالرسوّ في جزيرة قرقنة [(2)]، "وهناك قاموا بإنزال الجيش، وهجموا على سكان الجزيرة، الذين رغم مقاومتهم لم يكونوا قادرين على ردّ تلك الحملة، كما قام العدو بإنزال ما بين 70 و80 فارسا بواسطة الزوارق، وقاموا بأسر حوالي300 من أهاليها، وأحرقوا القرى والمحاصيل، مما اضطرّ أهل الجزيرة للفرار، وعلى إثر السماع بخبر الحملة، عمل حاكم تونس (رمضان باشا) على تجميع قواته التي كانت تقدر ب 6 آلاف بين فرسان ومشاة، وقام بتوزيعهم على كل من سوسة والمنستير وبنزرت، من أجل مراقبة تحركات العدو، ورده في حالة الهجوم، وفعلاً بعدما قام العدو بالاستيلاء على الجزيرة المذكورة، تقدم نحو الساحل التونسي بغاية التزود بالماء، ولكن الجنود المرابطين هناك،

[(1)] De Grammont: **op.cit**, p117. **نقلا عن:**

[(1)] حاجي خليفة: **فذلكة أقوال الأخيار** ...، **المصدر السابق**، ص 310./ رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 153.

[(2)] عبد الجليل التميمي: **دراسات**...، **المرجع السابق**، ص 62.



منعوهم من ذلك، وحاربوهم بكل شدة واستطاعوا ردهم على أعقابهم، وقد سحبوا سفنهم ثم توجهوا على إثرها نحو جزيرة قورية القريبة من المنستير، حيث صادفوا سفينة تجارية فرنسية (من نوع شيتيه)، فأجبروا قائدها وهددوه بهدف إخفاء أمرهم وعدم الإخبار عن تحركاتهم، حتى يباغتوا السكان والأهالي بالمنطقة، إلا أن قائد السفينة توجه للمنستير وأخبر عن تحركاتهم.

هذا وقد كان أسطول العدو يتألف من 4 سفن مالطية و30 سفينة أخرى يقودها حاكم نابولي المدعو (Margues de Santo Gurnegi) الذي التزم ووعد الملك الإسباني بأنه سيجلب له في هذه السنة 30 سفينة عثمانية، كما وعد أخ الملك (دون خوان) بأنه سيحمل له بدوره 6000 أسير تركي في حالة إرسال المدد والمؤونة من الملك الكافر، مع العلم أن العدو قام سابقا بإرسال 4 سفن للجوسسة في بر الترك بمنطقة (ديل المقلجون) والتي كانت تنقل اليهود، وقد نزل أحدهم إلى البر لتقصي الأخبار، كما استولوا في طريقهم على سفينة تركية، وقد علموا بأن قبودان باشا ينوي الخروج بأسطول لمواجهة العدو، يتألف من 50 إلى 60 سفينة وقد رجعت تلك السفن إلى نابولي بعد أداء مهمتها في الوقت الذي علم فيه بأن نائب ملك نابولي، ينوي القيام بحملة ضد أرض العرب والإسلام للاستيلاء على السفن وأسرى الترك الذين وعد الملك بهم، مع العلم كذلك بأن أحد أبناء أحمد الحاكم السابق لتونس، حاول التنسيق مع العدو، وراسل أهالي تونس يحرضهم على العصيان والتمرد، إلا أنه قبض عليه وأرسل للباب العالي [(1)].

فما كان من السلطان العثماني إلا إصدار فرمان يؤكد فيه على ضرورة التشديد في حراسة إيالة تونس وتعزيز قلاعها وسواحلها من المتربصين بها [(2)].

أما "ابن عاظوم" فقد أورد أنه ألحق بها مضرة قدرت ب 20 ألف دوكة، وحصل على كثير من الأسرى، وقدرت غنائمه بألف أسير و15 ألف من الغنم ، وقد أشارت وثائق

---

(1) أ.ع: **مهمة دفتري** 28، ص129، بتاريخ 25 رجب 984هـ/ 18 أكتوبر 1576م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات**...، **المرجع السابق**، ص231.

(2) نفسه.

بن عاظوم إلى أن نبأ هذه الحملة قد روع التجارة البحرية[1]. وتمت محاولات الهجوم هذه بمساعدة المتعاونين التونسيين بقيادة أحمد الحفصي، وهم الذين لم ينجحوا في تغيير الوضعية القائمة [2].

أما "فاضل بيات" فيذكر أن الحملة التي كانت تستهدف جزيرة قرقنة، قد تمكنت من إنزال جنودها أيضا في مدينة المهدية، ألا أنهم جوبهوا بمقاومة شديدة من الأهالي، واضطروا للجلاء عنها [1]، وحسب استقرائنا للفرمانات الصادرة من السلطان العثماني فيما يخص حرصه على تثبيت الأمن والأمان ورعاية الأهالي والحفظ على سلامتهم في الإيالات المغاربية، فقد رصدنا هذه الوثيقة التي تكلمت على ضرورة معاقبة شخصين قاما ببذل المساعدة للكفار المسيحيين عند هجومهم على المهدية [2].

وكان لزاما على "حيدر باشا" العمل على تعزيز التحصينات واستحكاماتها وتكثيف عدد المجاهدين في المراكز الجهادية التونسية، لدرء الأخطار الخارجية عنها، إلا أنه لم يكن يملك الأموال الكافية لذلك، إذ أن موارد الإيالة كانت قليلة ومحدودة، فكتب إلى اسطمبول يُعلم الحكومة بوضع الإيالة وحاجتها إلى الأموال لإعداد قوات كافية، ولأجل ذلك طلب إلحاق القيروان والمنستير بتونس، كما كان في السابق، ولبى الديوان الهمايوني طلبه، وتم إلحاق هاتين المدينتين بتونس [3].

---

[1] أحمد قاسم: **المرجع السابق**، ص ص 186-187.

[2] عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص63. وللاستزادة أكثر حول الموضوع **ينظر**: أ.ع: **مهمة دفتري** 29، ص85، بتاريخ 3 رجب 984هـ/ 26 سبتمبر 1576م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص ص236-237.

[1] فاضل بيات: **الدولة العثمانية في المجال العربي...**، **المرجع السابق**، ص582.

[2] أ.ع: **مهمة دفتري** 47، ص182، بتاريخ 5 جمادى الثانية 990هـ/ 27 جوان 1582م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص256.

[3] فاضل بيات: **الدولة العثمانية في المجال العربي...**، **المرجع السابق**، ص582. وللاستزادة أكثر حول الموضوع **ينظر**: أ.ع: **مهمة دفتري** 28، ص146، بتاريخ 25 رجب 984هـ/ 18 أكتوبر 1576م./ عبد الجليل التميمي: **دراسات...**، **المرجع السابق**، ص236.

وفي سنة (994هـ/1586م) تم غزو جزيرة قرقنة على يد "بيدرو دي طولاد" Pidro De Tolade، ورتب على ذلك خلاء الجزيرة من أهلها، وتدهور أمرها، وكان الغزو قصد الحصول على الأسرى للتجديف على ظهر السفن المسيحية، وفي نفس السنة هاجم أسطول صقلي مدينة المنستير، وتمكن قراصنته من أسر بعض أهاليها، وكان دليل المغيرين مسيحي عاش بعض الوقت أسيرا في المدينة[1].

وممّا سبق يمكن القول أن الموقع الاستراتيجي لتونس جعلها محل أطماع للإسبان، فاستغل شارلكان قضية استنجاد الحسن الحفصي به لتثبيت أقدامه في المنطقة، وذلك لقطع الطريق أمام خير الدين، الذي حاول توحيد منطقة المغارب تحت سلطة العثمانيين، وفي المقابل رفض الإسبان هذا الوضع وحاولوا تغييره لصالحهم، فقام شارلكان بتسيير حملة ضد التونسيين سنة (941هـ/1535م)، وهكذا بقيت تونس تتأرجح بين الإسبان تارة، والعثمانيين تارة أخرى، إلى أن خضعت نهائيا للسلطة العثمانية سنة (982هـ/1574م).

---

[1] أحمد قاسم: **المرجع السابق**، ص187.

المبحث الثالث- مراكز حركة الجهاد البحري التونسي ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/ 17م):

إن انضمام تونس للدولة العثمانية سنة (982هـ/1574م)، قد مثل مرحلة جديدة في تاريخ إيالة تونس العثمانية السياسي والعسكري، بالنظر للدور الريادي الذي ستلعبه بعد ذلك من جهة، ولكون استراتيجية الدولة العثمانية في منطقة الحوض المتوسطي كانت تقوم على أساس الحرب المضادة مع دول غرب أوروبا وخاصة خلال القرن (11هـ/17م)، أو ما يُصطلح عليه بالقرن الذهبي لنشاط الجهاد البحري من جهة أخرى، أين تبرز إيالة تونس على الساحة السياسية لتُقارع الدول الأوروبية الكبرى في عقر دارها، ولعلّ ذلك يعود سببه لجملة من العوامل التي يمكن أن نوجزها فيما يلي: (تصاعد قوة ونشاط الأسطول التونسي ورغبته الملحة في منافسة الأساطيل الأوروبية، بروز الشخصية السياسية والعسكرية لطائفة رياس تونس، الدعم الأندلسي لعمليات الجهاد البحرية التونسية، ازدهار الاقتصاد التونسي بفضل مداخيل وعائدات البحرية التونسية والرغبة في تحرير الأسرى التونسيين من قبضة الأوروبيين...) [1].

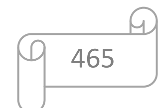
وعليه سوف نتناول في هذه المفصل الحملات الأوروبية على تونس خلال القرن (11هـ/17م)، ودور المراكز الجهادية التونسية في التصدي لها، ورد فعلها المضاد على ذلك.

أولا- دور مراكز حركة الجهاد البحري التونسي في مجابهة مالطا وحملاتها خلال القرن (11هـ/ 17م):

عُرف فرسان القديس يوحنا أو فرسان مالطا بعدائهم للمغاربة، وكان هدفهم حماية المسيحيين من أعداء ديانتهم المقدسة والإساءة للمسلمين بكل الطرق، وجعلوا أنفسهم شرطة البحر المتوسط، ولو كان بوسعهم لطردوا الأتراك العثمانيين من هذه المياه، حيث كانت سفنهم تترصد المراكب التجارية المتجهة من تونس إلى طرابلس والشرق، وتسلب كل ما أوتيت في طريقها حتى متاع الكنائس غير الكاثوليكية، وكانت مالطا من أشهر أسواق العبيد والأسرى المسلمين الذين كان معظمهم من السواحل الشرقية التونسية لكثرة غاراتها

---

(1) طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية بإسبانيا...**، **المرجع السابق**، ص ص 503-506.



عليها، ففي شهر (صفر 1011هـ/أوت 1602م) اقتحم فرسان مالطة وفرسان سانت ستيفانو (الذين يوجد مقرهم في مدينة بيزا بتوسكانيا) مدينة الحمامات التونسية الصغيرة، وتنكروا في زي الأتراك العثمانيين للقيام بعملياتهم بأريحية وإحكام، وانقضوا على السكان الذين خرجوا لاستقبالهم واستولوا على أزيد من 700 شخص، وغنموا ونهبوا كل ما وجدوه في طريقهم ثم أحرقوا المدينة وانسحبوا، فلم ينج منهم إلا من فر بنفسه [1].

وفي سنة (1012هـ/1603م) هاجموا مدينة المنستير، لكن هذا الهجوم لم يحقق لهم غاية، بسبب فقدان سرية العملية لتعاون الفرسان مع صقلية ونابولي والبندقية وفلورانسا والبابا وإسبانيا، مما تسبب في تفشي السر وانتشار أنباء الحملة، وبالتالي فشلها [1]، كما كان الفرسان يستعينون بالأمم النصرانية في الحوض المتوسطي، لأنهم كانوا يفتقرون للجرأة والكفاءة في قضائهم على العثمانيين، وعلى رأس هذه الأمم؛ الفرنسيين الذين ساهموا بقوة في تنظيم فرسان مالطا، كونهم يتمتعون بعلاقات حسنة مع الدولة العثمانية وإيالاتها المغاربية، فاستغلوا هذه العلاقة في شفاء غليلهم بهذه الأعمال، ليتبين للسفن التونسية عند اصطدامها بفرسان مالطا، أن غالبية الفرسان فرنسيون.

وجدد المالطيون الهجوم على مدينة الحمامات سنة (1014هـ/1605م) لينتهي بفشل عظيم كلفهم حصيلة كبيرة من أرواح المجدفين والفرسان والجنود، ويذكر "السفير صافاري دي براف"**Savary de Brèves** " قائلا: "إن التونسيين قتلوا عدا كبيرا من المهاجمين وأسروا عددا آخر، وقد علقت رؤوس القتلى على القصبة وجر بعضها من أنوفها في الشوارع وسط صياح الناس وهتافهم "مالطا خلاص! مالطا خلاص!" [2].

ومن أهم الحملات التي قادها الأسطول المالطي ضد الإيالة التونسية كانت في أوت من سنة (1014هـ/1605م)، وقد تكون هذا الأسطول من خمسة قوادس شراعية مستهدفة

---

(1) درويش الشافعي: **العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م "مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية، المرجع السابق**، ص ص 80-81. / أحمد قاسم: **المرجع السابق**، ص372.

(1) أحمد قاسم: **المرجع السابق**، ص ص 186 -373.

(2) نقلا عن أحمد قاسم: **المرجع السابق**، ص ص 369-372. / توفيق البشروش: **المرجع السابق**، ص 91.

جزيرة زمبرة، والتي أبحرت على بعد 20 كلم من الوطن القبلي (الهوارية)، حيث استطاع فرسان الحملة النزول على شاطئ الجزيرة مصحوبين بمعداتهم الحربية المتمثلة في المدافع والقنابل والبارود، وشرعوا في حفر الخنادق عند أعلى جزء من الجزيرة، للاحتماء بها من هجمات التونسيين الذين سعوا بكل جهدهم للانقضاض على الفرسان الذين حاولوا التحصن في الجزيرة، بل وإن تمركزهم الجيد واستعدادهم سهّل من مهمتهم في مواجهة التونسيين الذين تكبدوا خسائر فادحة في العتاد والأرواح[1]، حيث استشهد 300 من أهاليها، إلا أن ذلك لم يثنهم عن عزيمتهم، وغدا الفرسان في موقف حرج، بسبب عدم وصول النجدة إليهم من مالطة، لأن انطلاقهم كان من صقلية ولا علم لمالطا بجنوح قوادسها، وكانت مؤنهم وذخيرتهم الحربية على وشك النفاذ، فانهارت معنوياتهم وكانوا على وشك الاستسلام، لولا ظهور سفينة تجارية أوربية، أجبرها هيجان البحر على إلقاء مراسيها على بعد 5 أو 6 أميال من الشاطيء، والتي قدمت لهم يد المساعدة فتمكن معظمهم من النجاة، وأسر مجاهدو تونس القلة الباقون مع الاستيلاء على المدافع والغنائم المتبقية وتم نقلهم إلى حلق الوادي [1].

وفي عهد يوسف داي سنة (1034هـ/1625م)، تمكّن أسطول بنزرتي من الهجوم على سفن تابعة لفرسان مالطا، وأسروا حوالي 140 شخصا، وفي سنة (1036هـ/1627م) تم الهجوم أيضا على سردينيا التي أسروا منها أيضا 140 شخصا [2].

وكان الأسطا مراد قبل توليه دايا على تونس قد خرج بأسطول عدته 6 سفن، والتي اشتبكت مع أسطول مالطي مكون من 5 سفن كانت قد خرجت من جزيرة صقلية متجهة لتونس، ووقعت الحرب بين الأسطولين وكان النصر حليف رياس تونس، الذين غنموا سفينتين مالطيتين كبيرتين؛ أحدهما اسمها بطرونة والأخرى فرانسيشق، بينما تمكن مركب

---

[1] البارون ألفونصو روسو: **المرجع السابق**، ص110.

[1] البارون ألفونصو روسو: **المرجع السابق**، ص 111. / طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية بإسبانيا...**، **المرجع السابق**، ص 510.

[2] توفيق البشروش: **المرجع السابق**، ص 91.

القبطان المالطي من الفرار، ووجدوا بالمركبين نحو 500 أسير مسلم، وفي سنة (1037هـ/1628م) أخذ المالطيون سفينتين تونسيتين [1].

وهاجم رياس تونس أيضا سواحل كلابريا، سنة (1045هـ/ 1636م)، وتمكنوا من اعتقال 700 شخص،[2] وفي عهد الداي" أحمد خوجة " تسلل أسطول مالطي بقيادة " الأمير لاندجراف دوزيا" بكل شجاعة إلى ميناء حلق الوادي في (7 جمادى الاول 1050هـ/24 أوت 1640م)[1]، بالرغم من التحصينات الكبيرة والحراسة المشددة، وتمكنوا من إشعال النار في السفن التونسية الراسية بالميناء، الأمر الذي جعل السلطات التونسية تعيد النظر في تحصين قلعة حلق الوادي، والعزم على إنشاء حصن جديد أكثر حصانة[2]، ويقول في ذلك صاحب كتاب المؤنس:" وفي أيامه جاءت أغربة مالطة، ودخلت إلى حلق الوادي وأخذت منه عدة مراكب أحدها مركب بوشاشية وأحرقوا مراكب أخرى، وفعلوا فعلا عظيما ولم يمنعهم البرج الذي هناك، ومنذ ذلك أُمر ببناء برج آخر لحصانة المرسى"[3].

تعرض الإنجليز ومجاهدو تونس لصدمة عنيفة بسبب هذا الهجوم المباغت، الذي أربكهم ولم يحسنوا التعامل معه بشكل صحيح، حيث قاموا بإطلاق القذائف العشوائية في كل الاتجاهات لصد الهجوم الذي لم يعلم ابتداء من الجهة المنفذة، ومع ذلك قامت القوات الإنجليزية بالتصدي لهذا الهجوم، ليحظى مجاهدو تونس بفرصة تنظيم صفوفهم واستجماع قواهم وإحكام التنسيق والخطط مع الإنجليز للتصدي للمالطيين وتدارك الارتباك الحاصل في بداية الهجوم، فباشروا في إطلاق القذائف باتجاه المهاجمين، وقدرت القذائف التي أطلقت

---

[1] درويش الشافعي: **العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م "مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية "**، **المرجع السابق**، ص82.

[2] توفيق البشروش: **المرجع السابق**، ص 91.

[1] أورد " **طاهر تومي** " بأن هذا الهجوم تزامن مع وجود سفن انجليزية راسية في الميناء، تضررت هي أيضا، ويورد بأنه لولا الدفاع الذي أبدته السفن الإنجليزية ضد هجوم الفرسان لكانت النتائج كارثية أكثر....للاطلاع أكثر **يُنظر**: طاهر تومي: **علاقات الايالات المغاربية...**، **المرجع السابق**، ص514.

[2] البارون ألفونص روسو: **المرجع السابق**، ص ص 120-121.

[3] ابن أبي دينار: **المصدر السابق**، ص 234.

بحوالي 1500 قذيفة مدفع [1]، كانت كافية لشل حركة القراصنة المالطيين والحد من نشاطهم، وفي نفس الوقت المساهمة في إنقاذ الوضع من الخسائر المادية والبشرية والدفاع عن المدينة، مما أجبر القائد "لاندجراف دوزيا" على الانسحاب وقواته فورا، مخلفا وراءه خسائر بالغة في الأرواح والعتاد الحربي والمراكب، ودمارا كبيرا بالمدينة ومرساها، وتم تجسيد هذه الحملة في لوحة فنية معلقة بقصر الحكومة بجزيرة مالطا، تم فيها تخليد اسم "الأميرال لاندجراف دوزيا" كتب تحتها العبارة التالية: "اصطياد خمسة مراكب من طرف الجنرال الأمير لاندجراف دوزيا في (7 جمادى الاول 1050هـ/24 أوت 1640م)" [1].

وفي سنة (1050هـ/1640م) هاجم فرسان مالطة ميناء غار الملح التونسي، وألحقت به خسائر كبيرة تمثلت في إحراق السفن الراسية به، فأدخلت عليه السلطة ترميمات وتحويرات وعمليات صيانة، وتضيف مصادر غربية أنه وتحديدا في (7 جمادى الأولى 1050هـ/24 أوت 1640م)، هاجم فرسان مالطة ميناء حلق الوادي وتحدوا تحصيناته، وتوغلوا داخل الميناء بالسفن الشراعية المالطية، وأخذوا وأحرقوا العديد من السفن التونسية[2]، لذلك قرر " الأسطا مراد" بناء ميناء جديد، وقد أورد "السراج" في شأن ذلك ما يأتي: "وفي أيامه بني البرج الذي بغار الملح على يد أسطا موسى الأندلسي ... وكان من أجلّ المراسي عمارة وحصنا، وكان قبل ذلك مكمنا للنصارى، فانحسم بذلك ضررهم ..." [3].

أما خلال الفترة الممتدة بين سنتي (1059-1072هـ/1650-1662م)، فتشير المصادر إلى بعض الانتصارات التي حققها رياس البحر التونسيين على القراصنة المالطيين، فمثلا استولى الرياس الذين أبحروا من ميناء بنزرت على ثلاثة مراكب تابعة لمالطة من نوع

---

(1) طاهر تومي: **علاقات الإيالات المغاربية...**، **المرجع السابق**، ص ص 514-515.

(1) البارون ألفونص روسو: **المرجع السابق**، ص ص120-121.

(2) Jules Ferry: **op.cit** ,p 142.

- **يُنظر** كذلك درويش الشافعي: **العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م "مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية "**، **المرجع السابق**، ص82. / توفيق البشروش: **المرجع السابق**، ص 92

(3) الوزير السراج: المرجع **السابق**، ص379.

بارك، وهولندا (ناف)، وجنوة (بيطاش)، وغنموا فيها 57 أسيرا، وكان ذلك في شهر (شعبان 1060هـ/أوت 1650م) [1].

ثانيا- المواجهات بين رياس البحر التونسيين والبنادقة خلال القرن (11هـ/ 17م):

غالبا ما كانت تتعرض سواحل أوروبا الجنوبية والسفن الغربية، ومنها سفن جمهورية البندقية لغارات رياس البحر التونسيين كرد فعل على تجاوزاتهم ضد المسلمين في الحوض الشرقي للمتوسط، الأمر الذي كان يستدعي رد فعل مباشر من البنادقة، ذلك أن البندقية كانت تعتبر تونس عدوةً لها على اعتبارها تابعة بصفة رسمية للدولة العثمانية حينها، وخاصة بعدما كانت تونس، تُعين الباب العالي في كل المعارك البحرية الموجهة ضدّ السفن الأوروبية[1].

وحسب ما أورده" خليل ساحل أوغلي " فإن السفن البندقية كانت غالبًا ما تقع ضحية الاعتداءات التونسية، وبالمقابل فإنها كانت ترفع الشكاوي والاحتجاجات بين الحين والآخر للسلطان العثماني، لعله بذلك يُصدر أمرًا يدعوا للمهادنة والسلم بين الطرفين من جهة، ويُلزم رياس تونس بضرورة إرجاع السفن والغنائم التي استولوا عليها بعد هجومهم على الأساطيل البندقية من جهة أخرى، لكن السلطان العثماني كان لا يكترث لمثل هذه الشكاوي، على اعتبار أن ذلك يدخل في إطار الحرب البحرية المضادة [2].

---

[1] A. Riggio: **Esclaves et Missionnaires en Barbarie (1672-1682)** , RA ,Alger, 1949 ,T93 ,p p 38-64.

- **يُنظر** كذلك درويش الشافعي: **العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوربا المتوسطية خلال القرن 18م مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية**، المرجع السابق، ص 82.

[1] تميزت أيالة تونس العثمانية بوضع مغاير عن الأيالات المغاربية العثمانية، ذلك أنها كانت في الغالب لا تعترف بجل العهود والمواثيق التي عقدتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية، معتبرةً أن كل دولة لا تتعاقد معها رسميًا دولة عدوة يجوز الاعتداء والسطو على سفنها البحرية، فيما يُعرف بوثيقة العبور الرسمية التي كانت تشترطها تونس على الدول الغربية لمزاولة نشاطها في البحر المتوسط دون مضايقة منها....**يُنظر** خليل ساحلي أوغلي: **من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني بحوث وقوانين**، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، استنابول، 2000م، ص 332.

[2] خليل ساحلي اوغلي: **من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، المرجع السابق**، ص 332.

وبالحديث عن العلاقات العدائية التي كانت تربط الطرفين ببعضهما، فقد خرج أسطول البندقية في (8رجب1027هـ/ 30جوان 1618م) بقيادة الضابط "برنردان أودا" " Bernerdan Oda" إلى جزيرة " تينو" Tenoبالأرخبيل، وفي طريقه تعرض لهجوم الأسطول التونسي، والذي كانت نتيجته مقتل خمسة بنادقة، وغنم عدد من سفنهم[1].

وتُورد بعض وثائق الأرشيف العثماني قائمة بالغنائم والموارد التي حازت عليها البحرية التونسية والجزائرية في حربها ضدّ البنادقة، وخاصة في الفترة الممتدة بين سنتي (1020هـ/1612م و(1047هـ/1638م)، حيث بلغت السفن البندقية المحجوزة حوالي 37 سفينة ضخمة علاوةً على عدد كبير من السلع والأسرى ...وغيرها من الغنائم المختلفة، وفي هذا الصدد لم تغفل البحرية التونسية عن الاشتراك مع البحرية الجزائرية بغية الاستيلاء على سفينتين كبيرتين من سفن البندقية، والتي قدرت قيمة ما تحتويه من بضائع وسلع ما يُقارب 700 ألف قرش[1].

وفي (12 محرم 1028هـ/29 ديسمبر 1618م)، استولى الأسطول التونسي على سفينة بندقية محملة بالبضائع واتجهوا بها إلى ميناء حلق الوادي[2]، وفي سنة (1033هـ/1624م) هاجم رياس تونس بالتعاون مع رياس الجزائر ميناء "بيراستووهي" Perastohée البندقي الواقع على ضفاف البحر الأدرياتيكي، فأسروا حوالي 300 شخص ونهبوا الكثير من الغنائم، وفي هذا الشأن يورد " المنور مروش " تصريحا بندقيا جاء فيه ما نصه: "...يقول البنادقة إن 6 غليوطات جزائرية بقيادة مامي و7 غليوطات تونسية بقيادة الأسطى مراد قد اكتسحت مدينة بيراستو وأخذت منها 450 شخصًا في 22 جوان 1624م..."، وعلى إثر ذلك استمرت الغارات التونسية والجزائرية على السواحل البندقية، لتضطر جمهورية البندقية بعد ذلك للتفاوض مع أمراء هذه الإيالات كمحاولة منها لعقد

---

[1] توفيق البشروش : **المرجع السابق** ، ص ص 84- 85.

[1] المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص ص 313-314.

[2] درويش الشافعي: **علاقات تونس مع جمهورية البندقية خلال العصر الحديث من العداء إلى السلمية**، في مجلة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجل. 18، ع.1، جامعة زيان عاشور، الجلفة-الجزائر، 2021م، ص 336.

الصلح معهم عن طريق بعض السفراء والمبعوثين، وقد ظلّ هذا الأمر إلى نهاية العقد، خاصة بعدما أقدمت السفن الجزائرية والتونسية من جديد على غنم حوالي 18 سفينة بندقية [1].

ويُذكر أنه في سنة (1047هـ/1638م) قد حدثت مشاحنة بين إيالة تونس وجمهورية البندقية، حيث أغارت السفن التونسية على سواحل جزيرة أقريطش، في الوقت الذي كانت فيه سفن البندقية مرابطةً في سواحل البحر الأدرياتيكي فقامت بمطاردتهم ومحاصرتهم، الأمر الذي أدى بهم للاحتماء بميناء أولونة، لكن ذلك لم يجد نفعًا أمام شدة وإصرار الأسطول البندقي على ملاحقتهم، فولوا راجعين إلى بلدانهم [1].

وبذلك فقد ألحقت الغارات المفاجئة التي كانت تشنها الأساطيل التونسية والجزائرية على أساطيل البندقية أضرارًا جسيمة، وخاصة في الفترة الممتدة ما بين سنتي (1030هـ/1621م) و(1039هـ/ 1630م)، ذلك أن أوروبا كانت منشغلة خلال هذه الفترة بحرب الثلاثين سنة، والدولة العثمانية منشغلة هي الأخرى بحربها مع إيران، لذلك وجد رياس تونس والجزائر في الأمر فرصة سانحة لتوجيه ضرباتهم البحرية ضدّ البنادقة، وهو ما تحقق لهم فعليًا في حرب أولونة الشهيرة، فقد حدث أن حاصر أسطول البندقية بقيادة الأميرال البندقي "قوبيللو" "koubillo" ثمانية سفن تونسية وثمانية سفن جزائرية كان يقودها الأميرال "علي بتشين" [2].

---

[1] المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص ص 318-317.

[1] في هذا الصدد تشير المصادر أن رياس تونس والجزائر بعد سطوهم على جزيرة اقريطش طاردوا السفن البندقية وقد تمكنوا جراء ذلك من حجز سفينتين منهما، فأخذوهما إلى حيث ميناء أولونه الواقع على الساحل الألباني لذلك اضطر الأسطول البندقي لملاحقتهم. **يُنظر** خليل ساحل أوغلي: **من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، المرجع السابق** ص ص 333- 334 .

[2] البارون ألفونص روسو: **المرجع السابق**، ص 120.

وقد تمكن التونسيون والجزائريون من الفرار بعد تغلب الأسطول البندقي عليهم، وتم إحراق معظم سفنهم، فتوجهوا للقسطنطينية أين عوضهم السلطان العثماني بغلائط[1] مثلها[1]، وقد استمر هذا الوضع المتوتر حتى سنة (1055هـ/1646م) أين أحدثت القوادس الجزائرية والتونسية البالغة حوالي 20 قادسا أضرارًا جسيمة على مستوى البحرية البندقية [2].

وقد عثرنا عند بحثنا في الأرشيف العثماني على دفتر يحتوي مقادير الذخاير (المأكولات والنقود) الموزعة على غزاة تونس والجزائر المسؤولين على بعثة كريت[3].

كما تُشير المصادر المؤرخة لهذه الفترة أن الأسطول التونسي والطرابلسي قد توجهوا بأمر من السلطان العثماني في (جمادى الأولى 1064هـ/ مارس 1654م) إلى اسطنبول بُغية المساهمة في الحرب العثمانية ضدّ البنادقة، حيث أبحرت هذه الوحدات مشكلة من 45 قادسًا و20 سفينة، في الحين الذي كانت لا تتعدى فيه سفن خصومهم البنادقة سوى 16 سفينة و8 قوادس، فكان النصر المحقق لصالح رياس" تونس وطرابلس " في معركة الدردنيل الشهيرة، ليعود المغاربة أدراجهم بعد خمسة أشهر من ذلك [4].

ولعلّ الرسالة التي وجهها السفير البندقي في فرنسا "جيوبوتيستا سلفاغو" Geopotista "Selfago"، توضح شدة العداوة واللاسلم بين الطرفين التونسي والبندقي، والتي جاء فيها ما نصه: "...إن الدولة الفلاماندية تحمل إلى باربايا الصواري والحبال والبارود والقار والمجاديف والأخشاب، وأيضا مدافع البرونز الخاصة بممرات القوادس، ولو وجدوا فرصة أكبر للربح لأقدم الهولنديون حتى على بيع أنفسهم بكامل تجهيزاتها، على أن يؤدي دعمهم

---

(1) **الغلائط**: جمع غليوط "**Galiote**"، وهي عبارة عن نوع من السفن الشبيهة بالسفن الشراعية الحربية، تتولى مهمة حراسة ميناءالمدينة ومراقبة السواحل...، **يُنظر** كمال مايدي: **علاقات تونس مع دول أوربا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782م إلى 1814م**، رسالة ماجيستير، تخصص التاريخ الحديث، إشرا. عمار بن خروف، المركز الجامعي بغرداية، (2011-2012م)، ص 71.

(1) ابن أبي دينار : **المصدر السابق**، ص 197.

(2) المنور مروش: **المرجع السابق**، ص 327.

(3) أ.ع: (D..BŞM.d.. 18100، بتاريخ أواسط جمادى الأولى سنة 1057 هـ / 18 يونيو 1647 م.

(4) شارل فيرو: **المرجع السابق**، ص 155.

للقراصنة إلى الإضرار بأعدائهم الإسبان.."، دون أن ننسى دعم قراصنة وفرسان القديس يوحنا للبنادقة، فقد حدث اتفاق بينهما يقضي بأن تزود جمهورية البندقية الفرسان بما يحتاجون إليه من موارد وسفن، وبالمقابل يكون هؤلاء الفرسان أداة فعالة تخدم البنادقة في حروبهم البحرية ضدّ المغاربة [(1)].

بقي الصراع محتدمًا بين الطرفين طيلة القرن (11هـ/17م)، ودليل ذلك أنه في العقد الأخير من القرن (11هـ/17م)، طلب السلطان العثماني من الحاج حسين ميزومورتو الإشراف على أساطيل الإيالات المغاربية (الجزائر، تونس، طرابلس)، وضرورة إلحاقها لميدان المعركة، كما أسلفنا في فصل الجزائر[(2)]، كما نوه بضرورة الاستعداد للجهاد والغزو في سبيل الله، وتجهيز الأسطول التونسي وإرساله للمشاركة ضدّ البنادقة[(3)].

كما طلب من بايلرباي تونس مصطفى وأفراد الديوان بتوزيع الذهب والخلع (الخلعة) بين العساكر للاشتراك مع الأسطول العثماني لخوض الحرب سنة (1011 هـ/ 1690م)[(4)].

وفي سنة (1106هـ/1695م) هاجم رياس تونس سفينة بندقية، فأخذوا ما بها من غنائم وبضائع قدرت قيمتها بحوالي 12025 ريال، وبعد هذا التاريخ بحوالي أربع سنوات أمضت الدولة العثمانية على معاهدة السلم مع جمهورية البندقية، فالتزمت السفن التونسية والمغاربية بضرورة تطبيق بنود المعاهدة والكف عن التعرض للسفن البندقية في البحر المتوسط[(5)].

---

(1) درويش الشافعي: **العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوربا المتوسطية خلال القرن 18م مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية، المرجع السابق**، ص 94.

(2) أ.ع: **مهمة دفتري** رقم 98، حكم رقم 233، ص75، بتاريخ 10 ربيع الأول 1100 هـ/1جانفي 1689م/ للاطلاع على فرمان الباب العالي للايالات المغاربية للمشاركة في الحرب ضدّ البنادقة، يُنظر: **الملحق رقم 21**.

(3) للاطلاع على فرمان الباب العالي لحاكم إيالة تونس للإلتحاق بالأسطول العثماني والمحاربة معه ضدّ البنادقة، يُنظر: **الملحق رقم 22**.

(4) أ.ع: **مهمة دفتري** مهمة دفتري رقم 99، حكم رقم 300، ص95، بتاريخ أوائل جمادى الأولى 1011 هـ / أواسط فبراير 1690 م.

(5) درويش الشافعي: **علاقات تونس مع جمهورية البندقية خلال العصر الحديث من العداء إلى السلمية، المرجع السابق**، ص ص 337-338.

من هذا المنطلق نرى أن العلاقات التونسية البندقية قد غلب عليها طابع العداء واللاسلمية، ليستمر ذلك حتى نهاية القرن (11هـ/17م) بعد تدخل الباب العالي في الأمر، ولعلّ ذلك الصراع لم يأت من فراغ، وإنما حركته موجة الغارات البحرية والحروب المضادة على مستوى المتوسط، دون أن ننسى حدة الصراع الديني بين البلدين، الذي كان عاملاً أساسيًا في تحديد مصير هذه العلاقات.

ثالثا- دور مراكز حركة الجهاد البحري التونسي في مجابهة إنجلترا وإسبانيا وحملاتهما خلال القرن(11هـ/ 17م):

1/ دور مراكز حركة الجهاد البحري التونسي في مجابهة إنجلترا وحملاتها:

تعرضت تونس لغارة انجليزية في عهد حمودة باشا المرادي، وعلى إثرها قام الداي المذكور بتعزيز استحكامات السواحل التونسية[1]، كمّا أبرمت إنجلترا عدة اتفاقيات مع إيالة تونس، وقعت إحداها في (22 صفر 1073هـ/5 اكتوبر1662م)، وفي تلك السنة نفسها حذا الهولنديون حذو الإنجليز، حيث وقع رويتر باسم هولندا اتفاقية مع إيالة تونس، وفي سنة (1076هـ/1665م)[2].

وقدم الأميرال روبرت بلاك[3] بأسطوله إلى مرسى غار الملح الحديث، حيث تسببت مدافعه في إصابة حصنه والبلدة نفسها بأضرار فادحة، وقام بحرق 9 مراكب

---

(1) فاضل بيات: **الدولة العثمانية في المجال العربي...**، **المرجع السابق** ، ص583.

(2) أورد بن أبي الضياف الذي أن هذه الحملة كانت سنة (1075هـ/1665م)، في حين أن السراج وأبا دينار قالا بأنها كانت سنة (1065هـ/1655م).

(3) **روبيرت بلاك (1598- 1657م)**: من مواليد السابع والعشرين من شهر سبتمبر 1598م ببردجوات، شغل منصب ضابط البحرية الانجليزية خلال القرن 17م، وهو من أهم القادة العسكريين لدى السلطات الانجليزية، ممّا خول له صلاحية حماية التجاوة الانجليزية في البحر الأبيض المتوسط خلال هذه الفترة (1654م)، من أهم إنجازاته الحربية أنه تمكن من إرغام الأيالات المغاربية (الجزائر، تونس وطرابلس الغرب) على توقيع معاهدة السلام في الحرب مع الإسبان سنة 1656م، كمّا تمكن من حصار قادش والاستيلاء على حوالي أسطولين إسبانيين محمليّن بالسلع النفيسة والكنوز...للاطلاع أكثر **يُنظر** محمد أمين بوحلوفة: **المرجع السابق**، ص 118.

تونسية، وتمكن من إطلاق سراح جميع الأسرى الأنجليز والهولنديين الذين كانوا معتقلين في سجون تونس[1].

كما اغتنم الإنجليز فرصة فشل الجنويين في السيطرة على الرأس الأسود[1]، والعلاقات السيئة بين فرنسا وكل الإيالات المغاربية، ليستحوذوا على الرأس الأسود عامي (1091-1092هـ/1681-1682م) كمقابل لما قدموه من بارود للباي في حربه الأخيرة، حيث احتكروا تجارة القمح ما بين سنتي (1094-1096هـ/1683-1685م) [2]، وقد استعاد سكان طبرقة الموقع سنة (1094هـ/1683م)، إلا أن ذلك لم يدم كثيرا حتى استرجعه الأنجليز سنة (1096هـ/1685م) [3].

2/ دور مراكز حركة الجهاد البحري التونسي في مجابهة إسبانيا وحملاتها:

تميزت العلاقات التونسية الإسبانية خلال القرن (11هـ/17م) بالعداء المستمر، ويعود السبب في ذلك أن الأيالة التونسية كانت تدعم مسلمي الأندلس، من خلال استقبالها لأكثر من 80 ألف أندلسي فار من محاكم التفتيش والاضطهاد، وخاصة فترة حكم الداي عثمان الذي أعطى للأندلسيين عددا من الامتيازات الاقتصادية، بما في ذلك الأموال والأراضي التي أقطعها لهم، وهو ما نتج عنه تعمير مدن جديدة بهم[4].

وفي هذا الصدد يُقال أن "عثمان داي" قد أقدم على توزيع الأراضي على الأندلسيين الفارين، كما وزع عليهم السلاح وأعفاهم من الضرائب ومنحهم شبه استقلال ذاتي بالمناطق التي

---

(1) البارون ألفونص روسو: **المرجع السابق**، ص 122.

أورد بن أبي الضياف الذي أن هذه الحملة كانت سنة (1075هـ/1665م)، في حين أن السراج وأبا دينار قالا بأنها كانت سنة (1065هـ/1655م).

(1) خلال النصف الثاني من القرن (11هـ/17م) شهد مركز الرأس الأسود سيطرة جنوية دامت أكثر من خمسة عشرة عاما بصفة متقطعة، بينما لم يتجسد احتلال الفرنسيين له إلا بإبرام معاهدة 1666م، **ينظر**:

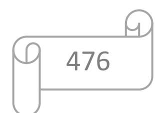
- مبروكة خرنق: **المرجع السابق**، ص 91.

(2) J.P. Vittu : **un document sur la Barbarie en 1680 et 1681 , la relation de voyage du sieur Dancour** , in.C.T. T25, N99-100, Tunis, 1977, p295.

- **يُنظر** كذلك مبروكة خرنق: **المرجع السابق**، ص91.

(3) Boubaker Sadok: **op. cit**, p178 .

(4) شوقي عطا الله الجمل: **المرجع السابق**، ص109.



استقروا بها، وكان الأندلسيون قد وفدوا من مناطق متفرقة من كاتالونيا وطراقونا وأراقون وقشتالة، وجلبوا معهم أغلب الصناعات، وهو مايؤكد بطبيعة الحال الدور الذي لعبه الأندلسيون في العلاقات السياسية التونسية الإسبانية خلال القرن (11هـ/17م)، فقد أدى الموركسيون دورا هائلا في مجال الجهاد البحري التونسي نظير خبراتهم السالفة في هذا المجال ونظرا لأن عدوهم واحد، فلم يبخلوا بمعارفهم الحربية في مجال الجهاد البحري، أين استفادت البحرية التونسية من ذلك، وهو الأمر الذي أنهك وعرقل مسيرة الإقتصاد الإسباني آنذاك [(1)].

كما طغى على العلاقات السياسية التونسية الإسبانية طيلة القرن (11هـ/17م) طابع العداء، على اعتبار أن إسبانيا خلال هذه الفترة كانت ماتزال العدو الأول لتونس، وما دعم تلك العلاقات العدائية، هجرات الأندلسيين اللّذين كانوا غالبا ما يُغذون تلك العداوة بغض النظر عن مشاركتهم في مجال البحرية التونسية، وهو ما عاد بالدرجة الأولى بالسوء على دولة إسبانيا، سواء على مستوى تجارتها الداخلية أو الخارجية، بدليل ماسببته لها البحرية الجهادية المغاربية من هجمات أنهكت كاهلها [(2)].

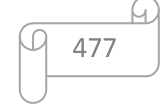
وهو ماعملت إسبانيا الكاثوليكية على الرد عليه من خلال تحالفها مع الفرنسيين، موجهين حملة إلى ميناء حلق الواد التونسي سنة (1012هـ/1604م)، أين أقدموا على حرق وإغراق حوالي 16 سفينة حربية محملة بأكثر من 400 قطعة مدفعية [(3)]، وهو ما أعادوا فعله سنة (1017هـ/1609م) كهجوم مشترك بينهما على ميناء حلق الواد محرقين حوالي 30 مركبا تونسيا، وبعد هذه السنة تقريبا أخذ الجهاد البحري التونسي ينتعش ويتطور بدليل الخبرات والمعارف التي أدخلها الموريسكيون في مجال تجديد السفن والمراكب الحربية البحرية، حيث أخذت حركة الجهاد البحري التونسي ديناميكية ظرفية على اقتصاد موانئ الإيالة، خاصة ميناء تونس، حلق الوادي، غار الملح، بنزرت، سوسة وصفاقس...الخ، وهنا كان الأعلاج يشرفون على مراقبة

---

(1) الشافعي درويش: **العلاقات السياسية والتجارية ....، المرجع السابق**، ص ص 193-194.

(2) جون وولف: **المرجع السابق**، ص ص 243-245.

(3) جون وولف: **المرجع السابق**، ص 248.



نشاط البحرية التونسية، على اعتبار أن الاستثمار الإقتصادي كان تابعا بالدرجة الأولى للنفوذ السياسي [(1)].

ومن هذا المنطلق فقد استمرت العلاقة عدائية بين تونس وإسبانيا، تحكمت فيها أثناء ذلك ظرفية القرصنة، الأسرى، ومايدل على استمرار هذه العلاقة العدائية حتى الربع الأخير من القرن (11هـ/17م)، أنه في سنة (1106هـ/1695م) أُفْتُدِيَ أسيرين إسبانيين مقابل حوالي 2760 ريال و26 ناصري بالنسبة للأسير:"ماطيو مولينا"، وحوالي 3520 ريال و13 ناصري للأسير:"دييقوقياندولفو"، وعليه يمكن القول أنه بالرغم من حالة العداء الغالبة على علاقة الطرفين فيما بينهما إلاّ أن المبادلات التجارية الغير مباشرة فيما يعرف بتجارة العبور كانت تمثل مظهرا آخر للعلاقات السلمية بين تونس وإسبانيا طيلة القرن (11هـ/ 17م) [(1)].

رابعا- دور مراكز حركة الجهاد البحري التونسي في مجابهة فرنسا وحملاتها خلال القرن (11هـ/ 17م):

تعود الجذور الأولى للعلاقة السياسية بين الطرفين التونسي والفرنسي لمعاهدة الإمتيازات المبرمة بين السلطان العثماني سليمان القانوني والملك الفرنسي فرانسوا الأول سنة (941هـ/1535م)، والتي وضعت الحجر الأساس لعلاقات الدولة العثمانية وأيالاتها المغاربية مع فرنسا، ومن بنود هذه المعاهدة ما نصه:"...يجوز لرعايا وتابعي الطرفين البيع والشراء والمبادلة في كافة السلع الغير ممنوع الإتجار فيها ولسيرها ونقلها برا وبحرا من مملكة إلى أخرى مع دفع العوائد والضرائب المعتادة قديما بحيث يدفع الفرنساوي في البلاد العثمانية مايدفعه

---

(1)درويش الشافعي: **العلاقات التونسية الإسبانية مابين سنتي 1705و1735م بداية تأثير المصالح التجارية على الذهنية الدينية**، في المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 12، ع 1، جويلية 2020م، ص ص 169-171.

(1) الشافعي درويش: **العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م**...، **المرجع السابق**، ص ص 196-197.

الأتراك، ويدفع الأتراك في البلاد الفرنساوية مايدفعه الفرنسيون دون أن يدفع أي الطرفين عوائد أو ضرائب أو مكوسا أخرى..."[1].

وبحكم العلاقات الفرنسية العدائية مع إسبانيا الكاثوليكية فقد كانت تربط فرنسا بالأيالات المغاربية العثمانية علاقات تجارية حسنة، أصبحت فيما بعد هدفًا لغارات مجاهدي البحر التونسيين وخاصة بعد توقيع "هنري الرابع" على معاهدة الصلح مع إسبانيا [1]، لتبدأ الحرب البحرية بين الطرفين في ظل عزيمة وإصرار رابطة الموانئ الفرنسية على تطهير البحر المتوسط من الرياس التونسيين بصفة خاصة وأشباههم المغاربة بصفة عامة، وقد تمكنت هذه الرابطة مع مرور الوقت من تكوين عصبة مارسيلية مناوئة للملك الفرنسي المتحالف مع السلطان العثماني " مراد الثالث " ، حيث اشتكى المارسيليون للسلطان من أعمال الغزو المغاربي التي هددت تجارتهم، إلا أن الأخير لم يأبه لذلك، بل سمح للمغاربة بمطاردة المارسيليين بسبب دخولهم في العصبة المناوئة لحليفه الملك الفرنسي [2].

يُعتبر القرن(11هـ/17م)، قرن القوة البحرية التي أثرت على مسار العلاقات الودية بين البلدين، الأمر الذي ألح على فرنسا ضرورة العمل على اقتراح مشروع حربي، يكون كفيلاً باحتلال تونس، وبناء على ذلك شرح أحد قادة السفن البروفونصية خطة هذا المشروع سنة (1008هـ/1600م) كالآتي: "نستطيع الوصول إلى العاصمة تونس عن طريق السفن، حيث توجد بحيرة بين هذه الأخيرة وحلق الواد، و نقوم بالتسليح الجيد لثماني (08) غاليرات ونقصد جزر"سان بيار" ومنها إلى القليبية ومن هذه الأخيرة نقوم بغزو الجزر المجاورة لرأس بون، وهناك ننتظر الليل كي لا نكشف، ثم نتوجه مباشرة إلى حلق الواد أين توجد سفن الحرب التونسية، ونقوم بإشعال النار بها" [3].

---

[1] محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981، ص 224.

[1] جون وولف: **المرجع السابق**، ص 241، **يُنظر** كذلك مبروكة خرنق: **المرجع السابق** ، ص 52.

[2] Paul Masson: **Histoire du commerce Français dans le levant au XVll éme siècle**, Hachette, Paris, 1896,(Introduction), p 13.

[3] Eugène Plantet: **Correspondances des beys ..., op.cit** ,T1, p4

- **يُنظر**: كذلك مبروكة خرنق: **المرجع السابق**، ص53.

وعلى هذا النحو فقد تحركت الإدارة الفرنسية آنذالك لتدبير جملة من الحملات المنظمة لتحقيق مشروعها الرامي للسيطرة على تونس في شكل مهمات عسكرية أوكلتها لضباطها، ومن بين أهم هذه المهمات والحملات ما نقلته لنا المصادر التاريخية الناطقة باسم هذه الفترة فيما يلي:

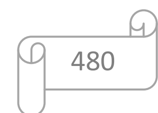
1/مهمة "دومونتان (De Mantin) سنة (1023هـ/1614م):

قامت وحدات فرنسية بالهجوم على حلق الوادي سنة (1017هـ/1609م)، فأحرقت 22 سفينة كانت راسية في الميناء [1]، مما حمل رياس تونس على رد الكيل بمكيالين، وغدوا يترصدون للسفن الفرنسية ويهاجمونها كلما سنحت لهم الفرصة، وقد مكنتهم عمليات السطو البحرية التي قاموا بها ما بين سنتي (1019هـ/1611) و(1021هـ/1613م) ضدّ السفن الفرنسية من الاستحواذ على حوالي 6 سفن حربية و4قوارب فرنسية، وبعد فترة وجيزة حازوا على 8 سفن فرنسية أخرى، وقد استمرت عمليات السطو هذه لدرجة بلغت فيها نسبة السفن المغزوة المسجلة في الدفاتر القنصلية الفرنسية ما يُقارب 32 ٪، ما يعادل حوالي 69 مركبا حربيًا، وهو الأمر الذي دفع القنصلية الفرنسية للرد على مثل هذه الاعتداءات، بتكليف القائد "دومونتان" سنة (1022هـ /1614م)، بتوجيه حملة عسكرية فرنسية إلى ميناء حلق الواد التونسي، بُغية رد الاعتبار لفرنسا واسترجاع ما سلبته البحرية التونسية من غنائم وأسرى، لكن هذه الحملة لم يُكتب لها النجاح أمام قوة رياس تونس، الأمر الذي أدى بالقائد الفرنسي للانسحاب والعودة أدراجه رفقة أسطوله الحربي [2].

---

[1] توفيق البشروش: **المرجع السابق**، ص 91.

[2] Paul Masson**: Histoire du commerce français ..,op.cit**, pp 36-37.



2/حملة دو فانشوجير[1] (De) Vinchegurre سنة (1026هـ/1616م):

تمكّن رياس تونس سنة (1026هـ/1616م) من سلب أكثر من مليوني فرنك فرنسي من التجار المارسيليين [1]، وكرد فعل على ذلك قامت السلطات المارسيلية بتسليح 07 سفن حربية وزورقين بقيادة " دوفانشوجير" من حسابها الخاص [2]، وقد ضمت هذه الحملة حوالي 1500جندي وانطلقت في الخامس مارس من نفس السنة، ورجعت في الرابع من سبتمبر، وقد أبدى "يوسف داي" استعداده لقبول السلم، خصوصا فيما يتعلق منه بإرجاع الغنائم، وتحرير الأسرى[3].

وقد كان للإيالة الجزائرية الأثر الكبير على علاقة سلطات تونس بفرنسا، حيث كانت تبدي استعدادا أكثر للسلم حينما تكون الجزائر في حالة سلم مع فرنسا، بينما تبدي العداء في الحالة العكسية، فقبل معاهدة (1028هـ/1619م) مع الجزائر، تضمنت رسائل داي تونس إلى حكام وممثلي مارسيليا في مناسبات عديدة ألفاظ الوعيد والتهديد، كما تضامن مجاهدو بنزرت وبورتوفرينا مع مجاهدي الجرائر في فترة القطيعة مع فرنسا، ونظموا أعمالا مشتركة استهدفت تجار البروفونص، حيث أحصى "الراهب دان" خسائرهم بعشرين مليون فرنك فرنسي وفي نفس الفترة، شاعت الأخبار في مارسيليا أن يوسف داي قام بترقية "حسن آغا" أحد رياس تونس إلى منصب باي بعد استيلائه على مركب مارسيلي[4].

---

[1] **دوفانشوجير**: قائد وحدة من وحدات الأسطول الملكي، من عائلة عريقة في المناصب العسكرية، وهو أحد فرسان القديس، قاد الأخير حملة إلى تونس سنة 1616م، حيث قامت السلطات المارسيلية بإرساله على رأس قوة قوامها 1500جندي وسبع سفن حربية وزورقين، كرد فعل على ماسلبه التونسيون من المارسيليين، وأمام هذا الأمر جنحت تونس للسلم... **يُنظر**:

-Eugène Plantet: **Correspondances des beys** ...., **op.cit** ,T1, p11.

- مبروكة خرنق: **المرجع السابق**، ص57.

[1] البارون ألفونص روسو: **المرجع السابق**، ص 118.

[2] louis Antoine de Ruffi: **Histoire de la ville de Marseille**, Henri Martin-Imprimeur libraire, Marseille, 1696, T1, p458.

[3] E. Pélissier: **Exploration- scientifique de l'Algérie pendant les années** 1844, T6, p248.

[4] مبروكة خرنق: **المرجع السابق**، ص58.

كما أمر الداي سفنه الخمسة بسلب كل ما يصادفها بحرا، إذ تمكنوا خلال بضعة أيام من الاستيلاء على سفينتين مارسيليتين وأرسلوهما إلى حلق الواد، كما غنموا في (1029هـ/1620م) حمولة فرنسية قادمة من ميناء الإسكندرية بلغت قيمتها 800 ألف فرنك فرنسي[1].

ولعلنا نتساءل عن سبب عودة رياس تونس لنشاطهم الجهادي في كل مرة، رغم موافقة الطرفين على شروط السلم التي تمنع هذا النشاط، حيث يمكننا القول أن فرنسا لم تنتهج سياسة صريحة ضد الإيالات المغاربية عمومًا والإيالة التونسية بالخصوص، حيث كانت تلجأ للتحايل؛ إذ مارس الفرنسيون القرصنة على غرار التونسيين الذين مارسوا الجهاد البحري، ولكن تحت رايات أجنبية، وخاصة منها الراية المالطية التي كانت تبادر بالاعتداء دوما، ولم يكن البلاط الفرنسي الملكي يتخذ أي إجراءات ردعية تجاههم، بل كثيرا ما استعان هذا الأخير بفرسان مالطا من أجل شن الحملات على المغاربة، وهذا ما ستثبته الأحداث القادمة، وقد كان هذا الوضع يثير حفيظة الغزاة المغاربة، الذين كانوا يرون ممارستهم لنشاط الجهاد رد فعل منطقي على تلك الأعمال العدوانية[1].

وقد اشتدت في هذه الفترة المنافسة الأوربية على ربط العلاقات مع تونس، على غرار الفرنسيين، حيث استطاعت هولندا إبرام معاهدة مع تونس سنة (1031هـ/1622م)، وتأسيس قنصلية بها سنة (1034هـ/1625م) [2]، وقد بلغت نسبة السفن المغزوة 22 ٪ تقريبا من بين السفن المسجلة في الدفاتر القنصلية الفرنسية بين سنتي (1621/1030م) و(1039هـ/1630م)، أي ما يعادل 52 مركبا[3].

كانت القوات البحرية الفرنسية في هذه الفترة، عاجزة عن فرض الإدارة الفرنسية على رياس تونس، حيث عبر ريشيليو عن ذلك بقوله"...لايمكن للكاردينال أن يصلح أخطاء قرن كامل..."، وأضاف كذلك بأن البحرية التي يمكنها تطهير البحار من القراصنة ورفع

---

(1) Paul Masson: **Histoire du commerce**…, op.cit, p37.

(1) مبروكة خرنق: **المرجع السابق**، ص 59.

(2) L. Péchot : **histoire de l'Afrique du Nord avant 1830** , 3T , Gojosso - Imprimeur éditeur, Alger ,1914 , T3 , p163 .

(3) توفيق البشروش: **المرجع السابق**، ص 92.

سمعة الملك، لا يمكن تأسيسها في ظرف وجيز، لكنها مشروع جدير بالتحقيق، ونتيجة لهذا الوضع اضطر ريشيليو لانتهاج أسلوب المفاوضات[1].

لكن السلم لم يدم طويلا، فقد أصدر البلاط الفرنسي قرارا سنة (1041هـ/1631م)، بقتل رايس تونسي من توابع يوسف داي يدعى شعبان آغا، وأسر طاقمه، وقد جلب موت الرايس شعبان نقمة الأتراك العثمانيين على الرعايا الفرنسيين بالإيالة، حيث اضطر القنصل "لانج مارتان" إلى إيوائهم في مقر إقامته، وقد تسببت هذه الحادثة في إحداث القطيعة بين الطرفين، وكرد فعل على ذلك أمر يوسف داي بترخيص بيع الأسرى الفرنسيين في سوق العبيد، كما شهدت هذه الفترة نشاطا هائلا لحركة الجهاد التونسي، حيث وصلوا إلى حدود سواحل البروفنصية، وجزر هيريس[1].

اتخذ ريشيليو سنة (1046هـ/1636م) قرارا بإنشاء أسطول خاص لمطاردة الرياس المغاربة[2]، فنظم عدة حملات صغيرة ضد الإيالة التونسية بهدف فرض السلم، واسترجاع الأسرى والغنائم، واستعادة الاعتبارات التجارية، كحملة " دو سيجبران" (De Segulairant) سنة (1043هـ/1633م) وحملة دور سوردي (De Sourdis) عام (1046هـ/1636م)، وكذلك حملة " دو مونتميان (De Montmeillan) "، كما عهد سنة (1050هـ/1640م) إلى " لوكو" (Lequeux) مهمة تحرير الأسرى، وقد تلقى هؤلاء المبعوثون تعليمات صارمة بالتحلي بالصبر، والصرامة من أجل إنجاح هذه العملية، لكن هذه المهمة باءت بالفشل، واقتصرت النتائج على تحرير بعض الأسرى، إذ لم تكن تهديدات دورسوردي كافية لفرض السلم، ولم يصمد البلاط الفرنسي الذي كان يعاني انقسامات داخلية عديدة في مواصلة هذه السياسة [3]، وقد أبدى يوسف داي سياسة ودية تجاه فرنسا نتيجة مساعدة الملك الفرنسي في نقل المسلمين الفارين من إسبانيا[4].

---

(1) جون وولف: **المرجع السابق**، ص222.

(1) Paul Masson : **Histoire des établissements ..., op. cit** , 141.

- **يُنظر** كذلك مبروكة خرنق: **المرجع السابق**، ص 61.

(2) جون وولف: **المرجع السابق**، ص ص 282-289.

(3) Eugène Plantet: **Correspondances des beys** ...., **op.cit** ,T1, p14.

(4) Paul Masson : **Histoire des établissements ... , op. cit,** p 39.

3/مهمة الفارس بول Paul سنة (1074هـ/1663م):

اقترح هذا الفارس خطة تقتضي ضرورة مطاردة سفن الرياس التونسيين، أو مهاجمة حلق الوادي، وميناء غار الملح (بورتوفارينا)، ونصح الملك بضرورة سحب رعاياه، فكلف البلاط الفرنسي الفارس دوكلارفيل (De Clerville) باستطلاع الوضع على السواحل المغاربية، وعهدت المهمة إلى "الفارس بول"، حيث ابتدأها بحملة صغيرة من 6 مراكب حربية، لكنه استدعي سنة (1074هـ/1663م) لمساعدة البنادقة المحاصرين في جزيرة "كاندي"، وبعد عودته واصل مهمته، لكن هذه الحملة لم تكن ذات قوة بارزة، حيث اكتفى بتحديد السلم، وسمح لبلاز بتحرير 27 أسير[1].

4/حملة الدوق دوبوفور "Duc de Beaufort" (1076هـ/1665م):

قام الدوق دوبوفور سنة (1076هـ/1665م) بحملة ضد السواحل التونسية، بعد فشل حملته على مدينة جيجل شرق الجزائر، حيث قاد أسطولا مكونا من 34 مركبا حربيا، واتجه إلى ميناء حلق الوادي وأحرق 3 سفن تونسية كانت راسية بالميناء[2].

نجح الأخير في إرغام الإيالة على إبرام معاهدة سلم بين الدولتين (1075هـ/25 نوفمبر1665م)، والتي بدورها تعد معلما واضحا في تاريخ العلاقات التونسية الفرنسية العدائية[3]، حيث خصت هذه المعاهدة قضية افتداء الأسرى كموضوع أساسي بين الطرفين[4].

لكن هذه المعاهدة جاءت مختلفة في البند 17 الذي جاء مفاده:" إن جميع الأمم التي تتاجر في تونس تتصل بالقنصل الفرنسي، وتدفع له الحقوق المعهودة بكل سهولة

---

[1] Capot -Rey: **la politique Française dans le Maghreb Mediterranean (1643-1685) ,** société historique Algérienne, Alger, 1935, p94.

يُنظر كذلك مبروكة خرنق: **المرجع السابق،** ص 68./ توفيق البشروش: **المرجع السابق،** ص 98.

[2] البارون ألفونص روسو: **المرجع السابق،** ص 123. **يُنظر** كذلك:

-Eugene Plantet: **Correspondances des beys..., op. cit**,T1, pp182-190

[3] مبروكة خرنق: **المرجع السابق،** ص ص 69- 70.

[4] درويش الشافعي: **العلاقات التونسية الفرنسية مابين 1577 و1685** (**التميز والتنوع**)، في مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الإجتماعية والإنسانية، مج 04، ديسمبر 2020م، ص 353.

وباستثناء أمتي الإنكليز والفلامان اللتين لكل منهما ممثل ديبلوماسي في تونس"[1]، وقد اختار الدوق لهذه المهمة كل من الفرنسيين "جاك ديمولان"، و"الفارس دارفيو"، وذلك بُغية تسهيل عملية تحرير الأسرى الفرنسيين المأسورين لدى إيالة تونس[2].

5/ حملة الماركيز دو مارتال " De Martal" سنة (1081هـ/1670م):

في مستهل سنة (1081هـ/1670م) أرسل الملك الفرنسي لويس الرابع عشر Louis XIV، الماركيز " دومارتال " على رأس حملة عسكرية إلى تونس قصد محاصرة موانئها بحجة حماية التجارة الفرنسية من التهديدات التي كانت قد تعرضت لها قبل ذلك من قبل البحارة التونسيين، لكن الأخير لم يُكتب له النجاح في هذه المهمة فاكتفى بقصف ميناء حلق الوادي ثم عاد أدراجه [1].

بعد هذا الأمر كلف الأخير الفارس "دو بيون" (De Buon) بمراقبة ميناء بورتوفرينا وحلق الوادي رغبةً في تدعيمه بأسطول فرسي قوي يمكنه من إرغام الداي التونسي على تحرير الأسرى الفرنسيين وإرجاع كل الغنائم المسلوبة منهم، وبعد مرور حوالي عامين تقريبا عاد الماركيز "دو مارتال" ليكمل قصف الموانئ التونسية بعدما كلفه الملك لويس الرابع عشر بذلك مرة أخرى، وقد تمكن الأخير هذه المرة من إجبار الداي التونسي "محمد منتشالي" على تجديد معاهدة السلم السابقة الموقعة سنة (1076هـ/1665م)، حيث حاصر موانئ الأيالة لمدة سبعة شهور قصف خلالها موانئ حلق الواد وبنزرت وبورتوفرينا، كما تمكن من تحرير الأسرى المحتجزين وتسوية كل القضايا بين فرنسا وتونس، علاوة على بعض التعديلات المستحدثة في بنود المعاهدة [2]، حيث يتلخص فحوى هذه التعديلات في النقاط التالية :

---

(1) Eugene Plantet: **Correspondances des beys..., op. cit**, T1, p187.

(2) Rouard de Card : **op.cit**, p 121.

- **يُنظر** كذلك درويش الشافعي: **العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م**...، **المرجع السابق**، ص 140.

(1) Pierre Grand Chanp: **op.cit**, T7, p 1.

- **يُنظر** كذلك مبروكة خرنق: **المرجع السابق**، ص 71.

(2) Eugène Plantet: **Correspondances des beys** ...., op.cit, T1, p 156.

- **يُنظر** كذلك درويش الشافعي: **العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م**...، **المرجع السابق**، ص141/ توفيق البشروش: **المرجع السابق**، ص ص 100- 101.

1- إذا ما أضاعت سفينة فرنسية جواز سفرها، فإنها تحجز لدى القنصل ريثما يتم التثبت من هوية ركابها.

2- يحجر على السفن القادمة من الجزائر وطرابلس وسلا الأسرى الفرنسيين في الموانئ التونسية باستثناء السلع، مع المعاملة بالمثل في الموانئ الفرنسية.

3- حددت فدية المدافعية والجند والملاحين ب 150 ريالا، إذا لم يؤسروا على سفن حربية معادية، مع المعاملة بالمثل.

4- وضع جميع الأمم المسيحية في كامل أنحاء التراب التونسي تحت حماية القنصلية الفرنسية، بما في ذلك الإغريق إذا مارغبوا في ذلك وإن كانوا من رعايا السلطان، وباستثناء رعايا الأنجليز.

5- اعتبار الفرنسيين المتزوجين والمقيمين خارج فرنسا كأجانب والأجانب المتزوجين والمقيمين في فرنسا كفرنسيين.

6- تسريح المعتقلين وإعادة مكتسباتهم بدون تسديد أي مصروف [1].

6/حملة الماريشال دوكين:"Duquesne " سنة (1094هـ/1683م):

في سنة (1094هـ/1683م) طلب "الداي أحمد شلبي" من الفرنسيين تجديد معاهدة (1083هـ/1672م) من أجل تحقيق السلم، بسبب التهديدات الفرنسية للسواحل التونسية، لذلك كلف الملك الفرنسي "لويس الرابع عشرLouis XIV " قائد الأسطول الفرنسي "الماريشال دوكين" Duquesne بتجديد المعاهدة مع حكام إيالة تونس، ورغم التنازلات الكبيرة التي قدموها لإثبات نيتهم للسلم، إلا أن المشروع فشل بسبب مطامع " لويس الرابع عشر" في الحصول على المزيد من الامتيازات [2].

---

[1] توفيق البشروش: **المرجع السابق**، ص ص 100-101.

[2] Eugène Plantet: **Correspondances des beys ...., op.cit**, T1, p 319.

- **يُنظر** كذلك درويش الشافعي: **العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18م**...، **المرجع السابق**، ص142.

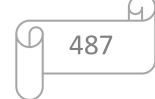
7/حملة الماريشال ديستري Destry سنة (992هـ/1585م):

بعد أن عقد "لويس الرابع عشر" معاهدات سلم مئوي مع إيالات الجزائر وطرابلس، كلف الماريشال "ديستري" Destry من أجل إبرام معاهدة مماثلة، وتجديد معاهدة (1082هـ/1672م) مع تونس، فانطلق "ديستري" على رأس حملة 12 سفينة حربية و4 غليوطات حاملة للقنابل، حيث توجه إلى طرابلس أين قام بقنبلة المدينة، وأرغم دايها بقوة السلاح على إبرام السلم مع فرنسا كما أسلفنا في فصل طرابلس الغرب، وأثناء رجوعه عرج على تونس، وطلب من دايها ضرورة الخضوع لأوامر الملك لويس 14، المتمثلة في تعويض الخسائر التي لحقت التجارة البحرية الفرنسية من طرف رياس تونس، وبما أن إيالة تونس كانت غارقة في نار الفتن، لم تجرؤ على التفكير في معارضة الطلب الذي يعد خرقا لنصوص المعاهدات القائمة مع فرنسا، فسارعت للتوقيع على معاهدة السلم المئوية في (1شوال 30/1096 أوت 1685م) على ظهر سفينة في ميناء حلق الوادي [1]، ومن أهم بنودها ما يأتي:

- إن المعاهدة المبرمة بين إمبراطور فرنسا والسلطان العثماني وأتباعه، أو التي ستبرم مستقبلا من طرف سفير فرنسا المبعوث الخاص لدى الباب العالي من أجل سلم وراحة ممالكهما ستحترم وتراعى بدقة وإخلاص بدون الإخلال بها من أي طرف من الطرفين (البند الأول).

-كل الأموال المسلوبة بطريقة شرعية، من رعايا الإمبراطور الفرنسي، أو المبالغ المالية التي فرضت عليهم بالقوة، والتي قدرت ب 60 ألف أوقية، بحيث يتم إرجاع مبلغ 52 ألف أوقية مباشرة عند إمضاء هذه المعاهدة، من طرف داي وديوان تونس، ويكون الدفع نقدا، أو بوعود للتجار الفرنسيين قابلة للتسديد في الآجال التي يتفقون معهم عليها، أما بخصوص الباقي فقد نبه دايات وديوان تونس أنهم في حرب مفتوحة مع المذكور "محمد باي"، وأنه ليس من العدل دفع 8 آلاف أوقية، التي طالب رعايا الإمبراطور بدفعها، وعلى الفرنسيين

[1] مبروكة حرنق: **المرجع السابق**، ص ص 74-75.



إلزام كل من "محمد باي"و"علي باي " بدفع المبلغ، وتتم عملية التعويض من المدن الواقعة تحت حكمهم (البند الثاني)[1].

- ولأن الباي والديوان، قد منحوا للسيد غوتيي وشركائه، حق استغلال الرأس الأسود كضمان لإعارته إياهم سلع 52 ألف أوقية المطلوب للتعويض، بموجب معاهدة أبرمت بينهم، فإن هذه المعاهدة الأخيرة تحمل نفس صلاحية وتأثير المعاهدة الحالية في كل النقاط والبنود (البند الثالث)[2].

وعلى ضوء هذا، يمكن القول بأن المناوشات الحربية بين الطرفين التونسي والفرنسي كانت هي الطابع الرسمي الطاغي على فحوى العلاقة السياسية التي كانت تربط البلدين ببعضهما البعض، لأن البحرية التونسية لم تغفل عن الإشتراك في حركة الجهاد البحري، ومعظم هذه الاشتباكات كانت مع الفرنسيين الذين كانوا يقومون بغارات على السواحل التونسية، فمثلا في سنة (1050هـ/1641م) أقدم هؤلاء على هدم الميناء المحصن، الذي أنشأه الأسطا مراد ، والذي وضع الإيطالي "بورتو فارينا " اسمه عليه، ولكن بتولي مراد بك مقاليد الحكم انتهج الأخير سياسة خلفائه من قبله، والتي تقوم في الأساس على مبدأ توثيق العلاقات مع الجانب الفرنسي، على اعتبار أن فرنسا دولة أوروبية كبرى في حوض البحر المتوسط، وكل ذلك إنّما هو رغبة منه في إثبات ستقلاله الذاتي عن الدولة العثمانية من جهة، والحصول على التأييد والدعم الأوروبي ضدّ أيالة الجزائر القوية من جهة أخرى[1]، وبالرغم من جملة المعاهدات المبرمة بين الطرفين، فقد ظلت هذه العلاقات والتنازلات تعبر

---

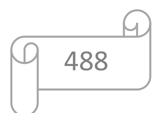
[1] البارون ألفونص روسو: **المرجع السابق**، ص 137.

[2] Nicolas Béranger**: la régence de Tunis à la fin du XVIIème siècle (mémoire pour servir à: l'histoire de Tunis depuis l'année 1684)** , l'Haemattan, Paris, 1993, p40.

- **يُنظر** كذلك:

-Eugene Plantet: **op. cit**, T1, pp 333-335.

[1] صالح العقاد: **المرجع السابق**، ص ص 48-49.



بالدرجة الأولى عن العلاقات السياسية السلمية اللامتكافئة بين الطرفين التونسي والفرنسي[1].

ومما سبق يمكن القول أن أيالة تونس قد ارتبطت خلال القرن (11هـ/17م) بعلاقات عدائية مع الدول الأوروبية، وتأتي في مقدمتها مالطا وجمهورية البندقية، إنجلترا، إسبانيا وفرنسا، وقد تحكمت في سيرورة هذه العلاقات عدة عوامل ومؤثرات من بينها: نشاط القرصنة البحرية- عائدات النشاط البحري والغنائم- قضية الأسرى- مشكلة المورسكيين...الخ، ممّا جعل مراكز الجهاد البحري التونسي تنشط خلال هذه الفترة، لصدّ الاعتداءات التي كانت تتعرض لها السواحل التونسية من حين لآخر، لذلك بقيت صبغة المناوشات والطابع العدائي السمة الغالبة طيلة القرن(11هـ/17م)، بدليل ما شهدته هذه الفترة من سلسلة حملات بحرية متبادلة بين الطرفين، في إطار الحرب البحرية المضادة.

---

[1] عبد الحميد هنية: **تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2012، ص 119.

خاتمة الفصل: ومما تقدّم يمكن القول:

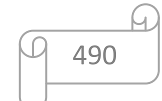
- تكتسي أيالة تونس العثمانية أهمية استراتيجية كبيرة على اعتبار ما تحتويه من مراكز بحرية سخرتها خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، لمجابهة الحملات الأوروبية وردع كل محاولة تقصد السيطرة عليها، ويُلاحظ ذلك من خلال ما كانت تلعبه كل من سوسة والمنستير، غار الملح، حلق الوادي وتونس...وغيرها، من دور جهادي على الصعيد الخارجي لا محالة.

- أدّت مراكز الجهاد البحري التونسي دورا فعالا في صدّ الإعتداءات الأوروبية، التي كانت تشكل الحاجز الأساس في تحقيق الأمن الداخلي والانتعاش الاقتصادي، وهو ما لمسناه جليًا من خلال إفشال البحرية التونسية لعدد من الهجمات الأوروبية التي اعترضت سواحلها، سواء كان ذلك خلال القرن (10هـ/16م) أو القرن (11هـ/17م).

- شكّلت أيالة تونس الفتية خلال القرنين (10-11هـ/ 16-17م) الوتر الحساس الذي أسال لعاب الدول الأوروبية للمنافسة عليها من أجل السيطرة عليها، والحصول على جملة من الإمتيازات فيها، وهو الأمر الذي جعلها حلبة صراع طيلة هذه الفترة، بدليل سلسلة الحملات البحرية التي تعاقبت على سواحلها، كحملة شارلكان والدون خوان النمساوي ...وغيرها الكثير.

- طغى على العلاقات السياسية التي كانت تربط إيالة تونس العثمانية بالدول الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/ 16-17م)، وعلى رأسها: (إنجلترا-إسبانيا-البندقية-فرنسا .. الخ)، طابع العداء واللاسلم، ولعلّ ذلك يعود سببه كمّا سبق وأن ذكرنا إلى تصاعد نشاط الجهاد البحري والقرصنة على مستوى الحوض المتوسطي، وبالرغم من سلسلة المعاهدات والتنازلات السلمية التي أبداها الطرفان أحيانًا، إلاّ أن ذلك لم يُغير من الوضع، بل استمرت الحرب سجالاً بين الطرفين حتى نهاية هذه الفترة.

- لقد كان للجهاد البحري في تونس أثر كبير على الاقتصاد التونسي كونه المدخول الأساسي للخزينة المالية ومصدرا أساسيا للاسترزاق.



الفصل الثالث:

مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

المبحث الأول: مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

المبحث الثاني: مراكز حركة الجهاد في المغرب الأقصى، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/ 16م)

المبحث الثالث: مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن(11هـ/17م)

الفصل الثالث: مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى، ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

تمهيد:

تعتبر مراكز الجهاد البحري حصونا متقدمة للدفاع عن الدول المغاربية والتي ظهرت نتيجة تعرض هذه الأخيرة للغزو الاسباني، وكان القرنان(10-11هـ/16-17م) عصر قوة البحريات المغاربية والتي ظهرت على المسرح الدولي وسيطرت على الحوض المتوسطي، والتي شكلت مصدر قلق ورعب للدول الأوروبية بسبب ضرب تجارتها في الصميم وتعرضها لخسائر كبيرة، وهذا ما تناولناه في الفصول السابقة.

لكن المغرب الأقصى لم يكن على غرار الإيالات المغاربية الأخرى، كونه شهد احتلالا لمعظم موانئه في فترة مبكرة، وذلك في مستهل القرن (9هـ/15م)، من طرف الاحتلال الإيبيري، مما خلق عجزا للمغاربة في إمكانية دحره، خاصة وأنه يعيش فترة انحطاط كبيرة، فبعد فشل الوطاسيين في حماية السواحل المغربية، انتصب السعديون مدافعين، وسار على نهجهم العلويون، وكان قيام الدولتين الأخيرتين وانتصاب سلطهم تحت شرعية الجهاد البحري الذي وفر الغطاء السياسي لأغلب أنظمة الحكم في بلاد المغرب الكبير.

وفي هذا السياق يتبادر إلى ذهني التساؤل الآتي: **فيم تمثلت أهم مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، وما الدور الذي اضطلعت به في مجابهتها للحملات الأوروبية ؟**

المبحث الأول- مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى خلال القرنين (10-11هـ/16-17م):

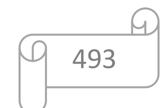
عاني المغرب الأقصى[1] أكثر من بقية بلدان المغارب من ويلات تلك الأزمات التي طبعت هذه الأخيرة، بل إن الأزمة تجلت في المغرب الأقصى منذ بداية القرن(9هـ/15م)، وذلك لأسباب عدة أهمها قربه من شبه الجزيرة الإيبيرية، وكذا ضعف الدولة المرينية، فكثرت الثورات والنزاعات المحلية، وكما أسلفنا عن نظرية مالك بن نبي أن الضعف الداخلي يولد تدخلا خارجيا وهي سنة كونية، فالطبيعة لا تأبى الفراغ، مما حمل الغزو الايبيري الممثل في البرتغال ، ومن بعده الاسبان على انتهاز الفرصة واحتلال معظم سواحل المغرب الأقصى، لكن المغاربة لم يبقوا مكتوفي الأيدي ، وإنما سارعوا لصد هذا الاحتلال الذي استباح أراضيهم بكل ما أوتوا، وتعاونوا مع القوى الدينية، وكل من توسّموا فيه القدرة على مجابهة الاحتلال الايبيري ، وكانت هناك جهود جبارة في محاولة صد هذا الاحتلال من الدواخل، لكن جهود المراكز الجهادية البحرية كان محتشما خلال القرن (10هـ/16م)، نظرا لاحتلال معظم الموانيء، لكن خلال القرن (11هـ/17م) برز مركز مصب أبي الرقراق وبقوة، أين أعاد الاعتبار لحركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى، وغدا سدا لحماية أمن واستقرار المغرب الأقصى من كل الأطماع الأورومسيحية، وكان له الاعتراف بجهوده الجبارة في سير بقية المراكز على خطاه.

أولا- أهم مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى خلال القرنين (10-11هـ/16-17م):

1/مركز تطوان: هو مدينة صغيرة بناها الأفارقة القدامى على بعد نحو 18 ميلا من المضيق، و6 أميال من البحر، وقد فتحها المسلمون عندما أخذوا سبتة من يد القوط، ويقال أن هؤلاء لما ملكوا تطاوين سلموا حكمها إلى أميرة عوراء كانت تأتي كل أسبوع لاستلام موردها،

---

[1] للاطلاع على خريطة المغرب الأقصى، يُنظر: **الملحق رقم 23**.



وعندما لم تكن تملك غير عين واحدة فقد سموا مدينتهم تطاوين، ومعناها عين واحدة باللغة الإفريقية[1].

كما يُعد مرسى تطوان من أهم المراسي فهو يقع عند مصب واد مارتيل، وهو على غرار المراسي النهرية يتعرض لأعاصير رملية شديدة الصعوبة تعيق السفن عند الرسو، خاصة المراكب التي لا تتعدى حمولاتها 60 طن[2]. إلا أن البرتغاليين قد هاجموا تطوان حوالي (801-802هـ/1399-1400م) وخربوها [3].

ويمكن القول أن مدينة تطوان ظلت عامرة نحو قرن من الزمن، حتى أصبحت من المراكز الأولى لحركة الجهاد البحري بالمغرب، وفي حوالي سنة (803هـ/ 1400م) استولى عليها الإسبان فهجرها أهلها[4].

كما بقيت مدينة تطوان مخربة حوالي 80 سنة إلى أن عمّرها الأندلسيون بإذن من السلطان المغربي بتجديدها وتعميرها لتكون قاعدة جهادية ضد البرتغاليين في كل من سبتة وطنجة[5].

حيث مارس مجاهدو تطوان تهديدا مباشرا على البرتغاليين منذ فترة مبكرة من القرن (10هـ/16م)، ففي حدود (926هـ/1520م)، اشتهر الأخوان المعروفان ب"شقرون"، وفي ظرف 4 سنوات أحدثا عدة خسائر بين سبتة والعرائش وجبل طارق، وكان كل منهما يعمل على سفينته الخاصة، وقد تعدى خطر مجاهدي تطوان المراكز المحتلة إلى منطقة جبل طارق والسواحل الإسبانية، فكانوا يهاجمونها باستمرار، ويعودون بالأسرى [6].

---

[1] الحسن الوزّان: **المصدر السابق، ج1**، ص318.

[2] حسن أميلي: **المغاربة والمجال البحري في القرنين 17و18م**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2011م، ص51.

[3] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص 318.

[4] محمد داود: **تاريخ تطوان...**، **المرجع السابق**، ص83.

[5] عائشة قربوط: **الأسرى والعبيد بالمغرب من القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن السابع عشر1415-1640**، إشرا. مولاي هاشم العلوي القاسمي، مذكرة مكملة لنيل الدراسات العليا في التاريخ الحديث، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس، المغرب الأقصى، 1999-2000، ص60.

[6] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص319.



كثيرا ما تم التنسيق بين مجاهدي مدينة تطوان ومجاهدي الجزائر في تنفيذ الهجوم على المسيحيين، ففي (ربيع الثاني 946هـ /سبتمبر 1540م) قام أسطول من 17باخرة أغلبهم من الجزائر وبادس إضافة إلى 4 أو 5 سفن من تطوان بحملة على جبل طارق، وكانت الحصيلة 80 أسيرا من النساء والأطفال حملوا إلى مدينة تطوان [1].

وهكذا ازدادت مكانة تطوان الجهادية، حينما أصبحت السيدة الحرة ابنة علي بن راشد حاكمة لها، وقد اقترن عهدها في الوثائق الأوروبية بالعناية الخاصة التي أعطيت للجهاد البحري، ولتجارة الأسرى المسيحيين [2].

وفي (14 ربيع الثاني 948هـ/6 أوت1541م) قام رياس عثمانيون بالاستيلاء على سفينة من طنجة، وتوجهوا بالأسرى إلى مدينة تطوان حيث أن السيدة الحرة قدمت اقتراحا بافتداء هؤلاء الأسرى [3].

وقد اعتمد علي المنظري على قوات من300 أو 400 فارس، و1500 راجل بالإضافة إلى عدد من المراكب الصغيرة في عملياته الجهادية، وفي حدود (955هـ/1549م) بلغ عدد هذه السفن 8 ما بين كبيرة وصغيرة [4]، ويبدو أن عددها تزايد مع تزايد أعداد المهاجرين الأندلسيين، ليصبح 15 مركبا [5].

كان من الصعب إحصاء عدد العمليات الجهادية انطلاقا من تطوان وتؤكد روايات أنها كانت تحتوي خلال القرن (10هـ/16م) على عدد كبير من الأسرى، الذين شملوا أسرى الحروب البرية والبحرية، لكن مكانتها كمركز من مراكز الجهاد البحري في منطقة المغارب تراجعت خلال القرن (11هـ/17 م) [1].

---

(1) عائشة قربوط: **المرجع السابق**، ص 62 / **Les S.I.H.M**, 1' série, Espagnole, T 1, p 107.

(2) عائشة قربوط: **المرجع السابق**، ص62. **Les S.I.H.M**, 1' série, Portugal, T4, p 89.

(3) عائشة قربوط: **المرجع السابق**، ص62 / **Les S.I.H.M,** 1' série, France, T1, p 137.

(4) عائشة قربوط: **المرجع السابق**، ص61 / **Les S.I.H.M,** 1' série, Espagnole, T1, p 337

(5) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص 223.

(1) عائشة قربوط: **المرجع السابق**، ص62 ./ **Les S.I.H.M,** 1' série, France, T1, p 106

فحسب رأي الراهب دان" Dan " أنه في عهده (1049هـ/1640م) كانت لها فركاطات صغيرة تصل أحيانا إلى السواحل الإسبانية، ولا تبتعد عنها إلا قليلا[1].

أما دوكاستري (Henry de Castries) فأورد أن تطوان لم تصل إلى مستوى تسليح سلا، إذ كانت هذه الأخيرة تأتي مباشرة بعد طرابلس وتونس والجزائر، وعلّل وضعية هذه بكونها كانت محاصرة من سبتة المحتلة من طرف الإسبان، بالإضافة إلى أن مجال عملها كان مقتصرا على البحر المتوسط فقط، وقد استخدم أندلسيو تطوان – كأندلسي مصب أبي الرقراق– الأعلاج، إذ سجل تقرير "لجون سميث الإنجليزي" John Smith سنة (1012هـ/1604م)، وصول عدد من الأوروبيين الذين اعتنقوا الإسلام حديثا إلى تطوان ومحاولة الأندلسيين الاستفادة من تقنياتهم في قيادة السفن وغيرها[2].

ويقول "هنري ماينوارينك الإنجليزي" Henry Mainuarenke أيضا في مذكراته التي كتبها سنة (1027هـ/1618م)، عن مجاهدي تطوان أنه" كانت لهم مخازن للبارود، الذي يجلب معظمه التجار الإنجليز والألمان وهم يبيعون هناك بضائعهم جيدا، حيث يرسون بسرعة وينزلون بضائعهم بواسطة قوارب المدينة..." [3].

وقد كانت تطوان محصنة بخنادق جيدة، يشنون منها غارات على حدود سبتة والقصر وطنجة، ويهاجمون الإسبانيين بحرا وبرا، فقد كان للمجاهدين بعض السفن الصغيرة في النهر، يستعملونها لاجتياح الشواطئ الإسبانية[4]، إلا أن السفن الأجنبية التي كانت ترد ميناء تطوان تطلب الإذن بالرسو من الحاكم، فكان يمنحها جوازا خاصا بذلك، غير أن الأمور لم تكن تمر بدون مشاكل، إذ كان من جملة السفن التي وصلت إلى ميناء تطوان، ورسى قائدها بجواز من هذا القبيل، سفينة القبطان "توشينج Touching" الإنجليزي، إلا أنه لم يلتزم بالإذن بل انتهز إحدى الفرص وسَطى على مركب لأولاد النقسيس، فأخذه وهرب بجميع ما فيه من أشخاص ومتاع، وقد استاء المقدم أحمد النقسيس من غدر ذلك

---

(1) بيير دان: **المصدر السابق**، ص269 .

(2) **نقلا عن** محمد رزوق: **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16و17م**، دار البيضاء، المغرب إفريقيا الشرق، ط3، 1998م، ص255.

(3) محمد رزوق: **الأندلسيون وهجراتهم...** ، **المرجع السابق**، ص 255.

(4) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج1، ص 222.

القبطان بعد أن وثق به وسمح له بالنزول في بلده، كما حدث أن وصل إلى ميناء تطوان مركب إنجليزي آخر، ونزل منه جورج فيزويل (George Fizweil) بدون إذن من النقسيس فألقى عليه القبض انتقاما من عمل القبطان توشينج [1].

2/ ترغة مركز جهادي خلال القرن (10هـ/16م): ترغة مدينة صغيرة من بناء القوط حسب قول بعض المؤلفين، تقع على ساحل البحر المتوسط بعيدة عن المضيق بنحو 80 ميلا [2]، وتحتوي على 150 كانونا تقريبا، أسوارها ضعيفة في الجملة، ومنذ أن وطأتها أقدام البرتغاليين أخذت تنحط سواء في مظهرها أو في عدد قاطنيها، وتوجد في ضواحيها غابات تغطي جبالا وعرة باردة ينبت فيها الشعير بكمية قليلة لا تكفي حاجات نصف السنة [3].

نهبت هذه المدينة سنة (939هـ/1533م) من قبل أسطول دون ألفارو دي بازان، لكن الشريف قام بتحصينها بعد ذلك خوفا من بسط نفوذ العثمانيين عليها، وشيد في أعلى المدينة من ناحية الجنوب قصبة محصنة ووضع عليها جنودا وحاكما مع 50 قطعة من المدفعية و4 آلات منجنيق، و46 مدفعا صغيرا، أو بندقيات ذات كلابات، ليس فيها ميناء، إذ ليس الشاطيء كله إلا مرسى مكشوفا[4].

تعاون مجاهدو هذه القاعدة مع سكان مدينة تطوان، عندما قام القائد "علي بن راشد" بتكوين أسطول بحري بمرسى ترغة التي اشتهرت منذ القدم باهتمام سكانها بالملاحة والصيد البحري [5].

ويبدو أن هذا النشاط الجهادي للقاعدة بلغ أوجه أواسط القرن (10هـ/16م)، ففي رسالة لباشتياو دي فاركاش Bastiao de Vargas إلى يوحنا الثالث ورد فيها أن قباطنة المراكز البرتغالية أعلنوا وقوع عدة حالات اختفاء في أوساط المقيمين بها، وعن طريق أسرى

---

[1] محمد رزوق: **الأندلسيون و هجراتهم...** ، **المرجع السابق**، ص 255.

[2] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص ص324-325، لكن المحقق قال أنها 50 ميلا.

[3] **نفسه** ، ص325.

[4] مارمول كربخال : **المصدر السابق**، ج2، ص 230.

[5] محمد عزوز حكيم، **مارتين قاعدة الجهاد البحري**، ع.4-5، تطاوين، المغرب، مارس 1993، ص27.

فروا من ترغة تأكد أن "بن راشد" وراء عمليات الاختطاف، وأن الأسرى يمكثون مدة سجناء بترغة إلى حين نقلهم على شكل جماعات ليباعوا بالجزائر [1].

3/ بادس: مدينة مبنية على ساحل البحر المتوسط يسميها الإسبانيون "فليس دولاكوميرا"، وتضم زهاء 600 كانون، يقول بعض مؤرخينا أن الأفارقة هم مؤسسوها، ويقول آخرون أن القوط هم بناتها، وهي واقعة بين جبلين شاهقين قرب واد سحيق، ويذهب مجاهدوها في زوارقهم لنهب السواحل الأورومسيحية[2].

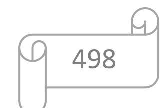
والجبال حول بادس شاهقة وعرة فيها خشب جيد صالح لبناء الزوارق والسفن الشراعية الحربية، وفي خارج القصبة بجوار البحر دار صغيرة تصنع فيها الزوارق والسفن الشراعية وبعض المراكب، وقد اعتاد الأمير والمدنيون أن يسلحوا زوارق ويرسلوها إلى السواحل الأورومسيحية فيلحقوا بها الكثير من الأضرار، ولذلك قام الدون فرناندو ملك إسبانيا بإرسال أسطول بقيادة بدرو نافارو، فاحتل جزيرة قبالة بادس على بعد ميل من المدينة، وبنى فيها قلعة على صخرة ، أطلق عليها حجر بادس، (على غرار حصن البنيون الذي بني قبالة مدينة الجزائر من طرف الاسبان)،شحنها جنودا ومؤنا ومدفعية قوية، حتى كان رمي الإسبان يقتل الناس في أزقة المدينة وفي الجامع، فاستغاث أمير بادس بملك فاس الذي أرسل عددا من الجنود المشاة لمهاجمة الجزيرة، لكنهم أرهقوا كثيرا، فهلك بعضهم، وسقط آخرون في الأسر، ورجع البعض إلى فاس مصابين بجراح، وقد احتفظ النصارى بالجزيرة إلى أن أرسل ملك فاس من جديد جيشا بعد مرور 11 عاما لتحريرها[3].

---

[1] عائشة قربوط: **المرجع السابق،** ص63 . /**Les S.I.H.M,** 1' série, Portugal,T 4 , p49, p75.

[2] الحسن الوزّان: **المصدر السابق،** ج1، ص237. / داود بن محمد داودي: **العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى ودول الغرب أوربا المتوسطية خلال القرن 10هـ/16م،** مطبعة الآفاق، غرداية الجزائر، 2017، ص 122.

[3] مارمول كربخال: **المصدر السابق،** ج1، ص ص 230 -232.



تم تحرير حجر بادس سنة (928هـ/1522م)[1] من طرف محمد البرتغالي، وعادت من جديد لنشاطها، ففي سنة (955هـ/1549م) كانت تتوفر على 10 سفن، وهو أكثر مما كان في تطوان في نفس الفترة، وقد شكل البرتغاليون والإسبان الهدف الرئيسي، وقد جاء في رسالة لباشتياو دي فاركاش Bastiao de Vargas إلى يوحنا الثالث أن ملك بادس يرسل من يقوم بأسر المسيحيين ما بين القصر الصغير وسبتة، ويحملهم إلى بلاده[2].

وأكد هايدو أن صالح رايس توجه بعد أسر أبي حسون الوطاسي نحو حجر بادس، وأن القائد موسى الذي كان يحكمها باسم ملك فاس، وخوفا من صالح رايس أو لمحاولة التقرب منه، اقترح عليه التنازل له على الحصن وعن المدينة، لكن صالح رايس رفض اقتراحه مشيرا إلى أنه في سلم مع الشريف، ولم يأت لمحاربته أو غزو بلاده، وسيسلمه السفن المسيحية التي انتزعها من أبي حسون مع كل ما يوجد عليها من مدفعيات ومعدات، وأنه يسعى في خدمة الشريف، وليبرهن على ذلك فإنه سيحمل معه إلى الجزائر عدوّه أبا حسون، الذي ذهب إلى المسيحيين يطلب مساعدتهم لينتزع من محمد الشيخ عرشه، مؤكدا على رغبته في استمرار الصداقة بينه وبين ملك فاس[3].

وقد أصدر السلطان سليمان القانوني أوامره لدرغوث رايس بالزحف على ساحل المغرب بـ 60 سفينة، حيث استعمل أندري دوريا الأسطول الذي أعده لمواجهة حملة عثمانيي الجزائر على وهران في الاستيلاء على مدينة بادس، تم ذلك في إطار التحالف الذي تم بين الغالب والإسبان وكان العثمانيون قد استولوا على المدينة والحجرة المجاورة لها سنة

---

[1] تسجل مصادر تلك الفترة اختلافا في تاريخ تحريرها:

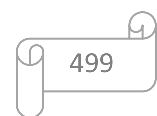
- الحسن الوزّان يرجحها سنة (926هـ/ 1520م)، **ينظر** الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص 254.

- مارمول يقول أن تحريرها كان سنة (928هـ/1522م)، **ينظر** مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص ص 232-233

- البرتغالي برناردو رودريكس B.Rodrigues فله رأيه في ذلك، كونه شاهد عيان، ويقول بأنها "...بقيت تحت سلطة المسيحيين مدة 18 سنة، قبل أن تضيع من أيديهم سنة (930هـ/ 1526م)"، **ينظر** برناردو رودريكس: **حوليات أصيلا (1508-1535م)، مملكة فاس من خلال شهادة برتغالي**، تع. أحمد بوشرب، الشركة الجديدة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007م، ص29.

[2] **Les S.I.H.M,** 1' série, Portugal,T 3, p 202. /. عائشة قربوط: **المرجع السابق**، ص64 .

[3]Haedo **: Histoire…, op.cit**, pp.274-275.



(960هـ/1553م)، وعينوا عليها قائدا عثمانيا، واتخذوا منها قاعدة لمهاجمة وملاحقة السفن الإسبانية العابرة للبحر المتوسط، وربط رياسهم علاقات مع مجاهدي تطوان، ومنها كانوا ينوون النفاذ لفاس بعد أن استعصى عليهم إخضاعها، وهيئوا لبناء حصنين أحدهما بالحجرة المجاورة لمدينة بادس وآخر بمدينة القصر الصغير، وإقامة حامية بها لمراقبة مضيق جبل طارق، فأزعج هذا الأمر الإسبان والغالب، خاصة بعد ثورة قائده على تطوان المدعو حمو، سنة (970هـ/1562م) وطلب مساعدة العثمانيين، فخشي الغالب أن يستولوا على مدينة بادس فتنازل عنها مع الحجرة المجاورة للإسبان سنة (972هـ/1564م) [(1)].

ولذلك رأى الإسبان أن قطع الطريق على العثمانيين نحو سواحل المغرب الشمالية ومنعهم من مهاجمة سواحل إسبانيا، وللحد من تردد قراصنتهم على مدينة تطوان لا يتأتى إلا بردم وادي مرتيل وملئ مصبه بالحجارة [(2)].

4/العرائش: مدينة أسسها الأفارقة القدامى على شاطئ المحيط، في المكان الذي يصب فيه نهر اللكوس في البحر، وهي واقعة من جهة على ضفة النهر، ومن الجهة أخرى على المحيط، وفي الزمن الذي كانت فيه مدينتا أصيلا وطنجة خاضعتين للمغاربة[(3)]، كانت العرائش كثيرة السكان، لكن بعد ما سقطت هاتان المدينتان في يد النصارى، غدت العرائش مهجورة لما يقارب الـ20 سنة، حيث عزم أحد أبناء ملك فاس على إعادة تعميرها، فحصنها تحصينا قويا، وأقام بها حامية دائمة مزودة بالأقوات اللازمة، لأنه كان شديد الحذر من البرتغاليين[(4)].

ولهذه المدينة مرسى مميز عن باقي المراسي الأخرى لتوفره على حوض داخلي حقيقي، لرسو السفن الثقيلة يقع في العرض قبالة المصب[(1)]. وبنيت فيها قصبة يقيم فيها

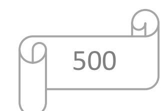
(1) زهراء النظام: **العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية...**، **المرجع السابق**، ص 222.

(2) **نفسه**، ص 222.

(3) داود بن محمد داودي: **المرجع السابق**، ص 120. / مؤلف مجهول: **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تح. عبد الرحيم بنحادة، مطبعة تينمل مراكش، ط1، 1994، ص53.

(4) الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص302.

(1) حسن أميلي: **المغاربة والمجال البحري...**، **المرجع السابق**، ص 52.



على الدوام قائد و200 من القاذفين و100 من رماة البنادق و300 من الفرسان الخفاف[1].

وقد شكلت العرائش هدفا للأطماع الإسبانية منذ القرن (7هـ/13م)، فقد تعرضت لهجوم انتهى باستشهاد رجالها وسبي نسائها، وإضرام النار فيها، وفي القرن (9هـ/15م) توالت عليها الهجمات من طرف البرتغال والإسبان، وأمام احتلال سبتة وطنجة وأصيلا، قام سكان مدينة العرائش بالابتعاد عنها، ومع ذلك بقيت محطة تلجأ إليها السفن الجهادية، وتوفرت على حصن يقوم بحمايته جنود بالمدفعية، ويصف" داميا ودكوبش" اشتباكا عنيفا بين سفن برتغالية بقيادة حاكم أصيلا، وبين غزاة من المدينة بحضور المنظري حاكم تطوان بسبب استيلاء هؤلاء على 4 كرافيلات برتغالية سنة (909هـ/1504م)[2].

في سنة (922هـ/1516م) تمكن مركبان من المدينة من أخذ كرافيلا برتغالية، أيضا قرب مدينة أصيلا، كانت قادمة من إقليم الغرب، وانتهى الأمر بأسر 28 من كبار الشخصيات رجالا ونساء وحمل الجميع إلى العرائش[3].

اعتمدت العرائش في الحصول على الأسلحة من بعض الدول الأوروبية ولاسيما فرنسا، وذلك ما يستفاد من وثيقة المعلومات المقدمة بمدينة يابرا Evora البرتغالية بتاريخ (8-12 ربيع الأول 940هـ/ 26-30سبتمبر1533م) ضد الكولونيل الفرنسي دوبنون De Pnon، المتهم بإمداد العرائش بمعدات حربية، وأكد القبطان دون جواوسوبرينو Don Jeao Sobrino في شهادته توصّله إلى معلومات تفيد بأنه بمجرد وصول السفينة المذكورة تم تسليح مراكب للإغارة على المسيحيين[4].

وقد أولى عبد الملك السعدي أولوية هامة لبناء السفن في العرائش، وذلك لتنشيط الغزو البحري، ليكون له مردود يغطي به نفقاته، وصار أهل الأندلس يسافرون في البحر مع أهل المغرب، وضيقوا على النصارى أشد تضييق، وكثرت الغنائم، وكان أكثر ما يستفيده

---

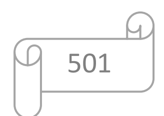
(1) الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص302.

(2) ابن أبي زرع: **الأنيس...**، **المرجع السابق**، ص 403 / عائشة قربوط: **المرجع السابق**، ص ص 65- 66

(3) مارمول كربخال: **إفريقيا...**، **المصدر السابق**، ج1، ص 190.

(4) **Les S.I.H.M,** 1' série, France, T1, pp 22-27, pp 33-34/.

عائشة قربوط: **المرجع السابق**، ص 66.



المولى عبد الملك، ويدخل بيده من المال، إنما هو من غنائم النصارى، وخمس الغنائم الجهادية [(1)].

ولعل أخطر عملية نُفذت انطلاقا من هذه القاعدة كانت (11 ربيع الثاني 977هـ/22 سبتمبر1569م)، بحيث قامت 9 سفن بنهب جزيرة لانزروت Lanzarote بالكناري انتهت بإحراق كنائسها وأخذ عدد كبير من الأسرى من بينهم 6 نساء من أشهر البيوتات بها [(2)]. وتجدر الإشارة إلى أن عدد أسرى جزر الكناري كان كثيرا بفعل الغارات المتوالية عليها، بلغ خلال سنة (987هـ/ 1579م) حوالي 1500 أسير أغلبهم من سكان الجزيرة الآنفة الذكر، وقد توصلت محكمة التفتيش بكناريا إلى تحديد أسماء 470 من بينهم عدد من الصيادين [(3)].

حافظت العرائش على مكانتها إلى أواخر القرن (10هـ/16م)، وذلك ما يستفاد من وصف المجهول البرتغالي المعاصر لأحمد المنصور بقوله:"...والعرائش في نفس الوقت قلعة حصينة، ومركز مهم لقراصنة الجزائر وقراصنة المغرب نفسه، وإليها يأتي التجار من تركيا ومرسيليا وإيطاليا وتوجد القلعة المذكورة ضمن ممالك فاس بيد أنها تابعة مباشرة للسلطان الذي يعيّن عليها قائدا مع مائتين من رجال الحامية، وتوجه مداخيل هذه البلاد إلى خزينة السلطان الكائنة بالقصر..."[(1)]، ويبدو أن القلعة المذكورة هي التي قام أحمد المنصور بالزيادة فيها عقب معركة وادي المخازن[(2)].

[(1)] عمار بن خروف: **العلاقات السياسية...**، **المرجع السابق**، ج1، ص148.

[(2)] **Les S.I.H.M,** 1' série, France, T1, note3, pp 290-291.

في تعليق مضمن على الحدث في هذه الوثيقة، رسالة فركوفو إلى شارل 9، يذكر دوكاستري أن الأمر يتعلق بحملة مراد رايس على لانزروت، والتي انتهت بنهب الجزيرة، وأسر 300 من سكانها، لكن ورد في أطروحة عبد الرحيم شكري: **العلوج بالمغرب خلال العهد السعدي**، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه الوطنية في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، السنة الجامعية 1999-2000م أن الحملة على لانزروت كانت سنة 1586م، ص 106.

[(3)] عبد الرحيم شكري: **الصراع بين المغرب وإسبانيا، خلال القرنين 16 و17** من خلال وثيقة تتعلق بالجهاد البحري والأسرى ثم العلوج في المغرب وإسبانيا، خلال القرن 17، المغرب، د.ت، ص64.

[(1)] مجهول برتغالي: **وصف المغرب أيام عهد المنصور**، تر.محمد مزين، عبد الرحيم بن حادة ، دار تينمل، مراكش، ط1، 1995م، ص ص 72-73.

[(2)] الفشتالي: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تح.عبد الكريم كريم، الرباط، 1972م، ص 64.

عمومًا ظلت مدينة العرائش تهدد الاتصالات البحرية للإسبان والبرتغال بالهند والجنوب الأمريكي فأثارت بذلك أطماعها، وإذا كانت المساعي البرتغالية قد انتهت مع معركة وادي المخازن فإن إسبانيا تابعت جهودها لفرض سيادتها عليها، وقد عبّر فليب الثاني عن أهمية هذا المركز قائلا: "العرائش وحدها تساوي إفريقيا كلها" لموقعها الممتاز الذي يسمح للمستولي عليها بمراقبة الساحل الغربي فهي ضرورية لأمن إسبانيا لذلك دخل في مساومات حولها مع السلاطين السعديين إلى غاية تنازل محمد الشيخ السعدي (المأمون) عنها لصالح فيليب سنة (1019هـ/1610م) [1].

وقد بلغ عدد الأسرى البرتغال الذين سقطوا بيد الرياس المغاربة من خلال حوليات أصيلا 133 أسيرا بين سنتي (911-942هـ/ 1505-1535م) بعد عمليات جهادية قادها مجاهدو الشمال[2].

5/ مركز المهدية: هي مدينة مبنية على الأطلس وسط غابات وبجوار عيون، أسسها داعية ولد في هذه الجبال، أيام كانت قبائل زناتة تسيطر على مدينة فاس، لكن لما دخلت قبائل لمتونة هذه المنطقة بقيادة يوسف بن تاشفين نهبت المهدية ودمرتها، ولم يبق منها سوى جامع، وذلك أن سكان هذا الجبل غلبوا على أمرهم وأصبحوا من رعايا ملك فاس، وذلك عام (515هـ/1121م)[3].

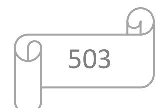
وكانت المهدية ترسانة للسفن أنشأها الموحدون عند مصب وادي سبو قرب القنيطرة الحالية، وأطلق عليها حينذاك حلق الوادي والمعمورة، وهي من أفضل المراسي النهرية، عرفت رواجا في عهد الوطاسيين والسعديين الذين زودوه بمدفعية لحمايتها من الأطماع الإسبانية، وفي نهاية القرن (10هـ/16م) أضحى مركزا جهاديا، وهي تقع بجانب الغابة التي حملت اسم المعمورة أيضا وكانت تزود الترسانة بحاجياتها من الخشب، احتلها البرتغال سنة (920هـ/1515م) في عهد أبي عبد الله الوطاسي، ودخلت في النفوذ الإسباني سنة (1021هـ/1613م)، وفي (ربيع الثاني 1091هـ/ماي 1680م) وقبل تحرير "طنجة"

---

[1] أمينة اللوة: **المرجع السابق**، ص ص 188-191. نقلا عن عائشة قربوط: **المرجع السابق**، ص 67.

[2] وللتعمق أكثر حول الموضوع، **ينظر** برناردو رودريكس: **حوليات أصيلا...**، **المصدر السابق**.

[3] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص 364.



بنحو ثلاث سنوات تقرر تحريرها انطلاقا من سلا وحملت اسم المهدية بعد التحرير، بأمر من المولى إسماعيل الذي بادر إلى تأهيلها [(1)].

6/مركز أزمور:مدينة في دكالة من بناء الأفارقة على مصب نهر أم الربيع في البحر المحيط، تبعد عن المدينة الغربية بثلاثين ميلا إلى الجنوب تحتوي على نحو 5 آلاف كانون، لا ينقطع عنها التجار البرتغاليون[(2)]، يتميز مركز أزمور بمدخله الصعب الذي لا يناسب إلا السفن الصغيرة، كان صعب الاستعمال في فصل الشتاء بسبب ترسبات النهر التي تشكل خطرا على السفن، وتظهر أهمية هذا المرسى من خلال البعثة البحرية التي أرسلها الملك البرتغالي سنة (912هـ/1507م) المكونة من ثلاث كرافيلات وسفينة لدراسة بعض المراسي من ضمنها مرسى أزمور ومباشرة بعد إرسال البعثة تقريرها للملك، تمت مهاجمة أزمور [(3)].

ثانيا- مصب أبي رقراق، أهم مركز في المغرب الأقصى:

1/مركز سلا (مصب أبي الرقراق): سلا **"Sale"** مدينة أزلية قديمة تقع على ساحل المحيط الأطلسي، كانت في الأصل قرية بربرية، يرجع بنائها إلى حوالي عام 1500ق.م [(4)]،حيث يقع مصب نهر أبي الرقراق في وضعية استراتيجية هامة باعتباره منطقة مستقلة لم تتعرض لا للغزو الإيبيري ولا لنشاط قرصني ملموس خلال القرن (10هـ/16م)، إن هذه الوضعية الاستراتيجية قاريا وارتباطها بالتمركز الجغرافي للمصب المشرف على الخطوط التجارية، حيث أخذ المصب مكانة بارزة بفضل مركزيه خاصة سلا، ذلك أن وجوده في نهاية منطقة الغرب وعلى مشارف إقليم تامسنا، متمركزا بذلك في نهاية الامتداد الإداري لمراكز فاس ومراكش [(1)].

---

(1) الأفراني محمد الصغير: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تح. عبد اللطيف الشاذلي، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص 506.

(2) الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص 157.

(3) حسن اميلي: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق ...، المرجع السابق**، ص 25.

(4) محمدى عبد المنعم محمد حسين: **مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري**، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، الإسكندرية، 1993م، ص 3.

(1) حسن اميلي: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق ...، المرجع السابق**، ص 17.

وقد ظل مرسى سلا في أواخر الحكم المريني وخلال عهد الوطاسيين من أواسط القرن (8هـ/14م) إلى غاية أواسط القرن (10هـ/16م) أهم مركز تجاري ساحلي في المغرب، فقد أشار أحد التجار الفرنسيين في تقرير له سنة (939هـ/1532م) لسلطان فاس يلتمس منه فتح المراسي المغربية في وجه التجارة الفرنسية، وهكذا أخذت سفن مدن جنوب فرنسا تتاجر بصفة منتظمة مع مدينة سلا[1]، إلا أن توفر الضفة اليسرى على قاعدة رملية محاذية للنهر، قد مكنها من اتخاذها كرصيف طبيعي قابل للاستثمار خلال الفترة الصالحة للملاحة كميناء نهري نشيط، ويبدو مصب أبي الرقراق بمميزاته الطبيعية الصعبة في وضعية سلبية، لكن كمرفأ متوفر على خصوصيات أمنية إيجابية من جهة أخرى، وقد مكنت الإيجابيات من البروز أكثر من الجوانب السلبية [2].

ازدهرت الصناعة في مدينة سلا نتيجة لتوفرها على المواد الخام اللازمة لقيام الصناعات المختلفة كالحديد والأخشاب[3]، فقد كانت سلا تزخر بأهم مورد طبيعي خاصة في النشاط الملاحي فقد اشتملت ضواحيها على موارد خشبية هامة جدا تقدر بأكثر من 300 ألف هكتار من الغابات شمالا وشرقا، مع ما يمثله ذلك من نشاط صناعي متخصص في أوراش بناء القوارب والمراكب، والصناعات المعدنية الخفيفة المرتبطة بها[4].

ونجد أن ميناء سلا كان من أهم موانئ المغرب الأقصى الواقعة على المحيط الأطلسي فقد كان يستقبل السفن المختلفة وفي مقدمتها السفن الأندلسية[5].

لقد أُجبرت القوات الأيبيرية على الابتعاد التدريجي نحو الأطلسي، وأصبحت الأساطيل الجهادية مضطرة إلى تعقبها في المجال الجديد وعلى طول الساحل المغربي، حيث ظهرت أهمية مصب أبي الرقراق للسعديين والإيبيريين الذين عملوا على محاولة استغلال

---

(1) كينيث براون: **موجز تاريخ سلا 1000-1800**، تر. محمد حبيدة، أناس لعلو، منشورات أمل، الدار البيضاء، ط1، 2001م، ص54.

(2) حسن اميلي: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق ...، المرجع السابق**، ص 19.

(3) عبد المنعم محمد حسين صحرى: **مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري**، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، الإسكندرية، 1993، ص62.

(4) حسن اميلي: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق ...، المرجع السابق**، ص 21.

(5) عبد المنعم محمد حسين صحرى: **المرجع السابق**، ص 63.

الحرب الداخلية للحصول على تنازلات سياسية تدعم موقعهم بالمغرب، وذلك من خلال مؤازرتهم لآخر ملوك بني وطاس، ففي سنة (955هـ/1549م) تقدم قائد سلا الوطاسي إلى بادس ليقدم للقوات الإسبانية معلومات عن سلا وعن تحصيناتها الدفاعية الهشة مشجعا على مهاجمتها باعتبارها القاعدة الأكثر ملاءمة لحملة منظمة على فاس، إلا أن النجاح السعدي آنذاك قد جعل الأيبيريين عموما في موقف دفاعي بمراكز الاحتلال، تاركين لمحمد الشيخ فرصة الانطلاق في تكوين الأسطول المغربي، وفي اتخاذ مصب أبي الرقراق مركزا له بنية تضييق الخناق على الثغور المستعمرة وعلى رأسها مازكان، الأمر الذي دفع حاكمها البرتغالي لدق ناقوس الخطر، لما يشكله ذلك من عرقلة في وجه الملاحة، ومن تشجيع السلطان على تطوير نواة الأسطول بالمصب[1].

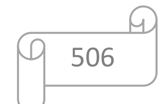
2/ الرباط (رباط الفتح): تقع على شاطئ المحيط، في مصب نهر أبي الرقراق بجهة الغرب، وهي مدينة كبيرة أسسها يعقوب المنصور ، إلا أن البعض ينسب تأسيسها لعبد المؤمن الذي سماها المهدية، لها قصبة حصينة يكتنفها البحر من جهة، والنهر من جهة أخرى، وهي تشبه مراكش في أسوارها وأبنيتها وإن كانت أصغر منها بكثير، أسسها الأمير ليقيم بها في الصيف حتى يكون أقرب للجيوش التي يُسيرها نحو إسبانيا، وسميت بالرباط أو الربض، وشيدت في مدة وجيزة[2].

رغب الملك في استوطان الصناع والعلماء والتجار المدينة ، فأمر بأن يمنح كل ساكن فيها تعويضا علاوة على ما تدر عليه مهنته من ربح، وقد أدى انتشار هذا الخبر إلى اجتذاب أناس كثيرين من كل الأصناف ومختلف المهن، بحيث أصبحت الرباط بعد قليل من أشرف المدن وأغناها في إفريقيا كلها، إذ كان لسكانها دخل مزدوج، التعويض المقرر، وما يربحونه في معاملاتهم مع العسكريين ورجال الحاشية الملكية، وكان المنصور يقيم بهذه المدينة من بداية شهر أبريل إلى شهر سبتمبر، ولما كانت الرباط مشيدة في مكان يفتقر للماء الجيد، لأن ماء البحر يدخل إلى النهر ويحمله المد إلى مسافة اثني عشر ميلا فيه، ولأن مياه الآبار مالحة، قام المنصور بجلب الماء من عين تبعد عن المدينة بنحو اثني عشر ميلا بواسطة

---

[1] حسن اميلي: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق...**، **المرجع السابق**، ص ص72-73.

[2] مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص129.



قناة محكمة البناء على أقواس شبيهة بتلك التي ترى في إيطاليا كلها، لاسيما قرب روما، وتنقسم هذه القناة إلى فروع عديدة، يحمل بعضها الماء للمساجد، وبعضها الآخر للمدارس والقصور الملكية والسقايات العمومية المقامة في جميع الأحياء[1].

وبعد وفاة المنصور أخذت هذه المدينة في التدهور، حتى أنه لم يبق منها سوى العشر، فالقناة البديعة قُطعت ودمرت أثناء الحروب التي شنها الملوك المرينيون ضد أسرة المنصور، وغدت الرباط في أسوأ حال .ويورد حسن الوزان بأنها غدت "..مهددة باستيلاء البرتغاليين عليها، وفعلا فإن جميع ملوك البرتغال السابقين صمموا العزم على غزوها علما بأنهم إذا ملوكها سهلوا عليهم احتلال المملكة، غير أن ملك فاس زود هذه المدينة بالأقوات الوافرة وساندها بكل ما في مستطاعه.."[2].

ثالثا – تجهيز الأسطول المغربي.

من المعلوم أن موضوع المغاربة والبحر موضوع لم يسبق أن درس بشكل دقيق، وذلك رغم حضوره عرضا بأغلب البحوث الأكاديمية التي أنجزت في جانب من جوانب تاريخ مغرب القرن (10هـ/16م)، وبدون شك أن سبب هذا الغياب يعود بالأساس لندرة المادة العلمية المتوفرة حول الموضوع، وخاصة بمصادرنا التقليدية، فقد تعودت هذه الأخيرة إدارة ظهرها للبحر، وإذا التفتت فإنها لن ترى البحر إلا بعيون الدولة[3].

لقد فرضت الملاحة بالمحيط التخلي عن القوادس التي تعتمد على المجاديف كقوة دافعة، وتم تبني المراكب الشراعية المستديرة، وكانت النماذج الأولى المعتمدة من تلك السفن محلية الصنع، إلا أنها كانت سيئة النوعية والتجهيز[4]، حيث يذكر الباحث البولوني في مقال بعنوان"الجيش والأسطول الحربي المغربيان في عهد سلاطين الدولة السعدية" أن الاهتمام السعدي بتملك أسطول حربي جاء بعد توقف امتد قرابة القرنين، حيث أن هذا التحول في علاقة الدول المغربية بالبحر جاء في ظرفية تاريخية جد صعبة، تزامنت مع هيمنة الأساطيل

(1) الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص201.

(2) **نفسه**، ص202.

(3) **نقلا عن** رقية بلمقدم: **البحر في تاريخ المغرب**، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب د.ط ، د.ت، ص 19.

(4) أحمد بوشارب: **قراصنة المحيط الأطلسي، المغرب، د.ط**، 2015م، ص17.

الأوروبية واجتهاد الأساطيل الإيبيرية في منع المغاربة من ركوب البحر وإبعادهم عن الساحل وذلك من خلال احتلال أهم الموانئ، وضرب وتخريب مصبات الأنهار والموانئ الصغيرة وتشديد الخناق على التجار الأوروبيين ومنعهم من نقل أي شيء له علاقة بالملاحة البحرية إلى المغاربة[1].

حيث أن المغرب منذ الفترة السعدية اكتسب أهمية استراتيجية باعتباره المنطقة الإسلامية المطلة على المحيط الأطلسي من جهة وعلى القاعدة الأقرب إلى إيبيريا من جهة ثانية.

1/الورشات والمادة الأولية:

لقد أولى السعديون اهتماما كبيرا لبناء أسطول عسكري وتجاري، لكن رغم محاولاتهم لم يتمكنوا من استرجاع المكانة التي كان يتميز بها في عهدي المرابطين والموحدين، لأن ميزان القوى أصبح لصالح أوروبا التي صارت سيدة البحار بحكم تقدمها الاقتصادي والتقني [2]، وهذه المحاولة نلمسها من خلال المبادرات التي قام بها محمد الشيخ بعد دخوله لفاس، إذ عمل على تنشيط صناعة السفن في بادس وسلا مستغلا إمكانيات هذه الموانئ فتم صنع أربع سفن سنة (957هـ/1550م) ومركبين كبيرين سنة (963هـ/ 1556م)، مستعينا في ذلك باستيراد المواد الأولية، وشراء الأرقاء المسيحيين الذين لهم مؤهلات في مجال صناعة السفن، لأن المغرب كان يعاني من ندرة الرجال المؤهلين لصنع وتجهيز السفن وتسييرها، وهذا نستنتجه من خلال محضر محاكمة بحار برتغالي كان يتردد على ميناء أسفي ،وحوكم من طرف محاكم التفتيش البرتغالية، وأن المغاربة في أسفي سنة (959هـ/1552م) كانوا يجهلون استعمال البوصلة وقيادة السفن ولا يستطيعون صناعة المراكب، كما كانوا يجهلون كيفية التعامل مع الخرائط البحرية، لذلك أصبح المغرب معتمدا بشكل كبير على الخارج للحصول على حاجياته من مواد التجهيز المتعلقة ببناء السفن بما فيها الحبال والمجاديف وغيرها من المواد البسيطة، لكن رغم المجهودات التي قام بها محمد الشيخ السعدي فإن وتيرة الإنتاج كانت ضعيفة ومحدودة وبقيت كذلك حتى في عهد عبد الله الغالب، في وقت

---

(1) رقية بلمقدم: **البحر في تاريخ المغرب** ....، **المرجع السابق**، ص 20

(2) عبد المجيد قدوري: **المغرب وأوروبا ما بين القرنين 15 و18م**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2012م، ص 347.

عرفت فيه صناعة السفن الأوروبية في القرن (10هـ/16م) تطورا هاما، وتجلى ذلك في تعدد مراكز صناعة السفن في فرنسا وإسبانيا والبرتغال والأراضي المنخفضة وإيطاليا وإنجلترا [1].

لكن خلال النصف الثاني من القرن (10هـ/16م)، اكتسبت الموانئ المغربية أهمية ، والتي ظهرت للسعديين وحتى للإيبيريين خاصة مصب أبي الرقراق الذي أضحى مركزا لصناعة السفن، كما اعتمدت نفس الطرق والتقنيات المعتمدة لدى الجزائريين والتونسيين والطرابلسيين وكيّفتها مع معطيات الملاحة بمصب النهر وفي المحيط الأطلنطي، لقد كانت ظروف العمل تفرض استعمال مراكب خفيفة وسريعة تمتاز بتسطحها وبقدرتها على الانسلال بدون خطر من خلال مجاري المصب القليل العمق، والمتضمن لأقاصير رملية خطيرة[2].

إن ما ميز الأسطول البحري المغربي وجود عدة أنواع من السفن مثل طرائد، شراعيات من صاريين، سنابك، مربعات الأشرعة، كرافيل، الشواني، فرقاطات، غليوطات، حيث أن صناعة وبناء السفن بالمغرب عريقة القدم، وحسب ما أورده "مويط" "Mouette" فإن أوراش بناء السفن كانت تتموقع عند منارة حسان، يعني في الرباط، أو ما كان يعرف بسلا الجديدة [3]، وقد دام اهتمام السعديين بمصب أبي الرقراق كقاعدة لصناعة السفن حتى في عهد عبد الله الغالب الذي نجده في سنة (963هـ/1566م) يعين أحد قواده على سلا بمهمة محددة في إنشاء السفانة وفي الاستعداد لتنظيم الجهاد البحري [4].

ما ميز الساحل المغربي عموما صخريته وقلة الخلجان الطبيعية به، فقد اكتنفتها صعوبات كثيرة نظرا لقلة عمق المياه ومحدودية الممرات القابلة للملاحة وانعراجاتها وتغير مواقعها، وكانت الحواجز الرملية تحول دون ذلك فقد كانت تعيق المراكب من مغادرة المرسى

---

[1] حفيظة الدازي: **التاريخ البحري**، جامعة ابن طفيل، المغرب، 2020م، ص 22.

[2] أحمد بوشارب: **قراصنة المحيط الأطلسي**...، **المرجع السابق**، ص17.

[3] مويط: **رحلة الأسير مويط**، تر.محمد حجي ومحمد الأخضر، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، المملكة المغربية، د.ت، ص18.

[4] حسن اميلي: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق**...، **المرجع السابق**، ص 74.

خلال فصل الشتاء، ويضيف الراهب دان أن صعوبة الملاحة ونوعية المراكب المعتمدة كانت سببا في عدم مطاردة السفن الأجنبية لما تعانيه المراكب المغربية من خفة [1].

ومقابل ما تتميز به من صعوبة في التسرب وموسمية فترة الاستغلال لاستحالة الإبحار فيها خلال الفصول الرديئة، تمنح من جهة أخرى ميزة هامة من حيث توفيرها لعنصر أمن ثمين للسفن بمجرد التوغل داخليا احتماء عن كل ملاحقة بحرية، وهي خصوصية تتمتع بها كافة المصبات المغربية الرئيسية: اللكوس وسبو وأم الربيع، وكذلك توُفر الضفة اليسرى على قاعدة رملية محاذية للنهر، قد مكنها من تشكيل رصيف طبيعي قابل للاستثمار خلال الفترة الصالحة للملاحة [2].

ويعتبر روجي كواندرو R.Coindreau أن النواة الأولى للأسطول السلاوي كانت مكونة من مراكب متوسطية أو برتغالية، معتمدة على المجاديف بدل الأشرعة[3].

وقد كان أهم مورد طبيعي هو منطقة مصب نهر أبي الرقراق الذي تستفيد منه، وبصفة خاصة في نشاطها الملاحي، وكان اشتمال ضواحيها على موارد خشبية هامة جدا تقدر بأكثر من 300 ألف هكتار من الغابات شمالا وشرقا، مع ما يمثله ذلك من نشاط صناعي متخصص في أوراش بناء القوارب والمراكب، والصناعات التعدينية الخفيفة المرتبطة بها [4].

لقد كانت الغابات المغربية تنتج الخشب الممتاز القابل للأعمال الكبرى لبناء السفن، إذ نجد أن الصنع المحلي بالأوراش الموجودة أسفل صومعة حسان، لكن النماذج المصنوعة لم تكن ذات جودة عالية، نظرا لقلة الوسائل وانعدام الخبرة وسوء نوعية خشب المعمورة[5]، ومقابل التعاون المغربي الأوروبي تمكنت البحرية المغربية من بناء السفن وتجهيزها عن طريق تصدير المواد والأدوات من مادة الخشب حتى آخر قطعة من قطع السلاح، أي أنها كانت تتلقى قطع السفانة مفككة لتقوم بتركيبها في الأوراش المحلية [1].

---

[1] أحمد بوشارب: **المرجع السابق**، ص 19.

[2] حسن اميلي: **الجهاد البحري. في مصب أبي رقراق..، المرجع السابق**، ص 15.

[3] أحمد بوشارب: **المرجع السابق**، ص 19.

[4] حسن اميلي: **الجهاد البحري. في مصب أبي رقراق..، المرجع السابق**، ص 21.

[5] أحمد بوشارب: **المرجع السابق**، ص 19.

[1] حسن اميلي: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق...، المرجع السابق**، ص 111.

وما يمكن اعتباره كذلك من المواد الأولية التي كان يعتمد عليها هو امتلاك التقنيات الأوروبية المتطورة، عمد المجاهدون إلى تطعيم الأسطول بالقطع الصالحة من السفن التي يغتنمونها، خاصة السفن الشراعية، ولهذه الغاية كانوا يبذلون قصارى جهودهم خلال العمليات الجهادية لغنم السفن وهي في حالة جيدة [1].

وقد كان بناء السفن بالأحواض المغربية بصفة عامة رديئا رغم النداءات المتكررة للمعونة الخارجية، فمثلا أحواض أبي الرقراق التي كانت ناقصة المعدات والرافعات للقطع الكبرى من الهياكل الخشبية، ظهر عجزها واضحا لإرضاء الطلبات على السفن من النوع الأوروبي[2].

2/المساعدات الخارجية:

عرفت المنطقة ازدهارا سريعا ، لكنه كان ظرفيا ويفتقد لعنصر الاستمرارية البشرية، حيث كان دورها محصورا في الظهور كمركز استقبال مؤقت لمتطوعين قادمين من مختلف الجهات ولهدف محدد، وينتهي الاستقبال بمجرد انتهاء المهمة جاعلا من عملية الجذب التي تمارسها المنطقة الأصلية أقوى من فرص البقاء التي توفرها المنطقة، خاصة منطقة مصب نهر أبي الرقراق[3]، من أهمهم الجالية الأندلسية التي قدمت مساعدات شملت كل المجالات خصوصا للبحرية المغربية.

وقبل هذا يرجح أن العلاقات المغربية الإنجليزية تعود إلى أيام محمد المهدي الوطاسي ففي سنة (958هـ/1551م) قدمت بواخر بريطانية مجموعة من الأسلحة والبضائع بأسفي لتوجيهها إلى مراكش، ولم تقتصر العلاقات هنا فقط بل واستمرت حتى فترة حكم عبد الله الغالب الذي وجه رسالة إلى ملكة إنجلتر إيزبيلا طالبا منها تصدير الأسلحة له[1]، وفي عهد عبد الملك المعتصم بعثت ملكة بريطانيا إليزابيث للمغرب أول سفير لها، وهو "إدمونود هوجان" في سنة (964هـ/1577م) من أجل الحصول على ضمانات، وقد كانت

---

[1] **نفسه**، ص 112.

[2] روجي كواندرو: **قراصنة سلا**، تر.محمد حمود، دار الآنية، المغرب، د.ط، 1991م، ص 93.

[3] حسن اميلي: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق ...**، **المرجع السابق**، ص 25.

[1] إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004م، ص ص 309 -310.

"إليزابيث" أكثر جرأة من "إيزابيلا" حيث كانت تبعث للمتوكل بالسلاح مقابل ملح البارود [1].

ونظرا للانطلاق المتأخر للأسطول السلاوي عن أساطيل الجهاد المغاربية، وإلى جانب الصعوبة الطبيعية التي يتمتع بها مدخل مرسى سلا الجديدة، فقد فرضت على وحداته الاستفادة من الريادة الجزائرية في ميدان السفانة، واعتمد البحارة المغاربة كذلك على استثمار السفن المأسورة والعمل على إعادة ترميمها وأقلمتها للملاحة الجهادية، وأيضا محاكاتها واتخاذها نماذج يُنقل عنها في أوراش البناء المحلية استعانة بالخبرات العالية التي يوفرها العلوج والأسرى المسيحيون، بالإمدادات التجهيزية التي كانت الدول الأوروبية تُجبر على تقديمها حفاظا على مصالحها، إما كعمل وقائي ضد تعرض سفنها التجارية لنقمة الجهاد البحري، أو كفعل استثماري غير مباشر لاحتكار التجارة في المغرب[2].

كذلك عمد الأهالي بعد تعلمهم إلى تكوين يد عاملة مؤهلة تأهيلا مناسبا، لكن رؤساء العمال والنجارين والجلفاطين وكل المختصين كانوا من أصل أوروبي، حيث قدم أغلبيتهم مساعدة ازدادت بالتتابع كلما تعقد بناء السفن المستعملة للجهاد البحري [3]، فالصواري وعُدتها وحبال القنب والبكرات وعتاد السفن وتوابع هيكل السفينة والمجاديف وقماش الأشرعة والزفت والجلفطة، إضافة إلى قطع المدفعية جميعها كانت تستورد من الخارج، كل هذا يدل على أن المغاربة كانوا بحاجة أكيدة وماسة للإعانة الخارجية لبناء سفنهم وبالأخص السفن الكبرى [4].

لم تقتصر المساعدات الخارجية للأسطول البحري المغربي على الاعتماد على كفاءات أجنبية فحسب، إنما سعى المجاهدون للحصول على آخر الإنجازات الملاحية من أوروبا، حيث كانت هولندا مصدرا رئيسيا، ففي سنة (1017هـ/1609م) ولما كان المولى زيدان في غمرة اهتمامه بإنشاء أسطول حربي، طلب من السلطات الهولندية تزويده بثلاثة

---

[1] إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 310.

[2] حسن اميلي: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق** ...، **المرجع السابق**، ص ص 101-102.

[3] روجي كواندرو: **المرجع السابق**، ص 88.

[4] **نفسه**، ص ص 88 – 89.

سفن، حيث تمت الاستجابة له في ذلك بإيفاد سفينتين حربيتين إلى مرسى أسفي، كما صدرت الأوامر في السنة الموالية بإنشاء ثلاث أو أربع وحدات في أوراشها، وحرص كذلك الملاحون المغاربة للحصول على سفن كاملة التجهيز بتكليف العلوج الهولنديين المنخرطين في صفوف المجاهدين المغاربة، وهذا باستغلال الروابط التجارية القائمة، [1]، وقد قدم "لويس الرابع عشر" مساعدة للمغاربة بتصدير الكبريت الذي كانوا يستخدمونه في صنع ملح البارود [2].

ومن بين المساعدات التي قدمت لنشاط البحرية المغربية تواطؤ الولايات العامة خاصة هولندا، ففي سنة (1021هـ/1612م) قد وافقت مع مولاي زيدان على تزويده بـ 600 بندقية و600 رطل من البارود والفتائل والرصاص وألف رمح، وفي سنة (1033هـ/1624م) استطاع مهربون برتغاليون كانوا مقيمين بسلا أن ينقلوا من هولندا إلى سلا كمية كبيرة من الأسلحة والعتاد الحربي لصالح مراد رايس أميرال سلا ، وكانت تتكون هذه الصفقة من 10.000 رطل من قنابل المدافع، و2000 رطل من بارود المدافع و120 بندقية فتيلة وعشر قناطر من كبريت و200 مجدف[3]، وفي رسالة مؤرخة بـ (4رجب1105هـ/.28فبراير1694م) بعث بها "ج.ب.إستيل" إلى "بونتشارتون" "Pontcartrain" يخبر فيها بأن شحنة هولندية هامة من الأسلحة قامت بنقلها سفن إنجليزية وهولندية إلى ملك المغرب مقابل وعد هذا الأخير بتحرير60 أسيرا هولنديا، وكانت هذه الشحنة من السلاح تحتوي على البارود والبندقيات والأشرعة وعدة الصواري لسفن الجهاد البحري التي كانت تبنى في سلا [1] .

3/ القيادات:

فرض نشاط الجهاد البحري على صعيد البنية البشرية قواعد تولد هاجس استقطاب كل ما مِن شأنه أن يكسب مؤسسة الجهاد قوتها الضاربة الضرورية، بتغذيتها بالطاقة البشرية

---

[1] حسن اميلي: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق...**، **المرجع السابق**، ص ص 110-111.

[2] روجي كواندرو: **المرجع السابق**، ص 89.

[3] **نفسه**، ص 91.

[1] **نقلا عن** روجي كواندرو: **المرجع نفسه**، ص 93.

اللازمة من كفاءات تقنية يتم تطعيم نواتها الأندلسية من مكونات المغانم في هيئة علوج أو أسرى متخصصين ملاحيا، أو كفاءات عسكرية عددية مؤلفة من نسيج مختلط؛ أندلسيون، أوروبيون، أهالي مغاربة، أو طاقات محركة للسفن تدعم طاقات الرياح يضطلع بتغذيتها أسرى مجاديف، الشيء الذي جعل الجهاد البحري قائما على تعدد جنسيات عناصره، وعلى ازدواجية ديانتهم، وتساوي درجاتهم من حيث الخضوع للعنصر الأندلسي المستثمر والممول شبه الواحد لحركة الجهاد البحري، وتؤكد الوثائق أن بداية نشأة الأسطول الجهادي بمصب أبي رقراق تعود إلى مطلع القرن قبيل ورود المهاجرين على يد أحد اللاجئين الغرناطيين السابقين والمدعو "الدغالي"[1].

وكانت القيادات تتكون من قبطان (رايس) وملازميه وهم العموم من المنشقين، ومع ذلك ففي السنوات الأخيرة لنشاط الجهاد البحري حصل بعض الأهالي المغاربة على وظيفة رايس[2]، حيث أن الحضور الأجنبي كان بشكل مكثف في النشاط البحري خاصة العثمانيين والعلوج والمسيحيين، برواتب عليا والمغاربة كانوا وراء إقبال هؤلاء على الخدمة بالموانئ المغربية[3]، ومن بين القيادات البحرية المغربية نجد:

1-**مراد رايس الأصغر** [1]: اسمه الأصلي جان جانسز (Jan Jansz)، أو جان جانسان Jan Janssen وهو من مدينة "هارلم" (Harleem) بهولندا، وقد كان في بلاده قرصانا تابعا للحكومة الهولندية، وشارك في حرب التحرير الهولندية ضد الإسبان[2].

أسر سنة (1025هـ/1618م) في لنزروت (Lanzarote) من طرف رياس جزائريين، ثم اعتنق الإسلام وأصبح يدعى مراد رايس أو القايد مراد، وبدأ الإبحار إلى جانب سليمان

---

[1] حسن اميلي: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق...**، **المرجع السابق**، ص 81.

[2] روجي كواندرو: **المرجع السابق**، ص 52.

[3] رقية بلمقدم: **المرجع السابق**، ص85.

[1] **مراد رايس الأصغر**: سمي بالأصغر وذلك تفريقا له عن مراد رايس الأكبر الجزائري الذي هاجم لانزروت سنة (993هـ/ 1585م) وهو دفين رودس، وهناك رواية تقول أن مراد الأكبر هو من حرر مراد الأصغر من أسره في لانزروت، ورباه وأطلق عليه اسم مراد الأصغر، ولمعرفة المزيد عن المرادين، **ينظر** عبد اللطيف بالطيب: **المرجع السابق**، ص ص 6-8.

[2] Peter Lamborn Wilson: **Utopies pirates corsaires maures et renegados**, traduit de l'anglais par Hervé Denés et Julius Van Daal, édition dagorno, 1998, p67.

رايس وبعد وفاة هذا الأخير في سنة (1026هـ/1619م)، انتقل إلى مدينة سلا أين تزوج امرأة من أصل أندلسي[1].

ومن بين الغزوات، التي شارك فيها مراد رايس تحت إمرة سليمان رايس مهاجمته جزيرة (De Piegne)[2]. وبدأ يذاع صيته منذ قيامه بأول غزواته في بحر المانش[3]، وقد قام مراد رايس بالتعرض لسفن هولندية فقد أسر ثلاثا منها، وبسبب كثرة الضربات التي وجهها مراد رايس لسفن الأعداء، فقد عينه السلطان المغربي مولاي زيدان في سنة (1033/هـ1624م) أميرالا على أسطول مدينة سلا[4].

وأشهر غزوات مراد رايس التي قادها هي مهاجمته لجزيرة أيسلندا[5]. وفي سنة (1036هـ/1627م) أُختير مراد رايس كأول حاكم لمدينة سلا[6]، وأيضا هجومه على بالتيمور بإيرلندا يوم (21ذو القعدة1040هـ/20 جوان 1631م) وقد وثق هذه الأحداث المؤلف الإيرلندي "دس ايكن Des Ekin في كتاب عنونه ب" القرية المسروقة بالتيمور وقرصان البرابرة" The Stolen Village, Baltimore and the Barbary Pirates[1].

وواصل الغزو البحري إلى أن تم أسره من طرف فرسان مالطة، ثم عاد إلى المغرب في سنة (1050هـ/1640م)، حيث سلمه الملك محمد الشيخ قيادة قصبة الوالدية، وعن مصير مراد رايس فلا أحد من المؤرخين يعلم كيف انتهت حياة هذا الرايس الكبير، الذي قدم الكثير للغزو البحري لكل من مدينة الجزائر ومدينة سلا، حيث يعتبر من الرواد الأوائل للغزو البحري في هذه الأخيرة[2].

---

(1) Meziane**: op.cit,** p173./ Lamborn Wilson**:op.cit**, p67.

(2) De Grammont: **op.cit**, p402.

(3) روجي كواندرو: **المرجع السابق**، ص105.

(4) Meziane**: op.cit**, p173.

(5) هو الرأس الجنوبي الأقصى على الساحل الغربي لأيسلندا. **ينظر** أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2005، ج2، ص83.

(6) Père Dan: **op.cit**, p 209./ Meziane: **op.cit**, p355 .

(1) قام الدكتور عبد اللطيف بالطيب برد على هذا الكتاب بكتاب عنونه ب: **أمير البحر مراد رايس الأصغر الجزائري من الجزائر إلى إيرلندا**.

(2) Meziane**: op.cit**, p254, et pp174-175.

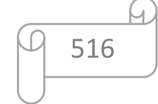
2-عبد الله بن عائشة: يعتبر من بين القيادات التي ظهرت قبل أفول نجم الجهاد السلاوي وهو رايس مسلم حقق شهرة واسعة في نهاية القرن (11هـ/17م)، ويمكن اعتباره كآخر كبار مجاهدي سلا ومن أشهر رياسها المرعبين وهو الملقب ببنعاش، ولد في أواسط القرن (11هـ/17م)، زاول الجهاد البحري منذ قدومه من الأندلس، لا يعرف الكثير عن حياته سوى أنه توفي عام (1124هـ/ 1712م)، وله من الولد ثلاثة أبناء وثلاث بنات، وبدأت حياته في البحر حوالي سنة (1083هـ/1672م)، ويقول عنه القنصل الفرنسي السيد جان باتيست ايستيل (Jean Baptiste Estelle): بأنه كان رئيس البحرية الملكية في المغرب، ففي سنة (1109هـ/1698م) تمكن من الدخول في المفاوضات التي كانت تحمل التهديدات بضرب المدينة بقيادة القبطان الفرنسي كوتلوغان Coetlogon والذي استطاع من خلالها إقناع سلطان المغرب بالتفاوض مع فرنسا، فكانت تلك مناسبة اختياره من أجل عقد السلام مع فرنسا[1] .

وفي سنة (1095هـ/1684م) أخذ بن عائشة الذي كان يحمل رتبة جنرال مجاهدي سلا يهاجم الفرقاطات الإنجليزية، وفي (19 ذي الحجة 1097هـ/5 نوفمبر 1686م) استولى على سفينة من "هوفلور" وعلى سفينة "اسبرانس"، وتعددت مثل هذه العمليات بمساعدة عائلته، وهو شخصية معروفة على العموم بسفاراته لدى لويس الرابع عشر سنة (1109هـ/1698م)، والمهمة المدهشة التي أنيطت به من طرف المولى إسماعيل والمتمثلة في طلب سيده يد الأميرة "دي كونتي" "De Conit" [1].

---

[1] جمال سهيل: **البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن 11هـ/17م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشرا. عمار بن خروف، المركز الجامعي بغرداية، 1431-1432هـ/ 2010-2011م، ص ص 121-122.

[1] روجي كواندرو: **المرجع السابق**، ص 62.



3- عبد الرحمان بن عائشة: شقيق عبد الله، سار على خطاه، وكان له مساهمة في البحرية المغربية، فقد كان يقود سفينة مجهزة بـ 18 مدفعا وطاقما مكونا من 130 رجلا، ونتج عن التعاون بينه وبين شقيقه هو دخول أحدهم إلى مدينة المعمورة والثاني إلى سلا، مُتحدّين بذلك السفن الحربية البرتغالية التي كانت تحاصر هذين الميناءين، وقد أثمر تعاونهما من جديد لما دخلا المعمورة بعد استئناف الجهاد البحري، حيث حصلا على غنيمتين الأولى سفينة انجليزية ذات حمولة 100 طن مشحونة بالموز والزنك، والثانية سفينة فرنسية ذات 200 طن تحت قيادة القبطان "ماتيوكو" مجهزة بأربعة مدافع وطاقم من 21 رجلا ومشحونة بالسكر الخام والكاكاو... [1].

4-الرايس "علي حكم": كان يحمل لقب "نائب أميرال سفن سلا"، وقد مارس الجهاد البحري لأطول فترة بداية من سنة(1081هـ/1671م)، وفي سنة (1126هـ/1715م) كان في حوزته سفينة مخصصة للجهاد البحري دون أن يضع نفسه حيز الخطر، وفي سنة (1108هـ/1697م) حمل السلاح والمعدات بإذن من السلطان إلى مدينة "أكادير" وشارك في حملة مع ابن عائشة فاستولى في مياه الأسور على قاربي صيد إسبانيين يقود كل واحد منهما عشرة رجال[2].

5-الرايس فنيش: من بين رياس البحر المغاربة ذوي الأصول العريقة من سلا المرافق لـابن عائشة في جهاده البحري، والذي حقق في سنة (1102هـ/1691م) أسر باخرة انجليزية صغيرة كان يقودها طاقم مكون من ثمانية رجال وهي في طريقها إلى جزر مادر، وفي سنة (1104هـ/1693م) تولى قيادة سفينة مجهزة بـ 18 مدفعا أسر بها في مياه الأسور باخرة فرنسية من حمولة 100 طن يقودها القبطان ريكو مشحونة بالملح والزيت وبعض الملابس التي يقتنيها سكان هذه الجزر، أما في سنة (1105هـ/1694م) فقد تمكن من فك الحصار المضروب من طرف الأسطول البرتغالي ودخل في وضح النهار إلى مدينة سلا على متن سفينة مجهزة ب 18 مدفعا و150 رجلا وهو يسخر من البرتغاليين، وفي سنة

---

(1) روجي كواندرو: **المرجع السابق**، ص 64.

(2) **نفسه**، ص 67.



(1106هـ/1695م) هلك غرقا بسفينته بعد أن أسر في مياه جزر سان ميشيل سفينة برتغالية تحمل على ظهرها 18 رجلا وامرأتين و7 من رجال الدين[1].

مما تقدّم يمكن القول، بأن حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى كانت محتشمة في المراكز والقواعد الجهادية البحرية الواقعة على المحيط الأطلسي كأزمور والمهدية، وذلك نظرا للسيطرة الإيبيرية على طريق التجارة وتحكمها في المحيط، أما المراكز الواقعة على البحر المتوسط، ك: تطوان، بادس، ترغة، فقد كانت أكثر نشاطا، بحكم قربها للمراكز الجزائرية ، وتردد مجاهدي الجزائر عليها بكثرة والدليل على ذلك هو تمركزهم بحجر بادس، لكن خلال القرن (11هـ/17م) ازدهرت بقوة في مصب أبي الرقراق، وذلك بفضل الموريسكيين والعلوج الأوروبيين بعد استقرارهم بالمصب خاصة وبالسواحل المغربية عامة، والتي كانت نتائجها إلحاق أضرارا بليغة بالتجارة الأوروبية .

-فرضت البناءات المنشأة في الأوراش المحلية حدودا تقنية غبر قابلة لتجاوز أنواع معينة من السفن من حيث الحجم والحمولة والسرعة، تأثرا بطبيعة المراسي وظروفها الملاحية.

-حرص المغاربة على تجهيز سفنهم وأساطيلهم بالاعتماد على ما توفر لديهم من خبرة بحرية حربية أندلسية وأوروبية، وهو ما سيؤهل هذه المراكز حتمًا لتبني نشاط الجهاد البحري خلال الفترة المدروسة، كقوة عسكرية لا تقل أهميتها عن قواعد الجهاد البحري في الإيالات المغاربية.

---

[1] روجي كواندرو: **المرجع السابق**، ص 67.

المبحث الثاني- دور مراكز حركة الجهاد البحري المغربي في مجابهة الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/16م):

عرف المغرب الأقصى خلال القرن (10هـ/16م) ركودا في حركة الجهاد البحري، وذلك من خلال افتقاده لأسطول بحري يمكّنه من التصدي لهجمات الدول الصليبية المسيحية من ناحية البحر خاصة البرتغال والاسبان اللتان كانتا تترصدان السواحل المغربية في تلك الفترة، إلا أن مراكز الجهاد البحري كان لها دور بارز في مجابهة تلك الحملات رغم إمكانياتها الضعيفة، **وفي هذا السياق نطرح التساؤل الآتي:**

فيم يكمن الدور الذي اضطلعت به مراكز حركة الجهاد البحري المغربي في مجابهة الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/16م)؟

أولا-دور مراكز حركة الجهاد البحري المغربي في مجابهة الاحتلال البرتغالي وحملاته خلال القرن (10هـ/16م):

1/ مركز سبتة بين الاحتلال ومحاولات التحرير:

أ-البرتغاليون يحكمون قبضتهم على مدينة سبتة:

كان للملك البرتغالي يوحنا خمسة أبناء، ولما أصبحوا قادرين على حمل السلاح قرر إرسالهم لاحتلال مدينة مغربية، وكان العزم على غزو سبتة، فاتخذ الاستعدادات اللازمة للعملية، فأرسل سفينتين حربيتين لاستطلاع المكان، بدعوى أنهما تحملان سفارة إلى صقلية[1]، وفي يوم الخميس (15 جمادى الثانية 818هـ/21أوت 1415م) أرسل جيشا ضخما لاحتلال سبتة، فكانت بذلك أول مدينة ساحلية تستعمر في المغرب الأقصى[2].

أما عن كيفية احتلالها فقد قام الملك البرتغالي بإرساء سفنه من جهة جبل طارق، وكلما وصلت مراكب كانت ترسى هناك وتخرج قوارب الإنقاذ، بينما كان المغاربة يسرعون إلى القصر، وهكذا دخل الطرفان في الاشتباك والمطاردة حتى وصلوا أبواب المدينة، فحدثت

---

[1] مارمول كربخال: **المصدر السابق،** ج2، ص218.

[2] محمد الفاسي: **احتلال البرتغاليين للثغور المغربية الذي أدى إلى موقعة وادي المخازن،** في م. د. ح، عدد خاص، عدد 8، 1978، ص 21. / جلول بن قومار: **علاقات المغرب الاقصى السياسية...، المرجع السابق،** ص 185.

بذلك معركة شديدة في الساحات والأزقة، حتى استولوا عليها وقتل جل المغاربة، وترك بها "دم بيدرو دي منيسيس" حاكما عليها، وبقيت سبتة منذ ذلك التاريخ تابعة لملك البرتغال[1].

ب-محاولة مجاهدي المغرب تحرير سبتة:

قام مجاهدو المغرب بتشكيل قوة مغاربية موحدة، ضمت كلا من ملك فاس وأمير وهران وأمير تونس، وبلغت قوتهم 40 جندي من أجل تحرير سبتة لكن محاولتهم باءت بالفشل، لأنه رغم عدد الجنود الكبير إلا أن سلاحهم كان بسيطا، فهو لا يزيد على درقات خشبية ، وهذا ما أدى لانهزامهم بالرغم من قلة عدد الجنود البرتغال الذي لا يزيد على 800 جندي[2].

بعد سقوط المدينة، حاول محمد الشيخ سنة(881هـ/1476م) نجدتها، لكنه لم يتمكن من الظفر بالنصر[3]، كما حاول الوطاسيون تحريرها، فقاموا بعقد تحالف مع الإسبان للاشتراك معهم في الهجوم على مدينة سبتة ،التي وقعت تحت السيطرة البرتغالية من أجل تحريرها سنة(881هـ/1486م)، لكن الإسبان رفضوا مساعدة الوطاسيين[4].

ثم كرر محمد الشيخ محاولة التحرير مرة أخرى، فالتقى بالجيوش البرتغالية عند وادي اللكوس سنة(894هـ/1489م)، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل وانتهت بعقد هدنة بينهما[1].

2/ تطوان محتلة برتغالية:

بعدما استولى الإسبان على غرناطة، هاجر بعض الأندلسيين للمغرب ونزلوا في مرتيل قرب تطاوين، فأجلّ الملك محمد الشيخ الوطاسي مقدمهم ورحب بهم، وطلبوا منه تعيين موضع لهم، فأجاب مرادهم وعين لهم مدينة تطاوين الخربة منذ 90 سنة، وولى عليهم

---

(1) مارمول كربخال: **المرجع السابق**، ج2، ص 219.

(2) عبد العزيز بن عبد الله: **سبتة ومليلة معقلان مغربيان أماميان على البحر الأبيض المتوسط**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، د.ت، ص11.

(3) إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ج2، ص198.

(4) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **المرجع السابق**، ج6، ص80.

(1) إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ج2، ص198.

كبيرهم أبا الحسن علي المنظري، الذي شرع في بناء أسوار البلد القديم، واستوطنه وشرع في جهاد البرتغاليين المحتلين للكثير من السواحل المغربية [1].

وكان البرتغاليون في الفترة الممتدة من سنة (801هـ/1399م) إلى سنة (802هـ/1400م) قد قدموا على احتلال تطوان، وذلك بحشد القوات القشتالية، من رعايا الملك هنري الثالث صوب هذه المدينة، التي سقطت، رغم أنها كانت محصنة بسور بناه عبد الحق المريني سنة (684-685هـ/ 1286م-1287م) لحمايتها من أي عدوان خارجي قد تتعرض له[2].

3/ القصر الصغير بين الاحتلال والتحرير:

أ-البرتغاليون يحتلون القصر الصغير: بعدما احتل ملك البرتغال ألفونس أصيلا، توجه مع أخيه دم هنري، وحفيد دم بيدري إلى القصر الصغير ب180سفينة شراعية، ولرداءة الطقس قرر الملك تغيير خطته بمهاجمة طنجة، لكن أعوانه لم يتفقوا معه، فتقدم أمام المدينة وأمر بإنزال مراكبه، إلا أن عملية الإنزال لم تتم مثلما خطط لها، إذ تصدى لهم 500 فارس مغربي مع عدد من المشاة الذين تمكنوا من قتل وجرح العديد من جنوده، وبسبب تقهقر المغاربة أخذ الملك كل ما يلزمه لمهاجمة المدينة، وقام بضرب الظواهر من جميع الجوانب فكانت المعركة حامية بين الطرفين، وتكبد كلاهما خسائر كبيرة، ولما يئس المجاهدون المغاربة من أية نجدة قرروا التفاوض بتسليم المدينة شريطة أن يأمنوهم على أرواحهم وأمتعتهم، لكن الملك لم يقبل إلا بشرط تسليمهم الرهائن، فقبلوا ذلك وقادهم الأمير إلى الملك الذي أذن له بالتفاوض وتوقفت المعركة، وفي هذه الأثناء غادر الأهالي بلدتهم باتجاه جبل يأويهم تاركينها للبرتغاليين في سنة (862هـ/1458م) الذي استهل لمساته فيها بتحويل مسجدها إلى كنيسة باسم العذراء ووضعها تحت مسؤولية ابن الكنتندريفيلاريال قبل توجهه إلى سبتة[1].

---

[1] أحمد بن خالد الناصري: **المرجع السابق**، ج4، ص 124.

[2] محمد حافظ الزراقي: **نظريات حول عملية الترميم والمحافظة على المعالم التاريخية أسوار مدينتي تطوان وشفشاون نموذجا**، الندوة الوطنية حول أسوار المدن العتيقة، مديرية التراث الثقافي، المملكة المغربية، د.ت، ص123.

[1]Feucher Christian: **Mazagan (1514-1956)**, L'harmattan, Paris,2011,p16

- مرمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص ص214-215.

ب-مجاهدو المغرب يحررون القصر الصغير: في (محرم863هـ/ ديسمبر1458م) اعتزم ملك فاس على تحرير مدينة القصر الصغير التي قصدها رفقة مجاهديه وكان له ذلك ، وبعد بضعة أيام غادر الملك ألفونسو سبتة بأسطوله راجعا إلى البرتغال، وذلك لأنه لم يتمكن من إنزال الجنود للبر وإنقاذ المدينة، بسبب محاصرة المجاهدين للشاطئ، وبعد ستة أشهر أعاد البرتغاليون الكرة بجيش مكون من 100ألف محارب وكمية من المدفعية، وبعد الحصار الذي دام 53 يوما انسحبوا من المدينة بخسائر كثيرة دون تحقيق ما جاؤوا من أجله، فأُخلي بذلك القصر الصغير[1].

4/ مدينتا آسفي وآزمور بين الاحتلال والتحرير:

أ-البرتغاليون يحتلون مدينة آسفي:

يتحدث منويل عن احتلالها أن البرتغاليين تشوقوا للاستيلاء على آسفي، فزحفوا إليها واستولوا عليها وحصنوها، وبعد مرور ثلاث سنين من أخذها وقعت حرب بين الطرفين، كانت صفوف المجاهدين كثيرة كأمواج البحر، وقتل بها قواد وعسكر البرتغال وكبارهم، ولما قويت شوكة البرتغاليين ارتحل المجاهدون عنها بعدما شارفوا على تحريرها، ثم بعد سنين قليلة زحف المجاهدون إليها بعدد من المدافع، وقاتلوا قتالا صعبا وهدموا السور، لكن المسلمين ارتحلوا عنها قبل تحريرها، وأعرضوا عنها مدة، فعمرت بالنصارى وانتقل إليها التجار وبنوا بها الدور، ثم عادت للمسلمين بعد نحو 23 سنة، وفي مرآة المحاسن، قال الشيخ أبو عبد الله محمد العربي الفاسي ما نصه:" ...أن صاحب آسفي أخرج الشيخ أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولي منها فدعا عليهم، فسأل منه العفو، فقال: " أربعين سنة" فأخذها النصارى بعدها" وكان استيلاءهم عليها سنة(910هـ/1504م)[1].

ب-البرتغاليون يحتلون مدينة أزمور:كان التجار البرتغاليون يقصدون أزمور مرة في السنة ليشتروا كميات وافرة من السمك، وهكذا تمكنوا من إقناع ملكهم بالاستيلاء على المدينة، فقام هذا الأخير بإرسال أسطول مكون من عدد كبير من السفن، لكنه انهزم، وبعد سنتين أعاد الملك الكرة بإرساله أسطولا آخر مكونا من200 سفينة بقيادة الدوق ديبراكانس في

[1] مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص216.

[1] أحمد الناصري: **المرجع السابق**، ج4، ص141.

(26جمادى الثانية 919هـ/28 أوت 1513م) بها ألف فارس و13 ألف راجل، ولما رأى أهالي أزمور كل هذه القوى انصدموا وفروا، وكان اليهود قد اتفقوا مع الملك البرتغالي تسليمهم المدينة شريطة ألا يلحقهم منه أي أذى، ففتحوا له الأبواب وهكذا استولى البرتغاليون على آزمور[1].

وكان للسعديين والأتراك العثمانيين استراتيجية في مقاومتهم للمحتل ، وهي فرض الحصار الاقتصادي، وذلك بالتضييق على الحاميات لإرغامها على مغادرة المركز، فقد طبق السعديون هذا الأسلوب في جنوب المغرب بمنع القبائل المجاورة للمدن مثل آسفي وأزمور من المتاجرة مع الحاميات وأداء الضرائب للسلطات البرتغالية[2].

ج-تحرير مدينتي آسفي وأزمور:

بعد فشل حملة البرتغاليين في جنوب المغرب أجبر المسؤولون على التفكير في التخلي بجدية على آسفي وأزمور، خاصة وأن المدينتين أصبحتا هدفا لغارات السعديين بعد سقوط حصن سانتا كروز، واقتنعوا أن الاحتفاظ بهما لم يعد يوفر أية إمكانية لغزو المغرب والتوسع فيه، وصار الدفاع عنهما مكلفا لخزينة الدولة التي لم تعد قادرة على تحمل تلك النفقات بسبب عجزها المالي وتعدد جبهاتها، وبعد توالي زحف السعديين نحو شمال البلاد شب الخوف لدى البرتغاليين الذين باتوا قلقين على مصالحهم في المغرب، الأمر الذي دفع الملك جوان الثالث لفتح ملف التخلي عن آسفي وأزمور، في هذه المرحلة والتداول حوله مع المسؤولين في الحكومة البرتغالية ومع الإمبراطور حاكم اسبانيا، لكن فئة العسكريين والنبلاء التي تشبثت بمصالحها في المغرب سعت لإقناع الملك البرتغالي بالاحتفاظ بالمدينتين، وضرورة شن حرب قوية على الشرفاء والاستعانة عليهم بالملك الوطاسي، لكن اقتناع الملك البرتغالي بعدم جدوى الدفاع عن المدينتين جعله يصدر أوامره بإخلاء آسفي وأزمور، وتمت العملية ما بين (1و11رجب 948 هـ/20و30 أكتوبر1541م)، وأرسل للإمبراطور يخبره بقرار التخلي عنهما ويوضح الأسباب التي أجبرته على ذلك، ومنها الصعوبة التي يطرحها موقع المدينتين

[1] الحسن الوزّان: **المصدر السابق،** ج1، ص158.

[2] زهراء النظام: **المرجع السابق،** ص 111.

بالنسبة لدولة البرتغال، بالإضافة إلى القوة التي برهن عنها السعديون أثناء حصارهم لحصن سانتا كروز [1].

5/مدينة طنجة محتلة برتغالية:

استولى البرتغاليون على طنجة سنة (869هـ/1464م) وقد هاجموها للمرة الأولى عام (839هـ/1437م) وطردوا منها سكانها وحولوا مساجدها إلى كنائس، ولما آل التاج البرتغالي إلى فيليب الثاني ملك إسبانيا بعد انهيار الدولة البرتغالية نهائيا إثر معركة واد المخازن سنة (986هـ/1578م) صارت طنجة تحت السيطرة الإسبانية واستمرت تحت هذه السيطرة أزيد من 60 سنة(986-1050هـ/1578-1640م)، ثم عادت للسيطرة البرتغالية بعد انفصال البرتغال عن إسبانيا [2].

6/مركز المعمورة بين الاحتلال والتحرير:

هي مدينة صغيرة أسسها أحد ملوك الموحدين على مصب نهر سبو، لكن على بعد ميل ونصف من المكان الذي يصب فيه النهر في البحر، وعلى بعد اثني عشر ميلا من سلا وليست ضواحي المعمورة إلا سهلا رمليا، وقد أسست المدينة لتحمي المصب وتحول دون دخول سفن الأعداء إلى النهر، وفي جوار المدينة غابة بها أشجار باسقة[3]، ونجد أن مركز المعمورة يتمتع بأهمية استراتيجية وتجارية مهمة، فهو بذلك المنفذ التقليدي لسهول المغرب الأقصى الغنية، مما جعله قبلة للتجار من كل حدب وصوب، وقد كان يصدر مختلف المنتجات باعتباره مركزا تجاريا، وإلى جانب أهميته الاقتصادية والتجارية، كان مقرا ومركزا لحركة الجهاد البحري التي كانت تعترض السفن الأوروبية المعادية لهم، والتي تمر بمحاذاة الساحل المغربي المطل على المحيط الأطلسي، وسببت هذه الهجمات أضرارا وخيمة للدول الأوروبية، خاصة إسبانيا، فقررت بذلك اسبانيا مهاجمة هذا المركز الجهادي والسيطرة عليه لمنع هذه الهجمات وإلقاء القبض على المتسببين في ذلك[1].

---

(1) **نفسه**، ص ص 114-116.

(2) محمد الصغير اليفراني: **روضة التعريف**...، **المرجع السابق**، ص 72.

(3) الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص211.

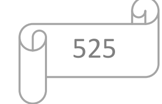
(1) عبد اللطيف الشاذلي: **المرجع السابق**، ص31.

وفي سنة(663هـ/1265م) هدم أسطول حاكم لشبونة مدينة المعمورة فاستمرت خربة إلى أن سيّر ملك البرتغال في (1جمادى الأولى 921هـ/13 يونيو1515م) أسطولا ضخما لبناء حصن عند مصب النهر، وأقاموا جميع الأسس وشرعوا في تشييد الجدران والأبراج، في حين كان معظم الأسطول راسيا في الميناء[1]. وفي هذه الأثناء حشد ملك فاس جنوده، وبعث إلى أخيه حاكم مكناس ليتوجه نحو المعمورة مع أكثر عدد ممكن من الناس، وست قطع من المدفعية، فتوجه الأخ إلى المعمورة بثلاثة آلاف فارس، و30 ألف راجل، ولم يلبث أن لحق به الملك في عدد لا يحصى من الفرسان والمشاة، والتقيا على بعد أربعة فراسخ من الحصن، ومن هناك أرسلا فرسانهما لإيقاف الأشغال، وكان بإمكان البرتغاليين حماية الحصن ضد قوة المجاهدين المغاربة، لكن القائد عندما علم بأن القطع المدفعية الست كانت على بعد نصف فرسخ من الحصن مع قليل من الناس لحراستها، ظن أنه يسهل الاستيلاء عليها[2].

وفي إحدى الليالي نزل ثلاثة آلاف برتغالي من سفنهم قصد الاستيلاء على مدفعية ملك فاس، وقد أخطأوا حين قدروا أن هذا العدد القليل من المشاة يستطيع أن يقوم بمثل هذه العملية الحربية، في حين كان خصمهم يتوفر على 50 من المشاة وأربعة آلاف من الفرسان، لكن البرتغاليين ظنوا أنه قبل أن ينتبه أحد من مخيم عدوهم إلى ما يجب عمله للرد على هجومهم الخاطف، أنه يمكنهم أن يسحبوا المدفعية إلى الحصن الذي كان على مسافة نحو ميلين من مكان المدفعية، وكان يقوم على حراسة هذه المدفعية ما بين ستة آلاف وسبعة آلاف رجل إلا أنهم كانوا جميعا نائمين عند الفجر، وقد نجحت العملية لدرجة أن البرتغاليين سحبوا قطع المدفعية إلى مسافة ميل تقريبا ففطنوا بهم، وحدثت جلبة أيقظت كل المحلة، فأخذوا السلاح بسرعة وانقضوا على البرتغاليين الذين تحلقوا على الفور في شكل دائرة، وتابعوا سيرهم دون أن يفقدوا شجاعتهم وهم يدافعون عن أنفسهم، ولم يصبهم أي ذعر عندما وجدوا أنفسهم مطوقين من جميع الجهات، بعدما قطعوا طريقهم، بل إن الإقدام والحمية أتاح لمقدمة جيشهم أن تشق لنفسها ثغرة بالقوة، وكادوا ينجون رغم جيش عدوهم

[1] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**،ج1، ص211.

[2]مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص ص 137-138.



لولا أن بعض الموالي العلوج الذين كانوا يعرفون اللغة البرتغالية صاحوا بهم أن يلقوا السلاح، وأن شقيق الملك يؤمنهم على حياتهم، ففعلوا ما أمروا به، لكن المغاربة الحانقين لم يريدوا أن يأسروا منهم واحدا وقتلوهم جميعا ولم ينج منهم إلا ثلاثة أو أربعة بفضل حماية بعض قواد جيش شقيق الملك[1].

أصبح القائد حاكم الحصن حينئذ في حالة يأس لأن خيرة جنده كانت من بين القتلى، فطلب النجدة من القائد العام الذي كان يرابط خارج مصب النهر في سفن تحمل على ظهرها عددا من النبلاء والفرسان البرتغاليين، لكن السفن لم تستطع الولوج في النهر الذي كان الحرس الملكي يقوم على حمايته ويقصف بمدفعيته القوية السفن البرتغالية فيغرق بعضها[2].

وفي هذه الأثناء وصل خبر موت ملك إسبانيا إلى البرتغاليين، فأرادت أعداد كثيرة من السفن التي كان الملك الهالك قد بعث بها أن ترجع لبلادها، وفضلا عن ذلك فإن قائد الحصن أخلاه حين يئس من الحصول على أية نجدة، والسفن الراسية بالنهر لم ترد البقاء في مكانها، فهلك ثلثاها تقريبا عند الخروج، إذ حاولت أن تبتعد عن الضفة التي تقذف منها المدفعية محاذية الضفة الأخرى فغاصت في الرمل، لأن ذلك الجانب من النهر كان قليل العمق، فانهال عليهم المجاهدون المغاربة وقتلوا الكثير منهم، وارتمى الآخرون في النهر آملين أن يلتحقوا بالسفن سباحة، لكنهم غرقوا أو قتلوا كما قتل الأولون، وأحرقت السفن وقذف بمدفعيتها في الماء [1].

ويقال إنه قتل في هذه الحملة 10آلاف من النصارى، وبعد ذلك أمر ملك فاس بالبحث في النهر فوجدوا فيه400 قطعة مدفعية من البرونز، وقد حدثت هذه الهزيمة لسببين، يعود الأول إلى البرتغاليين الذين أرادوا الاستيلاء على مدفعية عدوهم بعدد قليل من الرجال، ودون تقدير قوات الخصم، والثاني أن ملك البرتغال الذي كان بإمكانه أن يرسل أسطولا كاملا على نفقته التامة وتحت قيادة ضباطه الخاصين به، أراد أن يضيف إليه

---

[1] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص 212.

[2]الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص 212.

[1] نفسه، ص 212.

أسطول القشتاليين[1]، لكن السلطان محمد البرتغالي بن السلطان محمد الشيخ الوطاسي كرّ عليهم بعد خمسة أعوام واسترجعها منهم[2].

7/ساحل البريجة والمدينة الجديدة بين الاحتلال والتحرير:

أ-البرتغاليون يستولون على ساحل البريجة ويشيدون المدينة الجديدة:أرسل ملك البرتغال مانويل في سنة (907هـ/1502م) أسطولا للاستيلاء على بعض ثغور المغرب فألجأهم هيجان البحر وموجه إلى ساحل البريجة، فأرسوا بها وقاموا بتحصينها وشحنها بما يحتاجون إليه من عدة وقوت تاركين بها 12 رجلا، أما البقية رجعوا إلى ملكهم لإخباره بشأنهم، فأذن لهم وبعث معهم البنائين والعملة ليبنوا لهم ما يتحصنون به، لكن أهل البلاد تسابقوا إليهم وأفسدوا كل صنيعهم، فعادوا من حيث أتوا، فقام ملكهم باستئناف العزم وبعث بحصة من العسكر فانتهوا إلى الموضع المذكور بعد سبع سنين من مقدمهم الأول، وقاموا ببناء حصن على البريجة القديمة[3].

ب-مجاهدو المغرب يحررون المدينة الجديدة: زحف المجاهدون السعديون في عام (969هـ/ 1562م) نحو المدينة الجديدة قصد تحريرها، لكنهم لم يتمكنوا من إحراز النصر فيها، بسبب استماتة البرتغاليين في الدفاع عنها، وبعد حصار دام 85 يوما، اضطر السعديون لفك الحصار والعودة من حيث أتوا، في انتظار الظروف المناسبة لذلك [1]، وعليه بقيت المدينة الجديدة خاضعة للسيطرة البرتغالية لأكثر من قرن [2].

8/ مدينة الجزيرة وآنفا وجبل بني ماجر بين الاحتلال والتحرير:

أ-مدينة الجزيرة بين احتلال البرتغاليين وانسحابهم: يطلق البرتغاليون على مدينة الجزيرة اسم كرسيوزا، وفي سنة (894هـ/1489م) سير إليها ملك البرتغال أسطولا دخل النهر، وشرعوا في بناء القلعة في الجزيرة، ليتخذوها منطلقا لتوسعهم في المنطقة، وفور سماع ملك

---

[1]الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص ص212-213.

[2] محمد الصغير اليفرني: **روضة التعريف ...، المرجع السابق**، ص 71.

[3]أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصاء**، ج4، ص ص136-138.

[1] محمد الفاسي: **احتلال البرتغاليين للثغور المغربية الذي أدى إلى موقعة وادي المخازن**، في مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، السنة 19، ع .8، (رمضان 1398هـ/أوت 1978)، ص23.

[2]Feucher CHristian: **op.cit**, p25.

فاس بهذا بالمشروع، أرسل قوات كبيرة لمنع هذا المشروع، لكن المجاهدين المغاربة لم يتمكنوا من الاقتراب من موضع بناء الحصن، بسبب القذف المستمر للمدفعية البرتغالية، حتى كادت قوات المجاهدين أن تخر وتفشل، لولا التشجيعات والنصائح التي قدمها لهم من كان متحمسا للمواجهة، والذين أشاروا على الملك ببناء حصون من الخشب الموجود في الغابات المجاورة، وبعد مرور فترة من الزمن، وجد البرتغاليون أنفسهم محاصرين، في مدخل النهر الذي استوطنوا قربه قد سُد من قبل المغاربة الذين كانوا قد رموا به أشجار ضخمة كانوا قد قطعوها ووضعوها عند مصب النهر [1].

لم يعد باستطاعة البرتغاليين الخروج بأسطولهم ، فوثق الملك الفاسي بنصره، وابتهج كثيرا وعزم على الدخول معهم في مواجهة قتالية، لكنه تردد بعد ذلك، وأدرك بأنه سيعرض للخطر أرواحا كثير من رعاياه، وسيكون ثمن هذا النصر خسائر جسيمة، ليدخل ملك فاس مع قائد الأسطول البرتغالي في مفاوضات، وتم الاتفاق على دفع هذا الأخير غرامة حربية ضخمة، وأن يتدخل له لدى الملك البرتغالي، ليرد إليه بنات قائد ملك فاس اللواتي كن أسيرات في عاصمته وبهذه الشروط يمكن للقائد البرتغالي أن ينسحب بكل أمان وسهولة مع جنوده، وكان إبرام هذا الاتفاق يوم الخميس (30رمضان894هـ/27 أوت1489م) بمدينة تشميش [2].

ب-البرتغاليون يخربون مدينة أنفا: استولى البرتغاليون على مدينة آنفا، في حدود سنة(874هـ/1469م) بإرسال حملة بقيادة فرديناند تتكون من 50 سفينة بحرية و10 ألاف مقاتل [1]. وبعد وصول الأسطول البرتغالي إلى المدينة، ذعر المغاربة من قوة هذا الأسطول، وقبل إنهاء الإنزال قام المغاربة بأخذ ما يملكون من متاع و عتاد، واجتمعوا ليختار كل منهم المكان، الذي يرى فيه الملجأ المناسب الذي يحميه من العدوان البرتغالي، فمنهم من هرب إلى الرباط، ومنهم إلى سلا، و تركوا مدينتهم خالية من البشر و العتاد، هربا من قائد الأسطول، الذي كان قد جهز أسطوله لشن غارة على هذه المدينة، والقضاء عليها بسبب

---

(1) الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص ص309-310.

(2) الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص310.

(1) إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ج2، ص198.

ما سببته من خسائر للبرتغال، فقاموا بهدمها سنة (872هـ/1468م)[1]، وهكذا بقيت أنفا خربة [2].

ج-البرتغاليون يغيرون على جبل بني ماجر: كان بعض المغاربة قد التجأوا لجبل بني ماجر، يحتمون به خوفا من بطش العدوان البرتغالي، لأنهم لم يجدوا ملجأ غيره، لكن فور سقوط مدينة آسفي تعرضت منطقة جبل بني ماجر للعدوان البرتغالي، ولما قدم ملك فاس إلى هذه البلاد عاد بعض المهاجرين إلى آسفي[3].

9/مدينة أكادير(أغادير) محمية برتغالية:

وفي احتلال مدينة أكادير يقول مانويل ما نصّه: "لما علم طاغية البرتغال مانويل أن مرسى آكادير جيدة لمناعتها وكثرة تجارتها بسبب مجاورتها لقبائل السوس أراد الاستيلاء عليها وكان يظن أن ذلك لا يتأتى له لحالتها وكثرة القبائل المجاورين لها، ثم خاطر وبعث إليها جيشا فاستولوا عليها على حين غفلة من أهلها وحصنوها وبنوا بها دورا وبرجا جيدا وأخذوا في التجارة بها مع أهل السوس، وكثرت أرباحهم، ثم لما ضعفت شوكتهم خرجوا عنها وعن آسفي وآزمور"[4]، وحسب ما نقله عن ابن القاضي في "النزهة" أن استيلاؤهم عليها كان في حدود سنة (875هـ/ 1470م) ثم قاموا بتحصينها ، بحصن أطلقوا عليه اسم فونتي، لكن السلطان الوطاسي لم يستسلم للهزيمة، بل حاول تحريرها سنة(921هـ/ 1515م)، لكن محاولته باءت بالفشل[1].

---

(1) الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص 197.

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الإستقصاء...**، **المرجع السابق**، ج4، ص116.

(3) الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص 160.

(4) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **المرجع السابق**، ج4، ص139.

(1) إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ج2، ص ص198-200.



10/مجاهدو المغرب يحررون مرسى تفتنت وسانتاكروز:

أ-تحرير مرسى تفتنت: على إثر مبايعة أهل السوس لأبي عبد الله، طلب منهم الشروع في عملية الجهاد وتخليص سواحل البلاد من الاحتلال، فكانت أولى تحركاته في هذا الاتجاه هو العمل على تحرير مرسى تفتنت التي سار إليها على رأس جيشه، وتمكن من تحريرها من أيدي البرتغاليين سنة (916هـ/1510م) [1].

ب-تحرير سانتاكروز:

أثرت انتصارات السعديين منذ سنة (943هـ/1537م) على وجود البرتغاليين في المغرب، وأبرز حدث سجل خلال هذه الفترة هو محاصرة محمد الشيخ وانتزاعه للحصن البرتغالي في سانتاكروز دي أكير في سنة (947هـ/1541م) الذي أكد فشل سياستهم وعجزهم عن حماية ما بيدهم من مراكز، ودفع الملك البرتغالي جوان الثالث Jean إلى التفكير في الجلاء عن أسفي وأزمور[2]. ويمكن القول بأن سقوط سانتا كروز، شكل الضربة القاضية للوجود البرتغالي في السواحل المغربية، وفي هذا الصدد يقول: "M.Friganier " إن سقوط سانتا كروز يمثل الفصل الأول في رواية استمرت ما يقرب 125 عاما..." [3].

11/مدينة أصيلا بين الاحتلال والتحرير:

أ-مدينة أصيلا محتلة برتغالية: كانت مدينة أصيلا مدينة خاضعة لأمير سبتة الذي كان تابعا للرومان، ثم استولى عليها القوط وأقروا له بالحكم، وفي عام (94هـ/ 712م) أخذها المسلمون منهم، إلى أن هاجمها الإنجليز بأسطول ضخم وقاموا بتخريبها، وذلك من خلال إضرامها بالنيران فبقيت خربة، إلى أن حكمها ملوك قرطبة فأعادوا بنائها[4]، ثم احتلها البرتغاليون سنة (876هـ/1471م)[1]، وعن ذلك يقول الناصري:" ولما فرغ المجاهدون من أمر العرائش عمدوا إلى مدينة أصيلا فنزلوا عليها وحاصروا النصارى الذين بها سنة كاملة، و أظنهم الاصبنيول، إلى أن بلغ بهم الحصار كل مبلغ، فطلبوا الأمان فأمنوهم على حكم

---

[1]ساير بن محمد بن جمعان: **المرجع السابق**، ص71.

[2] زهراء النظام: **المرجع السابق**، ص 112.

[3] **نفسه**، ص ص 68-69.

[4] الحسن الوزّان: **المصدر السابق**، ج1، ص312.

[1] جلول بن قومار: **علاقات المغرب الأقصى السياسية...**، **المرجع السابق**، ص 111.

السلطان ولما لم يطمئنوا لذلك ركبوا من الليل سفنهم ونجوا إلى بلادهم، ودخل المسلمون المدينة فملكوها، وذلك سنة اثنتين ومائة وألف، وعمرها أهل الريف"[1].

ب-مجاهدو المغرب يحررون مدينة أصيلا:

اتجه المجاهدون السعديون بقيادة أبي العباس الأعرج إلى مدينة أصيلا لتحريرها من الاحتلال البرتغالي في سنة (930هـ/1524م)، وأمام تفوق القوة السعدية، قرر الملك البرتغالي جيان الثالث بإصدار الأوامر، بالإخلاء الفوري للميناء، وقام بتكليف قائده (luis de Lourives) لويس دو لوريفلس، فانطلق من ميناء لشبونة في أواخر شهر (ذي الحجة 955هـ/جوان1549م)، على رأس أسطول بحري مهمته إجلاء البرتغاليين، وتمت عملية الإجلاء من المدينة في سنة (956هـ/1549م)، وبإقرار الملك لهذا الأمر، انقسمت أوساط البرتغاليين بين معارض ومؤيد، فمن المعارضين لعملية الجلاء (الكونت رودماو Le Comte de Redomao الحاكم البرتغالي لمدينة أصيلا، إذ يقول:"...إن أصيلا أدت للمسيحية خدمات جليلة..."يضيف أيضا" أنه يعرف هذه البلاد وبشيء قليل من الجهد كان يمكن امتلاك مملكة فاس كلها بدل من ترك ما بأيدينا (أيدي البرتغال) يسقط في أيدي الأتراك أو الإسبان، ويقول أن جيان الثالث ملك البرتغال حوله شرذمة من كبار السن أصبح غير قادر على إدارة الإمبراطورية" [2]، بينما اعتبر الكونت روودان (Le Cont De Redonas) عملية الجلاء، التي قام به البرتغاليون من المدينة خسارة عظيمة للبرتغال وذلك لما تحتله هذه المدينة من أهمية. لذا فإن سبب جلاء البرتغاليين عن مدينة أصيلا، هو ضعفهم في الحفاظ عليها وإبقائها تحت سلطتهم أمام سيل السعديين التحريري، وعجزهم عن مد يد المساعدة للحامية البرتغالية الموجودة بها [1].

---

[1] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **المرجع السابق**، ج7، ص 77.

[2] نقلا عن عطاء الله شوقي الجمل: **المرجع السابق**، ص 71.

[1] عطاء الله شوقي الجمل: **المرجع السابق**، ص ص 69 -70.



12/عبد الملك والمتوكل وسيباستيان وجها لوجه في معركة وادي المخازن سنة (986هـ/ 1578م):

لم يطمئن سيباستيان ملك البرتغال لتزايد قوة عبد الملك[1] البحرية، فتحمس أكثر من ذي قبل لغزو المغرب واحتلال شواطئه، خشية وقوع تلك الشواطئ القريبة من البرتغال، والمشرفة على الطريق للهند، في قبضة الأتراك العثمانيين، ورحب بمحمد المتوكل على الله الذي جاءه في (شوال 985هـ /ديسمبر1577م)، يطلب مساعدته على استرجاع ملكه من عمه عبد الملك والذي قبل أن يتخلى له عن كل السواحل المغربية، وأن يكون ملكا تابعا له في المناطق الداخلية[2].

وقد شرع الملك البرتغالي سيباستيان في التحضير للحملة المتوجهة إلى المغرب الأقصى، لمساندة محمد المتوكل واستعادة البرتغال للمناطق التي حررت من قبل، و تألفت القوات البرتغالية من 125.000 جندي، وما يلزمها من المعدات[1].

---

[1] كان عبد الملك وشقيقه عبد المؤمن لاجئين في الجزائر هروبا من الغالب، وقد لقيا الترحيب الكامل، و تم تعيين عبد المؤمن على تلمسان، كما منحت لهم تيمارات وأعطيات من ولاة الجزائر، وكذا من السلطان العثماني، وتم مساعدة عبد الملك بتولي حكم بلاده سنة (983هـ/1576م)، وللتفصيل حول ما سبق، ينظر الوثائق التالية:

أ.ع: **مهمة دفتري** 18، حكم 25، ص 15، بتاريخ 27 رمضان 979هـ/11فبراير1571م. /**مهمة دفتري** 14، حكم 625، ص 442، بتاريخ 22جمادى الأولى 978هـ/21 أكتوبر 1570م./**ذيل مهمة دفتري** 3، حكم 536، ص 206، بتاريخ ربيع الثاني 983هـ/ جويلية 1575 م./**مهمة دفتري** 21، حكم 639، ص 267، بتاريخ 16 ذي الحجة 980هـ/ 18أفريل1573م./ **مهمة دفتري** 21، حكم 640، ص 267، بتاريخ 16 ذي الحجة 980هـ /18أفريل 1573م./ **مهمة دفتري** 21، حكم 645، ص 272، بتاريخ 22 ذي الحجة980هـ /24أفريل 1573م./ **مهمة دفتري** 24، حكم 221، ص 82، بتاريخ 14ذي الحجة981هـ /16 أفريل 1573م./ **مهمة دفتري** 7، حكم 2439، ص 889، بتاريخ جمادى الأولى 976هـ/ نوفمبر 1568م./**مهمة دفتري** 10، حكم 338، ص 222، بتاريخ 5رمضان 979هـ/20جانفي 1574م./ **مهمة دفتري** 24، حكم 278، ص 102، بتاريخ 14ذي الحجة 981هـ/5 أفريل 1574م.

[2] محمد الصغير الأفراني: **المرجع السابق**، ص 74. / نبراس: **المرجع السابق**، ج2، ص 187. / عمار بن خروف: **العلاقات السياسية...**، **المرجع السابق**، ج1، ص150.

[1] شوقي أبو خليل: **المرجع السابق**، ص56./أبو العباس الناصري: **المرجع السابق**، ج5، ص69.

وحسب المصادر العربية فإن الحملة كانت تتألف من 80 ألف إلى 120 ألف مقاتل من أمم مختلفة ومن 24 ألف إلى 40 ألف مقاتل -حسب الوثائق والمصادر الغربية[1]، وهي الحملة التي حطمها المغاربة في معركة وادي المخازن في (30جمادى الأولى 986هـ/4 أوت 1578م)، وفقد فيها الملوك الثلاثة سيباستيان ومحمد المتوكل وعبد الملك حياتهم، فاستحقت بذلك اسمها بمعركة الملوك الثلاثة.

وقد كان الجيش المغربي بقيادة عبد الملك المعتصم بالله، وكان عدد المجاهدين المغاربة 40 ألف مقاتل يملكون تفوقا في الخيل، و كان عدد مدافعهم 34 مدفعا [2]، ولقد شارك في هذه المعركة بعض من أتباع الزاوية الشاذلية بقيادة أبي المحاسن الفاسي، وأتباع الشريف محمد بن علي الريسوني بالإضافة إلى متطوعي القبائل من جبالة و خلوط والريف، وغمارة والغرب والشاوي[3].

جرت المعركة يوم الاثنين (30جمادى الثانية 986هـ/4أوت1578م) عند الظهر، أين أعطيت الإشارة لمقدمة الجيش البرتغالي بالهجوم[4]، لتتبعها وتلحقها عشرات الطلقات النارية من الطرفين، إعلانا ببدأ المعركة، وبالرغم من أن السلطان عبد الملك المعتصم بالله السعدي كان مريضا، إلا أنه أصر على المشاركة إلى جانب جيوشه، فاقتصرت مشاركته على المواجهة الأولى التي أظهر فيها كل قواه ، إلا أن اشتداد المرض وعجزه عن مقاومته جعله يولي الأدبار، ولقي ربه وهو متأكد من النصر، ولكن حاشيته وحاجبه كتموا هذا الخبر على المقاتلين خوفا من تأثيرها السلبي عليهم[1].

---

[1] ابن القاضي: **المرجع السابق**، ج2، ص223. /محمد الصغير الأفراني، **المرجع السابق**، ص73. / المجهول: **المرجع السابق**، ص59./عمار بن خروف: **العلاقات السياسية...**، **المرجع السابق**، ج1 ص150.
Les S.I.H.M, 1’ série, Espagnole, T 1, p424.

[2] شوقي أبو خليل: **المرجع السابق**، ص 57.

[3] عبد اللطيف فندة: **المرجع السابق**، ص 109.

[4] جلول بن قومار: **معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا البرتغال-إسبانيا-فرنسا (986هـ-1578م/1012هـ-1603م)**، قسم العلوم الإنسانية، المركز الجامعي بغرداية، 1431هـ-1432هـ/2010-2011م، ص 83.

[1] شوقي أبو خليل: **المرجع السابق**، ص ص65-66.

تكّبد العدو خسائر جسيمة في صفوفه، وسقط الكثير من الجنود صرعى ولاذوا بالفرار قاصدين القنطرة، معتقدين أنها مازالت قائمة فارتموا في الواد يسحبون ولكنه كان فوق ما يطيقون، فابتلعتهم مياه النهر الذي كان في حالة جزر ولم ينج منهم إلا القليل، ووقع الكثير منهم ما بين قتيل أو غريق في النهر أو أسير[1].

أضفى المؤرخون الأوروبيون على شجاعة الدون سيبيستيان النادرة، إذ تفرق عليه الجيش البرتغالي الذي انهزم وولى الأدبار، ليقع بين سيوف المغاربة ومياه نهر وادي المخازن، وفي هذه الظروف كان الملك يقاتل وبرفقته سبعة أو ثمانية فرسان من الذين عرفوا بالقوة والشدة وزعموا أن الملك قتل تحته ثلاثة أحصنة ولم يقع قتيلا إلا بعد أن أحاط به حوالي 60 فارسا مغربيا ليردوه قتيلا، ولم تسترجع جثته من قبل خاله فيليب الثاني إلا بعد مفاوضات[2].

13/تداعيات أكبر وأول معركة (وادي المخازن) ينتصر فيها المغرب:

أسفرت معركة واد المخازن عن نتائج بعيدة الأثر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، فبفضلها نقل المغرب نقلة نوعية في التاريخ الحديث، بفضل النصر الذي حققته هذه المعركة التي أعادت للشعب المغربي ثقته بنفسه، والقضاء على المطامع الاستعمارية، وذلك من خلال ترتيب أوضاعه الداخلية، وانتعاش اقتصاده واتساع تجارته من الغنائم التي دفعت من

---

[1] جلول بن قومار: **معركة وادي المخازن...**، **المرجع السابق**، ص 86.

[2] **ينظر**: مديرية الوثائق الملكية: سجل 32240، وبعد هزيمتهم في معركة واد المخازن والعثور على جثة الملك الدون سبيستيان في ميدان القتال، كتب ملك اسبانيا فليب الثاني إلى السلطان أحمد المنصور السعدي رسالة يلتمس منه السماحة بارجاع جثة ملك البرتغال المذكور، فأجابه إلى السلطان أحمد المنصور إلى طلبه بالرسالة التالية المحفوظ أصلها بالمكتبة الوطنية بمدريد (مخطوط نمرة257)، إسبانيا البرتغال بتاريخ: (الأحد 2 رمضان 962هـ/ 2نونبر1578م)/ للاطلاع على رسالة أحمد المنصور إلى فليب ملك إسبانيا، يُنظر: **الملحق رقم 24**.

—مديرية الوثائق الملكية سجل 32362، شهادة تسليم جثة ملك البرتغال دون سبيستيان قتيل معركة واد المخازن إلى حاكم سبتة البرتغالي بعد أن أنعم السلطان أحمد المنصور السعدي بإعادتها لتدفن في أرضه استجابة لرغبة ملك اسبانيا والبرتغال دون فليب، البرتغال بتاريخ: (الخميس 10شوال986هـ/6 دجنمبر1572م 10)/ ينظر: **الملحق رقم 25**.

أجل افتداء الأسرى البرتغاليين فقد اتفقت المصادر التاريخية على أنها كانت بالألوف، وذلك من خلال تهاطل الهدايا وتوجيه البعثات والسفارات(1).

وقد اعتبرت معركة واد المخازن كارثة عظيمة بالنسبة للبرتغال وذلك من خلال ضياع استقلالها السياسي، فبموت ملكها الكاردينال العجوز "هنري" في (ذي الحجة 987هـ/فيفري 1580م) دخلت البلاد فوضى عارمة واستفحلت فيها أزمة وراثة العرش لأن الراحل سيبستيان لم يترك عقبا يخلفه لعدم زواجه (2).

ثانيا-دور مراكز حركة الجهاد البحري المغربي في مجابهة الاحتلال الإسباني وحملاته خلال القرن (10هـ/ 16):

1 /الاسبان يحاصرون حصن بادس:

هي عبارة عن جزيرة صغيرة قريبة من مدينة بادس التاريخية، تقع هذه الجزيرة على شاطئ البحر المتوسط بين جبلين شاهقين، وتعتبر أقرب منطقة لمدينة فاس، مما جعلها تشهد صراعا عنيفا عبر التاريخ، فقد كانت قاعدة حربية بالنسبة للمرابطين والموحدين وحتى المرينيين ،ذلك بفضل موقعها(3).

وفي سنة (914هـ/1508م) أمر الملك الكاثوليكي فيرديناند الخامس قائده بيدرو دي نافارو بغزوها، فاحتلها الإسبان وقاموا بتشييد قلعة بنيون دي باديس على صخرة مقابلة لبادس، على بعد مسافة 700قدم، يحيط بها البحر من كل الجوانب على شكل جزيرة، إضافة إلى الميناء الذي في أسفلها (4).

بعد احتلال بادس وفي (4 جمادى الثانية 915هـ/ 18 سبتمبر1509م)، وقع كل من الإسبانيين والبرتغاليين اتفاقية Sintra، تعترف بموجبها إسبانيا للبرتغال باحتلال موانئ شاطئ الأطلسي باستثناء سانتا كروز إلى غانيا، وبالمقابل تعترف البرتغال بأحقية إسبانيا باستيلائها على مدينة بادس، لكن سكان المغرب لم يستسلموا لهذا، فقد أمر السلطان

---

(1)جلول بن قومار: **معركة وادي المخازن...**، **المرجع السابق**، ص ص92-94.

(2) **نفسه**، ص ص111-117.

(3) عبد الهادي التازي: **المرجع السابق**، ج7، ص236. /عبد العزيز بن عبد الله: **المرجع السابق**، ص127.

(4) محمد بن محمد مصطفى المشرفي: **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**، تح. إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، ج1، ص 326.

عامله الباشا علي بن عبد الله الريفي أن يترك على حصار سبتة من يثق به من أهل الرأي ويذهب لحصن بادس، لمحاربة الإسبان، فترك ابن عمه القائد أحمد بن حدو، وتوجه لمقاتلتهم، وفي رمضان أخذ البرج الذي كان في المرغونة، ووجد فيه حامية إسبانية، فبعث بهم إلى السلطان، ورجع إلى سبتة، تاركا وراءه خليفته البرنوسي، ثم اتخذها أبو حسون الوطاسي باديسي سنة (932هـ/1526م) مقرا لحكمه [1].

2/مدينة غساسة بين الاحتلال والتحرير:

تعتبر مدينة غساسة من أهم المدن لأنها كانت مقصد السفن التجارية الأوربية، و حتى سفن البندقية كانت تقصد هذا الميناء، لما يتميز به من نشاط تجاري هام، وبعد السيطرة الإسبانية على المرسى الكبير سنة (910هـ/1505م) ووضع قاعدة عسكرية بها، كمنطلق لحملاتهم التوسعية، ومن هذه المدينة الجزائرية توجهوا بحملة إلى مدينة غساسة المغربية من أجل احتلالها وإخضاعها لسلطتهم [2].

قام الملكان الكاثوليكيان بإرسال دوق المدينة إلى غساسة بعدما التمكن من احتلال مليلة، فقام هذا الأخير بتحصين القصر وترك به حامية، فبقيت بكفالته إلى غاية سنة(940م/1534م)، ولما لقي المسيحيون الإساءة من الحاكم لويس دي تشاييس تفاوضوا مع عامل تزوطة لاغتياله وتسليم القلعة للمغاربة دون علم الجنود الإسبان بذلك، فقام المغاربة بقتل كل من وجدوا بهذه القلعة من البرتغاليين، ذلك أن المغاربة فور استلامهم لهذه القلعة، قاموا بشن هجوم مفاجئ على هؤلاء فقتلوا وأسروا، باستثناء أحد الجنود الإسبان، الذي تمكّن من النجاة بعدما رمى بنفسه أسفل السور، ليذهب هذا الإسباني على الفور إلى مليلة، وأطلع حاكمها على الكارثة التي أصابت مسيحيي غساسة، فقام حاكم مليلة إزاء هذا الوضع بإرسال سفينتين إلى غساسة، ولما رأى المغاربة هاتين السفينتين القادمتين باتجاههم، قاموا بأخذ ملابس وأسلحة المسيحيين سواء المقاتلين أو الأسرى وارتدوها، ولما وصلت السفن استقبلها هؤلاء المغاربة، فظنوا أنهم مسيحيين وأن المدينة لم تحرر كما قيل

---

[1] عبد الهادي التازي: **المرجع السابق**، ج7، ص236. /مصطفى المشرفي: **الحلل البهية ...**، **المرجع السابق**،ج1، ص 326./عبد العزيز بن عبدالله :**المرجع السابق**، ص127.

[2]مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص262./فالح حنظل: **المرجع السابق**، ص145.

لهم، فنزل هؤلاء الجنود إلى الأرض، ليباغتهم المغاربة بهجوم كاسح أدى إلى قتل البعض وأسر البعض الآخر، و خرجت هذه القوات من هذه المدينة، ليتم تدميرها بعد ذلك، ولم يبق فيها إلا القصر، ذلك أنه مشيد على صخرة، ولا يمكن نسفه باللغم، ولما كان المغاربة يأتون للحرث في الأراضي المجاورة لها ، كانوا يجعلون فيها حرسا ليكتشفوا إن كان يوجد هناك كمين نصبه لهم المسيحيون الإسبان القادمون من مدينة مليلة أو شواطئ إسبانيا، ليأخذوا هناك بعض الأسرى [1].

وهناك من المؤرخين من يشير إلى أن عملية تحرير غساسة، كان بعد الاتفاق الذي تم بين خير الدين بن يعقوب (بربروس) بايلرباي الجزائر والملك الوطاسي، على ضرورة تحرير كل من غساسة ومليلة فكان تحالفهما ناجحا وتمكنا من تحرير غساسة[2].

3 / مليلة مستعمرة اسبانية:

قام الإسبان باحتلالها سنة (904هـ/1496م)، واستكملوه سنة (904هـ/ 1496م) ألا أنهم لم يعيشوا في المنطقة بسلام، ذلك أن المغاربة كانوا قد اتخذوا من الجزر المغربية الثلاث المسماة بجزرة كبدانة قاعدة لجهاد الدول الأوروبية، بما فيها الإسبان والبرتغال، وإلى جانب هؤلاء المغاربة كان معهم رياس الجزائر، الذين وقفوا صفا واحدا في مواجهتهم [3].

لم يكتف الإسبان بالسيطرة على مليلة، بل قاموا باحتلال القرى المجاورة لها، فاحتلوا منطقة الحسيمة التي أطلق عليها الإسبان سنة (1344هـ/1925م) اسم Via Sanjouroi نسبة لقائد الحملة التي احتلها، أما هذا القائد عندما احتلها، كان أطلق عليها اسم Busema وهو تحريف للاسم العربي المزمة[4].

4/ محاولة الإسبان احتلال سلا:

كانت سلا من بين المدن المغربية محلا للأطماع الأوروبية، فمن خلال التصريح الذي أدلى به راهب الفاتيكان أنوسنت الرابع في مدينة ليون الفرنسية يوم (24 ربيع

---

(1) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص ص 262-263.

(2) فالح حنظل: **المرجع السابق**، ص349.

(3) عبد العزيز بن عبد الله: **المرجع السابق**، ص108.

(4) **نفسه**، ص127.

الأول644هـ/8 أكتوبر1246م) على ضرورة الاستيلاء على مدينتي سلا ورباط الفتح وبالفعل شنت بعض الحملات على هذه المدينة؛ أهمها حملة ألفونسو العاشر[1]، وحملة ألفونس الحكيم ملك قشتالة سنة (670هـ/1263م) واللتين باءتا بالفشل.

كانت سلا مقصدا لمختلف السفن التجارية، رغم صغر مينائها الذي كان يعج بالسفن الأوربية، إضافة إلى أنه كان مقصدا لمجاهدي البحر المغاربة والأندلسيين، الذين كانوا يشنون من خلاله غارات على الشواطئ المسيحية[2].

ويعتبر منطلقا لعملياتهم الجهادية، نتيجة لحقدهم الدفين على الاسبان ورغبتهم في الثأر[3]، وقد أعلنوا الجهاد في سبيل الله [4]، و بمجيء المورسكيين إلى سلا بعد سقوط غرناطة، ونزولا تحت الأوامر التي قدمها لهم الملك الإسباني، الذي وعدهم بتسهيل هجراتهم[5]، فتحت لهم سلا أبوابها في الفترة الممتدة من سنة (907هـ/1501م) إلى سنة (908هـ/1502م) [6] وقد استمر هؤلاء المورسكيون في جهادهم، وإلحاق الأضرار بالسواحل الايبيرية [7].

من خلال ما سبق يمكن القول أن المراكز المغربية المحتلة من طرف الدول الأوروبية خلال القرن (10هـ/16م) خاصة الاسبان والبرتغال احتلت مكانة هامة عندما رفعت راية الجهاد البحري، وذلك من خلال المحاولات التي كانت من طرف المغاربة، الذين تمكنوا من مجابهة تلك الحملات.

---

(1) عبد المنعم محمد حسين محمدي: **مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993م، ص52.

(2) مارمول كربخال: **المصدر السابق**، ج2، ص135.

(3) حسن إميلي: **الجهاد البحري بمصب أبي رقراق ...**، **المرجع السابق**، ص 18.

(4) محمد عبدة حتامله: **التنصير القسري لمسلمي الاندلس في عهد الملكيين الكاثوليكيين (1474 – 1516م)**، ط1، عمان، الاردن،1980، ص71.

(5) محمد رزوق: **المرجع السابق**، ص ص 154-156.

(6) حسن أميلي: **الجهاد البحري بمصب أبي رقراق ...**، **المرجع السابق**، ص ص 14-15.

(7) **نفسه**، ص21.

المبحث الثالث–مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى ودورها في صدّ الحملات الأوربية خلال القرن(11ه/17م):

يعتبر المغرب الأقصى خلال القرن (11ه/17م) مركزا لحركة الجهاد البحري خاصة مصب أبي رقراق ومرسى سلا الجديد، واعتبرتا كأهم قاعدة للجهاد البحري، وذلك من خلال صد الحملات الأوروبية المتوالية التي كانت ترأسها كل من اسبانيا والبرتغال وحتى فرنسا هي الأخرى لم تستثني نفسها من مهاجمة المراكز المغربية، وقد أبلى مجاهدو المغرب بلاء حسنا في صد تلك الحملات من خلال تحرير بعض المراكز على يد ملوكها الذين كانت لهم الأسبقية في عمليات التحرير التي كانت في معظمها فاشلة لكن هذا لم يمنعهم من محاولات متكررة بهدف تحقيق مبتغاهم، المتمثل في طرد الغزاة الايبيريين من المنطقة.

وفي هذا السياق يتبادر إلينا طرح التساؤل الآتي: **كيف تمكّنت مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى من صد الحملات الأوروبية خلال القرن(11ه/17م)؟**

أولا–مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى ودورها في صد الحملات الإسبانية خلال القرن(11ه/17م):

بعد تدهور أوضاع المغرب الأقصى السياسية والاقتصادية، وجدت أطماع الدول الأوروبية لهذه المنطقة طريقا خاصة إسبانيا، بسبب المشاكل الداخلية التي كانت تعاني منها، ومن أجل إيجاد حلول لها قررت أن تتبع سياسة الحروب، وذلك من خلال البحث عن متنفس يلهي شعبها عن تردي الأوضاع الداخلية التي تعيشها، لذا فقد شهد المغرب الأقصى فصلا جديدا من الصراع والحروب، وسعت إسبانيا من خلال هذه الخطوة لتحقيق أطماعها الإستعمارية، كما أنها لم تُتح الفرصة للدول الأوروبية الأخرى لإيجاد موطئ قدم لها في منطقة المغرب الأقصى[1].

---

[1] عبد الفتاح الغنيمي: **المرجع السابق**، ج 6، ص 24.

1/ محاولات مجاهدي المغرب في تحرير مركز العرائش من الاحتلال الإسباني:

أ-محاولة عبد الله بن الشيخ (1012-1018هـ/ 1603-1610م):بعد احتلال الإسبان لمركز العرائش حاول عبد الله بن الشيخ السعدي، أن يبعث روح الجهاد لدى المغاربة من جديد لاسترجاع العرائش منهم، إلا أن محاولته باءت بالفشل، بسبب توغل جيوش الملك السعدي زيدان صوب فاس، مما أحبطه عن عملية التحرير[1].

ب-محاولة زيدان السعدي (1012-1036هـ/ 1603-1627م): قام زيدان السعدي بالتصدي للعدوان الإسباني، وذلك من خلال طلبه الإمدادات العسكرية من الدولة العثمانية بإرسال مجموعة من السفن باتجاهها، فتعرضت هذه السفن للقرصنة الإسبانية مما أدى إلى إغراقها، ثم حاول الملك زيدان مرة أخرى إنشاء أسطول حربي قوي لحماية المراكز المغربية من أي اعتداء أجنبي، بمساعدة هولندا، فحصل على ثلاث سفن حربية، لكن محاولته باءت بالفشل، لأن إسبانيا قضت على نواة هذا الأسطول بإغراق السفن وتدميرها [2].

ج -محاولة محمد زغودة: تولى محمد الشيخ أخ السلطان السعدي عبد الله الشيخ المدعو محمد زغودة[3]، حكم الدولة السعدية شهرا واحدا في سنة (1028هـ/1619م)، وقد كان من الذين سُجلت لهم محاولة تحرير مركز العرائش، وذلك من خلال شنه لمجموعة من الهجمات الخاطفة[4].

د-محاولة الخضر غيلان:

كانت رغبته تحرير المراكز المغربية المحتلة، لاسيما مدينة العرائش، التي هاجمها يوم (23 رجب 1065هـ/ 28 ماي 1655م) وأعاد المحاولة الثانية يوم (26 رجب1067هـ/9 ماي1657م) لكن كلتا المحاولتين باءت بالفشل، ولولا التصدي الذي لقيه من الإسبان في المحاولة الثانية لنجح في القضاء عليهم، لكنه لم ييأس بل أعاد الكرة مرة أخرى سنة

---

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **المرجع السابق**، ج6، ص18.

(2) عبد اللطيف الشاذلي: **المرجع السابق**، ص45. / عبد الهادي التازي: **المرجع السابق**، ج8، ص284.

(3) محمد الصغير اليفراني: **نزهة الحادي...**، **المصدر السابق**، ص235.

(4) عبد اللطيف الشاذلي: **المرجع السابق**، ص ص 46-61.

(1076هـ/1666م)، بصنعه سلالم للهجوم على أسوار العرائش، لكن خبر خطته وصل للحامية الإسبانية عن طريق أسير إسباني، ليكون مآلها الفشل، فعزم على تكرار محاولاته، فقام بعملية أخرى تمثلت في اقتحام المدينة بواسطة قوارب، إلا أنه تعرض للهجوم من باخرة إسبانية فلم يتمكنوا من اجتياز البحر، وباءت عمليتهم بالفشل، وقد تسببت خسارته هذه في إضعاف مركزه العسكري ونفوذه في الشمال[1].

هـ-محاولة العياشي سنة (1040هـ/1631م): قام العياشي بتوجيه جيشه باتجاه المدينة بغية تحريرها من أيدي الإسبان، وذلك بتضيق الخناق عليهم، فبدأوا من الغابة المجاورة للمدينة، والتي استقروا فيها نحو ستة أيام حتى يضعفوا فيسهل الانقضاض عليهم أو يستسلموا، ولما رأى العياشي تعنت الإسبان المتقوقعين في المدينة، قام باستغلال أحد جواسيسهم، كي ينقل معلومات خاطئة للإسبان عن تحركات العياشي[2].

وبالفعل تم إيقاعهم في كمين العياشي، ولم ينج منهم أحد، إذ قتل في هذه المعركة حوالي ألف جندي[3].

و-محاولة المولى إسماعيل:

بعد سقوط مركز العرائش بيد الإسبان أمر المولى إسماعيل قائد جيشه بالتوجه نحو المدينة، لتحريرها فسار القائد أبو العباس أحمد بن حدو في جيش عظيم، وبعد وصولهم المدينة فرضوا عليها الحصار، يوم (28 شوال 1100هـ/14أوت 1689م)[4]. الذي دام ثلاثة أشهر ونصف، ولما طال عليهم الحصار قاموا بحفر حفر عميقة ملئت بخزائن من البارود[5]، و أوقدوها بالنار فانفجرت ليسقط جزء من السور، فانطلقوا لاقتحام المدينة، وهناك التقوا بالإسبان، الذين دخلوا معهم في معركة طاحنة، أدّت إلى إدبار قوة الإسبان بعد عجزهم عن المواجهة إلى حصنهم، ولما ضاق الحال على الإسبان من شدة الحصار الذي فرض عليهم من مختلف الجهات وعجزهم في الحصول على الإمدادات،

(1) عباس أرحيلة: **العرائش**...، **المرجع السابق**، د.ص.

(2) عبد اللطيف الشاذلي: **المرجع السابق**، ص 114.

(3) محمد الصغير اليفراني: **نزهة الحادي**...، **المصدر السابق**، ص266.

(4) Laila Meziane :**op.cit,** p293.

(5) محمد الصغير اليفراني: **روضة التعريف**...، **المصدر السابق**، ص 73 .

رفعوا راية الإستسلام وطلبوا الأمان من قائد المسلمين أبي العباس، لكي يخرجوا إليه مستسلمين، فأعطاهم الأمان[1]، وكان هذا يوم (19محرم 1101هـ/1 نوفمبر1689م) [2]. بعدما تمكن المولى إسماعيل من تحريرها، عزم على إسكان أهل الريف، الذين كانوا يقيمون بالجبال من أجل تعميرها[3].

2/ محاولات مجاهدي المغرب في تحرير مركز المعمورة من الاحتلال الاسباني:

أ-محاولة العياشي: انطلقت قوات المجاهد العياشي من مدينة سلا صوب المعمورة سنة (1036هـ/1627م) والتي قام بمحاصرتها، لكنه فكر في رفعه لشدة طول الحصار، إلا أنه في آخر لحظة تمكن من الاستيلاء على بعض السفن الإسبانية التي كانت محملة بالمدافع والذخيرة وعدد من الأسرى، وبهذا الانتصار الذي حققه العياشي فرح المغاربة وخاصة بعد تحريره لمجموعة من المسلمين كانوا أسرى لدى الإسبان [4].

ب-محاولة المولى إسماعيل:

بعد تولي إسماعيل الحكم قرر تحرير المعمورة فأرسل جيشه يوم الخميس (9 ربيع الثاني 1092هـ/3ماي 1681م) بقيادة عمر بن حدو البطيوي لتحريرها، وبعد وصول القوات إليها يوم السبت، قام بتطويقها من مختلف الجهات ثم وضعوا كمينا للتضييق على النصارى، و بعد هذا الحصار تمكن المسلمون من إحراز النصر على النصارى ثم راسلوا المولى إسماعيل الذي قصد المهدية رفقة جنوده، ثم نزل إلى المحل المعروف بأم السمر و قاموا بتنصيب مجموعة من المدافع عند مصب نهر سبوا في اتجاه البحر، لقطع الإمدادات التي قد تأتيهم [5].

---

(1) جلال يحي: **المرجع السابق**، ص ص 34 - 73 .

(2) Leila Meziane: **op.cit**, p239.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **المرجع السابق**، ج7، ص74.

(4) عبد اللطيف الشاذلي: **المرجع السابق**، ص 109.

(5) جلال يحي: **المولى إسماعيل وتحرير الثغور المغرب**، في مجلة المؤرخ، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العراق، ع2، د.ت، ص29. / محمد داود: **تاريخ تطوان...**، **المرجع السابق**، ج1، ص254. / محمد الصغير اليفراني: **روضة التعريف ...**، **المصدر السابق**، ص 72.

وشرع في مقاتلتهم حتى تمكن من تحريرها يوم الجمعة (13ربيع الثاني 1092هـ/1ماي1681م)، فأسر من كان بها من النصارى وحصل على عديد الغنائم، ثم قام بتغيير اسمها من المعمورة إلى المهدية، وترك بها مجموعة من جيش السوس (العبيد) للاستقرار فيها من أجل تعميرها وحراستها، والحفاظ عليها من الهجمات الخارجية التي قد تتعرض لها، ثم قام بترميم الأسوار والحصون الموجودة بها [(1)].

ج-محاولة المولى إسماعيل تحرير مركز أصيلا من الاحتلال الاسباني: حظي مركز أصيلا باهتمام المولى اسماعيل ، فبعدما أحرز المجاهدون النصر على الإسبان في العرائش وتحريرها، أصدر المولى إسماعيل أمره بالتوجه نحو أصيلا قصد تحريرها[(2)].

وبعد وصول القوات المغربية إلى أصيلا، شرعوا في حصارها الذي دام سنة كاملة، فلما رأى الإسبان استحالة النصر والوضع المزري الذي آلوا إليه من شدة الحصار قرروا الاستسلام بعد طلبهم الأمان، فأعطاهم ذلك، لكن الإسبان لم يأمنوا المغاربة ولأن الغدر من سماتهم ركبوا سفنهم ليلا، وفروا نحو ديارهم، ليدخلها المسلمون سنة (1102هـ/1691م)، وهكذا تم تحرير هذا المركز المغربي، الذي ظل يتخبط تحت وطأة الاستعمار الأجنبي ويعود بذلك إلى سلطة المغرب الأقصى من جديد، ليتخذ منها أهل الريف مستقرا لهم بعد تعميرها ببناء المساجد والمدارس[(3)].

د-محاولة العياشي تحرير مركز البريجة من الاحتلال الاسباني:كان أولاد أبي عزيز متواطئين مع المحتل، فلم يرض المغاربة هذا الوضع، وقاموا بطلب العون من العياشي، وأخبروه بما فعل قومهم مع نصارى البريجة، فاتجه إليهم في (4 صفر 1049هـ/1639م)، وسار حتى بلغ وادي أم الربيع، فوجده ممتلئا جدا، ومن دخله إلا غرق، ولما وصل العياشي إلى البريجة، وجد بعض المغاربة من أولاد أبي عزيز فارين باتجاه البريجة قصد طلب الحماية من قبطانها، خوفا من قضائه عليهم، بسبب تعاونهم مع نصارى البريجة، فخرج هذا القبطان

---

(1) عبد الرحمان بن زيدان: **المنزع اللطيف ...، المرجع السابق،** ص137. / أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **المرجع السابق،** ج7، ص64. /جلال يحي: **المرجع السابق،** ص29.

(2) العباس بن إبراهيم السملالي: **المرجع السابق،** ج3، ص 64. /أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **المرجع السابق،** ج7، ص 77. / عمر بن قايد: **علاقات المغرب الأقصى...، المرجع السابق،** ص 125.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **المرجع السابق،** ج 7، ص 77.

بجيشه لنجدتهم، وكان العياشي بالقرب من البريجة فحال بينهم وبينها، وذلك قصد قطع الطريق البري عنهم، لكي لا يتمكنوا من عبور المدينة، فهربوا باتجاه البحر، فكان مصيرهم الغرق، والبعض الآخر قتل ولم يبق سوى 27 رجلا[1].

هـ-محاولة المولى إسماعيل تحرير مركز سبتة من الاحتلال الاسباني:كانت سبتة في بادئ أمرها خاضعة للاحتلال البرتغالي، ولكن ما لبثت، وأن ضمت إلى المستعمرات الإسبانية في سنة (988 هـ/1580م)، إلا أنه في سنة (1050هـ/1640م)، وبعد استقلال المملكة البرتغالية عن إسبانيا، طلب أعيان هذه المدينة أن تظل خاضعة للسلطة الإسبانية ولأجل هذا عقدوا اجتماعا أمام قصر الحاكم، وأظهروا رغبتهم له علنا، فكان لهم ما أرادوا فبعد عقد اتفاقية لشبونة بتاريخ (1رمضان 1078هـ/13فيفري 1668م)، تم إبقاء المدينة خاضعة للسلطة الإسبانية[2].

ومن أجل استرداد مركز سبتة، قام المولى إسماعيل بدعوة كل قبائل الجبل لتهيئة العدة والعتاد للمرابطة بسبتة، كما أمر أهالي فاس بذلك أيضا، وبهذا بلغ عدد الجنود 25 ألف مقاتل بقيادة المولى إسماعيل[3]، وبالمقابل كانت هناك دعايات قوية في إسبانيا قام بها رجال الدين، الذين ملئوا إسبانيا بالخطب والتعبئة، كما أوهموا الشعب بأن سقوط الأراضي المغربية بيد المسلمين، سيشكل خطرا حقيقيا عليهم وسيجعل المسلمين يفكرون في استرداد مجدهم الماضي وذلك بالعودة لاسبانيا. وبعد هذه التعبئة قامت الحكومة الإسبانية بإرسال إمدادات كثيرة إلى سبتة وكل ما تحتاجه، وما على الجنود إلا الصمود والحفاظ على المدينة بأي ثمن كان، كما أنها طمأنتهم من جانبها بأنها مستعدة لمدهم بكل ما يحتاجون إليه، ولو لفترة طويلة من الزمن[4].

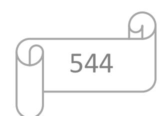
---

(1) محمد الصغير اليفراني: **نزهة الحادي**...، **المصدر السابق**، ص ص 268 -269. /أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **المرجع السابق**، ج6، ص87.

(2) Robert Rèzette: **Les Enclaves Espagnoles au maroc,** ed. Latines, Paris,1976,p36.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **المرجع السابق**، ج7، ص 77.

(4) جلال يحي: **المرجع السابق**، ص 39.



وصل المجاهدون المغاربة إلى مركز سبتة، أين قاموا بفرض الحصار عليها (1102هـ/1690م)[1] ثم دخلوا في معركة طاحنة، حيث استمرت المواجهة بين الطرفين من الصباح حتى المساء[2]، تكبد خلالها الإسبان خسائر فادحة، وبعد انتهاء المواجهة بين الطرفين، قام المشاة المغاربة بقتل كل من وجدوه حيا على أرض المعركة، أما الإسبان فقد ظلوا متقوقعين في حصنهم بعد الهزيمة التي منيوا بها ، وامتنعوا عن الخروج والمجابهة واكتفوا بالمقاومة، مما جعل المجاهدين وقادتهم يملّون من الحصار الطويل، الذي لم يعد يجد نفعا، إلا أنهم تمكنوا من تهديم جزء من الأسوار ،وما زاد في بعث الضعف والملل في قلوبهم هو إقدام المولى إسماعيل بسحب فرق من أبناء الريف من حول سبتة قصد توجيههم إلى البريجة بغية تحريرها، واستمر حصار مدينة سبتة 26 سنة، مما كلف المولى اسماعيل 100 ألف جندي، فعجز المسلمون عن استردادها، بسبب تعنّت الإسبان المتواجدين بها، فقرر المولى اسماعيل أن يعقد اتفاقا مع الإسبان، يتمثل في استرجاع المدينة مقابل الإفراج عن الأسرى الإسبان، لكنهم رفضوا هذا المقترح [3].

و-محاولة المولى إسماعيل تحرير مركز مليلة من الاحتلال الاسباني: كان مركز مليلة من بين المراكز المغربية في عملية التحرير، فقد قام المجاهدون المغاربة بمعارك عديدة في عهد السلطان الرشيد بقيادة القائد "**بلقاسم الشاوي**" ابتداء من سنة(1079-1081هـ/1668-1670م)، حتى أنه في سنة (1077هـ/ 1666م)، تمكن من تضيق الخناق عليها[4]، لتتجدد المحاولة في عهد المولى إسماعيل، الذي كان عازما على تحرير كل المراكز المغربية ، ورغم تطويق المدينة بالأبراج من كل الجهات، إلا أن المغاربة تمكنوا من اجتيازها رفقة قائدهم عمر، الذي عينه المولى خلفا لأبيه محمد بن مسعود، وراقبوا أسوار

[1] عبد العزيز بنعبد الله: **المرجع السابق**، ص 14.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **المرجع السابق**، ج 7، ص77.

[3] جلال يحي: **المرجع السابق**، ص39.

[4] ابراهيم بن خلف العبيدي: **المرجع السابق**، ص 13.

المدينة وبابها الغربي حتى أن هذه القوات أشرفت على هضبة علوية، يمكنهم بواسطتها مراقبة المباني الداخلية لمليلة [(1)].

وفي هذا الصدد قام القنصل الفرنسي الموجود في مدينة قادش الإسبانية "**بيردي كاتالان**"(Pierre Du Cattalan) بإرسال رسالة إلى كولبير بتاريخ (18 ربيع الثاني 1082هـ/23 أوت1671م) يبلغه فيها بأن مدينة مليلة قد تعرضت لحصار قوات السلطان المغربي المقدرة ب 16 ألف جندي في مختلف الجهات [(2)].

وبسبب قلة العدة والعتاد قام القائد عمر، بالإعلان عن عدم قدرة مجاهديه على مواصلة الحصار، وذلك من خلال رسالة للمولى إسماعيل مستنجدا به، لكنه لم يلق اهتماما إلا بعد مدة من الزمن، لأن المغاربة كانوا منشغلين في حصار سبتة، ويشير"**استيرادا**" أن المولى المغربي إسماعيل قد وجه أمرا للمجاهدين المرابطين قرب مدينة مليلة، برفع الحصار وذلك سنة (1108هـ/1696م) [(3)]، لكن المجاهدين المغاربة الذين كانوا مع الملك محمد الذي فضل البقاء في محاصرة الإسبان، نفذوا أوامره وقاموا بشن مجموعة من الهجمات و العمليات، لعرقلتهم ومنعهم من بناء برج جديد، كانت تعتزم القوات الإسبانية بناؤه باتجاه المواقع المغربية الشمالية، التي كانت تحت سيطرة المولى إسماعيل.

بعدما تمكّن الجنود الإسبان من إبعاد المغاربة عن المنطقة شرعوا في بناء الأبراج، بفضل الإمدادات التي وصلت إليهم، ومكنتهم من إحراز النصر، كما حاول القائد الطاهر القلعي أخ القائد عمر بعديد المحاولات لتحريرها، لكن محاولاته باءت بالفشل، واستمر الحصار لغاية (18 صفر1128هـ/11 فيفري1716م)[(4)]، واستمرت هجمات المجاهدين المغاربة على هذه المدينة، حتى بعد وفاة المولى إسماعيل ، لكنهم لم يظفروا بالنصر[(5)].

[(1)] حسن الفقيقي: **مواقف جهادية للمولى الرشيد، والمولى اسماعيل في الدفاع عن مليلة**، في مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، المغرب، ع.258، 1986م، ص40.

[(2)] Anne Pètrotin et Anne Mèzin: **op.cit**, p23.

[(3)] Don Junan antonio de estrada: **Poblacion general de espana**, madrid, tomo segundo، madrid، ano mdccl XVIII, p555.

[(4)] حسن الفقيقي: **المرجع السابق**، ص 40.

[(5)] عمر بن قايد: **المرجع السابق**، ص 126.

ز-محاولة المولى إسماعيل تحرير مركز بادس من الاحتلال الاسباني: قام السلطان إسماعيل بعدة حملات متكررة ضد مركز بادس قصد تحريرها، ففي سنة (1090هـ/1680م) شن مجاهدوه هجوما عليها لتحريرها، تلتها حملة أخرى سنة (1098هـ/1687م)، وفي عام (1135هـ/1723م)، أرهقت هذه الحملات الجنود الإسبان، الأمر الذي جعل قادة الإسبان يفكرون في الجلاء عنها، لكن وصول نبأ وفاة المولى إسماعيل جعلهم ينؤون عن عملية الإجلاء من هذه المنطقة.

ح-احتلال الاسبان لمركز فضالة: راسل حاكم المعمورة البلاط الإسباني، بضرورة احتلال مدينة فضالة، للحيلولة أمام أطماع الهولنديين، الذين يرغبون في بناء حصن لهم في هذه المنطقة، وعليه يجب الإسراع في احتلالها لمنعهم من هذا، وبعد دراسة لهذا المشروع من قبل المجلس الإسباني، تم احتلال هذه المدينة يوم (24 رجب1032هـ/23 ماي 1623م)[1].

هكذا سقطت بعض المراكز المغربية الواحدة تلو الأخرى بيد المستعمر الإسباني بينما بقيت كل من الجديدة وطنجة بيد المستعمر البرتغالي.

ثانيا- مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى ودورها في صد الحملات البرتغالية خلال القرن (11هـ/17م):

1/ محاولة العياشي تحرير طنجة من يد البرتغاليين:

قاد العياشي حملة عسكرية لتحرير مركز طنجة، من الاحتلال البرتغالي سنة(1038هـ/1629م)، عرفت باسم معركة جبل الحبيب، أسفرت عن مقتل 588 جندي برتغالي، وابتداء من شهر (جمادى الأول1039هـ/جانفي1630م) شن البرتغاليون غارات على المناطق المحيطة بمدينة طنجة، تمكنوا من خلالها الاستيلاء على غنائم وأسرى، وبعد تزايد الهجمات البرتغالية، قرر العياشي التصدي لها وذلك بقيادة حملة عسكرية أخرى صوب مدينة طنجة، وجرت المعركة بينهما بالقرب من المدينة، تمكن خلالها البرتغاليون من حسمها لصالحهم، مما أجبر العياشي على الانسحاب، بعد أن تكبدوا خسائر فادحة بين قتل وأسير وبعد مرور عام كامل على توقف نشاط العياشي العسكري، استأنف نشاطه في شهر (شوال 1040 هـ/ماي 1631م)بالتوجه لتحرير مدينة العرائش، ولكنه غير وجهة

---

[1] عبد الهادي التازي: **المرجع السابق**، ج9، ص 115.

حملته في اللحظة الأخيرة واتجه صوب مدينة طنجة، أين جرت المعركة بينه وبين الحامية البرتغالية، عرفت باسم (واقعة يوم المسامير) والتي انتهت بهزيمته[1].

وفي هذا الصدد يشير اليفراني أن هذه الهزيمة أغضبت العياشي بعد الخسائر الفادحة التي تعرض لها مجاهدوه، وكذا تقاعس موركسيو سلا في تقديم الدعم اللوجستيكي إليه خوفا منه [2]، ويشير الدكتور إبراهيم حركات إلى أن مصالح موركسيو سلا كانت مرتبطة بالبرتغاليين أكثر من ارتباطها بالعياشي، فقد كانوا يزودون البرتغاليين بالمؤونة[3].

وعلى إثر الهزائم المتكررة، التي لحقت بالعياشي، وحسب الرسالة المؤرخة بتاريخ (جمادى الأول1039هـ/جانفي1630م)، التي بعث بها العياشي إلى الوليد، قرر المكوث في المنطقة الواقعة بين سبتة وطنجة، إلا أنه في سنة (1040هـ/1631م)، واستجابة لدعوة أهل فاس قرر مغادرة هذه المنطقة[4].

2/محاولة المولى الرشيد تحرير طنجة من يد البرتغاليين:

قام المولى الرشيد بإرسال جيشه إلى مركز طنجة يوم الثلاثاء (17جمادى الأولى1078هـ/3 نوفمبر1667م) لتحريرها لكن محاولته باءت بالفشل[5]، ليكرر المحاولة مرة ثانية في سنة (1083هـ/1672م)، لكن القدر لم يمهله لتحقيق حلمه وهو تحرير طنجة[6].

وقد بقي تكاثف نشاط البحرية المغربية الجهادي ضدّ السفن البرتغالية و تهديدهم لبعض المراكز التي احتلوها بالمنطقة مستمرًا حتى العقد الأخير من القرن(11هـ/17م)، ففي سنة(1694/1105م) جهز العاهل البرتغالي حملة مؤلفة من حوالي سبع بوارج لحصار مركز سلا الجديدة والسيطرة على سفنها، لكن سفن البحرية السلاوية تصدت له وأفشل رياسها مزاعمه في مطاردة السفن الجهادية العائدة للمرسى، ومن ضمنها سفينة الأخوين ابن

---

[1] عبد اللطيف الشاذلي: **المرجع السابق**، ص ص110-111 -112.

[2] محمد الصغير اليفراني: **نزهة الحادي**...، **المصدر السابق**، ص 267.

[3] إبراهيم حركات: **المرجع السابق**، ج 2، ص327.

[4] عبد اللطيف الشاذلي: **المرجع السابق**، ص 113.

[5] الضعيف الرباطي: **المرجع السابق**، ص151.

[6] ناصر الدين سعيدوني: **مولاي الرشيد**...، **المرجع السابق**، ص460.

عائشة، الأمر الذي جعل هذه الحملة تتعرض للسخرية من قبل المغاربة وللفشل الذريع بفعل القصف المدفعي، ومثله مُنيت الحملة التي وجهها البرتغاليون على المغرب سنة(1107هـ/ 1696م) على الرغم من تمكنها من قصف الرباط بحوالي 300 قذيفة مدفعية[1].

ثالثا- مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى ودورها في صد الحملات الإنجليزية خلال القرن (11هـ/17م):

1/محاولات المولى إسماعيل تحرير مركز طنجة من يد الإنجليز:

كانت طنجة من بين المراكز التي اهتم المولى إسماعيل بتحريرها من المستعمر البرتغالي الذي بقي فيها قرابة قرنين من الزمن، فقام المجاهدون المغاربة بتوجيه 5 حملات باتجاهها قصد تحريرها بداية من سنة (1090هـ/1679م) إلى غاية سنة (1095هـ/1684م)[2].

كانت الحملة الأولى سنة (1091هـ/1680م)، وذلك بإصدار المولى اسماعيل أوامره للقائد عمر بن حدو الريفي الذي كان قائدا للقصر الكبير ومنطقة الشمال لتحطيم الخط الدفاعي الذي أنشأه العدو للتصدي للهجمات الخارجية وحمايتهم منها في طنجة، وذلك بفرض سيطرتهم على البساتين المحيطة بها، ومن ثم الهجوم على أبراجها، والاستيلاء عليها، فتوجه القائد بحملة صوب طنجة، بجيش قوي لمحاصرتها وتضييق الخناق على من فيها حتى يتم تحريرها واسترجاعها[3].

وكان الجيش مكونا من " أهل الريف" و"المتطوعة"، ومع وصوله طنجة حاصرها وقام بشن مجموعة من الغارات، إلى غاية تمكنه من الاستيلاء على حصنها[4]، فاتخذه المسلمون بعد هذا قاعدة لانطلاق عملياتهم الهجومية على سور المدينة، وأمام شدة الحصار، التي عانى منها نصارى طنجة قاموا بإنشاء سرحمن الرشق"....الذي أحكموا تأليف بعضه إلى بعض بين تلك البساتين ورصفوا بعضه في بعض كأنه بنيان مرصوص ممتد من البحر إلى

---

[1] حسن ايميلي: **المغاربة والمجال البحري...، المرجع السابق** ، ص 354.

[2] عبد الله المرابط الترغي: **ذكريات الجهاد على عهد الدولة العلوية،** فتح طنجة عام (1095هـ/1684م) في التاريخ والأدب، في مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، ع. 353، د.ت، د.ص.

[3] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **المرجع السابق**، ج7، ص67.

[4] محمد داود: **تاريخ تطوان...، المرجع السابق**، ج1، ص360.



البحر..."، وبناء هذا السرح أصبح النصارى يسيطرون على المنطقة بكل حرية وأمان بعدما تراجعت قوات المسلمين إلى خلف السور[1].

2/المولى إسماعيل يحرر مركز طنجة من يد الإنجليز:

لما سمع المولى اسماعيل بالضعف الذي حل بالمسلمين وعجزهم، قام بإرسال المدد إليهم، لنصرتهم وبفضل شجاعة القائد بن حدو الريفي استطاع السيطرة من جديد على تلك البساتين، ومن شدة خوف النصارى وعدم قدرتهم على مجابهة المسلمين التجأوا إلى حصنهم وتقوقعوا فيه [2].

وهكذا استمر المسلمون في السيطرة على الأبراج المحيطة بالمدينة الواحدة تلوى الأخرى، مشكلين بذلك تهديدا للنصارى المتواجدين في طنجة، ومن أجل تحرير هذه المدينة، استعمل المجاهدون مختلف الطرق من تفجير للبارود والحفر تحت الأسوار، وتغيير مجرى الوديان لمنع دخول ماء الشرب إليهم، قصد إرغامهم على الاستسلام، أو المواجهة أو الجلاء عن المدينة، لكن كل هذه الطرق لم تجد نفعا لأن النصارى ظلوا متقوقعين في حصنهم، إلا أن ذلك لم يمنع المجاهدين ولم يحبط من عزيمتهم، بل زادهم إصرارا على ضرورة تحرير المدينة، خاصة بعدما التحق بهم المئات من المجاهدين، مما أدى إلى اتساع مساحة الحصار، وبعدما طالت المدة ، قرر قائد الحملة عمر بن حدو عقد هدنة مع نصارى طنجة، كي يستريح المجاهدون من طول مدة الحصار الذي لم يجد نفعا، وكذا من أجل جلب العدة والعتاد، إلا أن نصارى طنجة لما يئسوا من نجدة الإنجليز لهم، طلبوا العون من الإسبان الذين أغاثوهم بمجموعة من الجند، لكن مجاهدي المغرب تمكنوا من الانتصار عليهم[3] باستشهاد 50 منهم، مقابل مقتل 350 من النصارى[4].

وأمام هذا الوضع الذي آل إليه النصارى، لم يجد الإنجليز بدا سوى عقد هدنة بين الطرفين، وبحكم سلطة المنتصر على المنهزم، قام المغاربة بوضع شروطهم التي تمثلت في:

---

(1) عبد الله المرابط الترغي: **المرجع السابق**، د.ص.

(2) محمد داود: **تاريخ تطوان...**، **المرجع السابق**، ج1، ص260.

(3) عبد الله المرابط الترغي: **المرجع السابق**، د.ص.

(4) محمد الطيب القادري: **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر**، تح. محمد حجي وأحمد توفيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1936م، ج2، ص1632.

1 -إطلاق سراح المسلمين.

2 – دفع البارود والعدة.

ورغم ثقل هذه الشروط، إلا أن الإنجليز وافقوا عليها، وبهذه المعاهدة تمكنوا من تزويد جيشهم بالعتاد والمؤونة، واستغل المغاربة هذه المعاهدة ليتوجهوا إلى حلق وادي سبو لتحرير المعمورة [(1)].

بعد عقد الهدنة السلمية بين الطرفين قام المولى اسماعيل يوم (6 محرم 1095هـ/ 24ديسمبر 1683م) بحملة اتجاه مركز طنجة ضمت مجموعة من الفقهاء، والمرابطين والشرفاء، الذين سخروا أنفسهم للعمل الجهادي ليتمكن المغاربة من تحرير المدينة يوم الجمعة (1ربيع الأول 1095هـ/16 فيفري 1684م)[(2)]. الذي تم بطريقة سلمية وبدون قتال، وذلك عندما قام مغاربة طنجة، بالحفر بالقرب من الماء المسمى بساقية أبي الليف، وتغيير مجراه باتجاه موضع يسمى بقبة السلطان بالقرب من وادي اليهود في الطرف الآخر، واستمروا بالحفر إلى غاية تمكنهم من الوصول للأبراج المشيدة في هذه المدينة، والتي قاموا بتفجيرها بالبارود، ثم واصلوا الحفر حتى وصلوا القصبة التي كانت مبنية بالجير وتسمى بمرشان فتمكنوا من اقتحامها والانتصار على من فيها، أما الإنجليز فإنهم فروا بأكملهم دون القيام بمحاولة التصدي لجهاد المغاربة، واتجهوا صوب سفنهم، التي بعثها رئيسهم لنجدتهم [(3)].

وفي هذا الصدد يقول اليفراني"...فإنه رحمه الله بعث جيوشه، فضيقوا على من بها من النصارى إلى أن ركبوا سفنهم، وهربوا في البحر، وتركوها خاوية على عروشها.." [(4)].

وممّا لا شك فيه أن هذه العمليات الجهادية التي قام بها المغاربة في سبيل تحرير موانئهم من السيطرة الإنجليزية، قد جعلت إنجلترا تتبنى الخيار العسكري في مواجهة تلك العمليات، حيث قامت بتنظيم حملات الخفر في مجالات عمل رياس البحرية المغربية، وفرضت الحصار

---

(1) عبد الله المرابط الترغي: **المرجع السابق**، د.ص.

(2) الضعيف الرباطي: **المرجع السابق**، ص67.

(3) محمد الصغير اليفراني: **روضة التعريف ...، المصدر السابق**، ص72.

(4) محمد الصغير اليفراني: **نزهة الحادي ...، المصدر السابق**، ص306.

على القواعد المغربية لاسيمّا بعد خرق المولى إسماعيل لشروط الاتفاقية السابقة المسماة باتفاقية "واتيهال" وامتناعه عن توقيع أي سلم مع الإنجليز، الأمر الذي جعل إنجلترا تسعى دائما لتصعيد الخيار العسكري لمواجهة أي خطر مغربي ضدّها[1].

وعلى الرغم من تشديد الحصار الإنجليزي على القواعد المغاربية طيلة العقد الأخير من القرن(11هـ/ 17م)، حيث تمكن الأخير من الاستيلاء على حوالي ثمانية مراكب سلاوية من مجموع يتراوح مابين 18 و20 سفينة، فقد بقي الأسطول المغربي على عهد المولى إسماعيل يؤدي دوره الجهادي، حيث استمرت العمليات الجهادية المغربية ضدّ السفن الانجليزية إلى القرن (12هـ/ 18م) أين بدأ الأسطول الاسماعيلي ينهار في ظل سيطرة إنجلترا على جبل طارق وتضييقها على نشاط الملاحة المغربية[2].

رابعا- مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى ودورها في صدّ الحملات الفرنسية عليها خلال القرن (11هـ/17م):

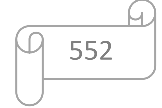
عندما كان مجاهدو البحر المغاربة يشنون غارات واسعة وكثيفة من مينائي الرباط وسلا الواقعين على المحيط الأطلسي، توجهت فرنسا بذلك إلى تكثيف العلاقات التجارية مع المغرب الأقصى، حرصا على حرية الملاحة في البحر المتوسط وعلى سلامة سفنها التجارية التي كانت تتعرض للجهاد البحري المغربي.

وفي أواخر القرن (10هـ/16م) كانت العلاقات الفرنسية المغربية مقتصرة حول قضية تحرير الأسرى الفرنسيين في المغرب الأقصى أو طلب السماح للسفن التجارية الفرنسية باستعمال الموانئ المغربية، وحتى مطلع القرن (11هـ/17م) لم يكن للبحرية شأن كبير، كما مثلت قضية الجهاد البحري والقرصنة محورا أساسيا في علاقات المغرب الأقصى مع مملكة آل البربون، إذ نجد الوضع السياسي الداخلي لجمهوريات أبي رقراق الثلاث هو الطرف الحاسم، الذي كان يتحكم في اتساع وشدة غارات الرياس في كل من الرباط وسلا، ولما كانت الفتن

---

(1) حسن ايميلي: **المغاربة والمجال البحري...، المرجع السابق** ، ص ص 353- 354.

(2) نفسه، ص ص 355- 356.



تعم أرجاء المغرب، كان الرباط ينجو منها، وعند استقرار أموره تشتد هجمات مجاهديه البحريين على أعدائهم [(1)].

وبوفاة المولى الرشيد، والإعلان عن أخيه المولى إسماعيل ملكا على المغرب سعى نائب القنصل الفرنسي [(2)] بسلا السيد "فرانسوا جوليان باراصول F.Julien Parasol"، لتقديم تهاني فرنسا إلى السلطان الجديد، الذي استقبله استقبالا حسنا ووعده بضمان حرية التجارة الفرنسية بالمغرب [(3)].

وبتولي المولى اسماعيل حكم المغرب سنة(1082هـ/1672م)، عملت فرنسا في عهد الملك لويس 14 على بناء مكانة دولية، وذلك من خلال ربط العلاقات الدبلوماسية مع المغرب، تجلى ذلك في إعطاء المولى اسماعيل أهمية كبيرة لهذا التحالف الذي كان يطمح من خلاله تقديم المساعدات العسكرية اللازمة لمواصلة تحرير الثغور المحتلة[(4)].

وبمرور شهور قليلة من تولي المولى إسماعيل عرش المغرب أرسل لويس 14 خطابا يهنئه بذلك، شاكرا إياه على الوعود التي قدمها لصالح التجارة الفرنسية ببلاده، وعلى الاستعداد الذي أبداه لحل مسألة الأسرى، ثم ذكره بالتفاهم الذي كان دائما يخيم على علاقات فرنسا مع أسلافه من ملوك المغرب، ثم أوصاه من خلال مبعوثه صمويل روي"Samuel Roy "، الذي أرسله إليه للتباحث معه في مسألة الأسرى و اقتراح

---

(1) جمال سهيل: **البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن 17م** ...، **المرجع السابق**، ص ص79- 80.

(2) عين أندري برا André Prat قنصلا للمغرب سنة 1629، ثم خلفه ابنه هنري برا Henri Prat في نفس المنصب سنة 1648، و إلى التاريخ الذي نتحدث عنه، كانا يسيران قنصلية سلا و تيطوان من مقر عملها بمرسيليا مكتفين بتعيين نواب عنهما بالمغرب **ينظر**:

Les S.I.M.M, 2éserie, France, T1, note1, p 251.

- أحمد الأزمي: **العلاقات السياسية والدبلوماسية بين المغرب وفرنسا على عهد السلطان المولى إسماعيل (1672-1727م)**، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، 2007م، ص 10.

نقلا عن أحمد الأزمي: **المرجع السابق**، ص 10 . -Charles Penz : les captifs français,..... , p52

-Les S.I.H.M, 2éserie, France, T1, pp 430-432.

(3) Ibid, p434.

(4) جلول بن قومار: **علاقات المغرب الأقصى السياسية ...**، **المرجع السابق**، ص 122.

مبادلتهم[1]. إلا أن سفارة "صمويل" لم تتم، لأن المولى إسماعيل لم يقبل بتاجر بسيط كمفاوض له [2].

لكن بعد ذلك استجاب المولى إسماعيل بالفعل لطلب لويس 14 المتعلق بالأسرى، بمنحه جواز سفر لرجال الذين من هيئة الميرسيدير Mercedaires الذين لم يحلوا بالمغرب إلا سنة (1085هـ/1674م)، وهو التاريخ الذي وصلوا فيه بترخيص لويس14، غير أن نتائج هذه البعثة الدينية وبعثات أخرى سنة (1089هـ/1679م) لم تكن مرضية بالنظر لعدد الأسرى الضئيل الذين تم افتداؤهم، فاستتبع ذلك إرسال قوات بحرية بأمر من لويس14، إلى شاطئ سلا في بداية سنة(1080هـ/1680م) بقيادة الملازم " شاطورونوChâteau Renaud، التي كان مآلها الفشل، وقد كان لويس 14 يمزج بين الليونة والقوة، فقد حمل سلطان المغرب على حل مشكلة الأسرى الفرنسيين، وجعل حدا "للجهاد البحري" المغربي، الذي عرقل حركة التجارة الفرنسية باعتراض السفن المتجهة إلى آسيا وإفريقيا وأمريكا والقادمة من نفس المناطق [3].

ومن هنا يتضح سبب التعليمات المرفقة بمشاريع إبرام السلم، والواردة على "شاطورونو" بضرورة أخذ تصميم لموانئ آسفي وسلا، والأوامر التي تلقاها "جان ديستري"في شهر (ربيع الأول1091هـ/أبريل1680م)، ليبحر بسفنه إلى سلا و ينضم هناك إلى "شاطورونو"، حتى يرعب وجود الأسطولين الفرنسيين السلاويين ويجبرهم على الجنوح

---

[1] هذه الرسالة كانت موجهة للمولى الرشيد، ينظر:

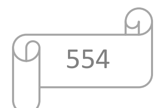
-Charles Penz**: les captifs français,…op.cit** ,p 76.

نقلا عن أحمد الأزمي: **المرجع السابق**، ص 10.

[2] في نهاية القرن(6هـ/ 12م) و بداية (7هـ/ 13م)، تأسست هيئتان دينيتان بفرنسا من أجل جمع الأموال الضرورية من تبرعات المحسنين و الميسورين من أسر المستعبدين في مختلف سجون الدول الإسلامية بحوض البحر أبيض المتوسط على خصوص سعيا وراء الافتداء الأسرى بهاته الدول، نشأت هيئة الثالوثيين Trinitaires أو الماتوريين نسبة إلى أحد مؤسسيها جان دوماطا Jean de Matha سنة 1198، و تأسست هيئة الميرسيدير أو آباء الرحمة les Mercedaires . ينظر:

-Charles Penz : **les captifs français**…, **op.cit**, p57. /10 ص **المرجع السابق** :الأزمي **نقلا عن**

[3] أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص ص 10- 11.



للسلم، ثم تضيف نفس الأوامر والتعليمات أنه بإمكان جان ديستري أن يمدد إقامته، إذا كان هناك أمل في إمكانية إبرام معاهدة [1]، وبذلك يبدو أن فرنسا راغبة في تحقيق السلم في المغرب.

ومما يبرز ذلك، ما جاء في الرسالة المؤرخة في(1091هـ/ 12 غشت 1680م)، والتي بعث بها" بيير دو كاطالان" Pierre de Catalan[2] من قادس إلى " كولبير Colbert' "[3] يخبره فيها أن "شاطورونو" قد أنزل ضباطا بمصب تاهدارت، كلفهم بالذهاب إلى القصر الكبير بغية التفاوض مع القائد عمر بن حدو [4]، وإبرام السلم معه، وبالفعل استقبل قائد القصر مبعوثي "شاطورونو"، الذين حملوا معهم مشروع هدنة، و قبل كل البنود التي تضمنها هذا المشروع بعد عرضه على المولى إسماعيل، لكن عمر بن حدو في رسالة بعث بها إلى "شاطورونو" من القصر الكبير مؤرخة في(10شعبان1091هـ/4 شتنبر1680م)، اشترط أن هذه الهدنة لن تصبح سارية المفعول إلا بعد 50 يوما، و هي المدة الزمنية التي تكفي مجاهدي البحر للقيام بحملتهم البحرية [5]، غير أن هذا الشرط لم يرق لشاطورونو.

إن فكرة الإمتيازات الفرنسية في المغرب فتحت باب المفاوضات وذلك من خلال إرسال المولى اسماعيل أول سفير له وهو الحاج محمد تميم سنة(1092-1093هـ/1681-1682م)، والتي بموجبها بينت فرنسا عدم التزامها للأعراف والمواثيق الدبلوماسية، حيث أن المبعوث الحاج محمد التميم تعرض لمعاملة مهينة وإهمال من طرف الفرنسيين، إذ أنه منذ مكوثه ما يزيد عن

---

[1] Les **S.I.H.M**, 2éserie, France, T1,p487.

أحمد الأزمي: **المرجع السابق**، ص 11.

[2] قنصل فرنسا بقادس **ينظر** :

Les S.**I.H.M,** 2éserie, France, T1, note1, p 298.

أحمد الأزمي: **المرجع السابق** ص 11.

[3] مستشار لويس 14 وأمين ماليته و المكلف بالشؤون البحرية

-Les **S.I.M.M**, 2éserie, France, T1, note 1,pp 48-265.

أحمد الأزمي: **المرجع السابق** ص 11.

[4] عمر بن حدو الحمامي: قائد القصر الكبير و نائب السلطان على الغرب و المكلف بقيادة حصار طنجة ، ينظر :

-Les **S.I.H.M**, 2éserie, France, T1, p, note1, 492.

[5] Les **S.I.H.M**, 2éserie, France, T1, p508.

الشهرين وفي ظروف مناخية صعبة لم يسمح له الالتحاق بالعاصمة الفرنسية، إلا بعد التأكد من صحة أوراق اعتماده كسفير للمولى اسماعيل، والتي وافقت بموجبها على معاهدة (1093هـ/ 1682م) بعد مفاوضات مع الوزير كولبير، ثم جاءت سفارة "دوسانت أمان" إلى المغرب(1093هـ/ 1682م)، والتي جاءت كرد لسفارة محمد تميم إلى فرنسا، وكانت تهدف أساسا إلى الحصول على مصادقة المولى اسماعيل و تثبيت معاهدة سان جرمان، ومحاولة إقناعه بالإلتزام ببنودها، حيث نصت التعليمات التي تلقاها السفير دوسانت أمان بأن يعد لائحة بالأسرى الفرنسيين المتواجدين بالمغرب[1].

وبتاريخ (09شعبان 1095هـ/22 جويلية 1684م) بعث المولى اسماعيل رسالة إلى لويس 14، والتي يهدف من خلالها المقارنة بين طريقة الفلمنك وانجلترا في التعامل معه من جهة، وبين تصرفات الملك الفرنسي تجاهه، وكذا معاتبته على تردده في تحرير الأسرى المغاربة، وتوضيح فكرة التفاوض بخصوص القضايا العالقة بين البلدين من ضمنها أسرى الطرفين، وعليه أن يبعث بشخصية دبلوماسية لها كامل الصلاحيات للتفاوض بهدف ترسيخ قواعد السلام مع المغرب[2].

أدّت الأوضاع الدولية والداخلية لكل من فرنسا والمغرب في مطلع القرن (11هـ/17م) دورا كبيرا في التقارب بينهما إذ فتحت بذلك مجالا واسعا لبناء علاقات تجارية واسعة، تخللتها مهام وقضايا مختلفة، يمكن أن نبين أهمها: إنشاء الممثليات القنصلية الفرنسية في التراب المغربي، وعقد اتفاقيات مع مختلف القوى المغربية، التواجد التجاري الفرنسي، وقضايا القرصنة والأسرى، إلى جانب ذلك نجد أن كلا من الجهاد البحري والقرصنة لعبا دورا خطيرا في توتر العلاقات السياسية بين الدولتين رغم استمرار النشاط التجاري بينهما، ومن أجل تقوية تلك العلاقات نشطت الدبلوماسية المغربية الفرنسية، ولاستمرار النشاط الدبلوماسي اعتمدت الدولتان على البعثات الدبلوماسية، حيث تعددت الاتصالات بين المغاربة والفرنسيين خلال العصر العلوي الأول الذي امتزجت فيه الدبلوماسية بالتجارة وبمشاكل القرصنة والجهاد البحري والأسرى، كما اقتضت المصلحة المتبادلة بين البلدين لتبادل تلك السفارت أهمها سفارة دبلون

---

[1] جلول بن قومار: **علاقات المغرب السياسية والدبلوماسية...**،**المرجع السابق**، ص ص127- 128.

[2] عبد الهادي التازي: **الوسيط في التاريخ الدولي**، دار شركة المعرفة، الرباط، ط1،ج3، ص155.

الحاج، بعثة علي بن عبد الله الحمامي التمسمانيو سفارة الحاج محمد تميم، أما العلاقات العدائية بينهما فقد كانت بسبب غطرسة الملك الفرنسي لويس 14 ومحاولاته فرض شروط السلام على الأقطار المغاربية بالقوة ومن بينها المغرب.

في الفترة التي اعتلى فيها لويس 14حكم فرنسا، نشطت الحملات الفرنسية التي قادها الأسطول الفرنسي ضد المغرب والتي اتسمت سياستها بفرض الحصار وتوجيه ضربات المدفعية على مدينة سلا وما جاورها.

1/ حملة دو رازيلي (De Razili)سنة (1038هـ/1629م):

تعتبر أول حملة وجهتها فرنسا هدفها تهديد سلطات سلا الجديدة، ثم قصفها لاجبار ملكها للاستجابة للمطالب الفرنسية، قبل التوجه بأسطول الفرنسي إلى أسفي.

2/ حملة دو سور دي (De Sourdis) سنة(1045هـ/1636م):

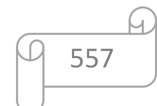
توجه أسطول فرنسي بقيادة القائد دو سور دي (De Sourdis) بهدف مراقبة مجالات عمل الرياس والتضييق عليهم، إلا أنه لم يتمكن من إحراز ما كان يصبو إليه وهو المبادرة بالهجوم، وذلك أنه كان يعتقد أنه له القدرة على وضع حد نهائي للتهديد الملاحي المغربي، بسبب وجود الفارق التقني الملاحي الذي كان في صالح فرنسا، وبالتالي الضغط على مركز سلا الجديد من أجل التوصل إلى صلح معها يمنح لرجالها الاعتقاد بخشية فرنسا من عملياتهم[1].

3/جون ديستري (Jean d'strés) سنة (1080هـ/1670م) :

قام الملك لويس 14بإرسال حملة بحرية سنة(1080هـ/1670م) بقيادة الكونت"**جون ديستري**" مكونة من 6 سفن من نوع الغاليرات الكبيرة مهمتها تطويق ميناء سلا والشواطئ المغربية القريبة منه ومحاربة رياسها، وقد كان هدفها دراسة وسائل القضاء على ما وصفوه بالقرصنة.

جاء دوستري مصمما على القضاء على سفن رياس البحر المغاربة في عرض البحر وهو في طريقه إلى سلا، لكن بعد علمه أن نوع السفن التي يمتلكها الممثلة في الغاليرات التي تكون أسطوله لا تمكنه من المجابهة، فكتب هذا الأميرال إلى الوزير كولبير والملك لويس

(1) حسن ايميلي: **المغاربة والمجال البحري**...، **المرجع السابق**، ص ص 342- 343.



14 في هذا الشأن، يبرر فشله بأن الفرنسيين يملكون سفنا كبيرة من نوع الغاليرات(les Galères الثقيلة التحرك، عكس السفن الخفيفة و الصغيرة التي يملكها القراصنة ، من نوع الشابوك والفرقاطات التي يصعب ملاحقتها، ولذلك طلب من" **الوزير كولبير** "مده بفرقاطات صغيرة ، و في هذا الشأن كتب" هنري برات (Henri Prat) قنصل فرنسا" في المغرب، بتاريخ (7جمادى الثانية 1082هـ/ 10أكتوبر 1671م) يخبر" **كولبير** "بإرسال وحدات صغيرة متحركة، بالموازاة مع الحاملات الكبيرة التي تحمل من 10 إلى 12 مدفعا، ومن 80 إلى 100 رجل على متنها[1].

4/ حملة شاطو رونو (Château-Renaul) سنة (1081هـ/ 1671م):

أصدر لويس14سنة (1081هـ/ 1671م) قرارات تمثلت في تسليم" **شاطو رونو**" سفينة سانت لويس والفرقاطات العسكرية "La friponnes" و" Les jeux" و الذهاب بها إلى دواخل موانئ مصب أبي الرقراق، وخاصة" **سلا** "قبل أن تخرج منها سفن الجهاد البحري[2].

فخرجت حملة " **شاطو رونو**" بتاريخ (5ذوالحجة 1081هـ/ 14أفريل 1671م)، والمتكونة من خمسة عمارات بحرية، كل واحدة منها تحمل من 14 إلى 56 مدفعا، "إلا أن هذا الرجل قاد هذه الوحدة منذ سنة (1076هـ/1666م)، وذلك بهدف بإغراق بعض القطع البحرية المغربية، كما انضمت إليه 15 عمارة أخرى تابعة لوحدات " Jean D'estrés" الذي أغلق سلا و الموانئ التابع لها، إلا أن الحرب بقيت على القرصنة مستمرة، رغم وجود علاقات سلمية بين الحين و الآخر[3]، على اعتبار أن حملة "شاطو رونو" قد أعطت بدورها موقعًا مريحًا لفرنسا من حيث مفاوضاتها الدبلوماسية مع المغرب الأقصى[4].

---

(1) Les **S.I.H. M,** France, T2, **op.cit** ,note 1, p284.

(2) روجي كواندو:**قراصنة سلا** ...، **المرجع السابق**، ص 164.

(3) Léon Guerin**:Histoire maritime de France**, T3, ed. dufour et malat, Paris ,1854, p210.

(4) حسن ايميلي: **المغاربة والمجال البحري**...، **المرجع السابق** ، ص 349.

5/ حملة" شاطو رونو "الثانية لسنتي (1091-1092هـ/ 1680- 1681م):

قام" **شاطو رونو** "بقيادة حملة جديدة مكونة من عشرة سفن بهدف حصار مدينة "**سلا**"، تواجدت أمام المدينة لإرغام أهلها على الموافقة على السلم الفرنسي، الأمر الذي جعل القايد" **عمر بن حدو الحمامي**"يفاوض مبعوثي قائد الحملة، وشروطها، لكن الطرفان لم يتوصلا إلى اتفاق، فعمد القائد الفرنسي لرفع الحصار ومغادرة الميناء بسبب تزايد نفقات الحصار، واقتراب الاضطرابات الجوية[1].

وبعد المفاوضات تمكن نفس القائد برفقة القرصان الفرنسي جون" Jean Bart"، سنة(1092هـ/ 1681م)من التوصل إلى هدنة[2].

6/حملة " كوتلغان(Le Chevalier Alain Emmanuel de Coétlogen) سنة(1109هـ/ 1698م):

كانت هذه الحملة، بتاريخ (19ذو القعدة 1109هـ/ 28ماي1698 م)، حيث أن قائد هذه الحملة عمد إلى حصار ميناء مدينة سلا، بهدف إرغام الرياس السلاويين مغادرة الميناء، الأمر الذي جعل عبد الله بن عائشة يقترح عقد الهدنة بواسطة أخيه عبد الرحمن الذي أخبره بأن أخاه عبد الله لديه التفويض الكامل من السلطان من أجل السلام[3]

7/ حملة" الكونت فرديناند دو رولينغي(Ferdinand de Relingué) سنة(1110هـ/ 1699م):

جاءت هذه الحملة أواخر سنة (1110هـ/1699م) بقيادة الكونت :"**فرديناند دورولينغي**" كقائد لإحدى الوحدات البحرية المكونة من عشر سفن بحرية من نوع الفرقاطات، متجها بأمر من السكرتير العام للبحرية الملكية "**كولبير**" و لما وصل إلى ميناء سلا، قدم رسالة من الملك لويس الرابع عشر، موجهة للمولى إسماعيل، جاء فيها بأن

---

(1) Ferdinand Hoefer **:Afrique Australe,cap de Bonne Esperance,Empire de Maroc**,firmin didot ed, Paris, 1848, p361.

(2) روجي كواندرو :**المرجع السابق**، ص 70.

(3) Les **S.I.H.M,** France, T2, **op.cit**, note5, p215.

يستشعر عظمة وقوة فرنسا، وأن يقبل شروط السلم المقررة من فرنسا، فكان رد السلطان بأنه لا يكترث لتهديدات أحد[1].

8/حملة" البارون بوانتيس "(Le Baron de Pointus): سنتي (1111-1116هـ/ 1700 -1705م):

في صيف سنة (1111هـ/ 1700م) تم إرسال حملة بقيادة "**البارون بوانتيس**" ضد سلا، لحصار بلغت سفنه أكثر من عشرين سفينة لكن هذه المحاولة باءت بالفشل [2]، وفي يوم (20 ذي الحجة 1116هـ/ 14أفريل 1705م)، أعاد الكرة مرة أخرى، مجددا حصار المدينة عبر البحر من خلال الشواطئ المغربية، ثم قام بتطويق مدينة طنجة وقصفها بالمدفعية[3].

9/ حملة نانتي دوكاسار "Nantais de Cassard" بين (1132-1139هـ/ 1720 - 1727م):

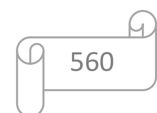
كانت أولى الأوامر لضباط البحرية منذ تاريخ (17 رجب 1128هـ/ 06 جويلية 1716م)، ثم في (13 شعبان 1123هـ/ 08جوان 1721م) وكذا في (28 شعبان 1124هـ/ 23جوان 1722م) الذين عملوا على تطويق الشواطئ البحرية المغربية، إلا أن اقتراح الضابط نانتي دي كاسار (Nantais de cassard) بتقديم مشروع نزول فرنسي على الشواطئ المغربية، فأعطيت له الإمكانيات من سفن مختلفة منها الفرقاطات التي تحمل 50 مدفعا، ومجموعة من الزوارق "La seine" وعشرة شالوبات، متجهة نحو جبل طارق، وبسبب التواجد الإسباني المكثف في هذه المنطقة فشلت هذه الحملة، وكذا التعزيزات التي كانت على مشارف الشواطئ المغربية حول سبتة التي كان يرابط بها الملك المغربي، بالإضافة

---

[1] Nekrouf Younes:**Une amitié orageuse de Moulay Ismail et louis xiv**,ed albin Michel, Paris, 1987,p328.

[2] Leila Meziane: **Salé et ses Corsaires 1666/1727,un port de course Marocain au 17 éme siecles**,pub.Univhavre, 2007, p252.

[3] Nekrouf Younes, p 358.



إلى هذه الحملات، استخدمت فرنسا قراصنتها في توجيه ضرباتها على المغرب مثل" جوس كونستون"(Josse Constant) في (18 شعبان 1092هـ/ 01سبتمبر 1681م) [(1)].

ومن هذا المنطلق فقد عملت سياسة فرنسا على إنزال بوارجها البحرية سنويًا في الموانئ المغربية، رغبةً منها في تشديد الحصار وتطبيق رقابة صارمة على القواعد المغربية، وخاصة قاعدة سلا الجديدة والمعمورة وتطوان، ممّا يمكن الملك الفرنسي " لويس 14" من التصدي لنشاطات مجاهدي البحرية المغربية، حيث دعم الأخير على حسب الإحصائيات التي جاء بها "حسن إيميلي" في كتابه " **المغاربة والجهاد البحري خلال القرنين 16- 17م"**، الأسطول الفرنسي المرابط بالمنطقة بحوالي 4 إلى 6 فرقاطات وحراقات خفيفة وسريعة الحركة، مجهزة بكفاءة قتالية تتراوح مابين 24 و50 قطعة مدفعية وبعض المعدات المطلية بالكبريت لإحراق السفن، الأمر الذي جعل هذه السياسة تنجح في فرض تضييق الحصار على السفن المغربية وقطع طريق تجاوز الأسطول الجزائري إلى المحيط الأطلسي، وبذلك فقد تعرضت مواسم الجهاد المغاربية على حد سواء للرقابة والتضييق المستمر[(2)].

ومما سبق يمكن القول بأن الحملات الأوربية التي توالت على المغرب الأقصى خلال القرن (11هـ/17م) من طرف اسبانيا والبرتغال وفرنسا وحتى انجلتر كان لها وقع على مجاهدي البحر المغاربة، لكن بفضل قوة العزيمة ورغبتهم في التخلص من الاحتلال الأورومسيحي، استطاعت أن تفتك تلك المراكز عن طريق شن غارات واسعة وكثيفة، خاصة من مينائي الرباط وسلا الواقعين على المحيط الأطلسي، بهدف الحرص على حرية الملاحة في البحر الأبيض المتوسط وعلى سلامة سفنها التجارية التي كانت تتعرض للقرصنة الأوروبية.

---

(1) Paul Masson :**Histoire Des Etablissements et des Commerce Français dans l' Afrique . Barbaresque (1560-1793) Alger, Tunis, Tripoli, Maroc**, Hachette, Paris,1903, pp351- 353.

(2) حسن ايميلي: **المغاربة والمجال البحري**...، **المرجع السابق** ، ص ص 350- 351.



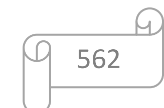
خاتمة الفصل– وممّا تقدّم يمكننا القول:

– أن ازدهار حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى تعود إلى ظهور قواعد جهادية بحرية كمصب أبي رقراق، أزمور، تطوان، المهدية، ترغة، و كذلك إلى مجيء الأندلسيين الموريسكيين والعلوج الأوروبيين إلى بالمصب، واستقرارهم به، وكان هدفهم ضرب التجارة الأوروبية، ولأن المراكز السالفة غير قادرة على تبني الحروب البحرية المباشرة نظرا لافتقادها للأدوات والوسائل وعدم وجود بنيات تحتية كبرى ولا صناعة متطورة عالية الجودة، ولا تكاليف مالية متواصلة، وإنما كان الاعتماد على مراسي طبيعية وعلى سفانة سريعة وخفيفة وعلى تمويل ذاتي ومبادرة خواص، الأمر الذي فسح المجال لأنواع الحروب الاستنزافية المتمثلة في عمليات الجهاد البحري.

– فرضت البناءات المنشأة في الأوراش المحلية حدودا تقنية غير قابلة لتجاوز أنواع معينة من السفن من حيث الحجم والحمولة والسرعة، تأثرا بطبيعة المراسي وظروفها الملاحية.

– حاول المغاربة خلال القرن(10هـ/ 16م) مجابهة القوى الأورومسيحية التي كانت تحتل السواحل المغربية بكل قوة وعزيمة ، أما خلال القرن (11هـ / 17م) فكانت الحملات الأورومسيحية كثيفة على المغرب الأقصى (اسبانيا، البرتغال، فرنسا، إنجلترا)، لكن مجاهدي المغرب الأقصى لم يقفوا مكتفين الأيدي بل تصدوا بكل ما أتوا من قوة .

– كان لازدهار حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى أثر بارز على الجانب الاقتصادي و الاجتماعي، حيث كانت العائدات البحرية كثيرة (غنائم، أسرى، أسلحة، ذخائر، أطعمة...)، ونشطت السوق المحلية من خلال إعادة بيع هذه العائدات، حيث أصبحت تشكل مدخلا مهما لخزينة الدولة، حتى أن غنى وفقر المراكز الجهادية المغربية ينبني على عبقرية مجاهديها البحريين وعلى نجاح مواسمهم الجهادية.



خاتمة الباب:

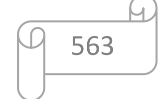
بعد تعرض السواحل المغاربية(طرابلس، تونس، المغرب الأقصى) خلال القرنين (10-11هـ /16-17م) للغزو من قبل الغزو البرتغالي والإسباني وما تلاه من دول الحلف الصليبي المسيحي، و كرد فعل مباشر على هذه الأوضاع ظهرت مراكز جهادية بحرية لمجابهة هذا الغزو الصليبي المسيحي مدعمة من قبل الدولة العثمانية وأخرى من طرف الحكام المحليين، أو الأهالي، أو الوافدين كالأعلاج والأندلسيين (المغرب الأقصى)، حيث تمكّنت هذه المراكز الجهادية من إعادة التوازن للمنطقة بعد أن كانت في حالة استسلام تام، ثم أصبحت في حالة دفاع ومن بعدها في حالة هجوم، كما أن تبني العثمانيين لحركة الجهاد البحري كان عاملا مساعدا لهم في تثبيت وانتصاب السلط العثمانية في الإيالات المغاربية (عدا المغرب الأقصى)، واستمالة قلوب أهل البلاد المغاربية، وأن الجهاد البحري كان في البداية يحمل مدلولا دينيا، أكثر من كونه اقتصاديا، يتجسد في حماية السواحل المغاربية من قبضة الأورومسيحيين وصد هجماتهم المعادية .

و يمكن حصر دور أساطيل الايالات المغاربية في النقاط الآتية :

- القيام بحملات معاكسة تكسر شوكة الأساطيل الأورومسيحية بشكل مفاجئ ومتكرر قصد إضعافها
- أدّى دور الحامي لحمى المسلمين والدفاع عن مجالاتهم ضد الهجمات الأورومسيحية، وكذا تقوية ودعم الأساطيل الجهادية الاسلامية خلال المعارك العنيفة مع القوى الأوروبية خاصة خلال القرن (10هـ/16م).

ومن أهم المراكز الجهادية وقياداتها في الإيالات المغاربية:

- **أهم مراكز الجهاد في تونس:** حلق الوادي، المهدية، سوسة، تونس، جربة، صفاقس، بنزرت وطبرقة، أما أهم القيادات فنجد: عثمان داي، يوسف داي، أسطا مراد، الداي أحمد خوجة، الداي الحاج محمد أوغلو
- **أهم مراكز الجهاد في طرابلس الغرب:** طرابلس، تاجوراء، مصراته، درنة، أما أهم قيادات الجهاد البحري: درغوث باشا، محمد باشا الساقزلي، عثمان باشا الساقزلي، بيرام رايس، إبراهيم مصرلي



- **أهم مراكز الجهاد في المغرب الأقصى**: مصب أبي الرقراق، تطوان، بادس أزمور، المهدية، العرائش، ترغة، أما أهم قيادات الجهاد البحري في المغرب الأقصى: مراد رايس الأصغر، عبد الله بن عائشة، عبد الرحمان بن عائشة، الرايس فنيش.

- ونشير أن المراكز الجهادية المغاربية تشابهت كثيرا في استعمالها للسفن الخفيفة، وعدم استخدام السفن الثقيلة التي تصعّب عليهم عملية المطاردة والانسحاب مثل الفرقاطة، القاليوطة، البولاكر، الشالون، الشباك، كما تم استخدام عدة خطط للترصد و الهجوم الذي يستند على معرفة السواحل وخلجانها و صخورها والرياح وسرعتها وكذا الأمواج وقوتها كاستراتيجية للهجوم، إضافة إلى استعمال السفن الصغيرة الحجم من أجل تسهيل عملية الهجوم والمطاردة، وكذا أساليب الخدع و المناورات مثل استعمال الأشرعة السوداء ليلا، والرايات المزيفة، و التنكر بزي البحارة الأوربيين من أجل تسهيل عملية المباغتة والقنص. انجر عن الجهاد البحري غنائم كبيرة ومتنوعة ومبالغ افتداء الأسرى الأوربيين، حتى أن نشاط الجهاد البحري دفع بالدول الأوروبية إلى تعيين قناصل لها في دول المغارب، قصد التجسس على كمية الغنائم و على الأسرى و قصد ربط علاقات سلمية معهم لتفادي هجماتهم على سفنها التجارية و حماية طرق تجارتها مع الدول المغاربية.

الخاتمة

– الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات والملاحظات نوجزها فيما يأتي:

– يحتل الجهاد البحري مكانة متميزة في تاريخ المغارب الحديث، ولعل الفترة التي وقع عليها اختيارنا، والتي تغطي القرنين (10–11هـ/16–17م) تعتبر من أبرز فترات الجهاد لسببين اثنين:

الأول: باعتبارها الفترة التي كان للأسطول الجهادي المغاربي دور ومساهمة كبيرة، تمثلت في:

- الصمود في وجه الحملات الأوروبية المسيحية المتكررة والدفاع عن مراكزه.
- قيام الأسطول بحملات معاكسة تكسر شوكة الأساطيل الأورومسيحية بشكل مفاجئ ومتكرر من أجل إضعافها.
- تأدية دور الحامي لحمى المسلمين والدفاع عن مجالاتهم ضد الهجمات الأوروبية، وكذا تقوية ودعم الأساطيل الجهادية الإسلامية خلال المعارك العنيفة مع القوى الأوروبية خاصة خلال القرن (10هـ/16م).

وأما الثاني؛ لكون مؤسسة الجهاد البحري المغاربي أضحت تحتل موقعا مركزيا ضمن بنيات المجتمع المغاربي، حيث أن مؤثراتها لم تكن تقتصر على ما كان يتصل بالعلاقات مع القوى الأوروبية فحسب، بل تعدته إلى التأثير على مختلف مناحي الحياة سواء على المستوى السياسي، الاقتصادي والاجتماعي.

– لاحظت الباحثة بأن معظم كتابات الغربيين قد تبنت أحكاما مسبقة بشأن نشاط الجهاد البحري المغاربي، ولم يتوخوا الدقة العلمية في ضبط المصطلحات التي أطلقوها عليه، فكثيرا ما سقطوا في استعمال مصطلحات ذات مفاهيم وأبعاد قانونية مختلفة، ونعني بذلك مصطلحي " القرصنة " و"لصوصية البحر"، فإذا كان المصطلح الأول هو الأقرب من حيث شرعيته التاريخية على مصطلح "الجهاد البحري " المعتمد في الدراسات الإسلامية، فالملاحظ أن أغلب المؤرخين الغربيين الذين ظلوا يتناولون تاريخ الإسلام من وجهة نظر أوروبية، بالاعتماد على ما توفر لديهم من مصادر ووثائق، كانوا يرون في قيام السفن المغاربية بالدفاع عن المياه الإقليمية وسعيها المتواصل لكسر طوق الحصار الاقتصادي الأوربي قرصنة غير مشروعة وخروجا عن القوانين والأعراف المتحضرة، وقد أبرزت الدراسة عدم تطابق هذه

الادعاءات مع الواقع التاريخي، لكون القرصنة كانت واقعا تاريخيا منتشرا لسبب أو لآخر بين مختلف مناطق وشعوب البحر المتوسط خلال الفترة الحديثة، ولأن الدوافع الأساسية للجهاد البحري المغاربي كانت نتيجة منطقية للسياسة التي كانت تنتهجها القوى الأوروبية تجاه المصالح الإسلامية المختلفة.

– استمرت الحملات الصليبية إلى غاية القرن (10هـ/16م) – رغم أن الدافع كان اقتصادي أكثر منه ديني- بدليل الأموال التي كانت تُدْفع للكنيسة والمتمثلة في ضريبة العشر، والتي كانت تُجْمع لتجهيز الحملات ضد المسلمين؛ فكيف لا تقابل بجهاد بحري من طرف المسلمين الذين كانوا يُستهدفون في عقر ديارهم، وأحيانا كانت هذه الحملات الأوروبية كرد فعل على نشاط حركة الجهاد البحري الذي كان يقوم به البحارة المغاربة.

– شكّل تواجد الأتراك العثمانيين في بلاد المغارب، أمراً فرضته الظرفية المتوسطية المتمثلة في سقوط غرناطة والاحتلال البرتغالي والإسباني لمعظم سواحل ومواقع البلاد المغاربية في أوائل القرن (10هـ/16م)، حيث جذب هذا الصراع الصليبي الجديد رجال الجهاد البحري وعلى رأسهم الإخوة أبناء يعقوب(بربروس) ومن حذى حذوهم، فأسسوا أساطيل بحرية واندمجوا مع أهالي المغارب، وكل هدفهم مقاومة المد المسيحي، فكان لاستقرار الأتراك العثمانيين دور في حسم النزاع مع اسبانيا وفي الهيمنة على الحوض الغربي للبحر المتوسط

– تمكّنت حركة الجهاد البحري المغاربي من إعادة التوازن للمنطقة، بعد أن كانت في حالة استسلام تام، ثم أصبحت في حالة دفاع ومن بعدها في حالة هجوم، كما أن تبني العثمانيين لحركة الجهاد البحري، كان عاملا مساعدا لهم في تثبيت وانتصاب السلط العثمانية في الإيالات المغاربية، وذلك لتوجيه نظر معارضيهم في الحكم، واستمالة قلوب أهل البلاد وتوجيه نظرهم حول القضية الأم، المتمثلة في إنقاذ أهالي الأندلس واسترجاعها، كخطوة لاحقة، وأن الجهاد البحري كان في البداية يحمل مدلولا دينيا، أكثر من كونه اقتصاديا، يتجسد في حماية السواحل المغاربية من القبضة الأورومسيحية وصد الهجمات المعادية، ثم تحول فيما بعد إلى غرض مادي هدفه الربح.

– تمكّن الأسطول الجهادي المغاربي من المبادرة لحروب الاستنزاف الخاطفة ضد القوى الأورومسيحية، كونه أضحى تحت مظلة العثمانيين، التي غدت درعا من الهجمات المسيحية

المتكررة، وذلك بفضل بسط الدولة العثمانية لنفوذها على منطقة المغارب ذات الموقع الجغرافي الاستراتيجي المشرف على أهم الممرات المائية المطلة على الحوض المتوسطي.

- حرص الرياس على الأسطول الجهادي خلال القرن(10هـ/16م) وسار خلفاؤهم على نفس النهج في الاهتمام به، وفي الرفع من قدراته القتالية لمواجهة الإسبان وحلفائهم الايطاليين والمالطيين وغيرهم، لأنهم فقهوا أن المكانة الدولية مرهونة بالقوة البحرية، فساهموا في الحرص على تزويده بالتجهيزات والتقنيات المتطورة الضرورية، لمواصلة العمليات الجهادية، وذلك على الرغم من الحظر البابوي القاضي بتحريم انتقال التقنيات العسكرية الأوربية للمسلمين مستفيدين في ذلك من الصراع الأوربي-الأوربي من أجل تقوية مؤسسة الجهاد البحري رجالا وعتادا، سواء عن طريق التهريب أو العلاقات الدبلوماسية والمعاهدات الثنائية التي كانت تربطهم بعديد القوى الأوروبية مثل فرنسا وهولندا وإنجلترا.

- كانت حركة الجهاد البحري تتطلب استعدادات كبيرة من حيث العدة والعتاد، فالجميع يشارك في العملية بما فيها النساء اللاتي بعن حليهن، وكان يُستند في اختيار قائد الحملة، على كل من يتحلى بالمهارة والحنكة والشجاعة في هذا المجال، كما أن التجنيد في الحملات الجهادية إجباري يتطلب كل من له مؤهلات بدنية، والاستجابة لنداء الرياس للإبحار قصد الغزو والجهاد، وأن الرافضين لهذه العملية، إما يقومون بدفع المال بدافع التخلف عن الغزو أو البقاء من أجل التكفل بعائلاتهم.

- تشابهت المراكز الجهادية المغاربية كثيرا في استعمالها السفن الخفيفة، وعدم استخدام السفن الثقيلة التي تصعّب عليهم عملية المطاردة والانسحاب مثل الفرقاطة، الغليوطة، البولاكر، الشالون، والشباك، كما تم استخدام عدة خطط للترصد والهجوم الذي يستند على معرفة السواحل وخلجانها وصخورها والرياح وسرعتها وكذا الأمواج وقوتها كاستراتيجية للهجوم ، إضافة إلى استعمال السفن الصغيرة الحجم قصد تسهيل عملية الهجوم والمطاردة، وكذا أساليب الخدع والمناورات مثل استعمال الأشرعة السوداء ليلا، والرايات المزيفة، والتنكر بزي البحارة الأوربيين لتيسير عملية المباغتة والقنص.

– استفادت سلطات البلاد المغاربية من خبرات وكفاءات الوافدين عليها من العثمانيين أو الأجانب الذين استعانت بهم واستفادت منهم خاصة أسرى العمليات الجهادية البحرية، واللاجئين الأندلسيين في دعم القدرات البشرية والقتالية لأسطول الجهاد البحري، خاصة وأن العناصر الأهلية المحلية لم تكن تهتم بالعمل الملاحي، وتفضل الاشتغال بالأنشطة القارية التقليدية، لذلك كان الإطار البشري لمؤسسة الجهاد يتشكل بالأساس من العناصر الوافدة المنتمية إلى عدة بلدان باستخبارهم عن نمط العيش واللغات ...الخ، والتي تمكنت غالبيتها من الاندماج في خلايا المجتمع المغاربي، والارتباط بمؤسسة الجهاد البحري من مبدأ الانتماء الديني والفوائد الاقتصادية أيضا.

– لاحظت الباحثة تزايد النفقات التي كان يتطلبها تسيير شؤون البلدان المغاربية وصيانة الحصون واقتناء التجهيزات العسكرية الملاحية اللازمة للحفاظ على القدرات القتالية للأسطول الجهادي، ولذا كان على سلطات هذه البلدان بذل جهود متواصلة لتوفير الموارد المالية الضرورية للوفاء بالتزاماتهم تجاه السلطة المركزية في القسطنطينية (عدا بلاد المغرب الأقصى)، إضافة لرواتب الجند ومصاريف المرافق العامة وغيرها، ونظرا لقلة المداخيل المحلية، أضحى البحر يشكل المورد الأساسي لها، وأصبحت غنائم عمليات أسطول الجهاد المغاربي مصدرا اقتصاديا حيويا ليس لخزينة هذه البلدان فحسب، بل وأيضا بالنسبة لمختلف الفئات المهيمنة على السلطة محليا، من جند ورياس وغيرهم. كما أنه ساهم في استقرار الأوضاع المالية لهذه البلدان، كما اتخذت المراكز الجهادية المغاربية كقاعدة تجارية بفضل قيامها بتخزين مغانم الحملات، ثم تسويقها مرة أخرى إلى أوربا.

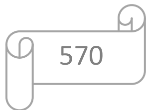
– كما سجّلت أيضا تزايدت قوة ومكانة الرياس؛ بفضل قياداتهم لمؤسسة اقتصادية حيوية بالنسبة لمختلف مكونات المجتمع المغاربي، الذي أصبغ عليهم هالة دينية خاصة بسبب رفعهم راية الجهاد المقدس، بعد انهيار الأسطول العثماني غداة معركة ليبانت سنة(979هـ/1571م)، ورغم اتجاه الإيالات المغاربية نحو الاستقلال عن السلطة المركزية في القسطنطينية، إلا أنه لم يترتب عنه ضعف مؤسسة الجهاد البحري لهذه الإيالات التي ظلت تضطلع بدورها في مواجهة الحلف الأورو مسيحي.

– دخلت فرنسا وإنجلترا عصر الملكيات المطلقة وأصبحتا تنافسان إسبانيا وايطاليا في احتكار تجارة المتوسط والسيطرة على خطوطها الرئيسية، وانضمتا بدورهما إلى بقية الدول الأوروبية في مكافحة تجارة التهريب، التي كانت تمد الأسطول المغاربي باحتياجاته من تقنيات وتجهيزات، فانعكس كل ذلك سلبا على حجم الأسطول الجهادي، إذ أن تطور الأسطول الجهادي المغاربي ارتبط بشكل وثيق بالتطورات التي كان يعرفها البحر المتوسط، فبعد مرحلة الازدهار والقوة التي تميز بهما الأسطول خلال النصف الثاني من القرن(10هـ/16م)، ومرحلة الاستقرار خلال القرن (11هـ/16م)، انخرط الأسطول الجهادي في مرحلة التراجع نتيجة الأوضاع الجديدة في البحر المتوسط آنذاك، بسبب أن أسطول الجهاد المغاربي فقد أحد مصادره الأساسية المتمثلة في المواد الضرورية لصناعة وتجهيز السفن، ففي هذه الفترة تقلصت مواسمه وتراجعت مردوديته وتردت أوضاع الفئات المرتبطة بأنشطته المختلفة.

– ساهم الجهاد البحري والقرصنة الأوربية في سقوط عديد الأسرى من كلا الجانبين في أيدي الجانب الآخر، وبسببها توترت الأجواء السياسية بين بلدان البحر المتوسط التي تعرض مواطنوها للوقوع في الأسر، كما تبادلت بسببها عديد السفارات وجرت الكثير من المفاوضات والحروب، بعضها أفضى إلى نتائج ايجابية والبعض الآخر لم يحقق نتائج مرضية، كما لجأت الحكومات من كلا الطرفين لافتداء أسراها، أما بتوكيل وسطاء أو منظمات ، أو افتداء الأسرى أنفسهم بأنفسهم، وهو ما يؤكد أن الدافع الرئيسي وراء ذلك هو الدافع الاقتصادي.

– لعل من أهم موارد البلدان المغاربية الغنائم البحرية جراء الجهاد البحري ومبالغ افتداء الأسرى الأوربيين، حتى أن نشاط الجهاد البحري دفع بالدول الأوروبية إلى تعيين قناصل لها في دول المغارب، قصد التجسس على كمية الغنائم وعلى الأسرى وقصد ربط علاقات دبلوماسية معهم.

– ارتقاء الجهاد البحري خلال القرن (11هـ/17م) من نشاط حربي إلى نشاط اقتصادي حرفي والذي أصبح المورد الأساسي لبلدان المغارب.



– إن قضية القرصنة والجهاد البحري والأسرى والغنائم، لم تكن محل نزاع من الوجهة المبدئية، بل حصل الإجماع حول إقرارها ومواصلة العمل بها، وإن حاولت الدول الأوربية أن تتخلص من مساوئها على أساس المطالبة بالامتيازات المؤسّسة على المنافسة ثم الحصول عليها عن طريق التفاوض، كما يمكننا اعتبار أن الجهاد البحري إلى حد ما يعتبر أحد المؤشرات الأساسية عن ذلك التوازن بين ضفتي البحر المتوسط، ذلك أن الجهاد البحري المغاربي كانت تقابله من الضفة الأخرى قرصنة أوروموسيحية.

قائمة الملاحق

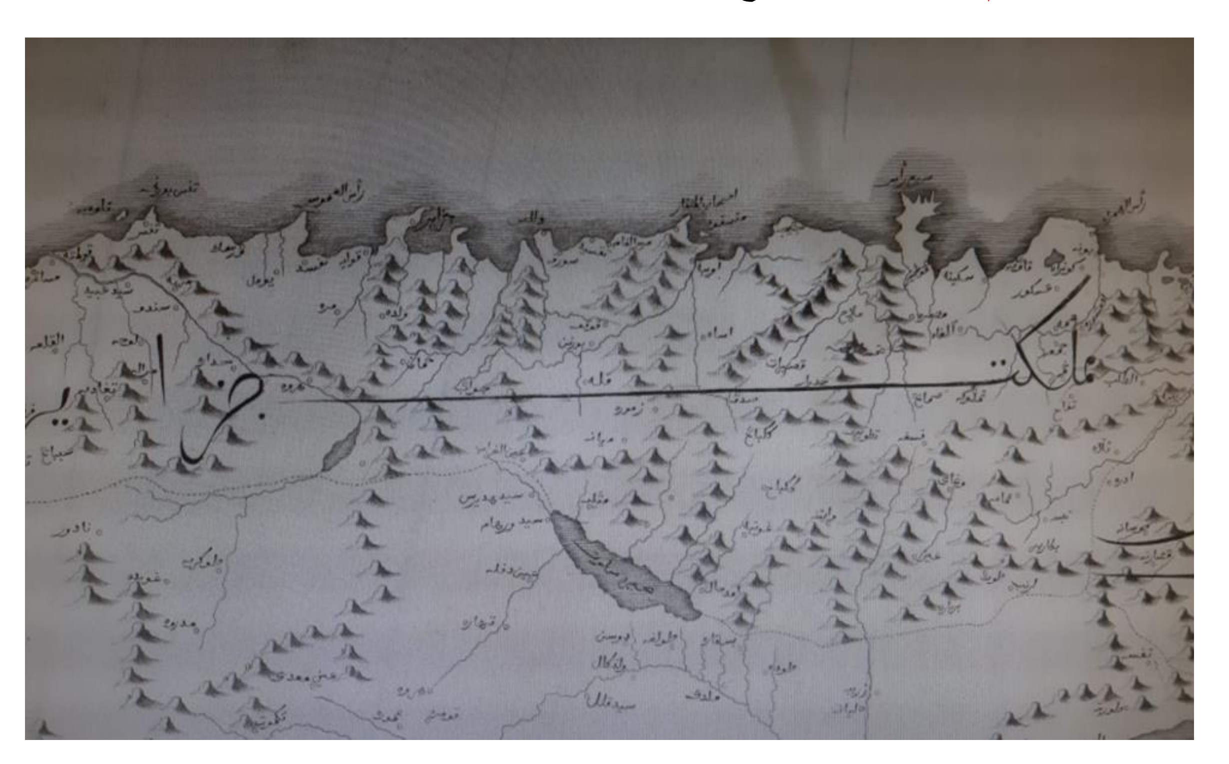
نظرًا لأهمية الملاحق في الدراسات التاريخية الأكاديمية فقد اخترت بعض الخرائط التوضيحية والوثائق الأصيلة والمترجمة، والرسائل السلطانية والمعاهدات الدبلوماسية والصور والجداول البيانية...الخ، كونها تساهم في إثراء القارئ وتكمل ما جاء في متن الدراسة، سواء منها ماهو مقتبس من خلال بحث الباحثة في دور الأرشيفات والمصادر المتنوعة، أو ماهو من اجتهادها الشخصي، ويمكن حصر هذه الملاحق بالترتيب على حسب تسلسل ذكرها في المتن، فيما يلي:

- **الملحق رقم 01:** خريطة توضح إيالة الجزائر
- **الملحق رقم 02:** أمر سلطاني بترميم قلعة حول مدينة الجزائر وتنظيف القنوات.
- **الملحق رقم 03:** أمر سلطاني بحفر خنادق واسعة بين باب عزون وباب الجديد في الجزائر وإنشاء جدران عالية وبرج حوله.
- **الملحق رقم 04:** ميناء الجزائر وقلعة الجزائر وقلعة شرشال.
- **الملحق رقم 05:** لوحة زيتية لمعركة شارلكان الأوروميسيحية على الجزائر سنة **(947هـ/1541م)**.
- **الملحق رقم 06:** رسالة مسلمي الأندلس الموريسكيين المتواجدين بالجزائر إلى السلطان سليمان القانوني.
- **الملحق رقم 07:** حكم إلى قلج علي بايلرباي جزائر الغرب.
- **الملحق رقم 08:** هدايا خير الدين بن يعقوب للسلطان العثماني سنة**(940هـ/1533م)**.
- **الملحق رقم 09:** صورة توضح استيلاء الإسبان على حلق الوادي سنة **(941هـ/ 1535م)**.
- **الملحق رقم 10:** أعمدة تمثل عدد الأسرى خلال الفترة **(986-1006هـ /1578-1598م)**.
- **الملحق رقم 11:** معاهدة السلم المئوية بين فرنسا والجزائر بتاريخ **24** سبتمبر **1689م**.

- الملحق رقم 12: معاهدة سلم بين إنجلترا والجزائر بتاريخ 6 أفريل 1686م.
- الملحق رقم 13: منحنى يمثل تطور أسعار الفدية من عهد خير الدين إلى سنة(1101هـ/ 1690م).
- الملحق رقم 14: معاهدة سلم بين هولندا والجزائر في سنة 1680م.
- الملحق رقم 15: جدول يوضح تعداد سفن الجهاد البحري الطرابلسي خلال القرنين(10-11هـ/ 16 -17م).
- الملحق رقم 16: أمر إلى داي الجزائر الحاج حسين ميزومورتو الذي كُلّف بقيادة الأسطول بالالتحاق رفقة سفن أوجاقات الجزائر وتونس وطرابلس ومجاهديها بالأسطول العثماني والمحاربة معا، وذلك في الحملة المزمع إعدادها سنة (1101هـ/1689م).
- الملحق رقم 17: فرمان من الباب العالي لحاكم إيالة طرابلس للالتحاق بالأسطول العثماني لمحاربة البنادقة سنة (1101هـ/1689م).
- الملحق رقم 18: فرمان بتوزيع الذهب والخلع على العساكر الطرابلسيين قصد تحفيزهم للمشاركة مع الأسطول العثماني في حربه مع البنادقة.
- الملحق رقم 19: خريطة توضح إيالة تونس.
- الملحق رقم 20: خريطة توضح جزيرة جربة وجزء من ساحل طرابلس الغرب.
- الملحق رقم 21: فرمانات من الباب العالي لأوجاقات الغرب (الجزائر، تونس، طرابلس) للمشاركة في حروب الدولة العثمانية مع البنادقة سنة (1101هـ/1689م).
- الملحق رقم 22: فرمان من الباب العالي لحاكم إيالة تونس للالتحاق بالأسطول العثماني لمحاربة البنادقة سنة (1101هـ/1689م).
- الملحق رقم 23: خريطة توضح بلاد فاس (المغرب الأقصى).
- الملحق رقم 24: رسالة السلطان أحمد المنصور السعدي إلى فليب ملك اسبانيا.
- الملحق رقم 25: شهادة تسليم جثة ملك البرتغال دون سيباستيان.

قائمة الملاحق

- **الملحق رقم 01: خريطة توضح إيالة الجزائر**[1]



- **الملحق رقم 02: أمر سلطاني بترميم قلعة حول مدينة الجزائر وتنظيف القنوات**[2]



(1) مركز الأرشيف العثماني.

(2) أ.ع: مهمة **دفتري** 22، حكم 359، ص186، بتاريخ 25 ربيع الأول 981هـ/ 25 جويلية 1573م./ مهمة **دفتري** 22، حكم 360، ص186، بتاريخ 25 ربيع الأول 981هـ/ 25 جويلية 1573م.

- تعريب الوثيقتين:

1- تعريب الوثيقة الأولى: مهمة دفتري 22، حكم 359، ص186 [1]:

حكم الى بكلربكي جزائر الغرب وقاضي مدينة الجزائر

تم الإبلاغ عن وجود الكثير من البساتين والبيوت والأبنية العالية في أطراف قلعة الجزائر دار الجهاد، وفي حالة محاولة الأعداء الأذلاء والعياذ بالله الاستيلاء على حين غرة على هذه الولاية فإن هذه الأبنية والبساتين من الممكن أن تستخدم متاريس لهم، وعليه فإن هذه الولاية تحظى باعتبار كبير في بلادي المحروسة وهي دار الجهاد، وحفظها وحراستها هما غاية مقصودي الشريف وأمرت:

عند وصوله، تقوم بإخلاء وتطهير أطراف القلعة المذكورة بمقدار ما يصل إليه مدى المدفع وإزالة الكروم والبساتين الكائنة في أرجائها، كائناً من يكون أصحابها، ولا تبق أي شيء من الممكن استخدامه متراساً من قبل الأعداء ذوي الأفكار الخبيثة، وتخليه بالشكل اللازم .

وأبلغت أن أغاوات (قادة) الجنود والإنكشارية وأفراد الإنكشارية في الولاية المذكورة يبذلون الهمة بأنفسهم وأرواحهم في سبيل الدين والدولة ويسعون بالشكل اللازم في تطهير خنادق القلعة وغيرها من خدماتي السلطانية المهمة، ويبذلون ما يقدرون عليه، فليكن السعد حليفهم، وكان هذا هو المأمول منهم وقد حققوه، وعليك أنت أن تبذل ما في وسعك من جهد في إراحة بال عبيدي (جنودي) وتكون مجداً وساعياً في حفظ الولاية بكل الوجوه ولا تهدر دقيقة واحدة في اتخاذ التدبير الحسن وإبداء الرأي الصائب في الخدمات اللازمة .

سلم إلى كتخداه في 25 ربيع الأول 981هـ 25 جويلية 1573م

مهمة دفتري 22، ص186، حكم359.

[1] فاضل بيات: **البلاد العربية في الوثائق العثمانية...، المرجع السابق، ص50.**

2- تعريب الوثيقة الثانية: مهمة دفتري 22، حكم 360، ص ص186-187[1]:

حكم إلى الأمراء والقادة وأغاوات جنودي وانكشاريتي وعبيدي الإنكشارية في الجزائر

أرسل بكلربكي الجزائر أحمد دام اقباله رسالة أبلغ فيها عن سعي كل واحد منكم قلباً وقالباً في تعمير قلعة الجزائر وتطهير خندقها وسائر الخدمات السلطانية المطلوبة وفي حفظ وحراسة الولاية بالشكل الذي رآه (الوالي) مناسباً وبذلتم الهمة في سبيل الدين والدولة بالسعي والاهتمام وبالشكل اللازم فليكن السعد حليفكم وكان هذا هو المأمول منكم وقد حققتموه وأمرت: عند وصوله، ينبغي ان تسعوا قلباً وقالباً، بعد اليوم كذلك وتبذلون ما في وسعكم من جهود في الأمور التي يراها المشار إليه مناسبة وفي حفظ وحراسة الولاية وبالإجمال في المسائل المتعلقة بحياض الدين المبين لسيد المرسلين وحمى سلطنتي المقرونة بالسعادة وفي إيلاء الاهتمام بكل ذلك .

وتوجد في أطراف قلعة الجزائر بعض الكروم والبساتين من الممكن استخدامها متاريس، ونظراً لكون أمن وأمان جنودي المكلفين بحفظ وحراسة هذه الديار جليلة الاعتبار وغيرهم من الأهالي هما غاية مقصودي فمن اللازم إزالة الكروم والبساتين والأبنية الكائنة في أطراف القلعة المذكورة بمقدار ما يصل إليه مدى المدفع ولهذا أرسل في هذا الصدد حكم إلى بكلربكي الجزائر، ليقوم وفق أمري بإخلاء وتطهير أطراف القلعة بمقدار ما يصل إليه مدى المدفع حتى لا يقوم الأعداء باتخاذها متاريس والعياذ بالله وذلك في حالة قيامه بالاستيلاء عليها على حين غرة .

سلم إلى كتخداه في 25 ربيع الأول 981هـ /25 جويلية 1573م.

مهمه دفترى 22، حكم 360، ص ص 186-187

---

[1] فاضل بيات: **البلاد العربية في الوثائق العثمانية...، المرجع السابق،** ص ص 51- 52.

- **الملحق رقم 03: أمر سلطاني بحفر خنادق واسعة بين باب عزون وباب الجديد في الجزائر وإنشاء جدران عالية وبرج حوله[1].**

[1] أ.ع: مهمة **دفتري** 22، حكم 273، ص136، بتاريخ 3 ربيع الأول 981هـ/ 3 جويلية 1573م.

ترجمة الوثيقة: مهمه دفتري 22، ص 136، حكم 273 [1]:

حكم إلى بكلربكي جزائر الغرب

أرسلت رسالة تذكر فيها أنه نظراً لكون دار الجهاد الجزائر (جبهة حربية) فقد قمت بحفر خندق واسع وعميق بين باب عزون وباب الجديد وعلى جانبيه تم بناء جدار محكم وعال، وتم تكديس التراب خارج الخندق.

وفي موازاة القلعة وبني جسر من أربع فتحات وباب عال على رأس الجسر، كما بني برج محصن محشو من الداخل، مما أدى إلى دفع الأضرار عند وقوعها. كما قمت بإنتاج البارود وصهر الرصاص لعمل البنادق، وتم استمالة العسكر والرعايا، وأن الولاية تنعم بالأمن والأمان. لقد قمت بتدبير حسن، وكان المطلوب منك مثل هذه الأفعال الحميدة وقد حققتها. وعليه فقد تم إرسال خلعتي السلطانية إليك وهي من خلعي الفاخرة وأمرت:

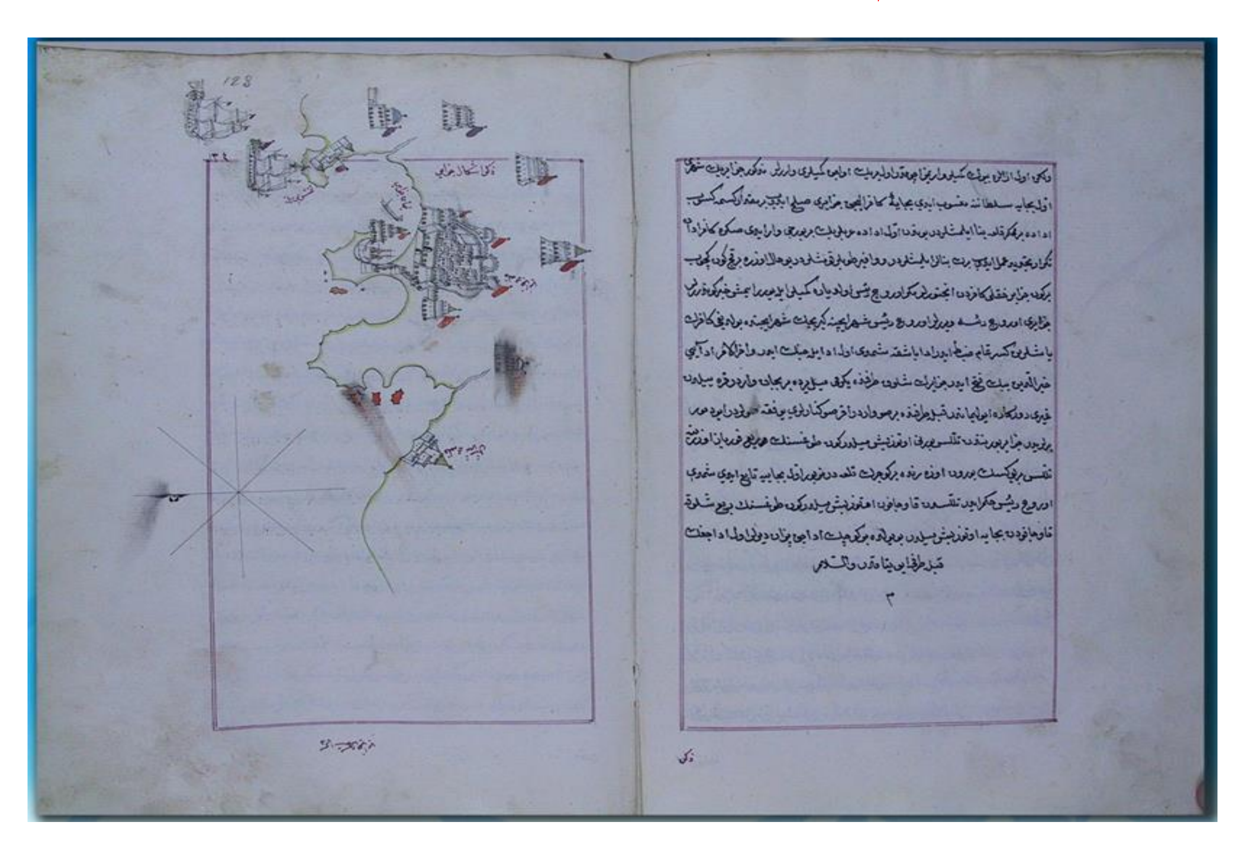
عند وصوله تستلم خلعتي السلطانية المرسلة إليك وترتديها، وتبذل ما تقدر عليه بعد اليوم في جميع الأمور المتعلقة بتلك الديار جليلة الاعتبار، وتبذل قصارى جهودك وتحسن التدبير في جميع الأمور المتعلقة بتعمير القلاع وتحصينها وكسب الجنود المنتصرين وحسن التعامل معهم، وتوفير الأمن والأمان للرعايا والبرايا والبلاد والولاية وغيرها مما يتعلق بالدين المبين وبالوجه المناسب، ولا تغفل جانب الأعداء سيئي الأفكار بل تتقصى عن أحوالهم وأوضاعهم وتتجسس عليهم، ولا تتوانى من الاعلام تباعاً عن الأخبار الصحيحة التي تحصل عليها عنهم وعن أوضاع وأحوال تلك الأرجاء.

سلم إلى الحاج مراد في 3 ربيع الأول 981هـ /3 جويلية 1573م.

مهمه دفتري 22 ص 136، حكم 273.

[1] فاضل بيات: **البلاد العربية في الوثائق العثمانية، المرجع السابق**، ص ص 46-47.

- **الملحق رقم 04: ميناء الجزائر وقلعة الجزائر وقلعة شرشال[1].**



- **الملحق رقم 05: لوحة زيتية لمعركة شارلكان الأورومسيحية على الجزائر سنة (947هـ/1541م)[2].**



---

(1) متحف البحرية باسطنبول.

(2) متحف الجيش في مدينة الجزائر.

- **الملحق رقم 06**: رسالة مسلمي الأندلس المورسكيين المتواجدين بالجزائر إلى السلطان سليمان القانوني[1].



افضل الصلوة وازكى التسليم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلوة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه

TSMA.E.0576

---

[1] **BOA**. TS. MA. E. 0576. 0035.

- **الملحق رقم 07: حكم إلى قلج علي بايلرباي جزائر الغرب** (1)

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 9 صحيفة 77 حكم رقم 204

بتاريخ 23 / 10 / 977

اعطى الى خليل جاوش الجزائري في 10 ذى القعدة 977

حكم الى علي باشا امير امراء جزائر الغرب .

وصل الى بابنا المعلا خطابك الذى علمنا من خلاله بان والان وايتك ، وان الرعايا والبرايا في احسن حال وعلى ما يرام وانك قمت بتعمير الاماكن الواجب ترميمها وان طائفة لوطران قد حشدت حشورها وقامت بالاغارة ونهب الاجزاء المجاورة لها من اسبانيا ، وتمكنت من ضم تلك الاجزاء وان الهلع قد حل بالكفار اصابهم الدمار منذ بدأ اهل الاسلام في الاندلس برفع هاماتهم وتمكنهم من صد هجماتهم والانتصار عليهم و انك عاونتهم عليهم بارسالك العتاد والرجال وعلمنا بان الاغارة على ولايات الكفار اصابهم الدمار غير منقطعه .

وقد عرض بالتفصيل على سرير دولتنا كل كاذكرته ، واحاط علمي الشريف وشمل كل ذلك ولقد كان بنيتي ارسال اسطولي الهمايوني لتلك الاطراف لاعانة ومظاهرة اهل الاسلام لكن كفرة جزيرة قبرص القريبة من ممالكى المحروسة ، نقضوا العهد وبدؤوا بالتعدى على التجار واهل الاسلام المسافرين بحرا قاصدين طواف بيت الله الحرام ، وزيارة تربة حضرة سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام نجلو صالنية وصفاء الطوية وبذلك فانهم مصرون على العصيان والطغيان لذا فبعد التوكل والاعتماد على علو عناية الحق سبحانه وتعالى والتوسل والاستناد الى المعجزات الكثيرة البركات لفخر الموجودات صلوات الله عليه وسلامه وكذلك بالاستمداد بالارواح الطاهرة لسائر الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم وسلامه) اجمعين فقد استقرت نيتي (الكـ) الملوكية على فتح وتسخير (الجزا) الجزيرة المزبورة في الربيع الخير القادم ونضرع الى عتبة الحق جل وعلا ان ييسر لنا فتح وتسخير تلك الجزيرة وان تبسط ايدينا عليها حتى تاهل باهل الاسلام كما كانت عليه وكي تقام فيها سعائر الشرع الشريف وحتى يامن الزوار والتجار ويسليمون في غدوهم ورواحهم و ينصرفوا للدعاء بدوام وثبات ومجد ورفعة الدولة وبما اوتيت من قوة اسواد كان ذلك بارسال الحبذ او بارسال العتا

وامرت :

DZ/ANI/ECAI/02/046

Scanned by CamScanner

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الجزائر في :

تابع

وامرت :

عليك بالتنفيد بما جاء في هذا الحكم حال وصوله ، وان تعاون وتظاهر اهل الاسلام المذكورين بكل (لا) ما يتيسر تقديمه لهم وان الغفلة عن الكفار اصابهم الدمار غير جائزة فلتكن على بصيرة من الامر ولتظهر انواع اقدامك (لا) واصناف اهتمامك في سبيل الامور المتعلقة بالدين المبين ودولتي الابدية الكروانية ولا تتوانى عن اعلامنا باحوال واوضاع تلك الديار .

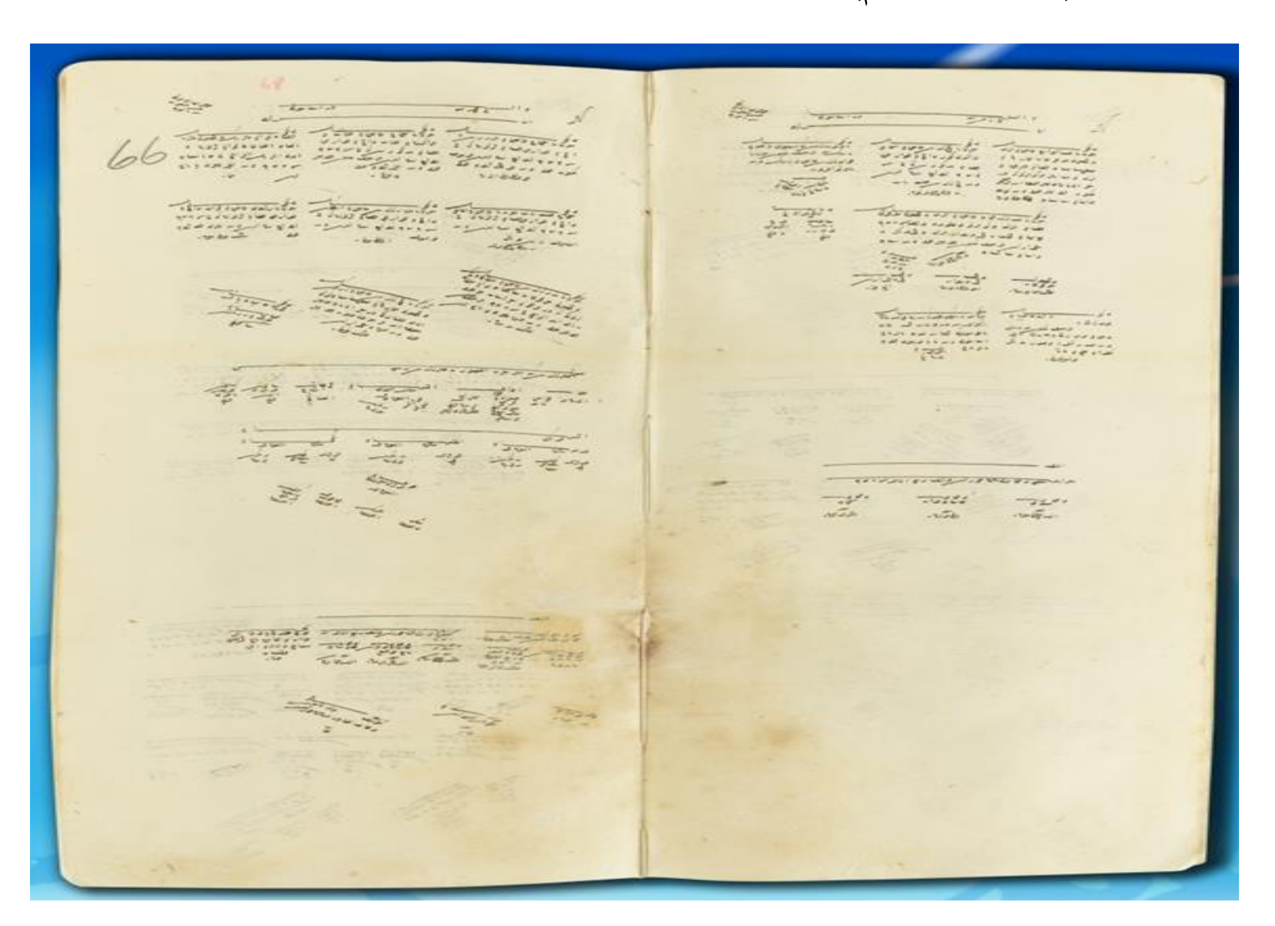
تعريب : محمد داود التميمي

---

(1) أ.و.ج: **مهمة دفتري** 9، حكم 204، ص 77، بتاريخ 977/10/23هـ.



- **الملحق رقم 08: هدايا خير الدين بن يعقوب للسلطان العثماني سنة(940هـ/1533م) [1]:**



ملخص الوثيقة:

تمثلت الهدايا التي قدمها خير الدين بن يعقوب(بربروس) للسلطان العثماني سليمان القانوني في :

أسدين و وشقين ، نمر ، 12 غلام ، 2 طواشي، أقمشة ، أواني نحاسية ، أحجار كريمة ، ساعة.

---

(1) أ.ع: 1863/68 **kk.d**، بتاريخ 13 جمادى الأولى940هـ/ 29 نوفمبر 1533م.

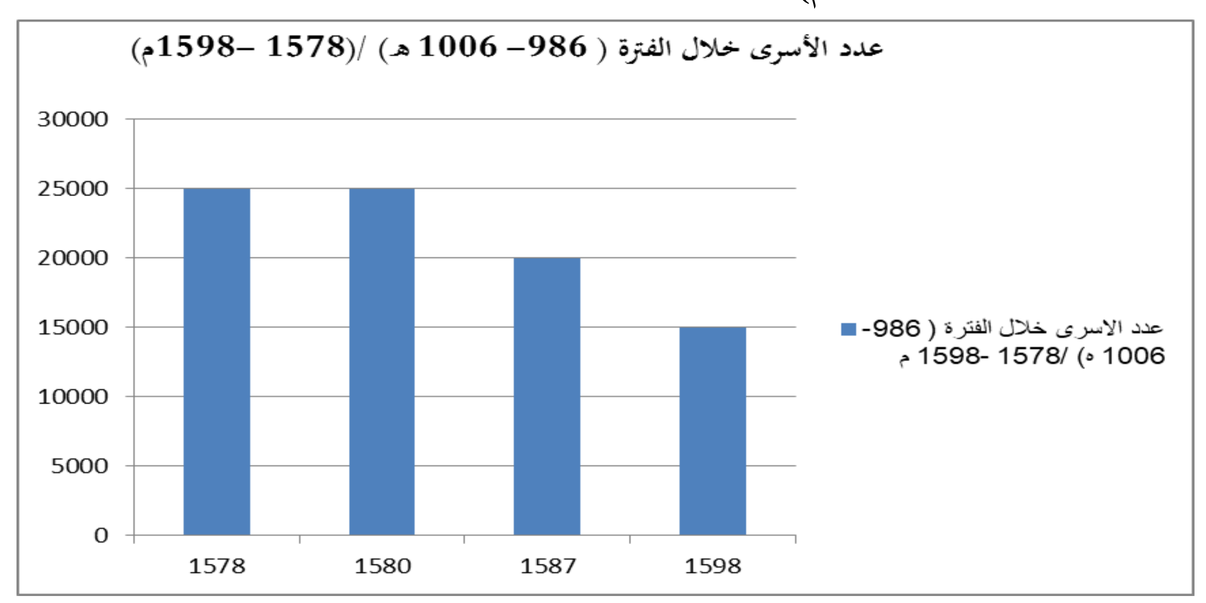


- **الملحق رقم 09: صورة توضح استيلاء الإسبان على حلق الوادي سنة(941هـ/ 1535م)** [1]



استيلاء الاسبان على حلق الوادي سنة 1535 .

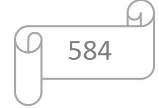
- **الملحق رقم 10: أعمدة تمثل عدد الأسرى خلال الفترة (986-1006هـ /1578-1598م)** [2]



---

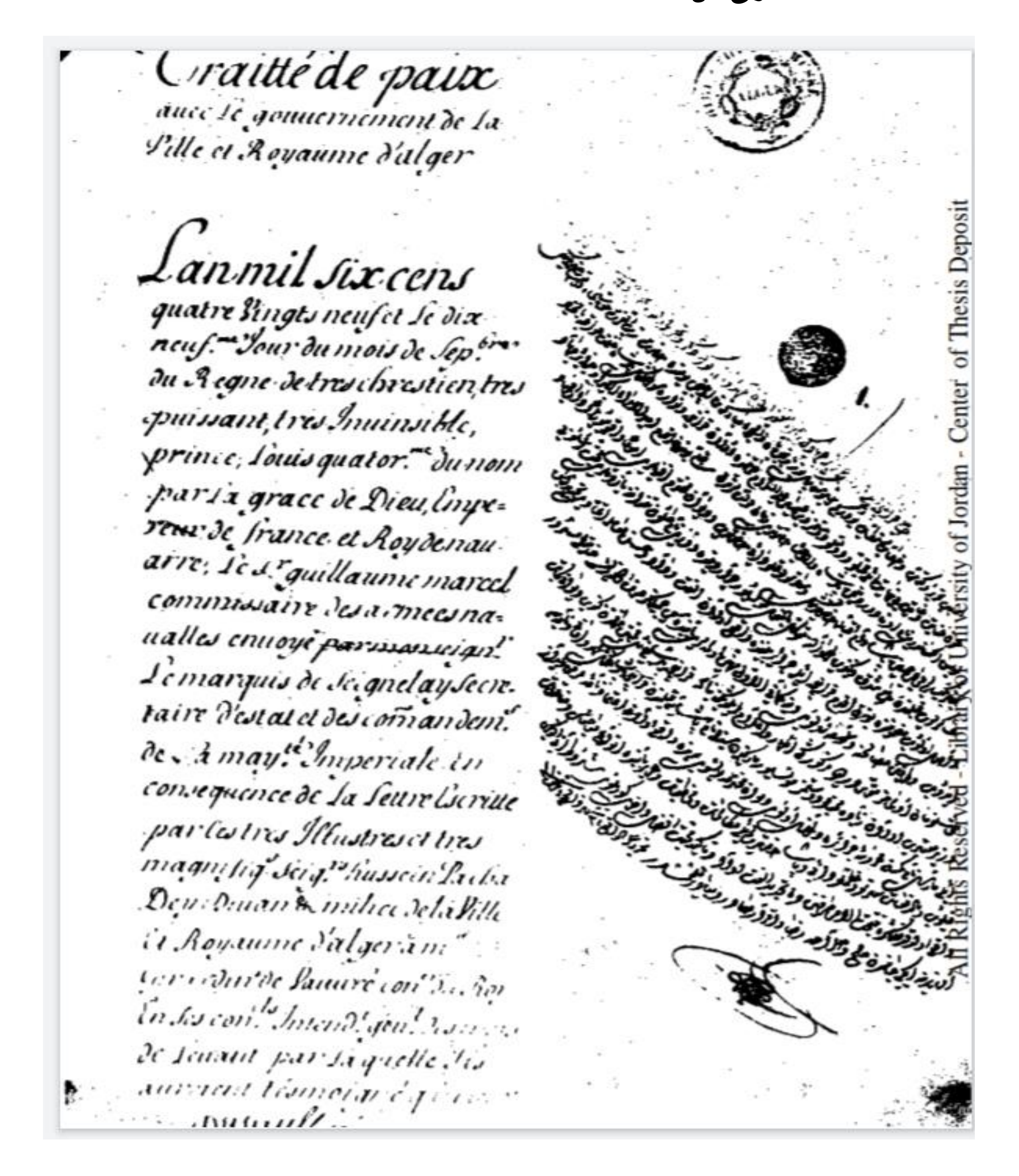
[1] علي الشابي: **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1982م، ص 150 .

[2] من إنجاز الباحثة.



-الملحق رقم 11: معاهدة السلم المئوية بين فرنسا والجزائر بتاريخ 24 سبتمبر 1689م

- الصفحة الأولى من النسخة الأصلية للمعاهدة[1]:


Traitté de paix
avec le gouvernement de la
Ville et Royaume d'alger

L'an mil six cens
quatre vingts neuf et le dix
neuf.me Jour du mois de Sep.bre
du Regne de tres chrestien, tres
puissant, tres Invincible,
prince, Louis quator.me du nom
par la grace de Dieu, Empe-
reur de france et Roy de nau-
arre; Le S.r guillaume marcel
commissaire des armees na-
ualles enuoye par monsieur
Le marquis de Seignelay secre-
taire d'estat et des comandem.ts
de sa may.té Imperiale en
consequence de la Lettre Escritte
par les tres Illustres et tres
magnifiq.s Seig.rs hussein Pacha
Dey, Douan & milice de la Ville
et Royaume d'alger

---

[1] عائشة غطاس: **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر....**، **المرجع السابق**، ص 232/ وللاطلاع أكثر على صور باقي صفحات المعاهدة، يُنظر إلى نفس المرجع، ص ص 233- 252.

- ترجمة نص المعاهدة[1]:

معاهدات الجزائر مع فرنسا

معاهدة السلم المبرمة لمدة مائة سنة بين لويس الرابع عشر، إمبراطور فرنسا ونافار، والباشا والداي وميليشيا مدينة مملكة الجزائر

حُررت في الجزائر يوم 24 سبتمبر 1689م.

في عام ألف وست مائة وتسعة وثمانين وفي يوم التاسع عشر من شهر ديسمبر من عهد المسيحي التقي القوي والأمير القاهر لويس الرابع عشر، إمبراطور فرنسا وملك نافار بعون الله، فإن السيد غيوم مارسال، محافظ الجيوش البحرية المبعوث من مونسينيور لو ماركي دي سينيلاي (le Marquis de Seignelai)، كاتب الدولة ومن قادة جلالة الإمبراطور، تبعا للرسائل المكتوبة من أصحاب السمو والمعالي حسين باشا والداي والديوان وميليشيا إلى السيد جيراردين دي فوفري (Girardin de Vauvré) مستشار الملك في مشاوراته وجنرال بحرية المشرق، وهي الرسائل التي أعربوا فيها عن سرورهم للتوسط من أجل العودة إلى الصداقة القديمة والتوافق الجيد القائمين من قبل بين رعايا جلالة الإمبراطور وحكومة المدينة المذكورة، وبعد تسليم رسالة الاعتماد والتباحث عدة مرات مع الباشا والداي، عقد الجانبان العزم على استعادة السلم والوئام والحفاظ والإبقاء عليهما، ولهذا الغرض فقد تم الاتفاق على البنود التالية:

أولا - الاتفاقيات المبرمة والممنوحة بين إمبراطور فرنسا والسلطان العثماني أو من سبقه أو الاتفاقيات التي ستُمنح من جديد من طرف سفير فرنسا الموفد خصيصا إلى السلطان العثماني من أجل إحلال السلم والوئام بين دولتيهما، سيتم إبقاؤها والتقيد بها بكل صدق وأمانة ولن تقع مُخالفتها من الطرفين سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ثانيا - يُوقف في المستقبل كافة الأعمال العدوانية سواء في البر أو في البحر بين سُفُن إمبراطور فرنسا ورعاياه وأصحاب السفن الخواص التابعين لمدينة مملكة الجزائر المذكورة.

ثالثا - في المستقبل يستتِب السلم بين إمبراطور فرنسا وأصحاب السموّ الباشا والداي والديوان وميليشيا مدينة الجزائر ورعاياهم، ويمكن لكلا الطرفين القيام بتجارتهم في المملكتين وللطرفين الإبحار بكل أمان دون التعرض لأي منع لأي سبب كان ولأية ذريعة كانت.

رابعا - لتحقيق السلم المذكور اتفق الجانبان على افتداء كافة العبيد من الجانبين دون تمييز في السعر الذي يتولى الباشا وقنصل إمبراطور فرنسا تسويته، على أن الباشا استثنى طاقمي سفينتي «آمت - واي» (Amet-Oia) و «آمت سيغير» (Amet Seguierre) حيث يمكنه أن يسحب ميليشياتهما أي الأتراك بسعر مائة وخمسين ريال فرنسي لكل منهم ومائة ريال «للأهالي» ووعد الباشا بتحرير عدد مماثل من الفرنسيين بنفس السعر.

خامسا - يتولى الباشا والداي والديوان وميليشيا مدينة الجزائر - بعد ثلاثة أيام من نشر هذه المعاهدة- الإعلان لكافة من يحتجزون عبيد فرنسيين في المدينة أو في الأرياف بوجوب تركهم يأتون بكل حرية وعلى جناح السرعة إلى دار القنصل لأخذ أسمائهم فقط.

سادسا - يتم إرجاع السفن الحربية الفرنسية المحتجزة على غير حسن نية بكل العتاد والمدافع وأسلحتها والذخيرة والبضائع الموجودة على متنها وأمتعة طواقمها أو أداء قيمتها بسعر منُصِف تبعا للتصفية التي سيقوم بها السيد ميركادي

— 62 —

[1] علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص 62-66.

قنصل الأمة الفرنسية، وفي المقابل يوافق إمبراطور فرنسا على إرجاع السفينة الحربية «le Soleil» والكارافيلتين و»البيروكي» و «لو دراغون» التي أسرتها سُفن جلالته بكل ما عليها من معدات ومدافع وأمتعة طواقمها.

سابعا - تُترك السفن الحربية في الجزائر وفي الموانئ الأخرى من المملكة حينما تلتقي السفن والبواخر المُبحِرة تحت راية فرنسا وتكون حاملة لجوازات سفر مسلمة من الأميرال مُطابقة للنسخة المسجلة في نهاية هذه المعاهدة، تُترك حرة لتواصل رحلتها دون أي مانع دون احتجازها ويتم إمدادها بكل المعونة والمساعدة التي قد تكون في حاجة إليها على أن تُرسل شخصين فقط في زورق الإنقاذ زيادة على عدد البحارة اللازمين لقيادته وأن تُعطى الأوامر بأن لا يصعد إلى تلك السفن سوى الشخصان المذكوران من غير الترخيص الصريح من ربان السفينة. وفي المقابل تتعامل السفن الفرنسية بنفس الطريقة مع السفن المملوكة للخواص من أصحاب السفن في المدينة المذكورة التابعة لمملكة الجزائر، والتي تحمل شهادات من القنصل الفرنسي مُحررة في المدينة المذكورة، وهي الشهادات التي تُلحق نُسخة منها في نهاية هذه المعاهدة.

جوازات السفر التي تحملها السفن الحربية الفرنسية:

من لوي ألكسندر دي بوربون، كونت مدينة تولوز، أميرال فرنسا، إلى كل من سيرى هذا المكتوب، نعلمهم بعد التحية أننا أعطينا رُخصة وجواز سفر إلى ...... قائد السفينة المسماة .... من ميناء .... للتوجه إلى ميناء .... مُحملة بـ .... ومُجهزة بـ ....، بعد تفحصها كما يجب، إثباتا لذلك وضعنا توقيعنا وختمنا وشعارنا على هذا العقد كما وقع عليه الأمين العام للبحرية.

حرر في باريس يوم ....من عام ألف وست مائة وثمانين

توقيع من لوي ألكسندر دي بوربون، كونت مدينة تولوز، أميرال فرنسا.

وفي الأسفل توقيع لوي ألكسندر دي بوربون، كونت مدينة تولوز، أميرال فرنسا مونسينيور والختم (De valincourt)

شهادات من السيد قنصل الأمة الفرنسية بالجزائر:

نحن قنصل الأمة الفرنسية في الجزائر نشهد للجميع أن السفينة المسماة .... التي يقودها .... من ميناء .... إلى ميناء أو ما حوله هي الآن في ميناء ومرسى والمجهزة بـ .... ملك لرعايا من مملكة الجزائر، إثباتا لذلك وقعنا على هذه الشهادة ووضعنا عليها ختم شعارنا، حُرر في مدينة الجزائر يوم.... من عام ألف وست مائة وثمانين.

توقيع القنصل.

ثامنا - يتم استقبال السفن الحربية والتجارية الفرنسية والجزائرية من الطرفين في موانئ ومراسي كلا المملكتين وستلقى السفن وطواقمها عند الحاجة كافة أنواع المساعدة كما ستزود بالأغذية والمعدات وعموما بكل الأشياء الضرورية مع دفع قيمتها بالسعر المعتاد الجاري به العمل في الأماكن التي يتوقفون فيها.

تاسعا - إذا حدث وتم الهجوم من سفن حربية معادية على سفن تجارية فرنسية وهي تحت مدفع الحصون في مرسى الجزائر أو أيّ مرفأ آخر من هذه

المملكة، تُؤمن حمايتها والدفاع عنها من خلال تلك الحصون، ويتولى القائد إلزام السفن المعادية تلك بإعطاء الوقت الكافي للخروج من الموانئ والمراسي والابتعاد عنها وفي نفس الوقت يقع احتجاز السفن المعادية ولا يُسمح لها بملاحقتها، ويتولى إمبراطور فرنسا نفس العمل شريطة أن لا تقوم السفن الحربية في الجزائر وفي باقي الموانئ بعمليات أسر على امتداد خمسة أميال من السواحل الفرنسية.

عاشرا - ارتضى إمبراطور فرنسا بأنه في حالة ما إذا كان ضمن عدد الأتراك الذين يقع شراؤهم للخدمة على السفن الحربية، يوجد أحد من سلك ميليشيا الجزائر، يتم تحريره بعد أن يُثبت هويته أمام قنصل فرنسا الذي يقدم له شهادة افتدائه بالسعر المتفق عليه مع القائم بالإدارة في السفن الحربية المذكورة، وتُعطى الأوامر الضرورية فور دفع الثمن بين يدي أمين المالية العام في السفن المذكورة.

حادي عشر- يتم على الفور إطلاق سراح الفرنسيين الذين يقعون في الأسر من قبل أعداء إمبراطور فرنسا والذين يقتادون إلى الجزائر وغيرها من موانئ المملكة دون احتجازهم كعبيد حتى وإن قامت سفن من طرابلس ومن تونس وغيرها من تلك التي قد تكون في حرب مع إمبراطور فرنسا، بإنزال عبيد فرنسيين. ويُعطي الباشا والديوان وميليشيا مدينة مملكة الجزائر المذكورين من الآن أمرا إلى كافة ولاتهم العاملين بالاحتفاظ بالعبيد المذكورين والعمل على افتدائهم من جانب قنصل فرنسا بالسعر الأفضل الممكن، وينطبق نفس الشيء في فرنسا على سكان مملكة الجزائر المذكورة.

ثاني عشر - بخصوص الفرنسيين الذين أُسروا قبل ومنذ معاهدة 1681م إلى حين فسخها، تم الاتفاق على افتدائهم كلهم بدفع مبلغ ثلاث مائة جنيه فدية لكل منهم مهما كان الثمن الذي دفعه من اشتراهم.

ثالث عشر- لا يمكن أسر أو احتجاز الأجانب من الركاب على متن السفن الفرنسية وكذلك الفرنسيين من الركاب على متن السفن الأجنبية، كعبيد مهما كان السبب حتى وإن دافعت عن نفسها السفن التي كانوا على متنها، اللهم إذا كانوا قد تطوعوا للعمل كبحارة أو جنود على البواخر المعادية وأُسروا كمحاربين.

رابع عشر- في حالة ما إذا تاهت أية باخرة من البواخر الفرنسية على السواحل التابعة لمملكة الجزائر سواء بسبب ملاحقتها من طرف الأعداء أو بسبب رداءة الطقس، يتم إسعافها ويُقدم لها كل ما تحتاج إليه حاجة إليه لتكون قادرة على الإبحار من جديد ولتسترجع بضائع حمولتها مقابل دفع أجرة أيام العمل لمن اشتغلوا في ذلك دون إلزامها بدفع أي رسم أو غرامة عن البضائع التي يتم إنزالها عدا في حالة ما وقع بيعها في موانئ المملكة المذكورة.

خامس عشر- يمكن لكل التجار الفرنسيين الذين ترسو سُفُنهم في موانئ وسواحل مملكة الجزائر أن يُنزلوا كافة بضائعهم وأن يبيعوا ويشتروا بكل حرية دون أن يدفعوا شيئا لسكان المملكة المذكورة غير ما تعودوا على دفعه، ويتم نفس المعاملة في المرافئ الواقعة تحت السيطرة الفرنسية، وفي حالة ما إذا لم يضع هؤلاء التجار بضاعتهم في المستودعات، يمكنهم إعادة شحنها دون أن يدفعوا أي رسم من الرسوم.

سادس عشر- لا يسمح الباشا والداي والديوان وميليشيا مدينة الجزائر لأي سبب كان لأي قرصان من قراصنة بلاد البربر الذين قد يكون إمبراطور فرنسا في حرب ضدهم من أن يجهزوا سفنهم في المرافئ الواقعة تحت سيطرة مدينة الجزائر كما لا يُسمح لهم بالإتيان بما يأخذون من غنائم من الفرنسيين

المذكورين وبيعه، ويمنعون أيضا كافة رعاياهم من أن يُسلحوا بالعمولة من أي أمير يُعادي التاج الفرنسي.

سابع عشر- لا يمكن إجبار الفرنسيين لأي سبب كان على أن يشحنوا على سفنهم أي شيء ضد إرادتهم ولا على أن يُسافروا إلى أماكن لا يرغبون في الذهاب إليها.

ثامن عشر- يمكن لإمبراطور فرنسا أن يُبقي على إقامة قنصل في الجزائر لمساعدة التجار الفرنسيين في كل ما يحتاجون إليه، وللقنصل المذكور أن يُمارس بكل حرية في منزله شعائر دينه المسيحي سواء لنفسه أو لكافة المسيحيين الذين يرغبون في حضور هذه الشعائر. كما يمكن للأتراك الذين يأتون من مدينة مملكة الجزائر إلى فرنسا أن يُمارسوا في منزلهم شعائر دينهم. ويحظى القنصل المذكور بالامتياز على بقية القناصل وله كل السلطة والفصل في النزاعات التي قد تنشأ بين الفرنسيين دون أن يعلم بها إطلاقا قضاة مدينة الجزائر.

تاسع عشر- إذا أراد أحد الفرنسيين أن يُصبح تركيا فلا يمكن الاستجابة له في الأول بل عليه أن يُعاود في فترة ثلاث مرات أربعا وعشرين ساعة طلبه هذا، وهي الفترة التي يودع فيها بين يدي القنصل.

عشرون- يُسمح للقنصل المذكور بأن يختار تُرجمانه وسمساره وأن يذهب بكل حرية على متن السفن الراسية متى شاء وله أن يختار الدار التي يراها مناسبة مقابل الدفع وأن يكون له جنديان تركيان في هذا المركز وله أن يستبدلهما متى شاء.

واحد وعشرون- إذا حدث خلاف بين فرنسي وتركي أو مع واحد من الأهالي فلا يمكن محاكمتهم من طرف القضاة العاديين بل عن طريق مجلس الباشا والداي والديوان أو من طرف قائد في الموانئ حيث تحدث الخلافات.

ثاني وعشرون- لا يُلزم القنصل المذكور بدفع أي دين نيابة عن التجار الفرنسيين ما لم يقع إثبات ذلك كتابة. وتُسلم أمتعة الفرنسيين الذين يتوفون في البلاد المذكورة بين يدي القنصل ليتصرف فيها لفائدة الفرنسيين أو غيرهم ممن تعود لهم هذه الأمتعة، والأمر كذلك بالنسبة إلى الأتراك التابعين لمملكة الجزائر الذين يأتون للإقامة في فرنسا.

ثالث وعشرون - يستفيد القنصل المذكور من الإعفاء من كل الرسوم عن المئونة والأغذية والبضائع الضرورية لمنزله.

رابع وعشرون- لا يُعاقب أي فرنسي ضرب تركيا أو أحدا من الأهالي إلا بعد استدعاء القنصل المذكور ليُدافع عن قضيته وفي حالة فرار الفرنسي المذكور فلا يمكن اعتبار القنصل مسئولا عن ذلك.

خامس وعشرون- يمكن للقسّ التابع للبعثة التبشيرية في مدينة الجزائر مع زميله مساعدة العبيد الموجودين في المملكة المذكورة حتى في سجون الباشا والداي ويتعين النظر إلى المبشرين من أي جنسية كانت على أنهم رعايا إمبراطور فرنسا الذي يضعهم في حمايته، وبصفتهم هذه لا يمكن بأي حال من الأحوال التعرض لهم بل ويحظون بكل العون والمساعدة من القنصل الفرنسي.

سادس وعشرون - في حالة وقوع أي مخالفة لهذه المعاهدة لا يتم اللجوء إلى أي عمل عُدواني ما لم يقع رفض صريح للحكم في الموضوع، وسعيا لتسهيل عودة التجارة وجعلها ثابتة ومستقرة يُرسل أصحاب السمو الباشا والداي والديوان وميليشيا الجزائر عندما يرون ذلك مناسبا شخصا منهم من مقام رفيع ليُقيم في مرسيليا ويسمع في عين المكان الشكاوى التي قد تأتي من جراء المخالفات المرتكبة لهذه المعاهدة وسيحظى بكل المعاملة الحسنة في هذه المدينة.

سابع وعشرون- في حالة ما إذا أساء قراصنة من فرنسا أو من مملكة الجزائر للسفن الفرنسية أو لقراصنة من المدينة المذكورة يجدونهم في البحر، تم معاقبتهم ويُحمّل أصحاب السفن مسؤولية ذلك.

ثامن وعشرون- في حالة ما إذا قامت سفن من الجزائر في البحر بأسر سُفن فرنسية، يتم - بعد انقضاء الرابع عشر من شهر أكتوبر المقبل- إرجاعها فور وصولها المدينة المذكورة بكل ما عليها من بضائع وأمتعة ونقود وتجهيزات الطواقم. وتتم المعاملة بالمثل في حالة أسر سفن من مدينة الجزائر المذكورة من جانب السفن الفرنسية.

تاسع وعشرون - في كل مرة تأتي باخرة حربية تابعة لإمبراطور فرنسا لتُرسو في ميناء الجزائر، تقوم حصون المدينة وأبراجها - فور إخبار الوالي العام بذلك من طرف القنصل - بأداء المدينة التحية للباخرة المذكورة تبعا لدرجة القائد الذي تحمله ويُطلق عدد من طلقات المدفعية أكثر من تلك التي تُطلق لتحية أية أمة أخرى، وترد على كل طلقة بالمثل. وتتم نفس المعاملة حين التقاء السفن الحربية المذكورة في عرض البحر.

ثلاثون - في حالة فسخ معاهدة السلم هذه المبرمة بين السيد مارسال لحساب إمبراطور فرنسا وبين الباشا والداي والديوان وميليشيا المدينة ومملكة الجزائر- لا سامح الله - فإن كافة التجار الفرنسيين الموجودين في ربوع المملكة المذكورة يمكنهم أن يتوجهوا حيثما طاب لهم مع كل أمتعتهم دون اعتراض سبيلهم مدة ثلاثة أشهر.

واحد وثلاثون- تم المصادقة على البنود المبينة أعلاه وتأكيدها من طرف إمبراطور فرنسا والباشا والداي والديوان وميليشيا المدينة ومملكة الجزائر ليتقيد بها رعاياهم مدة مائة سنة. وحتى لا يدعي أحد بجهلها فسيتم نشرها حيثما تدعو الحاجة إلى ذلك.

حُررت وعُقدت مع السيد مارسال عن إمبراطور فرنسا المذكور من جهة والباشا والداي والديوان وميليشيا مدينة ومملكة الجزائر من جهة أخرى يوم الرابع والعشرين من سبتمبر 1689م [1].

---

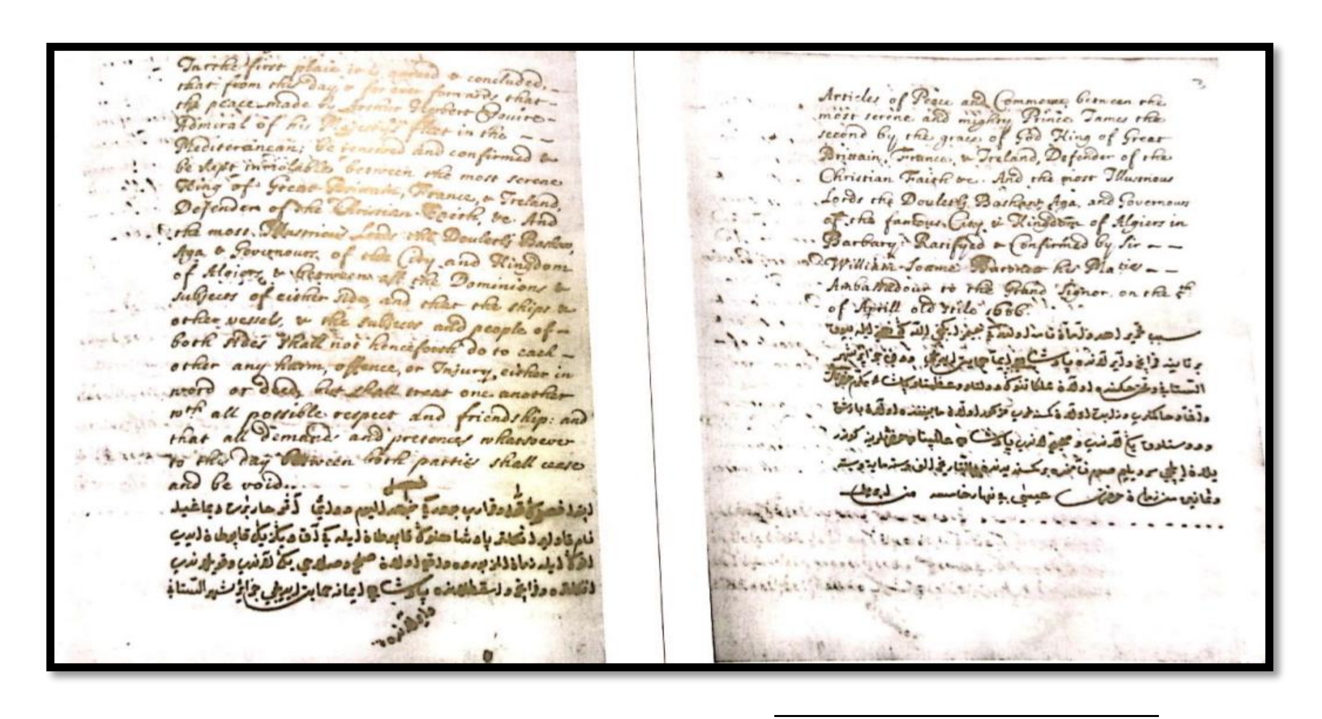
1. تم نشر هذه المعاهدة في المجامع التالية:
Leonard, op. cit., T. V ; - Du Mont, op. cit., T. VII, 2ème partie, p. 239 ; - DEVOULX, op. cit., p.9
النص الوارد هنا جاء به Du Mont

- **الملحق رقم 12: معاهدة سلم بين إنجلترا والجزائر بتاريخ 6 أفريل 1686م.**

- **واجهة المعاهدة الأصلية**[1].



- **الصفحة الأولى من المعاهدة الأصلية**[2]



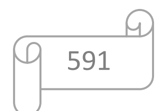
Articles of Peace and Commerce between the most serene and mighty Prince James the second by the grace of God King of Great Britain, France, & Ireland, Defender of the Christian Faith &c. And the most Illustrious Lords the Douletli Bashaw Aga, and Governours of the famous City & Kingdom of Algiers in Barbary Ratifyed & Confirmed by Sir William Soame [illegible] his Maties Ambassadour to the Grand Signor on the 5th of Aprill old stile 1686.

In the first place it is agreed & concluded, that from this day & for ever forwards, that the peace made by Arthur Herbert Esquire Admiral of his Majesties fleet in the Mediterranean; be renewed and confirmed to be kept inviolable between the most serene King of Great Britain, France, & Ireland, Defender of the Christian Faith, &c. And the most Illustrious Lords the Douletli Bashaw, Aga & Governours of the City and Kingdom of Algiers, & between all the Dominions & subjects of either side, and that the ships & other vessels, & the subjects and people of both sides shall not henceforth do to each other any harm, offence, or Injury, either in word or deed, but shall treat one another with all possible respect and friendship: and that all demands and pretences whatsoever to this day between both parties shall cease and be void.

---

(1) علي تابليت: **المرجع السابق**، ص 177.

(2) نفسه، ص 178/ وللاطلاع أكثر على صور النسخة الأصلية من المعاهدة، يُنظر إلى نفس المرجع، ص ص 179- 188.



– ترجمة بنود المعاهدة[1] :

معاهدة بين بريطانيا العظمى والجزائر وقعت في مدينة الجزائر يوم 6 أفريل 1686م.

بنود سلم وتجارة بين عظمة الأمير جيمس الثاني بفضل الله ملك بريطانيا العظمى، وفرنسا، وإيرلندا، ناصر الدين المسيحي وصاحب السمو الدولاتي، الباشا العظي، والآغا وحكام مدينة الجزائر الشهيرة، في بلاد البربر، مصدق عليها من قبل السير William Soame، و Baronet، سفير جلالته لدى الباب العالي، في الخامس من أفريل 1686م.

البند الأول

أنه في المقام الأول تم الاتفاق وعقدت هذه المعاهدة ابتداء من هذا اليوم وإلى الأبد مستقبلا، بحيث جدد وعقد هذا السلم (Arthur Herbert)، المحترم أميرال أسطول جلالته في البحر المتوسط على ألا يخرق هذا السلم بين عظمة ملك بريطانيا العظمى، وفرنسا، وإيرلندا، ناصر الدين المسيحي، وصاحب السمو الدولاتي، الباشا، والآغا وحاكم مدينة ومملكة الجزائر، وبين جميع مقاطعات ورعايا كلا البلدين، وأنه لا يتعرض سفن ومراكب أخرى، ورعايا وسكان كلا الطرفين ابتداء من هذا التاريخ، إلى أي أذى، أو اعتداء، أو إهانة، سواء قولا أو فعلاً، بل يعامل كل طرف الآخر بالاحترام والصداقة قدر الإمكان، وأن جميع المطالب والدعاوي، مهما كانت، حتى اليوم، بين الطرفين ستتوقف وباطلة.

البند الثاني

أن أيا من سفن أو مراكب أخرى تابعة لملك بريطانيا العظمى، أو أيا من رعايا جلالته، قد يصل بسلامة إلى ميناء الجزائر، أو أي مرفأ آخر أو مكان لتلك المملكة، لهم الحرية في شراء ودفع 10 ٪ من الجمارك كما هو الحال في السابق، عن كل سلعة يبيعونها، أما السلع التي لم تبع، فهم أحرار في نقلها على سفنهم دون أن يدفعوا أي رسم على نفس السلع، ومن ثم فهم أحرار في الرحيل من ذلك المكان متى أرادوا ذلك، دون أي توقيف أو إزعاج أيا كان. أما فيما يتعلق بالسلع المهربة مثل البارود، والكبريت، والحديد، والألواح الخشبية، وكل أنواع الخشب لبناء السفن، والقطران، والزفت، والحبال، وبنادق العتيقة الطراز، وملابس الحرب الأخرى، لن يدفع رعايا جلالته رسم على هذه السلع لرعايا الجزائر.

البند الثالث

أن جميع سفن ومراكب أخرى، وكذا التابعة لملك بريطانيا العظمى، أو لأحد رعايا جلالته، وكذا بالنسبة لتلك التابعة لمملكة أو سكان الجزائر، لجميعهم أحرار في ركوب البحر، والمتاجرة دون أي تفتيش، وإزعاج أو إهانة من أي طرف كان، وأن جميع الأشخاص أو المسافرين مهما كانت جنسيتهم، وكل الأموال والسلع والبضائع، والمنقولات أيا كنت تابعة للأهالي أو بلد ما، وهي على متن هذه السفن أو المراكب، ستكون حرة كاملة، ومن غير توقيف أو الاستيلاء، عليها، أو نهبها، ولا يتعرض لأي أذى أو ضرر مهما كان نوعه ومن أي جهة كانت.

— 156 —

[1] علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص 156-160.

البند الرابع

عندما تلتقي سفن حربية أو مراكب جزائرية مع أي سفينة تجارية أو مركب تابعين لرعايا جلالته ولا يتواجدون في أي بحر غير خاص بسيادة جلالته، يمكن لها أن توفد قاربا واحدا مع إثنين من المفتشين فقط، إلى جانب الجذافين العاديين، وعليه لا يدخل أي أحد إلى السفينة التجارية أو المركب أكثر من العدد المذكور، وبدون إذن صريح من القائد، ذلك هو المصدر، بل إثنان من المفتشين فقط، وبعد تقديم جواز السفينة الموقع من يد وختم جلالته، أو أيما شخص كان يعين قائد أسطول جلالته، أو القيام مقام الأميرال الأعلى لأنجلترا وإيرلندا، أو الأميرال الأعلى التابع لسكوتلاندا، أي للمملكتين على التوالي، وأن القارب الذي سيغادر تواً، والسفينة التجارية أو مركب سيواصل رحلته بكل حرية، وأن أي سفينة حربية أو مراكب أخرى تابعة لجلالته، تلتقي مع أي سفينة أو مراكب أخرى لجزائر، فإن كان القائد لأي سفينة من هذه السفن أو مركب عليه أن يظهر جوازا مؤكدا من حكام الجزائر، وشهادة من القنصل الانجليزي المقيم هنالك، عندها ستواصل السفينة أو المركب الجزائري طريقها بحرية.

البند الخامس

لا يحق لقائد، أو شخص آخر، لأي سفينة أو مركب تابع لجزائر أن يستولي على أي سفينة أو مركب تابعين لرعايا جلالته، وأن أي شخص أو أشخاص مهما كانوا أن ينقلوها إلى أي مكان للكشف عنها، أو تحت أي ذريعة ولا يستعملون تعذيب، أو العنف ضد أي شخص يتواجد على ظهر أي سفينة أو مركب لرعايا جلالته تحت غطاء أي ذريعة كانت وذلك مهما كان بلده أو صفته.

البند السادس

لا تصبح السفينة الغارقة التابعة لملك بريطانيا العظمى، أو أي من رعايا جلالته غنيمة في أي جزء من الساحل التابع لجزائر، ولا تحجز سلعها ولا يصبح طاقمها عبيدا، غير أنه على جميع رعايا الجزائر أن يبذلوا قصارى جهدهم لإنقاذ هذا الطاقم وسلعهم.

البند السابع

لا يسمح لسفينة ولا مركب جزائري يذهب إلى سلا أو أي مكان آخر عدو لجلالته لممارسة القرصنة ضد رعايا جلالته.

البند الثامن

لا أحد من سفن أو مراكب أخرى صغيرة لجزائر، تبقى في الطواف بقرب أو على مرأى من أي طرق جلالته، في الموانئ أو المرافئ، بلدات أو أماكن ولا أي وسيلة تعكر سلم وتجارة بريطانيا.

البند التاسع

إن جيئت أي سفينة أو مركب لتونس، أو طرابلس، أو سلا أو أي مكان آخر بأي سفينة، أو مركب يحمل رجالا، أو سلعا تابعين لأي رعية من رعايا جلالته، إلى الجزائر، أو أي ميناء أو مكان داخل تلك المملكة، فإنه على الحكام هنالك ألا يسمحوا لهم ببيعها في أقاليم الجزائر.

البند العاشر

إن جاءت أي سفينة حربية لملك بريطانيا العظمى إلى الجزائر أو أي ميناء أو مكان تابع للمملكة، بأي غنيمة، يمكن لهم بيعها بحرية، وإلاّ يتخلصون منها كيفما شاءوا، من غير أن يقعوا في طائلة الإزعاج من أي كان، ومن ثم فإن السفن الحربية لجلالته لا تلتزم بدفع الجمارك بأي وجه كان، وأنهم إن أرادوا شراء مؤن وطعام، أو أشياء أخرى، فإنه بإمكانهم شراؤها بشكل حر وبسعر السوق.

البند الحادي عشر

عندما تظهر سفن حربية لجلالته أمام الجزائر، وذلك بناء على إشعار من القنصل الانجليزي أو قائد السفن المذكورة، يقدم إلى مسؤول حاكم الجزائر، ويعلن في الحين بيان عام لتأمين فرار الأسرى المسيحيين، وبعدها، وإن فر الأسرى المسيحيون إلى السفن الحربية البريطانية، فإن هذه السفن غير ملزمة بإعادتهم ثانية، كما أنه لا يلزم لا القنصل و لا القائد، أو أي شخص آخر من رعايا جلالته بدفع أي شيء عن هؤلاء الأسرى المسيحيين الفارين.

البند الثاني عشر

من الآن فصاعدا لا يشترى ولا يباع رعايا جلالته لبريطانيا العظمى في أي جزء من مملكة الجزائر بناء على أي ذريعة كانت، ولا يلزم جلالته بموجب معاهدة السلم هذه لتحرير أي من رعاياه الذين هم الآن في العبودية، غير أن ذلك يعتمد أساسا على جلالته، أو اصدقاء، أو علاقات هؤلاء الأشخاص الموجودين في الاسترقاق، وذلك من غير تحديد أو تقييد الزمان، لتحرير مثل هؤلاء، والعديد منهم، من وقت لآخر كلما اعتقد أنه ملائم، على ان يكون سعرهم موافق ومعقول لسادتهم القائمين على عتقهم أو أرباب العمل لتحريرهم من غير إلزام السادة وأرباب العمل المشار إليهم ضد إرادتهم لتحرير أي منهم، سواء كانوا عبيدا تابعين للدولة الجزائرية أو صاحب السفينة، أو أنهم تابعين للباشا الداي، والحاكم، أو أي أشخاص آخرين، مهما كانوا، وأن جميع العبيد يعتبرون رعايا جلالته، وانه عندما يتم تحريرهم، سيتمتعون بأفضلية وفائدة تخفيض قيمة الضريبة الواجب دفعها للعائلة الملكية، ونفقات أخرى بدفع مثل هذه المبالغ المعقولة كما هو جاري العمل به لأي عبد في بلدان أخرى يدفعونها عادة عندما يحررون.

البند الثالث عشر

إذا حدث ومات أحد رعايا جلالته بمدينة الجزائر أو أماكن أخرى من مقاطعات الجزائر، فإن سلعه، وأمواله لا تحجز من قبل الحكام، والقضاة ولا مسؤولين آخرين -الذين يقومون بطريقة مماثلة في التحقيق بعد وفاة المعني - بل أن السلع والأموال المشار إليها أعلاه ستؤول أو يتلقاها شخص أو أشخاص، الذين عينهم المتوفى بإرادته، وهم وريثه أو ورثته في حالة تواجدهم في مكان وفاة تارك الوصية، غير أنه إذا لم يتواجد الورثة في عين المكان، عندها، فإن منفذي هذه الإرادة المعينة قانونيا من المتوفى، سوف تؤول بعد عملية جرد كل السلع والأموال المتروكة، فإنها تؤخذ وتوضع في الحجز القضائي دون أي عرقلة، ويعتنى بها وتسلم بطريقة آمنة إلى الورثة الشرعيين والحقيقيين، وإن حصل ومات أحد رعايا جلالته ولم يعلن عن إرادته، فإن القنصل الانجليزي سيتملك شخصيا سلعه وأمواله بناء على عملية الجرد، من أجل مصلحة الأسرة وورثة المتوفى.

البند الرابع عشر

لا يلزم التجار التابعون لرعايا جلالته والمقيمون في، أو يتاجرون في مدينة ومملكة الجزائر أن يشتروا أية بضاعة ضد إرادتهم، بل أنهم أحرار في شراء مثل هذه البضائع إن رأوا أنها مفيدة، ولا قبطان أو قائد لأي سفينة أو مركب تابع لرعايا جلالته، يجبر ضد إرادته لشحن أي سلع أو نقلها أو القيام برحلة إلى أي مكان يرغم عليه وهو غير راغب في ذلك، ولا القنصل الانجليزي ولا أي رعية آخر تابع للملك يلزم بدفع ديون أي رعية أخرى من رعايا جلالته، اللهم إلا إذا إلتزم أو إلتزموا بكفالة لنفس الشخص حسب القانون العام.

البند الخامس عشر

إنَّ رعايا جلالته المتواجدين في الجزائر، أو إحدى أقاليمها، يخضعون لقانون الداي والديوان ولا سواه، وذلك في مسألة نزاع، ويستثنى ذلك في حالة النزاع بين أنفسهم، فهم في هذه الحالة لا يخضعون سوى إلى قرار القنصل فقط.

البند السادس عشر

في حالة وجود أي رعية من رعايا جلالته في أي مكان من مملكة الجزائر، وحدث أن ضرب، أو جرح، أو قتل تركيا أو أهلي، وألقي عليه القبض، فإنه سيعاقب بطريقة مماثلة، ومن غير قساوة أكثر من تركي متهم بجريمة أو بجنحة مماثلة، غير أنه إذا فر، فإنه لا القنصل الانجليزي أو أي من رعايا جلالته، لا يضايق بأي حال من الأحوال أو يستجوب بسبب ذلك.

البند السابع عشر

إنَّ القنصل الانجليزي الحالي أو في وقت مضى، عاش ويعيش في الجزائر، سيكون هنالك في كل الأوقات وله الحرية الكاملة والسلامة في شخصه وممتلكاته، ويسمح له باختيار ترجمانه الخاص والوسيط التجاري، وهو حر أن يسافر على متن أي سفينة، كالعادة، وذلك عندما يحلو له، كما له الحرية في الريف وكذا السماح له في مكان يتعبد فيه وأنه لا يعتدى عليه قولا أو فعلا.

البند الثامن عشر

ليس فقط القنصل الانجليزي وكل الرعايا الآخرين التابعين لجلالته والمقيمين في مملكة الجزائر أثناء استمرار هذا السلم والصداقة، بل أيضا حتى وإن حدث خرق أو حرب يحصل لاحقا بين ملك بريطانيا العظمى ومملكة الجزائر، فإنهم سيتمتعون، كالعادة، وفي كل الأوقات سواء في الحرب أو في السلم، بحرية المغادرة والذهاب إلى بلدهم أو أي بلد آخر، وعلى متن أي سفينة أو مركب مهما كانت جنسيته ويرونه ملائما لهم، ويحملون معهم كل أمتعتهم، وسلعهم وأسرهم، وخدمهم من غير اعتراض أو إعاقة.

البند التاسع عشر

إذا كان هناك رعية جلالته مسافر على متن سفينة أو مركب في عداوة مع الجزائر، وهو قادم أو ذاهب من أي ميناء، ومعه أمتعته فإنه لا يضايق ولا يعتقل عليه، وبطريقة مماثلة، فإن مسافرا جزائريا على متن سفينة أو مركب في عداوة ملك بريطانيا العظمى، فإنه لا يضايق، سواء كان ذلك في شخصه أو في سلعه التي قد يكون حملها معه على متن السفينة أو المركب المذكور.

— 159 —

معاهدات الجزائر مع بريطانيا العظمى

البند العشرون

عندما تظهر سفينة حربية لملك بريطانيا العظمى في كل الأوقات أمام مدينة الجزائر وعليها علم جلالته على الصاري الأمامي وتقترب لترسو، وبعد إشعار فوري يقدمه قنصل جلالته أو قائد السفينة إلى الداي وحكومة الجزائر، فإنهم يقدمون تحية شرفية لجلالته بإطلاق واحد وعشرون طلقة مدفعية من قلاع وحصون المدينة، وترد السفينة بالمثل بإطلاق نفس العدد من الطلقات المدفعية.

البند الواحد والعشرون

بعد التوقيع وختم هذه المواد من قبل الباشا الداي، والآغا وحكام الجزائر مباشرة، فإن كل الأذى والضرر الباقي على كل طرف سيزول تماما وينسى، ويبقى هذا السلم نافذا وقويا، ويستمر إلى الأبد؛ وأن كل النهب والأضرار التي سترتكب لاحقا، أو يتم فعلها، من أي طرف، وذلك قبل أن يقدم هذا الإشعار لهذا السلم، وسيتم تعويض كلي وفوري، وما نهب من أي نوع يعوض توا.

البند الثاني والعشرون

في حالة حدوث أمر ما فيما بعد أو وقع خلاف لهذه المعاهدة سواء من قبل طرف أو الطرف الآخر، فإن المعاهدة برغم كونها باقية ونافذة بالتمام، فإن مثل هذه الانتهاكات لا تسبب خرقا لهذا السلم، والصداقة والانسجام، غير أن للطرف المتضرر أن يطلب وديا التعويض الفوري للانتهاكات السابقة، قبل وضع حد للسلم، وإن ارتكب الخطأ من رعايا الخواص التابعين لأي طرف، فإنه يسلط عليهم العقاب لوحدهم باعتبارهم هم السبب في خرقات السلم وإزعاج السكينة العامة؛ وثقتنا بديننا هي ثقتنا بديننا وكلمتنا هي كلمتنا.

تم تأكيد وختم هذه المعاهدة بحول الله تعالى في يوم 5 أفريل من السنة الميلادية 1686م، الموافق للسنة الهجرية يوم 23 من يوم جمادى الأولى 1097.

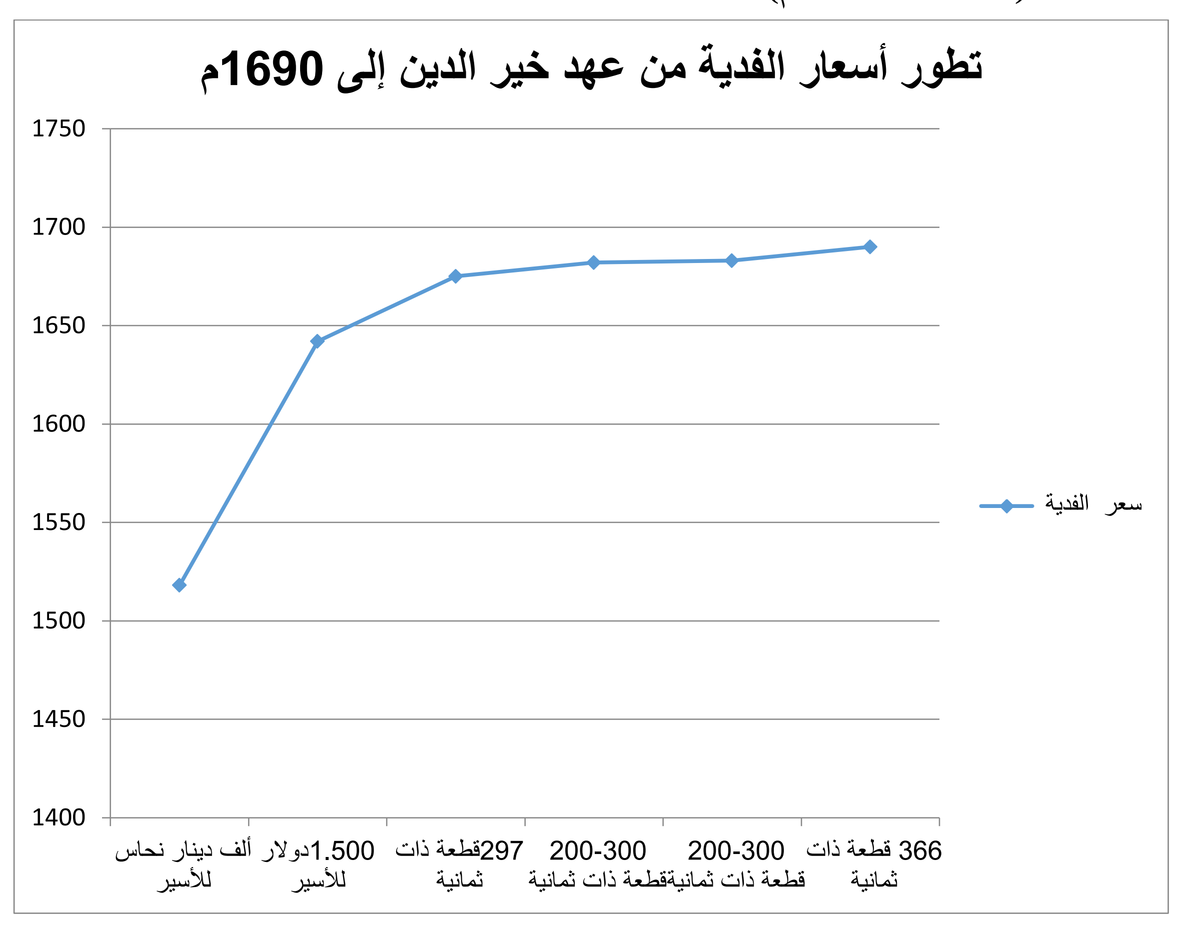
التوقيع

Wm. Soame

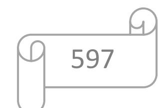
160

– **الملحق رقم 13**: **منحنى يمثل تطور أسعار الفدية من عهد خير الدين إلى سنة(1101هـ/ 1690م).**

– الملحق رقم 13: منحنى يمثل تطور أسعار الفدية من عهد خير الدين إلى سنة(1101هـ/ 1690م) [1]



(1) من إنجاز الباحثة.



– الملحق رقم 14: معاهدة سلم بين هولندا والجزائر في سنة 1680م

– النسخة الأصلية للمعاهدة [1]

[1] علي تابليت: **المرجع السابق**، ص 274.

– ترجمة نص المعاهدة[1]:

معاهدة [illegible]م

محتويات المواد [illegible]

بروتوكول السلم [illegible]

وبابا حسن الداي، [illegible]

المادة الأولى : يدخل السلم حيز النفاذ بعد التصديق على هذه المعاهدة.

المادة الثانية : مجانية الدخول والتجارة الحرة للسفن الهولندية التي يملكها تجار مسيحيون أو يهود، وأن بيع السلع يجري عليها عرضها وفقا للعرف القديم لضريبة 10 % كالسلع المهربة، مثال ذلك، صفر الحديد والأخشاب، والحبال، والبارود فهي معفاة من الرسوم.

المادة الثالثة : حرية الملاحة المتبادلة.

المادة الرابعة : يقوم ضباط تفتيش طرادات الجزائر بالتفتيش عن طريق قارب يرسله الهولنديون وعليه ضابطان فقط، لمعرفة الأوراق التي يجب أن تكون معتمدة من قبل القنصل الهولندي المقيم بالجزائر.

المادة الخامسة : لا يسمح للقبطان الجزائري بحجز الأشخاص الذين هم على متن السفن الهولندية.

المادة السادسة : في حالة الغرق لا مصادرة بل المساعدة على الإنقاذ.

المادة السابعة : لا يسمح لسفينة جزائرية أن تنتقل إلى سلا، تطوان، تونس وطرابلس أو غيرها من الأماكن المعادية للهولنديين أو لخدمة هؤلاء الأعداء كالقراصنة ضدهم.

[illegible] : لا يسمح لسفينة من سفن الجزائر أن تهاجم قرب السواحل أو مناطق تحت سيادة الولايات العامة.

[illegible] : أنه غير مسموح لسفن العدو، مثال ذلك، القادمة من سلا لبيع الغنائم المأخوذة من الهولنديين أو الأسرى الهولنديين داخل الأراضي الجزائرية.

المادة العاشرة : يسمح للسفن الحربية الهولندية بدخول موانئ الجزائر وبيع الغنائم على راحتها وخالية من الرسوم، وإن احتاجت إلى المواد الغذائية وماء الشروب، يمكن شراؤها جميعا بسعر السوق.

المادة الحادية عشر: يمكن لسفينة حربية هولندية أن تدخل ميناء الجزائر، وعلى القنصل أو قائدها الإشعار بذلك، حيث أن جميع مالكي العبيد الهولنديين، يمكن أخطارهم لمنع فرارهم من مالكيهم، وقد تبذل استشارات سرية مع قادة القوات الهولندية في مكان تشغيل بعيد للعبيد، و ينبغي على المذكور سابقا أن يحافظ على كلمته، ولا يعتدى على القنصل ولا مواطنيه في هذه الحالة، وإن وقع اختطاف السفن الهولندية للعبيد فعلى القنصل إبلاغ ذلك إلى الولايات العامة والتعويض لمالكي العبيد المختطفين.

المادة الثانية عشر: أنه بعد التصديق لن يؤسر لا الهولندي ولا المسيحي ولا اليهودي في الجزائر، وأن الولايات العامة ليست ملزمة بتخليص العبيد الآن أو لاحقا، يمكن القيام بالعمل الخيري للخلاص دون تقييد على أساس الأسعار المعقولة التي اتفق عليها صاحب الإرادة الحرة، فالمالك هو البايلك والقادس والباشا والداي، والآغا والحاكم أو غيرهم من السلطات، فالتحرر، ليس

— 255 —

[1] علي تابليت: **المرجع السابق**، ص ص 255-256.

بالضرورة في السعر الأصلي للشراء، ولا الفداء يكون مفروضا على الهولنديين، ويتمتع المتلكون الهولنديون الرسميون بتخفيض الرسوم المستحقة الدفع إلى «دار الحكومة». أشخاص عاديون لا يتمتعون بمثل هذا الحد، ويؤذن للمسؤولين الهولنديين بالجزائر بإصدار جميع الوثائق القانونية ذات الصلة مثل الدول الأخرى.

المادة الثالثة عشر: إن ورثة الرعايا الهولنديين المنتمين إلى ورثة المعني أو المتقلدين هم أصحاب الحق في حالة عدم وجود شهادة القنصل المؤهل للتلقي.

المادة الرابعة عشر: لا يوجد قيد للتجار الهولنديين للشراء ولا لربابنة السفن قبول تحذير صادر عن القاضي.

المادة الخامسة عشر: تستثنى قاعدة الشريعة الإسلامية المقدسة، التي هي من اختصاص الداي والديوان ومكتب الباشا، أما ما تبقى من شؤون الرعايا الهولنديين أو المسيحيين أو اليهود فتقع تحت محكمتهم المدنية والجنائية والقنصلية..

المادة السادسة عشر: فالهولنديون المقيمون بالجزائر والمتهمون بالقتل، أو الإصابة، أو إساءة المسلمين فهم عرضة لنفس العقوبة التي يلقاها هذا الأخير، والقنصل ليس مسؤولا عن الآخرين.

المادة السابعة عشر: يتمتع القنصل الهولندي بالحصانة الكاملة، وله الحق في اختيار ترجمان وسمسار، وهو حر في زيارة السفن الهولندية الراسية في ميناء الجزائر وفي ممارسة دينه.

المادة الثامنة عشر: أنه في حالتي الحرب والسلم، فإن القنصل وكل المقيمين الهولنديين بالجزائر يحتفظون بالحرية الكاملة بالتنقل مع كامل أسرهم.

المادة التاسعة عشر: يجري نقل الركاب على سفينة تابعة لعدو لا يبرر معاملة الشخص وممتلكاته من رعايا الهولنديين، والمسيحيين واليهود، ويطبق نفس الشيء على رعايا الجزائر على متن سفن من أعداء للولايات العامة.

المادة العشرون: ومع وصول تصديق الولايات العامة على المعاهدة تكون الأعمال العدائية العامة قد انتهت، وستقدم التعويضات فقط مقابل الضرر أو الاستيلاء الحاصل خلال الفترة اللاحقة قبل إبرام السلم المعروف بوجه عام.

المادة الواحدة والعشرون: فالانتهاك الطارئ للمعاهدة الحالية من جانب أي من الطرفين سوف لا يقلل من قيمتها، وستتم تسوية الأمور وديا، وسيعاقب المذنبون بانتهاك القانون ويعاملون كأشخاص مثيرين للفتنة.[1]

حرر في 10-20 من ربيع الأول 1090هـ أو 20-30 1091هـ الموافق 01. 05. 1680م

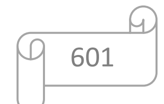
1. Alexander. H. Groot « *Ottoman North Africa and the Dutch Republic in the Seventeenth and Eighteenth Centuries* » in Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, Année 1985, Volume 39 Numéro 39, pp. 141-142

— 256 —

– الملحق رقم 15: جدول يوضح تعداد سفن الجهاد البحري الطرابلسي خلال القرنين(10-11هـ/ 16 -17م) [1]

الفترة	عدد القطع	ملاحظات
درغوث باشا 1553 –1585م	في سنة 1553م – 18 سفينة حربية مدعومة بزوارق سريعة. في سنة 1564م – 30 سفينة طرابلسية عاملة. في سنة 1565م – 36 سفينة عاملة في الأسطول.	
حسن باشا 1586 – 1589م	في سنة 1589م – 15 سفينة عاملة	حصل عليها كدعم من القسطنطينية
صفر داي 1609 – 1612م	في سنة 1619م – 7 سفن جهادية مجهزة	
سليمان داي 1916 – 1624م	في سنة1619م – 4 سفن جهادية مجهزة	بداية استعمال السفن المستديرة
مصطفى شريف داي 1624 – 1631م	في سنة 1628م – 7 سفن ضخمة في سنة 1631م – 15 سفينة جهادية عاملة	فقدان أحد مراكبه الضخمة

[1] من إنجاز الباحثة



محمد الساقزلي 1631 – 1649م	في سنة 1634م – 10 مراكب كبرى عاملة في سنة 1646م – 10 سفن كبرى عاملة و عدد من السفن الصغيرة	فقدانه فيما بين 1634– 1642م ما يزيد عن 10 مراكب.
عثمان الساقزلي 1649 – 1672م	في سنة 1655م – 24 سفينة كبرى و 8 سفن صغرى انتظام الأسطول في 20 سفينة في سنة 1672 – 14 سفينة نصفها للخواص	مشاركته في حرب كريت بعدد 7 سفن
بالي شاوش 1672 – 1675م	في سنة 1673م – 6 مراكب عاملة	إحراق أربع سفن على يد الإنجليز
مصر أوغلو 1675 – 1676م	6 إلى 7 مراكب عاملة	
مصطفى الأسنتانكويلي 1676 – 1677م	14 سفينة عاملة نصفها للخواص	
حسن عبازة 1679 – 1681م	في سنة 1681م أزيد من ثماني سفن عاملة	إتلاف سفن طرابلسية على يد الفرنسيين
عبد الله الأزميرلي	في سنة 1685م – 15 سفينة عاملة	
محمد شائب الغين 1687 –1701م	في سنة 1689م خمس سفن عاملة في سنة 1692م ثماني سفن عاملة	

- الملحق رقم 16: أمر إلى داي الجزائر الحاج حسين ميزومورتو الذي كُلّف بقيادة الأسطول بالالتحاق رفقة سفن أوجاقات الجزائر وتونس وطرابلس ومجاهديها بالأسطول العثماني والمحاربة معا، وذلك في الحملة المزمع إعدادها سنة (1101هـ/1689م) [1]

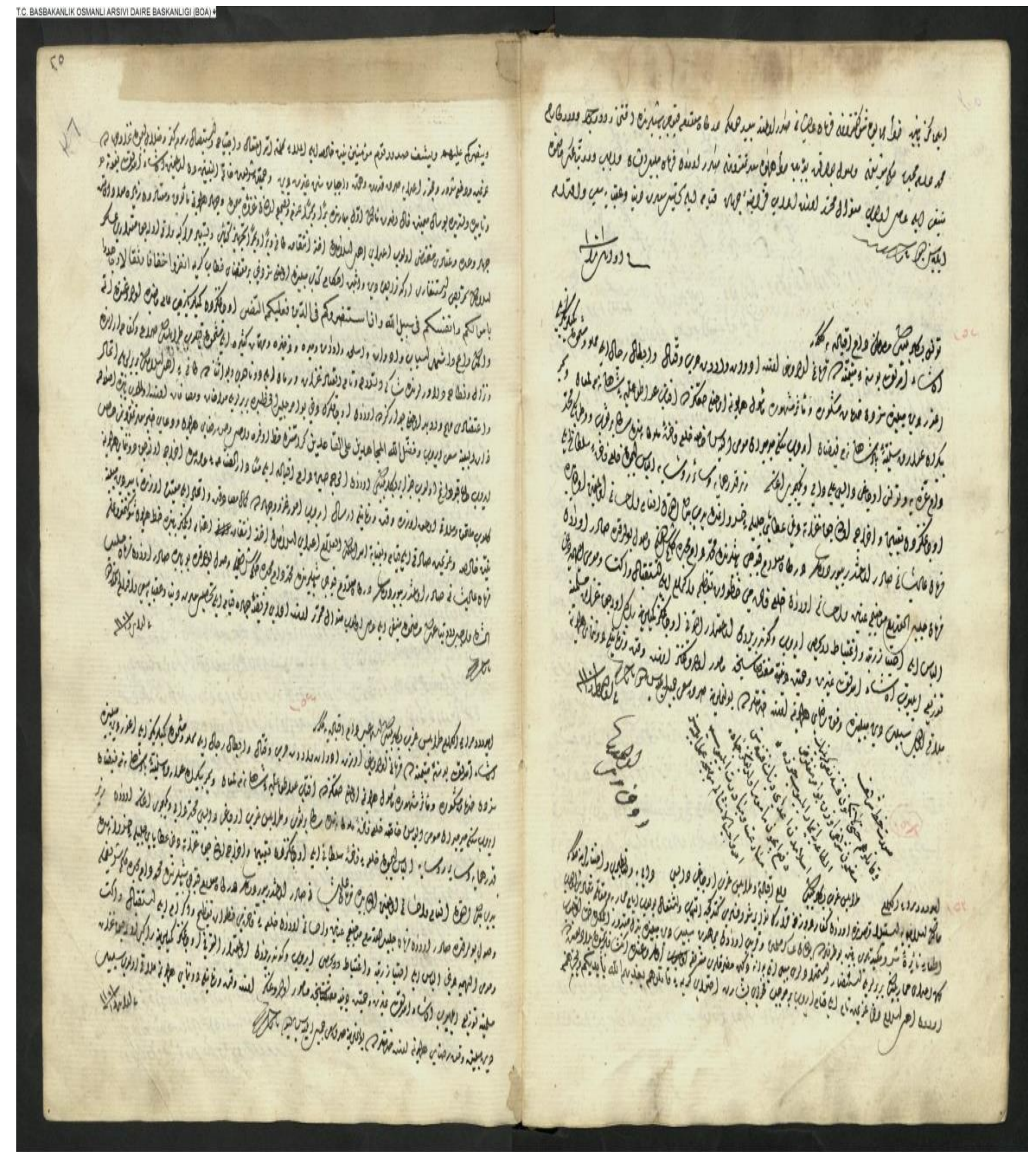


ملخص الوثيقة:

صدور الأمر إلى بكلربكي الجزائر الحاج حسين الذي وجه إليه قيادة الأسطول أيضا بالإلتحاق بسفن أوجاقات الجزائر و تونس و طرابلس و مجاهديها بالأسطول العثماني و المحاربة معا من أجل الدين حدث في السنة الماضية و ذلك في الحملة المزمع إعدادها.

(1) أ.ع: **MFB**,6/1 22 rebinl-evvel 1101 /22 أفريل 1689م.
T.C. Basbakanlik Devlet Arsivleri Genel Mudurlugu Osmanli Arsivi Daire Baskanligi Yayin ‹Nu:115: Osmanli Belgelerinde Cezayir , Ankara, 2010, S 24.

– الملحق رقم 17: فرمان من الباب العالي لحاكم إيالة طرابلس للالتحاق بالأسطول العثماني لمحاربة البنادقة سنة (1101هـ/1689م) [1]



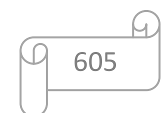
---

[1] أ.ع: **مهمة دفتري** 99، حكم 154، ص26، بتاريخ أوائل ربيع الأول 1101هـ/ أواسط ديسمبر 1689م.

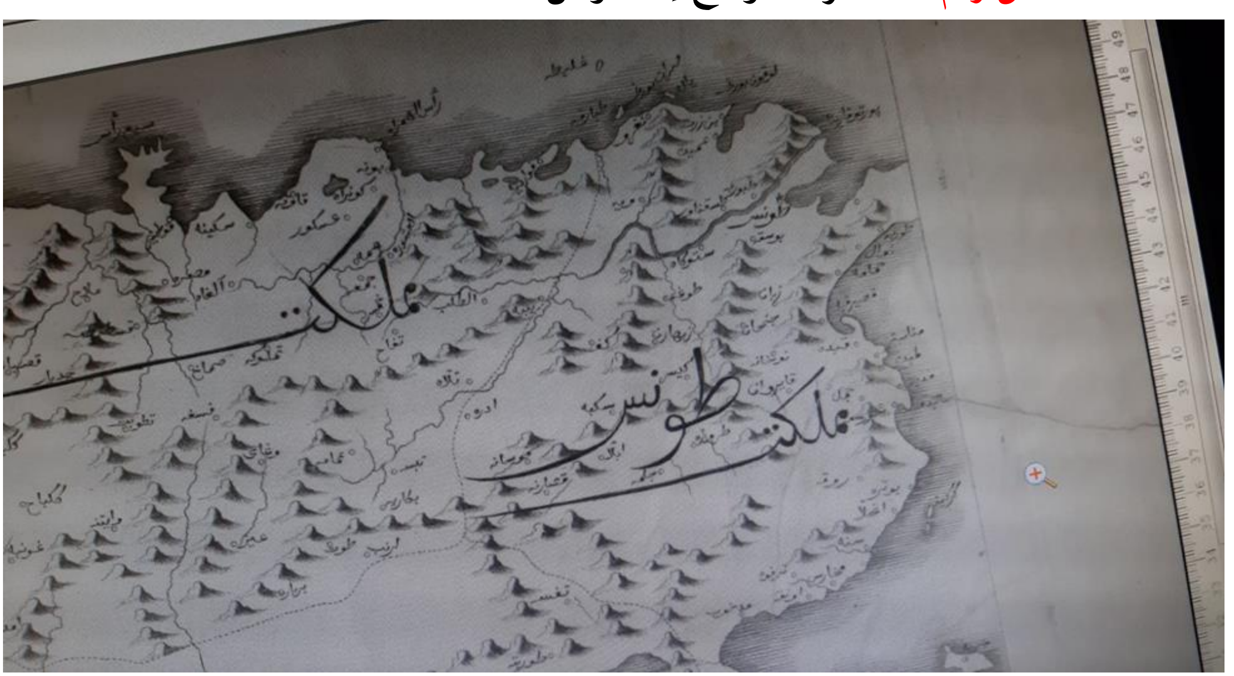
- الملحق رقم 18: فرمان بتوزيع الذهب والخلع على العساكر الطرابلسيين قصد تحفيزهم للمشاركة مع الأسطول العثماني في حربه مع البنادقة[1].

A.{DVNSMHM.d.00098

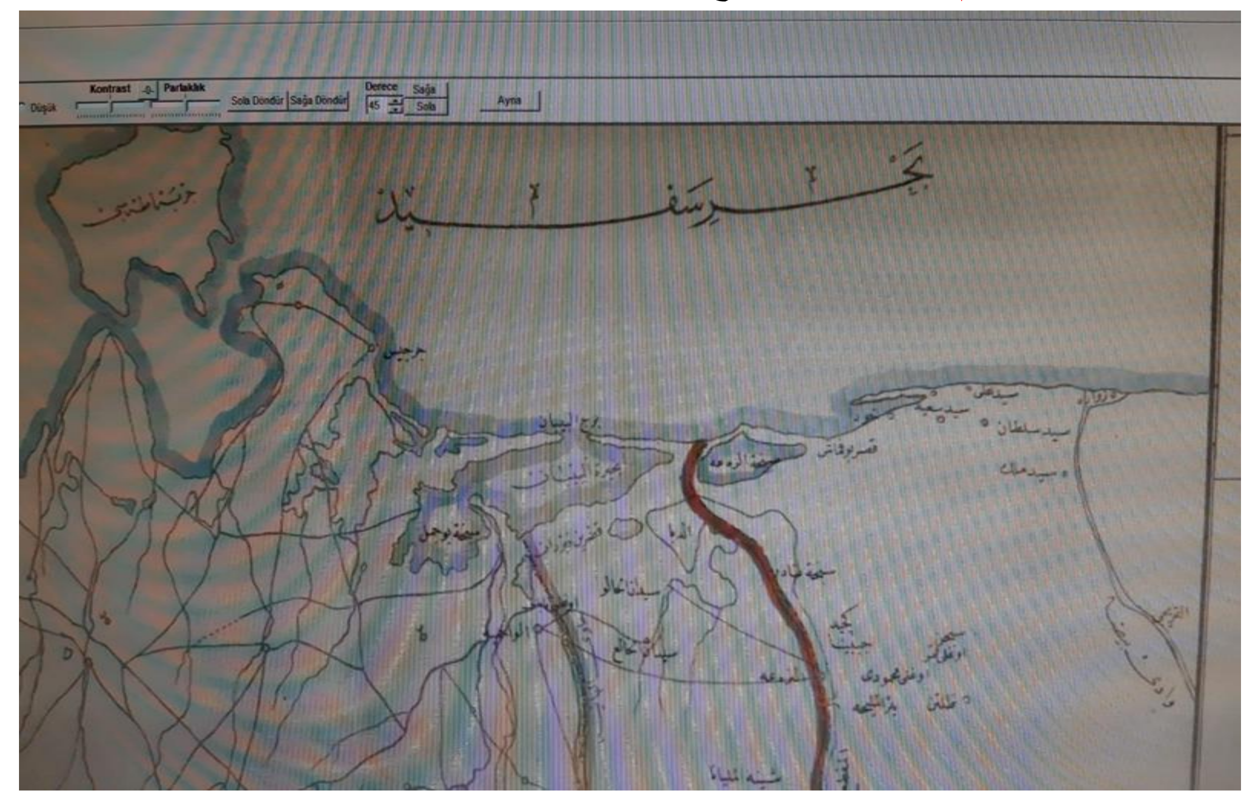
[1] أ.ع: **مهمة دفتري** 98، حكم 233، ص75، بتاريخ 10 ربيع الأول 1100 هـ / 1جانفي 1689م.



- **الملحق رقم 19: خريطة توضح إيالة تونس[1].**



- **الملحق رقم 20: خريطة توضح جزيرة جربة وجزء من ساحل طرابلس الغرب[2].**

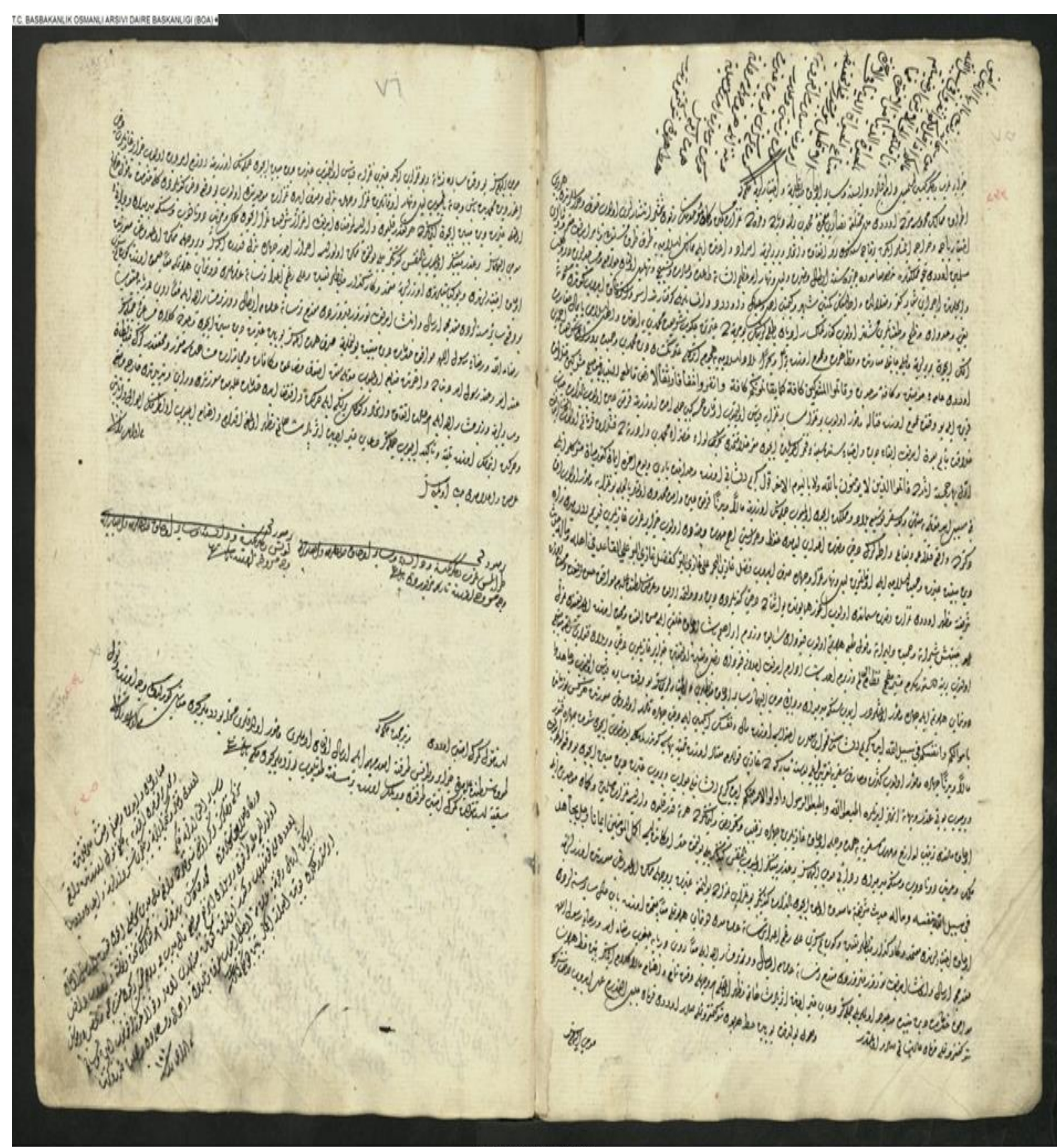


(1) مركز الأرشيف العثماني.

(2) مركز الأرشيف العثماني.



– الملحق رقم 21: فرمانات من الباب العالي لأوجاقات الغرب (الجزائر، تونس، طرابلس) للمشاركة في حروب الدولة العثمانية مع البنادقة سنة (1101هـ/1689م) [1]



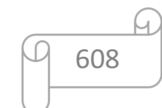
A.{DVNSMHM.d.00098

[1] أ.ع: مهمة دفتري 98، حكم 233، ص75، بتاريخ 10ربيع الأول 1100هـ/ 1جانفي 1689م.

– الملحق رقم 22: فرمان من الباب العالي لحاكم إيالة تونس للالتحاق بالأسطول العثماني لمحاربة البنادقة سنة (1101هـ/1689م) [1]

A.{DVNSMHM.d.00099

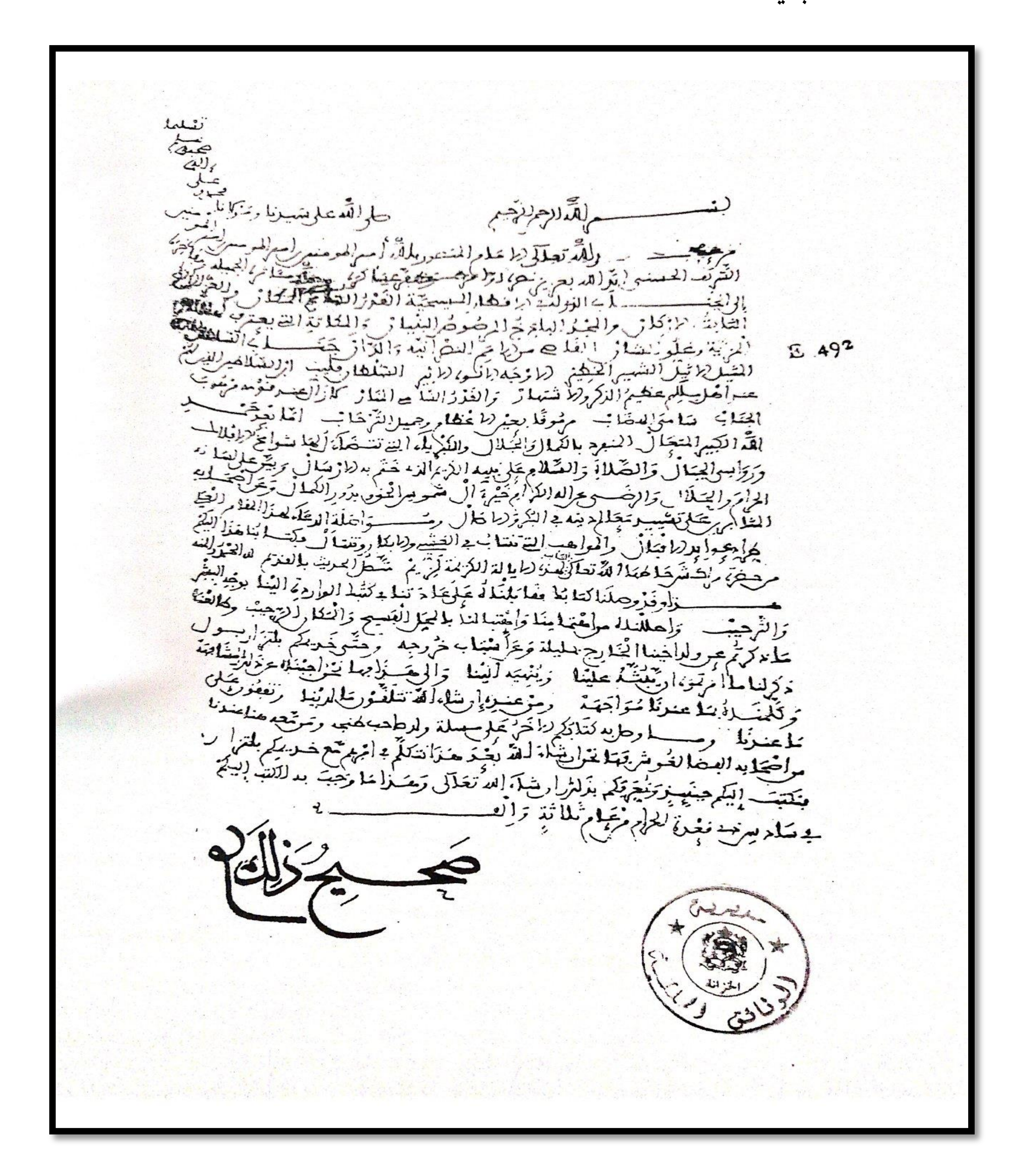
[1] أ.ع: **مهمة دفتري** 99، حكم 300، ص95، بتاريخ أوائل جمادى الأولى 1011هـ/ أواسط فبراير 1690م.



الملحق رقم 23: خريطة توضح بلاد فاس (المغرب الأقصى) [1]

[1] مركز الأرشيف العثماني.

- **الملحق رقم 24: رسالة السلطان أحمد المنصور السعدي إلى فليب ملك اسبانيا** [1]



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد

E 492

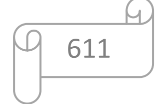
صحيح ذلك

---

[1] مديرية الوثائق الملكية: **E492** ، رسالة من السلطان أحمد المنصور السعدي إلى فليب الثاني ملك اسبانيا في (6 ذي القعدة 1003هـ/12 جويلية 1595م).

-الملحق رقم 25: شهادة تسليم جثة ملك البرتغال دون سيباستيان[1]

[1] مديرية الوثائق الملكية: **سجل 32362**، شهادة تسليم جثة ملك البرتغال دون سباستيان ، بتاريخ (الخميس 10 شوال 986هـ/ 10ديسمبر 1572م).





سجل 32362

البُرْتغال

* * *

الخميس 10 شوال عام 986 هـ - 10 دُجنبر سَنَةَ 1578م

شهادةُ تَسْليم جُثة مَلك البُرْتُغَال دونْ سبَستيانْ قَتيل معْركة وادي المخازن إلى حاكم سَبْتة البُرْتُغالي بَعْدَ أنْ أنْعَمَ السلطانُ أحْمد المَنْصور السَّعْدي بإعادتِها لِتُدْفَنَ في أرْضه اسْتِجابةً لرغبة مَلك إسْبانيا والبُرْتُغال دونْ فليب

«نحنُ الموقِّعينَ أسْفَله ، دُومْ ليُونيس بيريرا ، قبطان وحَاكمُ سَبْتة ، والأخ روكْ رُودْريكو دي مينْزس ، نَشهدُ بحقٍّ أنْ أنْدري كاسْبَارْ كُورسُو قدْ سَلَّمَ إليْنا جُثَّةَ الملك دونْ سبَستيانْ عَظيمَنا ، رحمه الله ، يومَ الأربعاء سادس دُجنبر من العام الحالي ، ألْف وخَمْسمئة وثمانية وسَبْعين ، عندَ باب هذه المدينة ، في الساعة العاشرة صباحاً ، وقد نَطَقَ في نَفْس الوقْت بهذه العبارات : أنا أنْدري كاسْبارْ كورسو ، أسَلِّمُ جُثَّةَ صاحب الجلالة الملك دونْ سبَستيانْ الذي كانَ ملكاً على البرتغال رحمه الله ، إلى الأخ المحترم روك ، وإلى السادة دومْ ليُونيس بيريرا ، قبطان وحَاكم هَذه المدينة ، سَبْتة ، ودُومْ رودريكو دي مينزس ، بأمْرٍ من الملك المولى أحْمد ، الذي سَلَّمَ إليَّ الجثة الملكية لكيْ أعطيَها كهديَّة إلى جَلالة الملك المسيحي كتَعْبير عن التحرر ، ومُقْسماً أنَّه كانَ سيفعلُ نفسَ الشيء لو أنَّ الملك كان أسيراً لديْه . وقد وصلتْ رسالةٌ من جلالة الملك المسيحي ، وكذا رسالةٌ من جَلالة ملك البُرْتغال تَمْنحان جائزةً لمن يُرْجعه إلى البُرْتغال ، وقدْ طلبَ منِّي أنْ لا أحْضره إلى

- 2 -

كاستيلا كما أمرني بذلك ، وبأنْ أحْضِره عوَضَ ذلك إلى حُدود سَبْتة ، حيث يجبُ أنْ أسلِّمَهَا بصفة رسميَّة «كما أفعلُ الآن» كشاهد على أنَّ المسمَّى المولَى أحمد قد أعْطَى وَسلَّمَ هَذه الجُثة الملكيَّة ، جثة ملك البرتغال ، بحُرِّيَة وبدُون مُقابل ، ودونَ أية فائدة ، وذلكَ بتدخل وبطلب منْ جلالة الملك المسيحي دونْ فليب .

وبعدَ تَسْليم الجثة تمَّ نقلُها بكثير من الاحْتفال إلى دير الثالوث الأقدس، حيثُ تُوجَدُ الآن .

وحُرِّرَ بسَبْتة في 10 دُجنبر 1578 .

التَّوْقيعات :

دومْ ليونيسْ بيريرا

فرايْ روك دي سبْيريتو سانْتكْتُو

نحنُ الموقِّعون أسْفَله وأعلاه أتَيْنا لمرافقة الجثة الملكيَّة ، وكُنَّا حاضرينَ عندَ تَسْليمها ، ونُوَقِّعُ كَشهادة على ذلك في نَفْس اليَوم من نفس السنة .

التوقيعات :

دومْ دُوَارتْ دي كاسْتيلُو بْرانكو

دومْ ميكيل دي نيفا

دومْ أورجي

لويس كاوكار»

ثبت المصادر والمراجع

أولا – القرآن الكريم

ثانيا – الوثائق الأرشيفية الأصلية:

ثالثا – الوثائق المنشورة باللغة العربية.

رابعا – الوثائق المنشورة باللغة الأجنبية.

خامسا – المصادر العربية المعربة.

سادسا – المصادر الأجنبية.

سابعا – المراجع العربية والمعربة.

ثامنا – المراجع الأجنبية.

تاسعا – المقالات والدوريات العربية.

عاشرا – المقالات والدوريات الأجنبية.

الحادي عشر – المذكرات والرسائل والأطاريح الجامعية باللغة العربية.

الثاني عشر – المذكرات والرسائل والأطاريح الجامعية باللغة الأجنبية

الثالث عشر – المعاجم ودوائر المعارف العربية.

الرابع عشر – المعاجم والقواميس الأجنبية.

الخامس عشر– المواقع الإلكترونية.

أولا – القرآن الكريم برواية ورش عن نافع:

ثانيا– الوثائق الأرشيفية الأصلية:

1/ الأرشيف الوطني الجزائري(أ.و.ج):

1- **مهمة دفتري** 9، حكم 231، ص 89؛ 24 شوال 977ﻫ/8 أوت 1569م.
2- **مهمة دفتري** 10، حكم 6، ص 4؛ 2 محرم 979ﻫ/ 26ماي 1571 م.
3- **مهمة دفتري** 10، حكم 10، ص 8؛ 2 محرم 979ﻫ/26 ماي 1571م.
4- **مهمة دفتري** 10، حكم 12، ص9؛ 3 صفر 976ﻫ/27 جويلية 1568م.
5- **مهمة دفتري** 10، حكم 14، ص 12؛ 3 صفر979ﻫ/26 جوان 1571م.
6- **مهمة دفتري** 10، حكم 19، ص 17؛ 12 محرم 979ﻫ/5 جوان 1571م
7- **مهمة دفتري** 10، حكم 22، ص 19؛ 2 محرم 979ﻫ/26 ماي 1571م..
8- **مهمة دفتري** 10، حكم 23، ص19؛ 2 محرم 979ﻫ/26 ماي 1571 م.
9- **مهمة دفتري** 12، حكم 15، ص 8؛ 17 جمادى الأولى 978ﻫ/16أكتوبر 1570م.
10- **مهمة دفتري** 12، عدد 98؛ 16 ذو القعدة 978ﻫ/10 أفريل 1571م.
11- **مهمة دفتري** 12، حكم367، ص173؛ 2ذو القعدة 978ﻫ/27 مارس1571م.
12- **مهمة دفتري** 12، حكم 518، ص249؛ 12 ذي الحجة 978ﻫ/6 ماي 1571م.
13- **مهمة دفتري** 12، حكم 1037، ص 541-543؛ 25 شوال 979ﻫ/10 مارس 1572م.
14- **مهمة دفتري** 12، حكم 1088، ص571؛ 7 ذو القعدة 979ﻫ/7 مارس 1572م.
15- **مهمة دفتري** 12،حكم 1102، ص579؛ 08 ذو القعدة 979 ﻫ /11 أفريل1571م.
16- **مهمة دفتري** 14، حكم 48، ص41 ؛ غرة صفر 979 ﻫ/ 24 جوان 1571م.
17- **مهمة دفتري** 14، حكم 283، ص199؛ 3 صفر 979ﻫ/26 جوان 1571م.
18- **مهمة دفتري** 14، حكم 284، ص200؛ 3 صفر 979ﻫ/26 جوان 1571م.
19- **مهمة دفتري** 14، حكم 390، ص274؛ 13 ربيع الأول 978ﻫ/14 أوت 1570.
20- **مهمة دفتري** 14، حكم 603، ص423؛ 22 جمادى الثانية 978ﻫ/ 20 نوفمبر 1570م.
21- **مهمة دفتري** 16، حكم 150، ص74؛ 4 جمادى الثانية 979ﻫ/23 أكتوبر1571م.

-22 **مهمة دفتري** 16، حكم 555، ص313؛ 11 جمادى الثانية 979هـ/ 30 أكتوبر1571م.

-23 **مهمة دفتري** 16، حكم 563، ص320؛ 11 جمادى الثانية 979هـ/ 30 أكتوبر1571م.

-24 **مهمة دفتري** 19، حكم 264، ص123؛ 4 صفر 980هـ/15جوان 1572م.

-25 **مهمة دفتري** 21، حكم 526، ص 220؛ 21 ذو القعدة 980هـ/ 24 مارس 1573م.

-26 **مهمة دفتري** 21، حكم 637، ص266؛ 16ذو الحجة 980هـ/ 18أفريل 1573م.

-27 **مهمة دفتري** 24، حكم 13، ص5؛ 16 ذو القعدة 981هـ/8 مارس 1574م.

-28 **مهمة دفتري** 24، حكم 166، ص59؛ 5 ذو الحجة 981هـ/27 مارس 1574م.

-29 **مهمة دفتري** 24، حكم 167، ص59؛ 5 ذو الحجة 981هـ/27 مارس 1574م.

-30 **مهمة دفتري** 24، حكم 168، ص60؛ 5 ذو الحجة 981هـ/27 مارس 1574م.

-31 **مهمة دفتري** 24، حكم 246، ص ص91-92؛ 14 ذو الحجة 981هـ/5 أفريل 1574م.

-32 **مهمة دفتري** 30، حكم 427، ص 182؛ 2 رجب 986هـ/3 سبتمبر 1578م.

-33 **مهمة دفتري** 35، حكم 314، ص 122؛ 2 جمادى الثانية 986هـ/6 أوت 1578م.

-34 **مهمة دفتري** 44، ص136؛ 990هـ/1582م.

-35 **مهمة دفتري** 44، ص183؛991هـ/1583م.

2/الأرشيف العثماني(أ.ع):

-1 **مهمة دفتري** 3، حكم 139، ص ص 58-59؛ 16 شوال 966هـ/ 22 جويلية 1559م.

-2 **ذيل مهمة دفتري** 3، حكم 536؛ ص 206؛ ربيع الثاني 983هـ/ جويلية 1575م.

-3 **ذيل مهمة دفتري** 3، حكم 537؛ ص 207، بتاريخ 983هـ/1575م.

-4 **مهمة دفتري** 3، حكم 248، ص 99 ؛ 20 ذو القعدة 966هـ/ 24 أوت 1559م.

-5 **مهمة دفتري** 3، حكم 251؛ 20 ذو القعدة 966هـ / 24 أوت 1559م.

-6 **ذيل مهمة دفتري** 3، حكم رقم 565؛ ص 219، بتاريخ ربيع الثاني 983هـ/ 1575م.

-7 **مهمة دفتري** 3، حكم 578، ص 208؛ 6 ربيع الأول 967هـ / 6 ديسمبر 1559م.

8- **مهمة دفتري** رقم 3، حكم 579؛ ص 209؛ 6 ربيع الأول 967هـ / 5 ديسمبر 1559م.

9- **مهمة دفتري** 3، حكم 580 ص 209؛ 4 ربيع الأول 967هـ/ 4 ديسمبر 1559م.

10- **مهمة دفتري** 3، حكم 581، ص 209؛ 4 ربيع الأول 967هـ/ 4 ديسمبر 1559م.

11- **مهمة دفتري** 3، حكم 625، ص 223؛ 17 ربيع الأول 967هـ/ 19 ديسمبر 1559م.

12- **مهمة دفتري** 3، ص 313؛ 6 رجب 967هـ / 2 أفريل 1560م.

13- **مهمة دفتري** 3، حكم 922 ، ص 315؛ 6 رجب 967هـ / 2 أفريل 1560م.

14- **مهمة دفتري** 3، حكم 924؛ 4 رجب 967هـ/20مارس1561م.

15- **مهمة دفتري** 4، حكم 1744؛ 27 ربيع الأول 968هـ/15 ديسمبر 1560م.

16- **مهمة دفتري** 4، حكم 1822؛ 3 جمادى الأولى 968هـ/19جانفي 1561م.

17- **مهمة دفتري** 4، حكم 1853؛ 8 جمادى الأولى 968هـ/24 جانفي1561م.

18- **مهمة دفتري** 4، حكم 1857؛ 10 جمادى الأولى 968هـ/26 جانفي 1561م.

19- **مهمة دفتري** 5، ص25؛ 26 رجب 973هـ/15 فيفري 1566م.

20- **مهمة دفتري** 5، حكم 215، ص 94؛ 12 صفر 973هـ /7 سبتمبر 1565م.

21- **مهمة دفتري** 5، حكم 656، ص 259؛ 20 جمادى الأولى 973هـ / 13 ديسمبر 1565م.

22- **مهمة دفتري** 5، حكم 817، ص313 ؛ 23 جمادى الثانية 973هـ /14جانفي 1566م.

23- **مهمة دفتري** 6، ص 263؛ 29 جمادى الأولى 972هـ/2جانفي 1565م.

24- **مهمة دفتري** 6، حكم 565، ص266؛ 25 جمادى الأولى 972هـ /28 ديسمبر 1564م.

25- **مهمة دفتري** 6، ص426؛ 22 شعبان 972هـ/25 مارس 1565م.

26- **مهمة دفتري** 6، حكم 429؛ 25 ربيع الثاني 972هـ/29 أفريل 1564م.

27- **مهمة دفتري** 6، حكم 561؛ 29 جمادى الأولى 972هـ/1جانفي 1565م.

28- **مهمة دفتري** 6، حكم 562؛ 29 جمادى الأولى 972هـ/ 1 جانفي 1965م.

29- **مهمة دفتري** 6، حكم 565؛ 25 جمادى الأولى 972هـ/28 ديسمبر1564م.

30- **مهمة دفتري** 6، حكم 904؛ 20 شعبان 972هـ/22 مارس1565م.

31- **مهمة دفتري** 6، حكم 950، ص443؛ 29 شعبان 972هـ/ 1 أفريل 1565م.

-32 **مهمة دفتري** 6، حكم 971، ص 450؛ 7رمضان 972هـ/8 أفريل 1565م.

-33 **مهمة دفتري** 6، حكم 972، ص451؛ 7 رمضان 972هـ/8 أفريل 1565م.

-34 **مهمة دفتري** 6، حكم 973، ص451؛ 7 رمضان 972هـ/ 8 أفريل 1565م.

-35 **مهمة دفتري** 6، حكم 1049، ص 484؛ 18 رمضان 972هـ / 19 أفريل 1565م .

-36 **مهمة دفتري** 6، ص 618؛ 9 ذي الحجة 976هـ/ 24 ماي 1569م.

-37 **مهمة دفتري** 6، حكم 1423؛ 17 ذي الحجة 972هـ/15 جويلية 1565.

-38 **مهمة دفتري** 7، ص13مكرر؛ 5صفر 975هـ /1أوت 1567م.

-39 **مهمة دفتري** 7، حكم 187، ص 68؛ 975هـ/1567م.

-40 **مهمة دفتري** 7، حكم 250، ص95؛ 16 ربيع الأول 975هـ/ 20 سبتمبر 1567م.

-41 **مهمة دفتري** 7، حكم 365، ص 142؛975 هـ/1567م.

-42 **مهمة دفتري** 7، حكم 655، ص 236؛ 975هـ/1567م.

-43 **مهمة دفتري** 7، حكم 740، ص263؛ 16رجب 975هـ/16 جانفي 1568م.

-44 **مهمة دفتري** 7، حكم 1472، ص512؛ 25 ذو القعدة 975هـ/21 ماي 1568م.

-45 **مهمة دفتري** 7، ص889؛ 12 جمادى الأولى 976هـ / 2 نوفمبر 1568م.

-46 **مهمة دفتري** 7، حكم 2396، ص 872؛976 هـ/1568م.

-47 **مهمة دفتري** 7، حكم 2439، ص 889؛ جمادي الأولى976هـ/ 1568م.

-48 **مهمة دفتري** 7، حكم 2460، ص 898؛ 976هـ/1568م.

-49 **مهمة دفتري** 7 حكم 2461، ص 899؛ جمادي الأولى 976هـ/ 1568م.

-50 **مهمة دفتري** 7، حكم 2462، ص 899؛ 976 هـ/1568م.

-51 **مهمة دفتري** 7، حكم 2481، ص 906؛ 22 جمادي الأولى 976هـ /23 ديسمبر 1568م.

-52 **مهمة دفتري** 7، حكم رقم 2484، ص 907؛ جمادي الأولى 976هـ/ 1568م.

-53 **مهمة دفتري** 7، حكم 2756، ص 1007؛ ربيع الأول 976هـ / 1568م.

-54 **مهمة دفتري** 7، حكم 2413، ص 878؛ 976هـ/1568م.

-55 **مهمة دفتري** 7، حكم 2456، ص 897؛ 976هـ/1568م.

-56 **مهمة دفتري** 7، حكم 2483، ص 907؛ 976هـ/1568م.

-57 **مهمة دفتري** 8، حكم 1381؛ 10 ربيع الثاني 978هـ/20 شعبان 1570م.

-58 **مهمة دفتري** 9، حكم 212؛ 18 شوال 977هـ/25مارس1570م.

-59 **مهمة دفتري** 9، حكم 204، ص77؛ 10 ذي القعدة 977هـ/ 15 أفريل 1570م.

-60 **مهمة دفتري** 10، حكم 5، ص4؛"17 محرم 979هـ/11 جوان 1571م.

-61 **مهمة دفتري** 10، حكم 14، ص 12؛ 3 صفر 979هـ/26 أفريل1571م.

-62 **مهمة دفتري** 10، ص9؛3 صفر 979هـ/26 جوان 1571م.

-63 **مهمة دفتري** 10، ص 12؛ 3 صفر 979هـ/ 27 جوان 1571م.

-64 **مهمة دفتري** رقم 10، حكم رقم 16، ص 14؛ 3 صفر 979هـ/ 27 جوان 1571م.

-65 **مهمة دفتري** 10، حكم 19، ص 17؛ 3 صفر 979 هـ / 27 جوان 1571م.

-66 **مهمة دفتري** 10، حكم 20، ص 18؛ 3 صفر 979هـ / 27 جوان 1571م.

-67 **مهمة دفتري** 10، حكم 91، ص 62؛ غرة صفر979هـ/25 جوان 1571م.

-68 **مهمة دفتري** 10، ص 99؛ 4 رمضان 979هـ / 19 مارس 1572م.

-69 **مهمة دفتري** 10، ص 102؛ 2 رمضان 979هـ / 17 مارس 1572م.

-70 **مهمة دفتري** 10، ص 120؛ 2 شوال 979هـ / 17 فيفري 1572م.

-71 **مهمة دفتري** 10، حكم 253، ص166؛ 25شوال979هـ/10مارس 1572م.

-72 **مهمة دفتري** 10، ص 222؛ 5 رمضان 979هـ/ 21 جانفي 1572م.

-73 **مهمة دفتري** 10، حكم 338، ص 222، 5رمضان 979هـ/20 جانفي 1572.

-74 **مهمة دفتري** 11، حكم 476؛ 11 جمادى الثانية 978هـ/9 نوفمبر 1570م.

-75 **مهمة دفتري** 12، ص 17؛ 02 ذي القعدة 978/ 28 مارس 1571م.

-76 **مهمة دفتري** رقم 12، حكم 665، ص 325؛ شعبان 969هـ/1562م.

-77 **مهمة دفتري** 12، ص 523 – 524؛ 23 شوال 979هـ / 9 مارس 1572م.

-78 **مهمة دفتري** 12، حكم 1025، ص537؛ 979هـ/1572م.

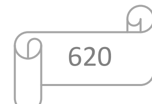
-79 **مهمة دفتري** 12، حكم 1036، ص 544؛ 979هـ/1572م.

-80 **مهمة دفتري** 12، حكم 1037، ص541؛ 25 شوال979هـ/ 10مارس 1572م.

-81 **مهمة دفتري** 12، ص 549؛ 29 شوال 979هـ / 14 مارس 1572م.

-82 **مهمة دفتري** 12، ص 563؛ 4 ذي الحجة 979هـ / 18 أفريل 1572م.

-83 **مهمة دفتري** 12، حكم 1003، ص159؛ 979هـ/1572م.



84- **مهمة دفتري** 12حكم 1004، ص 159؛ 979هـ /1572م.

85- **مهمة دفتري** 12حكم 1005، ص 159؛ 979هـ /1572م.

86- **مهمة دفتري** 12، حكم 1088، ص 571؛ 8 ذو القعدة 979هـ/ 22 مارس 1572م.

87- **مهمة دفتري** 12، ص 579؛ 8 ذو الحجة 979هـ / 22 أبريل 1572م.

88- **مهمة دفتري** 12، حكم 1074، ص 563؛ 4ذو الحجة 979هـ/17 أبريل1572م.

89- **مهمة دفتري** 12، حكم 1024، ص535؛ 25 شوال979هـ/10 مارس1572 م.

90- **مهمة دفتري** 14، ص 62؛ 27 محرم 979هـ / 21 جوان 1571م.

91- **مهمة دفتري** 14، حكم 284، ص 200؛ 3 صفر 979 هـ/ 27 جوان 1571م.

92- **مهمة دفتري** 14، حكم 390، ص 274؛ 17ربيع الأول 978هـ/ 19 أوت 1570م.

93- **مهمة دفتري** 14، حكم 826؛ 29 جمادى الأولى 978هـ/28 أكتوبر 1570م.

94- **مهمة دفتري** 14، حكم 625، ص 442؛ 22جمادي الأولى 978هـ/21 أكتوبر 1570م.

95- **مهمة دفتري** 14، ص 967؛ غرة ذي الحجة 978هـ / 25 أبريل 1571م.

96- **مهمة دفتري** 14، حكم 1532، ص1035؛ 10 محرم 979هـ/ 3 جوان 1571م.

97- **مهمة دفتري** 14، حكم 1571، ص 1067؛ 26 محرم 979هـ/ 19 جوان 1571م.

98- **مهمة دفتري** 14، حكم 1572، ص 1068؛ 26 محرم 979هـ/ 19 جوان 1571م.

99- **مهمة دفتري** 14، حكم 1584، ص1077؛ 16 محرم 979 /9 جوان 1571م.

100- **مهمة دفتري** 14، حكم 1597، ص1087؛ 18 محرم 979 /11 جوان 1571م.

101- **مهمة دفتري** 16، حكم 129، ص62؛ 1 جمادى الأولى 979هـ/20 سبتمبر 1571م.

102- **مهمة دفتري** 16، ص24؛ 23 جمادى الثانية 979هـ / 12 نوفمبر 1571م.

103- **مهمة دفتري** 16، ص 32؛11 جمادى الثانية 979هـ / 1 نوفمبر 1571م.

104- **مهمة دفتري** 16، حكم 129، ص 62؛ 4 جمادى الثانية 979هـ/ 23 أكتوبر 1571م.

105- مهمة دفتري 16، حكم 150، ص74؛ 4 جمادى الثانية 979هـ/ 23 أكتوبر 1571م.
106- مهمة دفتري 16، حكم 647، ص368؛ 9 جمادي الثانية 979هـ / 28 سبتمبر 1571م.
107- مهمة دفتري 17، ص 3 ؛ 25 محرم الحرام 979هـ / 17 جوان 1571م.
108- مهمة دفتري 18، حكم 24، ص 13؛ 27 رمضان 979هـ / 11فبراير 1572م.
109- مهمة دفتري 18، حكم 25، ص15، 27 رمضان 979هـ/11فبراير 1572م.
110- مهمة دفتري 18، حكم 287، ص 135؛ 19شوال 979هـ/4 مارس 1572م.
111- مهمة دفتري 18، ص 138؛ 20 شوال 979هـ/6 مارس 1572م.
112- مهمة دفتري 18، حكم 288، ص ص 135-136؛ 23شوال 979هـ/ 9 مارس 1572م.
113- مهمة دفتري 19، حكم 255 ، ص 119؛ 4 صفر980هـ /16 جوان 1572م.
114- مهمة دفتري 19، حكم 264، ص 123؛ 4 صفر980هـ/ 16 جوان 1572م.
115- مهمة دفتري 21، حكم 503، ص 211؛ 22 ذو القعدة 980 هـ/ 25 مارس 1573م.
116- مهمة دفتري 21، حكم 527، ص 220؛ 21 ذو القعدة 980هـ / 24 مارس 1573م.
117- مهمة دفتري 21، ص 217؛ 21 ذو القعدة 980هـ / 24 مارس 1573م.
118- مهمة دفتري 21، حكم 637، ص 266؛ 16 ذو الحجة 980هـ/18 أبريل1573م.
119- مهمة دفتري 21، حكم 639، ص267؛ 16 ذو الحجة 980هـ/1573م.
120- مهمة دفتري 21، حكم 640، ص267؛ 16 ذو الحجة 980هـ/18 أبريل1573م.
121- مهمة دفتري 21، حكم 645، ص 272؛ 22 ذو الحجة 980هـ/ 24 أبريل1573م.
122- مهمة دفتري 21 ، ص 226 ؛ 21 ذو الحجة 980هـ / 24 أفريل 1573م.
123- مهمة دفتري 21، حكم 509؛ 21 ذو القعدة 980هـ/24 مارس 1573م.
124- مهمة دفتري 21، حكم 526-527؛ 22 ذو القعدة 980 هـ /25 مارس 1573م.

125- **مهمة دفتري** 21، حكم 640، ص267؛ 16 ذو الحجة 980هـ/18 أبريل1573م.

126- **مهمة دفتري** 21، حكم 645، ص 272؛ 22 ذو الحجة 980هـ/ 24 أبريل1573م.

127- **مهمة دفتري** 22، حكم 252، ص 124؛ 5 ربيع الأول 981هـ/13 جويلية1573 م

128- **مهمة دفتري** 22، حكم 273، ص 136؛ 15 ربيع الأول981هـ/13 جويلية1573م.

129- **مهمة دفتري** 22، حكم 359، ص 186؛ 28 ربيع الأول981هـ/27 جويلية 1573

130- **مهمة دفتري** 22، حكم 360، ص ص 186-187؛ 28 ربيع الأول 981هـ/ 27 جويلية .1573

131- **مهمة دفتري** 22، حكم 418، ص 217؛ 14 ربيع الثاني981 هـ/12 أوت 1573م .

132- **مهمة دفتري** 22، حكم 419، ص218؛ 14 ربيع الثاني 981 هـ /12 أوت 1573م .

133- **مهمة دفتري** 22، حكم 656، ص 332؛ 15 جمادي الأول 981 هـ/11 سبتمبر .1573

134- **مهمة دفتري** 22، حكم 671، ص 339؛ 15 جمادي الأول 981هـ/11 سبتمبر .1573

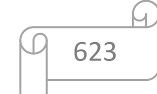
135- **مهمة دفتري** 23، ص 17؛ 27 شوال 981هـ / 19 فيفري 1574م.

136- **مهمة دفتري** 23 ، ص 86 ؛ 8 جمادى الأولى 981هـ / 5 سبتمبر 1573م.

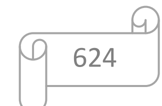
137- **مهمة دفتري** 23، حكم 632، ص 293؛ 23 شوال 981 هـ / 15 فيفري 1574م

138- **مهمة دفتري** 23، حكم 633، ص294؛ 23 شوال 981 هـ / 15 فيفري 1574م.

139- **مهمة دفتري** 23، حكم 634، ص294؛ 23 شوال 981 هـ / 15 فيفري 1574م



140- **مهمة دفتري** 23، حكم 660، ص 303؛ 28 شوال 981هـ / 20 فيفري 1574م.
141- **مهمة دفتري** 23، حكم 691،ص 313؛ 13 ذو القعدة 981 هـ/ 6 مارس 1574م.
142- **مهمة دفتري** 23، حكم 783، ص349؛ 18 ذو القعدة 981هـ/ 11 مارس 1574م.
143- **مهمة دفتري** 24، حكم 13، ص 5؛ ذي القعدة 981هـ / 9 مارس 1574م.
144- **مهمة دفتري** 24، ص 73؛ 5 ذو الحجة 981هـ / 28 مارس 1574م.
145- **مهمة دفتري** 24، ص 75؛ 15 ذو الحجة 981هـ / 7 افريل 1574م.
146- **مهمة دفتري** 24، حكم 156، ص 55 ؛ 29 ذو القعدة 981هـ/ 1573م.
147- **مهمة دفتري** 24، حكم 166، ص 59 ؛ 5 ذو الحجة 981هـ / 28 مارس 1574م.
148- **مهمة دفتري** 24، حكم 168، ص 60؛ 5 ذو الحجة 981 هـ / 26 فيفري 1574م.
149- **مهمة دفتري** 24، حكم 221، ص 82؛ 14 ذو الحجة 981هـ/ 1574م.
150- **مهمة دفتري** 24، حكم 246، ص 92؛ 14 ذو الحجة 981هـ / 6 افريل 1574م.
151- **مهمة دفتري** 24، حكم 278، ص 102؛ 14 ذو الحجة981هـ / 1573م.
152- **مهمة دفتري** 24، حكم 293، ص 107؛ 20 ذو الحجة، 981هـ/ 1573م.
153- **مهمة دفتري** 24، حكم 293، ص107؛ 20 ذو الحجة 981هـ/12 ابريل 1574م.
154- **مهمة دفتري** 25، ص 104؛ 13 ذو الحجة 981هـ / 27 أفريل 1571م.
155- **مهمة دفتري** 25، ص 105؛ 13 ذو الحجة 981هـ / 27 أفريل 1571م.
156- **مهمة دفتري** 25، ص 303؛ 8 رجب 981هـ / 13 نوفمبر 1572.
157- **مهمة دفتري** 25، ص 329؛ 5 شعبان 982هـ/ 20 نوفمبر 1574م.
158- **مهمة دفتري** 25، حكم 3113، ص 372 ؛ 27 شعبان 982هـ/11ديسمبر 1574-.
159- **مهمة دفتري** 25، ص 392 ، **بدون تاريخ.**
160- **مهمة دفتري** 25، ص 303؛ 8 رجب 982هـ / 23 أكتوبر 1574م.



161- **مهمة دفتري** 26، حكم 832، ص287؛ 15 رجب 982هـ/30 أكتوبر 1574م.

162- **مهمة دفتري** 26، حكم 834، ص288؛ 15 رجب 982هـ/30 أكتوبر981م.

163- **مهمة دفتري** 26، ص 287؛ 15 رجب 982 هـ/ 31 أكتوبر 1574م.

164- **مهمة دفتري** 26، ص 288؛ 15 رجب 982هـ/ 31 أكتوبر 1574م.

165- **مهمة دفتري** 26؛ 16 رجب 982هـ/31 أكتوبر1574.

166- **مهمة دفتري** 27، ص 239؛ 984 هـ/ 1576م.

167- **مهمة دفتري** 28؛ 26 رجب 984هـ/ 18 أكتوبر 1576.

168- **مهمة دفتري** 28، ص 23؛ 23 جمادى الثانية 984هـ /17 سبتمبر 1576م.

169- **مهمة دفتري** 28، ص 74؛ 25 رجب 984هـ / 18 أكتوبر 1576م.(هذه الرسالة وجهت باللغة العربية)

170- **مهمة دفتري** 28، ص 129؛ 25 رجب 984هـ / 18 أكتوبر 1576م.

171- **مهمة دفتري** 28، ص 146؛ 23 جمادى 984هـ / 18 أوت 1576م.

172- **مهمة دفتري** 28، ص 231؛ 25 رجب 984هـ / 18 اكتوبر1576م.

173- **مهمة دفتري** 28، ص 239؛ 25 رجب 984هـ / 18 أكتوبر 1576م.

174- **مهمة دفتري** 29، ص 85؛ 3 رجب 984هـ / 26 سبتمبر 1576م.

175- **مهمة دفتري** 30، ص 184؛ 5 ربيع الأول 985هـ/ 24 ماي 1577م.

176- **مهمة دفتري** 30، حكم 792، ص338؛ 14 ربيع الثاني 985هـ/ 1 جويلية 1577م.

177- **مهمة دفتري**31، ص 203؛ 9 جمادى الآخر 985هـ / 24 أوت 1577م.

178- **مهمة دفتري**31، ص207؛ 14 جمادى الثانية 985هـ/ 29 أوت 1577م.

179- **مهمة دفتري** 34، ص 105؛ 8 صفر 986 هـ/ 17 أفريل 1578.

180- **مهمة دفتري** 34، ص 112؛11 صفر 986هـ / 19 أفريل 1578م.

181- **مهمة دفتري**35، ص 110؛ 29 جمادى الأولى 986هـ /2 أوت 1578م.

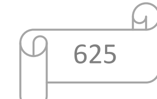
182- **مهمة دفتري**35، حكم314، ص122؛ 3جمادى الثانية 986 / 7 أوت 1578م.

183- **مهمة دفتري**35، ص177؛ 20 جمادى الثانية 986هـ / 24 أوت 1578م.

184- **مهمة دفتري** 36، ص68؛ 17 ذو الحجة 986هـ / 14 فيفري 1579م.

185- **مهمة دفتري** 36، ص 77؛ أواخر ذي الحجة 986هـ/ ما بين 17 و27 أوت 1578م.

186- **مهمة دفتري** 37، ص 159؛ 27 صفر 987هـ / 15 أفريل 1579م.



187- **مهمة دفتري** 40، ص 105؛ 12 شعبان 987ه / 4 أكتوبر 1579م.

188- **مهمة دفتري** 40، ص156؛ 20 شعبان 987/ 12 أكتوبر1579م.

189- **مهمة دفتري** 40، حكم 342؛ 987ه/ 3أوت 1579م.

190- **مهمة دفتري** 40، ص 209؛ 20 شعبان 987ه/ 12 أكتوبر 1579م.

191- **مهمة دفتري** 42، ص 85؛ غرة رجب 989ه / 1 أوت 1581م.

192- **مهمة دفتري** 42، ص 86؛ غرة رجب 989 ه/1 أوت 1581م.

193- **مهمة دفتري** 42، ص 140؛ 23 ربيع الأول 989ه / 28 أفريل 1581م.

194- **مهمة دفتري** 42، ص 239؛ 20 صفر 989ه / 26 مارس 1581م.

195- **مهمة دفتري** 42، ص 252؛ غرة ربيع الثاني 989ه / 5 ماي 1581م.

196- **مهمة دفتري** 44، ص 145؛ 23 محرم 991 ه / 16 فيفري 1583م.

197- **مهمة دفتري** 44، حكم 287؛ 991ه/ 16فيفري 1583م.

198- **مهمة دفتري** 44، ص 150؛ 28 محرم 991ه / 21 فيفري 1583م.

199- **مهمة دفتري** 46، ص 319؛ 12 محرم 990ه / 6 فيفري 1582م.

200- **مهمة دفتري** 46، ص 326؛ 1محرم 990ه / 11فيفري 1582م.

201- **مهمة دفتري** 47، ص 8؛ 18 صفر 990ه / 14 مارس 1582م.

202- **مهمة دفتري** 47، ص 18؛ 23 صفر 990ه / 20 مارس 1582م.

203- **مهمة دفتري** 47، ص 41؛ 7 ربيع الأول 990ه / 1 أفريل 1582م.

204- **مهمة دفتري** 47، ص 43؛ 7 ربيع الأول 990ه / 1 أفريل 1582م.

205- **مهمة دفتري** 52، ص 240؛ 19 محرم 992ه / 1 فيفري 1584م.

206- **مهمة دفتري** 52، ص271؛ 20 صفر 992ه / 3 مارس 1584م.

207- **مهمة دفتري** 58، ص224؛ 17 شعبان 993ه/ 14 أوت 1585م.

208- **مهمة دفتري** 61، ص 9 ؛ 3 رجب 994ه / 20 جوان 1586م.

209- **مهمة دفتري** 62، ص15؛ 19 ربيع الأول 995ه/ 27 فيفري 1587م.

210- **مهمة دفتري** 62، ص124؛ 12شوال 995ه/ 15 سبتمبر 1587م.

211- **مهمة دفتري** 62، حكم 5284، ص126؛ 4 شوال 995ه/ 7 سبتمبر 1587م.

212- **مهمة دفتري** 62، ص128؛ 15 شوال 995ه/ 18 سبتمبر 1587م.

213- **مهمة دفتري** 62، ص 189؛ 10 صفر 996ه / 10 جانفي 1588م.

214- **مهمة دفتري** 64، ص 113؛ 21 شوال 996ه / 13 سبتمبر 1588م.

215- **مهمة دفتري** 64، ص 113؛ 21 شوال 996ه / 13 سبتمبر 1588م.

216- **مهمة دفتري** 66، ص 11؛ غرة ذي القعدة 997هـ / 11 سبتمبر 1589م.

217- **مهمة دفتري** 67، حكم 362، ص 84 ؛ 25 ربيع الأول 999هـ / 21 جانفي 1591م.

218- **مهمة دفتري** 68، ص 15؛ 24 ذي الحجة 999هـ / 13 أكتوبر 1591م.

219- **مهمة دفتري** 69، ص18؛ 9 رجب 1001هـ/ 11 أفريل 1593م.

220- **مهمة دفتري** 69، حكم 271، ص135؛ 10 ذي القعدة 1000هـ/ 18 أوت 1592م.

221- **مهمة دفتري** 69، حكم 311، ص156؛ 20 ربيع الأول 1000هـ/ 5 جانفي 1592م.

222- **مهمة دفتري** 72، ص 191؛ 29جمادي الآخر 1002هـ / 22 مارس 1594م.

223- **مهمة دفتري** 72، ص 243؛ 4 شوال 1002هـ/ 23 جوان 1594م.

224- **مهمة دفتري** 73، ص 101؛ 17 شوال 1003هـ / 25 جوان 1595م.

225- **مهمة دفتري** 73، ص 340؛ 14 ذي الحجة 1003هـ / 20 أوت 1595م.

226- **مهمة دفتري** 76، ص 62؛ 9 جمادي الأولى 1016هـ / 2 سبتمبر 1607م.

227- **مهمة دفتري** 81، حكم 527؛ 15 شعبان 1033هـ/1جوان 1624م.

228- **مهمة دفتري** 98، حكم 233، ص 75؛ 10ربيع الأول 1100هـ/ أواخر جويلية 1689م.

229- **مهمة دفتري** 98، حكم 821، ص229؛ أوائل شوال 1100هـ/1 جانفي1689م.

230- **مهمة دفتري** 99، حكم 153، ص ص 35-36؛ أوائل ربيع الأول / أواسط ديسمبر 1689م.

231- **مهمة دفتري** 99، حكم 154؛ أوائل ربيع الأولى 1101هـ / أواسط ديسمبر 1689م.

232- **مهمة دفتري** 99، حكم 296؛ أوائل جمادى الأولى 1011هـ / أواسط فبراير 1690م.

233- **مهمة دفتري** 99، حكم 300، ص95؛ أوائل جمادي الأولى 1011هـ / أواسط فبراير 1690م.

234- **مهمة دفتري** 99، حكم 312؛ أوائل جمادي الأولى 1011هـ / أواسط فبراير 1690م.

-235 **مهمة دفتري** 99، حكم 296؛ أوائل جمادي الأولى 1011هـ / أواسط فبراير 1690م.

-236 **مهمة دفتري** 104، حكم 698؛ 29 جمادى الآخرة 1104هـ/ 6مارس1693م.

-237 **مهمة دفتري** 104، حكم 865؛ 20 رجب1104هـ/26 مارس 1693م.

-238 **مهمة دفتري** 104، حكم 898؛ 30 رجب 1104هـ/5 أفريل 1693م.

-239 **مهمة دفتري**104، حكم 968؛ 20 رجب 1104هـ/26 مارس 1693م.

-240 **مهمة دفتري** 105، حكم 265؛ 10 جمادى الأولى 1106هـ/26 ديسمبر 1694م.

-241 **مهمة دفتري** 105، حكم 410؛ 29 جمادى الأولى 1106هـ/14جانفي 1695م.

-242 **مهمة دفتري** 105، حكم 436؛ 10 جمادى الآخرة 1106هـ/12 فيفري 1695م.

-243 **مهمة دفتري** 111، حكم 2329؛ 29 ربيع الأول 1113هـ/2 سبتمبر 1701م.

-244 **مهمة دفتري** 119، حكم 1155؛ 20 شوال 1124هـ/19نوفمبر 1712م.

-245 **مهمة دفتري** 125، حكم 335؛ 10 ذي الحجة 1128هـ/24 نوفمبر 1716م.

-246 **مهمة دفتري** 125، حكم 597؛ 29 محرم 1129هـ/12جانفي 1717م.

-247 **مهمة دفتري** 14212، حكم 179، ص432؛ 961هـ/ 1554م.

-248 **مهمة دفتري** 889، حكم 656، ص167؛ بتاريخ 961هـ/ 1554 م.

-249 **دفاتر المتفرق**، رقم71، ص111؛ 23 محرم973هـ /25 جويلية 1565م.

-250 **MFB.6/1** بتاريخ 3 ربيع الأول 1101هـ/22 أفريل1689م.

-251 1 Ra 02 1112 3997 80 ..**C..TZ** بتاريخ 2 ربيع الأول 1112هـ الموافق ل 16 أوت 1700م.

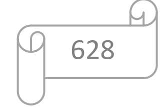
-252 **TSMA**.**E**.0576.0035.001.001

رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني، بتاريخ أوائل رمضان 948هـ/18 ديسمبر 1541م.

-253 **A.DVN. DVE. d, 901**

إبلاغ بكلربكي الجزائر أمر السلطان لأهالي مرسيليا بشأن انقيادهم للملك الفرنسي، بتاريخ غرة محرم 1004هـ/ 6 سبتمبر 1595م.

-254 **MFB, 6/1**



انضمام أسطول أوجاقات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب إلى الأسطول العثماني، بتاريخ 11ربيع الأول 1101هـ/ 22 ديسمبر 1689م.

255- C.HR, 4371

التعبير عن الامتنان بفتح قلعة وهران، بتاريخ 21 صفر 1121هـ/1 ماي 1709م.

256- خريطة الجزائر IMG-20191008-WA0009

257- خريطة المغرب الأقصىIMG-20191008-WA0008

258- خريطة تونسIMG-20191008-WA0011

259- خريطة جربة وجزء من ساحل طرابلس IMG-20191018-WA0007

3/الأرشيف الوطني التونسي:

1-رصيد **الوثائق الإسبانية، صندوق 2876، ملف 12**: المعاهدة الإسبانية التونسية (941هـ/1535م).

2-رصيد **الوثائق الإسبانية، صندوق 2876، ملف 14**، المعاهدة التونسية الإسبانية سنة (944هـ/ 1538م) بين ممثل شارلكان بصقلية والسلطان التونسي مولاي الحسن.

3-رصيد **الوثائق الإسبانية، صندوق 2876، ملف 16** المعاهدة التونسية الإسبانية سنة (953هـ/ 1547م)، ممضاة من طرف الإمبراطور شارلكان والسلطان التونسي أحمد الحفصي.

4-رصيد **الوثائق الإسبانية، صندوق 2876، ملف 18**،المعاهدة التونسية الإسبانية (954هـ/ 1548 م)، معاهدة هدنة لمدة سنتين بين الإمبراطور شارلكان والسلطان أحمد الحفصي.

5-رصيد **الوثائق الإسبانية، صندوق 2876، ملف19**: المعاهدة التونسية الإسبانية (956هـ/1550 م)، تنازلات/ استسلام، الهدنة لمدة ست سنوات متتالية في قلعة لاغوليتا في 28 ديسمبر من نفس العام، بين الإمبراطور شارلكان ونيابة عنه دون ألونسو دي ألوييا، وسلطان تونس مولاي أحمدالحفصي.

6-رصيد **الوثائق الإسبانية، صندوق 2876، ملف 21**. المعاهدة التونسية الإسبانية سنة (961هـ/ 1554م)، معاهدة باسم الإمبراطور شارلكان ومولاي الحسن.

7-رصيد **الوثائق الإسبانية، صندوق 5003، ملف 38**: المعاهدة الفرنسية الطرابلسية (1095هـ/1684م).

8-رصيد **الوثائق الإسبانية، صندوق 5003، ملف 38**: المعاهدة التونسية الفرنسية، معاهدة سلم وتجارة بين المارشال دستري والداي التونسي أحمد شلبي في 30 أوت(1405هـ/ 1985 م).

9-الدفتر رقم 2847، الاتفاق الحدودي بين إيالة تونس وإيالة الجزائر بتاريخ 05 ذو القعدة 1037هـ/1628م.

10-السلسلة التاريخية: بكرة عدد 027-الصندوق: 205-الملف: 58(1-10)، معاهدة مبرمة بين الباي حسين بن علي وملك فرنسا لويس الرابع عشر مجددة لامتيازات وشروط السلام بين البلدين بتاريخ 16ديسمبر1710 م.

11-مهمة دفتري رقم10، حكم رقم 253، ص 167؛25 شوال 979هـ/10 مارس 1572م.

12-مهمة دفتري رقم 10، ص 177، حكم رقم 268؛ ذو القعدة 979هـ/أبريل1572م.

13-مهمة دفتري رقم 10، حكم رقم 256، ص 170؛ 25 شوال 979هـ/10 مارس 1572م.

4/الأرشيف المغربي:

1-مديرية الوثائق الملكية: E492، رسالة من السلطان أحمد المنصور السعدي الى فليب الثاني ملك اسبانيا في (6 ذي القعدة 1003هـ/12 جويلية 1595م).

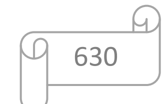
2- مديرية الوثائق الملكية: سجل 32240، بعد هزيمة البرتغاليين في معركة وادي المخازن والعثور في ميدان القتال على جثة ملكهم وقائدهم دون سباستيان، كتب ملك اسبانيا فليب الثاني إلى السلطان أحمد المنصور السعدي رسالة يلتمس منه السماحة بإرجاع جثة ملك البرتغال المذكور، فأجابه السلطان أحمد المنصور الى طلبه بالرسالة التالية المحفوظ أصلها بالمكتبة الوطنية بمدريد(مخطوط نمرة 257)، اسبانيا البرتغال بتاريخ : (الأحد2 رمضان 962هـ/2 نوفمبر1578م).

3-مديرية الوثائق الملكية: سجل 32362، شهادة تسليم جثة ملك البرتغال دون سباستيان قتيل معركة واد المخازن إلى حاكم سبتة البرتغالي بعد أن أنعم السلطان أحمد المنصور السعدي بإعادتها لتدفن في أرضه استجابة لرغبة ملك اسبانيا والبرتغال دون فيليب ، البرتغال بتاريخ: (الخميس 10 شوال 986هـ/ 10ديسمبر 1572م).

4-مديرية الوثائق الملكية: نسخة من كتاب السلطان أحمد المنصور إلى سلطان فرنسا في 18 رمضان المعظم عام 1004هـ/ 15 ماي 1596م.

ثالثا- الوثائق المنشورة باللغة العربية:

1- بيات فاضل: **البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، تق.خالد إرن، منظمة التعاون الإسلامي، مركز



الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول(إريسكا)، استانبول، 2019م، ج8.

2- تابليت علي: **معاهدات الجزائر مع بلدان أوربا والولايات المتحدة الأمريكية**، 2ج، منشورات ثالة، الجزائر، 2014م، ج1.

رابعا- الوثائق المنشورة باللغة الأجنبية:

- **T.C. Başbakanlık Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü Osmanlı Arşivleri Daire Başkanlığı Yayın** Nu: 115: Osmanli Belgelerinde Cezayir, Ankara, 2010.

- **T.C. Başbakanlık Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü Osmanlı Arşivleri Daire Başkanlığı Yayın** Nu 125, Osmanlı Belgelerinde, Trablusgarb, Istanbul,) 2013) .

-Plantet Eugène **: Les correspondances des deys d'Alger avec la cour de France, 1579-1833,** recueillie dans les dépôts d'archives des affaires étrangères, de la marine, des Colonies et de la chambre de commerce de Marseille et publiée avec une introduction, des éclaircissements et des notes attaché au ministère des affaires étrangères tome second (1579-1833), 2T, Paris, 1889 , T1.

-Charrière, Ernest **: Négociations de la France dans le levant,** Extrait de la correspondance de Rome et de Venise ,4t , Paris , (1848-1860), T1,T2 ,T3.

-De La Praimaudaie Elie**: «Documents inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique (1506-1574) »,** Arch. De Simancas – Estado, Lejejo 461, R.A, Alger, (t19, 1875) , (t20, 1876) (t21, 1877).

-Xivrey (B.de): **Recueil des lettres missives de Henri IV**, Paris, imp :Royale, MDCCCLIII , 6T, 1843-1876 , t6.

خامسا- المصادر العربية المعربة:

1. ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، مرا. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ج8.
2. ابن المفتي شاوش حسين رجب: **تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها**، دراسة. وتح. فارس كعوان، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009م.
3. ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد البلنسي: **رحلة ابن جبير**، تق. سليم بابا عمر، موفم للنشر، الجزائر، 1988م.

4. ابن جبير أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسي: **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، ط2، 1988م.
5. ابن حوقل أبو القاسم: **كتاب صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
6. ابن خلدون عبد الرحمن: **المقدمة**، دار القلم، بيروت، لبنان، ط7، 1989م.
7. ابن خلدون عبد الرحمن: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح. خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ/1988م، ج1.
8. ابن رجب الحنبلي: **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، تح. طارق عوض الله، 7ج، دار ابن الجوزي، ط1، 1996م، حديث (2635)، ج6.
9. ابن مريم أبو عبد الله محمد: **البستان في ذكر الأولياء العلماء بتلمسان**، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.
10. أبي داود: **سنن، كتاب الجهاد، باب فضل الغزو في الحرب**، إشرا. ومرا. صالح عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الشيخ، دار السلام للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، محرم 1420هـ/ أبريل، ط1، 1999م، ج3.
11. الإدريسي (أبو عبد الله): **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس: مقتبس عن نزهة المشتاق**، تح .وتق. وتع. العربي إسماعيل، ش. و.ن. ت، الطبعة 2، 1983م.
12. الادريسي(أبو عبد الله): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ، ج2.
13. الاصطخري: **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، لبنان، 2004 م، ج1.
14. الأفراني محمد الصغير: **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تح. عبد اللطيف الشاذلي، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1998م.
15. الامام مسلم: **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**، إشرا. ومرا. صالح عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم الشيخ، كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر، دار السلام للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، محرم 1420هـ/ أبريل 1999م، حديث، ط1، (1912)، ج6.
16. الأندلسي ابن غانم: **العز والمدافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع**، مخطوط المكتبة الوطنية، تحت رقم 1511.
17. بربروس خير الدّين: **مذكرات خير الدين بربروس**، تع. محمد درّاج، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر 2010م.

18. برتغالي: **وصف المغرب أيام عهد المنصور**، تر. عبد الرحيم بن حادة ، دار تينمل، مراكش، ط1، 1995م.

19. البكري أبو عبيد الله: **المسالك والممالك**، تح. جمال طلبة ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2003،1م، ج1.

20. البلاذري: **أنساب الأشراف**، تح، إحسان عباس، بيروت، جمعية المستشرقين الألمانية، 1400هـ/1979م، ج5.

21. البلاذري: **فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د. ط، 1988م.

22. بن الأزرق أبي عبد الله: **بدائع السلك في طبائع الملك**، تح. وتع: علي سامي النشار، 2ج، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1978م، ج2.

23. بن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الأدلة البينة النورانية من مفاخر الدولة الحفصية**، تح. وتق .الطاهر محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.

24. بن سعيد المغربي (ت685هـ): **كتاب الجغرافيا**، تح .وتعل. إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1970م.

25. بن ماجد أحمد: **ثلاث أزهار في معرفة البحار**، تح. ونش. تيودور شوموفسكي، تر محمد مدير مرسى، عالم الكتب، القاهرة 1969.

26. بن مسلم ابن قتيبة محمد أبو عبد الله: **الامامة والسياسة**، تح. طه محمد الزيني، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، (د. ت)، ج2.

27. بيير دان: **تاريخ بربريا وقراصنتها**، تر. حسن أميلي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، المغرب، 2019م.

28. التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد: **الرحلة**، تق. حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس2005م.

29. التمكروتي علي بن محمد: **النفحة المسكية في السفارة التركية**، تق. وتح. عبد اللّطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 2002م.

30. الجامعي: **فتح مدينة وهران**، تح. حساني مختار، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، 2003م.

31. جيرمان مويط: **رحلة الأسير مويط**، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، المملكة المغربية، د.ت.

32. حامد الغزالي أبو محمد بن محمد الغزالي: **الإحياء**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

33. الحنبلي ابن رجب: **فتح الباري في شرح صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير**، تح. طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، ط1، 1996م، حديث (2635)، ج6- ج7.

34. خليفة حاجي: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، تح. محمد حرب، تسنيم حرب، دار البشير، (د. م. ن)، 2017م.

35. خليفة حاجي: **تحفة الكبار في أسفار البحار**، مكتبة السيلمانية، اسطمبول.

36. خليفة حاجي: **فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار (فذلكة التواريخ)، (تاريخ ملوك آل عثمان)**، تح. وتقو وتر. الحواشي. سيد محمد السيد، (د.د.ن)، (د.م.ط)، (د.ط)، (د.ت).

37. الدمشقي أبي زكرياء أحمد بن محمد ثم الدمياطي المشهور بابن النحاس: **مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام(في الجهاد وفضائله)**،تح .ودرا. إدريس محمد علي ومحمد خالد اسطنبولي، دار البشائر الاسلامية، بيروت، ط3، 2002م،ج1.

38. الذهبي: **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، تح. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م، ج2.

39. رودريكس برناردو: **حوليات أصيلا(1508-1535م)، مملكة فاس من خلال شهادة برتغالي**، تع. أحمد بوشرب، الشركة الجديدة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007م.

40.

41. زكريا بن محمد بن محمود القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، (د.ط)، بيروت، (د.ت.ن) ج1.

42. سحنون (محمد بن سعيد التنوخي): **المدونة الكبرى**، مطبعة السعادة، مصر، 1323هـ، ج2.

43. الشافعي أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي: **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، تح. بوجمعة مكري وخالد زواري، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1،(1428هـ/2008م)، ج1.

44. الشريف الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

45. العياشي: **ماء الموائد (رحلته إلى ليبيا، طرابلس وبرقة)**، تح. سعد زغلول عبد الحميد وآخرون، منشأة المعارف، الإسكندرية.

46. الغبريني أبو العباس: **عنوان الدراية، فيمن عرف من المائة السابعة في بجاية**، تح. عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.

47. الفشتالي: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تح. عبد الكريم كريم، الرباط، 1972م.

48. القيرواني ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني: **المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس**، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1993م.

49. مارمول كربخال: **إفريقيا**، تع. محمد حجي وآخرون، 3ج، دار النشر للمعرفة، الرباط،دت،ج3.

50. مجهول: **غزوات عروج وخير الدين**، تعليق نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية، الجزائر، (د.ط)، 1930م.

51. المراكشي ابن عذارى: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح. ومرا. إحسان عباس، 4ج، دار الثقافة، لبنان، ط3، 1983، ج1.

52. المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح. أسعد داغر، دار الأندلس، بيروت، 1965م، ج1.

53. المقريزي: **المقفى الكبير**، تح. محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1427هـ/2006م، ج2.

54. مؤلف مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نش. وتعل. سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.

55. النهروالي المكي قطب الدين محمد بن لأحمد (917-990هـ): **غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة المسمى البرق اليماني في الفتح العثماني**، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1387هـ/1967م.

56. النووي يحي بن شرف: **رياض الصالحين**، تح. وتعل. شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1983م.

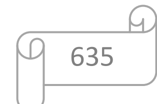
57. النيسابوري مسلم ابن الحجاج: **صحيح مسلم ،كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها** ، تح. رائد بن صبري ابن أبي علفة، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 2، 1436 هـ حديث (1742).

58. الوزان حسن بن محمد: **وصف إفريقيا**، تع. محمد حجي وآخرون، 2ج، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج2.

59. الونشريسي: **المعيار المعرب، والجامع المغرب، عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، تح .محمد حجّي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ج8.

سادسا- المصادر الأجنبية.

1- Brèves (S. de): **Relation des voyages de M. de Brèves tant en Grèce… qu'aux royaumes de Tunis et d'Alger**, N. Gasse, Paris, 1628.



2- Brèves (S. de): **Relation des voyages de M. de Brèves tant en Grèce… qu'aux royaumes de Tunis et d'Alger**, N. Gasse, Paris, 1628.

3- Dapper (D,O)**: Description de l'Afrique contenant les noms et la situation …Avec des cartes des états des provinces et des villes**, traduite de flamand, Amsterdam, Wolfgang, 1686.

4- Fray Diego De Haedo: **Topographie et Histoire générale d'Alger**, traduit de l'Espagnol par MM. le Dr. Monnereau et A. Berbrigger, in R.A, 1870, n14.

5- Fray, diego de Haedo : **« Histoire des Rois d'Alger »**, Trad. par H.D. Grammont, R.A, t24, 1880.

6- Fray, Diego de Haedo: **Histoire des Rois d'Alger**, traduit et annoté par Henri de Grammont, éditions, G.A.L, Alger, 2004.

7- Gonzales, A:**Voyage en Egypt. du Père Antonius Gonzales 1665-1666**, trad. Du néerlandais, présenté et annoté par Ch. Libois S.J. 1er vol. Publications de l'Institut Français d'archéologie orientale, Paris, 1977.

8- Jacque Auguste De Thou: **Histoire universelle**, Londres,1734, T5.

9- P. Dan : **Histoire de la barbarie et de ces corsaires (du royaume et des villes d'Alger, de Tunis, de Tripoli et de Salé)**, second édition. Chez Impirimeur et libraire ordinaire du roi, Paris, 1649.

10- Peyssonnel (J.A) et Desfontaines: **voyage dans les régences de Tunis**

11- Piri Reis: **Kitab-I Bahriye**, Baskiya hazirlayan Yavuz Senemoglu, Tercuman, 1001 Temel eser yayinlari, Istanbul, 1973.

12- Rycaut -Paul, Knolles- Richard : **The Turkish history**, London, 1687.

13- Turbet- Delof, **la presse périodique française Barbaresque au XVII siècle (1611-1715)**, Librairie Droz, Genève, 1973.

سابعاً- المراجع العربية والمعربة:

1. ابن العنابي: **السعي المحمود في نظام الجنود**، تح. محمد بن عبد الكريم (م.و.ك)، الجزائر.
2. أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ش. و.ن. إ، الجزائر، ط2، 1981م.
3. أبو عُبيَّة طه عبد المقصود عبد الحميد: **موجز عن الفتوحات الإسلامية**، دار النشر للجامعات، القاهرة، د. ط، د.س، ج1.

4. أبو مدينة حسن مسعود: **جغرافيا ميناء طرابلس**، دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع، مصراتة – ليبيا، ط1، 2005م.

5. أبو راس الناصري محمد بن أحمد: **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تق وتح. محمد غانم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2005، ج1.

6. الأرقش دلندة وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ميدياكوم، تونس، 2003م.

7. الأعرج أبو عبد الله: **تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الأمير عبد القادر (عن كتاب الشماريخ القسم الثاني، وجزء من القسم الثالث)**، تح. حساني مختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

8. الألباني ناصر الدين محمد: **صحيح الترغيب والترهيب**، 3ج، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000م، حديث (1319)، ج 2.

9. ألتر عزيز سامح: **الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا**، تع. محمود علي عامر ، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989م.

10. أميلي حسن: **الجهاد البحري في مصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر**،دار أبي رقراق، الرباط، ، ط1، 2006م.

11. أميلي حسن: **المغاربة والمجال البحري في القرنين 17و18م**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ، 2011م.

12. إيتورى روسي: **طرابلس تحت حكم الإسبان وفرسان مالطا**، تر. خليفة محمد التليسى، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ط 1، 1969م.

13. إيتوري روسي: **ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة1911**، تر. خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، ط2، 1991م.

14. إيفانوف نيقولاي: **الفتح العثماني للأقطار العربية (1516–1574م)**، تع. يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2004م.

15. الباروني عمر محمد: **الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس**، مطبعة ماجي، ليبيا، ط1،1953م.

16. بالطيب عبد اللطيف: **أمير البحر مراد رايس الأصغر الجزائري–من الجزائر إلى إيرلندا**، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2014.

17. بحيري يامنة: **المعنى الظريف في تاريخ شرشال الحديث**، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، 2017م.

18. بركات وفيق: **فن الحرب البحرية في التاريخ الإسلامي**، منشورات جامعة دحلب، معهد التراث العلمي العربي، حلب، د. ط، 1995م.

19. بروشين نيكولاي إيليت: **تاريخ طرابلس من منتصف القرن السادس عشر إلى غاية القرن العشرين**، تر .وتق. عماد حاتم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط2، 2001م.

20. البشروش توفيق: **جمهورية الدايات في تونس(1591-1675م)**، مجموعة أيام الناس، شركة أوربيس، تونس، 1992م.

21. بعيو مصطفى عبد الله: **دراسات في التاريخ اللوبي الأسس التاريخية لمستقبل لوبيا**، مطابع عابدين، الجمعية التاريخية لخرجي كلية الآداب، الإسكندرية، 1953م.

22. البكري أبو عبيد الله: **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، مطبعة أمريكا والشرق، باريس، 1965.

23. بلحميسي مولاي: **البحر والعرب في التاريخ والأدب**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2005م.

24. بلحميسي مولاي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.

25. بلغيث محمد الأمين: **فصول في التاريخ و العمران بالمغرب الإسلامي** ، منشورات أنترسيني، الجزائر، ط1، 2007م.

26. بلقاضي الدين، بن حموش مصطفى: **تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفيلوكس**، موفم للنشر، 2007م.

27. بلمقدم رقية: **البحر في تاريخ المغرب**، د. ط، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المغرب، د.ت .

28. البلوشي علي مسعود: **تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهد العثماني والقرمانلي**، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، الجماهيرية العربية الليبية، 2009م.

29. بن أبي عامر أحمد: **الدولة الحفصية**، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974م.

30. بن أحمد بن محمد فايع عبد الرحمان:**فقه أحكام البحر**، دار بن حزم للنشر والطباعة والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية ودار الأندلس الخضراء، بيروت ، لبنان، ط1، 2000م.

31. بن حمادوش عبد الرزاق الجزائري: **الرحـــلة، المسماة لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال**، تق وتح وتعل. أبو القاسم سعد الله، ش .و. ن. ت، الجزائر، 1983م.

32. بن حموش مصطفى أحمد: **المدينة والسلطة في الإسلام**، نموذج الجزائر في العهد العثماني، دار البشائر، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دمشق، 1999م.

33. بن خروف عمار: **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن (10هـ /16م)، 2ج**، دار الأمل، الجزائر، 2006، ج1.

34. بن سيدة: **المخصص**، تح. لجنة التراث العربي، دار الآفاق، بيروت، (د. ت)، ج3.

35. بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي: **خطط الشام**، مكتبة النوري، دمشق، ط3، 1403هـ/1983م، ج1.

36. بن موسى تيسير: **المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني (دراسة تاريخية اجتماعية)**، الدار العربية للكتاب، 1988م.

37. بن نفيع العلياني علي: **أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه**، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1985م.

38. البنزرتي هشام: **سوسة جوهرة خالدة من الفتح الاسلامي الى الحرب العالمية الثانية** ،المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر، 2013م ، تونس.

39. بنوجيت يوسف: **قلعة بني عباس إبان القرن السادس عشر للميلاد**، تع. سامية سعيد عمار، تق. محفوظ قداش، دحلب، الجزائر، 2007م.

40. بيرم الخامس محمد: **صفوة الاعتبار بمستودع الامطار و الأقطار**، ج2 ، المطبعة الاعلامية، مصر، ط1، 1302هـ.

41. بوبكر محمد السعيد: **العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن (1119هـ-1206هـ/1708م-1792م)**، بيت الحكمة، الجزائر،2015م.

42. بوحمشوش نعيمة: **مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر**، مجموعة دراسات تحت اشراف ناصر الدين سعيدوني.

43. بورويبة رشيد: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م.

44. بوعزيز يحي : **مدينة وهران عبر التاريخ**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

45. بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر**، 3 ج، د.م.ج، الجزائر، ط2، 2009م.

46. بوعزيز يحي: **علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوربا (1500-1830)**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر،1985م.

47. بيات فاضل: **الدولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية**، بيروت، ط 1، 2007 م.

48. بومهلة تواتي: **بجاية حاضرة البحر ونادرة الدهر**، مرا. أحسن بومالي، دار المعرفة، الجزائر، 2010م.

49. التلمساني محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني بن رقية: **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، نشر. وتعل. خير الدين سعيدي الجزائري، أوراق ثقافية، الجزائر، ط1، 2017م.

50. التميمي عبد الجليل: **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن 16م**، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ماي 2009م.

51. التميمي عبد الجليل: **الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني**، جمع وتق. عبد الجليل التميمي، الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، ط1، 1984م

52. ج ، أو، هابنسترايت: **رحلة العالم الألماني ج.او. هاينسرايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145-1732م)**، تر. وتق. وتعل. ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008م.

53. جحيدر عمار: **آفاق ووثائق في تاريخ ليبيا الحديث**، الدار العربية للكتاب، ط1، الإسكندرية، 1991م.

54. الجزائري بن حمادوش عبد الرزاق: **رحلة، المسماة "لسان المقال في النبإ عن النسب والحال**، تق. وتح.وتع د.أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية – المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م

55. الجزائري محمد بن ميمون: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية**، تق. وتح. محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م.

56. جعفر بن أحمد الناصري: **سلا ورباط الفتح، أسطولهما وقرصنتهما الجهادية**، تح. أحمد بن جعفر الناصري، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،2006م، ج3.

57. جلول ناجي: **التحصينات الساحلية العثمانية في إيالة تونس من القرن 16 الى 19 م**، ج1 تقديم الاستاذ الدكتور عبد الجليل التميمي منشورات: مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات (زغوان) مارس 1995م.

58. الجمعي عبد المنعم: **الدولة العثمانية و المغرب العربي، دار الفكر العربي**، القاهرة، 2007م.

59. الجميعي عبد المنعم: **الدولة العثمانية و المغرب العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007م.

60. الحراري عبد السلام محمد: **الجهاد البحري في ليبيا من 1551 إلى1711م**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2012م.

61. حركات إبراهيم: **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2009م، ج2.

62. حركات إبراهيم: **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004م. ج3.

63. حساني مختار: **تاريخ الدولة الزيانية**، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2009 م، ج 1.

64. حليمي عبد القادر: **جغرافية الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1968م.

65. حليمي عبد القادر: **مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م** ، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، ط1، 1972م.

66. الحموي محمد ياسين: **تاريخ الأسطول العربي**، مطبعة الشرقي دمشق، (د. ط)، 1945م.

67. الحميرى محمد ياسين: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح. إحسان عباس، دار النشر، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1980م، ج1.

68. حنيفي هلايلي: **أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ط)، 2010م.

69. حنيفي هلايلي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2008م.

70. حنيفي هلايلي: **بنية الجيش خلال العهد العثماني**، سلسلة تراث الجزائر الحديث، الجزائر، ط1، 2007م.

71. خلاصي علي: **الجيش الجزائري في العصر الحديث**، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر،2007م.

72. خلاصي علي: **القلاع والحصون في الجزائر**، مطبعة الديوان، الجزائر، ط1، 2008م.

73. الخلف سالم بن عبد الله: **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ/2003م، ج2.

74. خنوف علي: **تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا** ، منشورات الأنيس، الجزائر، ط1، 2011م.

75. خوجة حمدان بن عثمان : **المرآة**، تح. محمد العربي الزبيري، (ش. و. ن. ت)، ط2.

76. خوجة مصطفى: **تاريخ فزان**، تح. حبيب وادعة الحسناوي، د ط، م م ج ل د ت، 1979م.

77. الخباط عبد الله خليفة: **العلاقة السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا 1795-1832م**، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1985م.

78. د.لويس أرشيبالد: **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط(500-1100م)**، تع. أحمد محمد عيسى، مرا وتق. محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية.

79. الدازي الحفيظة: **التاريخ البحري**، د. ط، جامعة ابن طفيل، المغرب، 2020م.

80. داودي داود بن محمد: **العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى ودول الغرب أوربا المتوسطية خلال القرن 10هـ/16م**، مطبعة الآفاق، غرداية الجزائر،2017.

81. دحماني سعيد: **عنابة فن وثقافة**، وزارة الاعلام، الجزائر، دت.

82. دحماني سعيد: **من هيبونة–بونة إلى عنابة–تاريخ تأسيس قطب حضري**، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2007م.

83. دراج محمد: **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس(1512-1543م)**، تص. ناصر الدين سعيدوني، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012م.

84. دراج محمد: **الجزائر في المصادر العثمانية، دراسة للمصادر ونصوص مترجمة من التركية العثمانية إلى العربية**، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.

85. الدقس سلامة: **الجهاد في سبيل الله**، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، بيروت، ط2، 1409هـ/ 1988م.

86. دي اغسطيني هنريكو: **سكان ليبيا**، تر وتح. خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، د م ط، د ت ط، ج1.

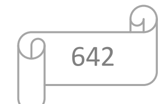
87. الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تق .وتح. المهدي البوعبدلي ، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013.

88. رزوق محمد: **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16و17م**، دار البيضاء، المغرب إفريقيا الشرق، ط3، 1998م.

89. روبار برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، من القرن 13إلى نهاية القرن 15م، تع. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ج2.

90. روجي كواندرو: **قراصنة سلا**، تر. محمد حمود، نشر بمساهمة المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب،1991م.

91. الزاوي الطاهر: **ولاة طرابلس من بداية الفتح إلى نهاية العهد التركي**، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، السيد محمد الرماح، ليبيا، ط1، 1970م.



92. الزبيري محمد العربي: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792–1830م**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984م.

93. الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ط1، 1872م.

94. زفاي جستيفان: **ماجلان قاهر البحار**، تر. حبيب باماتي، دار الهلال، مصر، 1951م.

95. الزهار أحمد ابن علي النقيب: **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، تح. أحمد توفيق المدني، ش. و. ن .ت، الجزائر، ط2، 1980م.

96. الزهار أحمد الشريف: **مذكرات أحمد الشريف الزهار**، تر. أحمد توفيق المدني، الجزائر، 1974م.

97. الزياني محمد بن يوسف: **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح. وتق. المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م.

98. سالم عبد العزيز والعبادي أحمد مختار: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار النشر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1969م.

99. سالم علي الحجاجي: **ليبيا الجديدة**، مؤسسة السريعة، طرابلس، ليبيا، ط2، 1970م.

100. السامرائي خليل إبراهيم وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ج1.

101. سبنسر ويليام، **الجزائر في عهد رياس البحر**، تع. وتق عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر 2006م.

102. السحيمي عبد السلام: **الجهاد في الإسلام مفهومه، ضوابطه، أنواعه، وأهدافه**، مكتبة دار النصيحة، السعودية، دار المدينة المنورة، مصر، ط1، 2008م.

103. السرّاج محمد الوزير: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تق وتح. محمد الحبيب الهيلة، 3ج، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت1985م، ج2.

104. سرهنك إسماعيل: **حقائق الأخبار عن دول البحار**، مطبعة الأمير بيوتات، مصر المحمية، مصر، 1825م، ج1.

105. سعد الله أبو القاسم: **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2005، ج2.

106. سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)**، الإسكندرية، منشأة المعارف،1993م، ج1.

107. سعيدوني ناصر الدين: **الشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ**، وزارة الثقافة والسياحة المؤسسة الوطنية للكتاب.

108. سعيدوني ناصر الدين: **دراسات أندلسية**، البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، 2013م.

109. سعيدوني ناصر الدين: **ظاهرة التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر** ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م.

110. سعيدوني ناصر الدين: **ورقات جزائرية**، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012م.

111. سعيود إبراهيم: **الأسرى المغارب في إيطاليا خلال الفترة الحديثة من القرن 16 إلى القرن18م، ومن القرن 10هـ إلى القرن 12هـ (دراسة في أوضاعهم الاجتماعية في ضوء الوثائق الإيطالية)**، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2020م.

112. السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى**، تح. وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري،5ج، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1955م، ج3.

113. السيد محمود: **تاريخ إفريقية القديم والحديث**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006 م.

114. السيد محمود: **تاريخ دول المغرب العربي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م.

115. الشابي علي: **عرفة الشابي رائد النضال القومي في العهد الحفصي**، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1982م.

116.

117. شارل أندريه جوليان: **تاريخ افريقيا الشمالية**، ترجمة محمد مزالي، والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر،2ج، تونس ط2، 1983م، ج2.

118. شارل فيرو: **تاريخ جيجلي**، ترجمة عبد الحميد سرحان، الورسم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

119. الشافي محمد عبد اللطيف: **السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي**، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ، ج1.

120. شوقي عبد الكريم: **الاستخبارات الجزائرية في العصر الحديث897-1246هـ/1492-1830م**، دار هومة، ط1، 2017م.

121. شوكت محمود: **التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة 1825**، تر. محمود عامر، دار طلاس للدراسات، ط1، 1988م.

122. شويتام أرزقي: **دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي1519-1830م**، دار الكتب العربي للطباعة، القبة الجزائر، ط1، 2007م.

123. الصادق بوبكر: **البحر المتوسط في عيون التونسيين**، تر. بسام حجار، في كتاب المتوسط التونسي، مؤسسة كوبراد أديناور، بيروت، 2003م.

124. الضياف بن أبي أحمد: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، 3ج، النشرة الثانية، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، تونس والجزائر، 1977، ج2.

125. الطويل محمد سعيد: **البحرية الليبية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي** ،منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، ط3، 2012م.

126. عباد صالح: **الجزائر تحت الحكم التركي، 1514-1830**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر 2005، 2012م.

127. عبادي وسالم: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1969م.

128. عباس إحسان: **العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب**، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1975م، ج1.

129. عبد القادر نور الدين: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء الحكم التركي**، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.

130. عبد اللطيف عبد الشافي محمد: **السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي**، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ، ج1.

131. عبد المجيد قدوري: **المغرب وأوروبا ما بين القرنين 15 و18م**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2012م.

132. عبد المنعم محمد حسين محمد: **مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري**، مؤسسة شباب الجامعة، د. ط، الاسكندرية، 1993م.

133. عبد الناصر ياسين: **الأعلام البحرية تاريخها ومهامها وتصاويرها في المخطوطات والفنون الإسلامية**، ج1، مكتبة زهراء الشرق مصر 2008م.

134. عبد الوهاب حسن حسني: **خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، ط3، 1373 هـ.

135. عبد محمد سوادي وعمار صالح الحاج: **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، مكتب المعري للنشر وتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، ط1، 2004م.

136. عبده عبد الله كامل موسى: **دراسات في الحضارة والآثار الإسلامية في ليبيا**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2002م.

137. العدوي إبراهيم أحمد: **الأمويون والبيزنطيون**، البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية.

138. العروسي محمد المطوي: **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط 2، 1986م.

139. العروسي محمد المطوي: **السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

140. عز الدين عمر أحمد موسى: **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

141. العلياني علي بن نفيع: **أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه**، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1985م.

142. عمار عموره: **الجزائر بوابة التاريخ (الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى 1962)**، د.ط، دار المعرفة، الجزائر 2009، ج1.

143. العنابي محمد بن محمود: **السعي المحمود في نظام الجنود**، تق وتح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

144. عنان محمد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411هـ/1990م، ج4.

145. عويس عبد الحليم: **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.

146. الغاشي مصطفى عبد الله: **البحر الأبيض المتوسط في الاستراتيجية العثمانية" حالة القرن 16"، ندوة العثمانيين والعالم المتوسطي**، منشورات كلية الآداب بالرباط، المغرب، ط1، 2003م.

147. غانم محمد حافظ: **مذكرات في القانون الدولي العام**، دار النهضة، (د.ط)، 1972م.

148. الغرياني الصادق عبد الرحمن: **مدونة الفقه المالكي**، مؤسسة الريان، لبنان، ط1، 2002م، ج2.

149. الغزال بن المهدي: **نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد**، تح. إسماعيل العربي، (د . م. ن)، الجزائر، 1984م.

150. غطاس عائشة: **الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.

151. غلان جيرهاردفان: **القانون بين الأمم، مدخل الى القانون العام الدولي**، تر. وفيق زهدى، دار الافاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1980م، ج2.

152. فرنان بروديل: **المتوسط والعالم المتوسطي**، تع. مروان أبي سمرا، دار المنتخب العربي للدراسات للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993م.

153. فريد بك محمد: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح. إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط 9، 2003م.

154. فكاير عبد القادر: **الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910-1206هـ/1505-1792م)، دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

155. قاسم أحمد: **إيالة تونس العثمانية على ضوء فتاوي ابن عضوم (1574-1600م)**، تق. عبد الجليل التميمي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2004م.

156. القحطاني سعيد بن علي بن وهف: **الجهاد في سبيل الله**، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ط 1، 1436 هـ.

157. قدوري عبد المجيد: **المغرب وأوربا بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر(مسألة التجاوز)**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، المغرب الأقصى، 2000م.

158. القرضاوي يوسف: **فقه الجهاد دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط3، 2009م، ج3.

159. قنان جمال: **معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1987م.

160. قنان جمال: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500-1830)**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،1987م.

161. كاثكارت جيمس ليندر: **مذكرات أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب**. تر. اسماعيل العربي، د. م. ج. الجزائر 1982م.

162. كمال محمود جمال: **القرصنة في البحر المتوسط في العصر العثماني، دراسة تاريخية وثائقية**، تق. محمد عفيفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، 2015م.

163. كمالي إسماعيل: **سكان طرابلس الغرب**، تع. حسن الهادي بن يونس، الدار الوطنية للكتاب، 1997م.

164. كورين شوفالييه: **الثلاثون سنة لقيام مدينة الجزائر(1510-1541م)**، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية،2007م.

165. كولان جورج: **البارود عند المسلمين**، تر. لجنة دائرة المعارف الإسلامية، بيروت، لبنان، 1984م.

166. مارسيه جورج: **بلاد الغرب وعلاقاتها بالمشرق في العصور الوسطى**، تر. محمود عبد الصمد هيجل، مرا. مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الأنصار، الإسكندرية،1999م.

167. مالتسان هاينريش فون: **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، ج1، تر. أبو العيد دودو، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت.ن)

168. ماهر سعاد: **البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د. ت. ن).

169. متولي أحمد فواد: **تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي**، إتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2002م.

170. المدني أحمد توفيق: **حرب الثلاثمائة سنة**، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2007م.

171. المدني أحمد توفيق: **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1984م.

172. المدني أحمد توفيق: **محمد بن عثمان باشا داي الجزائر 1766م-1791م**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2010م.

173. المدني أحمد توفيق: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001م.

174. مروش منور: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني "العملة الاسعار والمداخيل**، جزئين، دار القصبة للنشر، الجزائر 2009، ج1.

175. المزاري الآغا بن عودة: **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تح. د. يحي بوعزيز، دار الغرب الاسلامي، ج1.

176. المشرفي عبد القادر الجزائري: **بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر**، تح. وتق. محمد بن عبد الكريم.

177. مقديش محمود: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، 2ج، تح. علي الزاوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ج2.

178. المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (القرصنة الأساطير والواقع)**، 2ج، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م، ج2.

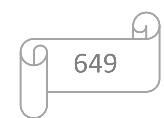
179. المهدي بن علي شغيب محمد: **أم الحواضر في الماضي والحاضر (تاريخ مدينة قسنطينة)**، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1980م.

180. مونتيسكيو: **روح الشرائع**، تع. عادل زعيتر، 5ج، دار المعارف، مصر، دت، ج2.
181. مؤنس حسين: **تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، (الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية)**، الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع 1993م.
182. الميلي محمد بن مبارك: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، 4ج، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م، ج3.
183. النائب أحمد بك: **المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب**، مكتبة الفرجاني، ليبيا، (د.س. ن).
184. نايت بلقاسم مولود قاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830** ، 2ج، دار البعث، الجزائر، ط1985،1، ج2.
185. النخيلي درويش : **السفن الاسلامية على حرف المعجم**، جامعة الاسكندرية، 1974م.
186. نعيم ياسين محمد: **حقيقة الجهاد في الإسلام** ، دار الأرقم، أنقرة، ط1، 1984م.
187. الهادي عبد الله أبو علجية محمد: **النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية (1711م-1835م) و أثره على علاقاتها بالدول الأجنبية**، جامعة قاريونس، بنغازي، 1997م.
188. ه

ينة عبد الحميد: **تونس العثمانية (بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر الى منتصف القرن التاسع عشر)**، أوتارتبر الزمان، تونس، ط2، 2016 م.
189. وولف جون: **الجزائر وأوربا (1500 – 1830م)**، تع. أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م.
190. يحي بوعزير: **الموجز في تاريخ الجزائر**، دار الطليعة للطباعة والنشر، الجزائر، 1965م، ج1.

ثامنا- المراجع الأجنبية:

1- (Ch.de) Rotalier: **Histoire d'Alger et la piraterie des Turcs dans la Méditerranée à dates du seizième siècle**, Paulin, 2T, Paris,1841, T1.
2- (CH.J) Hefele: **le Cardinale Ximenes et L'église d'Espagne**, trad. par: M. L'abbè A. sisson et M. L'abbè A. Crambon, 2^{éme}ed, J. B. Pèlagaud imprimeur-libraire, Paris, 1860.
3- Fernand Braudel **:Le Méditerranée et le monde Méditerrané à l'époque de Phlippe II,** Armand colin, Paris, 1966, T2.
4- Belhamissi Moulay **: Histoire de Mostaganem des origines à nos jours**, SNED, Alger, 1982.



5- Belhamissi Moulay: **Marine et marins d'Alger**, Bibliothèque nationale, 3ème édition, 2003, T 1.

6- Belhamissi Moulay : **Alger la ville aux mille canons**, E.N.A.L, Alger, 1990.

7- Belhamissi Moulay: **Alger, L'Europe et la guerre secrète 1518-1830**, éditions A.N.E.P, Alger, 2009.

8- Ben Mansour, A.H: **Alger en XVI, XVII Emme siècle**, Bastide, Paris, 1998.

9- Bodin (M):**Itinéraire Historique et légendaire de Mostaganem et de sa Région**, S, G, A, O, 193

10- Bono(Salvatore) ,**Siciliani Net Maghreb**,Roma,1992.

11- Brunot (L) : **La mer dans les traditions et indigènes Arabat et Salè**, Paris.

12- Charle Roux(F): **France et Afrique du Nord avant 1830. Les précurseurs de la conquête.** T.1.Lirairie Felix Alcan. Paris, 1932

13- Chaw (Dr): **voyages dans plusieurs provinces de la Barbarie et du Levant, contenant des observations Géographiques, physiques, philologiques et Melées sur les Royaumes d'Alger et de Tunis, sur la Syrie l'Egypte et l'Arabie Petrée**, Traduits de l'Anglois, A la Haye, 17, T 1.

14- Christiane Villain Gadossi, **La Méditerranée au 12-16è, siécles, relation maritimes diplomatiques et commercial,** Viriorum, London, 1983.

15- D. Steel and J. Millan**: A Collection of All The Marine Traites Subsisting between Great-Britain, Commencing in The Year 1546, and including the Definitive Treaty of 1763**, London: Charing-Cross, 1779.

16- De Grammont**: Relations entre la France et la régence d'Alger au XVII siècle**, quatrième partie, Alger, 1885.

17- De voulux Albert(A) : **Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger**, imprimerie du gouvernement, Alger 1852, éd. Bouslama, Tunis, 1981.

18- De voulux(A) : **Tachrifat, recueil de notes historique sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger**, imprimerie du gouvernement, Alger, 1852.

19- Duro Cesareo Fernandez: **Armada Espanola**, 4T, Museo Naval, Madrid 1972, T1.

20- El Corso(M), et De Plaza : **Oran et L'ouest Algérien au XVIIIè siècle, d'après le rapport Arambou**, Alger, 1978.

21- Ernest Charrière: **la Négociation de la France dans le levant**, Extrait de correspondance de Rome et de Venise, 4T, Paris, (1848-1860), t3

22- Ernest Mercier : **Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française**, T3.
23- Fernand Braudel **: les méditerranée et le monde méditerranée à**
24- Galibert Léon**: L 'Algérie Ancienne et moderne,** Paris, 1844.
25- Gines Perez de Hita**, Guerras Civilzes de Granada**, primera parte, Madrid, 1913.
26- Guarnieri(G) : **I Cavalieri di Santa Stefano**, Pisa, 1960.
27- H.De Grammont : **Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830)**, Ernest Leroux, editeur, Paris, 1887
28- Heers(Jacques) : **Les Barbaresques, la course et la guerre en Méditerranée XVI-XVI èmes**, pour l'histoire/ Perrin, Paris, 2001.
29- Henri De Grammont **: Relations entre la France et la régence d'Alger au 17 siècle. Les deux canons de Simon Dansa 1606-1628",** Alger, vol23in R.A, 1879
30- Henri Garrot : Histoire générale de l'Algérie, Imprimerie P.Crescenzo, Voutes Bastio
31- J.de Hammer: **Histoire de l'empire Ottoman depuis l'origine jusqu'à nos jours**, traduit de l'Allemand par J. J. Hellert, Bellizard, 19T, Paris, 1837, t6.
32- Jal(A) : **Archéologie navale**, Arthus Bertrand, éditeur, Paris, 1840, T 1.
33- James Wilson: **Stevenson historical and Geographical Account of Algiers, novel and interesting detail of events relative to American captives comprehending**,Aphiladelphia,August,1997
34- Jezegou (M.P): **Le gréement des navires catalans aux 14ème et 15èmesiecleactes du 3 ème congrès,** (i. e m. o), Tunis, 1981
35- Kurdoglu. F: **Kilic Ali Pasa**, Denis matbaasi, Istanbul 1932
36- Lieussou (A) : **études sur les ports de l'Algérie**, 2 édition, département de la guerre et de la marine, imprimerie Paul Dufond, Paris.
37- Michel Fontenay: **La place de la course dans l'économie portuaire**: **l'exemple de Malte -et des ports barbaresques**, in. A. E. S. C, n.6, 1988.
38- Mouloud Gaid: **L'Alger sous les Turcs**, ed. Mimouni, Alger, 1991.
39- Neji Djeloul : **Les Fortifications cotieres Ottomaines de la régence Tunis (xvi- xix siècles) (tome premier)- préface du prof** : Abdeljalil Temimi, Publication De La : Fondation Temimi Pour La Recherche L'information (F T E S) Zaghouan, Mars 1995.
40- Paul Masson: **Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique–barbaresque,**
41- Paul Masson: **Histoire du commerce Français dans le levant au XVII siècle**, Paris, 1896.

42- Paul Ruff : **Le comte d’Alcaudete et les prétendants au trône de Tlemcen dans La domination espagnole à Oran sous le gouvernement du comte d’Alcaudete**, (1998).
43- Pierre Boyer**: Alger en 1645 d’après les notes du R.P .Hérault**, in R.O.M.M, 1974.
44- Plantet Eugène**: Les consuls de France à Alger avant la conquête (1579 – 1832)**, -Hachette, Paris, 1930.
45- Rang Sander et Ferdinand Denis: **Fondation de la Régence d’Alger, Histoire des Barberousse**, 2T, Librairie de L'Eveche Oriental, 1837, t1.
46- Reptilus Carl. Historisk och politish beskrrifming oever riket och stade, Algiers them a 1516.tillochmed 1732.Stockholme, 1737.G2.
47- Rotalier (Ch, de): **Histoire d'Alger et la piraterie des Turcs dans la Méditerranée à dates du seizième siècle**, 2T, Paulin, Paris, 1841, T1.
48- Shaller William :**Esquisse de L’Etat d’Alger**, présentation de Claude Bontemps, édition Bouchène, Paris, 2001.
49- Si Amar Boulifa: **Le Djurdjura à travers l'histoire de l'antiquité à la période Coloniale,** Berti éditions, Alger, sd
50- Stanlay Lan-Poole: **The Story of the Barbary Corsairs**, G. P. Putnam’s Sons, New -York, 1890.
51- Tapie : **la conquête d’Oran e par les espagnoles en 1732,** Imprimerie Emile collet, Oran, 1923.
52- Uzuncarsili (I.H): Osmanli Develetinin mercezve bahriye teskilati, Turktarih Kurumu basimevi, Ankara, 1984.
53- Venteur de Paratis (J M) : **Alger au 18 siècle (1788 – 1790),** Imprimerie libraire Editeur,1898
54- Klein (H) :**les feuillets d’elDjezair**, hors-série, (volume récapitulatif) , 1937.
55- Zekeriyye Zade: **Ferah Cerbe Fetihnamesi, aciklamalarla yayina Hazirlayan ohron Sai Gokya**, Istambul, 1975.

تاسعا– المقالات والدوريات العربية:

1. إبراهيم منصور علي مفتاح: **تاريخ ليبيا الثقافي والديني والاجتماعي من خلال الرحالين العرب والأوربيين**، أطروحة دكتوراه، إشرا. إبراهيم مياسي، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006-2007م.
2. ابلايلي أسماء: **التحرشات الإسبانية على سواحل الجزائر خلال القرن 10هـ/16م، قراءة في الدوافع والنتائج**، في مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر ، ع2، 2017م.
3. بلحميسي مولاي: **تحرير مدينة وهران سنة 1708م**، في مجلة التاريخ وحضارة المغرب، الجزائر، ع.9.

4. بلحميسي مولاي: **صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك، مجلة الدراسات الأثرية**، معهد الآثار جامعة الجزائر، الجزائر، ع. 3، 1995 م.

5. بلحميسي مولاي: **غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر(948هـ/1541م) بين المصادر الإسلامية والمصادر العربية**، في مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ع.8، 1972م.

6. بلقاسم قرباش: **العلاقات الجزائرية الأنجليزية الأولى من منظور أنجليزي (1550–1620م)** ، جامعة معسكر، الجزائر، ب .ع.

7. بن أشنهو عبد الحميد: **الدور الذي لعبته الجزائر في القرن السادس عشر بالبحر المتوسط**، في مجلة الأصالة، الجزائر، ع.8.

8. بن سعيدان محمد: **جهود الداي محمد بكداش في تحرير وهران (1710–1707)**، في مجلة دراسات تاريخية، مجل.10، ع.02، 2022م،

9. بوحمشوش نعيمة: **التضامن بين إيّالة الجزائر والباب العالي أثناء القرن السادس عشر من خلال وثائق مهمّة دفتري**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ع .30، 2015م.

10. بوعبدلي مهدي: **أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط " الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**"، الأصالة، الجزائر، ع.8، ماي – جوان1972م.

11. التلمساني محمد بن عبد الرحمان: **الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة**، تح. سليم بابا في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، الجزائر، ع3، 1967م.

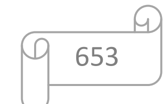
12. تمليكت هجيرة: **التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر في العهد العثماني حصن تامنفوست نموذجا**، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، مصر، مج17، ع1، 2016م.

13. التميمي عبد الجليل: " **الخلفية الدينية للصراع العثماني–الإسباني على الإيالات المغاربية في القرن السادس عشر**"، م.ت.م، ع. 10–11، تونس، 1978م.

14. التميمي عبد الجليل: **الخلفية الدينية للصراع العثماني–الإسباني على الإيالات المغاربية في القرن السادس عشر**، م.ت.م، ع 10–11، تونس1978م.

15. التميمي عبد الجليل: **الصراع بين قراصنة تونس والجزائر والبندقية في القرن السابع عشر**، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، تونس، ع. 4، جويلية 1975م.

16. التميمي عبد الجليل: **رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية المغربية في القرن 16**، المجلة التاريخية المغربية، تونس، ع.29–30، جويلية 1983م.



17. جدلة إبراهيم: **افريقيا والغزو البحري في العصر الوسيط (من القرن 4هـ /10م إلى القرن 10هـ /16م)، الندوة الدولية في موضوع"الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي**، المغرب-الرباط، سلا 30-31 مايو 1-2 يونيو 1997م.

18. جويبة عبد الكامل: **كرونولوجيا العلاقة الجزائرية العثمانية بين التقارب والاستراتيجية العسكرية والسياسية في حوض البحر المتوسط في كتاب الجزائر وتوازنات القوى البحرية غرب المتوسط خلال القرن 16م-دراسات تاريخية-** تح. وتق. علي العبيدي، النشر الجامعي الجديد، الجزائر،2018م.

19. جيروم فينار: **رؤية جديدة للقرصنة" تر. عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغاربية**، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، ع.13-14، 1979م.

20. حباسي شاوش: **أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر، تطوره الشكلي وتحليل مضمونه (الايديولوجي والسياسي) الوطني (1518-1945م)**، مجلة الدراسات التاريخية، مجل.6 ، ع.1 ، الجزائر، 1995م.

21. الحراري عبد السلام محمد: **العلاقات الطرابلسية الأوربية خلال القرن 17**، في مجلة فكر وإبداع ، نشر رابطة الأدب الحديث، مصر، أكتوبر 2018م، ج124.

22. الحمداني نهاية محمد صالح: **نشاط يهود ليبيا في العهد العثماني1551-1911م**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، ع 23، كانون الثاني 2016م.

23. حنيفي هلايلي: **مساهمة الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ العلاقات الجزائرية العثمانية في ظلّ وثائق خطّ همايون ودفتر مهم(1519-1830م)**، مجلة الحوار المتوسطي، الجزائر، مج 9، ع .2، 2018م.

24. خاطر مايا: **الإطار القانوني لجريمة القرصنة البحرية**، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، دمشق، المجلد 27، ع04، 2011م.

25. سالفاتور بونو: **العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي**، تر. أبو القاسم التومي، مجلة الأصالة، الجزائر، ع.6.

26. سرحان عبد الحليم: **نظرات حول السفن الحربية الجزائرية في العهد العثماني دراسة هستوريوغرافية**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، ع .09، جويلية 2015م.

27. السعداوي إبراهيم محمد: **مرسى صفاقس وحركة الجهاد البحري، حتى مطلع القرن التاسع عشر، في كتاب المدن المراسي في تاريخ المغرب-(صفاقس)**، تنسيق عبد المالك ناصري، أشغال الأيام الوطنية الثامنة عشر، للجمعية المغربية للبحث التاريخي، الدار البيضاء في 27-29 أكتوبر 2010م.

28. السعداوي محمد إبراهيم: **المدن و المراسي في تاريخ المغرب**، تنسيق. عبد المالك ناصري، أشغال الأيام الوطنية الثامنة عشر للجمعية المغربية للبحث التاريخي الدار البيضاء في 27-29 اكتوبر 2010م.

29. سعيدوني ناصر الدين: "**نظرة في التاريخ الموريسكي للجزائر خلال العهد العثماني**"، مجلة سرتا، قسنطينة، الجزائر، ع.3، 1980م.

30. سعيدوني ناصر الدين: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر، تونس، طرابلس الغرب) من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)**، قسم التاريخ ،حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الحولية 31، الكويت،(1431هـ/ 2010م).

31. سعيدوني نصر الدين: **الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني**، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع.34-35 ، 1976م.

32. سعيود إبراهيم: **القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة" القرصنة الإيطالية نموذجا**"، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي بغرداية، غرداية، الجزائر، ع.11، (رجب1432/جوان2011م).

33. سلامة عبد الحكيم: **التحصينات التونسية وتوظيفها، المجلة العربية للثقافة**، تونس، مج 26، ع 50، 2007م.

34. سلطان سعد سامي: **دراسة عن رسالة البابا جريجوري السابع إلى العاهل الحمادي الناصر بن علناس في عام (469هـ/1076م)**، في مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، ع.1، 1986م.

35. الشافعي درويش: **العلاقات التونسية الإسبانية مابين سنتي 1705و1735م بداية تأثير المصالح التجارية على الذهنية الدينية**، في المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، المجلد 12، ع 1، جويلية 2020م.

36. الشايب علي بن ساسي والبركي مصطفى: **تحصينات طرابلس الغرب من القرن السادس عشر إلى 1835: دراسة من خلال المصادر الأدبية التاريخية والنقائش التحليدية** ، في مجلة السبيل : مجلة التّاريخ والآثار والعمارة المغاربية [نسخة الكترونية]، عدد11، سنة 2021. الرابط : http://www.al-sabil.tn/?p=8076

37. شكري عبد الرحيم: **الصراع بين المغرب واسبانيا، خلال القرنين 16 و17، من خلال وثيقة تتعلق بالجهاد البحري والأسرى والعلوج**، في ندوة المغرب واسبانيا خلال القرن 17، تنسيق محمد صالحي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المغرب، 1997.

38. الصباغ ليلى: **عنابة بين اسمها وموقعها وعلاقاتها مع العالم المتوسط حتى الاحتلال الفرنسي**، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ع.34-35، 1997م.

39. العبيدي سمير عبد الرسول: **تأسيس الحكم القرمانلي (دراسة في تاريخ طرابلس الغرب أثناء العهد العثماني)**، مجلة آداب المستنصرية، ع.86، حزيران 2019م.

40. عجلان عامر حسن أحمد: **العمائر الحربية الأندلسية**، دورية كان التاريخية، مصر، ع.32، 1982م.

41. عزوز حكيم محمد: مارتين **قاعدة الجهاد البحري**، ع. 4-5، تطاوين، المغرب، مارس 1993.

42. فاطمة الزهراء سيدهم: **موارد إيالة الجزائر المالية في مطلع القرن التاسع عشر**، دورية كان التاريخية، ع.13، سبتمبر 2011م.

43. قدارة فاتح رجب: **الكراغلة في التاريخ الليبي الحديث والمعاصر**، في مجلة العرب والترك عبر العصور، كلية الأدب والعلوم الانسانية، جامعة الزاوية، مصر، 2013م.

44. قدوري الطاهر: **مسألة القرصنة أو الجهاد البحري في المغرب الإسلامي** -دراسة مقارنة -، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد، 2(جوان)1441هـ/2020م.

45. قدوري الطاهر: **مسألة القرصنة أو الجهاد البحري في المغرب الإسلامي-دراسة مقارنة**، مجلة عصور الجديدة، الجزائر، المجلد 10، ع .2، (1441هـ/ جوان2020م)..

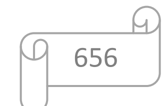
46. القفصي عبد الحكيم: **بنزرت والبحر في العصر الحديث، في كتاب بنزرت عبر التاريخ**، أعمال الندوة السنوية التاريخية لمدينة بنزرت دورتا سنة 1991وسنة 1992: نشر جمعية صيانة المدينة، بنزرت.

47. قويسم محمد: **الأوضاع الإقتصادية في وهران في العصر الوسيط (من خلال نصوص الرحالة العرب)**، مجلة الثقافة الإسلامية، الجزائر، ع 06، 2010م.

48. الكتاني علي المنتصر: **ثورة غرناطة الكبرى (1568- 1570م) التاريخ العربي، المغرب**،ع.6، خريف (1421هـ/2000م).

49. محجوبي زهرة: **أهم مراكز الصناعة البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني(1529-1830م) وتفاعلها مع جوانب الحياة**، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، ع. 1، جانفي 2019م.

50. محمد أمين: **القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن الثامن عشر**، في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، ع.21، سبتمبر 2000م.



51. مفتاح عثمان: **أبراج الجزائر القائمة–برج القنيطرة بالحراش نموذجا، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية**، مجلد3، ع.1، جانفي 2021م.

52. مقصودة محمد: **كراغلة إيالات المغرب، التماثل والاختلاف 1519-1881م**، في مجلة دراسات، جامعة وهران–بن بلة 1، ع. 1، مجل. 8، الجزائر، 2019م.

53. منيمنة حسين: **الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي مرحلة التأسيس**، في كتاب ندوة الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي أيام30-31ماي و1-2 يونيو1997م، جمعية أبي رقراق، اللجنة المغربية للتاريخ البحري، سلا–المغرب.

54. مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان: **أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518 -1830**، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة)، المج 5، ع 16، نيسان 2013م.

55. ناصر الدين سعيدوني: **صفحات من ماضي الجزائر المجيد البحرية الجزائرية**: ظروف نشأتها وعوامل تطورها وأسباب ضعفها، مجلة الدراسات التاريخية، ع 10، 1997م.

56. النظام زهراء: **العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط، في كتاب العثمانيون والعالم المتوسطي**، تنسيق عبد الرحمن المؤذن وعبد الرحيم بن حادة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ط.3، 2003م.

57. نمر علي حسن: **التدخل الإنجليزي في طرابلس الغرب خلال القرن السابع عشر**، مجلة جامعة ذي قار، ع. 2، أيلول 2008م.

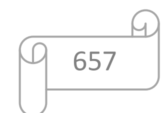
58. هاينريش فون مالستان: **بجـــــاية**، تر. أبو العيد دودو، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع19، 1995م.

59. وداعة الحسناوي حبيب:" **العلاقات السياسية بين طرابلس وجربة في القرن السادس عشر**"، أعمال الملتقى حول تاريخ جربة (أفريل 1982)، المعهد القومي للآثار والفنون، جمعية صيانة جزيرة جربة، تونس، 1986م.

60. يوسف إلهام، ولاء علي صقر: **الصراع الاسباني العثماني على تونس(941-982هـ/1534-1574م)**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، سوريا، مج. 40، ع.05، (22/10/ 2018م) .

عاشرا- المقالات والدوريات الأجنبية:

1. Berbrugger : « **Reprise d'Oran par les espagnoles en 1732**», R.A, 1864, T8.
2. Boyer, Pierre: «**Contribution à l'étude politique religieuse des tures dans la régence d'Alger**».in R.O.M.M, N°1, 1966.



3. Charles Féraud: «**Conquête de Bougie par les Espagnols, d’après un Manuscrit Arabe** », R.A, T12, 1868.
4. De Castellen : « **Relation contenant diverses particularité de L'expédition de Gigery**»,in Recueil historique contenant diverses pièces curieuses de ce temps Christophre van Dtck, Cologne,1666.
5. De Castrier: «**le Maroc d’autre fois, les corsaires de Sale**», Revue des deux Mondes, 1903.
6. De Sandeval: « **Les inscriptions d’Oran et Mers El-Kébir** », R.A, T9, 1865.
7. Delphin : « **Histoire des Pachas d’Alger** de 1515 à 1745– extrait d'une chronique indigène, traduit et annoté », in journal Asiatique, avril-juin 1922.
8. Grand Chanp(P) : « **Le Marechal Déstres devant Alger**», in R.T , 1918 .
9. Devoulx (A) : « **Alger, Etude archéologique et topographique sur cette ville, aux époques romaine (Icosium)**, arabe (Djezair Beni-Maz’renna) et Turque (El-Djezair), R .A, n28, 1878.
10. Fernand Braudel: **«Les Espagnoles et L'Afrique du Nord de 1492 -1577**», R.A, T 69, 1928.
11. H.D. De Grammont: « **Relation des préparatifs faits pour surprendre Alger»,** R.A, 1882, N 26.
12. Henri De Grammont : « **Relations entre la France et la régence d’Alger au 17 siècle. Les deux canons de Simon Dansa 1606-1628**», in R. A, 1879 , Alger, vol 23.
13. Jean Monlou: « **les Etats barbaresques, que sais – je**», Paris, 1964
14. Lafi, Nora : « **Salvatore, Bono, Corsarinel mediterraeo. Christianie musulmani fra, Guerra, Schiavitu e commercio**» in, Revue du Monde musulman et de la méditerrané Volume 68.n° 01, 1993.
15. Nizar Sayari, et Hichem Rejeb: « **Origine du paysage andalou dans le nord-ouest tunisien Testeur et son héritage morisque**», in cahier de la Méditerranée, 2009, V.79.
16. Pastemaldjoglou**:** «**Mers el Kebir historique et description de la forteresse**», in R. A, Alger, 1940, vol 84.
17. Watbled Ernest: «**L'expédition du duc de Beaufort contre Djidjelli en 1664**», in R.A, 1873
18. Xavier Labat, Vincent: **« La course et corso en méditerranée du XVI, au XIX siècle»** Revue clio, Aoùt 2002.

الحادي عشر- المذكرات والرسائل والأطاريح الجامعية باللغة العربية:

1- أبو القاسم السنوسي قنة محمد: **واحات الجفرة في العهد العثماني الثاني 1835-1911م (دراسة تاريخية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية)**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشرا. فيصل محمد موسى، جامعة النيلين، السودان، 2017م.

2- أكليل صالح: **سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة باتنة (2006-2007م.

3- أمين محرز: **الجزائر في عهد الآغوات1659-1671**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشرا. عائشة غطاس، جامعة الجزائر، 2007/2008م.

4- بليل رحمونة: **القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564م إلى 1830م**، أطروحة دكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، غير منشورة ، إشرا. دحو فغرور، قسم التاريخ وعلم الآثار بجامعة وهران، السنة الجامعية 2010-2011م.

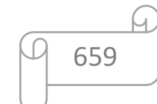
5- بن مصطفى إدريس: **العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية في عهد الدولة الزيانية**، رسالة ماجستير في التاريخ، غير منشورة ، جامعة أبو بكر بلقايد،تلمسان،2007م.

6- بوحسون عبد القادر: **الأندلس في عهد بني الأحمر 'دراسة تاريخية وثقافية ' (635 - 897هـ/1238 - 1492م)**،أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، غير منشورة ، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012 - 2013م.

7- بوحلوفة محمد الأمين: **إيالة الجزائر العثمانية ومملكة انكلترا، دراسة في العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية من 1620 إلى 1827م**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية، غير منشورة ، إشرا. بوركبة محمد، جامعة وهران، أحمد بن بلة، (2018-2019م).

8- بوزبوجة سميرة: **الطريقة السنوسية (1911-1951م)، وموقفها من قضايا العصر محليا، إقليميا، دوليا**، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، غير منشورة ، إشرا. فغرور دحو، جامعة وهران، 2018م.

9- بولصباع وهيبة: **العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينتي تونس وسلا كمراكز للجهاد البحري خلال القرنين 17و18م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، إشرا. أحمد صاري، 2013-2014م.



10- بيشي رحيمة: **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية (898 – 982هـ/1494 – 1574م)**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، غير منشورة ، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية،(2011-2012م).

11- تومي طاهر : **العلاقات الجزائرية الإسبانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر على ضوء المصادر المحلية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة ، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2014-2015 م.

12- تومي طاهر: **علاقات الإيالات المغاربية العثمانية مع اسبانيا مابين 1520-1792م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018-2019 م.

13- ثابت جميلة: **دور الأعلاج في العلاقات الجزائرية بين الجزائر ودول جنوب أوروبا خلال القرنين 10-11هـ/16-17م**، رسالة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث، غير منشورة ، المركز الجامعي غرداية، إشرا. عمار بن خروف،(2010-2011م).

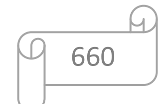
14- جمال أحمد حداد رشوان: **المنازل الأثرية في طرابلس الغرب في العصرين العثماني الأول والقرمانلي دراسة أثرية تاريخية**، رسالة دكتوراه فلسفة في الدراسات الإفريقية 1551-1835م، تاريخ حديث ومعاصر، إشرا. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وآخرون، غير منشورة ، جامعة القاهرة، مصر، 2015م، ج1.

15- جميل عائشة: **الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني1520-1830م**، أطروحة دكتوراه تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إشرا. صحرواي عبد القادر، غير منشورة ، جامعة سيدي بلعباس، 2017-2018م.

16- جودي إسماعيل: **الصناعة العسكرية في العهد العثماني 1518-1830**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، الجزائر، 2009 م.

17- حفيظة بوتوقوماس : **المجتمع التونسي خلال العهد الحسيني (1222-1250 هـ/ 1835-1882م)**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، 2017-2018م.

18- حمزاوي فضيلة: **تحصينات مدينة الجزائر في العهد العثماني نماذج مختارة دراسة أثرية ميدانية**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، غير منشورة ، كلية الآثار والأنتروبولوجيا، جامعة يرموك.



19- حمزة عبد الصمد: **أهل الذمة في الدولة الزيانية (633-692هـ/1235-1554م) دراسة سياسية، إقتصادية،اجتماعية و ثقافية**، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، غير منشورة ، جامعة وهران1، أحمد بن بلة، الجزائر، 2017م.

20- حمودي حنان: **الأسلحة و انواعها و استعمالاتها في إيالة تونس** ،رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في تاريخ و حضارة العالم المتوسطي، إشرا. جمال بن طاهر، غير منشورة ، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون الانسانيات بمنوبة، قسم التاريخ، 2003-2004م.

21- حالة خديجة: **الجاليات الاوروبية في الجزائرية إبان العهد العثماني 1700-1830**، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، أدرار (1433-1434هـ/2012-2013م).

22- خرنق مبروكة: **العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1605-1705م) سياسيا وتجاريا**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة ، المركز الجامعي بغرداية، (2011-2012م).

23- دجاجنة بوحفص: **الحملات العسكرية لدول غرب اوروبا المتوسطية على الجزائر 1145هـ-1732م/1246هـ-1830م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث، اشرا. مختار حساني، المركز الجامعي غرداية،1431-1432هـ/2010-2011م.

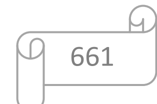
24- درياس لخضر: **المدفعية الجزائرية في العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه، الحلقة الثالثة، غير منشورة ، جامعة الجزائر، 1989-1990م.

25- دغموش كاملية: **قبائل الغرب الجزائري بين الإحتلال الإسباني والسلطة العثمانية (1509-1792م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة ، جامعة وهران، (2013م-2014م).

26- دكاني نجيب: **الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن (10هـ/16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة ، جامعة الجزائر،(2001م- 2002م) .

27- زيتوني حمزة إسحاق: **البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية(1519-1800م)**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، إشرا. عمار بن خروف، غير منشورة ، المركز الجامعي بغرداية، 2011-2012م.

28- سرحان عبد الحليم: **تطور صناعة السفن الحربية على عهد العثمانيين**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشرا. صالح بن قربة، غير منشورة ، جامعة الجزائر،2007-2008م.



29- سعيداني محفوظ: **الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغاربية في العهد العثماني (مقاربة تحليلية) مطلع القرن 18-12هـ إلى 1830م-1245هـ**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشرا. فلة موساوي قشاعي، غير منشورة ، جامعة الجزائر 2، 2011-2012م.

30- سعيود إبراهيم : **علاقات الجزائر بالدويلات الايطالية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشرا. مولاي بلحميسي، غير منشورة ، جامعة الجزائر، الجزائر، 1999-2000م.

31- سمير مشوشة: **الموارد البحرية للجزائر العثمانية خلال القرنين(11-12هـ/17-18م)**، رسالة دكتوراه علوم في التاريخ، إشرا. أحمد صاري، غير منشورة ، جامعة قسنطينة، 2018-2019م.

32- سي يوسف محمد: **قلج علي باشا و دوره في البحرية العثمانية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة ، إشراف. أبو القاسم سعد الله، جامعة الجزائر، 1988م.

33- الشافعي درويش: **العلاقات السياسية والتجارية بين تونس ودول غرب أوروبا المتوسطية خلال القرن 18 'مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية'**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، غير منشورة، إشرا. عمار بن خروف ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة غرداية،(2015 – 2016م).

34- الشافعي درويش: **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن (10هـ/16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، غير منشورة، إشرا. عمار بن خروف ، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، 2010 -2011م.

35- الشارف عديدة: **إيالة الجزائر والعلاقات الليبية الأمريكية 1795م-1810م**، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إشرا. شقرون الجيلالي، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، (2014-2015م).

36- الطويل محمد سعيد: **العلاقات السياسية التجارية بين ليبيا ودول غرب أوربا المتوسطية(1795م-1832م/1210هـ-1248هـ)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشرا. عمار بن خروف، غير منشورة ، جامعة الجزائر، (2007هـ-2008م).

37- عامر أحمد عبد الله حسن: **دولة بني مرين: تاريخها، وسياستها اتجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668-869هـ/1269-1465م)**، رسالة ماجستير في التاريخ، غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين،2003م.

38- عائشة محمة: **الأسرى الأوروبيون في مدينة الجزائر ودورهم في العلاقات بين الجزائر ودول الحوض الغربي للمتوسط خلال القرنين السادس والسابع عشر للميلاد**، مذكرة لنيل

شهادة الماجستير تخصص التاريخ الحديث، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية ، 2011- 2022م.

39- عبد الرحيم شكري: **العلوج بالمغرب خلال العهد السعدي، من خلال ملف خمسة علوج فرو ا من المغرب وقدموا أمام محكمة التفتيش بكناريا الكبرى**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الخامس، غير منشورة، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، السنة الجامعية 1999-2000.

40- العبيدي صالح: **البحر والنشاط البحري من خلال كتاب المعيار للونشريسي**، رسالة ماجستير في تاريخ العالم المتوسطي وحضارته اختصاص تاريخ وسيط، غير منشورة ، كلية الآداب والفنون والإنسانية بمنوبة، تونس، 2011م -2012م.

41- العزيزي محمد الحبيب: **ظاهرة الحكم المتجول في بلاد المغرب العربي الحديث** ،المحلة التونسية نموذجا، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، غير منشورة ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، (2006م-2007م).

42- عشي علي: **التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات(2-10هـ/8-16م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، غير منشورة ، جامعة باتنة، الجزائر،2017م.

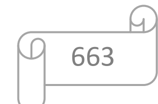
43- عطالي محمد الأمين: **نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية**، رسالة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث، إشرا. عمار بن خروف، غير منشورة ، جامعة غرداية،2011م.

44- غطاس عائشة: **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، إشرا. مولاي بلحميسي، غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 1984م.

45- فكاير عبد القادر: **الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن 16م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، غير منشورة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، (2000-2001م).

46- القحطاني سامي صالح: **غزو البحار، فضله، وأحكامه، وأشهر قادته المسلمين في القرن الهجري الأول**، رسالة ماجستير، قسم الدراسات الإسلامية بالجامعة الوطنية، إشرا. عبد الله بن قاسم الوشلي، غير منشورة ، اليمن، 2007م.

47- قربوط عائشة: **الأسرى والعبيد بالمغرب من القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن السابع عشر1415-1640**، مذكرة مكملة لنيل الدراسات العليا في التاريخ الحديث، إشرا.



مولاي هاشم العلوي القاسمي ، غير منشورة، ، جامعة ظهر المهراز، فاس، المغرب ، 1999-2000م.

48- قشاعي فلة: **الصحة والسكان في الجزائر في العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871م)**، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2003-2004م.

49- الكيلاني بسمة: **ميناء تونس بين منتصف القرن السادس والقرن الثامن هجري**، بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، اشرا. محمد حسن، جامعة تونس، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ،2006-2007م.

50- لكحل الشيخ : **نشاط وكالة الباستيون وأثره على العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال النصف الأول من القرن(17م/11هـ) (1604م-1659م/1013-1070هـ)**، رسالة ماجستير في التخصص الحديث، إشرا. إبراهيم سعيود، جامعة غرداية،(2012م-2013م).

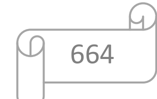
51- مايدي كمال: **السلطة والمجتمع بإيالة تونس خلال العهد الحسيني مقاربة سياسة اجتماعية**، أطروحة دكتوراه، تخصص التاريخ الحديث، إشرا. صالح بوسليم، جامعة غرداية، 2017-2018م.

52- مايدي كمال: **علاقات تونس مع دول أوروبا الغربية المتوسطية و تأثير البحرية في عهد حمودة باشا من 1782إلى 1814م**، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث ، إشرا. عمار بن خروف ، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة غرداية، السنة 1432هـ-1433هـ/2011م-2012م.

53- مفتاح عثمان: **طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية (920هـ -1514م/ 1246هـ -1830)**، دراسة أثرية معمارية، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو القاسم سعد الله، معهد علم الآثار، الجزائر، (2014م-2015م) .

54- مقصودة محمد: **أوضاع الكراغلة في الجزائر وتونس وليبيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة سوسيو تاريخية مقارنة**، رسالة دكتوراه، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إشرا. محمد دادة، جامعة وهران، (2018-2019م).

55- منصور علي مفتاح إبراهيم: **تاريخ ليبيا الثقافي و الديني و الاجتماعي من خلال الرحالين العرب والأوربيين**، أطروحة دكتوراه، إشرا. إبراهيم مياسي، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006-2007م.



56- ميلق عبد القادر: **تأثير ثورات الموركسيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الاسبانية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشرا. صالح بوساليم، جامعة غرداية 2012-2013م.

57- ميمن داود: **الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية تنظيمه وعدته(1518م-1830م)**، أطروحة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، إشرا. بويحياوي عز الدين، جامعة الجزائر"2"، 2016م.

58- نبيل عبد الحي رضوان: **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية،1987م.

59- نميش سميرة: **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (7ه – 10ه/13 –16م)**، رسالة ماجستير في تاريخ حضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان،2014م.

الثاني عشر- المذكرات والرسائل والأطاريح الجامعية باللغة الأجنبية:

1. Leila Meziane: **Salé et ces Corsaires (1666-1727) Un porte de la Course Marocaine au XVIII siècle**, Thèse Soutenue en1999 à Université de Rouen havre, Normandie, 2007.

الثالث عشر- المعاجم ودوائر المعارف العربية.

1- أ.جيل بريل: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ط1، ج12.

2- ابن منظور: **لسان العرب المحيط**، د ط، دار المعارف، بيروت، (1390ه)، ج1.

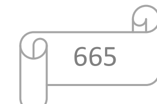
3- الباشا حسن: **موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية**، أوراق شرقية، بيروت، ج2.

4- بن العياشي محمد: **قضية استنجاد صلاح الدين الأيوبي بالموحدين**، آراء-وتحليلات/دراسات-وأبحاث/ يوم 2018/08/26م، على الساعة 23:16.

5- الحموي ياقوت: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م، ج1.

6- الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، ج1.

7- عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلاذ ي الحربي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1402ه/1982م، ج1.



8- عَلوي بن عبد القادر السقاف وآخرون: **الموسوعة التاريخية موجز مرتب مؤرخ لأحداث التاريخ الإسلامي منذ مولد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم حتى عصرنا الحالي**، موقع الدرر السنية، ج3.

9- الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، ضبط. يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، سوريا، 1995م.

10- الكسادي بدر بن أحمد: **القاموس البحري**، مرا. حسن صالح شهاب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2004م.

11- مجموعة من المؤلفين: **العرب والإستعمار الأوروبي في إفريقيا**، م 4، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، التاريخ الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008م.

12- مجموعة مؤلفين: **الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي**.

13- **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي** ج16، ج10.

14- وزيري يحي: **موسوعة العمارة الإسلامية** ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1999م.

الرابع عشر – المعاجم والقواميس الأجنبية.

1- -Nouvelle Biographie Générale depuis les temps les plus recules jusqu' à nos jour, 47T, M M. Firmin Didot Frères, Paris 1857, t1.

2- Dictionnaire, **Encyclopédie des Noms propres de la langue Française**, Hachette, Paris , 1991.

الخامس عشر – المواقع الإلكترونية.

-1 http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/2824 على الساعة 22:08 يوم 2018/8/25م.

الفهارس

1- فهرس الأعلام

2- فهرس الأماكن والبلدان

3- فهرس القبائل والجماعات

1- فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحات
أبا الحسن علي المنظري	523
أبا عبد الله محمد بن سليمان الجزولي	524
ابراهيم باشا	241 -397
إبراهيم بك	460
أبو العباس أحمد بن حدو	543
أبو حسون الوطاسي الباديسي	538- 501
أبو عبد الله	524
أبي عبد الله محمد	74- 249- 449
أبي فارس الحفصي	414
أحمد الحفصي	359- 454- 465
أحمد المنصور	536- 576- 612- 504
أحمد النقسيس	498
أحمد خوجة	565- 433- 470-
ألفونس	540- 523- 28- 524
ألكسندر السادس	66
أم حرام بنت ملحان	41- 43
الأمير لاندجراف دوزيا	470- 471
أميرة عورا	495
أندري دوريا	501- 181- 185- 191- 212- 215- 216- 238- 252- 255- 256- 409- 445- 446- 448- 451- 501.
أوشوا دارسيلا	436

الاسم	الصفحات
إيزابيلا(ملكة قشتالة)	51 4– 64– 68– 70– 72– 74
بابا حسن	242– 281– 283– 284– 285– 162
باكير بك	460
الباي مصطفى بوشلاغم	97– 98– 244– 247– 249
برنردان أودا	473
البرنوسي	538
بطليموس	414
بورتوكاريرو	460– 463
بول	375– 486– 276
بيالي باشا	361– 362– 363– 364– 451– 218
بيدرو دي طولاد	466
بيدرو دي نافارا	500– 537– 172– 176– 349– 373– 409– 415– 449– 450
تيفينو	419
جاك ديمولان	487
جانتين دوريا	409
جوان الثالث	525– 532
جون سميث	498
جيرومينوفيانيللي	68
جيوبوتيستا سلفاغو	475
حاجي محمد	242
حسان بن النعمان	418
حسن آغا	121– 157– 182– 184– 186– 187– 206– 207– 215– 227– 234– 483– 121– 157

الحسن الحفصي	207– 354– 436– 437– 443– 444– 445– 446– 447– 448– 466
حسن بن خير الدين	362– 99– 157– 188– 192– 215– 216– 217– 218– 234
حسن قورصو	191– 451– 99– 101
حمودة باشا	428– 433– 477
حيدر باشا	224– 226– 358– 367– 368– 371– 372– 453– 456– 460– 463– 466– 224– 226
خضر باشا	240
خوان دي إيريبس	437
خير الدين بربروس بن يعقوب	575– 585– 39– 72– 111– 120– 141– 178– 179– 180– 183– 184– 185– 18– 205– 210
دارفيو	162– 487
داميا ودكوبش	503
الداي أحمد شلبي	488
الداي شعبان	263
درغوث باشا	320– 323– 330– 331– 333– 334– 335– 336– 337– 341– 343– 344– 354– 359– 360– 362– 363– 364– 367– 372– 410– 416– 451– 565– 213– 215– 216
دو بيون	487
دو سيجبران	485

دو فانشوجير	483
دور سوردي	485
الدوق ألبا	450
الدوق دوبوفور	277 -486
الدوق ديبراكانس	524
دوكاستر	26 -504 -498
دوكلارفيل	486
دومونتان	482
الدون برناردينو دي ماندوزا	446
دون جواوسوبرينو	503
الدون خوان دوتريش	454 -452 -223
الدون خوان دي فيجا	445
الدون سيباستيان	613 -576 -535 -534
دون غارسيا دوتوليدو	450
الدون فرناندو	500
دون فيرناند داكونا	446
الدون هيجو دو منكادا	450
دي زاموقيرا	462
دي سارنو	441
دي لافور	442 -439 -209
دي ماكون	440
دي مونديجار	442 -201
ديجو دي فيرا	450
دييقوقياندولفو	480
رمضان باشا	-457 -453 -343 -225 -224 -159

	461 –464
روزا	443 –142
روفيينو	462
ريشيليو	273 –275 –276 –484 –485
زيدان بن المنصور	514 –515 –517 –542 –545
السلطان المنصور السعدي	536 –576 –612 –504
السلطان محمد الشيخ السعدي	501 –505 –508 –510 –517 –522– 529 –532 –542
سليم الأول بن بايزيد الثاني	23– 141 –151 –350
سليمان القانوني	575 –583 –585 –183 –191 –199– 200 –205 –209 –216 –355 –358– 359 –362 –364 –409 –439 –440– 480 –501
سنان باشا	215 –225 –226 –335 –356 –367– 368 –405 –422 –428 –431 –458– 459 –460 –461 –462 –463
السيدة الحرة ابنة راشد	497
شارلكان	321 –351 –441 –443 –444 –130– 200 –223 –354 –408 –410 –435– 436 –437 –438 –439 –440 –441– 442 –443 –444 –445 –446 –447– 448 –466 –492
صافاري دي براف	468
الضون أنطونيو بارثلو	149
طارق بن زياد	76

عبد الله الأزميرلي	379 -384 -385 -604 -376
عبد الله بن عائشة (بنعاش)	518 -561 -566 -519
عبد الملك السعدي	534 -535 -194 -195 -503 -404
عبد الملك بن مروان	418
عبد المؤمن بن علي	76 -419
عثمان داي	431 -432 -565
علج(قلج) علي	212 -364 -456 -165 -407 -452- 453- 188
علي آغا	126 -162 -278 -301 -309 -461
علي المنظري	497 -523
علي باشا الأول	407 -409
علي باشا الحسيني	406
علي باي	490
علي بتشين	160 -161 -274 -474
علي بن راشد	497 -499
علي بن عبد الله الريفي	538
غابريال سربيلوني	454
غارسيا سارسينتو	450
غوتيي	490
فرانسوا دي تولاد	411
فرانسيسكو ماركيز	450
فرديناند الخامس الكاتوليكي	64 -68 -70 -72
فرنسوا الأول	209 -226 -227-228 -438 -439- 440- 442 -443
فليب الثاني	505 -536 -612 -193 -195

فليب الخامس	250
فيرناندو دو زافيرا	68
فيرون غونزاغ	442 -439 -209 -442
القبطان توشينج	499 -498
قوبيللو	474
قوصة محمد	240
الكاردينال خيمينيس	73 -69 -68 -65
الكولونيل دوبنون	503
الكولونيل سامانيجو	450
الكونت رودماو	533
لباشتياو دي فاركاش	501 -499
لويس الرابع عشر	-291 -275 -152 -561 -518 -515 489 -488 -487 -376 -332
لويس بريزيندا	437
لويس دو لوريفلس	533
لويس دي تشاييس	538
ماركي دوطيرنوف	448
الماركيز دو مارتال	487
الماركيز سانشو ألركون	442
الماريشال دوكين	-377 -286 -285 -284 -283 -281 488 -398
الماريشال ديستري	-489 -398 -379 -378 -290 -287 559 -556
ماطيو مولينا	480
مامي رايس	233 -159 -156 -343

محمد البرتغالي	501- 529
محمد بكداش	243- 244
محمد الشيخ الوطاسي	522- 529
محمد الفاتح (السلطان العثماني)	111
محمد المتوكل	534- 535
محمد باشا	127- 257- 337- 338- 339- 343- 369- 388- 463- 565
محمد باي	489- 490
محمد بن الحسن	448- 454
محمد بن الشيخ المأمون	505
محمد بن مسعود	547
محمد زغودة	542
محمد منتشالي	487
محمود بك	460
مراد الثالث	159- 268- 461
مراد رايس	504- 515- 516- 517- 566- 156- 213- 215- 230- 233- 253- 254- 257- 258- 267- 268- 296- 305
المركيز دي سانت كروز	241- 464
مصطفى الأرنؤوطي	213
مصطفى باشا	216- 341- 362- 363- 367- 369- 457- 459- 460- 28- 196- 197
مُعَاوِيَة بْن أبي سُفْيَان	41- 42
المنصر إيفالد	414
المهدي الشيعي	409

موسى بن نصير	429
المولى اسماعيل	545 –547 –548 –551 –552 –553– 555 –557 –558
مونتمورنسي	438
نيكولاس رانس	442– 443
هنري الثالث	65– 523
هنري الرابع	231– 268– 277– 481
هنري ماينوارينك	498
يوحنا الثالث	499– 501
يوحنا فندلسين	304
يوسف بن تاشفين	76– 505
يوسف داي	407– 432– 433– 469– 483– 485– 565

2– فهرس الأماكن والبلدان:

المكان	الصفحات
أرغون	70– 94
أزمور	506– 520– 524– 525– 564– 566
إسبانيا	526– 528– 535– 536– 537– 539– 541– 542– 546– 572– 19– 22– 26– 30– 39– 64– 66– 67– 59– 72– 73– 74– 75– 76– 77– 80– 81– 94– 111– 116– 149– 152– 169–

	170– 173– 178– 182– 183– 184– 185– 195– 196– 202– 208– 2015– 220–227– 228– 229– 230– 233– 236– 237– 239– 240– 241– 242– 248– 252– 253– 260– 266– 268– 275– 281– 293– 294– 307– 312– 313– 342– 349– 351– 374– 384– 432– 435– 438– 442– 445– 450– 468– 477– 478– 479– 480– 481– 491– 492– 500– 502– 505– 508– 511
آسفي	556– 524– 525– 531
الاسكندريّة	228– 421
أصيلا	532– 533– 545– 501– 502– 503– 505– 523
إفريقيا	27– 556– 54– 66– 70– 73– 77– 81– 106– 110– 112– 115– 136– 177– 179– 294– 322– 349– 414– 436– 505– 508– 556
افريقية	135– 181– 326– 403– 412
أكادير أو أغادير	531– 65– 519
انجلترا	152– 153– 295– 311– 313–

	26 -558 -380 -337
آنفا	530
إيطاليا	44- 70- 73- 110- 183- 209- 211- 233- 252- 258- 263- 264- 266- 307- 325- 337- 351- 360- 380- 439- 442- 504- 509- 511
باب ظهر الكدية	406
بادس	67- 69- 170- 181- 202- 214- 217- 228- 361- 362- 497- 500- 501- 502- 508- 510- 520- 537- 538- 549- 566
البرتغال	67- 80- 117- 170- 195- 241- 297- 495- 503- 505- 509- 511- 521- 522- 523- 524- 525- 526- 527- 528- 529- 534- 535- 536- 539- 563- 564- 569- 576- 613
برج الأندلس	406- 407
البرج الجديد بطبرقة	406
برج الرابطة	406
برج سيدي سالم أو سيدي يوسف	407
برج قليبية	417

برشك	199– 260– 269
برقة	324– 325– 338– 357
البريجة	529– 545– 546
البندقية	26– 68– 99– 148– 215– 216– 218– 220– 254– 260– 261– 262– 265– 288– 337– 378– 382– 392– 393– 397– 398– 463– 468– 472– 473– 474– 475– 476– 476– 477– 491– 492– 538
بنزرت	206– 209– 212– 253– 403– 404– 405– 406– 407– 418– 423– 424– 425– 434– 445– 446– 457– 464– 471– 479– 483– 487– 565
بنغازي	322– 324– 325– 327– 332– 339– 341– 344– 348– 353– 400
بيراستووهي	473
تافيلالت	124
ترغة	499– 500– 564– 566
تركيا	380– 504– 26
تشميش	530
تطوان	202– 273– 495– 496– 497– 498– 499– 501– 502– 503–

	520- 522- 523- 544- 551- 552- 563- 564- 566
تفتنت	532
تونس	15- 17- 18- 20- 23- 25- 26- 28- 39- 70- 75- 78- 80- 109- 110- 112- 148- 160- 161- 163- 165- 176- 177- 182- 184- 196- 198- 204- 205- 206- 207- 208- 209- 210- 211- 212- 213- 214- 216- 219- 221- 222- 223- 224- 225- 226- 233- 234- 243- 252- 253- 260- 261- 262- 307- 321- 330- 348- 349- 354- 362- 365- 366- 367- 368- 369- 371- 372- 376- 378- 381- 393- 398- 400- 402-403- 405- 408- 410- 416-417- 418- 419- 420- 421- 422- 423- 424- 425- 427- 428- 429- 430- 431- 432- 434- 435- 436- 437- 438- 439- 440- 441- 442- 444- 445- 446- 447- 448- 451- 452- 453- 457- 458- 460- 461- 462- 463- 464- 465- 466- 469- 470- 472- 473- 474- 475- 475-

	476– 477– 478– 479– 480– 481– 482– 483– 484– 486– 487– 488– 489– 491– 492– 498– 522– 565– 576– 586– 605– 608– 609– 610
جبل بني ماجر	529– 531
جبل طارق	81– 301– 306– 309– 310– 342– 396– 497– 502– 521– 554– 562
جربة	565– 576– 608– 140– 174– 209– 322– 358– 360– 361– 362– 370– 373– 414– 415– 416– 436– 448– 449– 451
جزيرة تينو	473
جزيرة اقريطش	261– 474
الجزيرة الايبيرية	64
الجزيرة الصغيرة	406
جزيرة زمبرة	469
جزيرة سردينيا	190– 439– 55
جزيرة فافينيانا	452
جزيرة قبرص	218– 219– 220
جزيرة قرقنة	450– 464– 465– 466
جزيرة قورية	464
جنوة	472– 110– 148– 185– 215– 230– 238– 241– 255– 256– 264– 391– 426– 438

حجر بادس	170– 201– 214– 217– 361– 362– 500– 501– 520– 67– 69
حلق الوادي	204– 207– 209– 213– 214– 224– 225– 226– 228– 280– 362– 366– 368– 403– 410– 416– 418– 419– 420– 421– 422– 423– 424– 425– 426– 433– 434– 440– 441– 444– 445– 447– 451– 452– 455– 456– 457– 458– 461– 462– 463– 469– 470– 471– 473– 479– 482– 486– 487– 489– 492– 505– 565
الحمامات	416– 417– 426– 453– 456– 468
حي الأندلس	406
حي القصبة	406
خربة الكلخ	444
خليج بنزرت	407
خليج سيرتا الصغير	414
خليج ليبانت	221
الدول الأوروبية	256–257– 284– 292– 312– 313– 330– 347– 348– 374– 395– 402– 467– 472– 491–

	492– 514– 566– 572– 22– 76– 80– 89– 90– 134
الدولة الحفصية	449– 463– 22– 30– 204
الدولة السعدية	502– 509– 542
الدولة العلوية	537– 551
الدولة المرينية	495
الدولة الموحدية	65
ديل المقلجون	464
ربض الأندلس	406
زوارة	321– 343– 356– 457
زويلة	411
سانتاكروز	532– 247–
سبتة	495– 496– 498– 501– 503– 521– 522– 523– 524– 532– 536– 538– 546– 547– 548– 550– 562– 195
سلا (مصب أبي الرقراق)	498– 506– 507– 508– 510– 511– 513– 515– 516– 517– 518– 519– 526– 530– 539– 540– 541– 544– 550– 554– 555– 556– 559– 560– 561– 562–563
السلطانية	411
سواحل كورسيكا	253– 409
السودان	324

سوس الأقصى	531
سوسة	565- 212- 225- 389- 417- 418- 425- 429- 447- 448- 464- 479- 492
شيكلي	522- 544- 462-422
صفاقس	412- 413- 414- 415- 416- 426- 434- 428- 479- 565
صقلية	429- 438- 439- 442- 445- 448- 450- 468- 469- 54- 70- 184- 209- 216- 238- 253- 254- 256- 257- 260- 263- 349- 360- 361-390- 404- 405
طبرقة	434- 478- 565- 223- 371- 406- 408- 423
طرابلس الغرب	488- 489- 565- 576- 305- 606- 608- 609- 15- 18- 20- 23- 25- 29- 39- 73- 78- 79- 80- 87- 100- 174- 216- 221-223- 224- 225- 231- 242- 261- 281- 320- 321- 323- 324- 325- 326- 327- 328- 329- 330- 331- 333- 334- 335- 336- 338- 340

طراقونا	479
طنجة	81 –195 –309 –496 –497– 498– 502– 503– 505– 523– 526– 549– 550– 551– 552– 553– 562
العتيقة	418
العرائش	195– 496– 502– 503– 504– 505– 532– 452– 543– 545– 549– 566
غساسة	538– 539
فاس	500– 501– 502– 504– 505– 507– 508– 509– 510– 522– 524– 527– 528– 530– 531– 533– 537– 542– 546– 550– 555– 576– 611– 23– 68– 181
قابس	414– 415– 434
قادس	557– 306
قرطاجنة	418– 422
قستليون	55
قشتالة	479– 540– 64– 68– 70– 94
القصر الصغير	501– 502– 523– 524
قلعة القصبة	113– 405
القيروان	79– 204– 207– 212– 224– 358– 367– 368– 412– 428–

	448 –453 –454 –456 –466
كاباي	414
كاتالونيا	203 –479
كاغلياري	253 –439
كرسيوزا	529
كلابريا	470
كوكو	176 –187 –190 –239 –457
مالطة	216 –217 –219 –275 –276– 277 –326 –347 –362 –391– 405 –416 –426 –437 –468– 469 –470 –471 –517 –26
مرسى الخرز	404 –409
المرسى الكبير	217 –233 –237 –240 –243– 247 –248 –249 –250 –293– 362 –368 –538 –68 –73– 81 –95 –96 –97 –100– 101 –169 –170 –171 –172– 173 –187 –188 –191 –192– 196 –199
مضيق صقلية	404 –445
المعمورة	505 –512 –519 –526 –527– 544 –549 –563 –156
المغرب الإسلامي	44– 45– 55– 56– 57– 169– 171 –175
المغرب الأقصى	124 –214 –494 –495–506–

	521 -526 -534 -541 -545- 549 -551 -554 -563 -564- 565 -566 -571 -576 -611- 15- 20- 28
مكناس	527
مليلة	538- 539- 547- 548
المنستير	212- 417- 447- 448- 450- 464- 466- 468- 492
المهدية	216- 409- 410- 411- 412- 434- 445- 446- 448- 466- 505- 506- 520- 545- 564- 565- 566- 55
نابل	274
نوفا أركس	422
وادي المخازن	504- 505- 535- 536

3- فهرس القبائل والجماعات:

القبائل والجماعات	الصفحات
الأتراك	242- 245- 266- 302- 344- 347- 405- 410- 411- 415- 422- 428- 461- 467- 468- 481- 584- 525- 533- 534- 569- 80- 82- 106-

	110 -119 -127 -130- 131 -142 -182 -195
الأفارقة	403 -412 -495 -500- 502 -506 -45 -64- 104 -109
آل لومولينى	408
الألمان	438 -439 -498 -209
الأندلسيون	479 -496 -104 -108- 139 -148
أولاد النقسيس	498
الإيطاليون	438
التونسيون	483 -262 -430-475
الجزائريون	134 -186 -252 -254- 260 -262 -263 -296- 300 -308 -425 -475- 97 -135
الجنويون	252 -409 -113
الحفصيين	367 -435 -436 -78- 171 -180 -198 -204- 208
الرومان	325 -412 -414 -417- 54 -76 -103 -106
السعديين	505 -511 -525 -532-

	180 –533
الشابيين	79
الطرابلسيين	–341 –607 –576 –511 –374 –373 –366 –351 389 –388 –378 –377
الطليان	349 –185
العثمانيون	–117 –110 –94 –74 –34 –262 –142 –131 –127 –333 –330 –326 –323 –372 –363 –351 –348 –411 –410 –405 –400 –429 –427 –417 –416 –462 –460 –448 –430 501
العرب	–243 –116 –66 –65 –36 –412 –408 –332 –245 465 –450
المسيحيين	–68 –62 –60 –59 –56 –85 –84 –83 –72 –71 –136 –134 –96 –90 –177 –167 –140 –195 –183 –179 –310 –260 –210

	329– 337– 338– 344– 354– 366– 415– 435– 443– 460– 467– 497– 501– 503– 510– 538
المغاربة	56– 58– 63– 67– 76– 77– 80– 83– 87– 88– 89– 90– 276– 287– 332– 338– 427– 459– 475– 476– 481– 484– 495– 505– 509– 510– 514– 515– 516– 519– 520– 521– 255– 528– 531– 538– 551– 553– 563– 569– 13– 16– 54– 55
الموريسكيين	87– 96– 111– 139– 194– 200– 201– 204– 223– 234– 427– 432– 520– 564
النصارى	90– 45– 97– 116– 157–

	175– 196– 207– 242– 244– 284– 298– 345– 364– 367– 378– 379– 397– 422– 500– 502– 503– 504– 524– 528– 532– 544– 545– 552

الوطاسيين	494– 505– 507– 522– 78

اليهود	525– 553– 70– 98– 137– 465

فهرس المحتويات

الإهداء

الشكر والتقدير

قائمة المختصرات

مقدمة:..........12

الفصل المدخلي:

الجهاد البحري، مفهومه، شرعيته الدينية، دوافعه وأهدافه.......... 34

المبحث الأول: الجهاد البحري، مفهومه، حكمه ومشروعيته..........35

أولا: الجهاد البحري وفقهه الإسلامي..........36

ثانيا: الجدلية التاريخية المتعلقة بالقرصنة والجهاد البحري 50

المبحث الثاني: دوافع الجهاد البحري وأهدافه..........64

أولا: دوافع الجهاد البحري..........65

ثانيا: أسس العمل الجهادي وأهدافه 83

خاتمة الفصل:..........90

الباب الأول:

مراكز حركة الجهاد البحري في جزائر الغرب، أثرها ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)..........92

الفصل الأول:

مراكز حركة الجهاد البحري في جزائر الغرب خلال القرنين (10-11هـ /16-17م)..........95

المبحث الأول: السواحل الجزائرية مراكز جهادية..........96

أولا- وهران والمرسى الكبير:..........97

ثانيا- مستغانم:..........102

ثالثا- شرشال:..........104

رابعا- دلس:..........105

خامسا- بجاية:..........107

سادسا -جيجل:.......... 110

سابعا - عنابة:..........112

المبحث الثاني: دار الجهاد (مدينة الجزائر) أهم مركز في المغارب خلال القرنين

(10هـ-11هـ/16-17م)...116
أولا- الموقع والتأسيس:..116
ثانيا- تحصينات مركز جزائر الغرب: 118
ثالثا- المباني الدفاعية بمركز جزائر الغرب:...127
المبحث الثالث: تجهيز الأسطول الجزائري.. 136
أولا-صناعة السفن :..136
ثانيا- تجهيزات السفن وصناعة الأسلحة:...144
ثالثا- المساعدات الداخلية والخارجية :...152
رابعا-ديوان البحرية:..156
خامسا- الألوية والرايات:...166
خاتمة الفصل...168

الفصل الثاني:

حركة الجهاد البحري الجزائري ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/16م)

(10هـ/16م)..170
المبحث الأول: دور مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة الاحتلال الإسباني وحملاته على الجزائر خلال القرن (10هـ/16م)..171
أولا- الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وجهود أبناء يعقوب (الإخوة بربروس) في صده:..171
ثانيا-العمليات الجهادية للبحرية الجزائرية على المستوى المحلي.........................181
المبحث الثاني: دور مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة الإسبان على المستوي الإقليمي خلال القرن (10هـ/ 16م)... 198
أولا- مجاهدو البحرية الجزائرية ينجدون مسلمي الأندلس..................................198
ثانيا- دار الجهاد (الجزائر) تساند تونس ضد الخطر الإسباني (941-976هـ/ 1534 - 1569م)...203
ثالثا-مجاهدو البحرية الجزائرية يحررون حجر بادس في المغرب الأقصى.......................213
المبحث الثالث: العمليات الجهادية للبحرية الجزائرية على الصعيد العالمي.....................215
أولا- مظاهر التعاون الجزائري العثماني: 215
ثانيا-التقارب الجزائري الفرنسي بين الشد والجذب:..226
ثالثا-الأسطول الجزائري في مواجهة الإسبان في الحوض الغربي للمتوسط:.......................232

خاتمة الفصل..234

الفصل الثالث:

حركة الجهاد البحري الجزائري أثرها ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/ 17م)..235

المبحث الأول: دور مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة إسبانيا والدويلات الإيطالية وحملاتهم خلال القرن (11هـ/ 17م)..237

أولا-دور مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة الإسبان وحملاتهم خلال القرن (11هـ/17م):..237

ثانيا- رياس الجزائر يجابهون الدويلات الإيطالية خلال القرن(11هـ/17م):......................251

المبحث الثاني: مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة فرنسا وحملاتها خلال القرن(11هـ/17م)..266

أولا- دواعي تأجيج العداء بين الجزائر وفرنسا خلال النصف الأول من القرن (11هـ/17م):..267

ثانيا- الحملات الفرنسية على الجزائر خلال القرن (11هـ/17م):..................................273

المبحث الثالث: دور مراكز حركة الجهاد البحري الجزائري في مجابهة إنجلترا وهولندا وحملاتهما خلال القرن (11هـ/17م):..293

أولا- مجابهات مجاهدي الجزائر لإنجلترا وحملاتها خلال القرن (11هـ/17م.........................293

ثانيا-مجابهات مجاهدي البحرية الجزائرية لهولندا وحملاتها خلال القرن(11هـ/17م)...................302

خاتمة الفصل: 312

خاتمة الباب:..313

الباب الثاني:

مراكز حركة الجهاد البحري في طرابلس، تونس، المغرب الأقصى ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)..315

الفصل الأول:

مراكز حركة الجهاد البحري في طرابلس الغرب ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)..320

المبحث الأول: مراكز حركة الجهاد البحري في الساحل الطرابلسي خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)..321

أولا- أهم مراكز الجهاد البحري في سواحل طرابلس الغرب(ليبيا) وتحصيناتها:..................321

المبحث الثاني: دور مراكز حركة الجهاد البحري الطرابلسي في مجابهة الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/16م):..349

أولا–دور مراكز حركة الجهاد البحري الليبي (الطرابلسي) في مجابهة الحملات الأوروبية خلال النصف الأول من القرن(10هـ/16م):..349

ثانيا–مركز طرابلس قاعدة رئيسية لأسطول الجهاد البحري:..........................327

ثالثا– تجهيز الأسطول الليبي (طرابلس الغرب): 333

المبحث الثالث: مجابهة مراكز طرابلس الغرب للحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/17م)..........374

أولا – مجابهتها للحملات الفرنسية:...375

ثانيا– مجابهتها للحملات الإنجليزية:..380

ثالثا– مجابهتها لحملات إسبانيا وحلفائها:...384

رابعا–مجابهتها للحملات الهولندية:..393

خاتمة الفصل 400

الفصل الثاني:

مراكز حركة الجهاد البحري في تونس، أثرها ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10–11هـ/16–17م)..401

المبحث الأول: مراكز حركة الجهاد البحري في تونس خلال القرنين (10–11هـ/16–17م):..403

أولا–المراكز الثانوية لحركة الجهاد البحري في الساحل التونسي خلال القرنين(10–11هـ/16–17م): 403

ثانيا– تونس–حلق الوادي، أهم مركز في تونس خلال القرنين (10–11هـ/16–17م):............418

ثالثا– تجهيز الأسطول التونسي:...435

المبحث الثاني: الحملات الأوروبية على تونس، ودور مراكز حركة الجهاد البحري في صدها خلال القرن (10هـ/16م):...435

أولا–حملة شارلكان على حلق الوادي بتونس سنة (941هـ/1535م)، ودور خير الدين بن يعقوب في صدّها:...435

ثانيا–الإسبان يستكملون مشروعهم في تونس، والرايس درغوث يقف لهم بالمرصاد:..........445

ثالثا– الحملات الإسبانية على مركز جربة ودوره في صدها خلال القرن(10هـ/16م):................449

المبحث الثالث: مراكز حركة الجهاد البحري التونسي ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن (11هـ/17م)...467

أولا- دور مراكز حركة الجهاد البحري التونسي في مجابهة مالطا وحملاتها خلال القرن (11هـ/17م):.. 467

ثانيا- المواجهات بين رياس البحر التونسيين والبنادقة خلال القرن (11هـ/17م):..................... 472

ثالثا- دور مراكز حركة الجهاد البحري التونسي في مجابهة إنجلترا وإسبانيا وحملاتهما خلال القرن (11هـ/17م):.. 477

رابعا- دور مراكز حركة الجهاد البحري التونسي في مجابهة فرنسا وحملاتها خلال القرن (11هـ/17م):.. 480

خاتمة الفصل.. 492

الفصل الثالث:

مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى، أثرها ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/16-17م).. 493

المبحث الأول: مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى خلال القرنين (10-11هـ/16-17م): 495

أولا- أهم مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى خلال القرنين (10-11هـ/16-17م):.. 494

ثانيا- مصب أبي رقراق، أهم مركز في المغرب الأقصى: 506

ثالثا – تجهيز الأسطول المغربي:.. 509

المبحث الثاني: دور مراكز حركة الجهاد البحري المغربي في مجابهة الحملات الأوروبية خلال القرن (10هـ/16م):.. 521

أولا-دور مراكز حركة الجهاد البحري المغربي في مجابهة الاحتلال البرتغالي وحملاته خلال القرن (10هـ/16م):.. 521

ثانيا-دور مراكز حركة الجهاد البحري المغربي في مجابهة الاحتلال الإسباني وحملاته خلال القرن (10هـ/16):.. 537

المبحث الثالث: مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى ودورها في صد الحملات الأوروبية خلال القرن(11هـ/17م):.. 541

أولا-مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى ودورها في صد الحملات الإسبانية خلال القرن(11هـ/17م):.. 541

ثانيا- مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى ودورها في صد الحملات البرتغالية خلال القرن (11هـ/17م):.........549

ثالثا-مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى ودورها في صد الحملات الإنجليزية خلال القرن (11هـ/17م):.........551

رابعا- مراكز حركة الجهاد البحري في المغرب الأقصى ودورها في صدّ الحملات الفرنسية عليها خلال القرن (11هـ/17م):.........**554**

خاتمة الفصل.........564

خاتمة الباب.........565

الخاتمة:.........567

قائمة الملاحق:.........574

ثبت المصادر والمراجع:.........617

فهرس الأعلام والأماكن والجماعات:.........671

فهرس المحتويات:.........697

الملخص:.........701

ملخص الدراسة

أولا- الملخص باللّغة العربية:

عنوان الأطروحة:

مراكز حركة الجهاد البحري في بلاد المغارب ودورها في صدّ الحملات الأوروبية خلال القرنين (10-11هـ/ 16-17م)؛ مقاربة من خلال الوثائق الأرشيفية.

1/التعريف بموضوع الدراسة:

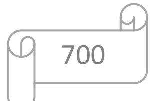
تتناول الدراسة مجال البحث التعريف بأهم مراكز حركة الجهاد البحري في بلاد المغارب، التي لعبت دورًا فعالاً في المجابهات العسكرية التي شهدتها ضفتي البحر المتوسط الشمالية والجنوبية خلال القرنين (10-11هـ/ 16-17م)، هذه الفترة التي شهدت نزاعًا حادًا بين الشرق الإسلامي بقيادة الامبراطورية العثمانية من ناحية، والغرب المسيحي بقيادة التحالف الأوروبي الذي أشرفت على تشكيله البابوية في روما برئاسة البابا بيوس الخامس من الناحية الثانية، أين برزت حركة الجهاد البحري المغاربي كقوة عالمية في الصراع الإسلامي المسيحي حاملة شعار التضامن الإسلامي، الأمر الذي جعلها تؤدي دورا مشرفا إلى جانب الدولة العثمانية في صد عديد الحملات الأورومسيحية على الصعيدين الإقليمي والعالمي، حيث برهنت هذه المشاركات في نفس الوقت عن قوة المراكز البحرية المغاربية الجهادية، التي مثلت بدورها الدرع الواقي واليد الضاربة للعثمانيين في هذا الصراع المرير.

وتنبع أهمية الموضوع من طبيعة وأهمية الأحداث التي عرفها التاريخ المغاربي خلال هذه الفترة، التي تتزامن مع تبني المغاربة لفكر الجهاد البحري ضدّ أعداء الاسلام، ما أدخل هذه البلدان التاريخ من أوسع أبوابه، لذلك عمدت الدراسة إلى تسليط الضوء على هذا الجانب المشرف من تاريخ بلاد المغارب الحديث، من خلال البحث الجاد عن أهم المراكز المغاربية التي كانت منطلقا للعمليات الجهادية ضد الحملات الأورومسيحية، وذلك وفق مقاربة أرشيفية تعتمد بشكل أكبر على وثائق الدفاتر المهمة المنتقاة من خلال بحث الباحثة في دور الأرشيفات المتنوعة كمركز الأرشيف الوطني الجزائري، والأرشيف العثماني بإسطنبول، والأرشيف التونسي والمغربي.

لتكون بذلك الدراسة دراسة أرشيفية توثيقية تبين مشروعية الجهاد البحري ودراسته في أطره الزمانية والمكانية وتدحض الإدعاءات والأحكام المسبقة المتبناة عن هذه القضية من طرف كتابات ومذكّرات الأسرى، ورجال الدين، والرحّالة، والقناصل الغربيين...الخ، ومن نقل عنهم وتبنى فكرهم.

2/أهداف موضوع الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم منطق فصيح عن الدوافع والظروف التاريخية التي كانت وراء تصعيد عمليات الجهاد البحري المغاربي، وبسط كل الأدلة التاريخية والموضوعية لمشروعيته، مع إبراز حتمية الظرفية المتوسطية التي حملت المغاربة على تسديد ضربات قاصمة لدول أوروبا المسيحية.



وقد قامت الباحثة بدراسة هذا الموضوع بالاستناد إلى جملة من الوثائق الأرشيفية، التي أمدتها بمعلومات قيّمة تفيد أن العثمانيين أبلوا بلاءً حسنًا في انبعاث النشاط البحري المغاربي المنشأ على الطراز العثماني، في محاولة استكشافية لرصد محطات التناحر المغاربي الأوروبي وحيثيات الصراع العسكري والسياسي بين دول أوروبا وبلاد المغارب التي وقفت حجرة عثرة أمام الأطماع الأوروبية.

كما تهدف الدراسة إلى بيان مدى صمود ومساهمة المراكز الجهادية المغاربية في صد الحملات الأوروبية التي استهدفتها طيلة القرنين (10-11هـ/16-17م)، ولا مناص من القول أن هذه الدراسة قد سعت للمساهمة في إثراء المكتبات الجزائرية والمغاربية من خلال محاولة تقديم دراسة علمية تاريخية أكاديمية تتناول موضوع العلاقات المتوسطية في العصر الحديث وفق مقاربة أرشيفية قد تفتقرها أدراج هذه المكتبات .

3/ المنهج المتبع في الدراسة:

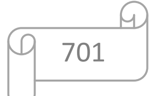
لم تتوقف الدراسة على استحضار وجمع المادة التاريخية فحسب، بل جاءت كمحاولة لفهم ظاهرة الجهاد البحري في كل من (طرابلس الغرب- تونس- الجزائر- المغرب الأقصى)، بالاستعانة في ذلك بمناهج البحث التاريخي المتمثلة في المنهج التاريخي الوصفي التركيبي التحليلي والإحصائي، وقد جاء ذلك بناءً على طبيعة موضوع البحث الذي يقتضي استعمال مناهج متعدّدة لسبر أغوار أحداثه التاريخية المتداخلة والمختلفة زمانًا ومكانًا.

ولا شّك أن الاستناد على هذه المناهج يتجلى من خلال اعتماد الباحثة على قراءة جادّة للوثائق والمصادر التاريخية المتنوعة واستخراج زبدة الأحداث والحقائق التاريخية منها ثم وصفها وتحليلها تحليلا تاريخيا علميا، وربطها ربطا تسلسليا وموضوعيا بعيدا عن الذاتية والأحكام الفردية، ليتوج ذلك بإخراج البحث من جانبه النظري إلى الجانب التطبيقي في شكل معطيات وأرقام إحصائية رصدتها بعض الجداول والأشكال البيانية، التي توضح إلى حد ما تعداد الأسرى والغنائم والسفن والخسائر المادية والبشرية التي خلفتها الحروب البحرية بين الأساطيل المغاربية والأساطيل الأوروبية في عديد المواقع والمعارك الطاحنة بين الطرفين.

4/ نتائج الدراسة:

بعد بيان هدف مناهج البحث التاريخي في فهم ظاهرة الجهاد البحري التاريخية من خلال ربط الأسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات، فقد توصلت الدراسة بعد البحث الطويل للدور المشرف والفعال لمراكز البحرية المغاربية في مجابهة الحملات الأورومسيحية ومساندة الحروب العثمانية في أوروبا، حيث تمكّنت حركة الجهاد البحري المغاربي من إعادة التوازن للمنطقة في ظل تأديتها لدور الحامي لحمى المسلمين والدفاع عن مجالاتهم ضد الهجمات الأوروبية.

ولا يفوتنا التنويه أن الفترة مجال البحث والتي تغطي القرنين (10-11هـ/16-17م) تعتبر من أبرز فترات الجهاد البحري خلال العصر الحديث، على اعتبار أنها فترة الصمود المغاربي في وجه الحملات الأورومسيحية المتكررة على سواحل بلاد المغارب، بفضل قيام الأسطول المغاربي بحملات معاكسة تكسر شوكة الأساطيل



الأوروبية بشكل مفاجئ ومباغت، لذلك أضحت مؤسسة الجهاد البحري المغاربي تحتل موقعا مركزيا ضمن بنيات المجتمع المغاربي بالنظر إلى تأثيرها المباشر على جو العلاقات المغاربية الأوروبية من جهة وصدى ذلك على مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ببلاد المغارب في الجهة الأخرى.

وحرصًا على تعليل الدوافع والظروف التاريخية التي حركت نشاط الجهاد البحري خلال هذه الفترة، فقد بينت الدراسة مشروعية مصطلح "الجهاد البحري" المعتمد في الدراسات الإسلامية على عكس مصطلحي " القرصنة " و"لصوصية البحر"، اللّذين تبنتهما الأحكام المسبقة للكتابات الغربية، التي لم تتوخى الدقة العلمية في ضبط المصطلح اللائق بهذا النشاط، بل سقطت في استعمال مصطلحات ذات مفاهيم وأبعاد قانونية مختلفة لازالت محل جدل بين المؤرخين العرب والغرب للآن.

ونافلة القول أن مظلة العثمانيين كانت العمود الفقري الذي استند عليه نشاط المراكز البحرية المغاربية، بعدما بسطت الدولة العثمانية نفوذها على كل من الجزائر وطرابلس الغرب وتونس، الأمر الذي خول سلاطينها لتقديم صلاحيات واسعة لمجاهدي المغارب وفق فرمانات سلطانية، للتحرك نحو عديد المناطق الأوروبية، سواءً للمشاركة مع الأسطول الهمايوني في حروب الدولة العثمانية في أوروبا و مساندة مسلمي الأندلس المضطهدين ونقلهم لبر الساحل المغاربي الآمن، أومن خلال تقديم مساعدات حربية لرد اعتداء هجمات الأوروبيين على السواحل المغاربية والقواعد العثمانية.

5/الكلمات المفتاحية:

مراكز حركة الجهاد البحري؛ بلاد المغارب؛ الحملات الأورومسيحية؛ البحر الأبيض المتوسط؛ الوثائق الأرشيفية؛ القرنان (10-11هـ/ 16-17م).

ثانيا- الملخص باللّغة الإنجليزية:

Title of the thesis:

The centers of the maritime jihad movement in the Maghreb and its role in repelling European campaigns during the two centuries (10-11 AH / 16-17 AD); An approach through archival documents

1/Introducing the subject of the study'

The study deals with the field of research: introducing the most important centers of the maritime jihad movement in the Maghreb, which played an effective role in the military confrontations that took place on the northern and southern shores of the Mediterranean during the two centuries (10-11 AH / 16-17 AD), this period that witnessed an intense conflict between the Islamic East, led by The Ottoman Empire on the one hand, and the Christian West led by the European coalition whose formation was supervised by the papacy in Rome, headed by Pope Pius V, on the other hand. Where did the Maghreb maritime jihad movement emerge as a global force in the Islamic-Christian conflict, carrying the slogan of Islamic solidarity, which made it play an honorable role alongside the Ottoman Empire in repelling many Euro-Christian campaigns at the regional and global levels. These contributions demonstrated at the same time the strength of the Maghreb maritime jihadist centres. , which in turn represented the protective shield and striking hand for the Ottomans in this bitter conflict.

The importance of the topic stems from the nature and importance of the events that Maghreb history witnessed during this period, which coincide with the Maghribins adoption of the idea of maritime jihad against the enemies of Islam, which brought these countries into history from its widest gates. Therefore, the study sought to shed light on this honorable aspect of the history of the Maghreb countries. The talk, through a serious search for the most important Maghreb centers that were the starting point for jihadist operations against the Oro-Christian campaigns, This is according to an archival approach that relies more on important notebook documents selected

through the researcher's research into various archives, such as the Algerian National Archives Center, the Ottoman Archives in Istanbul, and the Tunisian and Moroccan Archives.

Thus, the study will be a documentary archival study that shows the legitimacy of maritime jihad and its study within its temporal and spatial frameworks, and refutes the allegations and prejudices adopted about this issue by the writings and memoirs of prisoners, clerics, travelers, Western consuls...etc., and those who quoted them and adopted their ideas.

2/ Objectives of the study topic:

This study aims to present an eloquent logic about the motives and historical circumstances that were behind the escalation of the Maghreb maritime jihad operations, and to provide all the historical and objective evidence of its legitimacy, while highlighting the inevitability of the Mediterranean circumstance that led the Maghribins to deliver devastating blows to the Christian countries of Europe.

The researcher studied this topic based on a number of archival documents, which provided her with valuable informations indicating that the Ottomans did well in reviving the Ottoman-style Maghreb maritime activity, in an exploratory attempt to monitor the stages of the Maghreb-European rivalry and the circumstances of the military and political conflict between the countries of Europe and the Maghreb countries. Which stood as a stumbling block to European ambitions.

The study also aims to demonstrate the extent of the steadfastness and contribution of Maghreb jihadist centers in repelling the European campaigns that targeted them throughout the two centuries (10-11 AH/16-17 AD). It is inevitable to say that this study has sought to contribute to enriching Algerian and Maghreb libraries by attempting to present a scientific study. An academic history that deals with the subject of Mediterranean relations in the modern era according to an archival approach that may be lacking in the drawers of these libraries.

3/ The approach followed in the study:

The study did not stop only at recalling and collecting historical material, but rather it came as an attempt to understand the phenomenon of maritime jihad in (Tripoli of the West - Tunisia - Algeria - Al-Aqsa Morocco), using historical research methods represented by the historical, descriptive, synthetic, analytical and statistical approach. Based on the nature of the research topic, which requires the use of multiple approaches to explore its overlapping historical events that differ in time and place.

There is no doubt that relying on these approaches is evident through the researcher's reliance on a serious reading of various historical documents and sources, extracting the essence of historical events and facts from them, then describing and analyzing them in a scientific historical analysis, and linking them sequentially and objectively, away from subjectivity and individual judgments. This culminates in bringing the research from its

theoretical side to the applied side in the form of statistical data and numbers recorded by some tables and graphs, which explain to some extent the numbers of prisoners, spoils, ships, and the material and human losses caused by the naval wars between the Maghreb and European fleets in many locations and the fierce battles between the two parties.

4/Results:

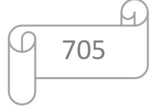
After stating the goal of historical research methods in understanding the historical phenomenon of maritime jihad by linking causes to causes and results to the premises, the study concluded, after long research, the honorable and effective role of the Maghreb naval centers in confronting the Euro-Christian campaigns and supporting the Ottoman wars in Europe, where the Maghreb maritime jihad movement was able to restore Balance for the region as it plays the role of protector of Muslims and defends their domains against European attacks.

We cannot fail to note that the period under study, which covers the two centuries (10-11 AH/16-17 AD), is considered one of the most prominent periods of maritime jihad during the modern era, given that it is the period of Maghreb steadfastness in the face of repeated Euro-Christian campaigns on the coasts of the Maghreb, thanks to the Maghreb fleet carrying out campaigns. A confrontation suddenly and unexpectedly breaks the power of the European fleets. Therefore, the Maghreb Maritime Jihad Foundation has come to occupy a central position within the structures of Maghreb society, given its direct impact on the atmosphere of Maghreb-European relations on the one hand and its repercussions on the aspects of political, economic and social life in the Maghreb countries on the other hand.

In order to explain the motives and historical circumstances that drove maritime jihad activity during this period, the study demonstrated the legitimacy of the term “maritime jihad” adopted in Islamic studies, in contrast to the terms “piracy” and “sea banditry,” which were adopted by the prejudices of Western writings, which did not envisage Scientific accuracy in determining the appropriate terminology for this activity, but rather fell into the use of terms with different legal concepts and dimensions that are still a matter of controversy between Arab and Western historians to this day.

It goes without saying that the umbrella of the Ottomans was the backbone on which the activity of the Maghreb naval centers was based, after the Ottoman Empire extended its influence over Algeria, Western Tripoli and Tunisia, which authorized its sultans to provide broad powers to the Mujahideen of the Maghreb according to royal decrees, to move towards many European regions, whether to participate With the Humayunid fleet in the wars of the Ottoman Empire in Europe and supporting the persecuted Muslims of Andalusia and transporting them to the safe land of the Maghreb coast, or by providing military aid to repel the aggression of European attacks on the Maghreb coasts and Ottoman bases.

5/ key words:



Centers of the maritime jihad movement ; The Maghreb ; The Euro-Christian campaigns ; The Mediterranean ; Archival documents ; The two centuries (10-11 AH / 16-17 AD).

ثالثا– الملخص باللّغة الفرنسية:

Titre de thèse:

Les centres du mouvement du jihad maritime au Maghreb et son rôle dans la répression des campagnes européennes au cours des deux siècles (10-11 AH / 16-17 ap. J.-C.) ; Une approche par les documents d'archives.

1/ Présentation du sujet de l'étude :

L'étude aborde le domaine de la recherche : présenter les foyers les plus importants du mouvement du jihad maritime au Maghreb, qui ont joué un rôle efficace dans les affrontements militaires qui ont eu lieu sur les rives nord et sud de la Méditerranée au cours des deux siècles (10 -11 AH / 16-17 après JC), Cette période fut témoin d'un conflit intense entre l'Orient islamique, dirigé par l'Empire ottoman, d'une part, et l'Occident chrétien, dirigé par l'Alliance européenne, dont la formation était supervisée par la papauté de Rome, dirigée par le pape Pie V. D'autre part, le mouvement du jihad maritime maghrébin s'est imposé comme une force mondiale dans le conflit islamo-chrétien, portant le mot d'ordre de la solidarité, Ce qui lui a valu de jouer un rôle honorable aux côtés de l'Empire ottoman en repoussant de nombreuses campagnes oromistiennes aux niveaux régional et mondial, ces contributions démontrant en même temps la force des centres navals djihadistes maghrébins, qui représentaient à leur tour le bouclier protecteur et la main de frappe. pour les Ottomans dans cet amer conflit.

L'importance du sujet découle de la nature et de l'importance des événements dont a été témoin l'histoire du Maghreb au cours de cette période, qui coïncident avec l'adoption par les Marocains de l'idée du jihad maritime contre les ennemis de l'Islam, qui a fait entrer ces pays dans l'histoire du ses portes les plus larges. L'étude a donc cherché à mettre en lumière cet aspect honorable de l'histoire des pays du Maghreb. L'entretien, à travers une recherche sérieuse des centres maghrébins les plus importants qui ont été le point de départ des opérations jihadistes contre le groupe oro-chrétien des campagnes, Cela s'inscrit dans une approche archivistique qui s'appuie davantage sur des documents importants de carnets sélectionnés grâce aux

recherches du chercheur dans diverses archives, telles que le Centre des Archives nationales algériennes, les Archives ottomanes d’Istanbul et les Archives tunisiennes et marocaines. ,

Ainsi, l'étude sera une étude d'archives documentaires qui montre la légitimité du jihad maritime et son étude dans ses cadres temporels et spatiaux, et réfute les allégations et les préjugés adoptés sur cette question par les écrits et mémoires de prisonniers, religieux, voyageurs, occidentaux. les consuls... etc., et ceux qui les citent et adoptent leurs idées.

2/ Objectifs du sujet d'étude :

Cette étude vise à présenter une logique éloquente sur les motifs et les circonstances historiques qui ont été à l’origine de l’escalade des opérations du jihad maritime maghrébin, et à fournir toutes les preuves historiques et objectives de sa légitimité, tout en soulignant le caractère inéluctable de la circonstance méditerranéenne qui a conduit au Maghribins pour porter des coups dévastateurs aux pays chrétiens d’Europe.

La chercheuse a étudié ce sujet à partir d'un certain nombre de documents d'archives, qui lui ont fourni de précieuses informations indiquant que les Ottomans ont bien réussi à relancer l'activité maritime maghrébine de type ottoman, dans une tentative exploratoire de suivre les étapes de la rivalité maghrébine-européenne et les circonstances du conflit militaire et politique entre les pays d'Europe et les pays du Maghreb, qui constituait une pierre d'achoppement aux ambitions européennes.

L'étude vise également à démontrer l'ampleur de la détermination et de la contribution des centres djihadistes maghrébins à repousser les campagnes européennes qui les ont ciblés tout au long de deux siècles (10-11 AH/16-17 après JC) il est incontestable que cette étude a cherché à contribuer à l'enrichissement des bibliothèques algériennes et maghrébines en tentant de présenter une étude scientifique, une histoire académique qui aborde le sujet des relations méditerranéennes à l'époque moderne selon une approche archivistique qui manque peut-être dans les tiroirs de ces bibliothèques,

3/ L’approche suivie dans l’étude :

L'étude ne s'est pas limitée à rappeler et à collecter du matériel historique, mais a plutôt été une tentative de compréhension du phénomène du jihad maritime (Tripoli de l'Ouest - Tunisie - Algérie - Al-Aqsa Maroc), en utilisant des méthodes de recherche historique représentées par l'approche historique, descriptive, synthétique, analytique et statistique. Basée sur la nature du sujet de recherche, qui nécessite l'utilisation de multiples approches pour explorer ses événements historiques qui se chevauchent et qui diffèrent dans le temps et dans le lieu.

Il ne fait aucun doute que le recours à ces approches se manifeste par le fait que le chercheur s'appuie sur une lecture sérieuse de divers documents et sources historiques, en extrayant l'essence des événements et des faits historiques, puis en les décrivant et en les analysant d'une manière historico-scientifique, et en les reliant séquentiellement et objectivement en dehors de

la subjectivité et des jugements individuels, de sorte que cela aboutisse à retirer la recherche de son côté théorique pour l'aspect pratique se présente sous la forme de données statistiques et de chiffres enregistrés par certains tableaux et graphiques, qui expliquent dans une certaine mesure le le nombre de prisonniers, de dépouilles, de navires, ainsi que les pertes matérielles et humaines causées par les guerres navales entre les flottes maghrébines et européennes en de nombreux endroits et les combats acharnés entre les deux parties.

4/ Résultats:

Après avoir exposé l'objectif des méthodes de recherche historique dans la compréhension du phénomène historique du jihad maritime en reliant les causes aux causes et les résultats aux prémisses, l'étude conclut, après de longues recherches, au rôle honorable et efficace des centres navals maghrébins face à la crise euro-méditerranéenne. Campagnes chrétiennes et soutien aux guerres ottomanes en Europe, où le mouvement du jihad maritime maghrébin a pu rétablir l'équilibre de la région en jouant le rôle de protecteur des musulmans et en défendant leurs domaines contre les attaques européennes.

Nous tenons à souligner que la période de recherche couvrant les deux siècles (10-11 AH/16-17 AD), est considérée comme l'une des périodes les plus marquantes du jihad maritime de l'ère moderne, étant donné qu'il s'agit de la période de la fermeté maghrébine face aux campagnes euro-chrétiennes répétées sur les côtes du Maghreb, grâce à la flotte maghrébine qui mène des campagnes. Un affrontement brise soudainement et de manière inattendue la puissance des flottes européennes. C'est pourquoi la Fondation du Jihad Maritime Maghreb est née d'occuper une place centrale au sein des structures de la société maghrébine, compte tenu de son impact direct sur l'atmosphère des relations maghrébines-européennes d'une part et de ses répercussions sur les aspects de la vie politique, économique et sociale des pays du Maghreb d'autre part.

Afin d’expliquer les motivations et les circonstances historiques qui ont motivé l’activité du jihad maritime au cours de cette période, l’étude a démontré la légitimité du terme « jihad maritime » adopté dans les études islamiques, par opposition aux termes « piraterie » et « banditisme maritime », qui ont été adoptés par les préjugés des écrits occidentaux, qui n'envisageaient pas l'exactitude scientifique dans la détermination de la terminologie appropriée pour cette activité, mais tombaient plutôt dans l'utilisation de termes avec des concepts et des dimensions juridiques différents qui font encore l'objet de controverses entre les historiens arabes et occidentaux. à ce jour.

Il va sans dire que le parapluie ottoman constituait l'épine dorsale sur laquelle reposait l'activité des centres navals maghrébins, après que l'Empire ottoman eut étendu son influence sur l'Algérie, Tripoli occidentale et la Tunisie, qui autorisa ses sultans à accorder de larges pouvoirs à l'Empire

ottoman. Moudjahidines du Maghreb selon les décrets royaux, pour se déplacer vers de nombreuses régions européennes, soit pour participer avec la flotte humayunide aux guerres de l'Empire ottoman en Europe et soutenir les musulmans persécutés d'Andalousie et les transporter vers les terres sûres de la côte maghrébine , ou en apportant une aide militaire pour repousser l’agression des attaques européennes sur les côtes maghrébines et les bases ottomans.

5\ les mots clés:

Centres du mouvement du jihad maritime ; Maghreb ; Campagnes euro-chrétiennes ; Méditerranée ; Documents d'archives ; les deux siècles (10-11 AH / 16-17 après JC).